Tafsir

Bahrul Uloom

By

Abul Laith Samarqandi

تفسير بحرالعلوم

لابوالليث سمرقندي (ت 860)

سورة الفاتحة،

سورة البقرة،

سورة آل عمران،

سورة النساءَ،

سورة المائده،

سورة الانعام،

سورة الاعراف

أبو الليث السمرقندي

علي بن يحيى السمرقندي ثم القرماني، علاء الدين، مفسر من علماء الحنفية، نزل بلارندة من بلاد قرمان، وتتلمذ لعلاء الدين البخاري، اشتغل في بلاده بالعلم الشريف، وبلغ من العلوم مرتبة الفضل، ثم سلك مسلك التصوف، وكان متوطنًا بالمدينة المنورة، توفي في حدود سنة 860)هـ.(

جلد اول سورة الفاتحه

الجزء الأول

سورة الفاتحة

تفسير الآيات رقم [1- 7]

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)}

روي عن مجاهد أنه قال: سورة فاتحة الكتاب مدنية،

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية.

ويقال: نصفها نزل بمكة ونصفها نزل بالمدينة.

حدثنا الحاكم أبو الفضل، محمد بن الحسين الحدادي قال: حدثنا أبو حامد المروزي قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال: حدثنا عمر بن يونس قال: حدثنا جهضم بن عبد الله بن العلاء عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ فِي كِتَابِ الله لَسُورَةً مَا أَنْزَلَ الله عَلَى نَبِيٍ مِثْلَهَا، فسأله أبي بن كعب عنها

فقال: إنِّي لأَرْجُو أنْ لا تَخْرُجَ مِنَ البَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا، فجعلتُ أتبطَّأ، ثم سأله أبيٌّ عنها فقال: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي صَلاتِكَ؟ قال: بأمِّ الكتاب.

فقال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالقُرْآنِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ " وقال بعضهم: السبع المثاني، هي السبع الطوال سورة: البقرة، وآل عمران، والخمس التي بعدها، وسماها مثاني لذكر القصص فيها مرتين. وقال أكثر أهل العلم: هي سورة الفاتحة؛ وإنما سميت السبع، لأنها سبع آيات؛ وإنما سميت المثاني، لأنها تثنى بقراءتها في كل صلاة.

وقال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو عبد الله، محمد بن حامد الخزعوني قال: حدثنا علي بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن مروان، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، مولى أم هانئ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {الحمد للَّهِ} قال: الشكر لله. ومعنى قول ابن عباس: الشكر لله، يعني الشكر لله على نعمائه كلها وقد قيل: (الحمد لله) يعني الوحدانية لله. وقد قيل: الألوهية لله. وروي عن قتادة أنه قال: معناه الحمد لله، الذي لم يجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

ثم معنى قوله (الحمد لله) قال بعضهم: «قل» فيه مضمر يعني: قل: الحمد لله.

وقال بعضهم: حمد الرب نفسه، ليعلم عباده فيحمدوه.

وقال أهل اللغة: الحمد هو الثناء الجميل، وحمد الله تعالى هو: الثناء عليه بصفاته الحسنى، وبما أنعم على عباده، ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد. وقال بعضهم: الشكر أعم، لأنه باللسان وبالجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة. كما قال {اعملوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْراً} [سبأ: 13].

وروي عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله كلمة كل شاكر، وذلك أن آدم عليه السلام، قال حين عطس: الحمد لله فقال الله تعالى: يرحمك الله، فسبقت رحمته غضبه. وقال الله تعالى لنوح:

{فَقُلِ الحمد للَّهِ الذى نَجَّانَا مِنَ القوم الظالمين} [المؤمنون: 28] وقال إبراهيم عليه السلام: {الحمد للَّهِ الذى وَهَبَ لِى عَلَى الكبر إسماعيل وإسحاق} [إبراهيم: 39] وقال في قصة داود وسليمان: {وَقَالاَ الحمد للَّهِ الذى فَضَّلَنَا على كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المؤمنين} [النمل: 15] وقال لمحمد عليه السلام: {وَقُلِ الحمد لِلَّهِ الذى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} [الإسراء: 111] وقال أهل الجنة: {الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن} [فاطر: 34] فهي كلمة كل شاكر.

وقوله تعالى: {رَبّ العالمين} قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيد العالمين. وهو رب كل ذي روح تدب على وجه الأرض. ويقال: معنى قوله {رَبّ العالمين}: خالق الخلق ورازقهم ومربيهم ومحولهم من حال إلى حال، من نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى مضغة.

والرب في اللغة: هو السيد قال الله تعالى: {ارجع إلى رَبّكَ} [يوسف: 50]، يعني إلى سيدك.

والربّ: هو المالك يقال: ربّ الدار، وربّ الدابة والرب هو المربي من قولك: ربى يربي.

وقوله: (العالمين) كل ذي روح ويقال: كل من كان له عقل يخاطب، مثل بني آدم والملائكة والجن، ولا يقع على البهائم ولا على غيرها.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ لله تَعَالَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ (18،000) عَالَمٍ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ مِنْهَا عَالَمٌ وَاحِدٌ "

ويقال: كل صنف من الحيوان عالم على حده.

قوله عز وجل: {الرحمن الرحيم}؛

قال في رواية الكلبي: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر.

وقال بعض أهل اللغة: هذا اللفظ شنيع، فلو قال: هما اسمان لطيفان، لكان أحسن ولكن معناه عندنا والله أعلم أنه أراد بالرقة الرحمة، يقال: رق فلان لفلان إذا رحمه. يقال: رق يرق إذا رحم.

وقوله: أحدهما أرق من الآخر قال بعضهم: الرحمن أرق، لأنه أبلغ في الرحمة لأنه يقع على المؤمنين والكافرين.

وقال بعضهم: الرحيم أرق، لأنه في الدنيا وفي الآخرة.

وقال بعضهم: كل واحد منهما أرق من الآخر من وجه، فلهذا المعنى لم يبين، وقال: أحدهما أرق من الآخر، يعني كل واحد منهما أرق من الآخر.

قوله تعالى: {مالك يَوْمِ الدين}؛ قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: ملك بغير الألف، وقرأ عاصم والكسائي بالألف. فأما من قرأ بالألف قال: لأن المالك أبلغ في الوصف، لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال ملك: إلا لملك من ملوك. وأما الذي قرأ: ملك بغير ألف قال: «لأن الملك أبلغ في الوصف، لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة، يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك؛ وإذا قلت فلان مالك هذه البلدة، كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة. وروى مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتتحون الصلاة ب {الحمد للهِ رَبِّ العالمين} وكلهم يقرؤون {مالك يَوْمِ الدين} بالألف.

قال الفقيه رحمه الله: سمعت أبي يحكي بإسناده عن أبي عبد الله، محمد بن شجاع البلخي يقول: كنت أقرأ بقراءة الكسائي {مالك يَوْمِ الدين} بالألف، فقال لي بعض أهل اللغة: الملك أبلغ في الوصف، فأخذت بقراءة حمزة وكنت أقرأ {مالك يَوْمِ الدين}، فرأيت في المنام كأنه أتاني آت فقال لي: لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اقْرَؤُوا القُرْآنَ فَخْماً مُفَخَّماً "، فلم أترك القراءة ب: «ملك» حتى أتاني بعد ذلك آت في المنام فقال لي: لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، فَلِمَ نقّصت من حسناتك عشراً في كل قراءة؟ فلما أصبحت، أتيت قطرباً وكان إماماً في اللغة فقلت له: ما الفرق بين ملك ومالك؟ فقال: بينهما فرق كثير. فأما ملك فهو ملك من الملوك، وأما مالك فهو مالك الملوك. فرجعت إلى قراءة الكسائي.

ثم معنى قوله «مالك» يعني: قاضي وحاكم {يَوْمِ الدين} يعني: يوم الحساب كما قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشهور عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كتاب الله يَوْمَ خَلَقَ السماوات والارض مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيم فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ المشركين كَآفَّةً كَمَا يقاتلونكم كَآفَّةً واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين}]التوبة: 36 وغيرها]، يعني الحساب القيم. وقيل أيضاً: معنى يوم الدين، يعني يوم القضاء. كما قال تعالى: {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ استخرجها مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كذلك كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الملك إِلاَّ أَن يَشَآءَ الله نَرْفَعُ درجات مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: 76] يعني: في قضائه وقيل أيضاً: يوم الدين أي يوم الجزاء، كما يقال: كما تدين تدان، يعني كما تجازي تجازى به. فإن قيل: ما معنى تخصيص يوم الدين؟ وهو مالك يوم الدين وغيره، قيل له: لأن في الدنيا، كانوا منازعين له في الملك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما. وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له. كما قال تعالى: {يَوْمَ هُم بارزون لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ لِّمَنِ الملك اليوم للَّهِ الواحد القهار} [غافر: 16] فأجاب جميع الخلق {قُلْ مَن رَّبُّ السماوات والارض قُلِ الله قُلْ أفاتخذتم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الاعمى والبصير أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظلمات والنور أَمْ جَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخلق عَلَيْهِمْ قُلِ الله خالق كُلِّ شَئ وَهُوَ الواحد القهار} [الرعد: 16]، وغيرها فكذلك هاهنا. قال: {مالك يَوْمِ الدين} يعني في ذلك اليوم لا يكون مالك، ولا قاض، ولا مجاز غيره.

قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} هو تعليم؛ علم المؤمنين كيف يقولون، إذا قاموا بين يديه في الصلاة، فأمرهم بأن يذكروا عبوديتهم وضعفهم، حتى يوفقهم ويعينهم فقال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} أي نوحد ونطيع. وقال بعضهم {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يعني إياك نطيع طاعة نخضع فيها لك. وقوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يقول: بك نستوثق على عبادتك وقضاء الحقوق. وفي هذا دليل على أن الكلام قد يكون بعضه على وجه المغايبة وبعضه على وجه المخاطبة، لأنه افتتح السورة بلفظ المغايبة وهو قوله: {الحمد للَّهِ} ثم ذكر بلفظ المخاطبة، فقال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}؛ وهذا كما قال في آية أخرى {هُوَ الذى يُسَيِّرُكُمْ فِى البر والبحر

حتى إِذَا كُنتُمْ فِى الفلك وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الموج مِن كُلِّ مَكَانٍ وظنوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هذه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين} {صلى الله عليه وسلم} [يونس: 22] فذكر بلفظ المخاطبة، ثم قال: {هُوَ الذى يُسَيِّرُكُمْ فِى البر والبحر حتى إِذَا كُنتُمْ فِى الفلك وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الموج مِن كُلِّ مَكَانٍ وظنوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هذه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين} [يونس: 22] هذا ذكر على المغايبة؛ ومثل هذا في القرآن كثير.

قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} رويت القراءتان عن ابن كثير أنه قرأ «السراط» بالسين، وروي عن حمزة أنه قرأ بالزاي، وقرأ الباقون بالصاد؛ وكل ذلك جائز، لأن مخرج السين والصاد واحد، وكذلك الزاي مخرجه منهما قريب، والقراءة المعروفة بالصاد قال ابن عباس رضي الله عنهما: {اهدنا} يعني أرشدنا، {الصراط المستقيم} وهو الإسلام فإن قيل: أليس هو الطريق المستقيم؟ وهو الإسلام فما معنى السؤال؟ قيل له: الصراط المستقيم، هو الذي ينتهي بصاحبه إلى المقصود. فإنما يسأل العبد ربه أن يرشده إلى الثبات على الطريق الذي ينتهي به إلى المقصود، ويعصمه من السبل المتفرقة. وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً، وخط بجنبه خطوطاً، ثم قال: إن هذا الصراط المستقيم وهذه السبل، وعلى رأس كل طريق شيطان يدعو إليه ويقول: هلم إلى الطريق. وفي هذا نزلت هذه الآية {وَأَنَّ هذا صراطي مُسْتَقِيمًا فاتبعوه وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153] فلهذا قال: اهدنا الصراط المستقيم واعصمنا من السبل المتفرقة.

قال الكلبي: أمتنا على دين الإسلام. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: {اهدنا الصراط المستقيم} يعني ثبتنا عليه. ومعنى قول علي: ثبتنا عليه. يعني احفظ قلوبنا على ذلك، ولا تقلبها بمعصيتنا. وهذا موافق لقول الله تعالى: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2] فكذلك هاهنا.

قوله تعالى: {صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} يعني طريق الذين مننت عليهم، فحفظت قلوبهم على الإسلام حتى ماتوا عليه. وهم أنبياؤه وأصفياؤه وأولياؤه. فامنن علينا كما مننت عليهم.

أخبرنا الفقيه، أبو جعفر قال: حدثنا أبو بكر، أحمد بن محمد بن سهل، القاضي قال: حدثنا أحمد بن جرير قال: حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصم، عن أبي العالية في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم * صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} قال: هو النبي عليه السلام وصاحباه من بعده أبو

بكر وعمر رضي الله عنهما قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن البصري فقال: صدق والله أبو العالية ونصح.

وقوله تعالى: {غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِمْ} أي غير طريق اليهود. يقول: لا تخذلنا بمعصيتنا، كما خذلت اليهود فلم تحفظ قلوبهم، حتى تركوا الإسلام.

{وَلاَ الضالين} يعني ولا النصارى، لم تحفظ قلوبهم وخذلتهم بمعصيتهم حتى تنصروا. وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد به النصارى، فإن قيل: أليس النصارى من المغضوب عليهم؟ واليهود أيضاً من الضالين؟ فكيف صرف المغضوب إلى اليهود، وصرف الضالين إلى النصارى؟ قيل له: إنّما عرف ذلك بالخبر واستدلالاً بالآية. فأما الخبر، فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً سأله وهو بوادي القرى: من المغضوب عليهم؟ قال: اليهود قال: ومن الضالين؟ فقال: النصارى؛ وأما الآية، فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود: {بِئْسَمَا اشتروا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أنزَلَ الله بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ الله مِن فَضْلِهِ على مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ على غَضَبٍ وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} [البقرة: 90] وقال تعالى في قصة النصارى: {قُلْ يَأَهْلَ الكتاب لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الحق وَلاَ تتبعوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السبيل} [المائدة: 77].

»آمين« ليس من السورة. ولكن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوله ويأمر به، ومعناه ما قال ابن عباس: يعني كذلك يكون. وروي عن مجاهد أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى ويكون معناه: يا الله استجب دعاءنا. وقال بعضهم: هي لغة بالسريانية. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَا حَسَدَتْكُمْ اليَهُودُ فِي شَيْءٍ، كَحَسَدِهِمْ فِي «آمين» خَاتَمِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَخْتِمُ بِهِ دُعَاءَ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ. وقال مقاتل: هو قوة للدعاء واستنزال للرحمة. وروى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى آمين؟ قال: رَبِّ افْعَلْ. ويقال: فيه لغتان «أمين» بغير مد، و«آمين» بالمد، ومعناهما واحد، وقد جاء في أشعارهم كلا الوجهين. قال القائل:

تَبَاعَدَ عَنِّي فُطْحُلٌ إِذْ دَعَوْتُه *** آمِينَ فَزَادَ الله مَا بَيْنَنَا بُعْدَا

وقال الآخر: يَا رَبِّ لا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَدَا *** وَيَرْحَمُ الله عَبْداً قَالَ: آمِينَا

وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة البقرة▲

▲ تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)}

قال الفقيه: حدثني أبي رحمه الله قال: حدثني محمد بن حامد قال: حدثنا علي بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن مروان، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قوله تعالى: {الم} يعني: أنا الله أعلم.

ومعنى قول ابن عباس أَنَا الله أَعْلَمُ يعني الألف: أنا، واللام: الله، والميم: أعلم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب قد كانت تذكر حرفاً وتريد به تمام الكلمة؛ ألا ترى إلى قول القائل:

قُلْتُ لَهَا قِفِي لَنَا قَالَتْ قَاف *** لاَ تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الإِيجَاف

يعني بالقاف: قد وقفت.

وقال الكلبي: هذا قسم، أقسم الله تعالى بالقرآن أن هذا الكتاب الذي أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، هو الكتاب الذي نزل من عند الله تعالى لا ريب فيه.

وقال بعض أهل اللغة: إن هذا الذي قال الكلبي لا يصح، لأن جواب القسم معقود على حروف مثل: إن، وقد، ولقد، وما، واللام وهنا لم نجد حرفاً من هذه الحروف، فلا يجوز أن يكون يميناً. ولكن الجواب أن يقال: موضع القسم قوله {لاَ رَيْبَ فِيهِ}، فلو أن إنساناً حلف فقال: والله هذا الكتاب لا ريب فيه، لكان الكلام سديداً، وتكون «لا» جواباً للقسم، فثبت أن قول الكلبي صحيح سديد. فإن قيل: إيش الحكمة في القسم من الله تعالى، وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين، مصدق ومكذب؛ فالمصدق يصدق بغير قسم، والمكذب لا يصدق مع القسم. قيل له: القرآن نزل بلغة العرب، والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكد كلامه، أقسم على كلامه، فالله تعالى أراد أن يؤكد عليهم الحجة فأقسم أن القرآن من عنده.

وقد قيل {الم}: الألف: الله تعالى، واللام: جبريل، والميم: محمد صلى الله عليه وسلم ويكون معناه: الله الذي أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه.

وقال بعضهم: كل حرف هو افتتاح اسم من أسماء الله تعالى. فالألف مفتاح اسمه: الله، واللام مفتاح اسمه: اللطيف، الميم مفتاح اسمه: مجيد ويكون معناه: الله اللطيف المجيد أنزل الكتاب.

وروي عن محمد بن كعب بن علي الترمذي أنه قال: إن الله تعالى أودع جميع ما في تلك السورة من الأحكام والقصص في الحروف التي ذكرها في أول السورة، ولا يعرف ذلك إلا نبي أو ولي، ثم بين ذلك في جميع السور ليفقه الناس.

وروي عن الشعبي أنه قال: إن لله تعالى سراً جعله في كتبه، وإن سره في القرآن هو الحروف المقطعة.

وروي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر؛

وعن علي رضي الله عنه: هو اسم من أسماء الله تعالى، فرقت حروفه في السور.

يعني أن هاهنا قد ذكر {الم} وذكر: {الر} في موضع آخر وذكر: {حم} في موضع آخر وذكر: {***نون} في موضع، فإذا جمعت يكون (الرحمن)، وكذلك سائر الحروف إذا جمع يصير اسماً من أسماء الله.

وذكر قطرب: أن المشركين كانوا لا يستمعون القرآن، كما قال الله تعالى: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرءان والغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26] فأراد أن يسمعهم شيئاً لم يكونوا سمعوه، ليحملهم ذلك إلى الاستماع حتى تلزمهم الحجة.

وقال بعضهم: إن المشركين كانوا يقولون: لا نفقه هذا القرآن، لأنهم قالوا: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءَاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فاعمل إِنَّنَا عاملون} [فصلت: 5] فأراد الله أن يبين لهم أن القرآن مركب على الحروف التي ركبت عليها ألسنتكم، يعني هو على لغتكم، ما لكم لا تفقهون؟ وإنما أراد بذكر الحروف تمام الحروف، كما أن الرجل يقول: علمت ولدي: أ، ب، ت، ث، وإنما يريد جميع الحروف ولم يرد به الحروف الأربعة خاصة.

وقال بعضهم: هو من شعار السور وكان اليهود أعداء الله فسروه على حروف الجمل، لأنه ذكر أن جماعة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب، وشعبة بن عمرو، ومالك بن الصيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: بلغنا أنك قرأت: {الم * ذلك الكتاب} فإن كنت صادقاً، فيكون بقاء أمتك إحدى

وسبعين سنة، لأن الألف: واحد، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قالوا له: وهل غير هذا؟ قال: نعم. {المص} فقالوا: هذا أكثر لأن (ص) تسعون. فقالوا: هل غير هذا؟ قال: نعم. {الر} فقالوا: هذا أكثر، لأن (الراء): مائتان، ثم ذكر {المر} فقالوا: خلطت علينا يا محمد لا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير؟ وإنما أدركوا من القرآن مقدار عقولهم، وكل إنسان يدرك العلم بمقدار عقله.

وكل ما ذكر في القرآن من الحروف المقطعة، فتفسيره نحو ما ذكرنا ها هنا؛ والله أعلم بالصواب.

قوله عز وجل: {ذلك الكتاب} أي هذا الكتاب {لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي لا شك فيه أنه مني، لم يختلقه محمد من تلقاء نفسه. وقد يوضع ذلك بمعنى هذا، كما قال القائل:

أقول له والرمح يأْطِرُ مَتْنَه *** تَأَمَّلْ خِفَافاً أَنَّنِي أَنَا ذَلِكَا

يعني هذا. وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي كنت وعدتك يوم الميثاق أن أوحيه إليك، وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي وعدت في التوارة والإنجيل أن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

وروي عن زيد بن أسلم أنه قال: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ، يعني الكتاب ثبت في اللوح المحفوظ.

وقوله: {لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي لا شك فيه أنه من الله تعالى ولم يختلقه محمد من تلقاء نفسه. فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: لا شك فيه؟ وقد شك فيه كثير من الناس وهم الكفار والمنافقون؟ قيل له: معناه لا شك فيه عند المؤمنين وعند العقلاء. وقيل: معناه لا شك فيه، أي لا ينبغي أن يشك فيه، لأن القرآن معجز فلا ينبغي أن يشك فيه أنه من الله تعالى.

قوله عز وجل: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} أي بياناً لهم من الضلالة للمتقين الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش. فهذا القرآن بيان لهم من الضلالة، وبيان لهم من الشبهات، وبيان الحلال من الحرام. فإن قيل: فيه بيان لجميع الناس، فكيف أضاف إلى المتقين خاصة؟ قيل له: لأن المتقين هم الذين ينتفعون بالبيان، ويعملون به فإذا كانوا هم الذين ينتفعون، صار في الحقيقة حاصل البيان لهم. روي عن أبي روق أنه قال: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} أي كرامة لهم. يعني إنما أضاف إليهم إجلالاً وكرامة لهم، وبياناً لفضلهم.

تفسير الآية رقم [3]

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)}

قوله تعالى: {الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب} أي يصدقون بالغيب. والغيب: هو ما غاب عن العين، وهو محضر في القلب. وإنما أراد به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم إلى يوم القيامة، أنهم يصدقون بغيب القرآن أنه من الله تعالى فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه. ويقال: يؤمنون بالغيب يعني بالله تعالى. حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديبلي قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا أصحابنا، عن الحارث بن قيس أنه قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحتسب بكم يا أصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته، فقال عبد الله بن مسعود: ونحن نحتسب لكم إيمانكم به ولم تروه، وإن أفضل الإيمان الإيمان بالغيب، ثم قرأ عبد الله {الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب} وقد قيل: (يؤمنون بالغيب) يعني يصدقون بالبعث بعد الموت.

وقوله تعالى: {وَيُقِيمُونَ الصلاة}، أي يديمون الصلاة، وقد قيل أيضاً: إن العبد يديم الصلاة وقد قيل: يحافظون على الصلوات الخمس بمواقيتها وركوعها وسجودها والتضرع بعدها. وقد قيل: إن العبد إذا صلى صلاة تُقْبَلُ منه، خلق الله تعالى منها ملكاً يقوم ويصلي لله إلى يوم القيامة وثوابه لصاحب الصلاة فهذا معنى قوله: {وَيُقِيمُونَ الصلاة}.

وقوله عز وجل: {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} أي يتصدقون، قال الكلبي: وهو زكاة المال. وروى أسباط، عن السدي، عن أصحابه قال: هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل نزول آية الزكاة. ويقال: ينفقون أي يتصدقون صدقة التطوع. ويقال: هي عليهم جميعاً التطوع والفريضة.

تفسير الآيات رقم [4- 5]

{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)}

قوله تعالى: {والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني بالقرآن قوله: {وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} يعني التوراة والإنجيل وسائر الكتب، ويقال: لما نزلت هذه الآية {الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب} قالت اليهود والنصارى: نحن آمنا بالغيب؛ فلما قال: {وَيُقِيمُونَ الصلاة} قالوا: نحن نقيم الصلاة؛ فلما قال: {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} قالوا: نحن ننفق ونتصدق. فلما قال: {والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} نفروا من ذلك.

وقوله: {وبالأخرة هُمْ يُوقِنُونَ} أي يقرُّون يوم القيامة، والجنة والنار، والبعث، والحساب، والميزان. واليقين على ثلاثة أوجه: يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة. فأما يقين العيان: إذا رأى شيئاً، زال عنه الشك في ذلك الشيء، وأما يقين الدلالة: هو أن يرى دخاناً يرتفع من موضع، يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يرها؛ وأما يقين الخبر: فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد، وإن لم يكن يعاينها. فهاهنا يقين خبر، ويقين دلالة، أن الآخرة حق ولكن تصير معاينة عند الرؤية.

ثم قال عز وجل: {أولئك على هُدًى مّن رَّبّهِمْ} يعني أهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله تعالى، أي أكرمهم الله تعالى في الدنيا حيث هداهم، وبين لهم طريقهم. {وأولئك هُمُ المفلحون} في الآخرة، أي الناجون. يعني أن الله تعالى أكرمهم في الدنيا بالبيان، وفي الآخرة بالنجاة. وقد قيل: الفلاح هو البقاء في النعمة. وقد قيل: الفلاح إذا بلغ الإنسان نهاية ما يأمل. ويقال: معناه قد وجدوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا. وكل ما في القرآن المفلحون، فتفسيره هكذا.

▲ تفسير الآية رقم [6]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)}

قوله تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} إن هاهنا للتأكيد وهو حرف من حروف القسم. والكفر في اللغة: هو الستر، يقال: ليلة كافرة إذا كات شديدة الظلمة؛ وإنما سمي الكافر كافراً، لأنه يستر نعم الله تعالى.

وقوله عز وجل: {سَوَاء عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ} قرأ أهل الكوفة وعاصم وحمزة والكسائي {ءأَنذَرْتَهُمْ} بهمزتين، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في رواية هشام بهمزة واحدة مع المد {آنذرتهم} وتفسير القراءتين لا يختلف. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في مشركي قريش، منهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل وغيرهم. وقال الكلبي: نزلت في رؤساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب. قال الكلبي: وليس هو بأخي حيي. وقال بعضهم هو أخو حيي؛ دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم حيث سألوه عن {الضالين الم} و{المص} ثم خرجوا من عنده فنزل قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} أي جحدوا بالقرآن {سَوَاء عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} يعني خوفتهم أو لم تخوفهم {لاَ يُؤْمِنُونَ} أي لا يصدقون. فإن قيل: إذا علم أنهم لا يؤمنون، فما معنى دعوتهم إلى الإسلام؟ قيل له: لأن في الدعوة زيادة الحجة عليهم، كما أن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن. وجواب آخر: أن الآية خاصة، وليست بعامة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم، كما روي عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: رجع أبي وعمي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى في هذا الرجل؟ فقال: إنه نبي، فقال:

ما رأيك في اتباعه؟ فقال: رأيي أن لا أتبعه، وأن أظهر له العداوة إلى الموت. فلم نزلت الآية في شأن مثل هؤلاء الذين قد ظهر لهم الحق وكانوا لا يؤمنون. فقال: {ءأَنذَرْتَهُمْ}. وأصل الإنذار هو الإعلام، يعني خوفتهم بالنار، وأعلمتهم بالعذاب أو لم تعلمهم، فهو سواء ولا يصدقونه.

تفسير الآية رقم [7]

{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)}

قوله تعالى: {خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ} قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي طبع الله، ومعنى الختم على قلوبهم أي، ليس أنه يذهب بعقولهم ولكنهم لا يتفكرون فيعتبرون بعلامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمنون، {وعلى سَمْعِهِمْ} فهم لا يسمعون الحق، {وعلى أبصارهم غشاوة} أي غطاء فلا يبصرون الهدى. واتفقت الأئمة السبعة رحمهم الله على القراءة برفع الهاء (غشاوة) وقرأ بعضهم بنصبها وهي قراءة شاذة. فأما من قرأ برفع الهاء، فهو على معنى الابتداء أي: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، ثم ابتدأ فقال {وعلى أبصارهم غشاوة}؛ وأما من قرأ بالنصب فيكون الجعل فيه مضمراً، يعني: جعل على أبصارهم غشاوة. فقد ذكر في شأن المؤمنين ثوابهم في الدنيا الهدى، وفي الآخرة الفلاح، وذكر في شأن الكفار عقوبتهم في الدنيا الختم، وفي الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} يعني عذاباً وجيعاً، يخلص الوجع إلى قلوبهم.

قال الفقيه رحمه الله وفي الآية إشكال في موضعين: أحدهما في اللفظ والآخر في المعنى؛ فأما الذي في اللفظ {خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ} ذكر جماعة القلوب ثم قال: {وعلى سَمْعِهِمْ} ذكر بلفظ الوحدان ثم قال: {وعلى أبصارهم} ذكر بلفظ الجمع، فجوابه: إن السمع مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع، فلهذا المعنى والله أعلم ذكر بلفظ الوحدان. وقد قيل: معنى {وعلى سَمْعِهِمْ} أي: موضع سمعهم، لأن السمع لا يختم وإنما يختم موضع السمع. وقد قيل: إن الإضافة إلى الجماعة تغني عن لفظ الجماعة، لأنه قال: {وعلى سَمْعِهِمْ} فقد أضاف إلى الجماعة، والشيء إذا أضيف إلى الجماعة مرة يذكر بلفظ الجماعة، ومرة يذكر بلفظ الوحدان، فلو ذكر القلوب والأبصار بلفظ الوحدان لكان سديداً في اللغة؛ فذكر البعض بلفظ الوحدان، والبعض بلفظ الجماعة؛ وهذه علامة الفصاحة، لأن كتاب الله تعالى أفصح الكلام.

وأما الإشكال الذي في المعنى أن يقال: إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ والجواب عن هذا: أن يقال: إنه ختم مجازاة لكفرهم. كما قال في آية أخرى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ ميثاقهم وَكُفْرِهِم بأايات الله وَقَتْلِهِمُ الانبياء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 155] لأن الله تعالى قد يسر عليهم سبيل الهدى، فلو جاهدوا لوفقهم، كما

قال تعالى {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [العنكبوت: 69]، فلما لم يجاهدوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، وفي الآخرة بالعذاب العظيم.

وروي عن مجاهد أنه قال: من أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين. وروي عن مقاتل أنه قال: آيتان من أول السورة في نعت المؤمنين المهاجرين، وآيتان في نعت المؤمنين غير المهاجرين، وآيتان في نعت مؤمني أهل الكتاب، وآيتان في نعت الكفار، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين من قوله: {وَمِنَ الناس} [البقرة: 8] إلى قوله: {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [البقرة: 20].

تفسير الآية رقم [8]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)}

قوله تعالى: {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ ءامَنَّا بالله} : (من) للتبعيض، فإنه أراد به بعض الناس ولم يرد به جميع الناس، فكأنه قال: بعض الناس يقولون: آمنا بالله. وقد قيل: معناه: ومنناس يقولون: آمنا بالله، يعني صدقنا بالله {وباليوم الأخر}. بعد الموت {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} يعني ليسوا بمصدقين منافقون منهم: عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس ومن تابعهم من المنافقين. وفي هذه الآية دليل على أن القول بغير تصديق القلب لا يكون إيماناً، لأن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم، ولم يكن لهم تصديق القلب، فنفى الله الإيمان عنهم فقال: {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}.

تفسير الآية رقم [9]

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)}

قوله تعالى: {يخادعون الله} وأصل الخداع في اللغة هو الستر. يقال للبيت الذي يخزن فيه المال: مخدع، والعرب تقول: انخدعت الضب في جحرها. فكان المنافقون يظهرون الإيمان ويسترون نفاقهم وكفرهم فقال: {يخادعون الله والذين ءامَنُوا} أي يكذبون ويخالفون الله والذين آمنوا ويقال يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، لأنه قد بين في سياق الآية حيث قال تعالى: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ}. روي عن الأخفش أنه قال: اجترؤوا على الله، حتى ظنوا أنهم يخادعون الله. وقال بكر بن جريج: يظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وأنفسهم؛ ويقال: يظهرون غير ما في أنفسهم. وهذا موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: علامة المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان، وإذا حدَّث كذب.

وقوله: {وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنفُسَهُمْ}. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة الكسائي {وَمَا يَخْدَعُونَ} بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف {وَمَا * يخادعون}. وتفسير القراءتين واحد يعني: وبال الخداع يرجع إليهم ويضر بأنفسهم.

قوله: {وَمَا يَشْعُرُونَ}. قال الكلبي: يعني وما يعلمون أن الله يطلع نبيه على كذبهم؛ وقال بعضهم: معناه وما يشعرون أن وبال الخداع يرجع إليهم.

▲ تفسير الآية رقم [10]

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)}

قوله تعالى: {فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} يعني شكاً ونفاقاً وظلمة وضعفاً، لأن المريض فيه فترة ووهن، والشاك أيضاً في أمره فترة وضعف. فعبَّر بالمرض عن الشك، لأن المنافقين فيهم ضعف ووهن، ألا ترى إلى قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامهم وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العدو فاحذرهم قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4]. ويقال: إن المريض تعرض للهلاك، فسمي النفاق مرضاً، لأن النفاق قد يهلك صاحبه، لأن الخلق على مراتب ثلاث، ميت في الأحوال كلها كالكافر، وحي في الأحوال كلها كالمؤمن لقوله تعالى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فأحييناه وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِى الناس كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظلمات لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ للكافرين مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 122]، ومريض كالمنافق.

ثم قال تعالى: {فَزَادَهُمُ الله مَرَضًا} وهذا اللفظ يحتمل معنين: يحتمل الخبر عن الماضي، ويحتمل الدعاء؛ فإن كان المراد به الخبر فمعناه: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً إلى مرضهم، كما قال في آية أخرى {وَأَمَّا الذين فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إلى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كافرون} [التوبة: 125]، لأن كل سورة نزلت يشكون فيها، فكان ذلك المرض لهم، وللمؤمنين زيادة اليقين. وإن كان المراد به الدعاء، فمعناه: فزادهم الله مرضاً على مرضهم، على وجه الذم والطرد لهم، كما قال في آية أخرى {وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله وَقَالَتِ النصارى المسيح ابن الله ذلك قَوْلُهُم بأفواههم يضاهئون قَوْلَ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قاتلهم الله أنى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30] أو لعنهم الله، فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل على وجه الدعاء، وإنما يحتاج إلى الدعاء عند العجز؟ قيل له: هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم، لأنهم شر خلق الله تعالى، لأنه وعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار.

ثم قال: {قاتلهم الله} [التوبة: 30] أو لعنهم الله، فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل على وجه الدعاء، وإنما يحتاج إلى الدعاء عند العجز؟ قيل له: هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز

الدعاء على المنافقين والطرد لهم، لأنهم شر خلق الله تعالى، لأنه وعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار.

ثم قال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني مؤلم، أي عذاب وجيع الذي يخلص وجعه إلى قلوبهم.

قوله: {بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ} أي مجازاة لهم بتكذيبهم.

قرأ حمزة وابن عامر {فَزَادَهُمُ الله} بكسر الزاي، وهي لغة بعض العرب، وقرأ عاصم وأبو عمرو بالفتح، وهي اللغة الظاهرة، وقرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي {يَكْذِبُونَ} بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: بما كانوا يكذبون بقولهم أنهم مؤمنون، وجحدوا في السر لأنهم كفروا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم في السر. ومن قرأ بالتشديد فمعناه: بما كانوا يكذبون، يعني ينسبون محمداً إلى الكذب، ويجحدون نبوته.

تفسير الآية رقم [11]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)}

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ}، قرأ الكسائي برفع القاف وكذلك كل ما ذكر في القرآن مثل: قيل وحيل وسيق، وقرأ حمزة وعاصم وغيرهما بكسر القاف. وأصله في اللغة قول مع الواو، فحذفت الواو للتخفيف، فجعل الكسائي الرفع مكان الواو وغيره، وقرأ بالكسر للتخفيف. والآية نزلت في شأن المنافقين {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني المنافقين {لاَ تُفْسِدُواْ فِى الارض} أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي وهو الفساد لأن الأرض كانت قبل أن يبعث النبي عليه السلام فيها الفساد، وكان يُعمل فيها بالمعاصي، فلما بعث الله النبي، عليه السلام ارتفع الفساد وصلحت الأرض؛ فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى {وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ياقوم اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الكيل والميزان وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الارض بَعْدَ إصلاحها ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [الأعراف: 85].

{قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} أي نعمل بالطاعة، ولا نعمل بالمعاصي. وقد قيل: معنى لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، أي لا تداهنوا بين الناس ولا تعملوا بالمداهنة، {قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} يعني لا نعادي الكفار ولا المؤمنين، حتى لو كانت الغلبة للمؤمنين أو للكفار، لا يصيبنا من دائرتهم شيء.

تفسير الآية رقم [12]

{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)}

قال الله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ المفسدون} في الأرض وليسوا بمصلحين، لأن عداوتهم مع الفريقين، لأن كل فريق منهم يعلم أنهم ليسوا معهم. وقد قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض بتفريق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم، أي لا تصرفوا الناس عن دينه {قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} بتفريقنا عن دينه. {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ المفسدون} ألا: كلمة تنبيه، فنبه المؤمنين وأعلمهم نفاقهم، فكأنه قال: ألا أيها المؤمنون، اعلموا أنهم هم المفسدون العاصون. ويكون تكرار كلمة هم على وجه التأكيد، والعرب إذا كررت الكلام تريد به التأكيد. قال تعالى: {ولكن لاَّ يَشْعُرُونَ} أنهم مفسدون.

تفسير الآية رقم [13]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)}

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ}. قال في رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في شأن اليهود {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني اليهود {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُواْ} يعني عبد الله بن سلام وأصحابه. {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السفهاء} يعني الجهال الخرقى. قال الله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السفهاء} يعني الجهال الخرقى بتركهم الإيمان بمحمد عليه السلام، {ولكن لاَّ يَعْلَمُونَ} أنهم سفهاء.

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في شأن المنافقين، وهكذا قال مجاهد ومعناه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُواْ} يعني صدِّقوا بقلوبكم، كما صدَّق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ} يعني المنافقين أنصدِّق كما صدق الجهال. قال الله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السفهاء} يعني الجهّال بتركهم التصديق في السر، ولكن لا يعلمون أنهم جهال.

تفسير الآية رقم [14]

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)}

ثم قال تعالى: {وَإِذَا لَقُواْ الذين ءامَنُواْ قَالُواْ ءامَنَّا}، نزلت هذه الآية في ذكر المنافقين، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير وغيرهم؛ وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم مرّوا بقوم من المنافقين، فقال

عبد الله بن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء الجهال عنكم فتعلّموا مني كيف أكلمهم، فأخذ بيد أبي بكر، وقال: مرحباً بسيد بني تميم، وثاني اثنين، وصاحبه في الغار، وصفيه من أمته، الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ بيد عمر قال: مرحباً بسيد بني عدي القوي في أمر الله تعالى، الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بسيد بني هاشم، ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الباذل نفسه ودمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والسابق إلى الهجرة؛ فقال له علي: اتق الله يا عبد الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر خليقة الله. قال: فلم تقول هكذا وإيماني كإيمانكم وتصديقي كتصديقكم. ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم؟ فقالوا: لا نزال بخير ما عشت لنا، فنزلت الآية: {وَإِذَا لَقُواْ الذين ءامَنُواْ قَالُوا ءامَنَّا} يعني إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم.

قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْاْ إلى شياطينهم} قال الكلبي: يعني إلى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان، منهم كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة الأسلمي في بني سليم، وأبو السوداء بالشام، وعبد الدار من جهينة، وعوف بن مالك من بني أسد. ويقال: {وَإِذَا خَلَوْاْ إلى شياطينهم} يعني إلى رؤسائهم في الضلالة. وقال أبو عبيدة: كل عات متمرد فهو شيطان ثم قال تعالى: {قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ} أي على دينكم {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءونَ} بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم

تفسير الآية رقم [15]

{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)}

قال الله تعالى: {الله يَسْتَهْزِئ بِهِمْ} أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. وذكر في رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما الاستهزاء أن يُفتح لهم وهم في جهنم، باب من الجنة فيهللون ويصيحون في النار فيهلكون والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سدّ عليهم، وفتح لهم باب آخر في مكان آخر، والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون، كما قال في آية أخرى {فاليوم الذين ءَامَنُواْ مِنَ الكفار يَضْحَكُونَ} [المطففين: 34] الآية. وقال مقاتل: الاستهزاء ما ذكره الله تعالى في سورة الحديد {يَوْمَ يَقُولُ المنافقون والمنافقات لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظرونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارجعوا وَرَآءَكُمْ فالتمسوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرحمة وظاهره مِن قِبَلِهِ العذاب} [الحديد: 13] فهذا استهزاء بهم. ثم قال تعالى: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ} يعني يتركهم في ضلالتهم يتحيرون ويترددون عقوبة لهم لاستهزائهم.

تفسير الآية رقم [16]

{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)}

قوله عز وجل: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى}، يعني اختاروا الكفر على الإيمان. وفي الآية دليل أن الشراء قد يكون بالمعنى دون اللفظ وهو المبادلة، لأن الله تعالى سمى استبدالهم الضلالة بالهدى شراء، ولم يكن هنالك لفظ شراء.

قوله تعالى: {فَمَا رَبِحَت تجارتهم} فقد أضاف الربح إلى التجارة على وجه المجاز. والعرب تقول: ربحت تجارة فلان، وخسرت تجارة فلان، وإنما يريدون به أنه ربح في تجارته، والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب على ما يتعارفون فيما بينهم فلذلك قال: {فَمَا رَبِحَت تجارتهم} أي فما ربحوا في تجارتهم.

قوله تعالى: {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} قال بعضهم: معناه وما هم بمهتدين في الحال، كقوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى المهد صَبِيّاً} [مريم: 29] أي من هو في المهد صبي في الحال. وقال بعضهم: معناه {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} من قبل لأنهم لو كانوا مهتدين من قبل، لوفقهم الله تعالى في الحال، ولكن لما لم يكونوا مهتدين من قبل، خذلهم الله تعالى مجازاة لأفعالهم الخبيثة.

▲ تفسير الآية رقم [17]

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)}

قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى استوقد نَاراً}، روى معاوية بن طلح، عن علي بن أبي طلحة، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين هم حوالي المدينة، فقال: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى استوقد نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ} يعني كمثل من كان في المفازة في الليلة المظلمة وهو يخاف السباع، فأوقد ناراً فأمن بها من السباع، {فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} طفئت ناره وبقي في الظلمة، كذلك اليهود الذين كانوا حوالي المدينة كانوا يقرون بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج، وكانوا إذا حاربوا أعداءهم من المشركين يستنصرون باسمه فيقولون بحق نبيك أن تنصرنا، فلما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة، حسدوه وكذبوه وكفروا به فطفئت نارهم وبقوا في ظلمات الكفر.

وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، يقول: مثل المنافق مع النبي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل في مفازة فأوقد ناراً فأمن بها على نفسه واهله وعياله وماله، فكذلك المنافق يتكلم بلا إله إلا الله مرآة الناس، ليأمن بها على نفسه وأهله وعياله وماله ويناكح مع المسلمين، وكان له نور بمنزلة المستوقد النار يمشي في ضوءها ما دامت ناره تتقد، فلما أضاءت النار أبصر ما حوله بنورها وذهب نورها فبقي في ظلمة.

قوله تعالى: {ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ} أي يذهب الله بنور الإيمان الذي يتكلم به، {وَتَرَكَهُمْ فِي ظلمات لاَّ يُبْصِرُونَ} الهدى، فكذلك المنافق إذا بلغ آخر عمره بقي في ظلمة كفره. وهكذا فسّره قتادة والقتبي وغيرهما.

▲ تفسير الآية رقم [18]

{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)}

ثم قال تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «صُمّاً بُكْماً عُمْياً»، وإنما جعلها نصباً لوقوع الفعل عليها، يعني وتركهم صماً بكماً عمياً. وقرأ غيره: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} ومعناه هم {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ}. وتفسير الآية أنهم يتصاممون، حيث لم يسمعوا الحق ولم يتكلموا به، ولم يبصروا العبرة والهدى، فكأنهم صم بكم عمي، ولأن الله تعالى خلق السمع والبصر واللسان لينتفعوا بهذه الأشياء، فإذا لم ينتفعوا بالسمع والبصر صار كأن السمع والبصر لم يكن لهم. كما أن الله تعالى سمى الكفرة موتى حيث قال تعالى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فأحييناه وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي الناس كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظلمات لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ للكافرين مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 122] يعني كافراً فهديناه؛ وإنما سماهم موتى والله أعلم لأنه لا منفعة لهم في حياتهم، فكأن تلك الحياة لم تكن لهم، فكذلك السمع والبصر واللسان، إذا لم ينتفعوا بها فكأنها لم تكن لهم، فكأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون، يعني لا يرجعون إلى الهدى.

وقال القتبي: معنى قوله تعالى: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظلمات لاَّ يُبْصِرُونَ} [البقرة: 19] قال: الظلمة الأولى كانت ظلمة الكفر، استيقادهم النار قول: لا إله إلا الله، وإذا خلوا إلى شياطينهم فنافقوا. وقالوا {مق {وَإِذَا لَقُواْ الذين ءَامَنُواْ قالوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إلى شياطينهم قالوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} [البقرة: 14] فسلبهم نور الإيمان، {وَتَرَكَهُمْ فِي ظلمات لاَّ يُبْصِرُونَ} [البقرة: 17].

▲ تفسير الآية رقم [19]

{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)}

{أَوْ كَصَيّبٍ مّنَ السماء فِيهِ ظلمات} يعني كمطر نزل من السماء فضرب لهم الله تعالى مثلاً آخر، لأن العرب كانوا يوضحون الكلام بذكر الأمثال، فالله ضرب لهم الأمثال ليوضح عليهم الحجة، فضرب لهم مثلاً بالمستوقد النار، ثم ضرب لهم مثلاً آخر بالمطر. فإن قيل كلمة أو إنما تستعمل للشك فما معنى {أَوْ} ها هنا، فقيل له: أو قد تكون للتخيير،

فكأنه قال: إن شئتم فاضربوا لهم مثلاً بالمستوقد النار، وإن شئتم فاضربوا لهم المثل بالمطر، فأنتم مصيبون في ضرب المثل في الوجهين جميعاً. وهذا كما قال في آية أخرى: {أَوْ كظلمات فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يغشاه مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ} [النور: 40] فكذلك ها هنا أو للتخيير لا للشك. وقد قيل: أو بمعنى الواو يعني، وكصيب من السماء، معناه: مثلهم كرجل في مفازة في ليلة مظلمة فنزل مطر من السماء، وفي المطر ظلمات {وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ}؛ والمطر: هو القرآن، لأن في المطر حياة الخلق وإصلاح الأرض، وكذلك القرآن حياة القلوب، فيه هدى للناس، وبيان من الضلالة وإصلاح، فلهذا المعنى شبه القرآن بالمطر. والظلمات: هي الشدائد والمحن التي تصيب المسلمين، والشبهات التي في القرآن، والرعد: هو الوعيد الذي ذكر للمنافقين والكفار في القرآن، والبرق: ما ظهر من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائله.

قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ *** أَوْ كَصَيّبٍ مّنَ السماء فِيهِ}، أي يتصاممون عن سماع الحق {حَذَرَ الموت} أي لحذر الموت، إنما نصب لنزع الخافض، مثل قوله {واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لميقاتنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرجفة قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وإياى أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السفهآء مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فاغفر لَنَا وارحمنا وَأَنتَ خَيْرُ الغافرين}، [الأعراف: 155] أي من قومه، فكذلك هاهنا {حَذَرَ الموت}، أي لحذر الموت ومعناه: مخافة أن ينزل في القرآن شيء يظهر حالهم، كما قال في آية أخرى {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصرفوا صَرَفَ الله قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} [التوبة: 127] قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناها يجعلون أصابعهم في آذانهم من الرعد، ويغمضون أعينهم من الصواعق. وقال أهل اللغة: الصاعقة صوت ينزل من السماء فيه نار، فمن قال بهذا القول لا يحتاج إلى الإضمار في الآية: يجعلون أصابعهم في آذانهم من خوف الصاعقة {والله مُحِيطٌ بالكافرين} أي عالم بأعمالهم. والإحاطة: هي إدراك الشيء بكماله.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)}

قوله تعالى: {يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم}، أي ضوء البرق، يذهب ويختلس بأبصارهم من شدة ضوء البرق فكذلك نور إيمان المنافق يكاد يغطي على الناس كفره في سره، حتى لا يعلموا كفره. وقد قيل: معناه يكاد أن يظهر عليهم نور الإسلام، فيثبتون على ذلك.

ثم قال: {كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ}، أي كلما لمع البرق في الليلة المظلمة مضوا فيه، {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ}، أي إذا ذهب ضوء البرق {قَامُواْ} متحيرين فكذلك المنافق، إذا تكلم بلا إله إلا الله، يمضي مع المؤمنين، ويمنع بها من السيف، فإذا مات بقي متحيراً نادماً. ويقال: معناه {يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم كُلَّمَآ أَضَـآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [البقرة: 20] أي كلما ظهر لهم دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظهر لهم علاماته مالوا إليه، وإذا أظلم عليهم، أي إذا أصاب المسلمين محنة، كما أصابتهم يوم أحد، وكما أصابتهم يوم بئر معونة قاموا، أي ثبتوا على كفرهم.

وروى أسباط، عن السدي أنه قال: كان رجلان من المنافقين هربا من المدينة إلى المشركين، فأصابهما من المطر الذي ذكر الله فيه ظلمات ورعد وبرق، كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما فإذا لمع البرق مشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا شيئاً، فقاما مكانهما فجعلا يقولان: يا ليتنا لو أصبحنا فنأتي محمداً صلى الله عليه وسلم فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه فأسلما وحسن إسلامهما، فضرب الله في شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين كانوا بالمدينة، ثم قال تعالى: {وَلَوْ شَاء الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم}، قال بعضهم بسمعهم الظاهر الذي في الرأس وأبصارهم التي في الأعين، كما ذهب بسمع قلوبهم، وأبصار قلوبهم عقوبة لهم. قيل: معناه، ولو شاء لجعلهم صماً وعمياً في الحقيقة، كما جعلهم صماً وعمياً في الحكم. قد قيل: معناه، ولو شاء الله لجعلهم صماً وعمياً في الآخرة، كما جعلهم في الدنيا. وروي في إحدى الروايتين، عن ابن عباس أنه قال: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من العقوبة وغيرها.

▲ تفسير الآية رقم [21]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)}

{ياأيها الناس اعبدوا رَبَّكُمُ}، أي أطيعوا ربكم ويقال: وحّدوا ربكم. وهذه الآية عامة، وقد تكون كلمة يا أيها الناس خاصة لأهل مكة وقد تكون عامة لجميع الخلق، فهاهنا {يا أَيُّهَا الناس} لجميع الخلق. يقول للكفار: وحدوا ربكم، ويقول للعصاة: أطيعوا ربكم، ويقول للمنافقين: أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم، ويقول للمطيعين: اثبتوا على طاعة ربكم. واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم. واعلم أن النداء في القرآن على ست مراتب: نداء مدح، ونداء ذم، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية. فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى: (ياأيها النبي) (يا أيها الرسل) (يا أيها الذين آمنوا) ونداء الذم مثل قوله تعالى: (يا أيهالذين كَفَرُواْ) (ياأيها الذين هَادُواْ) ونداء التنبيه مثل قوله تعالى: (يا أيهاالإنسان) (يا أَيُّهَا الناس) ونداء الإضافة مثل قوله تعالى: (يا عِبَادِى) ونداء النسبة مثل قوله: (يا بني آدم) (يا بَنِى إسراءيل) ونداء التسمية مثل قوله تعالى: (يا

دَاوُودُ) (يا إِبْرَاهِيمَ) فهاهنا ذكر نداء التنبيه فقال: (يا أَيُّهَا الناس)، أخبر بالنداء أنه يريد أن يأمر أمراً أو ينهى عن شيء. ثم بيّن الأمر فقال: {اعبدوا رَبَّكُمُ}، يعني وحدوا وأطيعوا {الذى خَلَقَكُمْ}، معناه: أطيعوا ربكم الذي هو خالقكم، فخلقكم ولم تكونوا شيئاً {والذين مِن قَبْلِكُمْ}، يعني وخلق الذين من قبلكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} المعصية وتنجون من العقوبة.

▲ تفسير الآية رقم [22]

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)}

{الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض فِرَاشاً} معناه: اعبدوا ربكم الذي خلقكم وجعل لكم الأرض فراشاً، يعني مهاداً وقراراً. وقال أهل اللغة: الأرض بساط العالم. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إنما سميت الأرض أرضاً، لأنها تأرض ما في بطنها أي تأكل ما فيها. وقال بعضهم: لأنها تتأرض بالحوافر والأقدام. {والسماء} في اللغة: ما علاك وأظلك. يعني اذكروا رب هذه النعم واعبدوه، واعرفوا شكر هذه النعم حيث جعل لكم الأرض فراشاً، والسَّماء {بِنَاء} أي سقفاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي: كل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة وسماء الدنيا ملتزقة على الأرض أطرافها ويقال: {والسماء بِنَاء} أي مرتفعاً. {وَأَنزَلَ مِنَ السماء مَاء}، يعني المطر {فَأَخْرَجَ بِهِ}، يعني أنبت بالمطر {مِنَ الثمرات رِزْقاً لَّكُمْ}، يعني من ألوان الثمرات طعاماً لكم.

قوله: {فَلاَ تَجْعَلُواْ للَّهِ أَندَاداً}، أي لا تقولوا له شركاء {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه خالق هذه الأشياء وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئاً من هذه الأشياء. ويقال: كل شيء في هذه الدنيا فيه دلالة على كونه الخالق من أربعة أوجه: فوجود هذه الأشياء وكونها يدل على وجود الصانع واستقامتها تدل على توحيده، وهو استقامة الليل والنهار، والشتاء والصيف وخروج الثمرات وحدوث كل شيء في وقته، لأن المدبر لو كان اثنين لم يكن على الاستقامة، كما قال في آية أخرى {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22] وتجانسها يدل على أن الخالق واحد عالم حيث خلق الأشياء أجناساً مختلفة، وتمام الأشياء يدل على أن خالقها واحد قائم قادر.

▲ تفسير الآية رقم [23]

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)}

قوله تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ} قال بعضهم: هذا الخطاب لليهود وإن كنتم في ريب: أي في شك {مّمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا} محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن أنه ليس من الله تعالى {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مّن مِّثْلِهِ}، أي من مثل هذا القرآن من التوراة، وقابلوها بالقرآن، فتجدوها موافقة لما في التوراة، فتعلموا به أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يختلقه من تلقاء نفسه وأنه من الله تعالى: {وادعوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ الله}، أي استعينوا بأحباركم ورهبانكم، يعني عبّادكم {إِن كُنتُمْ صادقين} فيما تشكون فيه.

وقال بعضهم: نزلت في شأن المشركين {وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ} أي في شك {مّمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا} محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن وتقولون: إنه اختلقه من تلقاء نفسه {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ} أي فاختلقوا سورة من مثل هذا القرآن، لأنكم شعراء وفصحاء {وادعوا شُهَدَاءكُم}، أي استعينوا بآلهتكم، ويقال: استعينوا بخطبائكم وشعرائكم {إِن كُنتُمْ صادقين} أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه.

وقال قتادة: معناه فأتوا بسورة فيها حق وصدق لا باطل فيها. وكان الفقيه أبو جعفر رحمه الله يقول: (الهاء) إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال: فأتوا بسورة من مثل محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يكن قرأ الكتب ولا درس فأتوا بسورة من رجل لم يقرأ الكتب، كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: هذه الآيات أصل لجميع ما تكلم به المتكلمون، لأن في أول الآية إثبات الصانع ثم في الآية الأخرى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالله تعالى أمرهم بأن يأتوا بعشر سور فعجزوا عنها، ثم أمرهم بسورة من مثله، فعجزوا عنها، فنزلت هذه الآية {قُل لَّئِنِ اجتمعت الإنس والجن على أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هذا القرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88] الآية.

▲ تفسير الآية رقم [24]

{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)}

ثم قال عز وجل: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ}، «لم» تستعمل للماضي «ولن» تستعمل للمستقبل، فكأنه قال: فإن لم تفعلوا، أي لم تأتوا في الماضي ولن تفعلوا، أي لن تأتوا في المستقبل، وتجحدون بغير حجة {فاتقوا النار}، قال قتادة: معناه، فإن لم تفعلوا، ولن تقدروا أن تفعلوا ولن تطيقوا {فاتقوا النار}، أي: احذروا النار {التى وَقُودُهَا الناس والحجارة}، يعني حطبها الناس إذا صاروا إليها، والحجارة قبل أن يصيروا إليها. ويقال معناه: إن مع كل إنسان من أهل النار حجراً معلقاً في عنقه حتى إذا طفئت النار، رسبه به الحجر إلى أسفل. ويقال: وقودها الناس والحجارة، أي حجارة الكبريت، وإنما جعل حطبها من حجارة الكبريت لأن لها خمسة أشياء ليست لغيرها: أحدها: أنها أسرع وقوداً،

والثاني: أنها أبطأ خموداً، والثالث: أنها أنتن رائحة، والرابع: أنها أشد حراً، والخامس: أنها ألصق بالبدن. قوله تعالى: {أُعِدَّتْ للكافرين} أي خلقت وهيئت للكافرين وقدِّرت لهم.

▲ تفسير الآية رقم [25]

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)}

ثم قال: {وَبَشّرِ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}، فقد ذكر في أول الآية إثبات الصانع وذكر حجته، ثم ذكر إثبات الكتاب والنبوة، ثم ذكر الوعيد للكفار، لمن لم يؤمن بالله، ثم ذكر الثواب للمؤمنين؛ وهكذا في جميع القرآن في كل موضع ذكر عقوبة الكفار، ثم ذكر على أثره ثواب المؤمنين لتسكن قلوبهم إلى ذلك، وتزول عنهم الوحشة لكي يثبتوا على إيمانهم ولكي يرغبوا في ثوابه، فقال {وَبَشّرِ الذين ءامَنُواْ}، أي فرِّح قلوب الذين آمنوا، يعني صدَّقوا بوحدانية الله تعالى، وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جبريل عليه السلام {وَعَمِلُواْ الصالحات} أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {أَنَّ لَهُمْ} أي بأن لهم {جنات} وهي البساتين {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} أي من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الأنهار، يعني أنهار الخمر واللبن والماء والعسل {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا}، أي أطعموا من الجنة {مِن ثَمَرَةٍ رّزْقاً} أي طعاماً.

{قَالُواْ هذا الذى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} أي أطعمنا من الجنة من قبل. قال بعضهم: معناه إذا أتي بطعام وثمار في أول النهار فأكلوا منها، ثم إذا أُتي بها في آخر النهار، {قَالُواْ هذا الذى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ}، يعني الذي أطعمنا في أول النهار، لأن لونه يشبه لون ذلك، فإذا أكلوا منه وجدوا لها طعماً غير طعم الأول. قال بعضهم: معناه {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا ثَمَرَةٍ رّزْقاً قَالُواْ هذا الذى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} أي في الدنيا، لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا، فإذا أكلوا وجدوا طعمها غير ذلك.

ثم قال تعالى: {وَأُتُواْ بِهِ متشابها} قال بعضهم: معناه، متشابهاً في المنظر مختلفاً في الطعم. وقال بعضهم: متشابهاً، يعني يشبه بعضها بعضاً في الجودة، ولا يكون فيها رديء.

حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء يعني أسماء الثمار. ثم قال تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا أزواج مُّطَهَّرَةٌ} أي مهذبة في الخلق ويقال: مطهرة في الخلق والخلق،

فأما الخلق فإنهن لا يحضنَ ولا يبلنَ ولا يتمخطن ولا يأتين الخلاء. وأما الخلق، فهن لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قوله تعالى: {وَهُمْ فِيهَا خالدون} أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً.

▲ تفسير الآية رقم [26]

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)}

قوله تعالى: {إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً} وذلك أنه لما نزل قول الله تعالى: {إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً} [الحج: 73] وقال في آية أخرى: {مَثَلُ الذين اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ العنكبوت} [العنكبوت: 41]، قالت اليهود والمشركون: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فنزلت هذه الآية {إِنَّ الله لاَ * يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}، أي لا يمتنع من ضرب المثل وبيان الحق بذكر البعوضة وبما فوقها. ويقال: لا يمنعه الحياء أن يضرب المثل ويبيّن ويصف للحق شبهاً {مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}، يعني بالذباب والعنكبوت. وقال بعضهم: فما فوقها أي بما دونها في الصغر، وهذا من أسماء الأضداد يذكر الفوق، ويراد به دونه، كما يذكر الوراء ويراد به الأمام مثل قوله: {وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً} [الإنسان: 27] أي أمامهم، فكذلك الفوق يذكر ويراد به ما دونه، أي يضرب المثل بالبعوضة وبما دونها، بعد أن يكون فيه إظهار الحق، وإرشاد إلى الهدى، فكيف يمتنع من ضرب المثل بالبعوضة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا بعوضة لا يقدرون عليه. ويقال: إنما ذكر المثل بالبعوضة، لأن خلقة البعوضة أعجب، لأن خلقتها خلقة الفيل. ويقال: لأن البعوضة ما دامت جائعة عاشت فإذا شبعت ماتت، فكذلك الآدمي إذا استغنى، فإنه يطغى. فضرب الله المثل للآدمي.

ثم قال تعالى: {فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ}، أي صدقوا وأقروا بتوحيد الله تعالى: {فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق مِن رَّبّهِمْ}، يعني المثل بالذباب والعنكبوت، فيؤمنون به. {وَأَمَّا الذين كَفَرُواْ}، يعني اليهود والمشركين {فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ الله بهذا مَثَلاً}، أي بذكر البعوضة والذباب. قال الله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا}، أي إنما ضرب المثل ليضل به كثيراً من الناس، يعني يخذلهم ولا يوفقهم {وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}، يعني يوفق به على معرفة ذلك المثل كثيراً من الناس وهم المؤمنون. وقال بعضهم: معنى قوله {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا}، أي يسميه ضالاً، كما يقال: فسّقت فلاناً، أي سميته فاسقاً، لأن الله تعالى لا يضل به أحداً، وهذا طريق المعتزلة، وهو خلاف جميع أقاويل المفسرين، وهو غير مستعمل في اللغة أيضاً، لأنه يقال: ضلله إذا سمَّاه ضالاً ولا يقال: أضله إذا سماه ضالاً، ولكن معناه ما ذكره المفسرون أنه يخذل به كثيراً من الناس مجازاة لكفرهم.

ثم قال تعالى: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفاسقين} أي وما يهلك به وأصل الضلالة الهلاك. يقال: ضلّ الماء في اللبن إذا صار مستهلكاً. وما يهلك، وما يخذل به، يعني بالمثل إلا الفاسقين، وأصل الفسق في اللغة هو: الخروج عن الطاعة؛ والعرب تقول: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ويقال للفأرة: فويسقة، لأنها تخرج من الحُجْر، وقال الله تعالى {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: 50] أي خرج عن طاعة ربه.

تفسير الآية رقم [27]

{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)}

ثم نعت الفاسقين فقال تعالى: {الذين يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ ميثاقه}، أي يتركون أمر الله ووصيته من بعد ميثاقه، أي من بعد تغليظه وتأكيده، وذلك أن الله تعالى أمر موسى في التوراة بأن يأمر قومه ليقروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه إذا خرج. وكان موسى عليه السلام عاهدهم على ذلك، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ولم يصدقوه ونقضوا العهد. ويقال: إنه أراد به العهد الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم، حيث قال تعالى: {أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بلى} [الأعراف: 172] فنقضوا ذلك العهد والميثاق. فإن قيل: كيف يجوز هذا واليهود كانوا مقرّين بالله تعالى؟ فكيف يكون نقض العهد وهم مقرون؟ قيل له: إنهم إذا لم يصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد أشركوا بالله، لأنهم لم يصدقوا بأن القرآن من عند الله، ومن زعم أن القرآن قول البشر فقد أشرك بالله تعالى، وصار ناقضاً للعهد. ويقال: الميثاق الذي يعرف كل واحد ربه إذا تفكر في نفسه، فكان ذلك بمنزلة أخذ الميثاق عليه، وجميع ما في القرآن من ذكر الميثاق فهو على هذه الأوجه الثلاثة.

وقوله تعالى: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَن يُوصَلَ}، روى الضحاك وعطاء، عن ابن عباس أنه قال: إنهم أمروا أن يؤمنوا بجميع الأنبياء فآمنوا ببعضهم ولم يؤمنوا ببعضهم، فهذا معنى قوله: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَن يُوصَلَ}. ويقال: أمروا بصلة القرابات فقطعوا الأرحام فيما بينهم. ويقال: كانت بين اليهود والعرب قرابة من وجه، لأن العرب كانت من أولاد إسماعيل واليهود من أولاد إسحاق، فإذا لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قطعوا ذلك الرحم الذي كان بينهم.

وقوله تعالى: {وَيُفْسِدُونَ فِى الارض}، لأنهم يكفرون ويأمرون غيرهم بالكفر، فذلك فسادهم في الأرض {أولئك هُمُ الخاسرون} أي المغبونون في العقوبة. وقال الكلبي: ليس من مؤمن ولا كافر إلا وله منزل وأهل وخدم في الجنة، فإن أطاع الله أتى ومنزله وأهله وخدمه في الجنة، وإن عصى الله ورثه الله تعالى المؤمنين، فقد غبن أي بعد عن أهله وخدمه، كما قال في آية أخرى {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الخاسرين الذين خسروا

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسران المبين} [الزمر: 15]. وقال بعضهم: هذا التفسير لا يصح لأنه لا يجوز أن يقال للكافر منزل في الجنة وخدم، إلا أن الكلبي لم يقل ذلك من ذات نفسه، وإنما رواه عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

▲ تفسير الآية رقم [28]

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)}

قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنتُمْ}، قال ابن عباس: هو على وجه التعجب. وقال الفراء: هو على وجه التوبيخ والتعجب لا على وجه الاستفهام، فكأنه قال: ويحكم كيف تكفرون وتجحدون بوحدانية الله تعالى. فإن قيل: كيف يجوز التعجب من الله تعالى؟ وإنما يجوز التعجب ممن رأى شيئاً لم يكن رآه أو سمع شيئاً لم يكن سمعه فيتعجب لذلك، والله تعالى قد علم الأشياء قبل كونها. قيل له: التعجب من الله تعالى يكون على وجه التعجيب، والتعجيب هو أن يدعو إلى التعجب فكأنه يقول: ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله؟ وهذا كما قال في آية أخرى {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أولئك الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النَّار هُمْ فِيهَا خالدون} [الرعد: 5].

ثم قال: {وَكُنتُمْ أمواتا فأحياكم}، أي كنتم نطفة في أصلاب آبائكم فأحياكم في أرحام أمهاتكم {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عند انقطاع آجالكم، {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث يوم القيامة، {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة فتثابون بأعمالكم. قال الكلبي: فلما ذكر البعث عرف اليهود فسكتوا وأنكر ذلك المشركون فقالوا: ومن يستطيع أن يحيينا بعد الموت؟ فنزل قوله تعالى: {هُوَ الذى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الارض جَمِيعاً ثُمَّ استوى إِلَى السمآء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سموات وَهُوَ بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ} [البقرة: 29]. فإن قيل: كيف يجوز أن يكون هذا الخطاب لليهود وهم لم يكفروا بالله تعالى؟ فالجواب ما سبق ذكره: أنهم لما أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أنكروا وحدانية الله تعالى لأنهم أخبروا أن القرآن قول البشر.

▲ تفسير الآية رقم [29]

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)}

قوله تعالى: {هُوَ الذى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الارض جَمِيعاً}، أي قدَّر خَلْقَهَا لأن الأشياء كلها لم تُخلق في ذلك الوقت، لأن الدواب وغيرها من الثمار التي في الأرض تخلق وقتاً بعد وقت، ولكن معناه قدَّر خلق الأشياء التي في الأرض.

وقوله تعالى: {ثُمَّ استوى إِلَى السماء} هذه الآية من المشكلات؛ والناس في هذه الآية وما شاكلها على ثلاثة أوجه: قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، وهذا كما روي عن مالك بن أنس رحمه الله أن رجلاً سأله عن قوله: {الرحمن عَلَى العرش استوى} [طه: 5]، فقال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً فأخرجوه فطردوه، فإذا هو جهم بن صفوان. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة. وللتأويل في هذه الآية وجهان: أحدهما: {ثُمَّ استوى إِلَى السماء}، أي صعد أمره إلى السماء، وهو قوله: (كن فكان)، وتأويل آخر وهو قوله: {ثُمَّ استوى إِلَى السماء} أي أقبل إلى خلق السماء. فإن قيل: قد قال في آيةٍ أخرى {أَءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السمآء بناها * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضحاها * والارض بَعْدَ ذَلِكَ دحاها} [النازعات: 27، 28،، 30] فذكر في تلك الآية أن الأرض خلقت بعد السماء، وذكر في هذه الآية أن الأرض خلقت قبل السماء. الجواب عن هذا أن يقال: خلق الأرض قبل السماء وهي ربوة حمراء في موضع الكعبة، فلما خلق السماء بسط الأرض بعد خلق السماء فذلك قوله تعالى: {والارض بَعْدَ ذَلِكَ دحاها} [النازعات: 30] أي بسطها.

ثم قال تعالى: {فَسَوَّاهُنَّ} أي خلقهن {سَبْعَ سماوات} وهن أعظم من خلقكم {وَهُوَ بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} أي بخلق كل شيء عليم. ومعناه: أن الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً وخلق السماوات قادر على أن يحييكم بعد الممات. قرأ نافع والكسائي وأبو عمرو (وهْو) بجزم الهاء. وقرأ الباقون بضم الهاء {وَهُوَ} في جميع القرآن، وهما لغتان ومعناهما واحد.

صفحه 2 نداءِ ايمان

▲ تفسير الآية رقم [30]

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة}، روي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه وقال ربك للملائكة وإذ زيادة. وروي عن الفراء أنه قال: واذكر معناه إذ قال ربك. وقال مقاتل: معناه، وقد قال ربك للملائكة. والملائكة: جماعة الملك. وهذا اللفظ على غير القياس لأنه يقال: ملائكة بالهمز ويقال للواحد: ملك بغير همز. وإنما قيل ذلك لأنه في الأصل كان مألك بالهمز فأسقط الهمز للتخفيف. وأصله من: ألك يألك ألوكاً وهو الرسالة. كما قال القائل:

وَغُلاَمٌ أَرْسَلَتْهُ أُمُّه *** بِأَلُوكٍ، فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

وإنما سميت الملائكة ملائكة، لأنهم رسل الله تعالى وإنما إراد هاهنا بعض الملائكة، «وهم الملائكة الذين كانوا في الأرض. وذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض، خلق الجان من مارج من نار، أي من لهب من نار لا دخان لها، فكثر نسله، وهم الجان بنو الجان، فعملوا في الأرض بالمعاصي وسفكوا الدماء، فبعث الله تعالى ملائكة سماء الدنيا، وأمر عليهم إبليس وكان اسمه عزازيل، حتى هزموا الجن، وأخرجوهم من الأرض إلى جزائر البحار، وسكنوا الأرض فصار الأمر عليهم في العبادة أخف، لأن كل صنف من الملائكة يكون أرفع في السماوات فيكون خوفهم أشد، وملائكة سماء الدنيا يكون أمرهم أيسر من الذين فوقهم، فلما سكنوا الأرض صار الأمر عليهم أخف مما كانوا، وسكنوا الأرض واطمأنوا إليها، وكل من اطمأن إلى الدنيا أمر بالتحول عنها. فأخبرهم الله تعالى أنه يريد أن يخلق في الأرض خليفة فذلك قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة}، يعني الذي هم في الأرض {إِنّي جَاعِلٌ فِى الارض خَلِيفَةً} يعني أريد أن أخلق في الأرض خليفة سواكم. فشق ذلك عليهم وكرهوا ذلك {فَقَالُواْ * أَتَجْعَلُ فِيهَا}، يعني أتخلق فيها {مَن يُفْسِدُ فِيهَا} كما أفسدت الجن {وَيَسْفِكُ الدماء} كما سفكت الجن {وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ}، أي نصلي لك بأمرك. ويقال معناه: نحن نسبح بحمدك ونحمدك {وَنُقَدّسُ لَكَ}. قال بعضهم: نقدس أنفسنا لك، يعني نطهر أنفسنا بالعبادة عن المعصية. وقال بعضهم: نقدس لك، أي ننسك إلى الطهارة ونقدس أنفسنا لك.

{قَالَ إِنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}، قال مجاهد: علم من إبليس المعصية وعلم من آدم الخدمة والطاعة ولم تعلم الملائكة بذلك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قد علم أنه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده ويقدس له ويطيعه. ويقال: قد علم الله تعالى أنه سيكون في ولد آدم من الأنبياء والصالحين والأبرار. وذكر في الخبر أنه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم، بعث جبريل ليجمع التراب من وجه الأرض، فلما نزل جبريل وأراد أن يجمع التراب، قالت له الأرض: بحق الله عليك لا تفعل فإني أخشى أن يخلق من ذلك خلقاً يعصي الله تعالى فأستحي من ربي، فصعد جبريل وقال: لو أمرني ربي بالرجوع إليها لفعلت.

فلما صعد جبريل بعث الله تعالى ميكائيل، فتضرعت إليه الأرض بمثل ذلك، فرجع ميكائيل، فبعث الله تعالى عزرائيل، فتضرعت إليه الأرض، فقال عزرائيل: أمر الله أولى من قولك؛ فجمع التراب من وجه الأرض الطيب والسبخة، والأحمر والأصفر، وغير ذلك، ثم صعد إلى السماء، فقال له تعالى: أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟ فقال: رأيت أمرك أوجب من قولها فقال: أنت تصلح لقبض أرواح أولاده. فصار ذلك التراب طيناً، وكان طيناً أربعين سنة، ثم صار صلصالاً كما قال في آية أخرى {خَلَقَ الإنسان مِن صلصال كالفخار} [الرحمن: 14] فكان إبليس إذا مر عليه مع الملائكة قال: أرأيتم هذا الذي لم تروا شيئاً من الخلائق يشبهه، إن فضّل عليكم وأمرتم بطاعته ما أنتم

فاعلون؟ فقالوا: نطيع أمر ربنا. فأسر إبليس في نفسه، وقال لئن فضِّل عليّ لا أطيعه ولئن فضلت عليه لأهلكنه. فلما سوَّاه ونفخ فيه من روحه وعلَّمه أسماء الأشياء التي في الأرض. يعني ألهمه.

▲ تفسير الآية رقم [31]

{وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)}

فذلك قوله تعالى: {وَعَلَّمَ ءادَمَ الاسماء كُلَّهَا}، يعني ألهمه أسماء الدواب وغيرها، {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الملائكة}، هكذا مكتوب في مصحف الإمام عثمان رضي الله عنه وأما في مصحف ابن مسعود، وأُبي بن كعب. ففي أحدهما {ثُمَّ *** عَرْضُهَا} وفي الآخر {ثُمَّ}. فأما من قرأ {ثُمَّ}، يعني به جماعة الدواب؛ ومن قرأ {ثُمَّ *** عَرْضُهَا}، يعني به جميع الأسماء. وأما من قرأ {ثُمَّ عَرَضَهُمْ}، يعني به جماعة الأشخاص. والأشخاص يصلح أن يكون عبارة عن المذكر والمؤنث؛ وإن اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر على المؤنث.

قوله تعالى: {فَقَالَ * أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء}، أي أخبروني عن أسماء هذه الأشياء التي في الأرض {إِن كُنتُمْ صادقين} في قولكم {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا} [البقرة: 30]. قال مقاتل: معناه كيف تقولون فيما لم أخلق بعد أنهم يفسدون وأنتم لا تعرفون ما ترونه وتنظرون إليه؟ ويقال: في هذه الآية دليل على أن أولى الأشياء بعد علم التوحيد ينبغي أن يعلم علم اللغة لأنه عز وجل أراهم فضل آدم بعلم اللغة، وقال بعضهم: إنما علمه الأسماء وما فيها من الحكمة، فظهر فضله بعلم الأسماء وما فيها من الحكمة.

▲ تفسير الآية رقم [32]

{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)}

قوله تعالى: {قَالُواْ سبحانك لاَ عِلْمَ لَنَا}، نزّهوه وتابوا إليه من مقالتهم، ومعناه سبحانك تبنا إليك من مقالتنا فاغفر لنا {لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا} أي ألهمتنا. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سُبْحَانَ الله، تَنْزِيهُ الله عَنْ كُلِّ مَا لا يَلِيقُ بِهِ». وقال بعض أهل اللغة: اشتقاقه من السباحة، لأن الذي يسبح يباعد ما بين طرفيه، فيكون فيه معنى التبعيد. وقال بعضهم: هذه لفظة جمعت بين كلمتي تعجب، لأن العرب إذا تعجبت من شيء قالت: حان، والعجم إذا تعجبت من شيء قالت: سب؛ فجمع بينهما فصار: سبحان.

وقوله تعالى: {إِنَّكَ أَنتَ العليم الحكيم}، يعني أنت العليم بما يكون في السموات والأرض، الحكيم في أمرك، إذا حكمت أن تجعل في الأرض خليفة غيرنا. ويقال: معناه {العليم الحكيم} على وجه الحكمة التي تدرك الأشياء بحقائقها، وكان حكمه موافقاً للعلم.

تفسير الآية رقم [33]

{قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)}

قوله تعالى: {قَالَ يَاءادَمُ أَنبِئْهُم} يعني أخبرهم {بِأَسْمَائِهِمْ}، يعني أسماء الدواب وما فيها من الحكمة وما يحل أكله وما لا يحل أكله. {فَلَمَّا أَنبَأَهُم} يعني أخبرهم {بِأَسْمَائِهِمْ} قال الله تعالى لهم: {أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِني أَعْلَمُ غَيْبَ السموات والارض}، يعني سر أهل السماوات وسر أهل الأرض، وما يكون فيهما. {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ}، أي ما أظهرتهم من الطاعة يعني الملائكة {وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}، يعني ما أسر إبليس في نفسه حين قال: لئن فُضِّل علي لا أطيعه ولئن فضلت عليه لأهلكنه. وقال بعضهم: إنهم كانوا يقولون حين أراد الله أن يخلق آدم: إنه لا يخلق أحداً أفضل منهم، فهذا الذي كانوا يكتمون. وهذا التفسير ذكر عن قتادة. وقد قيل: إنه لما خلق آدم، أشكل عليهم أن آدم أعلم أم هم؟ فسألهم عن الأسماء، فلم يعرفوها وسأل آدم عن الأسماء فأخبرهم بها، فظهر لهم أن آدم أعلم منهم. ثم أشكل عليهم أنه أفضل أم هم؟ فأمرهم سبحانه وتعالى بالسجود له، فظهر لهم فضله.

تفسير الآية رقم [34]

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)}

وهو قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا للملائكة اسجدوا لِآدَمَ}، فأصل السجود في اللغة: هو الميلان والخضوع، والعرب تقول: سجدت النخلة إذا مالت، وسجدت الناقة إذا طأطأت رأسها ومالت. وإنما كانت تلك سجدة التحية لا سجدة العبادة، وكانت السجدة تحية لآدم عليه السلام وطاعة لله عز وجل {فَسَجَدُواْ} كلهم {إِلاَّ إِبْلِيسَ}. يقال: إبليس اسم أعجمي ولذلك لا ينصرف وهو قول أبي عبيدة. وقال غيره: هو من أبلس يبلس إذا يئس من رحمة الله، وكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أنه أيئسه من رجسته. وكان اسمه عزازيل ويقال: عزابيل؛ وإنما لن ينصرف لأنه لا سمي له فلا يستثقل فاشْتُقّ. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنما سمي آدم، لأنه خلقه من أديم الأرض. وروي عن قطرب أنه قال: هذا الخبر لا يصح لأن العربية لا توافقه. وقال بعض أهل اللغة: مأخوذ من الأدمة، وهو

الذي يكون من لونه سمرة. {إِلاَّ إِبْلِيسَ أبى واستكبر} أي امتنع عن السجود تكبراً: معناه أن كبره منعه من السجود.

وقوله: {وَكَانَ مِنَ الكافرين} أي وصار من الكافرين، كما قال في آية أخرى {قَالَ سآوى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ المآء قَالَ لاَ عَاصِمَ اليوم مِنْ أَمْرِ الله إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الموج فَكَانَ مِنَ المغرقين} [هود: 43]، أي صار من المغرقين. وقال بعضهم: كان من الكافرين، أي كان في علم الله من الكافرين، يعني أنه يكفر. وبعضهم قال بظاهر الآية كان كافراً في الأصل. وهذا قول أهل الجبر. وقالوا: كل كافر أسلم ظهر أنه كان مسلماً في الأصل، وكل مسلم كفر ظهر أنه كان كافراً في الأصل، لأنه كان كافراً يوم الميثاق. ألا ترى أن الله تعالى قال في قصة بلقيس {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ الله إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كافرين} [النمل: 43] ولم يقل إنها كانت كافرة، وقال في قصة إبليس {وَكَانَ مِنَ الكافرين}. وقال أهل السنة والجماعة: الكافر إذا أسلم كان كافراً إلى وقت إسلامه، وإنما صار مسلماً بإسلامه إلا أنه غفر له ما قد سلف. والمسلم إذا كفر كان مسلماً إلى ذلك الوقت، إلا أنه حبط عمله.

▲ تفسير الآية رقم [35]

{وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)}

قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَاءادَمُ اسكن أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنة}، روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر الله تعالى ملائكته أن يحملوا آدم على سرير من ذهب إلى السماء، فأدخلوه الجنة ثم خلق منه زوجه حواء، يعني من ضلعه الأيسر، وكان آدم بين النائم واليقظان. وقال ابن عباس: سميت حواء لأنها خلقت من الحي. ويقال: إنما سميت حواء لأنه كان في شفتها حوة، يعني حمرة فقال عز وجل: {وَقُلْنَا يَاءادَمُ اسكن أَنتَ وَزَوْجُكَ} أي حواء. يقال للمرأة: زوجة وزوج، والزوج أفصح.

وقوله عز وجل: {وَكُلاَ مِنْهَا}، أي من الجنة {رَغَدًا}، أي موسعاً عليكما بلا موت ولا هنداز بالزاي المعجمة هكذا قال في رواية الكلبي يعني بغير تقتير. وقال أهل اللغة: الرغد هو السعة في الرّزق من غير تقتير.

قوله تعالى: {حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة}، أي ولا تأكلا من هذه الشجرة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها كانت شجرة القمح. وروى السدي، عمن حدثه، عن ابن عباس أنه قال: هي شجرة الكرم. وروى الشعبي عن جعدة بن هبيرة مثله. وروي عن علي رضي الله عنه مثله. وروي عن قتادة أنه قال: وذكر لنا أنها شجرة التين ويقال: إنما كان النهي عن الأكل من الشجرة للمحنة، لأن الدنيا دار محنة، وقد خلقه من الأرض

ليسكن فيها، فامتُحِن بذلك، كما امتُحن أولاده في الدنيا بالحلال والحرام. فذلك قوله عز وجل: {وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة فَتَكُونَا مِنَ الظالمين}، أي فتصيرا من الضالين بأنفسكما.

▲ تفسير الآية رقم [36]

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)}

{فَأَزَلَّهُمَا الشيطان عَنْهَا}، قرأ حمزة (فأزالهما) بالألف، وقرأ غيره بغير ألف. وأصله في اللغة: من أزلّ يزل، ومعناه فأغراهما الشيطان واستزلّهما. وأما من قرأ (فأزالهما) بالألف، فأصله من أزال يزيل إذا أزال الشيء عن موضعه.

قوله تعالى: {فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}، أي مما كانا فيه من النعم. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: مكث آدم في الجنة كما بين الظهر والعصر، من أيام الآخرة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما رأى إبليس آدم في النعمة حسده، واحتال لإخراجه منها، فعرض نفسه على كل دابة من دواب الجنة أن يدخل في صورتها فأبت عليه، حتى أتى الحية وكانت أعظم وأحسن دابة في الجنة خلقاً وكانت لها أربعة قوائم، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته، فدخل ما بين لحييها وأقام في رأسها، ثم أتى باب الجنة وناداهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، يعني أن هذه الشجرة شجرة الخلد، فمن أكل منها يبقى في الجنة أبداً.

ويقال: إن حواء قالت لآدم: تعال حتى نأكل من هذه الشجرة فقال آدم: قد نهانا ربنا عن أكل هذه الشجرة فأخذت حواء بيده حتى جاءت به إلى الشجرة، وكان يحب حواء فكره أن يخالفها لحبه إياها وكان آدم يقول لها: لا تفعلي فإني أخاف العقوبة. وكانت حواء تقول: إن رحمة الله واسعة فأخذت من ثمرها وأكلت. ثم قالت لآدم: هل أصابني شيء بأكلها؟ وإنما لم يصبها شيء بأكلها لأنها كانت تابعة، وآدم متبوعاً فما دام المتبوع على الصلاح يتجاوز عن التابع، فإذا فسد المتبوع فسد التابع ثم أخذت ثمرة أخرى ودفعتها إلى آدم. فلما أكل آدم لم تصل إلى جوفه حتى أخذتهما الرعدة، وسقط عنهما ما كان عليهما من الحلي والحلل وغيرهما وعريا عن الثياب، حتى بدت عوراتهما فاستحيا وهربا. قال الله تعالى: يا آدم أمني تهرب؟ قال: لا ولكن حياء من ذنبي. فأخذا من أوراق التين، وألصقا على عوراتهما. ثم أمرهما الله تعالى بأن يهبطا منها إلى الأرض، فوقع آدم بأرض الهند، وحواء بجدة. وروي عن ابن عباس أنه قال: إنما سمي الإنسان إنساناً، لأن الله عهد إليه فنسي أي ترك.

وقوله تعالى: {وَقُلْنَا اهبطوا بَعْضُكُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ} أي آدم وحواء وإبليس والحية، فبقي بين إبليس وبين أولاد آدم العداوة إلى يوم القِيامة. وكذلك بين الحية وبين أولاد آدم عداوة إلى يوم القيامة. ثم قال: {وَلَكُمْ فِي الارض مُسْتَقَرٌّ}، أي موضع القرار {ومتاع إلى حِينٍ}، أي الحياة والعيش إلى الموت.

▲ تفسير الآية رقم [37]

{فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)}

قوله تعالى: {فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ}، قرأ ابن كثير {فَتَلَقَّى ءادَمُ} بنصب آدم ورفع كلمات. وقرأ غيره برفع آدم وكسر كلمات. فأما من قرأ {فَتَلَقَّى ءادَمُ} بالرفع فمعناه أخذ وقبل من ربه. ومن قرأ بنصب آدم. يعني استقبلته كلمات من ربه. يقال: تلقيت فلاناً بمعنى استقبلته. ومعنى ذلك كله: أن الله تعالى ألهمه كلمات، فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه، فتاب الله عليه.

وروي عن مجاهد أنه قال: تلك الكلمات هي قوله عز وجل: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} [الأعراف: 23] الآية. وقال بعضهم: قال: بحق محمد أن تقبل توبتي. قال الله له: ومن أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك. فتاب الله عليه. وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الكلمات هي قوله سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ وارحمني، إنك أنت التواب الرحيم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الغافرين. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين.

قوله تعالى: {فَتَابَ عَلَيْهِ}، يعني قبل الله توبته. يقال: تاب العبد إلى ربه وتاب الله على عبده، فهذا اللفظ مشترك إلا أنه إذا ذكر من العبد يقال: تاب إلى الله، وإذا ذكر من الله تعالى يقال: تاب الله على عبده، إذا رجع العبد عن ذنبه. وتاب الله على عبده، إذا قبل توبته. قوله: {إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم} يعني المتجاوز عن الذنوب الرحيم بعباده.

▲ تفسير الآية رقم [38]

{قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)}

قوله تعالى: {قُلْنَا اهبطوا مِنْهَا جَمِيعًا}، يعني آدم وحواء وإبليس والحية. وفي الآية دليل على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها، لأن آدم قد أخرج من الجنة بمعصيته. وهذا كما قال القائل:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا *** فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِله *** فَإِنَّ الإِلهَ شَدِيدُ النِّقَمْ

وقال تعالى: {لَهُ معقبات مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سواءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: 11] الآية.

وقوله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنّى هُدًى}، وأصله فإن ما إلا أن النون أدغمت في الميم، وإن لتأكيد الكلام، وما للصلة، ومعناه فإما يأتينكم مني هدى يعني البيان، وهو الكتاب والرسل، خاطب به آدم وعنى به ذريته. {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ}، يعني اتبع كتابي وأطاع رسلي {فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم من العذاب، {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من أمر الدنيا.

تفسير الآية رقم [39]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)}

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} أي جحدوا رسلي وكذبوا كتابي {أُولَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون}، أي دائمون.

تفسير الآيات رقم [40- 43]

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)}

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} يا أولاد يعقوب. وإنما سمي إسرائيل، لأن (الإسرا) بلغتهم عبد، و(الإيل) هو الله فكأنه قال: يا بني عبد الله. وقال بعضهم: إنما سمي إسرائيل لأنه أسره ملك يقال له (إيل)، وذلك أنه كان في سفر مع أولاده، وكان يسير خلف القافلة، وكان له قوة فدخل في نفسه شيء من العجب، فابتلاه الله تعالى، أن جاءه ملك على هيئة اللص

وأراد أن يضرب على القافلة، فأراد يعقوب أن يضربه على الأرض فلم يقدر على ذلك، فكانا في تلك المنازعة إلى طلوع الفجر، ثم إن الملك أخذ بعرق يعقوب أي عرق من عروقه فمده فسقط في ذلك الموضع ثلاثة أيام. وقال بعضهم: لأنه أسره جني يقال له (إيل) وروي عن السدي: أنه وقعت بينه وبين أخيه (عيصوا) عداوة فحلف (عيصوا) أن يقتله، فكان يعقوب يختفي بالنهار، ويخرج بالليل فسمي إسرائيل لسيره بالليل. وأصله من إسراء الليل بدليل قوله عز وجل: {سُبْحَانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءاياتنآ إِنَّهُ هُوَ السميع البصير} [الإسراء: 1]؛ والله أعلم بالصواب. ويقال: إنما سمي بيعقوب، لأنه ولد مع عيصوا، في بطن واحد فخرج على عقب عيصوا فسمي لذلك بيعقوب. فقال الله تعالى: {مَعِىَ بَنِى إسراءيل} وإنما أراد بهم اليهود الذين كانوا حوالي المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهم، وكانوا من أولاد يعقوب.

وقال تعالى: {اذكروا نِعْمَتِيَ التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}، يعني احفظوا منتي التي مننت عليكم في التيه من المن والسلوى، يعني اذكروا تلك النعم التي أنعمت عليكم واشكروا لي {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}. قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح: قد كان الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً، فمن تبعه وصدق به غفرت له ذنوبه، وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين، أجراً باتباعه ما جاء به موسى، وأجراً باتباعه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام وعرفوه كذبوه فذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقال: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}. قال الحسن البصري: {أَوْفُوا بِعَهْدِى} أدوا ما افترضت عليكم، أُوفِ بِعَهْدِكُمْ مما وعدت لكم. وقال الضحاك: أوفوا بطاعتي أوف لكم بالجنة. وقال الصادق: أوفوا بعهدي في دار محنتي على بساط خدمتي في حفظ حرمتي، أوف بعهدكم في دار نعمتي على بساط قربتي بسني رؤيتي. وقال قتادة: العهد ما ذكر في سورة المائدة في قوله: {وَلَقَدْ أَخَذَ الله ميثاق بَنِى إسراءيل} إلى قوله تعالى:

{وَلَقَدْ أَخَذَ الله ميثاق بنى إسراءيل وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثنى عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ الله إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصلاة وَءاتَيْتُمْ الزكواة وَءامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سيئاتكم وَلأدْخِلَنَّكُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السبيل} [المائدة: 12]، أوف بعهدكم وهو قوله: {وَلَقَدْ أَخَذَ الله ميثاق بنى إسراءيل وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثنى عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ الله إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصلاة وَءاتَيْتُمْ الزكواة وَءامَنتُمْ بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سيئاتكم وَلأدْخِلَنَّكُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السبيل} [المائدة: 12] الآية. ويقال: {أَوْفُواْ *** بِعَهْدِى} الذي قبلتم يوم الميثاق، {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} الذي قلت لكم، يعني به الجنة.

قوله تعالى: {وإياى فارهبون}، يعني: فَاخْشَوْنِ. وأصله فارهبوني بالياء لكن حذفت الياء وأقيم الكسر مقامها. ثم قال: {وَءامِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدّقًا لّمَا مَعَكُمْ}، أي صدقوا بهذا القرآن الذي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً أي موافقاً لما معكم، من التوحيد. وفي بعض الشرائع أنزلت يعني التوراة والإنجيل {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ}، يعني أول من يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال: {بِهِ} يعني بالقرآن. وإنما يريد بني قريظة والنضير. فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ} وقد كفر به قبلهم مشركو العرب، قيل له: معناه {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ} في وقت هذا الخطاب. ويقال: إن أحبار اليهود كان لهم أتباع، فلو أسلموا أسلم أتباعهم ولو كفروا كفر أتباعهم كلهم، فهذا معنى قوله {وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ} من قومكم. {وَلاَ تَشْتَرُواْ بآياتي ثَمَنًا قَلِيلاً} أي بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم عرضاً يسيراً، لأنهم كانوا عرفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكانت لهم مأكلة ووظائف من سفلة اليهود، وكانت لهم رئاسة، فكانوا يخافون أن تذهب وظائفهم ورئاستهم؛ فقال: {وَلاَ تَشْتَرُواْ بآياتي ثَمَنًا قَلِيلاً} أي عرض الدنيا وإنما سماه قليلاً، لأن الدنيا كلها قليل. ثم خوفهم فقال: {وإياى فاتقون} في صفة محمد صلى الله عليه وسلم فمن جحد به أدخلته النار.

قوله تعالى: {وَلاَ تَلْبِسُواْ الحق بالباطل}؛ يقال في اللغة: لبس يلبس لبساً إذا لبس الثياب. ومعناه لا تخلطوا الحق بالباطل، فتكتمون صفته، وذلك أنهم كانوا يخبرون عن بعض صفته، ويكتمون البعض ليصدقوا بذلك فيلبسون عليهم بذلك. وقال قتادة: {وَلاَ تَلْبِسُواْ} اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام. ويقال: معناه ولا تؤمنوا ببعض أمره وتكفروا ببعض أمره.

ثم قال تعالى: {وَتَكْتُمُواْ الحق}، يقول: ولا تكتموا الحق {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنكم تكتمون الحق. {وَإِذْ أَخَذْنَا}، أي أقيموا الصلوات الخمس بركوعها وسجودها في مواقيتها، {وَإِذْ أَخَذْنَا} المفروضة {واركعوا مَعَ الراكعين}، أي صلوا مع المصلين، مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الجماعات. ويقال: صلوا مع المصلين إلى الكعبة. وقال قتادة: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وهما فريضتان واجبتان ليس لأحد فيهما رخصة، فأدوهما إلى الله عز وجل.

تفسير الآية رقم [44]

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)}

قوله: {أَتَأْمُرُونَ الناس بالبر وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}، نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة، وهم بنو قريظة والنضير، وكانوا ينتظرون خروج النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يدعون الأوس والخزرج إلى الإيمان به، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم آمن به الأوس والخزرج وكفر اليهود وجحدوا، فنزلت هذه الآية {أَتَأْمُرُونَ

الناس بالبر وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كانت اليهود إذا جاءهم حليف منهم الذي قد أسلم وسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السر فتقول له: إنه نبي صادق فاتبعه، وتكتم ذلك عن السفلة مخافة أن تذهب منافعه، فنزلت هذه الآية {أَتَأْمُرُونَ الناس بالبر وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}. وقال قتادة: في هذه الآية دليل على أن من أمر بخير فليكن أشد الناس تسارعاً إليه، ومن نهى عن شر فليكن أشد الناس انتهاء عنه. ويقال: تنزلت في شأن القصاص.

قال الفقيه: أخبرنا القاضي الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن أبي حاتم الرازي قال: أخبرنا الحجاج بن يوسف، عن سهل بن حماد، عن ابن غياث، عن هشام الدستوائي، عن المغيرة وهو ختن مالك بن دينار، عن مالك بن دينار عن ثمامة، عن أنس قال: لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقال: «يَا جِبْرِيلُ مَنْ هؤلاء»؟ فقال: هؤلاءِ أَمَّتُكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ. ثم قال تعالى: {وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتاب أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}، يعني أفلا تعقلون أن صفته في التوراة. ويقال: {وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتاب أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن ذلك حجَّة عليكم.

تفسير الآية رقم [45]

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)}

{واستعينوا بالصبر والصلاة}، أي استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبكثرة الصلاة على تمحيص الذنوب. ويقال: استعينوا بالصبر على نصرة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال مجاهد: استعينوا بالصبر والصلاة يعني بالصوم والصلاة، وإنما سمي الصوم صبراً لأن في الصوم حبس النفس عن الطعام والشراب والرفث. وقد قيل الصبر على ثلاثة أوجه: صبر على الشدة والمصيبة، وصبر على الطاعة وهو أشد من الأول وأكثر أجراً، وصبر عن المعصية وهو أشد من الأول والثاني، وأجره أكثر من الأول. وفي هذا الموضع أراد الصبر على الطاعة. قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ}، أي الاستعانة ويقال: الصلاة لكبيرة أي ثقيلة {إِلاَّ عَلَى الخاشعين}، أي المتواضعين. ويقال: الذليلة قلوبهم.

تفسير الآية رقم [46]

{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)}

{الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُواْ رَبُّهُمْ}، أي يستيقنون أنهم يبعثون يوم القيامة بعد الموت. [وإنما سمي اليقين ظناً، لأن في الظن طرفاً من اليقين، فيعبَّر بالظن عن اليقين. وقوله: {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجعون} يعني في الآخرة بعد البعث للحساب.

▲ تفسير الآية رقم [47]

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)}

قوله تعالى: {راجعون يابنى إسراءيل اذكروا نِعْمَتِىَ التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين}، أي على عالمي زمانهم. وقال بعضهم: من آمن من أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له أجران، أجر إيمانه بنبيه عليه السلام وأجر إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثَلاَثَةٌ يُعْطِيهُم الله الأَجْرَ مَرَّتَيْنِ، مَنِ اشْتَرَى جَارِيَةً فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَها، وَعَبْدٌ أَطَاعَ سَيِّدَهُ وَأَطَاعَ الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَآمَنَ بِهِ» وقال بعضهم: معنى قوله {وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين} بإنزال المن والسلوى وغيره، ولم يكن ذلك لأحد من العالمين غيرهم.

▲ تفسير الآية رقم [48]

{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)}

وقوله تعالى: {واتقوا يَوْمًا}، أي واخشوا عذاب يوم {لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا}، يعني لا تغني في ذلك اليوم نفس مؤمنة عن نفس كافرة، وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن من أولاد إبراهيم خليل الله، ومن أولاد إسحاق والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا، فنزلت هذه الآية: {لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا}، أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس مؤمنة ولا نفس كافرة عن نفس كافرة. {وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شفاعة}، أي من نفس كافرة يعني لا ينفع فيها شافع ولا ملك ولا رسول لغير أهل القبلة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {وَلاَ تَقْبَلُواْ} بالتاء، لأن الشفاعة مؤنثة؛ وقرأ الباقون بالياء، لأن تأنيثه ليس بحقيقي، وما لم يكن تأنيثه حقيقياً جاز تذكيره، وكقوله عز وجل: {الذين يَأْكُلُونَ الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذى يَتَخَبَّطُهُ الشيطان مِنَ المس ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا إِنَّمَا البيع مِثْلُ الربا وَأَحَلَّ الله البيع وَحَرَّمَ الربا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فانتهى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله وَمَنْ عَادَ فأولئك أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} [البقرة: 275] ثم قال تعالى: {وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}، أي لا يقبل الفداء من نفس كافرة كما قال في موضع آخر {فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا} [آل عمران: 91]، ويقال: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها لا يقبل منها. {عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}، يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

▲ تفسير الآية رقم [49]

{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)}

{وَإِذْ نجيناكم مّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ} إنما خاطبهم وأراد به آباءهم، لأنهم يتبعون آباءهم فأضاف إليهم. ومعناه واذكروا إذ نجيناكم من قوم فرعون {يَسُومُونَكُمْ سُوء العذاب} أي يعذبونكم بأشد العذاب وأقبح العذاب. ويقال في اللغة: سامه الخسف، إذا أولاه الهوان. يعني يولونكم بأشد العذاب. ثم بيّن العذاب فقال تعالى: {يُذَبّحُونَ أَبْنَاءكُمْ} الصغار {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ}، أي ويستخدمون نساءكم. وأصله في اللغة: من الحياة، يقال: استحيا، يستحيي إذا تركه حيّاً. وكانوا يذبحون الأولاد، ويتركون النساء أحياء للخدمة، وذلك لأن فرعون قالت له كهنته: يولد في بني إسرائيل مولود ينازعك في ملكك، فأمر بأن يذبح كل مولود يولد في بني إسرائيل وتترك البنات.

قوله تعالى: {وَفِى ذلكم بَلاء مّن رَّبّكُمْ عَظِيمٌ}، أي نعمة من ربكم عظيمة، والبلاء: يكون عبارة عن النعمة، ويكون أيضاً عبارة عن البلية والشدة؛ وأصله من الابتلاء والاختيار يكون بهما جميعاً. فإن أراد به النعمة، فمعناه {وَفِى ذلكم بَلاء مّن رَّبّكُمْ}، أي اتجاه الله من ذبح الأولاد واستخدام النساء نعمة لكم من ربكم عظيم وإن أراد به العذاب، فمعنى {وَفِى ذلكم بَلاء} أن في ذبح الأبناء واستخدام النساء بلاء لكم من ربكم عظيم.

▲ تفسير الآية رقم [50]

{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)}

{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}، أي فرق الماء يميناً وشمالاً حين خرج موسى مع بني إسرائيل من مصر، فخرج فرعون وقومه في طلبهم؛ فلما انتهوا إلى البحر ضرب موسى عصاه على البحر، فانفلق، فصار اثني عشر طريقاً يبساً، لكل سبط منهم طريق. فلما جاوز موسى البحر ودخل فيه فرعون مع قومه، غشيهم من اليم ما غشيهم، أي غشيهم الماء فغرقوا في اليم فذلك قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البحر}.

يقول: واذكروا نعمة الله عليكم إذ فلقنا بكم البحر {فأنجيناكم} من الغرق {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ}، يعني فرعون وآله. قال بعض أهل اللغة: الآل، أتباع الرجل قريبه كان أو غيره، وأهله قريبه أتبعه أو لم يتبعه. ويقال: الآل والأهل بمعنى واحد، إلا أن الآل يستعمل لأتباع رئيس من الرؤساء؛ يقال: آل فرعون وآل موسى، وآل هارون ولا يقال: آل زيد، وآل عمرو. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل له: من آلك؟ قال: «آلِي كُلُّ تَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

قوله تعالى: {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}، أي تنظرون إليهم حين لفظهم البحر بعدما غرقوا، يعني آباءهم. وقال بعضهم: معناه أنكم تعلمون ذلك كأنكم تنظرون إليهم. قال الفقيه: وكان في قصة فرعون وغيره علامة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعرف ذلك إلا بالوحي، فلما أخبرهم بذلك من غير أن يقرأ كتاباً، كان ذلك دليلاً أنه قاله بالوحي، وفيه أيضاً تهديد للكفار ليؤمنوا حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وفيه أيضاً تنبيه للمؤمنين وعظة لهم ليزجرهم ذلك عن المعاصي.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 53]

{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)}

قوله تعالى: {وَإِذْ واعدنا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}، قرأ أبو عمرو «وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى» بغير ألف، وقرأ غيره {واعدنا} بالألف، فمن قرأ بغير ألف فمعناه ظاهر، يعني أن الله تعالى وعد موسى عليه السلام ومن قرأ بالألف فالمواعدة تجري بين اثنين، وإنما كان الوعد من الله تعالى ومن موسى الوفاء، ومن الله الأمر، ومن موسى الائتمار. فكأنما جرت المواعدة بين الله تعالى وبين موسى. وقد يجوز أن تكون المفاعلة من واحد، كما يقال: سافر ونافق.

ويقال: أربعين ليلة كانت ثلاثين ليلة منها من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة. وقال بعضهم: ثلاثين كانت من ذي الحجة وعشراً من المحرم وكانت مناجاته يوم عاشوراء. وروى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: لما وعدهم موسى أربعين ليلة، عدَّت بنو إسرائيل عشرين يوماً وعشرين ليلة، وقالوا: قد تمت أربعون ولم يرجع موسى، فقد خالفنا.

وذكر أن السامري قال لهم: إنكم استعرتم من نساء آل فرعون حليهم ولم تردوه عليهم، فلعل الله تعالى لم يرد علينا موسى لهذا المعنى، فهاتوا ما عندكم من الحلي حتى نحرقه، فلعلَّ الله يرد إلينا موسى فجمعوا ذلك الحلي، وكان السامري صائغاً فاتخذ من ذلك عجلاً، وقد كان قبل ذلك رأى جبريل عليه السلام على فرس الحياة، فكلما وضع حافره اخضر ذلك الموضع، فرفع من تحت سنبكه قبضة من التراب، ونفخ ذلك التراب في العجل فصار ذلك عجلاً جسداً له خوار. وروي عن ابن عباس أنه قال: صار عجلاً له لحم ودم وفيه حياة له خوار. وروي عن علي أنه قال: اتخذ عجلاً جسداً مشبكاً، من ذهب له خوار، فدخل الريح في جوفه وخرج من فيه كهيئة الخوار. فقال للقوم: هذا إلهكم وإله موسى فنسي، يعني أن موسى أخطأ الطريق. وقال بعضهم: كان موسى وعدهم ثلاثين

ليلة، فتمَّ ميقات ربه أربعين ليلة، لأنه قد أفطر من الصِّيام في تلك العشرة، لأنه ظهر لهم الخلاف في تلك العشرة وهذا الطريق أوضح.

قوله تعالى: {ثُمَّ اتخذتم العجل مِن بَعْدِهِ}، أي عبدتم العجل من بعد انطلاق موسى إلى الجبل {وَأَنتُمْ ظالمون}، أي كافرون بعبادتكم العجل. ويقال: وأنتم ضارون أنفسكم بعبادتكم العجل. {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمِ مِّن بَعْدِ ذلك لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، أي تركناكم من بعد عبادتكم العجل، فلم نستأصلكم {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، أي لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة.

قوله: {وَإِذْ ءاتَيْنَا مُوسَى الكتاب}، أي أعطينا موسى التوراة {والفرقان}، أي الفارق بين الحلال والحرام. ويقال: الفرقان هو النصرة بدليل قوله تعالى: {واعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَئ فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُم بالله وَمَآ أَنزَلْنَا على عَبْدِنَا يَوْمَ الفرقان يَوْمَ التقى الجمعان والله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [الأنفال: 41] أي يوم النصرة. ويقال: الفرقان هو المخرج من الشبهات. ويقال: هو انفلاق البحر بدليل قوله: {وإذ فرقنا بكم البحر} [البقرة: 50]. وقال الفراء: في الآية مضمر، ومعناه: وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة، وأعطينا محمداً الفرقان، فكأنه خاطبهم فقال: قد أعطيناكم علم موسى وعلم محمد صلى الله عليه وسلم وعلم سائر الأنبياء. قوله: {والفرقان لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، أي لكي تهتدوا من الضلالة.

▲ تفسير الآية رقم [54]

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ ياقوم}، وأصله يا قومي بالياء ولكن حذف الياء وترك الكسر بدلاً عن الياء، وتكون في الإضافة إلى نفسه معنى الشفقة. {لِقَوْمِهِ ياقوم إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ}، يعني أضررتم بأنفسكم {باتخاذكم العجل فَتُوبُواْ إلى بَارِئِكُمْ}، يعني إلى خالقكم يقول: فارجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة خالقكم، وتوبوا إليه فقالوا له: وكيف التوبة؟ قال لهم موسى: {فاقتلوا أَنفُسَكُمْ}، يعني يقتل بعضكم بعضاً، يقتل من لم يعبد العجل الذين عبدوا العجل؛ وإنما ذكر قتل الأنفس وأراد به الإخوان. وهذا كما قال في آية أخرى {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عسى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عسى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تلمزوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بالالقاب بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الايمان وَمَن لَّمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظالمون} [الحجرات: 11] أي لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين، يعني لا تغتابوا إخوانكم. {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ}، يعني التوبة خير لكم عند خالقكم، ومعناه قتل إخوانكم مع رضا الله خير لكم عند الله تعالى من ترككم إلى عذاب الله.

قوله تعالى: {فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم}، أي المتجاوز عن الذنوب الرحيم، حيث جعل القتل كفارة لذنوبكم. وروي في الخبر أن الذين عبدوا العجل جلسوا على أبواب دورهم، وأتاهم هارون والذين لم يعبدوا العجل شاهرين سيوفهم، فكان موسى عليه السلام يتقدم ويقول: إن هؤلاء إخوانكم قد أتوا شاهرين سيوفهم، فاتقوا الله واصبروا له، فلعن الله رجلاً قام من مجلسه أو حلّ حبوته، أو مدّ بطرفه إليهم أو اتقاهم بيد أو برجل. فيقولون: آمين، وذكر في رواية أبي صالح: أن هارون كان يتقدم ويقول ذلك، فجعلوا يقتلونهم إلى المساء فكانت القتلى سبعين ألفاً، فكان موسى عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدماء، حتى نزلت التوبة. فقيل لموسى: ارفع السيف عنهم، فإني قبلت توبتهم جميعاً، من قتل ومن لم يقتل.

تفسير الآيات رقم [55- 56]

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)}

ثم قال تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ ياموسى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ}، أي لن نصدقك {حتى نَرَى الله جَهْرَةً} أي عياناً، وذلك أن موسى عليه السلام حين انطلق إلى طور سيناء للمناجاة، اختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فلما انتهوا إلى الجبل أمرهم موسى بأن يمكثوا في أسفل الجبل، وصعد موسى عليه السلام فناجى ربه فأعطاه الله الألواح، فلما رجع إليهم قالوا له: إنك قد رأيت الله فأرناه حتى ننظر إليه، فقال لهم: إني لم أره، وقد سألته أن أنظر إليه، فتجلى للجبل، فدك الجبل، فلم يصدقوه وقالوا: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم، فدعا موسى ربه فأحياهم الله تعالى، فذلك قوله عز وجل: {فَأَخَذَتْكُمُ الصاعقة وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} إلى الصاعقة. {ثُمَّ بعثناكم مّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ}، يقول أحييناكم من بعد هلاككم {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} للحياة بعد الموت.

تفسير الآية رقم [57]

{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)}

{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام}، إنما خاطبهم وأراد به آباءهم وهم قوم موسى عليه السلام حيث أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين، فأبوا ذلك وقالوا لموسى: {قَالُواْ ياموسى إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فقاتلا إِنَّا هاهنا قاعدون} [المائدة: 24]، فعاقبهم الله عز وجل فبقوا في التيه أربعين سنة، وكانت المفازة اثني عشر فرسخاً، وكان يؤذيهم حر الشمس فظلل عليهم الغمام، فذلك قوله تعالى: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام} وهو السحاب الأبيض، يقيكم حر الشمس في التيه، وكان لهم في التيه عمود من نور مد لهم من السماء

فيسير معهم من الليل مكان القمر. فأصابهم الجوع فسألوا موسى فدعا الله فأنزل عليهم المن وهو الترنجبين كان يتساقط عليهم كل غداة، فيأخذ كل إنسان منهم ما يكفيه يومه وليلته، فإن أخذ أكثر من ذلك دود ذلك الزائد وفسد؛ وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل إنسان منهم مقدار ما يكفيه يومين، لأنه لا يأتيهم يوم السبت، وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن فأجموا من المن، أي ملوا من أكله. فقالوا لموسى عليه السلام: قتلنا هذا المن بحلاوته وأحرق بطوننا، فادع لنا ربك أن يطعمنا لحماً. فدعا لهم موسى عليه السلام فبعث الله لهم طيراً كثيراً فذلك قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى}، وهو السماني وهو طير يضرب إلى الحمرة. وقال بعضهم: كان طيراً يأتيهم مشوياً. قال عامة المفسرين إنهم كانوا يأخذونها ويذبحونها.

{كُلُواْ مِن طيبات}، أي قيل لهم كلوا من طيبات، وهذا من المضمرات، وفي كلام العرب يضمر الشيء إذا كان يستغنى عن إظهاره، كما قال في آية أخرى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم فَذُوقُواْ العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106]، يعني يقال لهم أكفرتم؛ وكما قال في آية أخرى: {أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذب كَفَّارٌ} [الزمر: 3] يعني قالوا: ما نعبدهم. ومثل هذا في القرآن كثير. وكذلك قوله هاهنا {كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم}، أي من حلالات {مَا رزقناكم}، أي أعطيناكم من المن والسلوى ولا ترفعوا منها شيئاً، كما قال في آية أخرى {كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه} [طه: 81]، أي ولا تعصوا فيه فلا ترفعوا إلى الغد، فرفعوا وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد فرجع ذلك عنهم، ولو لم يرفعوا لدام ذلك عليهم.

قوله تعالى: {رزقناكم وَمَا ظَلَمُونَا}، يقول وما أضرونا {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، أي أضروا بأنفسهم حيث رفعوا إلى الغد حتى منع ذلك عنهم. وروى خلاس، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: <لَوْلا بَنُو إسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبُثِ الطَّعَامُ، وَلَمْ يَنْتَنِ اللَّحْمُ، وَلَوْلاَ حَوَاءُ لَمْ تَخُنِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا.

▲ تفسير الآيات رقم [58- 59]

{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)}

ثم قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادخلوا هذه القرية}، قال الكلبي: يعني أريحا. وقال مقاتل: إيليا. ويقال: هذا كان بعد موت موسى عليه السلام وبعد مضي أربعين سنة، حيث أمر الله تعالى يوشع بن نون وكان خليفة موسى عليهما السلام بأن يدخل مع قومه المدينة، فقال

لهم يوشع بن نون: ادخلوا الباب سجداً، يعني إذا دخلتم من باب المدينة فادخلوا ركعاً منحنين ناكسي رؤوسكم متواضعين، فيقوم ذلك منكم مقام السجود وذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادخلوا هذه القرية}، يعني أريحا أو إيليا.

{فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا}، موسعاً عليكم {وادخلوا الباب سُجَّدًا}، أي ركعاً منحنين {وَقُولُواْ حِطَّةٌ}. قرأ بعضهم بالرفع وبعضهم بالنصب وهي قراءة شاذة، وإنما جعله نصباً لأنه مفعول. ومن قرأ بالرفع معناه وقولوا حطة. وروي عن قتادة أنه قال: تفسير {حِطَّةٌ}، يعني حطّ عنا خطايانا. وقال بعضهم: معناه لا إله إلا الله. وقال بعضهم: بسم الله. وقال بعضهم: أمروا بأن يقولوا بهذا اللفظ ولا ندري ما معناه.

ثم قال: {نَّغْفِرْ لَكُمْ خطاياكم}، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام {تَغْفِرْ} بالتاء والضمة، لأن لفظ الخطايا مؤنث. وقرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة {يَغْفِرُ} بالياء والضمة بلفظ التذكير، لأن تأنيثه ليس بحقيقي ولأن الفعل مقدم. وقرأ الباقون بالنون وكسر الفاء على معنى الإضافة إلى نفسه وذلك كله يرجع إلى معنى واحد، ومعناه نغفر لكم خطايا الذين عبدوا العجل. {وَسَنَزِيدُ المحسنين}، أي سنزيد في إحسان من لم يعبد العجل. ويقال: نغفر خطايا من رفع المن والسلوى للغد، وسنزيد في إحسان من لم يرفع إلى الغد. ويقال: نرفع خطايا من هو عاصٍ، وسنزيد في إحسان من هو محسن. فلما دخلوا الباب خالفوا أمره. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " أَنَّهُمْ دَخَلُوا البَابَ يَزْحَفُونَ " وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: دخلوا على أستاههم. ويقال: دخلوا منحرفين على شق وجوههم، وقالوا: «احنطا سمفانا» يعني حنطة حمراء، بلغة القبط استهزاء وتبديلاً، وإنما قال ذلك سفهاؤهم، فذلك قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ}، أي غيروا ذلك القول وقالوا بخلاف ما قيل لهم.

قال الله تعالى: {فَأَنزَلْنَا عَلَى الذين ظَلَمُواْ}، أي غيروا {رِجْزًا}، أي عذاباً {مّنَ السماء} وهو موت الفجاءة. وقال أبو روق: (الرجز) الطاعون. ويقال مات منهم بالطاعون سبعون ألفاً. ويقال: نزلت بهم نار فاحترقوا. ويقال: وقع بينهم قتال فاقتتلوا فقتل بعضهم بعضاً.

{بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} أي جزاء لفسقهم وعصيانهم.

ثم رجع إلى قصة موسى حين كانوا في التيه وأصابهم العطش فاستغاثوا بموسى، فدعا موسى ربه، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه الحجر، فَأخذ موسى حجراً مربعاً مثل رأس الإنسان، ووضعه في المخلاة بين يدي قومه، ضَرَبَ عَصَاهُ عَلَيْهِ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثنتا عشرة عيناً ماءً عذباً؛ وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً لكل سبط منهم عين على حدة. قال الفقيه: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوسة قال: حدثنا أبو القاسم، أحمد بن حمزة الصفار قال: حدثنا عيسى بن أحمد قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن

فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي قال: تاه بنو إسرائيل في اثني عشر فرسخاً أربعين عاماً على غير ماء، وجعل لهم حجراً مثل رأس الثور، فإذا نزلوا منزلاً وضعوه فضربه موسى بعصاه.

تفسير الآية رقم [60]

{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)}

فذلك قوله تعالى: {وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضرب بّعَصَاكَ الحجر فانفجرت مِنْهُ اثنتا عَشْرَةَ عَيْنًا} فإذا ساروا حملوه فاستمسك. وقال بعضهم: كان يخرج عيناً واحدة ثم تتفرق على اثنتي عشرة فرقة، وتصير اثني عشر نهراً. وقال بعضهم: كان للحجر اثنا عشر ثقباً، يخرج منها اثنتا عشرة عيناً لا يختلط بعضها ببعض. قال مقاتل: كان الحجر مربَّعاً، وكان جبريل عليه السلام أمر موسى بحمله معه يوم جاوز البحر ببني إسرائيل، وإنما انفجرت اثنتا عشرة عيناً، لأنه أخذ من مكان فيه اثنا عشر طريقاً.

ثم قال تعالى: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ}، أي قد عرف كل سبط مشربهم، أي موردهم وموضع شربهم من العيون لا يخالطهم فيها غيرهم. والحكمة في ذلك أن الأسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة، وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر، وأراد كل سبط تكثير نفسه، فجعل لكل سبط منهم نهراً على حدة ليستقوا منها، ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة. وقال بعضهم: كان الحجر من الجنة. وقال بعضهم: رفعه موسى من أسفل البحر حيث مرّ فيه مع قومه. وقال بعضهم: كان حجراً من أحجار الأرض.

قوله عز وجل: {كُلُواْ واشربوا مِن رّزْقِ الله} أي قيل لهم كلوا من المن والسلوى، واشربوا من ماء العيون، {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الارض مُفْسِدِينَ}، أي لا تعملوا فيها بالمعاصي، يقال: عثا يعثو عثواً، إذا أظهر الفساد وعَثِي، وعاث لغتان الذئب في الغنم أي أسرع بالفساد ثم أنهم أجمعوا من المن والسلوى.

تفسير الآيات رقم [61 -61]

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)}

{وَإِذْ قُلْتُمْ ياموسى لَن نَّصْبِرَ على طَعَامٍ واحد}، أي من جنس واحد {فادع لَنَا رَبَّكَ}، أي سل لنا ربك {يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الارض}، أي مما تخرج الأرض {مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا}. وقوله {بَقْلِهَا} أراد به البقول كلها، وقوله {وَقِثَّائِهَا} أراد به جميع ما يخرج من الفاكهة مثل القثاء والبطيخ ونحو ذلك، وقوله: {وَفُومِهَا}، أي طعامها وهي الحبوب كلها، ويقال: هي الحنطة خاصة. وقال مجاهد: الفوم الخبز. وقال الفراء: فومي لنا يا جارية، يعني اخبزي لنا. ويقال: الفوم هو الثوم، والعرب تبدل الفاء بالثاء لقرب مخرجهما. وفي قراءة عبد الله بن مسعود {وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا}.

فغضب عليهم موسى عليه السلام {قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الذى هُوَ أدنى بالذى هُوَ خَيْرٌ}، يعني أتستبدلون الرديء من الطعام بالذي هو خير أي بالشريف الأعلى؟ ويقال: معناه تسألون الدنيء من الطعام وقد أعطاكم الله الشريف منه وهو المن والسلوى؟ ويقال: أتختارون الدنيء الخسيس وهو الثوم والبصل على الذي هو أعلى وأشرف وهو المن والسلوى؟ فقال الله تعالى لهم: {اهبطوا مِصْرًا} قرأ بعضهم بلا تنوين أي المصر الذي خرجتم منه، وهو مصر فرعون، ومن قرأ مصراً بالتنوين يعني: ادخلوا مصراً من الأمصار، {فَإِنَّ لَكُم} فيه {مَّا سَأَلْتُمْ} تزرعون وتحصدون، {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة}. قال الحسن وقتادة: جعلت عليهم الجزية يعني على ذريتهم. ويقال: جعل عليهم كدّ العمل، يعني أولئك القوم حتى كانوا ينقلون السرقين. {والمسكنة} يعني زي الفقراء. وقال الكلبي: يعني الرجل من اليهود وإن كان غنياً، يكون عليه زي الفقراء.

وقوله تعالى: {فَبَاءو بِغَضَبٍ}، يعني استوجبوا الغضب {مِنَ الله}. قال بعضهم: أصله من الرجوع، يعني رجعوا باللعنة في أثر اللعنة. ويقال: باؤوا أي احتملوا كما يقال: بوِّئت بهذا الذنب أي احتملته. ثم قال: {ذلك بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيات الله}، أي ما أصابهم من الذلة والمسكنة وهم اليهود بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، يعني كذَّبوا عيسى وزكريا ويحيى ومحمداً عليهم وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام {وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ الحق}، أي بغير جرم منهم، وهم زكريا ويحيى. قرأ نافع {النبيين} بالهمزة وكذلك جميع ما في القرآن إلا في سورة الأحزاب: {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى}، وقرأ الباقون: بغير همز. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له: يا نبيء الله، فقال: «لست بنبيء الله ولكن نبي الله» (والنبيين) جماعة النبي. وأما من قرأ بالهمز، قال أصله من النبأ وهو الخبر لأنه أنبأ عن الله تعالى، وأما من قرأ بغير همز فأصله مهموز، ولكن قريشاً لا تهمز. وقال بعضهم: هو مأخوذ من النبأة وهو الارتفاع، لأنه شرف على جميع خلقه. وقال بعضهم: النبيء هو الطريق الواضح، سمي بذلك لأنه طريق الخلق إلى الله تعالى.

قوله: {ذلك بِمَا عَصَواْ}، أي ذلك الغضب على اليهود بما عصوا أي بسبب عصيانهم أمر الله تعالى، فخذلهم الله تعالى حين كفروا، فلو أنهم لم يعصوا الله تعالى كانوا معصومين من ذلك. {وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} يعني بقتلهم الأنبياء وركوبهم المعاصي.

تفسير الآية رقم [62]

{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)}

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ والذين هَادُواْ والنصارى والصابئين}، قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن الذين آمنوا وهم قوم كانوا مؤمنين بموسى والتوراة ولم يتهودوا ولم يتنصروا. والنصارى: الذين تركوا دين عيسى وَتسَمَّوْا بالنصرانية. واليهود الذين تركوا دين موسى وتسمَّوا باليهودية. والصابئين: هم قوم من النصارى ألين قولاً منهم. {مَنْ ءامَنَ} من هؤلاء {بالله واليوم الاخر وَعَمِلَ صالحا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ} أي ثوابهم. قال مقاتل: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ}، أي صدقوا بتوحيد الله، ومن آمن من الذين هادوا ومن النصارى والصابئين فلهم أجرهم عند ربهم. وقال القتبي: قوله: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ} هم قوم آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، فكأنه قال: إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين. ويقال: اليهود سموا يهوداً بقول موسى عليه السلام {واكتب لَنَا فِى هذه الدنيا حَسَنَةً وَفِي الاخرة إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عذابى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْء فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكواة والذين هُم بأياتنا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156]. ويقال: اشتقاقه من الميل من هاد يهود، إذا مال عن الطريق. وأما النصارى قال بعضهم: سموا أنفسهم نصارى بقول عيسى عليه السلام: {فَلَمَّآ أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكفر قَالَ مَنْ أنصارى إِلَى الله قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله ءَامَنَّا بالله واشهد بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 52] ويقال: لأنهم نزلوا إلى قرية يقال لها ناصرة، فتواثقوا على دينهم فسموا نصارى. وأما الصابي فهو من صبا يصبو إذا مال. ويقال: من صبأ يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء لأنهم يعبدون الملائكة. قرأ نافع و{الصابين} بغير همز من صبا يصبو، إذا خرج من دين إلى دين. وقرأ الباقون بالهمز من صبأ يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء. واختلف العلماء في حكم الصابئين، فقال بعضهم: حكمهم كحكم أهل الكتاب في أكل ذبائحهم ومناكحة نسائهم، وهو قول أبي حنيفة، لأنهم قوم بين النصرانية واليهودية يقرؤون الزبور؛ وقال بعضهم: هم بمنزلة المجوس لا يجوز أكل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم، وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله لأنهم يعبدون الملائكة فصار حكمهم حكم عبدة النيران.

ولم يذكر في الآية الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يكون مؤمناً بالله تعالى ما لم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى على محمد وعلى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قال: من آمن بالله وبما أنزل على جميع أنبيائه وصدق باليوم الآخر {وَامَنَ وَعَمِلَ صالحا} أي أدى الفرائض، {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ}، يعني لهم ثواب أعمالهم في الآخرة {وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم من العذاب {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من الدنيا. ويقال: ليس عليهم خوف النار ولا حزن الفزع الأكبر. فإن قيل: فيه ذكر من

آمن بالله بلفظ الوحدان، ثم قال فلهم أجرهم ولم يقل: فله أجره، قيل له: لأنه انصرف إلى ما سبق ذكره وهو الجماعة فمرة يذكر بلفظ الوحدان لاعتبار اللفظ ومرة بلفظ الجمع لاعتبار المعنى.

تفسير الآيات رقم [63 -64]

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)}

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم}، قال ابن عباس: هما ميثاقان؛ الميثاق الأول: حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام والميثاق الثاني: الذي أخذ في التوراة وسائر الكتب. {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور} وذلك أن موسى عليه السلام، لما أتاهم بالتوارة فرأوا ما فيها من التغليظ والأمر والنهي، شق ذلك عليهم فأبوا أن يقبلوها. وإن الله تعالى قد منّ على هذه الأمة حيث فرض عليهم الفرائض واحداً بعد واحد، ولم يفرض عليهم جملة، فإذا استقر الواحد في قلوبهم فرض الآخر. وأما بنو إسرائيل، فقد فرض عليهم دفعة واحدة فشق ذلك عليهم ولم يقبلوا، فأمر الله تعالى الملائكة فرفعوا جبلاً من جبال فلسطين فوق رؤوسهم، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ والجبل مثل ذلك، فلما رأوا أنه لا مهرب لهم منه، قبلوا التوراة وسجدوا من المهابة والفزع، وهم يلاحظون في سجودهم الجبل، فمن ذلك يسجد بعض اليهود على أنصاف وجوههم، فذلك قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور}. والطور: اسم جبل بالسريانية: ويقال: هو جبل ذو أشجار.

ثم قال تعالى: {خُذُواْ مَا ءاتيناكم بِقُوَّةٍ}، أي قيل لهم: اعملوا بما آتيناكم بجد ومواظبة واعملوا في طاعة الله {واذكروا مَا فِيهِ}. قال بعضهم: اعملوا بما فيه. وقال بعضهم: اذكروا ما فيه من الثواب والعقاب، لكي يسهل عليكم القبول. {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، أي لكي تتقوا عقوبته في المعصية فتمتنعوا عنها. {ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مّن بَعْدِ ذلك}، أي أعرضتم من بعد ذلك الإقرار، يعني من بعد ما رفع عنكم الجبل. {فَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ}، أي منّ الله عليكم {وَرَحْمَتُهُ} بتأخير العذاب، {لَكُنتُم مّنَ الخاسرين} بالعقوبة. ويقال: فلولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسل إليكم لكيلا تقيموا على الكفر، لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

تفسير الآيات رقم [65 -66]

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)}

ثم قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الذين اعتدوا مِنكُمْ فِى السبت}، أي اصطادوا، ويقال: استحلوا أخذ الحيتان يوم السبت. والسبت في اللغة هو الراحة، كما قال في آية أخرى {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً} [النبأ: 9] أي راحة. فيوم السبت كان راحة لليهود عن أشغال الدنيا. وهذه الآية على معنى التحذير والتهديد، فكأنه يقول: إنكم تعلمون ما أصاب الذين استحلوا أخذ السمك في يوم السبت من العقوبة، فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم، وذلك أن مدينة يقال لها آيلة على ساحل البحر كان يجتمع فيها السمك يوم السبت حتى يأخذ وجه الماء، وفي سائر الأيام لا يأتيهم إلا قليل. وقال بعض أهل القصص: إنما كانت الحيتان تجتمع هناك لزيارة السمكة التي كان في بطنها يونس عليه السلام ففي كل سبت يجتمعون لزيارتها. وقال بعضهم: لم يكن لهذا المعنى، ولكن كانت محنة أولئك القوم، فاحتالوا وحبسوا ذلك السمك في يوم السبت وأخذوه يوم الأحد، فلما لم تصبهم العقوبة لفعلهم ذلك أمنوا، واستحلوا أخذها فمسخهم الله قردة. وقد بيّن قصتهم في سورة الأعراف في قوله تعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنِ القرية التى كَانَتْ حَاضِرَةَ البحر إِذْ يَعْدُونَ فِى السبت إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كذلك نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 163]

ثم قال تعالى: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خاسئين}، يعني مبعدين من رحمة الله. وأصله في اللغة من البعد. يقال: خسأ الكلب إذا بعد. ويقال: {خاسئين} أي صاغرين ذليلين.

قوله تعالى: {فجعلناها نكالا}، يعني جعلنا تلك العقوبة نكالاً {لّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا}، يعني لما سبق منهم من الذنب {وَمَا خَلْفَهَا}، أي عبرة لمن بعدهم. ويقال: فجعلناها، يعني القرية، نكالاً لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ليعتبروا بها. {وَمَوْعِظَةً لّلْمُتَّقِينَ}، يعني نهياً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعبرة لهم، لكي لا يستحلوا ما حرم الله عليهم. قال الفقيه: حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد قال: حدثنا أبو بكر الواسطي قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا كثير بن هشام، عن المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن المستورد بن الأحنف قال: قيل لعبد الله بن مسعود: أرأيت القردة والخنازير، أمن نسل القرود والخنازير التي قد مسخت؟ قال عبد الله بن مسعود: إن الله تعالى لم يمسخ أمة فجعل لها نسلاً، ولكنها من نسل قرود وخنازير كانت قبل ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [67- 71]

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً}، قال ابن عباس: وذلك أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة: أيما قتيل وجد بين قريتين لا يدرى قاتله، فليقس إلى أيتهما أقرب، فعمد رجلان أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عم لهما واسمه عاميل، فقتلاه لكي يرثاه؛ وكانت ابنة عم لهما شابة جميلة حسناء، فخشيا أن ينكحها ابن عمها عاميل، ثم حملاه إلى جانب قرية، فأصبح أهل القرية والقتيل بين أظهرهم، فأخذ أهل القرية بالقتيل وجاؤوا به إلى موسى.

وروى ابن سيرين عن عبيدة السلماني أن رجلاً كان له قرابة فقتله ليرثه ثم ألقاه على باب رجل، ثم جاء يطلب بدمه، فهموا أن يقتتلوا ولبس الفريقان السلاح، فقال رجل: أتقتتلون وفيكم نبي الله؟ فجاؤوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام فأخبروه بذلك، فدعا الله تعالى في ذلك أن يبيِّن لهم المخرج من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فأخبرهم بذلك وقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها، يعني بعض أعضاء تلك البقرة فيحيا، فيخبركم من قتله {قَالُواْ}: يا موسى، {أَتَتَّخِذُنَا}؟ قرأ عاصم في رواية حفص برفع الزاي بغير همز، وقرأ حمزة بسكون الزاي مع الهمزة، وقرأ الباقون بالهمز ورفع الزاي. ومعناه أتتخذنا سخرية، يعني أتسخر بنا يا موسى؟ فإن قيل: ألم يكن هذا القول منهم كفراً، حيث نسبوه إلى السخرية؟ قلنا: الجواب أن يقال قد ظهر عندهم علامات نبوته وعلموا أن قوله حق، ولكنهم أرادوا بهذا الكشف والبيان ولم يريدوا به الحقيقة؛ ف {وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ} لهم موسى {أَعُوذُ بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين}، يعني أمتنع بالله. ويقال: معاذ الله أن أكون من المستهزئين.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: فلو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم بالمسألة فشدد الله عليهم بالمنع لما {قَالُواْ}: يا موسى {ادع لَنَا رَبَّكَ}، أي سل لنا ربك أن {يُبَيّن لَّنَا مَا هِيَ}، أي يبيِّن لنا كيفية البقرة، إنها صغيرة أو كبيرة. {قَالَ} لهم موسى: {إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ}، يعني لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة {عَوَانٌ بَيْنَ ذلك}، وسطاً ونصفاً بين ذلك يعني بين الصغيرة والكبيرة. وقد قيل في المثل: «العوان لا تعلَّم الخُمْرة«، يعني أن المرأة البالغة ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر.

وقوله تعالى: {فافعلوا مَا تُؤْمَرونَ} ولا تسألوا. فسألوا وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم. {قَالُواْ}: يا موسى {ادع لَنَا رَبَّكَ}، أي سل لنا ربك {يُبَيّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا}، قال لهم موسى: {إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا}، يعني شديد الصفرة.

كما يقال: أصفر فاقع إذا كان شديد الصفرة، كما يقال: أسود حالك، وأبيض يقق، وأحمر قاني، وأخضر ناصع إذا وصف بالشدة. وقال بعضهم: أراد به بقرة صفراء الظلف والقرن، أي شعرها وظلفها وقرنها وكل شيء منها أصفر. ويقال: أراد به البقرة السوداء، لأن السواد الشديد يضرب إلى الصفرة، كما قال تعالى: {كَأَنَّهُ جمالة صُفْرٌ} [المرسلات: 33]، وكما قال القائل:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ، وَتِلْكَ رِكَابِي *** هُنَّ صُفْرٌ أَوْلاَدُهَا كَالزَّبِيبِ

أراد بالصفر السود. ولكن هذا خلاف أقاويل المفسرين، وكلهم اتفقوا أن المراد به صفراء اللون، إلا قولاً روي عن الحسن البصري.

قوله عز وجل: {تَسُرُّ الناظرين}، يعني تعجب من نظر إليها لحسن لونها، فشددوا على أنفسهم و{قَالُواْ ادع لَنَا رَبَّكَ يُبَيّن لَّنَا مَا هِيَ}، يعني إنها من العوامل أو من غيرها. {إِنَّ البقر تشابه عَلَيْنَا}، أي تشاكل علينا في أسنانها وألوانها {وَإِنَّا إِن شَاء الله لَمُهْتَدُونَ}، يعني نهتدي للقاتل. ويقال: نهتدي إلى البقرة أي ندركها بمشيئة الله تعالى. وروي عن ابن عباس أنه قال: لولا أنهم استثنوا لم يدركوها. وروي عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذُوا أَدْنَى بَقَرَةٍ لأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ، وَلَوْلا أَنَّهُمْ قَالُوا {وَإِنَّا إِن شَاء الله لَمُهْتَدُونَ} مَا وَجَدُوها «

{قَالَ إِنَّهُ}، لهم موسى: إن ربكم {يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ * ذَلُولٌ}، يقول لم يذللها العمل. وقال أهل اللغة: الذلول في الدواب مثل الذليل في الناس، يقال: رجل ذليل، ودابة ذليلة بيِّنة الذل. {تُثِيرُ الارض} أي تقلبها للزراعة. ويقال للبقرة: المثيرة {وَلاَ تَسْقِى الحرث}، يعني لا يسقى عليها الحرث، أي لا يستسقى عليها الماء لتسقي الزرع، ومعناه أن هذه البقرة لم تكن تعمل شيئاً من هذه الأعمال. {مُّسَلَّمَةٌ} يقال: مهذبة سليمة من العيوب. ويقال: مسلمة من الألوان. {لاَّ شِيَةَ فِيهَا}، قال بعضهم لا عيب فيها وقال بعضهم: لا وضح فيها ولا بياض ولا سواد ولا لون سوى لون الصفرة. وقال أهل اللغة: أصله من وشى الثوب، وأصله في اللغة لا وشية فيها ولكن حذفت منها الواو للخفة مثل عدة وزنة.

فلما وصف لهم موسى ذلك، {قَالُواْ النان جِئْتَ بالحق}، يعني الآن أتممت الصفة. ويقال: الآن جئت بالصفة التي كنا نطلب. {فَذَبَحُوهَا}، يعني البقرة {وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ}، أي كادوا أن لا يذبحوها. وقد قيل: إنما أرادوا أن لا يذبحوها، لأن كل واحد منهم خشي أن يظهر القاتل من قبيلته.

وقال بعضهم: وما كادوا يفعلون لغلاء ثمن البقرة، لأنهم كانوا لا يدركون بقرة بتلك الصفة. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: لم توجد تلك البقرة إلا عند فتى من بني

إسرائيل، كان باراً بوالديه وكان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس ثلث الليل عند رأس أمه ويقول لها: إن لم تقدري على القيام فسبحي الله وهللي، وكان ورث عن أبيه بقرة فلم يجد أهل تلك القرية على تلك الصفة إلا هذه البقرة، فاشتروها بملئ مسكها دنانير. وقال بعضهم: كان رجل يبيع الجوهر، فجاءه إبليس يوماً بجراب من لؤلؤ فعرض عليه، وأراد أن يبيع منه بمائة ألف، وكان ذلك يساوي مائتي ألف. فلما أراد أن يشتري، فإذا مفتاح الصندوق كان تحت رأس أبيه وهو نائم، فذهب ليوقظه ويرفع المفتاح ويدفع الثمن، ثم قال في نفسه: كيف أوقظ أبي لأجل ربح مائة ألف ولم يحتمل قلبه فرجع، فقال: إن أبي نائم. فقال له إبليس: اذهب فأيقظه فإني أبيع منك بخمسين ألفاً فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه فرجع؛ فلا زال إبليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ أباه وترك الشراء ذلك. فجعل الله في ماله البركة حتى اشتروا بقرته بملئ مسكها ذهباً.

تفسير الآيات رقم [72- 73]

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)}

ثم قال تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادرأتم فِيهَا} أي تدافعتم، يعني ألقى بعضكم على بعض. يقال: ادارأ القوم أي تدافعوا وقال القتبي: أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال وأدخل الألف ليسلم السكون للدال، ويقال: هذا ابتداء القصة، ومعناه وإذ قتلتم نفساً فأتيتم موسى وسألتموه أن يدعو الله تعالى، فقال موسى: {إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً} إلى آخره.

{والله مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}، أي مظهر ما كنتم تكتمون من قتل عاميل. {فَقُلْنَا اضربوه بِبَعْضِهَا} أي اضربوا الميت ببعض أعضاء البقرة. قال بعضهم: بفخذها الأيمن. وقال بعضهم: بلسانها. وقال بعضهم: بعجب ذنبها وهو عظم في أصل ذنبها، ويقال عليه تركيب الخلق، فأول شيء يخلق ذلك الموضع، ثم يركب عليه سائر البدن، وهو آخر الأعضاء فساداً بعد الموت. فلما ضربوا الميت جلس وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني ابنا عمي. فأخذا وقتلا، ولم يعط لهما من ميراثه شيئاً. وقال عبيدة السلماني: لم يورث قاتل بعد صاحب البقرة.

ثم قال تعالى: {كذلك يُحْيِ الله الموتى}، كان في ذلك دليل لأولئك القوم أن البعث كائن لا محالة، لأنهم رأوا الإحياء بعد الموت معاينة؛ وكان في ذلك دليل لهذه الأمة ولمشركي العرب وغيرهم، لأن الله لما أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك، فأخبرهم فصدقوه في ذلك أهل الكتاب ولم يكونوا على دينه، فكان ذلك من أدل الدليل عليهم بالبعث. قوله تعالى: {وَيُرِيكُمْ ءاياته}، أي عجائبه مثل إحياء الموتى وغيره. {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، أي تفهمون أن الذي يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم حق.

▲ تفسير الآيات رقم [74- 75]

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)}

قوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مّن بَعْدِ ذلك}، قال الزجاج: تأويل قست في اللغة أي غلظت ويبست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع. وقوله: {مِن بَعْدِ ذلك}، قد قيل: من بعد إحياء الميت، ويحتمل بعد الآيات التي ذكرت، نحو مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وتفجير الأنهار من الحجر وغير ذلك. وقال بعض الحكماء: معنى قوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ}، أي يبست. ويبس القلب أن ييبس عن ماءين؛ أحدهما: ماء خشية الله والثاني: ماء شفقة الخلق.

ثم قال تعالى: {فَهِىَ كالحجارة}، وكل قلب لا يكون فيه خشية الله تعالى فهو كالحجارة. {أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}، قال بعضهم: بل أشد قسوة؛ مثل قوله تعالى: {وأرسلناه إلى مِأْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: 147] بمعنى بل يزيدون، وكقوله: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السماوات والارض وَمَآ أَمْرُ الساعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [النحل: 77]، أي بل هو أدنى. وقال بعضهم: معناه وأشد قسوة الألف زائدة. وقال الزجاج: أو للتخيير يعني إن شئتم شبهتم قسوتها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة فأنتم مصيبون كقوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السمآء فِيهِ ظلمات وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أصابعهم فى ءَاذَانِهِم مِّنَ الصواعق حَذَرَ الموت والله مُحِيطٌ بالكافرين} [البقرة: 19] ثم قال تعالى: {وَإِنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الانهار} فأعذر الحجارة وعاب قلوبهم، حين لم تلن بذكر الله ولا بالموعظة فقال: {وَإِنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الانهار}، يعني الحجر الذي منه العيون في الجبل. ويقال أراد به حجر موسى عليه السلام الذي كان يخرج منه العيون. {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ}، أي من الحجارة ما يتصدع {فَيَخْرُجُ مِنْهُ الماء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله}. ويقال: كل حجر يتردى من رأس الجبل إلى الأرض فهو من خشية الله. ويقال: أراد به الجبل الذي صار دكاً حين كلم الله موسى عليه السلام. ويقال: هو جميع الجبال، وما يزول الحجر من مكانه إلا من خشية الله تعالى. وقال بعضهم: هو على وجه المثال، يعني لو كان له عقل لهبط من خشية الله تعالى، وهو قول المعتزلة وهو خلاف أقاويل أهل التفسير.

قوله تعالى: {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}، قرأ ابن كثير وابن عامر {يَعْمَلُونَ} بالياء والباقون بالتاء. واختلفوا في مواضع أخرى. قرأ حمزة والكسائي في كل موضع {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} بالياء. وفي كل موضع {وَلِلَّهِ غَيْبُ السماوات والارض وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُ الامر كُلُّهُ فاعبده وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: 123] بالتاء. واختلفت الروايات عن غيرهما.

وهذا كلام التهديد، يعني أن الله تعالى يجازيكم بما تعملون فيحذركم بذلك. ثم ذكر التعزية للنبي صلى الله عليه وسلم لكيلا يحزن على تكذيبهم إياه، وأخبره أنهم من أهل السوء الذين مضوا فقال تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ}، قال ابن عباس: يعني النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقال بعضهم: أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أفتطمعون أن يصدقوكم {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كلام الله}؟ فإن أراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فمعناه أفتطمع أن يصدقوك؟ وقد يذكر لفظ الجماعة ويراد به الواحد، كما قال في آية أخرى {فَمَآ ءامَنَ لموسى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ على خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الارض وَإِنَّهُ لَمِنَ المسرفين} [يونس: 83]، وقال تعالى: {إِنَّ قارون كَانَ مِن قَوْمِ موسى فبغى عَلَيْهِمْ وَءاتَيْنَاهُ مِنَ الكنوز مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بالعصبة أُوْلِى القوة إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين} [القصص: 76]، وقال تعالى: {فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فاعلموا أَنَّمَآ أُنزِلِ بِعِلْمِ الله وَأَن لاَّ إله إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ} [هود: 14]، أراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كذلك هاهنا. ثم قال: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كلام الله}، قال في رواية الكلبي: يعني السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام إلى طور سيناء فسمعوا هناك كلام الله تعالى، فلما رجعوا قال سفهاؤهم: إن الله أمر بكذا بخلاف ما أمرهم، فذلك قوله تعالى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كلام الله ثُمَّ يُحَرّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، أي غيروه من بعد ما حفظوه وفهموه. وقال بعضهم: إنما أراد به الذين يغيرون التوراة. وقال بعضهم: يغيرون تأويله وهم يعلمون.

▲ تفسير الآيات رقم [76- 78]

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)}

قوله عز وجل: {وَإِذَا لَقُواْ الذين ءامَنُواْ}، يعني المنافقين منهم {قَالُواْ} للمؤمنين {مِنَ}، أي أقررنا بالذي أقررتم به. وهم منافقو أهل الكتاب. {وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ}، يعني إذا رجعوا إلى رؤسائهم، {قَالُواْ} لبعضهم: {أَتُحَدّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ}، أي أتخبرونهم بأن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في كتابكم فيكون ذلك حجة عليكم؟ {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن ذلك حجة لهم عليكم؟ {لِيُحَاجُّوكُم بِهِ}، أي ليخاصموكم {عِندَ رَبّكُمْ} باعترافكم أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي لا تتبعوه {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}؟ أي أفليس لكم ذهن الإنسانية؟ لا ينبغي لكم هذا فيما بينكم. {أَوْ لاَ ***يَعْلَمُونَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

وَمَا يُعْلِنُونَ}. قال بعضهم: ما يسرون فيما بينهم وما يعلنون مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكتاب}، أي من أهل الكتاب وهم السفلة أميون لا يقرؤون الكتاب، لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته. وقال الزجاج: الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلة الأمة، يعني هو على الخلقة التي خلق عليها لأن الإنسان في الأصل لا يعلم شيئاً ما لم يتعلَّم. {إلاَّ أَمَانِيَّ}، قال بعضهم: إلا التلاوة، وهذا كما قال في آية أخرى {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تمنى أَلْقَى الشيطان فى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ الله مَا يُلْقِى الشيطان ثُمَّ يُحْكِمُ الله ءاياته والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج: 52]، أي في تلاوته. يقول: إن السفلة منهم كانوا لا يعرفون من التوراة شيئاً سوى تلاوته. وقال بعضهم: إلا أماني: إلا أباطيل. وروي عن عثمان بن عفان أنه قال: منذ أسلمت ما تغنيت ولا تمنيت، أي ما تكلمت بالباطل. وروي في الخبر أن الإنسان إذا ركب دابته ولم يذكر الله تعالى، صكّه الشيطان في قفاه ويقول له: تغنَّ فإن لم يحسن الغناء، يقول له: تمنَّ أي تكلم بالباطل. {وَإِنْ هُمْ}، أي وما هم {إِلاَّ يَظُنُّونَ}، لأنه قد ظهر لهم الكذب من رؤسائهم فكانوا يشكون في أحاديثهم وكانوا يظنون من غير يقين. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والظن فإنه من أكذب الحديث»

▲ تفسير الآية رقم [79]

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)}

{فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ} الويل: الشدة من العذاب. ويقال: الويل كلمة تستعمل عند الشدة ويقال: يا ويلاه. ويقال: الويل واد في جهنم. قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر أنه قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا وكيع بن سفيان، عن زياد، عن أبي عياض قال: الويل واد في أصل جهنم يسيل فيه صديدهم. وإنما صار رفعاً بالابتداء. وقال الزجاج: ولو كان هذا في غير القرآن لجاز (فويلاً) على معنى: جعل الله ويلاً للذين يكتبون الكتاب، إلا أنه لم يقرأ. وذلك أن رؤساء اليهود محوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ثم كتبوا غير نعته، {ثُمَّ يَقُولُونَ} للسفلة {هذا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً}، أي عرضاً يسيراً من مال الدنيا. وروي عن إبراهيم النخعي أنه كره أن يكتب المصحف بالأجر، وتأول هذه الآية {فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ}. إلى قوله: {لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} وغيره من العلماء أباحه. ثم قال: {فَوَيْلٌ لَّهُمْ مّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ}، أي مما يصيبهم من العذاب {وَوَيْلٌ لَّهُمْ مّمَّا يَكْسِبُونَ}، أي مما يصيبون؛ فجعل الويل لهم ثلاث مرات.

تفسير الآية رقم [80]

{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)}

{وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً}، روي عن الضحاك أنه قال: لم يكن أحد من الكفار أجرأ على الله تعالى من اليهود، حين قالوا: {وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله وَقَالَتِ النصارى المسيح ابن الله ذلك قَوْلُهُم بأفواههم يضاهئون قَوْلَ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قاتلهم الله أنى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30] وقالوا: إن الله فقير وقالوا أيضاً {لَن تَمَسَّنَا النار إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً}، أي مقدار الأيام التي عبد فيها العجل آباؤنا. وهي أربعون يوماً. وقال مجاهد: {إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً}، أي عدد أيام الدنيا وهي سبعة أيام. وهكذا روي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: وقال بعضهم كان مذهبهم مذهب جهم في أنهم لا يرون الخلود في النار.

قال الله تعالى: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ الله عَهْدًا}، قال الزجاج: معناه أعهد إليكم ألا يعذبكم إلا هذا المقدار، إن كان لكم عهد؟ {فَلَن يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ}، أي وعده. ويقال: أعقدتم عند الله عقداً؟ وهو عقد التوحيد فلن يخلف الله عهده أي وعده. وقد قيل: هل أنزل عليكم بذلك آية؟ {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ}، أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون. وروي في الخبر أنهم إذا مضت عليهم في النار تلك المدة، قالت لهم الخزنة: يا أعداء الله ذهب الأجل وبقي الأبد، فأيقنوا بالخلود.

تفسير الآيات رقم [81- 82]

{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)}

قال الله تعالى {بلى}، أي يخلد فيها {مَن كَسَبَ سَيّئَةً}، يعني الشرك {وأحاطت بِهِ خَطِيئَتُهُ}، أي مات على الشرك. وقال بعضهم: السيئة الشرك، والخطيئة الكبائر. وهو قول المعتزلة: إن أصحاب الكبائر يخلدون في النار. وقال الربيع بن خثيم: {وأحاطت بِهِ خَطِيئَتُهُ} الذين يموتون على الشرك. قرأ نافع {خطاياه} وهو جمع خطيئة. والباقون {خَطِيئَتُهُ} وهي خطيئة واحدة والمراد به الشرك. {فأولئك أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} أي دائمون لا يخرجون منها أبداً.

{والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}، معناه والذين صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، يعني أدوا الفرائض وانتهوا عن المعاصي، {أُوْلَئِكَ أصحاب الجنة هُمْ فِيهَا خالدون}، أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

تفسير الآية رقم [83]

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)}

{وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاق بَنِى إِسْرءيلَ}، أي وقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة، يعني بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: الميثاق الأول حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام. قوله: {لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ الله}، قرأ حمزة والكسائي وابن كثير {لا تَعْبُدُونَ} بالياء، وقرأ الباقون بالتاء بلفظ المخاطبة؛ فمن قرأ بالياء، معناه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا يعبدوا إلا الله؛ ومن قرأ بالتاء فمعناه: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل وقلنا لهم: لا تعبدوا إلا الله، يعني أخذنا عليهم الميثاق بأن لا يعبدوا إلا الله، يعني لا توحدوا إلا الله. {وبالوالدين إحسانا}، نصب إحساناً على معنى أحسنوا إحساناً فيكون إحساناً بدلاً من اللفظ، أي أحسنوا إلى الوالدين براً بهما وعطفاً عليهما. وفي هذه الآية بيان حرمة الوالدين، لأنه قرن حق الوالدين بعبادة نفسه. ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل إحداها بغير قرينتها. إحداها: قوله عز وجل: {وَأَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول واحذروا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّمَا على رَسُولِنَا البلاغ المبين} [المائدة: 92]، والثانية: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بوالديه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشكر لِى ولوالديك إِلَيَّ المصير} [لقمان: 14]، والثالثة: {وَأَقِيمُواْ الصلاة وَآتُواْ الزكواة واركعوا مَعَ الراكعين} [البقرة: 43 وغيرها].

وقوله تعالى: {وَذِى القربى}، يعني أحسنوا إلى ذي القربى {واليتامى}، {و} إلى {الْمَسَاكِينِ}. والإحسان إلى اليتامى والمساكين أن يحسن إليهم بالصدقة وحسن القول. {والمساكين وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا}، قرأ حمزة والكسائي بنصب الحاء والسين، وقرأ الباقون برفع الحاء وسكون السين. فمن قرأ بالنصب فمعناه: قولوا للناس حَسَناً يعني قولوا لهم قولاً صدقاً في نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته كما بيّن في كتابكم. ونظيرها في سورة طه {فَرَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غضبان أَسِفاً قَالَ ياقوم أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العهد أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى} [طه: 86]، أي وعداً صدقاً. ومن قرأ بالرفع، فمعناه قولوا لجميع الناس حَسَناً يعني: خالقوا الناس بالخُلُق الحسن، فكأنه يأمر بحسن المعاشرة وحسن الخلق مع الناس. {وَإِذْ أَخَذْنَا}، يعني أقروا بها وأدوها في مواقيتها. {وَإِذْ أَخَذْنَا}، المفروضة {ثُمَّ

تَوَلَّيْتُمْ}، يعني أعرضتم عن الإيمان والميثاق، {إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ}، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه. {وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ}، أي تاركون لما أخذ عليكم من المواثيق.

تفسير الآيات رقم [84- 86]

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم}، أي إقراركم {لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ}، أي بأن لا تسفكوا دماءكم، يعني لا يهرق بعضكم دماء بعض، {وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ}، أي لا يخرج بعضكم بعضاً {مّن دياركم}. فجملة ما أخذ عليهم من الميثاق ألا يعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ويقولوا للناس حسناً، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ولا يسفكوا دماءهم، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأن يفادوا أسراهم. فذكر المفاداة بعد هذا حيث قال تعالى: {وَإِن يَأْتُوكُمْ أسارى تفادوهم} على وجه التقديم والتأخير. {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ}، يعني بني قريظة والنضير، يعني أقررتم بهذا كله، وأنتم تشهدون أن هذا في التوارة، فنقضوا العهد فعيّرهم الله تعالى بذلك حيث قال تعالى: {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ}، يعني يا هؤلاء ويقال معناه، ثم أنتم هؤلاء يا معشر اليهود تقتلون أنفسكم أي يقتل بعضكم بعضاً، {وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مّنكُم مّن ديارهم}، أي بعضكم بعضاً، لأنه كان بين الأوس والخزرج عداوة وكان بنو النضير وقريظة: إحدى القبيلتين كانت معينة للأوس، والأخرى كانت معينة للخزرج، فإذا غلبت إحداهما على الأخرى كانت تقتلهم وتخرجهم من ديارهم. وفي الآية دليل أن الإخراج من الدار ينزل منزلة القتل، لأن الله تعالى قرن الإخراج من الديار بالقتل حيث قال تعالى: {تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مّنكُم مّن ديارهم}.

{تظاهرون علَيْهِم}، قرأ أهل الكوفة وحمزة والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد لأن أصله تتظاهرون، فأدغم إحدى التاءين في الظاء وأقيم التشديد مقامه، معناه: تتعاونون عليهم {بالإثم والعدوان}، يعني بالمعصية والظلم. قال الزجاج: العدوان هو الإفراط في الظلم. {وَإِن يَأْتُوكُمْ أسارى تفادوهم}، قرأ عاصم والكسائي ونافع {أسارى تفادوهم} كلاهما بالألف، وقرأ حمزة {أسارى تفادوهم} بغير ألف فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {أسارى تفادوهم} الأول بالألف والثاني بغير ألف. وهذا من الميثاق الذي أخذ عليهم بأن يفادوا الأسارى. {وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} هذا انصرف إلى ما سبق ذكره من الإخراج، فكأنه يقول: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم وهو

محرم عليكم إخراجهم، يعني ذلك الإخراج كان محرماً، ثم بيَّن الإخراج مرة أخرى لتراخي الكلام، فقال وهو محرم عليكم إخراجهم.

ثم قال: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، لأنهم كانوا إذا أسروا من غيرهم قتلوا الأسرى ولا يفادوهم، وإن أسر منهم أحدٌ يأخذوهم بالفداء، فهذا معنى قوله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}. {فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذلك مِنكُمْ إِلاَّ خِزْىٌ فِي الحياة الدنيا}، أي عقوبة من يفعل ذلك منكم خزي في الحياة الدنيا، وهو إخراج بني النضير إلى الشام وقتل بني قريظة، وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم.

ثم أخبر بأن الذي أصابهم في الدنيا من الخزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم ولكنهم: {وَيَوْمَ القيامة يُرَدُّونَ}، أي في الآخرة {إلى أَشَدّ العذاب}. ويقال: الخزي في الدنيا الجزية.

{وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}، أي لا يخفى على الله تعالى من أعمالهم شيء، فيجازون بأعمالهم. {أُولَئِكَ الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة}، يعني اختاروا الدنيا على الآخرة {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}، أي ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى في الآخرة.

▲ تفسير الآية رقم [87]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)}

{وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب}، أي أعطينا موسى التوراة جملة واحدة ويقال: الألواح {وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بالرسل}، أي أتبعنا وأردفنا، معناه: أرسلنا رسولاً على أثر رسول. يقال: قفوت الرجل إذا ذهبت في أثره. {وَءاتَيْنَا} أي أعطينا {عِيسَى ابن مَرْيَمَ البينات}، أي الآيات والعلامات مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، {وأيدناه بِرُوحِ القدس}. قرأ ابن كثير {القدس} بسكون الدال، وقرأ الباقون {القدس} برفع الدال؛ ومعناهما واحد، أي إغاثة بجبريل حين أرادوا قتله فرفعه إلى السماء. وقال بعضهم: أيدناه أي قويناه وأعناه باسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى.

{أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم} يقول: بما لا يوافق هواكم {استكبرتم}، تعظمتم عن الإيمان. قال الزجاج: معناه أنفتم أن تكونوا له أتباعاً. لأنهم كانت لهم رياسة وكانوا متبوعين، فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة. فقال تعالى: {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ}،

مثل عيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليهم وعلى جميع الأنبياء وسلم {وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}، مثل يحيى وزكريا عليهما السلام.

تفسير الآيات رقم [88- 90]

{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)}

{وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ}، قرأ ابن عباس {غُلُفٌ} بضم اللام وهي قراءة شاذة. والباقون بسكون اللام، أي ذو (غلْف) يعني ذو غلاف، والواحد أغلف مثل: أحمر وحمر. ومعناه: أنهم يقولون قلوبنا في غطاء من قولك ولا نفقه حديثك. وهذا كما قال في آية أخرى {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فاعمل إِنَّنَا عاملون} [فصلت: 5]. وأما من قرأ {غُلُفٌ} فهو جماعة الغلاف على ميزان حمار وحمر. يعنون أن قلوبنا أوعية لكل علم ولا نفقه حديثك، فلو كنت نبياً لفهمنا قولك. قال الله تعالى رداً لقولهم: {بَل لَّعَنَهُمُ الله بِكُفْرِهِمْ} أي خذلهم الله وطردهم مجازاة لكفرهم. {فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ}، صار نصباً لأنه قدم المفعول. وقال بعضهم: معناه لا يؤمنون إلا القليل منهم، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال بعضهم: إيمانهم بالله قليلاً، لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. وقال بعضهم: معناه أنهم لا يؤمنون، كما قال: فلان قليل الخير يعني لا خير فيه.

ثم قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كتاب مّنْ عِندِ الله} أي حين جاءهم القرآن {مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ}، أي موافقاً للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع. ويقال: مصدق لما معهم، يعني يدعوهم إلى تصديق ما معهم، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بالتوراة. {وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذين كَفَرُواْ}، أي من قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستنصرون على المشركين، لأن بني قريظة والنضير قد وجدوا نعته في كتبهم فخرجوا من الشام إلى المدينة، ونزلوا بقربها ينتظرون خروجه. وكانوا إذا قاتلوا من يلونهم من المشركين مشركي العرب يستفتحون عليهم، أي يستنصرون ويقولون: اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا وكانوا يرجون أن يكون منهم فينصروا على عدوهم، فذلك قوله تعالى: {وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذين كَفَرُواْ}، أي باسم النبي صلى الله عليه وسلم {فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ}، أي محمد صلى الله عليه وسلم وعرفوه {كَفَرُواْ بِهِ} وغيّروا نعته مخافة أن تزول عنهم منفعة الدنيا.

كما قال تعالى: {فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكافرين}، أي سخط الله وعذابه على الجاحدين محمداً صلى الله عليه وسلم {بِئْسَمَا اشتروا بِهِ أَنفُسَهُمْ}. قال الكلبي: بئسما باعوا به أنفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: بئسما صنعوا بأنفسهم حيث كفروا بما أنزل الله عليهم، بعد ما كانوا خرجوا من الشام على أن ينصروا محمداً صلى الله عليه وسلم. ويقال: بئس ما صنعوا بأنفسهم حسداً منهم، فذلك قوله تعالى: {أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنزَلَ الله بَغْيًا}، أي حسداً منهم.

ومعنى قوله: {أَن يُنَزّلُ الله}، أي كفروا مما ينزل الله. {مِن فَضْلِهِ على مَن يَشَاء}، أي لم يؤمنوا لأجل أن الله تعالى ينزل من فضله النبوة والكتاب على من يشاء {مِنْ عِبَادِهِ}، من كان أهلاً لذلك وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {أَن يُنَزّلُ الله} بالتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي وعصام وابن عامر بالتشديد {أَن يُنَزّلِ}؛ ونزل ينزل بمعنى واحد {فَبَاءو بِغَضَبٍ على غَضَبٍ} أي استوجبوا اللعنة على أثر اللعنة. قال مقاتل: الغضب الأول حين كفروا بعيسى صلى الله عليه وسلم، ثم استوجبوا الغضب الآخر حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: الغضب الأول حين عبدوا العجل، والغضب الثاني حين استحلوا السمك في يوم السبت.

قوله تعالى: {وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} أي يهانون فيه.

تفسير الآية رقم [91]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)}

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ}، أيّ صدِّقوا بالقرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهم يهود أهل المدينة ومن حولها. {قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} في التوراة وبموسى عليه السلام {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءهُ}، يعني بما سواه وهو القرآن. {وَهُوَ الحق مُصَدّقًا لّمَا مَعَهُمْ}، أي القرآن هو الصدق، وهو منزل من الله تعالى موافق لما معهم، يعني أنهم إذا جحدوا بالقرآن صار جحوداً لما معهم، لأنهم جحدوا بما هو مصدق لما معهم فقالوا له: إنك لم تأتنا بمثل الذي أتانا به أنبياؤنا، ولم يكن لنا نبي إلا كان يأتينا بقربان تأكله النار.

قال الله تعالى: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء الله مِن قَبْلُ} وقد جاؤوا بالقربان والبينات أي بالعلامات {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، أي إن كنتم مصدقين بالأنبياء. فهذا اللفظ للمستأنف وهو قوله {فَلِمَ تَقْتُلُونَ}، ولكن المراد منه الماضي وإنما خاطبهم وأراد به آباءهم. وفي الآية دليل أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها، لأنهم كانوا راضين بقتل آباءهم الأنبياء، فسماهم الله تعالى قاتلين. وفي الآية دليل أن من ادعى أنه مؤمن، ينبغي أن تكون أفعاله

مصدقة لقوله، لأنهم كانوا يدعون أنهم مؤمنون بما معهم. قال الله تعالى: {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء الله}، يعني أي كتاب يجوّز قتل نبي من الأنبياء عليهم السلام وأي دين وإيمان جوَّز فيه ذلك يعني قتل الأنبياء.

▲ تفسير الآية رقم [92]

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءكُم موسى بالبينات}، أي بالآيات والعلامات. ويقال: بالحلال والحرام والحدود والفرائض. {ثُمَّ اتخذتم العجل مِن بَعْدِهِ}، أي عبدتم العجل {مِن بَعْدِهِ}، يعني بعد انطلاق موسى إلى الجبل. {وَأَنْتُمْ ظالمون}، أي كافرون بعبادتكم العجل.

▲ تفسير الآية رقم [93]

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)}

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور خُذُواْ مَا ءاتيناكم بِقُوَّةٍ}، أي بجد ومواظبة في طاعة الله تعالى {واسمعوا}، أي قيل لهم اسمعوا، {قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}. قال في رواية الكلبي: قالوا: سمعنا قولك وعصينا أمرك، ولولا مخافة الجبل ما قبلنا. ويقال: إنهم يقولون في الظاهر: سمعنا، ويضمرون في أنفسهم: وعصينا أمرك. {وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ العجل بِكُفْرِهِمْ}، أي جعل حلاوة عبادة العجل في قلوبهم مجازاة لكفرهم. ويقال: حب عبادة العجل فحذف الحب، وأقيم العجل مقامه؛ ومثل هذا يجري في كلام العرب. كما قال في آية أخرى: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82]، أي أهل القرية، ثم قال تعالى: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانكم}، أي بئس الإيمان الذي يأمركم بالكفر. وقال مقاتل: معناه إن كان حب عبادة العجل في قلوبكم يعدل حب عبادة خالقكم، فبئس ما يأمركم به إيمانكم {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} كما تزعمون.

▲ تفسير الآيات رقم [94- 96]

{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)}

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِنْدَ الله خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ} أي الجنة. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: إن الجنة لنا خاصة من دون سائر الناس. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم: إن كان الأمر كما يقولون إن الجنة لكم خالصة خاصة. {فَتَمَنَّوُاْ الموت}، أي سلوا الله الموت {إِن كُنتُمْ صادقين} أن الجنة لكم. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: " قُولُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ: اللَّهُمَّ أَمِتْنَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلاَّ غَصَّ بِرِيقِهِ "، يعني يموت مكانه. فأبوا أن يقولوا ذلك، فنزل قوله تعالى: {وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني بما عملوا من المعاصي. قال الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة رسالته صلى الله عليه وسلم، لأنه قال لهم: فتمنوا الموت، وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً فلم يتمنه واحد منهم. وفي هذه الآية دليل أن «لن» لا تدل على التأبيد، لأنهم يتمنون الموت في الآخرة خلافاً لقول المعتزلة في قولهم: لن تراني ويقال: إن قوله (لن) إنما يقع على الحياة الدنيا خاصة، ولم يقع على الآخرة لأنهم يتمنون الموت في النار إذا كانوا في جهنم، ولو أنهم سألوا الموت في الدنيا ولم يموتوا، وكان في ذلك تكذيباً لقول النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في ذلك أيضاً ذهاب معجزته. فلما لم يتمنوا الموت، ثبت بذلك عندهم أنه رسول الله وظهر عندهم معجزته، وظهر أن الأمر كما قال تعالى: {والله عَلِيمٌ بالظالمين}، فهو عليم بهم وبغيرهم من الظالمين؛ وإنما الفائدة هاهنا أنه عليم بمجازاتهم.

ثم قال عز وجل: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ الناس على حياة}، يعني أن اليهود أحرص الناس على البقاء. {وَمِنَ الذين أَشْرَكُواْ}، يعني أحرص من الذين أشركوا. قال الكلبي: الذين أشركوا يعني المجوس. وقال مقاتل: أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا يعني مشركي العرب. فإن قيل: كيف يصح تفسير الكلبي والمجوس لا يسمون مشركين؟ قيل له: المجوس مشركون في الحقيقة، لأنهم قالوا بإلهين اثنين: النور والظلمة.

قوله تعالى: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ}، يعني المجوس يقولون لملوكهم في تحيتهم: عش عشرة آلاف سنة وكل ألف نيروز. وقال مقاتل: يود أحدهم يعني اليهود {لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ}، ثم قال: {وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العذاب أَن يُعَمَّرَ}، يعني طول حياته لا يبعده ولا يمنعه من العذاب وإن عاش ألف كما تمنى. {والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} أي عالم بمجازاتهم بأعمالهم.

▲ تفسير الآيات رقم [97- 98]

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)}

{قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ} وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لليهود: ما لكم لا تؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لأن جبريل هو الذي ينزل عليه بالوحي، فلو نزل عليه ميكائيل بالوحي لآمنا به، لأن ميكائيل ملك الرحمة وجبريل ملك العذاب. وهو عدونا فأطلع محمداً على سرنا، فنزلت هذه الآية. ويقال: إنهم يقولون: إن النبوة كانت فينا، فجبريل صرف النبوة عنا إلى غيرنا لعداوته معنا فنزلت هذه الآية {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ}. قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناه: قل من كان عدواً لجبريل ويبغضه جبريل هو الذي {نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ}، ينزل بالقرآن فيقرأه عليك فتحفظه في قلبك {بِإِذْنِ الله مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} من التوراة. ويقال: هذا على وجه الترغيم، فكأنه يقول: قل من كان عدواً لجبريل، فإن جبريل هو الذي ينزل عليك رغماً لهم بهذا القرآن عليك، ليثبت به فؤادك. {وهدى} وهذا القرآن هدى من الضلالة {وبشرى لِلْمُؤْمِنِينَ}. أي لمن آمن به من المؤمنين {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ}، معناه من كان عدواً لجبريل فإنه عدو الله {وَمَلَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وميكال فَإِنَّ الله عَدُوٌّ للكافرين}، يعني اليهود.

ويقال: إن عبد الله بن صوريا هو الذي قال لعمر: إن جبريل عدونا لأنه ينزل بالشدة والخوف، وميكائيل ينزل بالرخاء، فنزلت هذه الآية {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ}. قرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية أبي بكر جَبْرَئِيلَ بفتح الجيم والراء والهمزة، وميكائيل. بالياء مع الهمزة. وقرأ نافع {جِبرِيل} بكسر الجيم والراء بغير همزة {ومِكَالَ} بالهمزة بغير ياء. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص بغير همزة بكسر الجيم والراء وميكال بغير همز وياء. وقرأ ابن كثير جبريل بنصب الجيم بغير همزة وميكايل بهمز مع الياء. وقرأ ابن عامر جبريل بكسر الجيم مثل قراءة نافع وميكائيل بالياء مع المد والهمز مثل حمزة وإنما لا ينصرف لأنه اسم أعجمي، فوقع ذلك في لسان العرب واختلفوا فيه لاختلاف ألفاظهم ولغاتهم. ويقال: إن جبريل وميكائيل معناه عبد الله وعبد الرحمن أي بلغتهم سوى العربية.

▲ تفسير الآية رقم [99]

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99)}

ثم قال عز وجل: {للكافرين وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءايات بينات} أي واضحات. ويقال: مبينات للحلال والحرام. {وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الفاسقون}، يعني وما يجحد بالآيات إلاَّ الكَافِرُونَ والْفَاسِقُونَ واليهود ومشركو العرب.

▲ تفسير الآيات رقم [100- 101]

{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)}

{أَوْ كُلَّمَا عاهدوا عَهْدًا}، وهو العهد الذي بُيِّن لهم في التوراة ويوم الميثاق {نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مّنْهُم}، أي تركه ولم يعمل به فريق منهم، أي طائفة منهم. {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} وقد ذكرناه. {وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مّنْ عِندِ الله}، أي محمد صلى الله عليه وسلم {مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ}، أي يدعوهم إلى تصديق ما معهم، {نَبَذَ فَرِيقٌ}، أي طرح فريق {مّنَ الذين أُوتُواْ الكتاب كتاب الله وَرَاء ظُهُورِهِمْ} ولم يؤمنوا به، {كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} في كتابهم بأن محمداً رسول الله.

تفسير الآية رقم [102]

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)}

{اتبعوا مَا تَتْلُو الشياطين}، أي ما كتبت الشياطين ويقال: ما ألقت الشياطين ويقال: ما افتعلته الشياطين {على مُلْكِ سليمان}، أي على عهد ملك سليمان. ويقال: على بمعنى في، أي في ملك سليمان. ويقال: في وقت ذهاب ملك سليمان. ويقال: هذا منسوق على الأول، فكأنّه قال: نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين، أي تركوا سنة أنبياء الله واتبعوا السحر. ويقال: تركوا شيئين واتبعوا شيئين: تركوا اتباع الكتب واتباع الرسل والعمل بذلك، واتبعوا ما تتلو الشياطين أي ترويه الشياطين {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الملكين بِبَابِلَ هاروت وماروت}.

واختلفوا في سبب ذلك، فقال بعضهم إن سليمان عليه السلام أمر بأن لا يتزوج المرأة من غير بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل يقال لها: ضبنة بنت صابورا، فعاقبه الله تعالى بأن أجلس مكانه شيطاناً؛ وكان الناس يظنون أنه سليمان وأشكل عليهم أمره، فجاؤوا إلى آصف بن برخيا، وكان معلم سليمان بن داود في حال صغره وكان وزيره في حال كبره وملكه فقالوا له: إن قضاياه لا تشبه قضايا سليمان. فقام آصف ودخل على نساء سليمان فسألهن عن ذلك فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكتم والله ما يعتزل منا حائضاً، وما يغتسل من جنابة. هكذا ذكر في رواية الكلبي.

وقال بعضهم: هذا خطأ لأن نساء الأنبياء معافيات معصومات عن الفواحش، فلا يجوز أن يظن بهن أن الشيطان يقربهن. وقال بعضهم: كان هذا على وجه الخيال لا على وجه الحقيقة، لأن الشيطان روحاني وليس له جسم، فلا يجوز أن تقع بينه وبين آدمي شهوة ولكن كان يريهن ذلك على وجه الخيال. فلما عرف الشيطان أن الناس علموا بحاله، كتب سحراً كثيراً وجعله تحت كرسيه وألقى خاتم سليمان في البحر وهرب. وكان سليمان عليه السلام خرج إلى ساحل البحر وأجَّر نفسه للملاحين كل يوم بسمكتين، فلما أعطوه أجره، باع إحداهما واشترى به الخبز وشق بطن الأخرى، فوجد الخاتم في بطنها فرجع إلى ملكه؛ فلما توفي سليمان جاء الشيطان على صورة آدمي وقال: إن أردتم أن تعلموا علم سليمان بن داود عليهما السلام فانظروا تحت كرسيه. فنظروا وحفروا ذلك الموضع وأخرجوا كتباً كثيرة فوجدوا فيها السحر والكفر، فقال العلماء منهم: لا يجوز أن يكون هذا من علم سليمان، وقال السفهاء منهم: بل هذا من علم سليمان واتبعوه، فنزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء عذراً لسليمان عليه السلام.

ثم قال تعالى: {واتبعوا مَا تَتْلُواْ الشياطين على مُلْكِ سليمان وَمَا كَفَرَ سليمان}، أي ما كان ساحراً.

وفي الآية دليل أن الساحر كافر لأنه سمى السحر كفراً. وروي عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى جزء بن معاوية وهو عم الأحنف بن قيس، أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. ثم قال تعالى: {ولكن الشياطين كَفَرُواْ}، أي هم الذين كتبوا السحر. قرأ حمزة والكسائي {ولكن الشياطين} بكسر النون من غير تشديد ورفع الشياطينُ، وقرأ الباقون بتشديد النون مع النصب وبفتح النون في {الشياطين}. وهذا هو الأصل في اللغة، أن كلمتي إن ولكن إذا كانا مشددين ينصب ما بعدهما، وإن لم يكونا مشددين يرفع ما بعدهما.

وقال بعضهم لنزول هذه الآية سبب آخر، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويعلمون الناس السحر والنيرنجات، فكان سليمان يأخذ ذلك منهم ويدفنه تحت الأرض، فلما مات سليمان قالت الشياطين للناس: إن علم سليمان مدفون في موضع كذا وكذا، فحفروا ذلك الموضع وأخرجوا منه كتباً كثيرة. وقال بعضهم: معناه أن سليمان كان إذا أصبح كل يوم، رأى نباتاً بين يديه فيقول له: لأي دواء أنت؟ فيقول: إني دواء لكذا وكذا، وإن اسمي كذا كذا. فكان سليمان يكتب ذلك ويدفنه، فنبت يوماً من الأيام نبات بين يديه فقال له سليمان: ما اسمك؟ فقال: خرنوب. فقال له: لأي دواء أنت؟ فقال: إني لخراب المسجد. فعلم سليمان أنه قد جاء أجله، لأنه علم أن المسجد لا يخرب في حياته، وكان له صحيفة فيها يكتب أسماء الأدوية ويضعها في الخزانة، فكتبت الشياطين سحراً ووضعوه في ذلك الموضع، فلما مات سليمان وجدوا ذلك في كتبه فاتبعه بعض الناس فذلك قوله: {وَمَا كَفَرَ سليمان ولكن الشياطين كَفَرُواْ يُعَلّمُونَ الناس السحر}.

ثم قال: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الملكين}، أي واتبعوا الذي أنزل على الملكين {بِبَابِلَ هاروت وماروت}. وقال القاضي الخليل بن أحمد قال: حدثنا الماسرجي فقال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا حكام بن سلم الرازي قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الملكين}. قال: إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك، واتخذوا هذه الأصنام، وعبدوا غير الله تعالى، فجعلت الملائكة يدعون عليهم ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسنت خلقهم، ورزقتهم فأحسنت رزقهم، فعصوك وعبدوا غيرك. فقال لهم الرب عز وجل: إنهم في عذر، وقيل: في عيب فجعلوا لا يعذرونهم ولا يقبلون ويدعون عليهم. فقال لهم الرب: اختاروا منكم اثنين. فأهبطهما إلى الأرض فآمرهما وأنهاهما، فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطهما الله تعالى إلى الأرض فأمرهما ونهاهما عن الزنى وقتل النفس وشرب الخمر، فمكثا زماناً في الأرض يحكمان بالحق. وكان في ذلك الزمان امرأة فضِّلت بالحسن على سائر النساء، فأتيا عليها فخضعا لها بالقول وراوداها عن نفسها فقالت: لا حتى تصليا لهذا الصنم، أو تقتلا هذه النفس، أو تشربا هذه الخمر.

فقالا: أهون الثلاثة شرب الخمر. فلما شربا الخمر سجدا للصنم وفعلا بالمرأة وقتلا النفس، فكشف الغطاء فيما بينهما وبين الملائكة، فنظروا إليهما وما يفعلان، فجعلت الملائكة يعذرون بني آدم أهل الأرض ويستغفرون لمن فيها فقيل لهاروت وماروت: اختارا إما عذاب الدنيا وإما عذاب الآخرة. فقالا: عذاب الدنيا يذهب وينقطع وعذاب الآخرة لا انقطاع له ثم اختاروا عذاب الدنيا. فهما يعذبان إلى يوم القيامة.

وروي في الخبر أن المرأة تعلمت منهما اسم الله الأعظم، فصعدت به إلى السماء فمسخها الله تعالى كوكباً. ويقال: هو الكوكب الذي يقال له الزهرة. وروي عن ابن عمر أنه كان إذا نظر إلى الزهرة لعنها ويقول: هي التي فتنت هاروت وماروت. وروي عن علي رضي الله عنه هذا. وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن هذا الكوكب قد كان خلقه في الأصل حين خلق النجوم، وجعل مقادير الأشياء على سبع من الكواكب، وجعل لكل كوكب سلطاناً، وجعل سلطان الزهرة الرطوبة. وقال بعضهم: إن كوكب الزهرة قد كان، ولكن الله تعالى مسخ هذه المرأة على شبه الكوكب فهي تعذب هناك. وقال بعضهم: قد صارت إلى النار، كما أن سائر الأشياء التي مسخت لم يبق منها أثر فذلك قوله تعالى: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الملكين}، يعني اليهود اتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.

{وَمَا يُعَلّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى}، قال بعضهم: هذا الحرف أعني {مَا} للنفي، فكأنه يقول: ولم ينزل على الملكين السحر. وقال بعضهم: إن إبليس لعنه الله قد جاء بالسحر ووضعه عند أقدامهما، وهما معلقان بالسلة فتذهب اليهود تتعلم السحر من تلك الكتب والملكين. {يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ}، أي فلا تتعلم السحر، لأنه لا يجوز للملكين أن يعلِّما الكفر. وقال بعضهم: ويبينان أن عمل السحر كفر، وينهيان عن التعلم ويبيِّنان كيفية السحر وهو بمنزلة رجل قال لآخر: علِّمني ما الزنى أو علمني ما السرقة فيقول: إن

الزنى كذا وكذا، وهو حرام فلا تفعل وإن السرقة كذا وكذا هي حرام فلا تفعل. كذلك هاهنا الملكان يقولان: السحر كذا وكذا، وهو كفر فلا تكفر. وقرأ بعضهم {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الملكين} بكسر اللام وهي قراءة شاذة، يعني كانا ملكين في بني إسرائيل فمسخهما الله تعالى. وقوله: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} أي اختبار وابتلاء. وأصل الفتنة الاختبار.

قوله: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا} أي من الملكين: {مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المرء وَزَوْجِهِ}، أي فيتعلمون منهما من السحر ما يفرقون به بين الرجل وزوجته، يؤخذ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على الجماع.

ثم قال تعالى: {وَمَا هُم بِضَارّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}، أي بإرادة الله تعالى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ}، أي ما يضر في الدنيا ولا ينفعهم في الآخرة، يعني السحر. {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشتراه مَا لَهُ فِى الاخرة مِنْ خلاق}، يعني اليهود علموا في التوراة أن من اختار السحر ما له في الآخرة من خلاق يعني نصيب. والخلاق في اللغة: هو النصيب الوافر. {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}، أي باعوا به، يعني بئسما باعوا به أنفهسم. ويقال: بئس ما اختاروا لأنفسهم السحر على كتاب الله تعالى وسنن أنبيائه لو كانوا يعلمون، ولكنهم لا يعلمون. فإن قيل: ذكر في الآية الأولى: {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشتراه} وفي هذه الآية يقول: {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} فمرة يقول: يعلمون، ومرة يقول: لا يعلمون. فالجواب أن يقال: إنهم يعلمون ولكن لا منفعة لهم في علمهم، وكل عالم لا يعمل بعلمه فليس بعالم، لأنه يتعلم العلم لكي ينتفع به، فإذا لم ينتفع به فكأنه لم يتعلم، فكذلك ها هنا {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}، لو كانوا يعرفون للعلم حقه.

تفسير الآيات رقم [103- 104]

{وَلَوْ أَنَّهُمْ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)}

{وَلَوْ أَنَّهُمْ ءامَنُواْ واتقوا}، يعني اليهود لو صدقوا بثواب الله واتقوا السحر، {لَمَثُوبَةٌ مّنْ عِندِ الله خَيْرٌ} يعني كان ثواب الله تعالى خيراً لهم من السحر والمثوبة والثواب بمعنى واحد وهو الجزاء على العمل وكذلك الأجر {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}.

{ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ}، فهذا نداء المدح، يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ}. صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد، {لاَ تَقُولُواْ راعنا}. وذلك أن المسلمين كانوا يأتون رسول الله عليه السلام ويقولون: يا رسول الله راعنا، وهو بلغة العرب: أرعني سمعك. وأصله في اللغة: راعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله. وكان هذا اللفظ بلغة اليهود سباً بالرعونة، فلما سمعت اليهود ذلك من المسلمين، أعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم: كنا نسب محمد سراً فالآن نسبه علانية، فكانوا يأتونه ويقولون له: راعنا يا محمد، ويريدون به السب.

وقال بعضهم: كان في لغتهم معناه اسمع لا سمعت، فنزلت هذه الآية {يَعْلَمُونَ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ راعنا}. نهى المسلمين أن لا يقولوا بهذا اللفظ، وأمرهم أن يقولوا بلفظ أحسن منه. قال الله تعالى: {وَقُولُواْ انظرنا واسمعوا} ما تؤمرون به. ثم ذكر الوعيد للكفار فقال تعالى: {وللكافرين عَذَابٌ أَلِيمٌ}، يعني اليهود. وقرأ الحسن {راعنا} بالتنوين. وقال القتبي: من قرأ {راعنا} بالتنوين جعله اسماً منه، مثاله: أن تقول: لا تقولوا حمقاً.

تفسير الآية رقم [105]

{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)}

قوله تعالى: {مَّا يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب}، يعني يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران. {وَلاَ المشركين}، يعني مشركي العرب {أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مّنْ خَيْرٍ مّن رَّبّكُمْ}، يعني أن ينزل على رسولكم من الوحي وشرائع الإسلام لأنهم كانوا كفاراً، فيحبون أن يكون الناس كلهم كفاراً مثلهم. وهذا كما قال في آية أخرى {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حتى يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ واقتلوهم حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} [النساء: 89]. فأخبر الله تعالى أن الأمر ليس على مرادهم حيث قال {والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء}، أي يختار للنبوة من يشاء، من كان أهلاً لذلك ويكرم بدينه الإسلام من يشاء، {والله ذُو الفضل العظيم}، أي ذو المن العظيم لمن اختصه بالنبوة والإسلام. وقال مقاتل: كان قوم من الأنصار يدعون حلفاءهم ومواليهم من اليهود إلى الإسلام. فقالوا للمسلمين: إن الذين تدعوننا إليه هو خير مما نحن فيه وعليه، ووددنا لو أنكم على هذا، فنزل قوله {والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء} أي بدينه الإسلام من يشاء. ونظيرهما في سورة هل أتى {وَلَوْ شَآءَ الله لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحدة ولكن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ والظالمون مَا لَهُمْ مِّن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [الشورى: 8]، أي في دين الإسلام.

تفسير الآية رقم [106]

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)}

ثم قال تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءايَةٍ أَوْ نُنسِهَا}، قرأ ابن عامر {مَا نَنسَخْ} برفع النون وكسر السين، وقرأ الباقون {مَا نَنسَخْ} بالنصب ومعناهما واحد. وقرأ أبو عمرو وابن كثير {أَوْ} بنصب النون والسين والهمزة، وقرأ الباقون {ءايَةٍ أَوْ نُنسِهَا} برفع النون وكسر السين بغير همز. فمن قرأ {نَنْسَأْهَا} أي نؤخرها، ومنه النسيئة في البيع وهو التأخير. ومن قرأ {أَوْ نُنسِهَا} أي نتركها مثل قوله تعالى: {المنافقون والمنافقات بَعْضُهُمْ

مِّن بَعْض يَأْمُرُونَ بالمنكر وَيَنْهَوْنَ عَنِ المعروف وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المنافقين هُمُ الفاسقون} [التوبة: 67] أي تركهم في النار، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح في قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءايَةٍ أَوْ نُنسِهَا} ما ننسخ من آية فلا نعمل بها {أَوْ نُنسِهَا} ندعها غير منسوخة والنسخ رفع الشيء وإقامة غيره مقامه، وفي الشرع رفع كل حكم قبل فعله أو بعده إذا كان مؤقتاً. ثم قال تعالى {نَأْتِ بِخَيْرٍ مّنْهَا}، يعني أهون وألين منها على الناس {أَوْ مِثْلِهَا} في المنفعة.

وقال الزجاج: النسخ في اللغة، هو إبطال شيء وإقامة شيء آخر مقامه، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل إذا أزالته. {أَوْ نُنسِهَا} أي نتركها، معناه أي نأمركم بتركها. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: النسخ له ثلاثة مواضع ولكل منها شواهد ودلائل، فأحدها: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءايَةٍ} أي نبدلها ونوضحها، وما روي عن مجاهد أنه قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها. فهذا هو المعروف عند الناس. الثاني: أن ترفع الآية المنسوخة بعد نزولها ولهذا دلائل جاءت فيه، من ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى ذات يوم صلاة الغداة، فترك آية، فلما فرغ من صلاته قال: {هَلْ فِيكُمْ أُبَيٌّ}؟ قالوا: نعم. (قال: هَلْ تَرَكْتُ مِنْ آيَة؟ قالوا: نعم] تركت آية كذا، أنسخت أم نسيت قال: «لا، ولكن نَسِيتُ» وجاءت الآثار في نحو هذا، لأن الآية قد تنسخ بعد نزولها وترفع. والنسخ الثالث: تحويله من كتاب إلى كتاب، وهو ما نسخ من أم الكتاب، فأنزل على محمد صلى الله عليه وسلم {أَوْ} أي نتركها في اللوح المحفوظ.

وقال بعضهم: لا يجوز النسخ فيما يرفع كله بعد نزوله، لأن الله تعالى قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لحافظون} [الحجر: 9] وقال: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ} [القيامة: 17] ولكن أكثر أهل العلم قالوا: يجوز ذلك. والنسخ يجوز في الأمر والنهي والوعد والوعيد ولا يجوز في القصص والأخبار، لأنه لو جاز ذلك يكون كذباً، والكذب في القرآن لا يجوز. ثم قال تعالى: {مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ} من الناسخ والمنسوخ.

تفسير الآية رقم [107]

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)}

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله لَهُ مُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} يحكم فيهما ما يشاء بأمره ثم يأمر بغيره. قال الزجاج: الملك في اللغة: هو تمام القدرة، وأصل هذا من قولهم: ملكت العجين إذا بالغت في عجنه. ومعنى الآية إن الله يملك السموات والأرض وما فيهما، فهو أعلم لما يصلحهم فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك. وكان اليهود أعداء الله ينكرون النسخ، وكانوا يقولون حين تحولت القبلة إلى الكعبة: لو كنتم على الحق فلم

رجعتم؟ ولو كان هذا الثاني حقاً، فقد كنتم على الباطل، وكانوا لا يرون النسخ في الشرائع، لأن ذلك حال البداء والندامة. ولا يجوز ذلك على الله. ولكن الجواب أن يقال: إن الله تعالى يدبر في أمره ما يشاء، كما أنه خلق الخلق ولم يكونوا، ثم يميتهم بعد ذلك ثم يحييهم؛ كذلك يجوز أن يأمر بأمر ثم يأمر بغير ذلك الأمر كما أن شريعة موسى عليه السلام لم تكن من قبل، فأمره بذلك. والمعنى في ذلك: أنه حين أمرهم بالأمر الأول كان الصلاح في ذلك الوقت في هذا الأمر ثم إذا أمر بأمر آخر كان الصلاح في ذلك الوقت في الأمر الثاني، وهذا المعنى قوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السموات والارض}، يعني هو أعلم بأمر الخلق، وبما يصلحهم في كل وقت. ثم بين الوعيد لمن لم يؤمن بالناسخ والمنسوخ فقال: {وَمَا لَكُم مّن دُونِ الله مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ}، أي من قريب ينفعكم ولا نصير، أي ولا مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى.

تفسير الآية رقم [108]

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108)}

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ}، قال مقاتل: معناه أتريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل؟ أي كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام حيث قالوا: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتاب أَن تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ كتابا مّنَ السماء فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك فقالوا أَرِنَا الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتخذوا العجل مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ البينات فَعَفَوْنَا عَن ذلك وَءاتَيْنَا موسى سلطانا مُّبِيناً} [النساء: 153]. ويقال: إن اليهود سألوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يطلبوا القربان كما كان لموسى، عليه السلام. وروي عن الضحاك أنه قال: دخل جماعة من كفار قريش فيهم أبو جهل وغيره، فقالوا لرسول الله: إن كنت نبياً فاكشف عنا الغطاء، حتى نرى الله جهرة، فنزلت الآية {أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْئَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ موسى مِن قَبْلُ} حيث قالوا: {أَرِنَا الله جَهْرَةً} ثم قال: {وَمَن يَتَبَدَّلِ الكفر بالإيمان}، أي يختار الكفر على الإيمان، {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السبيل}، أي أخطأ قصد السبيل وهو طريق الهدى.

تفسير الآية رقم [109]

{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)}

قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب}؛ وذلك أن المسلمين لما أصابتهم المحنة يوم أحد، قالت اليهود لعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان: قد أصابكم ما أصابكم فارجعوا إلى ديننا

فهو خير لكم، فنزلت هذه الآية {وَدَّ كَثِيرٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب} أي يريد ويتمنى كثير من أهل الكتاب {لَوْ يَرُدُّونَكُم}، أي يصدونكم ويردونكم عن التوحيد {مِن بَعْدِ إيمانكم كُفَّارًا} إلى الكفر.

ثم أخبر أن هذا القول لم يكن منهم على وجه النصيحة، ولكن ذلك القول كان {حَسَدًا مّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ} ما في التوراة أنه {الحق}، يعني أن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، {فاعفوا واصفحوا}، أي: اتركوهم وأعرضوا عنهم {حتى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ}، يعني الأمر بالقتال؛ وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، ثم أمرهم بعد ذلك بالقتال، وهو قوله تعالى: {قاتلوا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ باليوم الاخر وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحق مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب حتى يُعْطُواْ الجزية عَن يَدٍ وَهُمْ صاغرون} إلى قوله {قاتلوا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ باليوم الاخر وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحق مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب حتى يُعْطُواْ الجزية عَن يَدٍ وَهُمْ صاغرون} [التوبة: 29]. {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من النصرة للمسلمين على الكفار. ويقال: هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير.

▲ تفسير الآية رقم [110]

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)}

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا}، أي أقروا بالصلاة وأدوها في مواقيتها بركوعها وسجودها وخشوعها، {وَإِذْ أَخَذْنَا}، أي وأعطوا الزكاة المفروضة {وَمَا تُقَدّمُواْ لانْفُسِكُم مّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله}، أي ما تصدقتم من صدقة وعملتم من العمل الصالح، تجدوه عند الله محفوظاً يجزيكم به. ونظير هذا ما قال في آية أخرى {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سواء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ والله رَءُوفُ بالعباد} [آل عمران: 30]، وقال في آية أخرى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة: 7]. وروي أنه مكتوب في بعض الكتب: يا بني آدم، ضع كنزك عندي لا سرق ولا حرق ولا فساد، تجده حين تكون أحوج إليه. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، يعني عالم بأعمالكم يجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً.

▲ تفسير الآيات رقم [111- 112]

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)}

{وَقَالُوا}، يعني اليهود والنصارى وهم يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران. {لَن يَدْخُلَ الجنة إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نصارى} واليهود جماعة الهائد، وإنما أراد به اليهود. وهذا من جوامع الكلم وهذا كلام على وجه الاختصار، فكأنه يقول: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. قال الله تعالى رداً لقولهم: {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}، أي ظنهم وأباطيلهم. وهذا كما يقال للذي يدعي مالاً يبرهن عليه: إنما أنت متمن، وإنما يراد به: إنك مبطل في قولك.

ثم قال تعالى: {قُلْ هَاتُواْ برهانكم}، أي حجتكم من التوراة أو من الإنجيل. {إِن كُنتُمْ صادقين}، أي بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً. {بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ}، معناه بل يدخل الجنة غيركم، من أسلم وجهه لله، أي من أخلص دينه لله وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم {وَهُوَ مُحْسِنٌ} في عمله، {فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبّهِ}، أي ثوابه في الجنة. {وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} من العذاب حين يخاف أهل النار، {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} حين يحزن أهل النار. ويقال: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمر الدنيا. ويقال: الخوف إنما يستعمل في المستأنف، والحزن في الماضي، كما قال الله تعالى: {لّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ على مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ ءاتاكم والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 23] ويقال: الخوف ثلاثة: خوف الأبد، وخوف العذاب على الانقطاع، وخوف الحشر والحساب. فأما خوف الأبد فيكون أمناً للمسلمين، وخوف العذاب على الانقطاع يكون أمناً للتائبين، وخوف الحشر والحساب يكون أمناً للمحسنين. والمحسنون يكونون آمنين من ذلك.

تفسير الآية رقم [113]

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)}

قوله تعالى: {وَقَالَتِ اليهود لَيْسَتِ النصارى على شَئ وَقَالَتِ النصارى لَيْسَتِ اليهود على شَئ} من أمر الدين. وروي عن ابن عباس أنه قال: صدقوا ولو حلفوا على ذلك ما حنثوا، لأن كل فريق منهم ليس على شيء. {وَهُمْ يَتْلُونَ الكتاب}، أي عندهم ما يخرجهم من ذلك الاختلاف أن لو نظروا فيه. وقال الزجاج: معناه، كلا الفريقين يتلون الكتاب وبينهم هذا الاختلاف، فدلّ ذلك على ضلالتهم. {كذلك قَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ}، أي الذين ليسوا من أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا. {فالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة}، يعني أنه يريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً ويبيّن لهم الصواب {فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفونَ}، أي في الدنيا.

تفسير الآية رقم [114]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)}

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مساجد الله}، قال في رواية الكلبي معناه ومن أكفر. وقال بعضهم: هذا التفسير غير سديد، لأن الكفر كله سواء. ولكن معنى قول الكلبي ومن أكفر يعني من أشد في كفره، لأن الكفار وإن كانوا كلهم في الكفر سواء، فربما يكون بعضهم في كفره أشد شراً من غيره. قال الكلبي: نزلت هذه الآية في شأن ططوس بن أسفيانوس الرومي، حيث خرب بيت المقدس وألقى فيه الجيفة، فكان خراباً إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مساجد الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسمه وسعى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا}، فلم يدخلها بعد عمارتها رومي إلا خائفاً ومستخفياً لو علم أنه رومي قتل. قال قتادة: هم النصارى. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى ويقال: من أراد أن يكون ملكاً عليهم، لا يمكنه ذلك ما لم يكن دخل مسجد بيت المقدس، فيجيء ويدخله مستخفياً.

ثم قال عز وجل: {لَهُمْ فِى الدنيا خِزْىٌ}، أي بفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينة وعمورية وأرمينية. وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج عام الحديبية إلى مكة، ومنعه أهل مكة فرجع، ولم يدخلها في تلك السنة، فنزلت هذه الآية: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مساجد الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسمه وسعى فِى خَرَابِهَا}، أي سعى ومنع المسلمين عن الصلاة، وذكر الله فيها لأن عمارة المسجد بالصلاة، وذكر الله فيها وخرابها في ترك ذلك. {أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ} بعد فتح مكة، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا إلا خائفين، {لَهُمْ فِى الدنيا خِزْىٌ} وهو فتح مكة، {وَلَهُمْ فِى الاخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ} لمن مات على كفره وقتل. وروى الزجاج عن بعض أهل العلم قال: نزلت في شأن جميع الكفار، لأن الكفار كانوا يقاتلون المسلمين ويمنعونهم من الصلاة، فقد منعوا المسلمين من الصلاة في جميع المساجد، لأن الأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً. ومعناه ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام؟ قال: ومعنى قوله {أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ}، يعني دار الإسلام ولهم في الدنيا خزي وظهور الإسلام على سائر الأديان لقوله تعالى: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى وَدِينِ الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشركون} [التوبة: 33 وغيرها].

▲ تفسير الآية رقم [115]

{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)}

قوله عز وجل: {وَلِلَّهِ المشرق والمغرب فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله}؛ قد اختلفوا في سبب نزول هذه الآية. روي عن ابن عباس أنه قال: خرج رهط في سفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابهم الضباب، فمنهم من صلى إلى المشرق، ومنهم من

صلى إلى المغرب، فلما طلعت الشمس وذهب الضباب، استبان لهم ذلك، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن ذلك؛ فنزلت هذه الآية {وَلِلَّهِ المشرق والمغرب فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله}، يعني أينما تولوا وجوهكم في الصلاة فثم وجه الله قال بعضهم: فثم قبلة الله. ويقال يعني: فثم رضا الله. ويقال: فثم ملك الله. وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن قوماً خرجوا إلى السفر وذكر القصة نحو هذا.

وقال بعضهم: المراد به الصلاة على الدابة. قال الفقيه: حدثنا محمد بن سعيد المروزي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا علي بن شيبة قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته التطوع، حيث ما توجهت به وهو جاءٍ من مكة، ثم قرأ ابن عمر: {وَلِلَّهِ المشرق والمغرب فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله}. قال ابن عمر: في هذا نزلت هذه الآية.

وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى بيت المقدس، فلما أمر بالتحول إلى الكعبة، قالت اليهود: مرة تصلون هكذا، ومرة تصلون هكذا، فنزلت هذه الآية: {وَلِلَّهِ المشرق والمغرب فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله} ثم قال: {إِنَّ الله واسع عَلِيمٌ}، أي الواسع الجواد المحسن الذي يقبل اليسير، ويعطي الجزيل عليم بصلواتكم. ويقال: الواسع الغني عن صلاة الخلق؛ وإنما يطلب منهم النية الخالصة ويقال: واسع يعني يوسع عليكم أمر الشرائع، ولم يضيق عليكم الأمر. ويقال: واسع، يعني واسع الفضل. وقال الزجاج: معنى قوله: {فَثَمَّ وَجْهُ الله}، أي اقصدوا وجه الله بنيتكم القبلة، كقوله: {قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السمآء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذين أُوتُواْ الكتاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق مِن رَّبِّهِمْ وَمَا الله بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 144].

تفسير الآيات رقم [116- 117]

{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)}

قوله: {وَقَالُواْ اتخذ الله وَلَدًا}، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام {قَالُواْ} بغير واو. وقرأ الباقون بالواو، ومعناهما واحد إلا أن الواو للعطف وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال بعض المشركين: الملائكة بنات الله. قال الله تعالى: {سبحانه}، نزّه نفسه عن الولد {بَل لَّهُ مَا فِي السموات والارض} كلهم عبيده {كُلٌّ لَّهُ قانتون}، يعني به المؤمنين خاصة، أي مطيعين مقرين بالعبودية له موحدين مجيبين للطاعة. وقد قيل: إن لفظ الآية عام والمراد به الخاص. قوله تعالى: {كُلٌّ لَّهُ قانتون} يعني به المؤمنين خاصة. ويقال معناه: أثر صنعه وشواهد

توحيده ودلائل ربوبيته في جميع ما في السموات والأرض موجود. ويقال: {كُلٌّ لَّهُ قانتون} أي لا يستطيع كل خلق أن يغير نفسه عن خلقته، فأخبر الله تعالى أن جميع ما في السموات والأرض له وهو خالق الأشياء، وهو المستغني عن الولد سبحانه وتعالى.

{بَدِيعُ *** السموات والارض}، أي خالقهما. والإبداع في اللغة: إنشاء شيء لم يُسْبَقْ إليه على غير مثال ولا مشورة. وإنما قيل لمن خالف السنة: مبتدع، لأنه أتى بشيء لم يسبقه إليه الصحابة ولا التابعون. ومعناه هو خالق السموات والأرض. {وَإِذَا قضى أَمْرًا}، يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. ويقال: هذه الآية نزلت في شأن وفد نجران السيد والعاقب وغيرهما. وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: هل رأيت خلقاً من غير أب؟ فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا قضى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، كما كان آدم من غير أب وأم، كذا عيسى ابن مريم خلقه بغير أب. فإن قيل: قوله: {كُنَّ} هذا الخطاب للموجود أو للمعدوم؟ فإن قال: للمعدوم. قيل له: كيف يصح الخطاب لشيء معدوم؟ وكيف يصح الإشارة إليه بقوله: {كُنَّ}؟ فإن قال: الخطاب للموجود. قيل له: كيف يأمر الشيء الكائن بالكون فالجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها، فكان الخطاب للموجود في علمه. وجواب آخر: أن معناه إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون، يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً يخلقه، والقول فيه على وجه المجاز. قرأ ابن عامر {فَيَكُونُ} بالنصب، لأن جواب الأمر بالفاء، وقرأ الباقون بالرفع على معنى الاستئناف بمعنى فهو يكون.

▲ تفسير الآية رقم [118]

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آَيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)}

قوله تعالى: {وَقَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ}، أي لا يعلمون توحيد الله تعالى، ومعناه: وقال الجهال من الناس وهم الكفار: {لَوْلاَ يُكَلّمُنَا الله}، أي هلا يكلمنا الله فيخبرنا بأنك رسوله، {وَقَالَ الذين لاَ}، أي علامة لنبوتك. قال الله تعالى: {كذلك قَالَ الذين مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ}، أي قال اليهود لموسى عليه السلام: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتاب أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كتابا مِّنَ السمآء فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك فقالوا أَرِنَا الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتخذوا العجل مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ البينات فَعَفَوْنَا عَن ذلك وَءَاتَيْنَا موسى سلطانا مُّبِيناً} [النساء: 153]. {تشابهت قُلُوبُهُمْ}، أي في القسوة والكفر. ويقال: تشابهت كلمتهم كما تشابهت قلوبهم. {قَدْ بَيَّنَّا الآيات}، يعني أمرك في التوراة أي العلامات لنبوتك إنك نبي مرسل الصفة والنعت. ويقال: قد بينا العلامات لنبوتك. ويقال: لم يكن لنبي من الأنبياء معجزة وعلامة إلاّ وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مثلها. {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، يعني مؤمني أهل التوراة. ويقال: من كان له عقل وتمييز.

تفسير الآيات رقم [119- 120]

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)}

قوله تعالى: {إِنَّا أرسلناك بالحق بَشِيرًا وَنَذِيرًا}، أي بالقرآن. ويقال بالحق يعني بالدعوة إلى الحق. ويقال: بالحق أي لأجل الحق. ويقال: أي بالدعوة إلى الحق. ويقال: ببيان الحق. {بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أصحاب الجحيم}؛ قرأ نافع {وَلاَ تُسْئَلُ} بنصب التاء وجزم اللام، والباقون بضم التاء واللام. فمن قرأ بالرفع، فمعناه أنك إذا بلغت الرسالة، فإنك قد فعلت ما عليك، ولا تُسْأَلُ عن أصحاب الجحيم فيما فعلوا، وهذا كما قال في آية أخرى: {وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ وَعَلَيْنَا الحساب} [الرعد: 4] وأما ومن قرأ بالنصب، فهو على معنى النهي، أي لا تَسألْ عن أصحاب الجحيم أي عما فعلوا. قال القاضي الخليل بن أحمد: أخبرنا الديلمي قال: أخبرنا أبو عبيد الله قال: حدثنا سفيان، عن موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: »لَيْتَ شِعْرِي مَا فُعِلَ بِأَبَوَيَّ« فنزلت هذه الآية {إِنَّا أرسلناك بالحق بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أصحاب الجحيم} الآية.

قوله تعالى: {وَلَن ترضى عَنكَ اليهود وَلاَ النصارى}، يعني أهل المدينة ونصارى أهل نجران {حتى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، أي تصلي إلى قبلتهم. {قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهدى}، يعني إن قبلة الله هي الكعبة {وَلَئِنِ اتبعت أَهْوَاءهُم}، أي صليت إلى قبلتهم {بَعْدَ الذي جَاءكَ مِنَ العلم}، أي من بعد ما ظهر لك: أن القبلة هي الكعبة، {مَا لَكَ مِنَ الله مِن وَلِيّ} ينفعك {وَلاَ نَصِيرٍ}، أي مانعاً يمنعك. ويقال: معناه {وَلَن ترضى عَنكَ اليهود وَلاَ النصارى حتى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، أي حتى تدخل في دينهم، وذلك أن الكفار كانوا يطلبون الصلح، وكان يرى أنهم يسلمون، فأخبره الله تعالى أنهم لا يسلمون، ولن يرضوا عنه، حتى يتبع ملتهم فنهاه الله عن الركون إلى شيء مما يدعونه إليه. فقال تعالى: {قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهدى}، يعني دين الله هو دين الإسلام. {وَلَئِنِ اتبعت أَهْوَاءهُم}؛ وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته، أي لئن اتبعت دينهم بعد ما جاءك من العلم، أي بعد ما ظهر أن دين الإسلام هو الحق {مَا لَكَ مِنَ الله}، أي من عذاب الله {مِن وَلِيّ} ينفعك {وَلاَ نَصِيرٍ}، أي مانع يمنعك منه.

تفسير الآية رقم [121]

{الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)}

قوله تعالى: {الَّذين آتيناهم الكتاب يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ}، يعني مؤمني أهل الكتاب يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم. قال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه. وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود قال: والله إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأ حق قراءته كما أنزل الله تعالى، ولا يحرَّف عن مواضعه. ويقال: يقرؤونه حق قراءته. {أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ}، أي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقونه. {وَمن يَكْفُرْ بِهِ}، أي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال: بالقرآن، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخاسرون}، وهو كعب بن الأشرف وأصحابه. ويقال: نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، وهم اثنان وثلاثون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وكانوا يتبعون القرآن حق اتباعه.

تفسير الآيات رقم [122- 123]

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)}

قوله تعالى: {الخاسرون يابنى إسراءيل اذكروا نِعْمَتِيَ التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين واتقوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شفاعة وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} قد ذكرناها من قبل.

تفسير الآية رقم [124]

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}

قوله تعالى: {وَإِذِ ابتلى إبراهيم رَبُّهُ بكلمات}، قرأ ابن عامر {أبرَاهَامَ}، وروي عنه أنه قرأ {أَبْرَهَمَ} وهي لغة بعض العرب، وقرأ غيره {ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} في جميع القرآن. وهي اللغة المعروفة وهو اسم أعجمي ولهذا لا ينصرف. وروي عن ابن عباس أنه قال: أمر الله تعالى إبراهيم بعشر خصال من السنن خمس في الرأس، وخمس في الجسد، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا. حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن الفضل البلخي قال: حدثنا أبو بشر محمود بن مهدي، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطأة، عن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَشْرٌ مِمَّا عَلِمَهُنَّ وَعَمِلَ بِهِنَّ أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ، وَخَمْسٌ فِي الجَسَدِ؛ فَأَمَّا الَّتِي فِي الرَّأْسِ: فَالسِّوَاكُ وَالمَضْمَضَةُ وَالاسْتِنْشَاقُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَأَمَّا الَّتِي في الجَسَدِ فَالخِتَانُ وَالاسْتِحْدَادُ وَالاسْتِنْجَاءُ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَقَصُّ الأَظْفَارِ» ويقال: {وَإِذِ ابتلى إبراهيم رَبُّهُ بكلمات}، أي اختبره. والاختبار من الله تعالى أن يظهر حاله ليستوجب الثواب، لأن الله تعالى لا يعطي الثواب والعقاب بما يعلم ما لم يظهر منه ما يستوجب

الثواب والعقاب، كما علم من إبليس الكفر، ولم يلعنه ما لم يختبره ويظهر منه ما يستوجب به اللعنة والعقوبة.

وقوله عز وجل: {فَأَتَمَّهُنَّ}، يعني عمل بهن. ويقال: كان إبراهيم أفضل الناس في زمانه، وكرم على الله تعالى فابتلاه الله عز وجل بخصال لم يبتل بها غيره، فكان من الابتلاء أن أمه ولدته في غار. ومن الابتلاء حيث نظر إلى الكوكب فقال: هذا ربي. وروى الحسن أنه قال: كان الابتلاء بثلاثة أشياء؛ أولها: الابتلاء بالكوكب والشمس والقمر، والثاني: بالنار، والثالث: بأمر سارة. ويقال: كل من كان أكرم على الله كان ابتلاؤه أشد، لكي يتبين فضله ويستوجب الثواب. كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا. {فَأَتَمَّهُنَّ}، أيّ عمل بهن. ويقال: {فَأَتَمَّهُنَّ} أي وفى بهن، فلما وفّى الأمر جعله الله تعالى إماماً للناس ليقتدوا به. وفي هذا دليل: أن الإنسان لا يبلغ درجة الأخيار إلا بالتعب وجهد النفس، فلما جعله الله تعالى إماماً، {قَالَ} له: {إِنّى جاعلك لِلنَّاسِ إِمَامًا} والإمام الذي يؤتم به فأعجبه ذلك، وتمنى أن يكون ذلك لذريته بعده مثل ذلك، ف {قَالَ وَمِن ذُرّيَّتِى}، يعني اجعلهم أئمة يقتدى بهم. {قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظالمين}، يعني الكافرين، يعني لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للناس. ويقال: لا تصيب رحمتي الكافرين. فالله تعالى أخبره أنه يكون في ذريته كفار، وأخبره أنه لا ينال عهده من كان كافراً.

قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: {لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظالمين} أي الكافرين يعني لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للناس. ويقال: لا تصيب الرحمة الكافر. فالله تعالى أخبره أنه يكون في ذنبه وأخبره أنه لا ينال عهده من كفر وكان كافراً. قرأ حمزة وعاصم رواية حفص {لاَ يَنَالُ عَهْدِي} بسكون الياء. وقرأ الباقون بنصب الياء {عَهْدِيَ الظالمين} وهما لغتان ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآية رقم [125]

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)}

قوله تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا البيت مَثَابَةً لّلنَّاسِ وَأَمْناً}، يقول: وضعنا البيت، يعني الكعبة معاداً لهم، يعودون إليه مرة بعد مرة. وقال قتادة: مجمعاً للناس يثوبون إليه من كل جهة، وفي كل سنة فلا يقضون منها وطراً. {وَأَمْناً}، أي جعلناه أمناً لمن التجأ إليه، يعني من وجب عليه القصاص. ولهذا قالوا: لو أن رجلاً وجب عليه القصاص فدخل الحرم، لا يقتص منه في الحرم. وهكذا روي عن ابن عمر أنه قال: لو وجدت قاتل عمر في الحرم، ما هيجته، أي ما أزعجته ولكن يمنع منه المنافع، حتى يضطر ويخرج فيقتص منه. ويقال: آمناً لغير الممتحنين، وهي الصيود إذا دخلت الحرم أمنت. ويقال: آمناً من الجذام.

ثم قال تعالى: {واتخذوا مِن مَّقَامِ إبراهيم مُصَلًّى}، قرأ نافع وابن عامر {واتخذوا} بفتح الخاء على وجه الخبر، معناه: جعلنا البيت مثابة للناس فاتخذوه مصلى. وقرأ الباقون بكسر الخاء على معنى الأمر. قال: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديلمي قال: حدثنا أبو عبيد الله قال: حدثنا سفيان، عن زكريا بن زائدة، عمن حدثه، عن عمر بن الخطاب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت يوم الفتح، فلما فرغ من طوافه أتى المقام فقال: «هذا مَقَامُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ»، فقال عمر: أفلا تتخذه مصلى يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: {واتخذوا مِن مَّقَامِ إبراهيم مُصَلًّى} ويقال: المسجد الحرام كله مقام إبراهيم عليه السلام هكذا روي عن مجاهد وعطاء.

وقوله تعالى: {وَعَهِدْنَا إلى إبراهيم وإسماعيل}، أي أمرنا إبراهيم وإسماعيل: {أَن طَهّرَا بَيْتِىَ}، أي مسجدي من الأوثان، ويقال: من جميع النجاسات، ثم قال: {لِلطَّائِفِينَ}، أي طهرا المسجد من الأوثان والنجاسات، لأجل الطائفين الذين يطوفون بالبيت وهم الغرباء، {والعاكفين} وهم أهل الحرم المقيمون بمكة من أهله وغيرهم {والركع السجود}، أي أهل الصلاة من كل جهة من الآفاق. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص {طَهّرَا بَيْتِىَ} بنصب الياء وقرأ الباقون بسكون الياء.

▲ تفسير الآية رقم [126]

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا}، يعني الحرم. {وارزق أَهْلَهُ مِنَ الثمرات}، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فتحمل الثمار إلى مكة من كل جهة، فيوجد فيها في كل وقت من كل نوع واشترط إبراهيم في دعائه فقال: {مِنَ الثمرات مَنْ ءامَنَ مِنْهُم بالله}. وإنما اشترط هذا الشرط، لأنه قد سأل ربه الإمامة لذريته، فلم يستجب له في الظالمين، فخشي إبراهيم أن يكون أمر الرزق هكذا، فسأل الرزق للمؤمنين خاصة، فأخبره الله تعالى: أنه يرزق الكافر والمؤمن، وأن أمر الرزق ليس كأمر الإمامة. قالوا: لأن الأمامة فضل، والرزق عدل، فالله تعالى يعطي بفضله من يشاء من عباده من كان أهلاً لذلك، وعدله لجميع الناس لأنهم عباده، وإن كانوا كفاراً. فذلك قوله تعالى: {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتّعُهُ قَلِيلاً}، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام «فَأَمَّتِعَهُ» بالتخفيف من أمتعت، وقرأ الباقون بالتشديد من متَّعت، يعني سأرزقه في الدنيا يسيراً {ثُمَّ أَضْطَرُّهُ} أي مصيره، ويقال: ملجأه {إلى عَذَابِ النار وَبِئْسَ المصير} صاروا إليه.

تفسير الآيات رقم [127- 129]

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)}

{وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم القواعد مِنَ البيت} {يعني يبني إبراهيم القواعد، يعني أساس البيت، أي الكعبة. والقواعد جماعة واحدها قاعدة. {وإسماعيل}، يعني إسماعيل يعينه. قال مقاتل: وفي الآية تقديم وتأخير، معناه وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت. ويقال: إن إبراهيم كان يبني البيت وإسماعيل يعينه، والملائكة يناولون الحجر من إسماعيل، وكانوا ينقلون الحجر من خمسة أجبل: طور سيناء وطور زيتاء والجودي ولبنان وحراء؛ فلما فرغا من البناء، قالا {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} يعني أعمالنا. {إِنَّكَ أَنتَ السميع العليم}، أي السميع لدعائنا بنياتنا.

وفي الآية دليل: أن الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقبول، ويقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله بالعمل، لأن الله تعالى قال: {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابنى ءادَمَ بالحق إِذْ قَرَّبَا قربانا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الاخر قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المتقين} [المائدة: 27]. وروي في الخبر أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما فرغا من البناء، جثيا على الركب وتضرعا وسألا القبول، فقال جبريل لإبراهيم: قد أجيب لك، فاسأل شيئاً آخر، فقالا: {رَبَّنَا واجعلنا مُسْلَمَيْنِ لَكَ}، أي مخلصين لك، ويقال: واجعلنا مثبتين على الإسلام، ويقال: مطيعين لك، ويقال: أمتنا على الإسلام.

{وَمِن ذُرّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ}، أي اجعل بعض ذريتنا من يخلص لك، ويثبت على الإسلام. ثم قال: {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا}. أي علمنا أمور مناسكنا. وقال القتبي: الرؤية المعاينة كقوله عز وجل: {وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لّلْمُتَكَبّرِينَ} [الزمر: 60]، وقوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً} [الإنسان: 20]. ويقال: تذكر الرؤية ويراد بها العلم كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الذين كفروا أَنَّ السماوات والارض كَانَتَا رَتْقاً ففتقناهما وَجَعَلْنَا مِنَ المآء كُلَّ شَئ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: 30] وكقوله: {أَرِنَا * مَنَاسِكَنَا}، أي علمنا. وكقوله {لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَا أَرَاكَ الله}. قرأ ابن كثير ومن تابعه من أهل مكة {وَأَرِنَا} بجزم الراء في جميع القرآن، والباقون بكسر الراء، وهما لغتان والكسر أظهر وأفصح. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: {رَبَّنَا واجعلنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} أي مطيعين وموحدين {وَمِن ذُرّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ}، أي جماعة موحدة مطيعة لك. ويقال: أشكل عليهما موضع البيت، فبعث الله تعالى سحابة فقالت له: ابن بخيالي، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت بخيال السحابة. ثم

قال تعالى {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا} أي تجاوز عنا الزلة، {إِنَّكَ أَنتَ التواب الرحيم} بعبادك.

{رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آياتك}.

قال مقاتل: لأن إبراهيم علم أن في ذريته من يكون كفاراً، فسأل الله تعالى أن يبعث فيهم رسولاً فقال: {رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آياتك}، يعني القرآن. {وَيُعَلِّمُهُمُ الكتاب}، أي القرآن {والحكمة}، أي مواعظ القرآن من الحلال والحرام. ويقال: علم التفسير. {وَيُزَكِّيهِمْ} أي يطهرهم من الكفر والشرك. ويقال: يأمرهم بالزكاة ليطهر أموالهم. قال مقاتل: استجاب الله دعاءه في سورة الجمعة. وهو قوله تعالى: {هُوَ الذى بَعَثَ فِى الأميين رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكتاب والحكمة وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَلٍ مُّبِينٍ} [الجمعة: 2] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَنَا دَعْوَةُ أبِي إبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى عليهما السلام» وهي قوله: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ يابنى إسراءيل إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التوراة وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسمه أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بالبينات قَالُواْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف: 6] ثم قال تعالى: {إِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم}، أي المنيع الذي لا يغلبه شيء، ويقال: العزيز الذي لا يعجزه شيء عما أراد. ويقال: العزيز بالنقمة، ينتقم ممن عصاه متى شاء، الحكيم في أمره الذي يكون عمله موافقاً للعلم.

نداءِ ايمان صفحه 4

▲ تفسير الآية رقم [130]

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)}

قوله تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إبراهيم}، يقول: عن سنته ودينه وهو الإسلام. ويقال لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التقريع والتوبيخ، {وَمِنْ} ها هنا بمعنى (ما)، فكأنه يقول: وما يرغب عن دين إبراهيم {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}. قال أبو عبيدة: إلا من أهلك نفسه. وقال الأخفش: معناه إلا من سفه من نفسه. هذا كما قال في آية أخرى {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النساء أَوْ أَكْنَنتُمْ فى أَنفُسِكُمْ عَلِمَ الله أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ولكن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النكاح حتى يَبْلُغَ الكتاب أَجَلَهُ واعلموا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فى أَنفُسِكُمْ فاحذروه واعلموا أَنَّ الله غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 235] أي على عقدة النكاح. ويقال: إلا من جهل أمر نفسه، فلا يتفكر فيه، كما قال في آية

أخرى {وفى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21]، قال الكلبي: ومن يرغب عن دين إبراهيم الإسلام والحج والطواف، إلا من خسر نفسه.

ثم: {وَلَقَدِ اصطفيناه فِي الدنيا}، يقول: اخترناه في الدنيا للنبوة والرسالة والإسلام والخلة. {وَإِنَّهُ فِى الاخرة لَمِنَ الصالحين}، أي في الجنة. ويقال: مع الصالحين في الجنة وهو أفضل الصالحين ما خلا محمداً صلى الله عليه وسلم.

تفسير الآيات رقم [131- 132]

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)}

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ} {قال ابن عباس: يعني أخلص. ويقال: معناه قل لا إله إلا الله. ويقال: معناه استقم على ما أنت عليه. ويقال: حين خرج من السرب، نظر إلى الكوكب والقمر والشمس، فابتلي بذلك فألهمه الله تعالى الإخلاص، فقال: {إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السماوات والارض حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ المشركين} [الأنعام: 79] الآية. فهذا معنى قوله {أَسْلَمَ} أي أخلص دينك لله ف {قَالَ} إبراهيم عليه السلام: {أَسْلَمْتُ لِرَبّ العالمين}، أي أخلصت ديني لرب العالمين. ويقال: فوض أمرك إلى الله فقال فوضت أمري إلى الله.

{ووصى بِهَا إبراهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ}، أي بشهادة أن لا إله إلا الله. قرأ نافع وابن عامر {**وَأَوْصَى} وقرأ الباقون {العالمين ووصى} وهو أبلغ من أوصى، لأنه لا يكون إلا لمرات كثيرة. وقوله {بِهَا}، يرجع إلى الملة، والملة هي السنة والمذهب. ويقال: إنه جمع بنيه عند موته، لأنه خشي عليهم كيد إبليس فجمعهم وأوصاهم بأن يثبتوا على الإسلام. قال مقاتل: {ووصى بِهَا إبراهيم بَنِيهِ} الأربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين، ثم أوصى بها يعقوب بنيه، وهم اثني عشر ابناً، وذلك حين دخل مصر فرآهم يعبدون الأصنام، فأوصى بنيه بأن يثبتوا على الإسلام وكانوا اثنا عشر ابناً: روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي ونفتال وريالون ويشجر ودان واشترفياحان وحان ويوسف وبنيامين.

قال الله تعالى: {وَيَعْقُوبُ يابنى إِنَّ الله اصطفى لَكُمُ الدين}، أي اختار لكم دين الإسلام {فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، يعني اثبتوا على الإسلام وكونوا بحال لو أدرككم الموت يدرككم على الإسلام، وأنتم مخلصون بالتوحيد. فقالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب عليه السلام يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟.

تفسير الآية رقم [133]

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)}

فأنزل الله تعالى {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء}، يقول: أكنتم حضوراً {إِذْ} حين {حَضَرَ يَعْقُوبَ الموت} معناه إنكم تدعون ذلك، كأنكم كنتم حضوراً في ذلك الوقت، يعني أنكم تقولون ما لا علم لكم بذلك، والله تعالى يخبر ويبين أن وصيته كانت بخلاف ما قالت اليهود؛ وإنما لم ينصرف {شُهَدَاء} لمكان ألف التأنيث في آخره، وإذا دخلت ألف التأنيث أو هاء التأنيث في آخر الكلام فإنه لا ينصرف.

ثم قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى}، أي من تعبدون بعد موتي؟ {قَالُواْ نَعْبُدُ إلهك وإله آبَائِكَ إبراهيم}. روي عن الحسن البصري أنه قرأ {قَالُواْ نَعْبُدُ إلهك وإله أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ}. وقرأ غيره {قَالُواْ نَعْبُدُ إلهك وإله آبَائِكَ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق}. وإسماعيل كان عم يعقوب، ولكن العم بمنزلة الأب بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» ثم قال: {إلها واحدا}، أي نعبد إلهاً واحداً. {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} أي مخلصون له بالتوحيد.

▲ تفسير الآية رقم [134]

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)}

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} أي جماعة قد مضت. {لَهَا مَا كَسَبَتْ}، أي جزاء ما عملت من خير أو شر. {وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}؛ وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون: نحن على دينهم، فقال لهم: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ}، لا تقدرون عليهم فيشهدوا لكم، فلهم ما عملوا وإنما لكم ما تعملون، وإنما ينظر اليوم إلى أعمالكم، ولا ينفعكم من أعمالهم شيء.

▲ تفسير الآية رقم [135]

{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)}

قوله تعالى: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نصارى تَهْتَدُواْ}، وذلك أن يهود المدينة ونصارى أهل نجران اختصموا، فقال كل فريق: ديننا أصوب، ونبينا أفضل. فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أينا أفضل؟ فقال لهم: «كُلُّكُمْ عَلَى البَاطِلِ» فأعرضوا عنه فنزلت هذه الآية: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نصارى} يعني اليهود قالوا: كونوا على دين اليهود والنصارى قالوا: كونوا على دين النصرانية تهتدوا من الضلالة.

قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المشركين}. وإنما نصب الملة على معنى: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً. ويقال: معناه واتبعوا ملة إبراهيم. وقال مقاتل: بل الدين ملة إبراهيم حنيفاً، أي مخلصاً. وقال القتبي: حنيفاً أي مستقيماً. ويقال للأعرج حنيف نظراً إلى السلامة، كما يقال للديغ: سليم، وللجبانة مفازة، وإن كانت مهلكة. وقال الزجاج: أصل الحنف إذا كان أصابع الرجل مقبلاً بعضها إلى بعض إقبالاً لا تنصرف عن ذلك أبداً، فكذلك كان إبراهيم عليه السلام مقبلاً على دين الإسلام، مائلاً عن الأديان كلها {وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} ولكن كان على دين الإسلام. فقال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: كيف نقول حتى لا نكذب أحداً من الأنبياء.

تفسير الآيات رقم [136- 137]

{قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)}

فعلمهم الله عز وجل بقوله: {قُولُواْ ءامَنَّا بالله}، أي صدقنا بأنه واحد لا شريك له. {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا}، يقول: صدقنا بما أنزل إلينا، أي بما أنزل على نبينا من القرآن {وَمَا أُنزِلَ إِلَى إبراهيم}، يقول صدقنا بما أنزل على إبراهيم من الصحف. {وَ} ما أنزل إلى {إسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطَ} وهم أولاد يعقوب، كان له اثنا عشر ابناً، فصار أولاد كل واحد منهم سبطاً، والسبط بلغتهم بمنزلة القبيلة للعرب. وإنما أنزل على أنبيائهم وكانوا يعملون به، فأضاف إليهم، كما أنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فأضاف إلى أمته فقال: {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} فكذلك الأسباط أنزل على أنبيائهم فأضاف إليهم، لأنهم كانوا يعملون به. ثم قال تعالى: {وَمَا أُوتِيَ موسى وعيسى}، يعني التوراة والإنجيل. {وَمَا أُوتِيَ النبيون مِن رَّبّهِمْ}، يعني وما أنزل على الأنبياء من الله تعالى وقد آمنا بجميع الأنبياء وبجميع الكتب {لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ}، أي من رسله كما فرقت اليهود والنصارى، {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، أي مخلصون له بالتوحيد.

ثم قال تعالى للمؤمنين {فَإِنْ ءامَنُواْ}، يعني اليهود والنصارى {بِمِثْلِ مَا ءامَنتُمْ بِهِ}، يعني به يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، {فَقَدِ اهتدوا} من الضلالة. {وَإِن تَوَلَّوْاْ}، أي: أعرضوا عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء عليهم السلام {فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ}، يقول إنهم في خلاف من الدين. ويقال: في ضلال. والشقاق في اللغة: له ثلاثة معان، أحدها: العداوة مثل قوله تعالى: و{وياقوم لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شقاقى أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالح وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} [هود: 89]، والثاني: الخلاف مثل قوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فابعثوا حَكَماً مِّنْ

أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصلاحا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَآ إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} [النساء: 35]، والثالث: الضلالة مثل قوله: {لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشيطان فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ والقاسية قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظالمين لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج: 53]، {فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله}، أي يدفع الله عنكم مؤنتهم. وقال الزجاج: هذا ضمان من الله تعالى النصر لنبيه، أنه سيكفيه إياهم بإظهاره على كل دين سواه، كقوله تعالى: {كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ ورسلى إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21] يعني أن عاقبة الأمر كانت لهم. قال مقاتل: يعني قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. {وَهُوَ السميع العليم} بقولهم للمؤمنين حيث قالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، العليم بعقوبتهم. ثم فضل دين محمد صلى الله عليه وسلم على كل دين فقال تعالى:

تفسير الآية رقم [138]

{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)}

{صِبْغَةَ الله}، أي: اتبعوا دين الله والزموه، لا دين اليهود والنصارى. {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً}، أي دين أحسن من دين الله تعالى، وهو دين الإسلام. {وَنَحْنُ لَهُ عابدون}، أي موحدون مقرون، وذلك أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد غمروه في اليوم السابع في ماء لهم، ليطهروه بذلك ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وهم صنف من النصارى يقال لهم: المعمودية.

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابدون}، أي مطيعون، ولنا الختان طهور، طهَّر الله به إبراهيم عليه السلام وروى سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ختن إبراهيم عليه السلام نفسه بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة. والقدوم موضع بالشام. ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة. وقال القتبي: هذا من الاستعارة حيث سمى الختان صبغة، لأنهم كانوا يصبغون أولادهم في ماء. قال الله تعالى: صبغة الله لا صبغة النصارى، يعني اتبعوا دين الله والزموا دين الله.

تفسير الآية رقم [139]

{قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)}

ثم قال الله تعالى: {قُلْ} يا محمد ليهود أهل المدينة والنصارى أهل نجران: {أَتُحَاجُّونَنَا فِى اللَّهِ}، يعني أتخاصموننا في دين الله، ونحن نوحد الله. وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في اليهود والذين كانوا يظاهرون المشركين، فقال: أنتم تقولون: أنكم توحدون الله ونحن نوحد الله تعالى، فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى؟ {وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا

أعمالنا}، أي ثواب أعمالنا {وَلَكُمْ} ثواب {أعمالكم وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ}، أي مقرُّون له بالوحدانية مخلصون له بالعبادة.

تفسير الآية رقم [140]

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)}

{أَمْ تَقُولُونَ} {قرأ الكسائي وعاصم وحمزة في رواية حفص {أَمْ تَقُولُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون: بالياء «أمْ يَقُولُونَ» على معنى المغايبة. {إِنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نصارى}، يعني إن تعلقتم أيضاً بدين الأنبياء فنحن على دينهم، وقد آمنا بجميع الأنبياء، فإن ادعيتم أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانيّة وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، {قُلْ ءأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله}. فالله تعالى أخبر أنهم كانوا على دين الإسلام، وقد بيَّن ذلك في كتبهم حيث قال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شهادة عِندَهُ مِنَ الله}، لأن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق بأن يبيِّنوه فكتموه. قال الله تعالى: {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}، أي لا يخفى على الله من عملهم شيء فيجازيهم بذلك. ويقال: هذا القول وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

تفسير الآية رقم [141]

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)}

ثم قال تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقد ذكرنا تفسيرها.

تفسير الآية رقم [142]

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)}

قوله: {سَيَقُولُ السفهاء مِنَ الناس}، يعني الجهال وهم اليهود والمنافقون. ويقال: هم أهل مكة: {مَا ولاهم} أي يقولوا: ما الذي صرفهم {عَن قِبْلَتِهِمُ التى كَانُواْ عَلَيْهَا} يعني التي صلوا إليها من قبل؛ وذلك أن الأنصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، صلى إلى بيت المقدس ثمانية عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم أمر بالتحويل إلى مكة. فقال أهل

مكة: رجع محمد إلى قبلتنا، فعن قريب يرجع إلى ديننا فأنزل الله تعالى {قُل لِّلَّهِ المشرق والمغرب}، يقول: إن الصلاة إلى بيت المقدس والصلاة إلى الكعبة لله إذا كان بأمر الله.

{يَهْدِى مَن يَشَآء}، أي يرشد من يشاء إلى قبلة الكعبة {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} أي ديناً يرضاه. روي عن أبي العالية الرياحي أنه قال: رأيت مسجد صالح النبي صلى الله عليه وسلم وقبلته إلى الكعبة. قال: وكان موسى عليه السلام يصلي من الصخرة إلى الكعبة، وهي قبلة الأنبياء كلهم، صلوات الله عليهم.

▲ تفسير الآية رقم [143]

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)}

قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا} والوسط هو العدل، كما قال تعالى في آية أخرى: {قال أوسطهم} [القلم: 28]، أي أخيرهم وأعدلهم. والعرب تقول: فلان من أوسط قومه، أي خيارهم وأعدلهم، ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هو أوسط قريش حسباً. أي جعلناكم عدلاً للخلائق. {وَسَطًا لّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس}، يعني للنبيين. {وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} بالتصديق لكم وذلك أن الله تعالى إذا جمع الخلق يوم القيامة فيسأل الأنبياء عليهم السلام عن تبليغ الرسالة كقوله تعالى: {لِّيَسْأَلَ الصادقين عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ للكافرين عَذَاباً أَلِيماً} [الأحزاب: 8] فيقولون: قد بلغنا الرسالة، فتنكر أممهم تبليغ رسالته، فتشهد لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة فتطعن الأمم في شهادتهم، فيزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك معنى قوله تعالى: {لّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} وَمعنى قوله {وكذلك} أي وكما هديناكم للإسلام والقبلة الكعبة فكذلك جعلناكم أمة عدلاً لتكونوا شهداء على الناس.

وللآية تأويل آخر: {وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا} أي عدلاً، لتكونوا شهداء على الناس. يقول: إنكم حجة على جميع من خلقنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حجة عليكم. والشهادة في اللغة: هي البيان، فلهذا يسمى الشاهد بيِّنة، لأنه بيَّن حق المدعي، يعني أنكم تبيِّنون لمن بعدكم، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لكم.

قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا القبلة التى كُنتَ عَلَيْهَا}، أي ما أمرناك بالصلاة إلى القبلة الأولى، ويقال: ما حولنا القبلة التي كنت عليها، {إِلاَّ لِنَعْلَمَ}. يقول: إلا لنختبر ونبيِّن {مَن يَتَّبِعُ الرسول}، يطيع الرسول في تحويل القبلة، {مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيْهِ}، أي يرجع إلى دينه بعد تحويل الله القبلة. {وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً}، أي وقد كانت لثقيلة وهو صرف

القبلة. {إِلاَّ عَلَى الذين هَدَى الله}، أي حفظ الله قلوبهم على الإسلام وأكرمهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم في تحويل القبلة، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله فإخواننا الذين ماتوا ما صنع الله بصلاتهم التي صلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: {وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إيمانكم}، يعني لم يبطل إيمانكم وإنما تحولت قبلتكم. ويقال: يعني صلاتهم إلى بيت المقدس، التي صلوا إليها وماتوا عليها لأن اليهود قالوا: قد بطل إيمانكم حين تركتم القبلة، فنزل {وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إيمانكم} يعني يبطل إيمانكم.

قال الضحاك: يعني لم يبطل تصديقكم بالقبلتين. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله بالناس *** لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}، يعني بالمؤمنين رحيم حين قبلها منهم ولم يضيع إيمانهم. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: {***لَرَؤُفٌ} بالهمزة على وزن رعف، وقرأ الباقون: {والله رَءوفٌ} على وزن فعول في جميع القرآن، وهما لغتان ومعناهما واحد.

تفسير الآيات رقم [144- 145]

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آَيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)}

قوله تعالى: {قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السماء}، أي رفع بصرك إلى السماء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: «وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الله تَعَالى صَرَفَنِي عَنْ قِبْلَةِ اليَهُودِ إلَى غَيْرِهَا» وإنما أراد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء عليهم السلام وذلك لأنها كانت أدعى للعرب إلى الإسلام فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئاً فاسأل ربك، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: {قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السماء}، أي رفع بصرك إلى السماء. {فَلَنُوَلّيَنَّكَ}، أي فلنحولنك ولنوجهنك في الصلاة {قِبْلَةً تَرْضَاهَا}، يعني تهواها أي تميل نفسك إليها. فأمره الله تعالى بالتوجه فقال: {فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام}، يعني نحوه وتلقاءه {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} أي إلى الكعبة.

ثم قال: {وَإِنَّ الذين أُوتُواْ الكتاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق مِن رَّبّهِمْ}، يعني أن القبلة إلى الكعبة هي الحق وهي قبلة إبراهيم عليه السلام. {وَمَا الله بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ}، يعني جحودهم القبلة إلى الكعبة فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة على تصديق مقالتك وهم اليهود والنصارى، فنزل قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذين أُوتُواْ الكتاب} وهم اليهود والنصارى {بِكُلّ ءايَةٍ}، أي بكل علامة {مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ}، أي ما صلوا إلى قبلتك. {وَمَا

أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ}، أي بمصل إلى قبلتهم، {وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} يقال: معناه كيف ترجو أن يتبعوك ويصلوا إلى قبلتك وهم لا يتبعون بعضهم بعضاً.

ثم قال: {وَلَئِنِ اتبعت أَهْوَاءهُم} هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته، يعني: لئن صليت إلى قبلتهم أو اتبعت مذهبهم {مّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلم}، أي البيان أن دين الإسلام هو الحق والكعبة هي القبلة. {إِنَّكَ إِذَا لَّمِنَ الظالمين}، أي الضارين بنفسك.

تفسير الآيات رقم [146- 147]

{الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)}

{الذين ءاتيناهم الكتاب} {وهم مؤمنو أهل الكتاب؛ {يَعْرِفُونَهُ} يعني محمداً صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته {كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ} بين الغلمان. قال عبد الله بن سلام: والله إني لأنا كنت أشد معرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم مني بابني، فقال له عمر رضي الله عنه: وكيف ذلك يا ابن سلام؟ فقال: لأني أشهد أنه رسول الله حقاً وصدقاً ويقيناً، وأنا لا أشهد بذلك على ابني لأني لا أدري ما أحدثت النساء بعدي؛ فقال له: والله يا ابن سلام لقد صدقت أو أصبت.

ثم قال تعالى: {وَإِنَّ فَرِيقًا مّنْهُمْ}، يعني طائفة من اليهود {لَيَكْتُمُونَ الحق} في كتابهم، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنه نبي مرسل. قال مقاتل: إن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لم تطوفون بالبيت المبني بالحجارة؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الطَّوَافَ بِالبَيْتِ حَقٌّ وَإِنَّهُ هُوَ القِبْلَةُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ» فجحدوا ذلك فنزل قوله تعالى: {الذين ءاتيناهم الكتاب}، يعني التوراة يعرفون أن البيت قبلة كما يعرفون أبناءهم؛ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ذلك في أمر القبلة. ثم قال تعالى: {الحق مِن رَّبّكَ} يا محمد، أن الكعبة قبلة إبراهيم. {فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين}، أي من الشاكين. إنهم يعرفون أنها قبلة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

تفسير الآية رقم [148]

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)}

{وَلِكُلّ وِجْهَةٌ} {أي قبلة. والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد. أي لكل ذي ملة قبلة {هُوَ مُوَلّيهَا}، أي مستقبلها. وقيل: لكل دين وملة قبلة هو مولها. قرأ ابن عامر:

»وَهُوَ مُوَلاَّهَا« والباقون بالكسر أي هو بنفسه موليها يعني الله مولاها وقال مقاتل: لكل أهل ملة قبلة هم مستقبلوها يريدون بها وجه الله تعالى. {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ}، أي قال لهذا الأمة: استبقوا بالطاعات. وهذا كما قال في آية أخرى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكتاب وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فاحكم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحق لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومنهاجا وَلَوْ شَآءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحدة ولكن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءاتاكم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة: 48]، أي جعلنا لكل قوم شريعة وسبيلاً، فإذا أخذوا بالسنة والمنهاج رضي عنهم. فأمر الله تعالى أهل هذه الشرائع أن يستبقوا الخيرات في الأعمال الصالحة، فقال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ} في الأرض {يَأْتِ بِكُمُ الله جَمِيعًا}، يعني يقبض أرواحكم ويجمعكم يوم القيامة.

وقال مجاهد {وَلِكُلّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلّيهَا} أمر كل قوم بأن يحولوا وجوههم إلى الكعبة. ويقال: ولكل أمة قبلكم قبلة أمرتهم بأن يستقبلوها فاستبقوا الخيرات، يقول: بادروا الأمم بالطاعات. ثم قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ الله}، يعني يقبض أرواحكم ويجمعكم يوم القيامة. {إِنَّ الله على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}، أي هو قادر على جمعكم يوم القيامة.

تفسير الآيات رقم [149- 150]

{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)}

ثم قال عز وجل: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ} بالصلاة {شَطْرَ المسجد الحرام} أي نحوه وتلقاءه. {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبّكَ}، يعني التوجه إلى الكعبة بالصلاة هو الحق من ربك، {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}، أي يجازيكم بأعمالكم، {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام *مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ}، أي لكي لا يكون لليهود {عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}، لأنهم يعلمون أن الكعبة هي القبلة فلا حجة لهم عليكم، {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ}، أي إلا من ظلم باحتجاجه فيما وضح له كما يقول الرجل لصاحبه: مالك على الحجة إلا أن تظلمني. وقال بعضهم: {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ}، يعني ولا الذين ظلموا لا حجة لهم عليكم. وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ} أي ولا الذين ظلموا فهذا موضع واو العطف، فكأنه قال: ليس للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا منهم، أي لا حجة لهم عليكم.

{فَلاَ تَخْشَوْهُمْ}، أي بانصرافكم إلى الكعبة، {واخشونى} في تركها. قرأ نافع في رواية ورش: {لَيْلاَّ} بغير همز. والباقون: {لّئَلاَّ} بالهمز لأن أصله (لأن لا)، وإنما أسقط نافع

الهمزة للتخفيف. ثم قال تعالى: {وَلإِتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ} بتحويل القبلة وبإرسال الرسول، {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أي لكي تهتدوا من الضلالة.

تفسير الآية رقم [151]

{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)}

قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مّنْكُمْ}، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم {يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءاياتنا} أي القرآن وقوله: {مّنكُمْ} أي من العرب. ويقال: آدمي مثلكم لأنه لو كان من الملائكة لا يستطيعون النظر إليه، فأرسل آدمياً مثلكم يتلو عليكم القرآن {وَيُزَكِيكُمْ}. قال الكلبي: ويصلحكم بالزكاة. وقال مقاتل: يطهركم من الشرك والكفر. وقال الزجاج: خاطب به العرب أنه بعث رسولاً منكم، وأنتم كنتم أهل الجاهلية لا تعلمون الكتاب والحكمة، فكما أنعمت عليكم بالرسالة فاذكروني بالتوحيد. ويقال قوله: كما وصل بما قبله ومعناه: ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم. ويقال: وصل بما بعده، ومعناه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آياتنا وَيُزَكِيكُمْ}. {وَيُعَلّمُكُمُ الكتاب والحكمة وَيُعَلّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} فاعرفوا هذه النعمة.

تفسير الآية رقم [152]

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)}

{فاذكرونى} بالتوحيد {أَذْكُرْكُمْ} يقول: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة، فحق على الله أن يذكر من ذكره، فمن ذكره في طاعته، ذكره الله تعالى بخير ومن ذكر الله من أهل المعصية في معصية ذكره الله باللعنة وسوء الدار. ويقال: اذكروني في الرخاء، أذكركم عند البلاء. ويقال: اذكروني في الضيق أذكركم بالمخرج. ويقال: اذكروني في الخلاء، أذكركم في الملأ. ويقال: اذكروني في ملأ من الناس، أذكركم في ملأ من الملائكة. قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضيل الضبي، عن الحصين، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما اجتمع قوم يذكرون الله تعالى، إلا ذكرهم الله في ملأ أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم من مجلس لا يذكرون الله في مجلسهم، إلا كانت حسرة عليهم يوم القيامة. ويقال: اذكروني بالشكر، أذكركم بالزيادة. ويقال: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة ويقال: اذكروني في الدنيا بالإخلاص أذكركم في الآخرة بالخلاص.

ثم قال تعالى: {واشكروا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} يعني اشكروا نعمتي التي أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا، ولا تجحدوا هذه النعمة. ويقال: النعمة في الحقيقة هي العلم وما

سوى ذلك، فهو تحويل من راحة إلى راحة وليس الطّعام بنعمة، لأن الطعام إذا أكله الإنسان فبعد ساعة يطلب منه الفرج، والثوب الحسن ربما يمل منه إذا كان يؤذيه الحر أو البرد؛ والعلم لا يمل منه صاحبه، بل ربما يطلب له الزيادة. فأمر الله تعالى بشكر هذه النعمة التي بعث رسولاً ليعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون.

تفسير الآيات رقم [153 -154]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)}

ثم قال عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ}، يعني صدقوا بتوحيد الله تعالى. وهذا نداء المدح، وقد ذكرنا قبل هذا أن النداء على ست مراتب. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إذا سمعت الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا} فَارْعَ له بسمعك فإنه أمر تؤمر به أو نهي تنهى عنه.

{استعينوا بالصبر والصلاة} على أداء الفرائض وبالصلاة خاصة. قال الزجاج: استعينوا بالصبر على ما أنتم عليه وإن أصابكم مكروه. وقال مجاهد: استعينوا بالصبر أي بالصوم والصلاة. وقال الضحاك: استعينوا بالصبر على صوم شهر رمضان وعلى الصلوات الخمس. ويقال: الصبر هو الصبر بعينه. ذكر في هذه الآية الطاعة الظاهرة والطاعة الباطنة، فأمر بالصبر والصلاة، لأنه ليس شيء من الطاعة الظاهرة أشد من الصلاة على البدن، لأنه يجتمع فيها أنواع الطاعات: الخضوع والإقبال والسكون والتسبيح والقراءة؛ فإذا تيسر عليه الصلاة تيسر عليه ما سوى ذلك. وليس شيء من الطاعات الباطنة أشد من الصبر على البدن، فأمر الله بالصبر والصلاة لأنه حسن. ثم قال: {إِنَّ الله مَعَ الصابرين}، فالله تعالى مع كل أحد، ولكن خصّ الصابرين لكي يعلموا أن الله سبحانه وتعالى يفرج عنهم.

قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}. قال الضحاك: هم النفر الذين قتلوا عند بئر معونة. وقال الكلبي: هم الذين قتلوا ببدر إذ قتل من المسلمين يومئذٍ أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وكان الناس يقولون: مات فلان ومات فلان، فأنزل الله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء} لأنهم في الحكم كالأحياء، لأنه يجري ثوابهم إلى يوم القيامة، ولأنهم يسرحون في الجنة حيث شاؤوا. كما قال في آية أخرى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أمواتا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169] {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154].

▲ تفسير الآيات رقم [155- 157]

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)}

{وَلَنَبْلُوَنَّكُم} {يعني المؤمنين {بِشَيْء مّنَ الخوف والجوع}. يقول: لنختبرنكم بخوف العدو، وهو الخوف الذي أصابهم يوم الخندق، حتى بلغت القلوب الحناجر؛ والجوع وهو القحط الذي أصابهم، فكان يمضي على أحدهم أياماً لا يجد طعاماً. {وَنَقْصٍ مّنَ الاموال}، يعني ذهاب أموالهم، ويقال موت الماشية. {والانفس}، يعني الموت والقتل والأمراض. {والثمرات} نقصان الثمرات، فلا تخرج الثمرات كما كانت تخرج أو تصيبها الآفة. ويقال: موت الثمرات هو موت الولد وهو ثمرة القلب. ثم قال: {وَبَشّرِ الصابرين}، يعني الذين يصبرون على هذه المصائب والشدائد التي ذكرنا.

ثم وصفهم فقال تعالى: {الذين إِذَا أصابتهم مُّصِيبَةٌ} صبروا ولم يجزعوا، و{قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون}، يعني يقولون: نحن عبيد الله وفي ملكه إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مردنا وإليه راجعون بعد الموت، ونحن راضون بحكمه. {أولئك}، يعني أهل هذه الصفة {عَلَيْهِمْ صلوات مّن رَّبْهِمْ وَرَحْمَةٌ}. والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أشياء: توفيق الطاعة والعصمة عن المعصية ومغفرة الذنوب جميعاً، فبالصلاة الواحدة تتكون لهم هذه الأشياء الثلاثة، فقد وعد لهم الصلوات الكثيرة، ومقدار ذلك لا يعلمه إلا الله.

ثم قال: {وَأُولَئِكَ هُمُ المهتدون}، أي الموفقون للاسترجاع. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال: {وتولى عَنْهُمْ وَقَالَ ياأسفا عَلَى يُوسُفَ وابيضت عَيْنَاهُ مِنَ الحزن فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: 84] فلو كان له الاسترجاع، لقال ذلك؛ وروي عن عثمان بن عطاء، عن أبيه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »مَنْ ذَكَرَ مُصِيبَةً أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَاسْتَرْجَعَ، جَدَّدَ الله ثَوَابَهُ كَيَوْمِ أُصِيبَ بِهَا» وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَلْيَتَذَكَّرْ مُصِيبَتَهُ فِيَّ، فَإِنَّهَا مِنْ أعْظَمِ المَصَائِبِ «وروي هذان الحديثان، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: نعم العدلان ونعم العلاوة؛ فالعدلان قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صلوات مّن رَّبْهِمْ وَرَحْمَةٌ}، والعلاوة قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ المهتدون}.

▲ تفسير الآية رقم [158]

{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)}

قوله تعالى: {إِنَّ الصفا والمروة مِن شَعَائِرِ الله}، قال أهل اللغة: الصفا الحجارة الصلبة التي لا تنبت بها شيء. والواحدة: صفاة. يقال: حصى وحصاة. والمروة: الحجارة اللينة. والشعائر: علامة متعبداته. واحدها شعيرة. يعني أن الطواف بالصفا والمروة من أمور المناسك، {فَمَنْ حَجَّ البيت أَوِ اعتمر فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. روي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. وروي عن ابن عباس، وأنس بن مالك أنهما كانا يقرآن كذلك. ومعنى ذلك، أن من حج البيت أو اعتمر فترك السعي، لا يفسد حجه ولا عمرته، ولكن يجب عليه جبر النقصان وهو إراقة الدم، وفي مصحف الإمام {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} بحذف كلمة (لا). وذلك أن أهل الجاهلية كان لهم صنمان على الصفا والمروة: أحدهما يقال له (اساف) والآخر (نائلة)، وكان المشركون يطوفون بين الصفا والمروة ويستلمون الصنمين. فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم بعمرة القضاء، كان الأنصار لا يسعون فيما بين الصفا والمروة ويقولون: السعي فيما بينهما من أمر المشركين فنزلت هذه الآية. ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، طاف بالبيت والمسلمون معه، فلما سعى بين الصفا والمروة، رفع المسلمون أزرهم، وشمروا قمصهم كيلا يصيب ثيابهم ذينك الصنمين، فنزل قوله تعالى: {إِنَّ الصفا والمروة مِن شَعَائِرِ الله} يعني من أمور المناسك. {فَمَنْ حَجَّ البيت أَوِ اعتمر فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}، يعني لو أصاب ثيابه من ذلك لا يضره ولا إثم عليه؛ فخرج عمر فتناول المعول وكسر الصنمين.

قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الفضل، عن يعلى بن منبه، عن صالح بن حيان، عن أبي بريدة، عن أبيه قال: دخل جبريل عليه السلام المسجد، فبصر بالنبي صلى الله عليه وسلم نائماً في ظل الكعبة فأيقظه فقام وهو ينفض رأسه ولحيته من التراب، فانطلق به نحو باب بني شيبة فلقيهما ميكائيل. فقال جبريل لميكائيل: ما يمنعك أن تصافح النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أجد من يده ريح نحاس. فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم أفعلت ذلك؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم نسي ذلك ثم ذكر فقال: «صَدَقَ أَخِي، مَرَرْتُ أَوَلَ أَمْسِ عَلَى إِساف وَنَائِلَةَ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى أَحَدِهِما وَقُلْتُ: إنَّ قَوْماً رَضُوا بِكُمَا آلِهَةً مَعَ الله هُمْ قَوْمُ سُوءٍ «

قال صالح: قلت لأبي بريدة: وما أساف ونائلة؟ قال: كانا إنسانين من قريش يطوفان بالكعبة، فوجدا فيها خلوة فراود أحدهما صاحبه، فمسخهما الله تعالى نحاساً، فجاءت بهما قريش وقالوا: لولا أن الله رضي بأن نعبد هذين الإنسانين ما مسخهما نحاساً.

وأساف كان رجلاً ونائلة كانت امرأة. قال الزجاج: الجناح في اللغة: أخذ من جنح إذا مال وعدل عن المقصد. وأصل ذلك من جناح الطير.

قوله تعالى: {وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا}. قرأ حمزة والكسائي {يَطَوَّعْ} بالياء وجزم العين، لأن الأصل يتطوع فأدغمت التاء في الطاء وشددت. وقرأ الباقون {وَمَن تَطَوَّعَ} على معنى

الماضي والمراد به الاستقبال، يعني إذا زاد في الطواف حول البيت على ما هو واجب عليه، {فَإِنَّ الله شَاكِرٌ} يقبل منهم، {عَلِيمٌ} بنياتهم وبما نووا وقال القتبي: يطوف أصله يتطوف فأدغمت التاء في الطاء. ويقال: الجناح: الإثم. ويقال إن الله شاكر عليم يقبل اليسير ويعطي الجزيل ويقال: إن الله شاكر بقبول أعمالكم عليم بالثواب. ويقال: الطواف للغرباء أفضل من الصلاة، لأنهم يقدرون على الصلاة إذا رجعوا إلى منازلهم، ولا يمكنهم الطواف إلا في ذلك الوقت، فالله تعالى قد حثّ على الطواف بقوله: {وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ الله شَاكِرٌ عَلِيمٌ}.

▲ تفسير الآيات رقم [159- 160]

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)}

{إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ البينات} نزلت في شأن رؤساء اليهود، منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وابن صوريا، يقول: يكتمون ما أنزلنا في التوراة من البينات: الحلال والحرام وآية الرجم. {والهدى}، يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم {مِن بَعْدِ مَا بيناه لِلنَّاسِ فِي الكتاب}، أي في التوراة. ويقال: في القرآن {أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللاعنون}، أي يخذلهم الله ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس: وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره، سئل من ربك وما دينك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما دريت فهكذا كنت في الدنيا، ثم يضربه ضربة يصيح منها صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، فلا يسمع صوته شيء إلا يلعنه. فذلك قوله تعالى: {وَيَلْعَنُهُمُ اللاعنون} وروي عن ابن مسعود أنه قال: إذا تلاعن اثنان، فإن كان أحدهما مستحقاً للعنة رجعت اللعنة إليه، وإن لم يكن يستحق أحدهما اللعنة ارتفعت اللعنة إلى السماء، فلم تجد هناك موضعاً فتنحدر فترجع إلى الذي تكلم بها إن كان أهلاً لذلك؛ وإن لم يكن أهلاً لذلك رجعت إلى الكفار، وفي بعض الروايات إلى اليهود. فذلك قوله تعالى: {وَيَلْعَنُهُمُ اللاعنون}.

ثم استثنى التائبين من اللعنة، فقال تعالى: {إِلاَّ الذين تَابُواْ} من الكفر واليهودية {وَأَصْلَحُواْ} أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم. ويقال: معناه وأصلحوا لمن أفسد من السفلة، وبينوا صفته في كتبهم. قوله: {فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ}، أي أتجاوز عنهم. {وَأَنَا التواب الرحيم} المتجاوز لمن تاب ورجع فتقبل توبته.

▲ تفسير الآيات رقم [161- 162]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162)}

{إِن الذين كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ}، أي ثبتوا على كفرهم حتى ماتوا على ذلك. {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله والملئكة والناس أَجْمَعِينَ}. قال الكلبي: يعني لعنة المؤمنين خاصة. وقال بعضهم: يلعنهم لعنة جميع الناس، لأن من يخالف دينهم يلعنهم في الدنيا، وأهل دينهم يلعنونهم في الآخرة، كما قال في آية أخرى: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم مِّن دُونِ الله أوثانا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الحياة الدنيا ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النار وَمَا لَكُمْ مِّن ناصرين} [العنكبوت: 25] ثم قال: {خالدين فِيهَا}، أي في اللعنة. ولعنته: عذاب النار أي ما توجبه اللعنة. {لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب}، يعني لا يهون عليهم طرفة عين. {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}، يعني لا يؤجلون.

تفسير الآيات رقم [163- 163]

{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)}

{وإلهكم إله واحد} قال مقاتل: يعني ربكم رب واحد. وقال الضحاك: كان لمشركي العرب ثلاثمائة وستون صنماً يعبدونها من دون الله تعالى، فدعاهم الله إلى التوحيد والإخلاص لعبادته فقال: {وإلهكم إله واحد}. ويقال: نزلت هذه الآية في صنف من المجوس يقال لهم: المانوية فكان رئيسهم يقال له: ماني، فقال لهم أرى الأشياء زوجين وضدين، مثل الليل والنهار والنور والظلمة والحر والبرد والخير والشر والسرور والحزن والذي يصلح للشيء لا يصلح لضده، فمن كان خالق النور والخيرات لا يكون خالق الشر والظلمات؛ فهما اثنان: أحدهما يخلق الشر والآخر يخلق الخير، فنزلت هذه الآية {وإلهكم إله واحد}، أي خالقكم خالق واحد هو خالق الأشياء كلها.

وقوله تعالى: {لاَّ إله إِلاَّ هُوَ الرحمن الرحيم}، قال بعض الناس: هذا الكلام نصفه كفر، وهو قوله: لاَ إله، ونصفه إيمان وهو قوله: {إِلاَّ هُوَ}. ولكن هذا الكلام ليس بسديد، لأن الله تعالى أمر رسوله بأن يأمرهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فلا يجوز أن يأمرهم بالكفر. وقال بعضهم: النصف الأول منسوخ والنصف الثاني ناسخ. وهذا أيضاً لا يصح، لأن المنسوخ هو الذي كان مباحاً قبل النسخ والكفر لم يكن مباحاً أبداً. وأحسن ما قيل فيه: إن قوله: {لا إله} نفي معبود الكفار، وقوله: {إِلاَّ هُوَ} إثبات معبود المؤمنين. أو نقول: {لا إله} نفي الألوهية عمن لا يستحق الألوهية، وقوله {إِلاَّ الله} إثبات الألوهية لمن يستحق الألوهية.

تفسير الآيات رقم [164- 164]

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ

كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)}

لما نزلت هذه الآية، أنكر المشركون توحيد الله تعالى، وطلبوا منه دليلاً على إثبات وحدانيته؛ فنزلت هذه الآية {إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والارض}، يعني في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله في أنه خلقها بغير عمد ترونها وزينها بمصابيح، والأرض بسطها أيضاً وجعل لها أوتاداً وهي الجبال وفجر فيها الأنهار وجعل فيها البحار. {واختلاف اليل والنهار}، يعني في مجيء الليل وذهاب النهار، ومجيء النهار وذهاب الليل. ويقال: اختلافهما في الكون. ويقال: نقصان الليل وتمام النهار، ونقصان النهار وتمام الليل. {والفلك التى تَجْرِى فِى البحر}. يعني السفن. ويقال للسفينة الواحدة: الفلك ولجماعة السفن: الفلك. يعني السفن التي تسير في البحر، فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر {بِمَا يَنفَعُ الناس} من الكسب والتجارة وغير ذلك.

وقوله: {وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السماء مِن مَّاء}، يعني المطر الذي ينزل من السماء، {فَأَحْيَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} أي اخضرت الأرض بعد يبسها {وَبَثَّ فِيهَا}، يقول: خلق في الأرض {مِن كُلّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرياح}؛ قرأ حمزة والكسائي: {الريح} بغير ألف والباقون: {الرياح} بالألف. واختار أبو عبيدة في قراءته: أن كل ما في القرآن من ذكر العذاب الريح بغير ألف، وكل ما في القرآن من ذكر الرحمة: الرياح بالألف، واحتج بما روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا هاجت الريح قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً» ومعنى قوله تعالى {وَتَصْرِيفِ الرياح} أي هبوب الريح مرة جنوباً ومرة شمالاً ومرة صباً ومرة دبوراً.

قوله تعالى: {والسحاب المسخر}، أي المذلل والمطوع، {بَيْنَ السماء والارض لآيات لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، أي في هذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية، آيات لوحدانيته لمن كان له عقل وتمييز. ويقال: هذه الآية تجمع أصول التوحيد، وقد بيّن فيها دلائل وحدانيته، لأن الأمر لو كان بتدبير اثنين مختلفين في التدبير، لفسد الأمر باختلافهما. كما قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22].

▲ تفسير الآيات رقم [165- 167]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)}

{وَمِنَ الناس مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَادًا}، يعني بعض الناس وصفوا لله شركاء وأعدالاً وهي الأوثان. {يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله}، قال بعضهم: معناه يحبون الأوثان كحبهم لله تعالى، لأنهم كانوا يقرون بالله تعالى. وقال بعضهم: معناه، يحبون الأوثان كحب المؤمنين لله تعالى {والذين ءامَنُواْ أَشَدُّ حُبّا لِّلَّهِ}، لأن الكفار يعبدون أوثانهم في حال الرخاء، فإذا أصابتهم شدة تركوا عبادتها؛ والمؤمنون يعبدون الله تعالى في حال الرخاء والشدة، فهذا معنى قوله تعالى: {والذين ءامَنُواْ أَشَدُّ حُبّا لِّلَّهِ}. فإن قيل: إذا كان المؤمنون أشد حباً لله فما معنى قوله: {يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله}؟ قيل له: يحتمل أن بعض المؤمنين حبهم مثل حبهم وبعضهم أشد حباً، وفي أول الآية ذكر بعض المؤمنين، وفي آخر الآية ذكر المؤمنين الذين هم أشد حباً لله. والحب لله أن يطيعوه في أمره وينتهوا عن نهيه، فكل من كان أطوع لله فهو أشد حباً له. كما قال القائل:

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَه *** إِنَّ المُحْبَّ لِمَنْ يُحْبُّ مُطِيعُ

ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: {وَلَوْ يَرَى الذين ظَلَمُواْ} يا محمد. {إِذْ يَرَوْنَ العذاب}، يعني حين يرون العذاب. {أَنَّ القوة لِلَّهِ جَمِيعًا}، وفي الآية مضمر ومعناه: يا محمد لو رأيت الذين ظلموا في العذاب، لرأيت أمراً عظيماً؛ كما تقول: لو رأيت فلاناً تحت السياط فيستغني عن الجواب، لأن معناه مفهوم. فكذلك هاهنا لم يذكر الجواب، لأن المعنى معلوم. قرأ نافع وابن عامر: {وَلَوْ تَرَى} بالتاء على معنى المخاطب للنبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ الباقون: بالياء؛ ومعناه ولو يرى عبدة الأوثان اليوم ما يرون يوم القيامة، أن الأوثان لا تنفعهم شيئاً وأن القوة لله جميعاً، تركوا عبادتها. وقرأ ابن عامر {إِذْ يَرَوْنَ العذاب} بضم الياء على معنى فعل ما لم يسم فاعله؛ وقرأ الباقون بنصب الياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الحسن وقتادة: {أَنَّ القوة لِلَّهِ جَمِيعًا} على معنى الابتداء، وقرأ العامة {أَنَّ القوة لِلَّهِ} بالنصب على معنى البناء، يعني بأن القوة لله جميعاً {وَأَنَّ الله شَدِيدُ العذاب}، يعني للرؤساء والاتباع من أهل الأوثان.

{إِذْ تَبَرَّأَ الذين اتبعوا}، يعني القادة {مِنَ الذين اتبعوا} وهم السفلة {وَرَأَوُاْ العذاب}، يقال حين يروا العذاب {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الاسباب}، أي العهود والحلف التي كانت بينهم في الدنيا. وقال القتبي: الأسباب يعني الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا. وقال بعضهم {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الاسباب}، أي الخلة والمواصلة، كما قال في آية أخرى: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} [الزخرف: 67]؛ ويقال: الأرحام والمودة التي كانوا يتواصلون بها فيما بينهم.

قوله تعالى: {وَقَالَ الذين اتبعوا}، أي السفلة: {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً}، أي رجعة إلى الدنيا؛ وذلك أن الرؤساء لما تبرؤوا منهم ولا ينفعونهم شيئاً، ندمت السفلة على اتباعهم في الدنيا ويقولون في أنفسهم: لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا {فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ}، أي من القادة {كَمَا * تَنقِمُ مِنَّا} القادة. قال الله تعالى: {كذلك يُرِيهِمُ الله أعمالهم حسرات عَلَيْهِمْ}

لأنهم يرون أعمالهم غير مقبولة، لأنها كانت لغير وجه الله تعالى فيكون ذلك حسرة عليهم. وقوله تعالى: {وَمَا هُم بخارجين مِنَ النار}، يعني التابع والمتبوع والعابد والمعبود.

تفسير الآيات رقم [168- 169]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)}

{النار يأَيُّهَا الناس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيّباً}، وذلك أن قوماً من العرب مثل بني عامر وبني مدلج وخزاعة وغيرهم، حرموا على أنفسهم أشياء مما أحل الله من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة وغير ذلك، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: {النار يأَيُّهَا الناس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيّباً} من الحرث والأنعام، وحلالاً نصب على الحال. {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان}، يعني طاعات الشيطان. وقال مقاتل: يعني تزيين الشيطان. ويقال: وساوس الشيطان. وقال القتبي: الخطوات جمع الخطوة. وقال الزجاج: خطواته أي طرقه، ومعناه: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}، أي ظاهر العداوة.

{إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بالسوء والفحشاء}، يعني بالإثم والقبيح من العمل. ويقال: السوء الذي يجب به الحبس والحساب، والفحشاء: التي يستوجب بها العقوبة في النار. ويقال: السوء الذي يجب به التعزير في الدنيا، والفحشاء التي يجب بها الحد. {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ}، يعني أن الشيطان يأمركم بأن تكذبوا على الله، لأنهم كانوا يقولون هذه الأشياء حرم الله علينا.

تفسير الآيات رقم [170- 170]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)}

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتبعوا مَا أَنزَلَ الله}، أي اعملوا بما أنزل الله في القرآن من تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله. {قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءابَاءنَا}، يعني ما وجدنا عليه آباءنا. قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتبعوا مَا أَنزَلَ الله قَالُواْ}، معناه أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً فيتابعوهم بغير حجة؟ فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة. وهذه الواو مفتوحة وهي واو: أَوَلَو لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف التوبيخ وهي ألف الاستفهام.

قرأ أبو عمرو ومن تابعه من أهل البصرة: {وَقَالَ الذين اتبعوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كذلك يُرِيهِمُ الله أعمالهم حسرات عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بخارجين مِنَ النار} [البقرة: 167] بكسر الهاء والميم، وكذلك في كل موضع تكون الهاء والميم بعدهما ألف ولام. مثل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ ياموسى لَن نَّصْبِرَ على طَعَامٍ واحد فادع لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأرض مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الذى هُوَ أدنى بالذى هُوَ خَيْرٌ اهبطوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة والمسكنة وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله ذلك بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيات الله وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ الحق ذلك بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [البقرة: 61] {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الامل فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3]. وكان عاصم وابن عامر ونافع يقرؤون بكسر الهاء وضم الميم. وكان حمزة والكسائي يقرآن: بضم الهاء والميم. وكان ابن كثير يقرأ: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} بضم الميم، وكذلك {إِنَّمَا يَأْمُرُكُم}؛ وكذلك كل ميم نحو هذا مثل: {صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِمْ وَلاَ الضالين} [الفاتحة: 7]، {خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارهم غشاوة وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} [البقرة: 7]. وكان نافع في رواية ورش عنه يقرأ: سكون الميم، إلا أن يستقبله ألف أصلية فيضم الميم مثل قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [البقرة: 6] {وكذلك أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ليعلموا أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ الساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يتنازعون بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابنوا عَلَيْهِمْ بنيانا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا} [الكهف: 21]، {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} [نوح: 14]. وكان حمزة والكسائي يقرؤون بسكون الميم، إلا أن يستقبله ألف ولام مثل قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ ياموسى لَن نَّصْبِرَ على طَعَامٍ واحد فادع لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأرض مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الذى هُوَ أدنى بالذى هُوَ خَيْرٌ اهبطوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة والمسكنة وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله ذلك بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيات الله وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ الحق ذلك بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [البقرة: 61].

وأما قوله: {ياأيها الناس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 168 وغيرها] كان نافع وأبو عمرو وحمزة وعصام في رواية أبي بكر يقرؤون {خطوات} بجزم الطاء. وقرأ الكسائي وابن كثير وعاصم في رواية حفص: {خطوات} بضم الطاء؛ وهما لغتان ومعناهما واحد.

تفسير الآيات رقم [171- 171]

{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)}

ثم قال تعالى: {وَمَثَلُ الذين كَفَرُواْ كَمَثَلِ الذى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء}. فهذا مثل ضربه الله تعالى لأهل الكفر، إنهم مثل البهائم لا يعقلون شيئاً سوى ما يسمعون من النداء. وفي الآية إضمار ومعناه: مثلك يا محمد مع الكفار، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً. وهذا قول الزجاج. وقال القتبي: قال الفراء: ومثل واعظ الذين كفروا فحذف ذكر الواعظ. كما قال تعالى: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82]. وقال القتبي أيضاً: {مَّثَلُ الذين كَفَرُواْ}، يعني ومثلنا في وعظهم، فحذف اختصاراً إذ كان في الكلام ما يدل عليه، {كَمَثَلِ الذى يَنْعِقُ}، يعني الراعي إذا صاح في الغنم لا يسمع إلا دعاءً ونداءً فحسب، ولا تفهم قولاً ولا تحسن جواباً، فكذلك الكافر لا يعقل المواعظ. {صُمٌّ} عن الخبر فهم لا يسمعون {بُكْمٌ}، أي خرس لا يتكلمون بالحق {عُمْىٌ} لا يبصرون الهدى. ويقال: كأنّهم صم، لأنهم يتصاممون عن سماع الحق. {فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} الهدى.

تفسير الآيات رقم [172- 173]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)}

{يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيّبَاتِ مَا رزقناكم}، يعني من الحلال من الحرث والأنعام. {واشكروا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، يعني إن كنتم تريدون بترك أكله رضاء الله تعالى فكلوه، فإن رضي الله تعالى أن تحلوا حلاله وتحرموا حرامه. ويقال: إن محرِّم ما أحل الله مثل محل ما حرم الله. ويقال: في هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه تعالى خاطبهم بما خاطب به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام لأنه قال لأنبيائه: {ياأيها الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات واعملوا صالحا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقال لهذه الأمة {كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم} وقال في أول الآية: {ياأيها الناس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 168]. فلما أمر الله تعالى بأكل هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها على أنفسهم. قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن لم يكن هذه الأشياء محرمة فالمحرمات ما هي؟ فبيّن الله تعالى المحرمات، فقال: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الميتة والدم وَلَحْمَ الخنزير}. والميتة سوى السمك والجراد، والدم يعني الدم المسفوح أي الجاري. كما قال في آية أخرى: {قُل لاَّ أَجِدُ فِى مَا أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ فَمَنِ اضطر غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام: 145]، يعني حرم عليكم، ولحم الخنزير فذكر اللحم خاصة والمراد به اللحم والشحم وجميع أجزائه. وهذا شيء قد أجمع المسلمون على تحريمه فقد ذكر الميتة وإنما انصرف إلى بعض منها وأحل البعض منها وهو السمك والجراد؛ وذكر الدم وإنما المراد به بعض الدم، لأنه لم يدخل فيه الكبد والطحال؛ وذكر لحم الخنزير فانصرف

النهي إلى اللحم وغيره. {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله}، يعني ما ذبح بغير اسم الله تعالى. والإهلال في اللغة: هو رفع الصوت. وكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا، رفعوا الصوت بذكر آلهتهم؛ فحرم الله تعالى على المؤمنين أكل ما ذبح لغير اسم الله تعالى. وفي الآية دليل: أنه إذا ترك التسمية عمداً لا يؤكل، لأنه قد ذبح بغير اسم الله تعالى.

ثم إن الله تعالى علم أن بعض الناس يبتلون بأكل الميتة عند الضرورة، فرخص لهم في ذلك بقوله تعالى: {فَمَنِ اضطر}. قرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو: {فَمَنِ اضطر} بكسر النون وقرأ الباقون بالضم؛ وهما لغتان ومعناهما واحد. يقول: فمن أجهد إلى شيء مما حرم الله إلى أكل الميتة {غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}، يعني غير مفارق الجماعة ولا عاد على المسلمين بالسيف؛ فمن خرج لقطع الطريق، أو خرج على إمام المسلمين فلا رخصة له عند بعضهم.

وقال بعضهم: من خرج في معصية فلا رخصة له. وقال بعضهم: كل من اضطر إلى أكل الميتة رخص له أن يأكل سواء أخرج للمعصية أو غيرها. وهذا قول أصحابنا. ومعنى قوله: {غَيْرَ بَاغٍ}، أي غير طالب للحرام ولا راض بأكله. {وَلاَ عَادٍ}، يعني لا يعود إلى أكله بعد أكل مقدار ما يسد به الرمق.

وروي عن ابن عباس نحو هذا. قال: حدثنا محمد بن سعيد الترمذي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: {فَمَنِ اضطر غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ} قال: من أكل شيئاً من هذه الأشياء وهو مضطر، فلا حرج عليه؛ ومن أكله وهو غير مضطر، فقد بغى واعتدى.

ثم اختلفوا في حد الاضطرار الذي يحل له أكل الميتة. قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف وهو قول الشافعي. وروي عن ابن المبارك أنه قال: إذا كان بحال لو دخل السوق لا ينظر إلى شيء سوى الخبز. وقال بعضهم: إذا كان بحال يضعفه عن أداء الفرائض.

وقد اختلفوا أيضاً في أكله: قال بعضهم: أكله حرام إلا أنه لا إثم عليه، ألا ترى أنه قال في سياق الآية: {إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. وقال بعضهم: هو حلال ولا يسعه تركه، لأنه قال في آية أخرى: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسم الله عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضطررتم إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بالمعتدين} [الأنعام: 119]، فلما استثني منه ثبت أنه حلال. وروي عن مسروق أنه قال: من اضطر إلى ميتة فلم يأكل حتى مات، دخل النار.

تفسير الآيات رقم [174- 176]

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)}

قوله تعالى: {إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ الله مِنَ الكتاب}، نزلت في رؤساء اليهود كانوا يرجون أن يكون النبي عليه السلام منهم، فلما كان من غيرهم خشوا بأن تذهب منافعهم من السفلة، فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم فغيّروها. ويقال: غيروا تأويلها فنزلت هذه الآية: {إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ الله مِنَ الكتاب}، يعني في التوراة بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم {وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}، يعني يختارون به عرضاً يسيراً من منافع الدنيا. {أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النار}، يعني يأكلون الحرام. وإنما سمي الحرام ناراً، لأنه يستوجب به النار، كما قال في آية أخرى: {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: 10].

{وَلاَ يُكَلّمُهُمُ الله يَوْمَ القيامة}، أي لا يكلمهم بكلام الخير، لأنه يكلمهم بكلام العذاب حيث قال تعالى: {قَالَ اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ} [المؤمنون: 108]، {وَلاَ يُزَكّيهِمْ}، أي ولا يطهرهم من الأعمال الخبيثة السيئة. وقال الزجاج: ولا يزكيهم أي لا يثني عليهم خيراً، ومن لا يثني عليه فهو معذب؛ {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، أي وجيع يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، وكذلك كل من كان عنده علم فاحتاج الناس إلى ذلك فكتمه، فهو من أهل هذه الآية. وهذا كما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً، أَلْجَمَهُ الله تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ »

ثم قال: {أولئك الذين}، يعني رؤساء اليهود {الذين اشتروا الضلالة بالهدى}، يعني اختاروا الكفر على الإيمان {والعذاب بالمغفرة}، يعني اختاروا النار على الجنة؛ {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النار}، يقول: فما الذي أجرأهم على فعل أهل النار؟ ويقال: معناه فما أبقاهم في النار؟ كما يقال: فما أصبر فلاناً على الحبس: أي أبقاه؟ {ذلك}، أي ذلك العذاب {بِأَنَّ الله نَزَّلَ الكتاب بالحق}، أي القرآن {بالحق}، أي بالعدل. {وَإِنَّ الذين اختلفوا فِى الكتاب}، أي في القرآن {لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، أي في ضلالة بيِّنة. ويقال: معناه أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بالعدل، فتركوا اتباعه وخالفوه فاستوجبوا بذلك العذاب. ويقال: {لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، أي في خلاف بعيد من الحق. وذكر عن قتادة أنه قال: {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النار}، أي فما أجرأهم على العمل الذي يقرب إلى النار. وروي عن مجاهد أنه قال: ما أعلمهم بعمل أهل النار. ويريد ما أدومهم على عمل أهل النار. وقال أبو عبيدة: ما الذي صيرهم ودعاهم إلى النار؟

▲ تفسير الآيات رقم [177- 177]

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}

ثم قال:

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ}. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: {لَّيْسَ البر} بنصب الراء على معنى خبر ليس. وقرأ الباقون: بالرفع على معنى اسم ليس. من قرأ بالرفع فهو الظاهر في العربية، لأن ليس يرفع الاسم الذي بعده بمنزلة كان؛ وأما من قرأ بالنصب، فإنه يجعل الاسم ما بعده ويجعل (البر) خبره. وتفسير الآية قال مقاتل: في قوله: {لَّيْسَ البر أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ}، أي ليس البر أن تحولوا وجوهكم في الصلاة {قِبَلَ المشرق والمغرب} لا تعملوا غير ذلك، {ولكن البر مَنْ ءامَنَ بالله}، يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له. قرأ نافع وابن عامر {ولكن البر} بكسر النون وضم الراء... وقرأ الباقون: {ولكن البر} بنصب النون مشددة وبنصب الراء. ويقال: معناه ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما ذكر في هذه الآية من العبادات. ثم اختلفوا في معنى قوله: {ولكن البر مَنْ ءامَنَ بالله}. قال بعضهم: معناه ولكن ذو البر من آمن بالله. وقال بعضهم: معناه ولكن البر بر من آمن بالله؛ وكلا المعنيين ذكرها الزجاج في كتابه. وقال بعضهم ليس البار من يولي وجهه إلى المشرق والمغرب، ولكن البار من آمن بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ.

ثم ذكر في هذه الآية خمسة أشياء من الإيمان، فمن لم يقر بواحدة منها فقد كفر. أحدها: الإيمان بالله تعالى أنه واحد لا شريك له والتصديق باليوم الآخر وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال وأنه كائن، وأن أهل الثواب يصلون إلى الثواب وأهل العقاب يصلون إلى العقاب والتصديق بالكتاب أنه منزل من الله تعالى القرآن وسائر الكتب: التوراة والإنجيل والزبور، ويقر بالملائكة أنهم عبيده ويقر بالنبيين أنهم رسله وأنبياؤه فهذه الخمس من الإيمان فمن جحد واحدة منها فقد كفر. ثم ذكر الفضائل فقال تعالى: {وَءاتَى المال على حُبّهِ}، يعني يعطي المال على شهوته وجوعه وهو شحيح يخشى الفقر، ويأمل العيش. ويقال: على حبه الإعطاء بطيبة من نفسه، يعطي {ذَوِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل}، يعني الضيف النازل {والسائلين} الذين يسألون الناس {وَفِي الرقاب}، يعني المكاتبين. وقد قيل: (ابن السبيل) هو المنقطع من ماله.

ثم ذكر الفرائض فقال تعالى: {لَّيْسَ البر} المكتوبة، {لَّيْسَ البر} المفروضة. {والموفون بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهدوا} فيما عاهدوا فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين

الناس. {والصابرين فِى البأساء والضراء وَحِينَ البأس}. أي بالبأساء وهي شدة الفقر؛ البأس قال القتبي: يعني الفقر وهو من البؤس والضراء المرض والزمانة. {وَحِينَ البأس}، يعني يصبرون عند الحرب. وقال القتبي: البأس: الشدة ومنه يقال: لا بأس عليك يعني لا شدة عليك، فلهذا سمي الحرب البأس، لأن فيه شدة.

ثم قال تعالى: {أُولَئِكَ الذين صَدَقُوا} يعني صدقوا في إيمانهم، {وَأُولَئِكَ هُمُ المتقون} عن نقض العهد.

فإن قيل: أيش معنى قوله: {والصابرين فِى البأساء والضراء} وموضعه موضع رفع ولم يقل: والصابرون؟ قيل له: قد قال بعض من تعسف في كلامه: إن هذا غلط الكاتب حين كتبوا مصحف الإمام؛ والدليل على ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه نظر في المصحف وقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها وهكذا قال في سورة النساء: {لكن الراسخون فِى العلم مِنْهُمْ والمؤمنون يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكواة والمؤمنون بالله واليوم الاخر أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 162] وفي سورة المائدة {والصابئون}. لكن الجواب عند أهل العلم أن يقال: إنما صار نصباً للمدح والكلام يصير نصباً للمدح أو للذم. ألا ترى إلى قول القائل:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الجَمَلِ *** وإنما جعله نصباً للمدح. وروي عن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فنزلت هذه الآية: {لَّيْسَ البر أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ} الآية. وقال الضحاك {أُولَئِكَ الذين صَدَقُوا} يعني صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم بأعمالهم. {وَأُولَئِكَ هُمُ المتقون}، يعني المطيعون لله تعالى. ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [178- 179]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)}

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلَى}، يعني فرض عليكم وأوجب عليكم القصاص. فإن قيل: الفرض على من يكون؟ على الولي أو على غيره؟ قيل له: الفرض على القاضي إذا اختصموا إليه، بأن يقتضي على القاتل بالقصاص إذا طلب الولي، لأن الله تعالى قد خاطب جميع المؤمنين بالقصاص؛ ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص، فخاطب الولي

بالقصاص وخاطب غيره بأن يعين الولي على ذلك. وهو قوله {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القصاص}، أي فرض عليكم إذا كان في القتل عمداً.

{الحر بِالْحُرّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى}. قال بعضهم: كان في أول الشريعة أن الحر يقتل بالحر والعبد بالعبد، ولا يقتل الحر بالعبد ولا العبد بالحر، ولا الذكر بالأنثى ثم نسخ بقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزَلَ الله فأولئك هُمُ الظالمون} [المائدة: 45]. وقال بعضهم هي غير منسوخة، لأنه قد ذكر هذه الآية: {الحر بِالْحُرّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى} ولم يذكر في هذه الآية: أن العبد لو قتل حراً ما حكمه، فبيّن في آية أخرى وهو قوله: {النفس بالنفس}. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية، فكان بينهم قتلى وجراحات وكان لأحدهما طول على الأخرى فقالوا: لنقتلن بالعبد منا الحر منكم، وبالمرأة الرجل منكم، وبالرجل منا الرجلين منكم؛ فلما جاء الإسلام طلب بعضهم من بعض ذلك، فنزلت هذه الآية: {الحر بِالْحُرّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى}.

ثم قال تعالى: {فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ}، أي ترك ولي المقتول من أخيه: أي القاتل ولم يقتله وأخذ الدية. {فاتباع بالمعروف}، يعني يطلب الدية بالرفق ولا يعسر عليه، وأمر بالمطلوب بأن يؤدي الدية إلى الطالب لقوله: {وَأَدَاء إِلَيْهِ بإحسان}. وقال القتبي {فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ} قال: قبول الدية في العمد والعفو عن الدم. {فاتباع بالمعروف}، أي مطالبة جميلة {وَأَدَاء إِلَيْهِ بإحسان} لا يبخسه ولا يمطله، معناه ولا يدفعه إذا عفا أحد ولي القصاص صار نصيب الآخر ملأ فيتبعه بالمعروف، والقاتل يؤدي إليه نصيبه بإحسان.

{ذلك تَخْفِيفٌ مّن رَّبّكُمْ وَرَحْمَةٌ}، لأن أهل التوراة كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو وليس لهم قود ولا دية، فجعل الله تعالى القصاص والدية والعفو تخفيفاً لهذه الأمة، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا.

وقال بعض الناس: إن الولي إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية وإن لم يرض القاتل، وهو قول الشافعي، وقال أصحابنا: ليس له أن يأخذ الدية إلا برضا القاتل. وليس في هذه الآية دليل، أن له أن يأخذ الدية بكره منه، وفيها دليل أن له أن يقبل الدية وإذا رضي القاتل وَاصْطَلَحَا على ذلك.

ثم قال تعالى: {فَمَنِ اعتدى *** مِن بَعْدِ ذلك}، يعني أن يقتل بعد ما يأخذ الدية {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي وجع. وقال قتادة: يقتل ولا يتقبل منه الدية إذا اعتدى، واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا أَعْفِي عَنْ أحَدٍ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ» ولكن معناه عندنا: أنه إذا طلب الولي القتل، فأما إذا عفا عنه الثاني وتركه جاز عفوه، لأنه قتل بغير

حق فصار حكمه حكم القاتل الأول، لأنه لو عفي عنه لجاز ذلك فكذلك الثاني. ثم قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي القصاص حياة} بقاء، لأن الناس يعتبرون بالقصاص فيمتنعون عن القتل. وهذا كما قال القائل:

أَبْلِغْ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُغَلْغَلَة *** وَفِي العِقَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَام

وهذا معنى قوله: {وَلَكُمْ فِي القصاص حياة} {واتقون يأُوْلِي الالباب}، يعني يا ذوي العقول. {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} القتل مخافة القصاص.

تفسير الآيات رقم [180- 182]

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)}

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ} {أي فرض عليكم {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت إِن تَرَكَ خَيْرًا}، أي مالاً. الخير في القرآن على وجوه، أحدها: المال كقوله تعالى: {إِن تَرَكَ خَيْرًا} وقوله: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 215]، {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتغآء وَجْهِ الله وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: 272] أي المال. والثاني: الإيمان كقوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} [الأنفال: 23] أي إيماناً، وكقوله تعالى: {وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ الله وَلاَ أَعْلَمُ الغيب وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تزدرى أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ الله خَيْرًا الله أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنفُسِهِمْ إنى إِذًا لَّمِنَ الظالمين} [هود: 31]. والثالث الخير: الفضل كقوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فاغفر لَنَا وارحمنا وَأَنتَ خَيْرُ الراحمين * فاتخذتموهم سِخْرِيّاً حتى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ اليوم بِمَا صبروا أَنَّهُمْ هُمُ الفآئزون * قال كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الارض عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العآدين * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقناكم عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فتعالى الله الملك الحق لاَ إله إِلاَّ هُوَ رَبُّ العرش الكريم * وَمَن يَدْعُ مَعَ الله إِلَهًا ءَاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون * وَقُل رَّبِّ اغفر وارحم وَأنتَ خَيْرُ الراحمين} [المؤمنون: 109 و118]. والرابع: العافية كقوله: {وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كاشف لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ على كُلِّ شَئ قَدُيرٌ} [الأنعام: 17] {وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغفور الرحيم} [يونس:

107]. والخامس: الأجر كقوله: {والبدن جعلناها لَكُمْ مِّن شعائر الله لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ القانع والمعتر كذلك سخرناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: 36] أي أجر.

وقال بعضهم: الوصية واجبة على كل مسلم، لأن الله تعالى قال: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ}، أي فرض عليكم الوصية. وروي عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَةً وَعِنْدَهُ مَالٌ يُوَصِي بِهِ، إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَه» وقال بعضهم: هي مباحة وليست بواجبة. وقد روي عن الشعبي أنه قال: الوصية ليست بواجبة فمن شاء أوصى ومن شاء لم يوص.

وقال إبراهيم النخعي: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص، وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه فإن أوصى فحسن، وإن لم يوص فليس عليه شيء. وقال بعضهم: إن كان عليه حج أو كفارة أي شيء من الكفارات فالوصية واجبة، وإن لم يكن عليه شيء من الواجبات فهو بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص. وبهذا القول نأخذ.

ثم بيّن مواضع الوصية فقال تعالى: {الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف}. قال مجاهد: كان الميراث للولد والوصية للوالدين والأقربين، فصارت الوصية للوالدين منسوخة. وروى جويبر، عن الضحاك أنه قال: نسخت الوصية للوالدين والأقربين ممن يرث، وثبتت الوصية لمن لا يرث من القرابة. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، معناه كتب عليكم الوصية للوالدين والأقربين إذا حضر أحدكم الموت؛ وكانوا يوصون للأجنبيين ولم يوصوا للقرابة شيئاً، فأمرهم الله تعالى بالوصية للوالدين والأقربين. ثم نسخت الوصية للوالدين بآية الميراث في قوله: {بالمعروف حَقّا عَلَى المتقين}، أي واجباً عليهم.

وقوله تعالى: {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ}، أي غيّره بعدما سمع الوصية؛ {فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الذين يُبَدِّلُونَهُ}، أي وزره على الذين يبدلونه ويغيرونه لا على الموصي، لأن الموصي قد فعل ما عليه. {إِنَّ الله سَمِيعٌ} بالوصية {عَلِيمٌ} بثوابها وبجزاء من غيّر الوصية. {فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا}، أي علم من الموصي الجنف وهو الميل عن الحق {فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}، إذا غيّر وصيَّته فردها إلى الحق، لأن تبديله كان للإصلاح ولم يكن للجور. وقال الكلبي: {فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا}، أي علم من الميت الخطأ في الوصية، {أَوْ إِثْماً}، يعني تعمداً للجور في وصيته فزاد على الثلث؛ {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ}، أي رد ما زاد على الثلث {فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. هكذا قال مقاتل: وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الإضرار في الوصية من الكبائر.

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: «فَمَنْ خَافَ مِنْ موَصّ» بنصب الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون: بسكون الواو وتخفيف الصاد؛ فمن قرأ بالنصب والتشديد،

فهو من وصّى يوصي؛ ومن قرأ بالتخفيف، فهو من أوصى يوصي. وهما لغتان ومعناهما واحد {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، معناه غفور لمن جنف رحيم لمن أصلح.

نداءِ ايمان صفحه 5

▲ تفسير الآيات رقم [183- 187]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)}

قوله تعالى: {رَّحِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيام}، يعني فرض عليكم صيام رمضان، {كَمَا كُتِبَ عَلَى الذين مِن قَبْلِكُمْ}، أي فرض على الذين من قبلكم من أهل الملل كلها. {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد النوم. ويقال: كما كتب في الذين من قبلكم في الفرض. ويقال: كما كتب على الذين من قبلكم في العدد {أَيَّامًا معدودات}، أي معلومات؛ وإنما صارت الأيام نصباً لنزع الخافض، ومعناه في أيام معدودات. وقال مقاتل: كل شيء في القرآن معدودة أو معدودات فهو دون الأربعين، وما زاد على ذلك لا يقال معدودة.

ثم قال تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا}، فلم يقدر على الصوم {أَوْ على سَفَرٍ}، فلم يصم. {فَعِدَّةٌ مّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}، أي فعليه أن يقضيها بعد مضي الشهر مثل عدد الأيام التي فاتته. {وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ}، أي يطيقون الصوم {فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}، أي يدفع لكل مسكين مقدار نصف صاع من حنطة ويفطر ذلك اليوم. {فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا}، أي تصدق على مسكينين مكان كل يوم أفطره، {فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ} من أن يطعم مسكيناً واحداً. والصيام خير له من الإفطار وهو قوله: {وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} من أن تفطروا وتطعموا. قال الكلبي: كان هذا في أول الإسلام ثم نسخت هذه الآية بالآية التي بعدها،

وهكذا قال القتبي، وهكذا روي، عن سلمة بن الأكوع أنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: {وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}، كان من أراد أن يفطر ويفدي فعل، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها وهو قوله: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}. وقال الشعبي: لما نزلت هذه الآية: {وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}، كان الأغنياء يطعمون ويفطرون ويفتدون ولا يصومون، فصار الصوم على الفقراء، فنسختها هذه الآية {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، فوجب الصوم على الغني والفقير، وقال بعضهم: ليست بمنسوخة، وإنما نزلت في الشيخ الكبير. وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ: «وَعَلَى الَّذِينَ يَطُوقُونَهُ»، يعني يكلفونه فلا يطيقونه. وروي عن عطاء، عن ابن عباس أنه قال: ليست بمنسوخة وإنما هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة اللذين لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان كل يوم مسكيناً. قرأ نافع وابن عامر «فِدْيَةُ طَعَامِ مِسْكِينٍ» بضم الهاء وكسر الميم بالألف على الإضافة. وقرأ الباقون بتنوين الهاء {فِدْيَةٌ طَعَامُ} بضم الميم {مّسْكِينٌ} بغير ألف.

قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ}، قرأ عاصم في رواية حفص: {شَهْرٍ} بفتح الراء والباقون: بالضم. وإنما صار رفعاً لمعنيين: أحدهما أنه مفعول ما لم يسم فاعله، يقول: كتب عليكم شهر رمضان ومعنى آخر: أنه خبر مبتدأ يعني هذا شهر رمضان.

ومن قرأ بالنصب احتمل أنه صار نصباً لوقوع الفعل عليه، أي صوموا شهر رمضان؛ ويقال: صار نصباً لنزع الخافض، أي: في شهر رمضان. ويحتمل: عليكم شهر رمضان. كقوله: {صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابدون} [البقرة: 138] يعني الزموا.

قوله: {الذى أُنزِلَ فِيهِ القرآن}، قرأ ابن كثير {القرءان} بالتخفيف وقرأ الباقون: بالهمز. وقال ابن عباس في معنى قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الذى أُنزِلَ فِيهِ القرآن}، يعني أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في السماء الدنيا، ثم أنزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً نجوماً، أي الآية والآيتين في أوقات مختلفة؛ أنزل عليه في إحدى وعشرين سنة. وقال مقاتل: أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين سنة.

حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضيل العابد قال: حدثنا الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة قال: أنزلت التوراة في ثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان، والإنجيل في ثمانية عشرة ليلة، والقرآن في أربعة وعشرين ليلة. قال الفقيه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم القطان قال: حدثنا محمد بن صالح الترمذي قال: حدثنا سويد بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الذى أُنزِلَ فِيهِ القرآن} قال: أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر. قال ابن جريج: كان ينزل من القرآن

في ليلة القدر كل شيء ينزل في تلك السنة. فينزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا، ولا ينزل جبريل من ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم إلا كلما أمر به تعالى.

قوله عز وجل: {هُدًى لِّلنَّاسِ} أي القرآن هدى للناس من الضلالة وبياناً لهم. {وبينات مِّنَ الهدى}، يعني بيان الحلال والحرام {والفرقان}، أي المخرج من الشبهات {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، أي من كان منكم شاهداً ولم يكن مريضاً ولا مسافراً فليصم الشهر. {وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ على سَفَرٍ} فأفطر، {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} يقضيه بعد ذلك. روي عن عبد الله بن عمر: أنه كان يكره قضاء رمضان متفرقاً. وعن علي بن أبي طالب مثله. وقال معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من الصحابة: أحصِ العدد وصم كيف شئت. واختلفوا في حدّ المريض الذي يجوز له الإفطار.

قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف. وقال بعضهم: إذا استحق اسم المريض جاز له أن يفطر. وقال بعضهم: إذا كان بحال يخاف أن يزيد الصوم في مرضه جاز له أن يفطر. وهو قول أصحابنا.

ثم قال تعالى: {يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر} في الإفطار في حال المرض والسفر، {وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر} بالصوم في المرض والسفر. {وَلِتُكْمِلُواْ العدة}، قال الكلبي: يعني لتتموا عدة ما أفطرتم من الصوم في السفر أو في المرض. وقال الضحاك: {وَلِتُكْمِلُواْ العدة}، يعني إذا غمّ عليكم هلال شوال فأكملوا الشهر ثلاثين يوماً. قرأ عاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في رواية هارون: «وَلِتُكَمِّلُوا»؛ بنصب الكاف وتشديد الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف وسكون الكاف؛ وهما لغتان يقال: كملت الشيء وأكملته مثل وصَّيت وأوصيت ثم قال: {وَلِتُكَبِّرُواْ الله على مَا هَدَاكُمْ}، أي لتعظموا الله على ما هداكم لشرائعه وسننه وأمر دينه؛ {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، أي لتشكروا الله تعالى على هذه النعمة حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر. وقال مقاتل: لعلكم تشكرون في هذه النعم أن هداكم لأمر دينه.

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي}؛ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادعونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين} [غافر: 60]، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله في أي وقت ندعو الله حتى يستجاب دعاؤنا؟ فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداع إِذَا دَعَانِ}، يعني أجيبكم في أي وقت تدعونني. وقال بعضهم: سأله بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}. وقال مقاتل: إن عمر واقع امرأته بعدما صلى العشاء، فندم على ذلك وبكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع من عنده مغتماً، وكان ذلك قبل الرخصة، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}.

قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في إحدى الروايتين: »دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي« بالياء والباقون كلهم بحذف الياء. وأصله بالياء إلا أن الكسر يقوم مقام الياء. ويقال فإني قريب في الإجابة، أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، {فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى} بالطاعة، {وَلْيُؤْمِنُواْ بِى} وليصدقوا بوعدي. قال ابن عباس في رواية الكلبي: {فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى} الاستجابة أن تقولوا بعد صلاتكم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. {وَلْيُؤْمِنُواْ بِى} والإيمان أن تقول: آمنت بالله وكفرت بالطاغوت، وأن وعدك حق وأن لقاءك حق، وأشهد أنك أحد فرد صمد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنك باعث من في القبور.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما تَرَكْتُ هذه الكلمات دبر كل صلاة منذ نزلت هذه الآية. وروي عن الكلبي أنه قال: ما تركتها منذ أربعين سنة. ويقال: معناه أجيبوا لي بالطاعة إذا دعاكم رسول الله {وَلْيُؤْمِنُواْ بِى}، أي ليصدقوا بتوحيدي. {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، أي يهتدون من الضلالة.

قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إلى نِسَاءِكُمْ}، يعني الجماع. وروى بكر، عن عبد الله المزني، عن ابن عباس أنه قال: الغشيان واللمس والإفضاء والمباشرة والرفث هو الجماع، ولكن الله حيي كريم يكني بما شاء. وسبب نزول هذه الآية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع امرأته بعد صلاة العشاء في شهر رمضان بعد النوم، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا كُنْتَ جَدِيراً بذلك» فرجع مغتماً فنزلت هذه الآية: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إلى نِسَائِكُمْ}، أي رخص لكم الجماع مع نسائكم. {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}، أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. ويقال: هن ستر لكم من النار وأنتم ستر لهن من النار. {عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ}، أي تظلمون أنفسكم. قال القتبي: أصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه. وقد سمى الله تعالى هذا الفعل خيانة، لأن الإنسان قد اؤتمن على دينه فإذا فعل بخلاف ما أمر الله به ولم يؤد الأمانة فيه، فقد خانه بمعصيته. {فَتَابَ عَلَيْكُمْ}، أي فتجاوز عنكم {وَعَفَا عَنكُمْ} ولم يعاقبكم بما فعلتم.

{فالن باشروهن}، أي جامعوهن {وابتغوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ}، يعني اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد الصالح. وقال الزجاج: {وابتغوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ}، أي اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه وأمرتم به. {وَكُلُواْ واشربوا}، نزلت في شأن صرمة بن قيس عمل في النخيل بالنهار، فلما رجع منزله غلب عليه النوم قبل أن يأكل شيئاً، فأصبح صائماً فأجهده الصوم، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر النهار فقال له: «مَا لَكَ يَا ابْنَ قَيْسٍ أَمْسَيْتَ طَلَيحاً؟ «فقال: ظللت أمس في النخيل نهاري كله أجر بالجرين، حتى أمسيت فأتيت أهلي، فأرادت أن تطعمني شيئاً سخناً فأبطأت علي فنمت فأيقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب، فلم آكل فأصبحت صائماً فأمسيت وقد أجهدني الصوم. فنزلت هذه الآية {وَكُلُواْ واشربوا حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ}، وهذا أمر أباحه الله وليس بأمر حتم.

كقوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا فِي الارض وابتغوا مِن فَضْلِ الله واذكروا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

[الجمعة: 10] وكقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ الله وَلاَ الشهر الحرام وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد ولا ءَامِّينَ البيت الحرام يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورضوانا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصطادوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المسجد الحرام أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم والعدوان واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]. فلفظه لفظ الأمر والمراد به الإباحة. وقد أباح الله الأكل والشرب والجماع إلى وقت طلوع الفجر بقوله: {وَكُلُواْ واشربوا حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخيط الابيض مِنَ الخيط الاسود}، أي يستبين لكم بياض النهار من سواد الليل.

ويقال: في الابتداء لما نزل قوله تعالى: {حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخيط الابيض مِنَ الخيط الاسود مِنَ الفجر}، كان بعضهم يأخذ خيطين أحدهما أبيض والآخر أسود يجعل ينظر إليهما ويأكل ويشرب، حتى يتبين له الأسود من الأبيض. وذكر عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال: أخذت خيطين، فجعلت أنظر إليهما، فلم يتبين الأسود من الأبيض ما لم يسفر الفجر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فتبسم وقال: «إِنّكَ لَعَرِيضُ القَفَا؛ إِنَّما هُوَ سَوادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهارِ»، فنزل قوله: {مِنَ الفجر} فارتفع الاشتباه. ثم قال تعالى: {ثُمَّ أَتِمُّواْ الصيام إِلَى اليل} أي إلى أول الليل وهو غروب الشمس.

{وَلاَ تباشروهن}، يقول: ولا تجامعوهن {وَأَنتُمْ عاكفون فِي المساجد}، يقول: ولا تجامعوهن وأنتم معتكفون فيها، وذلك أنه لما رخص لهم الجماع في ليلة الصيام، فكان الرجل إذا كان معتكفاً فإذا بدا له، خرج بالليل إلى أهله فتغشاها ثم يغسل ويرجع إلى المسجد، فنزلت هذه الآية: {وَلاَ تباشروهن}، أي لا تجامعوهن ليلاً ولا نهاراً {وَأَنتُمْ عاكفون فِي المساجد تِلْكَ حُدُودُ الله}؛ قال الكلبي: يعني المباشرة في الاعتكاف معصية الله {فَلاَ تَقْرَبُوهَا} في الاعتكاف. وقال الزجاج: الحد في اللغة هو المنع، فكل من منع فهو حداد. ولهذا سمي حد الدار حداً، لأنه يمنع الغير عن دخولها. {كذلك يُبَيّنُ الله آيَاتِهِ لِلنَّاسِ}، يعني النهي عن الجماع {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الجماع حتى يفرغوا من الاعتكاف. ويقال {تِلْكَ حُدُودُ الله}، أي جميع ما ذكر الله تعالى من أول الآية إلى آخرها في أمر الصيام وغيره، ونبين لهم الآيات لعلهم يتقون، فينتهون عما نهاهم ويتبعون ما أمرهم.

تفسير الآيات رقم [188- 188]

{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)}

قوله: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالكم بَيْنَكُم بالباطل}، أي بالظلم وشهادة الزور. {وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الحكام}، يقول تلجؤوا بالخصومة إلى الحكام. وقال الزجاج: تعملون بما يوجبه ظاهر الحكم، وتتركون ما علمتم أنه الحق. {لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا}، يعني طائفة {مِّنْ أَمْوَالِ الناس بالإثم}، أي باليمين الكاذبة وشهادة الزور. ويقال: بالإثم أي بالجور. {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه جور. ويقال: إنكم تعلمون أنكم تأخذون بالباطل.

وهذه الآية نزلت في شأن امرئ القيس بن عباس الكندي وعيدان بن أشوع الحضرمي، اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعى أحدهما على صاحبه شيئاً، فأراد الآخر أن يحلف بالكذب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْض، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ وَأَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنَّهُ لا يَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ فَإِنَّمَا أَقْضِي لَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ النَّارِ» فنزلت هذه الآية فيهما، وصارت عامة لجميع الناس. وروى سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «شَاهِدُ الزُّورِ إِذَا شَهِدَ لا يَرْفَعُ قَدَمِيْهِ مِنْ مَكانِهِمَا، حَتَّى يَلْعَنُهُ الله مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ».

▲ تفسير الآيات رقم [189- 189]

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الاهلة}. الأهلة: جمع هلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا صاح؛ وأهلّ بالحج: أي رفع صوته بالتلبية. وكذلك الهلال يسمى هلالاً، لأنه يهل الناس بذكره أي يرفعون الصوت عند رؤيته؛ وإنما سمي الشهر شهراً لشهرته. وقال الضحاك في معنى الآية: إن المسلمين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خرص النخيل والتصرف في زيادة الشهر ونقصانه، فنزلت هذه الآية: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الاهلة}.

{قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحج}، أي التصرف في حال زيادته ونقصانه سواء. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت هذه الآية في شأن معاذ بن جبل، وثعلبة بن عنمة الأنصاري، لأنهما قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم ينقص؟ فنزلت هذه الآية: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الاهلة قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحج} أي هي: علامات للناس في حل ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم ووقت الحج.

ثم قال تعالى: {وَلَيْسَ البر بِأَن تَأْتُواْ البيوت مِن ظُهُورِهَا ولكن البر مَنِ اتقى}؛ قال الضحاك: وذلك أن الكفار كانوا لا يدخلون البيت في أشهر الحج من بابه، وكانوا يدخلونه من أعلاه، فنزلت هذه الآية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: وذلك أن الناس كانوا

في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا أحرم رجل منهم قبل الحج، فإن كان من أهل المدن يعني من أهل البيوت، ثقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه؛ وإن كان من أهل الوبر يعني من أهل الخيام، يدخل من خلف الخيمة إلا من الحمس. وإنما سموا الحمس، لأنهم يحمسون في دينهم، أي شددوا على أنفسهم، فحرموا أشياء أحلها الله لهم، وحللوا أشياء كانت حراماً على غيرهم وهو الدخول من الباب. فنزلت هذه الآية: {وَلَيْسَ البر *** ءانِ **تَأْتُواْ البيوت مِن ظُهُورِهَا}، يعني ليس التقوى بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم. {ولكن البر}، يعني التقوى {مَنِ اتقى}، أي أطاع الله واتبع أمره. ويقال: ولكن ذو البر من اتقى الشرك والمعاصي.

ثم قال تعالى: {وَأْتُواْ البيوت مِنْ أبوابها}، يعني ادخلوها محلين ومحرمين. {واتقوا الله} ولا تقتلوا الصيد في إحرامكم؛ وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: واتقوا الله ولا تعصوه. {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، أي تنجون من العقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [190- 194]

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)}

قوله تعالى: {وقاتلوا فِي سَبِيلِ الله الذين يقاتلونكم وَلاَ تَعْتَدُواْ}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه إلى مكة للعمرة، فنزل بالحديبية بقرب مكة، والحديبية: اسم بئر فسمي ذلك الموضع باسم تلك البئر، فصده المشركون عن البيت، فأقام بالحديبية شهراً، فصالحه المشركون على أن يرجع من عامه كما جاء، على أن تخلى له مكة في العام المقبل ثلاثة أيام، وصالحوه على أن لا يكون بينهم قتال إلى عشر سنين، فرجع إلى المدينة وخرج في العام الثاني للقضاء، فخاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم المشركون وكرهوا القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية {وقاتلوا فِي سَبِيلِ الله}، أي في طاعة الله {الذين يقاتلونكم}، يعني في الحرم أو في الشهر الحرام، {وَلاَ تَعْتَدُواْ} بأن تنقضوا العهد وتبدؤوهم بالقتال في الشهر الحرام أو في الحرم. {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المعتدين}، يعني من يبدأ بالظلم.

{واقتلوهم حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}، أي حيث وجدتموهم في الحل والحرم، والشهر الحرام. فأمرهم الله تعالى بقتل المشركين الذين ينقضون العهد وقوله: {وَأَخْرِجُوهُمْ مّنْ حَيْثُ

أَخْرَجُوكُمْ} من مكة {والفتنة}، أي الشرك بالله {أَشَدَّ}، أي أعظم عند الله {مِنَ القتل} في الشهر الحرام. {وَلاَ تقاتلوهم عِندَ المسجد الحرام}، أي في الحرم، {حتى يقاتلوكم فِيهِ}، أي يبدؤوكم بالقتال. {فَإِن قاتلوكم}، أي بدؤوكم بالقتال {فاقتلوهم كذلك جَزَاء الكافرين}، أي هكذا جزاؤهم القتل في الحرم وغيره. قرأ حمزة والكسائي: {وَلاَ تقاتلوهم} بغير ألف {حتى يقاتلوكم}، {فَإِن قاتلوكم} وقرأ الباقون في هذه المواضع الثلاثة: بالألف. فمن قرأ بالألف فهو من المقاتلة؛ ومن قرأ بغير ألف فمعناه لا تقتلوهم حتى يقتلوا منكم. {فَإِنِ انْتَهَوْاْ} عن قتالكم، {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}؛ أي إذا أسلموا. وهذا كقوله: {قُل لِلَّذِينَ كفروا إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الاولين} [الأنفال: 38]. {وقاتلوهم}، يعني أهل مكة {حتى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ}، يعني الشرك بالله، {وَيَكُونَ الدّينُ} كله {لِلَّهِ}، يعني الإسلام. {فَإِنِ انْتَهَوْاْ} عن قتالكم وتركوا الشرك {فَلاَ عدوان}، يقول لا سبيل ولا حجة عليهم في القتل، {إِلاَّ عَلَى الظالمين} الذين بدؤوكم بالقتال. وقال القتبي: أصل العدوان الظلم، يعني لا جزاء للظلم إلا على الظالمين.

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة، وطافوا بالبيت، ونحروا الهدي، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا فنزلت هذه الآية: {الشهر الحرام بالشهر الحرام}، يعني الشهر الحرام الذي دخلت فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم عنه العام الأول وهو ذو القعدة {والحرمات قِصَاصٌ} أي ما اقتصصت لكم في ذي القعدة كما صدوكم.

ويقال: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام {والحرمات قِصَاصٌ}، يعني قتالكم يكون لِقتالهم قصاصاً، فكما تركوا الحرمة فأنتم تتركون أيضاً ذلك.

ويقال: إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين سألوا المسلمين فقالوا: في أي شهر يحرم عليكم القتال؟ وأرادوا أن يقفوا على ذلك، حتى يقاتلوهم في الشهر الذي حرم القتال على المؤمنين، فنزل قوله: {وَلاَ تقاتلوهم عِندَ المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فِيهِ}، أي في وقت قاتلكم المشركون حل لكم قتالهم. ثم قال تعالى: {فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ}، أي قاتلكم في الشهر الحرام {فاعتدوا عَلَيْهِ}، أي قاتلوهم فيه وإنما سمي الثاني اعتداء، لأنه مجازاة الاعتداء فسمي بمثل اسمه. وهذا كقوله عز وجل: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصابرين} [النحل: 126]؛ ثم صارت هذه الآية حكماً في جميع الجنايات. إن من جنى على إنسان أو في ماله، فله أن يجازيه بمثل ذلك بظاهر هذه الآية: {فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ}. ثم قال {واتقوا الله} عن الاعتداء قبل أن يعتدوا عليكم {واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين}، يعني يعين من اتقى الاعتداء.

▲ تفسير الآيات رقم [195- 195]

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)}

{أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله}، أي في طاعة الله. قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد، قام إليه ناس من الأعراب حاضري المدينة فقالوا: بماذا نجهز؟ فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد. فنزل قوله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله}، يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله أي في طاعة الله. {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة}، يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا وهكذا قال مقاتل. ومعنى قول ابن عباس ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا، أي لا تمسكوا عن النفقة والعون للضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلب عليكم العدو فتهلكوا. ومعنى آخر: ولا تمسكوا، فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. معنى آخر: ولا تمسكوا، فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة.

ويقال: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة}، يعني لا تنفقوا من حرام، فيرد عليكم فتهلكوا. وقال الزجاج: التهلكة: معناه الهلاك. يقال: هلك يهلك هلاكاً وتهلكة. معناه إن لم تنفقوا عصيتم الله فهلكتم. وروي عن البراء بن عازب، أن رجلاً سأله عن التهلكة فقال: أهو الرجل إذا التقى الجمعان، فحمل فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا ولكن الرجل يذنب ثم لا يتوب. وقال قتادة قيل لأبي هريرة: ألم تر سعد بن هشام لما التقى الصفان حمل فقاتل حتى قتل، ألقى بيده إلى التهلكة؟ فقال أبو هريرة: كلا والله ولكنه تأويل آية من كتاب الله: {وَمِنَ الناس مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغآء مَرْضَاتِ الله والله رَءُوفٌ بالعباد} [البقرة: 207]

وقال أبو عبيدة السلماني: التهلكة أن يذنب الرجل فيقنط من رحمة الله فيهلك.

وروي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثرنا قلنا فيما بيننا: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا فيها وأصلحنا منها ما ضاع؛ فأنزل الله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة}، فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا ونصلحها، فأمرنا بالغزو. ثم قال تعالى: {وَأَحْسِنُواْ}، أي أحسنوا النفقة من الصدقة. {إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} في النفقة ويقال: وأحسنوا في النفقة، أي أخلصوا النية في النفقة. ويقال: أحسنوا الظن بالله تعالى فيما أنفقتم، إنه يخلف عليكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [196- 202]

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)}

قوله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الحج والعمرة لِلَّهِ}، قرأ الشعبي: {والعمرة لِلَّهِ} بالضم على معنى الابتداء، وقرأ العامة {والعمرة} بالنصب على معنى البناء. قال ابن عباس: تمام العمرة إلى البيت، وتمام الحج إلى آخر الحج. وقال مقاتل: {وَأَتِمُّواْ الحج والعمرة لِلَّهِ} من المواقيت، ولا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم؛ وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم. ومعنى قول مقاتل: أنهم كانوا يشركون فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فقال: وأتموهما ولا تخلطوا بهما شيئاً آخر. ثم خوَّفهم فقال: {واعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب}، فيما تعديتم.

ثم قال عز وجل: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ}، أي حبستم عن البيت بعدما أحرمتم. وقال القتبي: الإحصار هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو. وقال الفراء: الإحصار ما ابتلي به الرجل في إحرامه من المرض أو العدو وغيره. وقال بعضهم: لا يكون الإحصار إلا من العدو. وقال بعضهم: يكون من العدو وغيره، وبه قال علماؤنا رحمهم الله.

ثم قال: {فَمَا استيسر مِنَ الهدى}، أي ابعثوا إلى البيت ما استيسر من الهدي، والله تعالى رخص لمن عجز عن الوصول إلى البيت بالعدو أن يبعث الهدي، فينزع عنه بمكة، ويحل الرجل من إحرامه إذا ذبح هديه، ويرجع إلى أهله، ثم يقضي حجه وعمرته بعد ذلك. ثم قال تعالى: {وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءوسَكُمْ حتى يَبْلُغَ الهدى مَحِلَّهُ}، يعني المحصر إذا بعث بالهدي، لا يجوز له أن يحل من إحرامه ما لم يذبح هديه. يقول: لا يحلق رأسه، حتى يكون اليوم الذي واعده فيه، ويعلم أن هديه قد ذبح. ثم صار هذا أصلاً لجميع

الحجاج من كان قارناً أو متمتعاً، لا يجوز له أن يحلق رأسه إلا بعد أن يذبح هديه وإن لم يكن محصراً.

ثم قال تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ}، يعني إذا حلق رأسه على وجه الإضمار مثل قوله تعالى: {أَيَّامًا معدودات فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 184] يعني إذا كان أفطر. وروي عن كعب بن عجرة أنه قال: فيَّ نزلت هذه الآية. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بي والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «أيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟ «فقلت: نعم. فأمر بي بأن أحلق رأسي فقال: «احْلِقْ رَأْسَكَ، وَأَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِين، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ حِنْطَةٍ، أَوْ صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَنْسِكْ نَسِيكَةً «

يعني اذبح شاة، فنزلت هذه الآية: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}، أي شاة يذبحها حتى يبلغ الهدي محله. ويروى عن عبد الرحمن الأعرج أنه قرأها: بتشديد الياء. وواحدها هدية. وقرأ الباقون: بالتخفيف يقال للواحدة: هدي وهدية.

ثم قال: {فَإِذَا أَمِنتُمْ} وهذا على سبيل الاختصار والإضمار. ومعناه فإذا أمنتم من العدو، فاقضوا ما وجب عليكم من الحج والعمرة. ويقال: إذا أمنتم من العدو وبرأتم من المرض، فحجوا واعتمروا. {فَمَن تَمَتَّعَ بالعمرة إِلَى الحج فَمَا استيسر مِنَ الهدى}، يعني فعليه ما تيسر من الهدي؛ وللمتمتع أن يحج ويعتمر في سفرة واحدة من أشهر الحج. والمحرمون أربعة: مفرد بالحج ومفرد بالعمرة والمتمع والقارن، فأما المفرد بالحج أن يحج ويعتمر والمفرد بالعمرة أن يعتمر ولا يحج، وأما المتمتع أن يعتمر في أشهر الحج ويمكث بمكة حتى يحج بعدما فرغ من عمرته، وأما القارن فهو الذي يحرم بالحج والعمرة جميعاً. فمن كان مفرداً بالحج أو بالعمرة، فلا يجب عليه الهدي؛ ومن كان متمتعاً أو قارناً، فعليه الهدي. وقال عبد الله بن عمر أنه قال: الهدي: الجزور. وقال ابن عباس: أقله شاة؛ وبه قال علماؤنا.

ثم قال {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} الهدي {فَصِيَامُ ثلاثة أَيَّامٍ فِي الحج}. قال ابن عباس: آخرها يوم عرفة. {وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ}. قال بعضهم: إذا رجعتم إلى أهليكم. وقال بعضهم: إذا رجعتم من منى. وقال بعضهم: إذا رجعتم إلى الأمر الأول، يعني إذا فرغتم من أمر الحج؛ وبهذا القول نقول. ثم قال: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}، في البدل يعني العشرة الكاملة كلها بدل عن الهدي، يعني {ذلك} الفداء {لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى المسجد الحرام}، أي ذلك الفداء لمن لم يكن منزله في الحرم. وقال قتادة ومقاتل: ذلك يعني التمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام يعني الحرم. {واتقوا الله} فيما أمركم به ونهاكم عنه. {واعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب} إن خالفتم.

{الحج أَشْهُرٌ معلومات}، أي وقت الحج أشهر معلومات وهو: شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة. {فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحج}؛ قال القتبي: الفرض وجوب الشيء، يقال: فرضت عليك كذا، أي أوجبته. قال الله تعالى: {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}، أي ما ألزمتم أنفسكم، وقال: {ياأيها النبى إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أزواجك اللاتى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ الله عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عماتك وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خالاتك اللاتى هاجرن مَعَكَ وامرأة مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النبى أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فى أزواجهم وَمَا مَلَكَتْ أيمانهم لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً}

[الأحزاب: 50]، وقال تعالى: {فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحج}، أي فمن أحرم في هذه الأشهر بالحج، {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ}. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «فَلاَ رفَثٌ وَلاَ فُسُوقٌ» بالرفع مع التنوين، والباقون بالنصب بغير تنوين. واتفقوا في قوله: {وَلاَ جِدَالَ} بالنصب؛ غير أبي جعفر المدني فإنه قرأ بالرفع. وهذا يقال له: لا التبرية؛ فكل موضع يدخل فيه لا التبرية، فصاحبه بالخيار إن شاء نصبه بغير تنوين، وإن شاء ضمه بالتنوين مثل قوله: {ياأيها الذين ءامنوا أَنفِقُواْ مِمَّا رزقناكم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شفاعة والكافرون هُمُ الظالمون} [البقرة: 254].

وتفسير الرفث هو الجماع كقوله: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إلى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فالن باشروهن وابتغوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ وَكُلُواْ واشربوا حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخيط الأبيض مِنَ الخيط الأسود مِنَ الفجر ثُمَّ أَتِمُّواْ الصيام إِلَى اليل وَلاَ تباشروهن وَأَنتُمْ عاكفون فِي المساجد تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَقْرَبُوهَا كذلك يُبَيِّنُ الله آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: 187]؛ وقال بعضهم: الرفث: التعرض بذكر النساء، والفسوق: هو السباب، والجدال: أن تماري صاحبك حتى تغيظه. أي من كان محرماً لا يجامع في إحرامه ولا يسب ولا يماري. ويقال: الفسوق الذبح للأصنام. كقوله تعالى: {قُل لاَ أَجِدُ فِى مَآ أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ فَمَنِ اضطر غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام: 145]، والجدال هو أن قريشاً كانت تقف بالمزدلفة وكانوا يجادلون كل فريق يقولون: نحن أصوب سبيلاً. وروي عن مجاهد أنه قال: قد استقر الحج في ذي الحجة، فلا جدال فيه؛ وذلك أن المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة، فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، بعث أبا بكر ليحج بالناس فوافق ذلك آخر عام ذي القعدة؛ فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وافق ذلك أول عام في ذي الحجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَلا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السموات وَالأَرْضَ " يعني رجع أمر الحج إلى ذي الحجة كما كان، فنزل: {وَلاَ جِدَالَ فِي الحج}.

ثم قال: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ}، يعني من ترك الفسوق والمرأة والجدال. {يَعْلَمْهُ الله}، أي يقبله الله فيجازيكم به. {وَتَزَوَّدُواْ} في سفركم للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسألة.

{فَإِنَّ خَيْرَ الزاد التقوى}. قال مقاتل وذلك أن أناساً من أهل اليمن كانوا يخرجون بغير زاد، ويصيبون من أهل الطريق ظلماً، فنزلت في شأنهم {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزاد التقوى}. وقال بعضهم: تزودوا لسفر الدنيا بالطعام، وتزودوا لسفر الآخرة بالتقوى فإن خير الزاد التقوى. ويقال خير الزاد التقوى، هو التوكل على الله وأن لا يؤذي أحدٌ لأجل الزاد والطعام. ثم قال: {واتقون يأُوْلِي الالباب}، يعني اطيعوني يا ذوي الألباب أي العقول فيما أمرتكم به.

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مّن رَّبّكُمْ}؛ وذلك أنهم كانوا إذا حجوا، كفوا عن التجارة وطلب المعيشة في الحج، فلم يشتروا ولم يبيعوا حتى تمضي أيام حجهم، فجعل الله تعالى لهم رخصة في ذلك فقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مّن رَّبّكُمْ}، أي لا مأثم عليكم أن تطلبوا رزقاً من ربكم من التجارة في أيام الحج. وقال مقاتل: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن سوق عكاظ وسوق منى وذي المجاز في الجاهلية كنا نقوم في التجارة قبل الحج وبعد الحج، فهل يصلح لنا البيع والشراء في أيام حجنا؟ فنزلت هذه الآية. ومعنى آخر: ما روي عن عبد الله بن عمر: أن رجلاً سأله فقال: إني رجل أكري الإبل إلى مكة أفيجزيني عن حجي؟ فقال: أولست تلبي، وتقف بعرفات وترمي الجمار؟ فقال: بلى فقال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سألتني، فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مّن رَّبّكُمْ}. وروي عن ابن عباس نحوه.

ثم قال تعالى: {فَإِذَا أَفَضْتُم مّنْ عرفات}، يقول إذا رجعتم من عرفات بعد غروب الشمس؛ {فاذكروا الله عِندَ المشعر الحرام}، يعني بالمزدلفة. وقال عطاء: إنما سميت عرفات، لأن جبريل كان يعلِّم إبراهيم عليه السلام أمور المناسك فكان يقول له: عرفت؟ فيقول: عرفت. فسميت عرفات. وقال ابن عباس: إنما سميت منى، لأن جبريل قال لآدم عليهما السلام: تمنَّ. قال: أتمنى الجنة. فسميت منى. قال: وإنما سمي الجمع جمعاً، لأنه اجتمع فيه آدم وحواء والجمع أيضاً: هو المزدلفة وهو المشعر الحرام.

ثم قال: {واذكروه كَمَا هَدَاكُمْ}، يقول: اشكروا الله كما هداكم لدين الإسلام {وَإِن كُنتُمْ}، أي وقد كنتم {مّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضالين} عن الهدى، وكانت قريش لا تخرج من الحرم إلى عرفات، وكان الناس يقفن خارج الحرم من كان من أهل اليمن وغيرهم بعرفات، ويفيضون منها؛ فأمر الله تعالى قريشاً أن يقفوا من حيث وقف الناس، ويفيضوا من حيث أفاض الناس؛ فقال تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ الناس واستغفروا الله} تعالى لذنوبكم في الموقف.

{إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} متجاوز عن ذنوبكم. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج بالناس جميعاً إلى عرفات فيقف بها. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الله تَعَالَى يُبَاهِي مَلائِكَتَهُ بِأَهْلِ عَرَفَات وَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلى عِبَادِي جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجَ عَمِيقٍ شُعْثاً غُبْراً. اشْهَدُوا، أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ «

ثم قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مناسككم}، أي فرغتم من أمر حجكم {فاذكروا الله} باللسان {كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ} في ذلك الموقف {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}؛ يقول: أو أكثر ذكراً، وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم، وقفوا بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل، ثم ذكر كل واحد منهم أباه بما كان يعلم منه من الخير ثم يتفرقون، قال الله تعالى: فَاذْكُرُونِي بالخير {كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ} بالخير، فإن ذلك الخير مني. وقال عطاء بن أبي رباح: قوله: {كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ} هو كقول الصبي: أبه أبه، يعني أن الصبي إذا كان أول ما يتكلم فإن أكثر قوله: أب أب. ويقال فاذكروا الله كذكركم آباءكم لأبيكم آدم، لأنه لا أب له، بل أشد ذكراً، لأني خلقته من غير أب ولا أم وخلقتكم من الآباء والأمهات.

ثم قال تعالى: {فَمِنَ الناس مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدنيا}، وهم المشركون كانوا يقولون إذا وقفوا: اللهم ارزقنا إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً وإماءً وأموالاً، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة ولا المغفرة، فأنزل الله تعالى: {فَمِنَ الناس مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدنيا}. {وَمَا لَهُ فِى الاخرة مِنْ خلاق}، أي من نصيب. {وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدنيا حَسَنَةً}؛ قال ابن عباس: يعني الشهادة والمغفرة والغنيمة {وَفِي الاخرة حَسَنَةً}، أي الجنة. وقال القتبي: الحسنة النعمة كقوله: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ} [التوبة: 50]، أي نعمة. وقال الحسن البصري: {فِى الدنيا حَسَنَةً وَفِي}، أي العلم والعبادة {وَفِي الاخرة حَسَنَةً}، أي الجنة قال الإمام: حسنة الدنيا، ثوابك، وقوت من الحلال يكفيك، وزوجة صالحة ترضيك، وعلم إلى الحق يهديك، وعمل صالح ينجيك. وأما حسنة الآخرة فإرضاء الخصومات، وعفو السيئات، وقبول الطاعات والنجاة من الدركات، والفوز بالدرجات {وَقِنَا عَذَابَ النار}، أي ادفع عنا عذاب النار.

{أولئك}، يعني المؤمنين الذين يدعون بهذا الدعاء {لَهُمْ نَصِيبٌ}، أي حظ {مِمَّا كَسَبُواْ} من حجهم. ويقال: لهم ثواب مما عملوا. وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا؛ فأضني الرجل في مرضه حتى نحل جسمه، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فأخبره بأنه كان يدعو بكذا وكذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

»يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِعُقُوبَةِ الله تَعَالَى ولكن قُلْ: {رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدنيا حَسَنَةً وَفِي الاخرة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النار}» فدعا بها الرجل فبرأ.

ثم قال: {والله سَرِيعُ الحساب}؛ قال الكلبي: إذا حاسب فحسابه سريع. ويقال: والله سريع الحفظ. وقال الضحاك: يعني لا يخالطه العباد في الحساب يوم القيامة ولا يشغله ذلك. ويقال: يحاسب كل إنسان فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة. وقوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [203]

{وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)}

{وَاذْكُرُواْ الله فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ}، أي معروفات وهي أيام التشريق. وقال القتبي: أيام التشريق. والمعلومات أيام العشر. وقال يحيى بن سعيد: سألت عطاء عن الأيام المعدودات وعن المعلومات، قال: الأيام المعدودة: أيام النحر، والمعلومات: أيام العشر. وقال بعضهم الأيام المعدودات أيام التشريق بدليل ما سبق في سياق الآية: {فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}، والمعلومات: أيام النحر بدليل قوله: {واذكروا الله فى أَيَّامٍ معدودات فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتقى واتقوا الله واعلموا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [البقرة: 203] فذكر النحر في تلك الأيام. وقال الضحاك: معنى قوله: {واذكروا الله فِى أَيَّامٍ معدودات}، أي معروفات وهي أيام التشريق، أي كبروا دبر كل صلاة من يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق؛ ويقال: {واذكروا الله فِى أَيَّامٍ معدودات}، يعني التكبير عند رمي الجمار.

قوله: {فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ}، أي رجع إلى أهله، بعدما رمى في يومين وترك الرمي في اليوم الثالث {فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} في تعجيله، {وَمَن تَأَخَّرَ} إلى آخر النفر {فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} في تأخيره. {لِمَنِ اتقى}، يعني قتل الصيد في الإحرام وفي الحرم. وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود قال: إنما جعلت المغفرة لمن اتقى في حجه. ويقال: لمن اتقى بعد انصرافه من حجه عن جميع المعاصي؛ وإنما حذرهم الله تعالى، لأنهم إذا رجعوا من حجهم، يجترئون على الله تعالى بالمعاصي، فحذرهم عن ذلك فقال: {واتقوا الله واعلموا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}، فيجازيكم بأعمالكم.

▲ تفسير الآيات رقم [204- 206]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)}

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُه}، يعني كلامه وحديثه، وهو أخنس بن شريق، كان حلو الكلام، حلو المنظر، فاجر السريرة. وروى أسباط عن السدي قال: أقبل أخنس بن شريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال: إنما جئت أريد الإسلام وقال: الله يعلم أني صادق، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ثم خرج من عنده، فمر بزرع للمسلمين فأحرقه، ومر بحمار للمسلمين فعقره، فنزلت هذه الآية: {وَمِنَ الناس مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحياة الدنيا}، أي يعجبك كلامه وحديثه. {وَيُشْهِدُ الله على مَا فِى قَلْبِهِ} من الضمير أنه يحبه وهو يريد الإسلام {وَهُوَ أَلَدُّ الخصام}، أي شديد الخصومة. قال القتبي: أي أشدهم خصومة. يقال: رجل ألد بين اللّد واللدد، وقوم لد. كما قال في آية أخرى: {فَإِنَّمَا يسرناه بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المتقين وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} [مريم: 97].

ثم قال: {وَإِذَا تولى سعى فِى الارض}، يقول: إذا فارقك رجع عنك، سعى في الأرض، أي مضى في الأرض بالمعاصي. {لِيُفْسِدَ فِيهَا}، أي يعصي الله في الأرض {وَيُهْلِكَ الحرث والنسل}، أي يحرق الكدس ويعقر الدواب. {والله لاَ يُحِبُّ الفساد}، أي لا يرضى بعمل المعاصي.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله} في صنعك، {أَخَذَتْهُ العزة}، أي الحمية {بالإثم}، يعني الحمية في الإثم، يعني تكبراً. يقول الله تعالى: {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المهاد}، أي ولبئس الفراش ولبئس القرار. فهذه الآية نزلت في شأن أخنس بن شريق، ولكنها صارت عامة لجميع الناس؛ فمن عمل مثل عمله، استوجب تلك العقوبة. وقال بعض الحكماء، إن من يقتل حماراً ويحرق كدساً، استوجب الملامة ولحقه الشين إلى يوم القيامة؛ فالذي يسعى بقتل مسلم كيف يكون حاله؟ وذكر أن يهودياً كانت له حاجة إلى هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم تنقض حاجته؛ فوقف يوماً على الباب، فلما خرج هارون الرشيد سعى ووقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين. فنزل هارون عن دابته وخرّ ساجداً لله تعالى، فلما رفع رأسه أمر به، فقضيت حاجته. فلما رجع قيل: يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك بقول يهودي؟ قال: لا ولكن تذكرت قول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله أَخَذَتْهُ العزة بالإثم} إلى آخره. وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دُعِيْتُمْ إلى الله فَأَجِيبُوا، وإِذَا سُئِلْتُم بالله فَأَعْطُوا؛ فإِنَّ المُؤْمِنِينَ كَانُوا كَذَلِكَ».

▲ تفسير الآية رقم [207]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)}

ثم قال تعالى: {وَمِنَ الناس مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغاء مَرْضَاتِ الله}. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن صهيب بن سنان الرومي، مولى عبد الله بن جدعان، وفي نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ياسر أبو عمار بن ياسر، وسمية أم عمار، وخباب بن الأرت وغيرهم؛ أخذهم المشركون فعذبوهم. فأما صهيب فإنه كان شيخاً

كبيراً وله مال ومتاع، فقال لأهل مكة: إني شيخ كبير، وإني لا أضركم إن كنت معكم أو مع عدوكم، فأنا أعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني، أشتريه منكم بمالي. ففعلوا ذلك، فأعطاهم ماله إلا مقدار راحلته، وتوجه إلى المدينة، فلما دخل المدينة لقيه أبو بكر فقال له: ربح البيع يا صهيب. فقال له: وبيعك فلا يخسر. فقال: وما ذلك يا أبا بكر فأخبره بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب. وقتل ياسر أبو عمار وأم عمار سمية، فنزلت هذه الآية في شأن صهيب {وَمِنَ الناس مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغاء مَرْضَاةَ الله}، أي يشري نفسه ودينه. وهذا من أسماء الأضداد، يقال: شرى واشترى وباع وابتاع. {ابتغاء مَرْضَاة الله}، أي طلب يشتري نفسه ودينه رضاء الله. {والله رَءوفٌ بالعباد}، أي رحيم بهم. ثم صارت هذه الآية عامة لجميع الناس؛ من بذل ماله ليصون به نفسه ودينه، فهو من أهل هذه الآية.

تفسير الآيات رقم [208- 209]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)}

{بالعباد يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ ادخلوا فِي السلم كَافَّةً}. قرأ نافع وابن كثير والكسائي: {السلام} بنصب السين وقرأ الباقون: بالكسر. {والسلام} بالكسر هو الإسلام والسَّلم بالنصب هو المسالمة والصلح. ويقال: السِّلم والسَّلم في اللغة: هو الصلح. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا يتقون السبت، ويحرمون أكل لحوم الجمال فنزلت: {بالعباد يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ ادخلوا فِي السلم كَافَّةً}، أي في شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم. {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان}، يعني طاعات الشيطان.

قال مقاتل: استأذن عبد الله بن سلام وأصحابه بأن يقرؤوا التوراة في الصلاة وأن يعملوا ببعض ما في التوراة فنزل قوله: {ادخلوا فِي السلم كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان}، فإن اتباع السنة الأولى بعدما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من خطوات الشيطان. وقال بعضهم: {ادخلوا فِي السلم كَافَّةً}، أي اثبتوا على شرائع محمد صلى الله عليه وسلم ولا تخرجوا منها.

وقوله: {كَافَّةً} أي عبارة عن الجميع، فيجوز أن يكون معناه: ادخلوا جميعاً ويجوز أن يكون معناه: ادخلوا في جميع شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان، أي لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها الشيطان. {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}، أي ظاهر العداوة {فَإِن زَلَلْتُمْ}، أي ملتم عن شرائع محمد صلى الله عليه وسلم. {مّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ البينات}، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وشرائعه، {فاعلموا أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} عزيز بالنعمة حكيم في أمره، وقال مقاتل أي حكيم حكم عليهم بالعذاب الشديد.

تفسير الآية رقم [210]

{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)}

{هَلْ يَنظُرُونَ} هل في القرآن على سبعة أوجه في موضع يراد بها (قد)، كقوله: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية} [الغاشية: 1] أي قد أتاك. ومرة يراد بها (الاستفهام)، كقوله {وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظالمين لَمَّا رَأَوُاْ العذاب يَقُولُونَ هَلْ إلى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ} [الشورى: 44] ومرة يراد بها (السؤال)، كقوله: {فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا} [الأعراف: 44]. ومرة يراد بها (التفهيم)، كقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارة تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف: 10] ومرة يراد بها (التوبيخ)، كقوله: {هل أنبؤكم على من تنزل الشياطين} [الشعراء: 221]. ومرة يراد بها (الأمر)، كقوله: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشيطان أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العداوة والبغضآء فِي الخمر والميسر وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَعَنِ الصلاة فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ} [المائدة: 91]، أي انتهوا، ومرة يراد بها (الجحد)، كقوله في هذا الموضع: {أَلِيمٍ هَلْ يَنظُرُونَ}. {إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله}، أي ما ينظرون. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يفسر... وروى عبد الرزاق، عن سفيان الثوري قال: قال ابن عباس: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير تعرفه العرب، وتفسير لا يقدر أحد عليه لجهالته، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن ادعى علمه فهو كاذب. وهذا موافق لقوله تعالى: {هُوَ الذى أَنزَلَ عَلَيْكَ الكتاب مِنْهُ آيات محكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب وَأُخَرُ متشابهات فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تشابه مِنْهُ ابتغاء الفتنة وابتغاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله والراسخون فِي العلم يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألباب} [آل عمران: 7] وكذلك هذه الآية سكت بعضهم عن تأويلها وقالوا: لا يعلم تأويلها إلا الله. وبعضهم تأولها فقال: هذا وعيد للكفار، فقال: {هَلْ يَنظُرُونَ}، أي ما ينتظرون ولا يؤمنون {إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله} يعني أمر الله تعالى، كما قال في موضع آخر: {هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم لأَوَّلِ الحشر مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وظنوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله فأتاهم الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار} [الحشر: 2]، يعني أمر الله. وقال بعضهم: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله}، يعني بما وعد لهم من العذاب. {فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغمام}. يعني في غمام فيه ظلمة. وقيل في ظلل يعني بظلل. وقال: على غمام فيه ظلمة.

{والملئكة} قرأ أبو جعفر بكسر الهاء، يعني في ظلل من الغمام وفي الملائكة. قال قتادة: وهي قراءة شاذة؛ والقراءة المعروفة بالضم يعني تأتيهم الملائكة. وقال قتادة {والملئكة}، يعني تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم. ويقال: يوم القيامة. {وَقُضِىَ الامر}، أي فرغ مما يوعدون، يعني دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار. {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور}، يعني عواقب الأمور. قرأ حمزة والكسائي وابن

عامر {تُرْجَعُ} بنصب التّاء ويكون الفعل للأمور. وقرأ الباقون: بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله.

تفسير الآية رقم [211]

{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آَتَيْنَاهُمْ مِنْ آَيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)}

قوله تعالى: {سَلْ بَنِى إسراءيل كَمْ آتيناهم}. قال مقاتل: معناه سل علماء بني إسرائيل كما أعطيناهم. {مّنْ آيَةٍ بَيّنَةٍ} حين فرق لهم البحر وأغرق عدوهم وأنزل عليهم المن والسلوى. ويقال: {كَمْ آتيناهم مّنْ آيَةٍ بَيّنَةٍ}، يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم. ثم قال: {وَمَن يُبَدّلْ نِعْمَةَ الله}، أي يغيّر نعمة الله تعالى. {مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ الله شَدِيدُ العقاب}، يعني يقول إذا لم يشكر نعمة الله، تزول عنهم النعم ويستوجبوا العقوبة.

تفسير الآية رقم [212]

{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)}

قوله تعالى: {زُيّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الحياة الدنيا}، قال الكلبي: نزلت في شأن رؤساء قريش، زين لهم ما بسط لهم في الدنيا من الخير. {وَيَسْخَرُونَ مِنَ الذين ءامَنُواْ} في أمر المعيشة، لأنهم كانوا فقراء.

{والذين اتقوا}، أي أطاعوا الله وهم فقراء المؤمنين. {فَوْقَهُمْ يَوْمَ القيامة}، أي فوق المشركين في الجنة والحجة في الدنيا. وقد اختلفوا في قوله: {زُيّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ}. قال بعضهم: يعني زينها لهم إبليس، لأن الله تعالى قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور، ولكن الشيطان زيَّن لهم الأشياء، كما قال في آية أخرى: {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} [النمل: 24] وقال في آية أخرى: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالهم فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: 4]، فكان ذلك مجازاة لكفرهم. وقال بعضهم: معناه أن الله تعالى زين لهم، لأنه خلق فيهم الأشياء العجيبة، فنظر إليها الذين كفروا فاغتروا بها.

وروي، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى لملائكته: لَوْلا أَنْ يَحْزَنَ عَبْدِي المُؤْمِنُ، لَعَصَبْتُ الكَافِرَ بِعِصَابَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَصَبَبْتُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا صَبّاً» ومصداق ذلك في القرآن {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: 33] الآية. وقال

عليه الصلاة والسلام: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى الكافِرَ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ «

ثم قال تعالى: {والله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}، أي يرزق من يشاء رزقاً كثيراً لا يعرف حسابه. ويقال: أي يرزقه ولا يطلب منه حسابه بما يرزقه. ويقال: بغير حساب أي ليس له أحد يحاسبه منه بما يرزقه ويقال: بغير حساب أي بغير احتساب. كما قال في آية أخرى {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بالغ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَئ قَدْراً} [الطلاق: 3]. وكل ما في القرآن: {يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}، فهو على هذه الوجوه الأربعة.

تفسير الآية رقم [213]

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)}

قوله: {كَانَ الناس أُمَّةً واحدة}. قال الزجاج: الأمة على وجوه منها القرن من الناس، كما يقال: مضت أمم أي قرون، والأمة: الرجل الذي لا نظير له. ومنه قوله تعالى: {إِنَّ إبراهيم كَانَ أُمَّةً قانتا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ المشركين} [النحل: 120] والأمة: الدين وهو الذي قال ها هنا: {كَانَ الناس أُمَّةً واحدة}، أي على دين واحد وعلى ملة واحدة. وقال بعضهم: كان الناس كلهم على دين الإسلام، جميع من كان مع نوح في السفينة ثم تفرقوا. {فَبَعَثَ الله النبيين}. وقال بعضهم: كان الناس كلهم كفاراً في عهد نوح وعهد إبراهيم عليهما السلام فبعث الله للناس النبيين إبراهيم وإسماعيل، ولوطاً وموسى ومن بعدهم {مُبَشّرِينَ} بالجنة لمن أطاع الله، {وَمُنذِرِينَ} بالنار لمن عصى الله {وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكتاب بالحق}، يقول: بالعدل {لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناس}، أي يقضي بينهم {فِيمَا اختلفوا فِيهِ} من أمور الدين. {وَمَا اختلف فِيهِ}، أي في الدين. {إِلاَّ الذين أُوتُوهُ}، يعني أعطوا الكتاب. {مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينات}، أي البيان من الله. {بَغْياً بَيْنَهُمْ}، يعني اختلفوا فيه حسداً بينهم. {فَهَدَى الله الذين ءامَنُواْ لِمَا اختلفوا فِيهِ مِنَ الحق بِإِذْنِهِ}، أي هداهم ووفقهم حتى أبصروا الحق من الباطل {بِإِذْنِهِ} بتوفيقه ويقال: برحمته. {والله يَهْدِى مَن يَشَاء إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، يعني الإسلام. وقال بعضهم: فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه أي بعصمته {والله يَهْدِى} أي يوفق من يشاء إلى صراط مستقيم.

تفسير الآية رقم [214]

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)}

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة} يقول: ظننتم أن تدخلوا الجنة. {وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم} من أتباع الرسل من قبلكم، أي لم يأتكم صفة الذين مضوا من قبلكم، يعني لم يصبكم مثل الذي أصاب من قبلكم. ويقال: لم تبتلوا بمثل الذي ابتلي من قبلكم. {مَّسَّتْهُمُ البأساء والضراء}. البأساء: الشدة والبؤس، والضراء: الأمراض والبلاء. {وَزُلْزِلُواْ}، أي حركوا وأجهدوا، {حتى يَقُولَ الرسول والذين ءامَنُواْ مَعَهُ} قال مقاتل: يعني شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليسع. وقال الكلبي: هذا في كل رسول بعث إلى أمته، واجتهد في ذلك حتى قال: {متى نَصْرُ الله}؟ قال الله تعالى: {أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ}.

روي عن الضحاك أنه قال: يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. ومعنى ذلك أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فيصيبكم مثل ذلك، حتى يقول: محمد صلى الله عليه وسلم: {متى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ}، يعني فتح الله تعالى قريب، أي فتح الله تعالى إلى مكة عاجلٌ. وإنما ظهر لهم ذلك في يوم الأحزاب، فأصابهم خوف شديد وكانوا كما قال الله تعالى: {إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الابصار وَبَلَغَتِ القلوب الحناجر وَتَظُنُّونَ بالله الظنونا} [الأحزاب: 10]، فصدق الله وعده وأرسل عليهم ريحاً وجنوداً، وهزم الكفار. فذلك قوله تعالى: {أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} قرأ نافع: {حتى يَقُولَ الرسول} بالرفع على معنى المستأنف. وقرأ الباقون: بالنصب على معنى الماضي.

▲ تفسير الآية رقم [215]

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ}؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حثّهم على الصدقة، قال عمرو بن الجموح: يا رسول الله، كم ننفق وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية: {يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ}، أي ماذا يتصدقون من أموالهم؟ {قُلْ مَا أَنفَقْتُم مّنْ خَيْرٍ}، أي من مال {فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل}، يعني أنفقوا على الوالدين والقرابة وعلى جميع المساكين. فهذا جواب لقولهم: على من ننفق؟ ونزل في جواب قولهم: ماذا ننفق؟ قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمر والميسر قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ومنافع لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العفو كذلك يُبيِّنُ الله لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: 219]، أي الفضل من المال ثم نسخ ذلك بآية الزكاة. وقال بعضهم: آية الزكاة نسخت كل صدقة كانت قبلها. وقال بعضهم: هذه الآية ليست

بمنسوخة؛ وإنما فيها بر الوالدين وصلة الأرحام. ثم قال تعالى: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ}، أي يجازيكم به.

تفسير الآيات رقم [216 -217]

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)}

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتال} {أي فرض عليكم القتال. {وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}، أي شاق عليكم. وذلك أن الله تعالى، لما أمرهم بالجهاد، كرهوا الخروج. وإنما كانت كراهيتهم له، لأنه كان في الخروج عليهم مشقة، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى: ثم قال: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا}، يعني الجهاد. {وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}، لأن فيه فتحاً وغنيمة وشهادة وفيه إظهار الإسلام. {وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ}، وهو الجلوس عن الجهاد، لأنه يسلط عليكم عدوكم. {والله يَعْلَمُ} أن الجهاد خير لكم. {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} أن ذلك خير، حين أحببتم القعود عن الجهاد. ويقال: والله يعلم ما كان فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون. ذلك قوله تعالى.

{يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشهر الحرام قِتَالٍ فِيهِ}. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش مع تسعة رهط، في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين إلى عير لقريش، فلقوا العير. وكان ذلك في آخر الشهر، فأمر عبد الله بن جحش بعض أصحابه، فحلق رأسه. فلما رآهم المشركون آمنوا وظنوا أنه دخل رجب، فقاتلهم المسلمون وأخذوا أموالهم، فعيَّرهم المشركون بذلك، فنزلت هذه الآية: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشهر الحرام قِتَالٍ فِيهِ}. قال الزجاج: معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام. وقال القتبي يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز؟ فأبدل قتالاً من الشهر الحرام. {قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}، أي عظيم عند الله. ثم قال: {وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ الله}، يقول منع الناس عن الكعبة أن يطاف بها. {وَكُفْرٌ بِهِ}، أي بالله تعالى ويقال: {وَكُفْرٌ بِهِ} أي بالحج.

قوله: {والمسجد الحرام}؛ وإنما صار خفضاً، لأنه عطف على سبيل الله، كأنه قال: وصدّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله تعالى. {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ}. أي من المسجد {أَكْبَرُ عِندَ الله والفتنة أَكْبَرُ مِنَ القتل}، أي أعظم عقوبة عند الله من القتال في الشهر الحرام. {والفتنة}، يعني الشرك {أَكْبَرُ مِنَ القتل}، أعظم عقوبة من القتل في الشهر الحرام. ثم قال: {وَلاَ يَزَالُونَ يقاتلونكم حتى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ} الإسلام إلى دينهم

الكفر. {إِنِ اسْتَطَاعُواْ}، يعني إن قدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون عليه. ثم هدد المسلمين ليثبتوا على دينهم الإسلام، فقال تعالى: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ} الإسلام. {فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ} بالله تعالى {فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أعمالهم}، أي بطلت حسناتهم. {فِى الدنيا والاخرة}، يعني لا يكون لأعمالهم التي عملوا ثواب، كما قال في آية أخرى: {وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً}

[الفرقان: 23]، وقال تعالى: {أولئك الذين كَفَرُواْ بأايات رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامة وَزْناً} [الكهف: 105]. {وَأُوْلَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون}، أي دائمون.

قال الفقيه: حدثنا أبو إبراهيم محمد بن سعيد قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا إبراهيم بن داود قال: حدثنا المقدمي، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: حدثنا الحضرمي، عن أبي السوار، عن جندب بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً وبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال: «لَا تُكْرِه أَحَداً مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى المَسِيرِ» فلما بلغ المكان، قرأ الكتاب فاسترجع ثم قال: السمع والطاعة لله ولرسوله، فرجع رجلان ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب فقال المشركون: قتلهم محمد في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى الآية: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشهر الحرام}. فقال المشركون: إن لم يكن عليهم وزر فليس لهم أجر.

تفسير الآية رقم [218]

{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)}

فنزل: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ والذين هَاجَرُواْ} من مكة {وجاهدوا فِي سَبِيلِ الله}، أي في طاعة الله بقتل ابن الحضرمي. {أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ الله}، أي ينالون جنة الله. {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} بقتالهم في الشهر الحرام، ثم نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام وصار مباحاً بقوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشهور عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كتاب الله يَوْمَ خَلَقَ السماوات والارض مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيم فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ المشركين كَآفَّةً كَمَا يقاتلونكم كَآفَّةً واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين} [التوبة: 36]؛ فنهاهم الله عن ظلم أنفسهم بالسيئات والخطايا، وأمرهم بالقتال عاماً. وروى أبو يوسف عن الكلبي أن القتال في الشهر الحرام لا يجوز. وقال أبو جعفر الطحاوي: لا نعلم أن أهل العلم اختلفوا أن قتال المشركين في الشهر الحرام غير جائز. وروي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن قتال الكفار في الشهر الحرام، فقال: لا بأس به، وكذلك قال سليمان بن يسار وغيره.

تفسير الآيات رقم [219- 220]

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)}

ثم قال تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخمر والميسر}. قال بعض المفسرين: إن الله لم يدع شيئاً من الكرامة والبر، إلا وقد أعطى هذه الأمة. ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب لهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة؛ فكذلك في تحريم الخمر، كانوا مولعين على شربها، فنزلت هذه الآية {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخمر والميسر}، أي عن شرب الخمر والميسر هو القمار. {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ومنافع لِلنَّاسِ} في تجارتهم. {وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}. فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها. ثم نزلت هذه الآية: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنتُمْ سكارى حتى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حتى تَغْتَسِلُواْ وَإِنْ كُنتُم مرضى أَوْ على سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الغائط أَوْ لامستم النساء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً} [النساء: 43]، فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يمنعنا عن الصلاة، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة، حتى نزل قوله تعالى: {ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والانصاب والازلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90] الآية. فصارت حراماً عليهم حتى كان بعضهم يقول: ما حرم علينا شيء أشد من الخمر. وقيل: إثم كبير في أخذها ومنافع في تركها.

وروي أن الأعشى توجه إلى المدينة ليسلم، فلقيه بعض المشركين في الطريق فقالوا له: أين تذهب؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً صلى الله عليه وسلم. فقالوا: لا تصل إليه فإنه يأمرك بالصلاة. فقال: إن خدمة الرب واجبة. فقالوا له: إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء. فقال: إن اصطناع المعروف واجب. فقيل له إنه ينهى عن الزنى. فقال: إن الزنى فحش قبيح في العقل وقد صرت شيخاً، فلا أحتاج إليه. فقيل له: إنه ينهى عن شرب الخمر. قال: أما هذا فإني لا أصبر عنه فرجع. وقال: أشرب الخمر سنة ثم أرجع إليه، فلم يبلغ إلى منزله، حتى سقط عن البعير فانكسر عنقه فمات. وقال بعضهم: في هذه الآية ما يدل على تحريمه، لأنه سماها إثماً، وقد حرم الإثم في آية أخرى وهي قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثم والبغى بِغَيْرِ الحق وَأَن تُشْرِكُواْ بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سلطانا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33]. وقال بعضهم: أراد بالإثم، الخمر بدليل قول الشاعر:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي *** كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالعُقُولِ

وروي عن جعفر الطيار أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية، وكان يقول: الناس يطلبون زيادة العقل، فأنا لا أنقص عقلي.

وأما الميسر، فكانوا يشترون جزوراً ويضربون سهامهم، فمن خرج سهمه أولاً، يأخذ نصيبه من اللحم ولا يكون عليه من الثمن شيء، ومن بقي سهمه آخراً، فكان عليه ثمن الجزور كله وليس له من اللحم شيئاً. وقال عطاء ومجاهد: الميسر القمار كله، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب. قرأ حمزة والكسائي: {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} بالثاء من الكثرة، والباقون (بالياء) كبير أي ذنب عظم.

قوله: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخمر}، أي ماذا يتصدقون؟ {قُلِ العفو}، أي الفضل من المال، يريد أن يعطي ما فضل من قوته وقوت عياله، ثم نسخ بآية الزكاة. وقرأ أبو عمرو: «قُلِ العَفْوُ «بالرفع، يعني الإنفاق وهو الزكاة. وقرأ الباقون: بالنصب، يعني أنفقوا الفضل. {كذلك يُبيّنُ الله لَكُمُ الآيات}، يعني أمره ونهيه كما يبين لكم أمر الصدقة. {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}. {فِى الدنيا والاخرة}، يعني في الدنيا أنها لا تبقى ولا تدوم، ولا يدوم إلا العمل الصالح؛ وفي الآخرة أنها تدوم وتبقى ولا تزول. وقال بعضهم: معناه كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا، لعلكم تتفكرون في الآخرة.

قوله تعالى: {فِى الدنيا والاخرة}، يقول: عن مخالطة اليتامى؛ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: 10]، تركوا مخالطتهم فشق عليهم ذلك. وكان عند الرجل منهم يتيم، فجعل له بيتاً على حدة وطعاماً على حدة، ولا يخالطه بشيء من ماله. فقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، قد أنزل الله آية في أموال اليتامى، ما قد أنزل من الشدة فعزلناهم على حدة. أفيصلح لنا أن نخالطهم؟ فنزلت هذه الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ اليتامى}، أي عن مخالطة اليتامى. {قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ}. يقول: أي لمالهم خير من ترك مخالطتهم. {وَإِن تُخَالِطُوهُمْ}، أي تشاركوهم في النفقة والخدمة والدابة، {فَإِخوَانُكُمْ} في الدين. ويقال: الامتناع منه خير وإن تخالطوهم فهم إخوانكم. {والله يَعْلَمُ المفسد} لمال اليتيم {مِنَ المصلح} بماله، يعني لا بأس بالخلطة، وإذا قصدت به الإصلاح ولم تقصد به الإضرار به.

ثم قال: {وَلَوْ شَاء الله لاعْنَتَكُمْ إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. قال القتبي: ولو شاء الله، لضيق عليكم ولشدد عليكم، ولكنه لم يشأ إلا التسهيل عليكم. وقال الزجاج: {لاعْنَتَكُمْ}، معناه لأهلككم. وأصل العنت في اللغة من قول العرب: عنت البعير، إذا انكسرت رجله وحقيقته ولو شاء الله لكلفكم ما يشتد عليكم. وقال الكلبي {وَلَوْ شَاء الله لاعْنَتَكُمْ} في مخالطتهم فجعلها حراماً. {أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، وقد ذكرناها.

▲ تفسير الآية رقم [221]

{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)}

قوله تعالى: {وَلاَ تَنْكِحُواْ المشركات حتى يُؤْمِنَّ}. نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان يأتي مكة ويخرج منها أناساً من المسلمين كانوا بها سراً من أهل مكة؛ فلما قدم مكة، جاءته امرأة يقال لها عناق، كانت بينهما خلة في الجاهلية، فقالت له: هل لك أن تخلو بي؟ فقال لها: يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، وقد حرمت علينا. ولكني أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أتزوجك إن شئت. فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن ذلك، فنزلت هذه الآية: {وَلاَ تَنْكِحُواْ المشركات حتى يُؤْمِنَّ وَلامَةٌ مُّؤْمِنَةٌ}، يقول: نكاح أمة مؤمنة {خَيْرَ مَنِ} نكاح حرة {مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}، أي أعجبكم نكاحها.

{وَلاَ تُنكِحُواْ المشركين}، يقول: لا تنكحوا نساءكم المشركين، {حتى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مّن} تزويج {مُّشْرِكٌ} حر. {وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النار}، يعني إلى عمل أهل النار. {والله يَدْعُو إلى * الجنة والمغفرة بِإِذْنِهِ}، يعني إلى التوحيد والتوبة {بِإِذْنِهِ}، أي بأمره ويقال: يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين، لأن ذلك أوصل إلى الجنة والمغفرة بإذنه، أي بعلمه الذي يعلم أنه أوصل لكم إليها {وَيُبَيِنُ آياته لِلنَّاسِ}، أي أمره ونهيه في أمر التزويج. {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، ينتهون عن المعاصي والنكاح الحرام. ويقال: إن رجلاً من الأنصار أعتق جارية له، فأراد رجل من قريش أن يتزوجها فعيّروه بذلك، فنزلت هذه الآية {وَلامَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مّن مُّشْرِكَةٍ}.

نداءِ ايمان صفحه 6

▲ تفسير الآيات رقم [222- 223]

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)}

ثم قال: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ المحيض}. قال ابن عباس: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له: عمرو بن الدحداح، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،

كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ أنقربهن أم لا؟ فنزل قوله تعالى {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ المحيض} يقول عن النساء إذا حضن. ويقال: ويسألونك عن مجامعة النساء في المحيض. {قُلْ هُوَ أَذًى}، يعني الدم هو قذر نجس. {فاعتزلوا النساء فِي المحيض}، أي لا تجامعوهن في حال الحيض. {وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ}، يعني لا تجامعوهن وهن حيض، {حتى يَطْهُرْنَ}. قرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية أبي بكر: {حتى يَطْهُرْنَ} بتشديد الطاء والهاء والنصب، والباقون بالتخفيف أي يغتسلن وأصله يتطهرون، فأدغمت التاء في الطاء فصار {يَطْهُرْنَ}. فمن قرأ {يَطْهُرْنَ} أي يغتسلن، ومن قرأ {يَطْهُرْنَ} أي حتى يطهرن من الحيض.

قال الفقيه الزاهد؛ نعمل بالقراءتين جميعاً؛ فإن كانت المرأة أيام حيضها أقل من عشرة أيام فلا يجوز أن يقربها ما لم تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وإن كانت أيام حيضها عشرة، فإذا انقطع عنها الدم وتمت العشرة، جاز له أن يقربها بغير غسل. ثم قال تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ}، يعني أي اغتسلن من الحيض، {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله}، أي جامعوهن من حيث رخص لكم الله في موضع الجماع.

ويقال: لما نزلت هذه الآية {فاعتزلوا النساء فِي المحيض}، اعتزلوا النساء في أيام الحيض وأخرجوهن من البيوت؛ فقدم أناس من الأعراب وقالوا: يا رسول الله البرد شديد وقد اعتزلنا النساء، وليس كلنا يجد سعة لذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ عَنْ مُجَامَعَتِهِنَّ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ أَنْ تُخْرِجُوهُنَّ مِنَ البُيُوتِ كَمَا تَفْعَلُ الأَعَاجِمُ «

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله يُحِبُّ التوبين}، يعني التوابين من الشرك والذنوب. {وَيُحِبُّ المتطهرين}، أي من الجنابة والأحداث. ويقال: ويحب المتطهرين من إتيانهن في المحيض، في أدبارهن يتنزهون عن ذلك. ويقال: ويحب التّوابين من الذنوب والمتطهرين الذين لم يذنبوا. فإن قيل: كيف قدَّم بالذكر الذي تاب من الذنوب على الذي لم يذنب؟ قيل له: إنما قدمهم لكيلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه؛ كما ذكر في آية أخرى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالم لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخيرات بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير} [[فاطر: 32].

ثم قال عز وجل: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ}. يقول: مزرعة لكم للولد، {فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ}. والحرث في اللغة هو الزرع، فسمى النساء حرثاً على وجه الكناية، أي هن للولد كالأرض للزراعة.

قوله: {أنى شِئْتُمْ}، أي كيف شئتم؛ إن شئتم مستقبلين، وإن شئتم مستدبرين، إذا كان في صمام واحد. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: لا يجوز إتيان النساء إلا مستلقياً، وكانوا يقولون: إذا أتاها من خلفها، يكون الولد أحول، فنزل قوله تعالى {فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أنى

شِئْتُمْ}. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يَنْظُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلاً أوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا» وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبرِهَا «

ثم قال تعالى: {وَقَدّمُواْ لإِنفُسِكُمْ} من الولد الصالح. ويقال قدموا لأنفسكم من العمل الصالح. ويقال: سموا الله أي قولوا بسم الله الرحمن الرحيم عند ذلك. ثم قال: {واتقوا الله}، أي اخشوا الله ولا تقربوهن في حال الحيض ولا في أدبارهن. {واعلموا أَنَّكُم ملاقوه}، أي تصيرون إليه يوم القيامة، فيجزيكم بأعمالكم. {وَبَشّرِ المؤمنين} الذين يحافظون على حدود الله ويصدقون بوعده.

تفسير الآيات رقم [224- 226]

{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226)}

ثم قال عز وجل: {وَلاَ تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً لايمانكم}، أي علة. وأصل العرضة في اللغة: هو الاعتراض، فكأنه يعترض باليمين في كل وقت، فيكون كناية عن العلة. وقيل: العرضة أن يحلف الرجل في كل شيء، فمُنِعوا من ذلك. {أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ}، يعني لكي تبروا وتتقوا، لأنهم إذا أكثروا اليمين لم يبروا. وبهذا أمر أهل الإيمان. وقال الفراء: {وَلاَ تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً}. الحلف بالله متعرضاً، أي مانعاً لكم دون البر. والمعترض بين الشيئين: المانع. وقال القتبي: لا تجعلوا الله بالحلف مانعاً لكم أن تبروا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رحماً، ولا تتصدقوا، ولا تصلحوا، أو على شبه ذلك من أبواب البر، فكفِّروا اليمين. وقال الكلبي: هذه الآية نزلت في عبد الله بن رواحة الأنصاري. حين حلف أن لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان ولا يكلمه، فجعل يقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي أن لا أبر في يميني. فنزل قوله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً لايمانكم}.

يقول: علة لأيمانكم {أَن تَبَرُّواْ}، يعني تصلوا قرابتكم، وتتقوا اليمين في المعصية، وترجعوا إلى ما هو خير لكم منها؛ {وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ الناس}، أي بين إخوانكم. وروي عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: لا تحلفوا أن لا تبرُّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس. {والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} فمن حلف على شيء منه، فعلى الذي حلف عليه أن يفعل ويكفِّر عن يمينه. وقال الزجاج: معنى الآية بأنهم كانوا يقبلون في البر بأنهم قد حلفوا، فأعلم الله تعالى أن الإثم إنما هو في الإقامة في ترك البر، واليمين إذا كفَّرت، فالذنب فيها مغفور.

ثم قال: {لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ الله باللغو فِى أيمانكم} أي بالإثم في الحلف إذا كفرتم، {ولكن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} بعزمكم على أن لا تبروا ولا تتقوا. قال ابن عباس: {لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ الله باللغو فِى أيمانكم}، وهو أن يحلف الرجل بالله في شيء يرى أنه فيه صادق، ويرى أنه كذلك، وليس كذلك، فيكذب فيها. {ولكن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} يعني هو أن يحلف على شيء ويعلم أنه فيها كاذب. ويقال: لا يؤاخذكم الله باللغو في اليمين، إذا حلفتم وكفرتم، إذا كان الحنث خيراً؛ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم، أي أثمتم بغير كفارة.

{والله غَفُورٌ} لمن حنث وكفر بيمينه. {حَلِيمٌ} حيث رخص لكم في ذلك ولم يعاقبكم. {لّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نّسَائِهِمْ}، يعني الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم، {تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ}، يعني لهم أجل أربعة أشهر بعد اليمين، {فَإِن فَآءوا}، يعني إن رجعوا عن اليمين وجامعوا نساءهم من قبل أن تمضي أربعة أشهر بعد اليمين، وكفّروا عن أيمانهم ولا تبين المرأة عن الزوج؛ {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

▲ تفسير الآيات رقم [227- 232]

{وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)}

قوله تعالى: {وَإِنْ عَزَمُواْ الطلاق}، يعني أوجبوا الطلاق بترك الجماع، حتى مضت أربعة أشهر وقعت عليها تطليقة بمضي أربعة أشهر. وقال بعضهم: لا يقع الطلاق، ولكن يؤمر الزوج بعد مضي أربعة أشهر أن يجامعها أو يطلقها. وقال بعضهم يقع الطلاق بمضي أربعة أشهر؛ وهو قول علمائنا. وروي عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن

مسعود أنهما قالا: عزيمة الطلاق انقضاء أربعة أشهر، وذلك قوله تعالى: {وَإِنْ عَزَمُواْ الطلاق}، أي أوجبوا الطلاق بترك الجماع؛ {فَإِنَّ الله سَمِيعٌ} لمقالتهم بكلمة الإيلاء {عَلِيمٌ} بهم.

{والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ}، يعني وجب عليهن العدة {ثلاثة قُرُوء}، أي ثلاث حيض. وقال بعضهم: ثلاثة أطهار. وقال أكثر أهل العلم: المراد به الحيض. وأصل القرء: الوقت. وظاهر الآية عام في إيجاب العدة على جميع المطلقات، ولكن المراد به الخصوص، لأنه لم يدخل في الآية خمس من المطلقات: الأمة والصغيرة والآيسة والحامل وغير المدخولة. ثم قال: {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ الله فِى أَرْحَامِهِنَّ}، يعني الحمل والحيض، لا يحل لها أن تقول: إني حامل وليست بحامل أو إني حائض وليست بحائض {إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بالله واليوم الاخر}، يقول إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر.

{وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدّهِنَّ فِي ذلك إِنْ أَرَادُواْ إصلاحا}، يعني للنساء على الأزواج من الحقوق مثل ما للرجال على النساء، يعني في حال التربص إذا كان الطلاق رجعياً. {وَلَهُنَّ مِثْلُ الذى عَلَيْهِنَّ بالمعروف}، يقول بما عرف شرعاً، {وَلِلرّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}، أي فضيلة في النفقة والمهر. {والله عَزِيزٌ حَكُيمٌ} فيما حكم من الرجعة في الطلاق الذي يملك فيه الرجعة.

ثم بيّن الطلاق الذي يملك فيه الرجعة، فقال تعالى: {الطلاق مَرَّتَانِ}، يعني يقول: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان. {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ}، يعني إذا راجعها، يمسكها بمعروف، ينفق عليها، ويكسوها، ولا يؤذيها، ويحسن معاشرتها؛ {أَوْ تَسْرِيحٌ بإحسان}، يعني يؤدي حقها، ويخلي سبيلها. ويقال: {أَوْ تَسْرِيحٌ بإحسان}، يعني يطلقها التطليقة الثالثة ويعطي مهرها. ويقال: يتركها حتى تنقضي عدتها. ويقال يؤتي حقها ويخلي سبيلها ويقال: أو تسرح بإحسان. قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلق تطليقة أو تطليقتين، كان الزوج أحق بها؛ وإذا طلقها الثالثة، كانت المرأة أحق بنفسها؛ واحتج بقول الأعشى وكانت امرأته من بني مروان، فأخذه بنو مروان حتى يطلق امرأته، فلما طلقها واحدة قالوا له: عد فطلقها الثانية، فلما طلقها الثانية قالوا له: عد فطلقها الثالثة، فعرف أنها بانت منه ولا تحل له، فقال عند ذلك:

أَيَا جَارتِي بِينِي فإنَّكِ طَالِقَه *** كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَه

وبَيِنِي فَإِنَّ البَيْنَ خَيْرٌ مِنَ العَصَا *** وَأَنْ لاَ تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَه

وَذُوقِي قَنَى الحَيِّ إنِّي ذَائِق *** قَنَاة أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتَ ذَائِقَه

لقدكان في شأن قومِك منكحٌ *** وفتيان هزان الطوال العرايضة

ثم قال تعالى: {وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا ءاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا}. نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، وزوجها ثابت بن قيس؛ وكانت تبغضه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: لا أنا ولا ثابت فقال لها: «أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» فقالت: نعم وزيادة. فقال: «أَمَّا الزِّيَادَة، فلا» فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها وخلعها من زوجها، فذلك قوله تعالى: {وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا ءاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا} من المهر؛ {إِلاَّ أَن يَخَافَا}، يعني: يعلما {أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله}، أي أمر الله فيما أمر ونهى. قرأ حمزة {يَخَافَا} بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله، والباقون: بالنصب. وقرأ ابن مسعود: {إلا أنْ يخافوا}.

ثم قال: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله}، يقول: إن علمتم أن لا يكون بينهما صلاح في المقام، {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افتدت بِهِ}، أي لا حرج على الزوج أن يأخذ ممَّا افتدت به المرأة، إن كان النشوز من قبل المرأة. فأما إذا كان النشوز من قبل الزوج، فلا يحل له أن يأخذ، بدليل ما قاله في آية أخرى: {وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً} [النساء: 20].

ثم قال تعالى: {بِهِ تِلْكَ حُدُودُ الله}، أي أحكامه وفرائضه؛ {فَلاَ تَعْتَدُوهَا}، أي لا تجاوزوها. {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله}، أي يتجاوز أحكام الله وفرائضه بترك ما أمر الله تعالى أو بعمل ما نهاه؛ {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون}، يقول: الضارون الشاقون بأنفسهم. ويقال: {تِلْكَ حُدُودُ الله}، يعني الطلاق مرتان، فلا تجاوزوهما إلى الثالثة. ومن يتعد حدود الله بالتطليقة الثالثة، فأولئك هم الظالمون؛ {فَإِن طَلَّقَهَا} الثالثة، {فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ} الثالثة، {حتى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ}، أي تتزوج بزوج آخر ويدخل بها؛ وإنما عرف الدخول بالسنة. وهو ما روي عن ابن عباس أن رفاعة القرظي طلق امرأته ثلاثاً، وكانت تدعى تميمة بنت وهب، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن، ولم يكن عنده إلا كهدبة الثوب فقال لها: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ «فقالت: نعم. قال: «لَيْسَ ذلك مَا لَمْ تَذُوقِي مِنْ عُسَيْلَتِهِ وَيَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكِ» فذلك قوله تعالى: {فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حتى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ}، يعني إذا طلقها الثالثة.

قوله تعالى: {فَإِن طَلَّقَهَا}، يعني واحدة أو اثنتين؛ {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا}، يعني المرأة والزوج {أَن يَتَرَاجَعَا}. ويقال: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما دخل عليها، فلا جناح عليهما يعني المرأة والزوج الأول أن يتراجعا، يعني أن يتزوجها مرة أخرى. {إِن ظَنَّا}، يعني إن علما {أَن يُقِيمَا حُدُودَ الله}، أي فرائض الله؛ يقول إذا علما أنه يكون بينهما الصلاح بالنكاح الثاني. قوله: {وَتِلْكَ حُدُودُ الله}، أي فرائض الله وأمره ونهيه وأحكامه، {يُبَيّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}. ويقال: إنما قال: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، لأن الجاهل إذا بيّن

له، فإنه لا يحفظ ولا يتعاهد؛ والعالم يحفظ ويتعاهد. فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال.

ثم وقوله: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النساء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، أي مضى عليهن ثلاث حيض قبل أن يغتسلن، وقبل أن يخرجن من العدة؛ {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}، يعني يراجعها ويمسكها بالإحسان. قوله: {أَوْ سَرّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}؛ أو لا يراجعها ويتركها حتى تخرج من العدة. {وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا}؛ والضرار في ذلك أن يدعها حتى إذا حاضت ثلاث حيض، وأرادت أن تغتسل، راجعها ثم طلقها؛ يريد بذلك أن يطول عليها عدتها. فنهى الله عن ذلك فقال تعالى: {وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا}. {لّتَعْتَدُواْ}، أي لتظلموهن. {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} الإضرار، {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، يقول: أضر بنفسه بمعصيته في الإضرار. وقال الزجاج: {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، يعني عرَّض نفسه للعذاب، لأن إتيان ما نهى الله عنه، تعرض لعذاب الله، لأن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

ثم قال: {وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيات الله هُزُوًا}، يعني القرآن لعباً. ويقال إنهم كانوا يطلقون ولا يعدون ذلك طلاقاً، ويجعلونه لعباً، فنزل: {وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيات الله هُزُوًا}. قرأ عاصم في رواية حفص: {هُزُواً} بغير همز، وكذلك قوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الصمد: 4] والباقون: بالهمز. وهما لغتان، ومعناهما واحد. ثم قال تعالى: {واذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ}، يقول: احفظوا نعمة الله عليكم بالإسلام. {وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مّنَ الكتاب والحكمة}، يقول: احفظوا ما ينزل الله عليكم في القرآن من المواعظ {والحكمة} يعني الفقه في القرآن {يَعِظُكُمْ بِهِ}، يقول: ينهاكم عن الضرار.

{واتقوا الله} في الضرار، {واعلموا أَنَّ الله بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} من أعمالكم فيجازيكم به. {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النساء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، يقول: انقضت عدتهن؛ {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ}، يقول: لا تحبسوهن ولا تمنعوهن {أَن يَنكِحْنَ أزواجهن إِذَا تراضوا بَيْنَهُم بالمعروف} بمهر ونكاح جديد وذلك أن معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي الدحداح، فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها فرضيت؛ وأبى أخوها أن يزوجها له وقال لها: وجهي من وجهك حرام إن تزوجتيه.

فنزلت هذه الآية: {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أزواجهن إِذَا تراضوا بَيْنَهُم بالمعروف ذلك يُوعَظُ بِهِ}، أي يؤمر به. {مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بالله واليوم الاخر}، أي يصدق بالله واليوم الآخر {ذلكم أزكى لَكُمْ}، يعني خير لكم ويقال: أصلح لكم، {وَأَطْهَرُ} من الريبة.

{والله يَعْلَمُ} من حب كل واحد منهما لصاحبه {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ذلك. ويقال: ذلكم أطهر لقلوبكم من العداوة، لأن المرأة تأتي الحاكم فيزوجها، فتدخل في قلوبهم العداوة والبغضاء. وقال الضحاك: والله يعلم أن الخير في الوفاء والعدل، وأنتم لا تعلمون ما عليكم بالتفريق من العقوبة ومن العذاب. وقال مقاتل: فدعا رسول الله صلى الله عليه

وسلم معقلاً، وقال: «إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً فَلا تَمْنَعْ أُخْتَكَ عَنْ أَبِي الدَّحْدَاحِ»، فقال: آمنت بالله وزوجتها منه وفي هذه الآية دليل أن الولي إذا منع المرأة عن النكاح، كان للحاكم أن يزوجها.

تفسير الآية رقم [233]

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)}

قوله تعالى: {والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ}، يعني سنتين كاملتين، {لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة}، يعني أن يكمل الرضاعة. فإن قيل: لما ذكر الحولين، فما الحاجة إلى الكاملين؟ قيل له: هذا للتأكيد، لأن بعض الحولين يسمى حولين، كما قال في آية أخرى: {الحج أَشْهُرٌ معلومات فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحج فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب} [البقرة: 197]، وإنما هي شهران وعشرة أيام. فهاهنا لما ذكر الحولين الكاملين، علم أنه أراد الحولين بغير نقصان.

ثم قال تعالى: {وَعلَى المولود لَهُ رِزْقُهُنَّ}، أي على الأب أجر الرضاع ونفقة الأم؛ {وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف}، أي على قدر طاقته. {لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا}، يعني لا يجب على الأب من النفقة والكسوة إلا مقدار طاقته. {لاَ تُضَارَّ والدة بِوَلَدِهَا} يقول: لا ينزع الولد من الأم لكونها أحق بولدها من غيرها. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ} بضم الراء على معنى الخبر تبعاً لقوله: {لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا}، ولفظه لفظ الخبر والمراد به النهي، وقرأ الباقون: بالنصب على صريح النهي. {وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ}، يعني الأب لا يضار بالولد، فتطرح الأم الولد إليه بعدما عرفت أنه لا يقبل ثدي غيرها، فلا يجوز لها أن تفعل ذلك. ويقال: {وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ} يعني إذا كان الأب يجد ظئراً أرخص من الأم؛ والأم أبت أن ترضع إلا بأجر كثير، فإن الأب لا يجبر على ذلك، وله أن يدفع إلى ظئر أخرى.

قال تعالى: {وَعَلَى الوارث مِثْلُ ذلك}، يعني إذا مات الأب وله وارث سوى الأب، فعلى وارث الصبي مثل ما على الأب. ويقال: على وارث الأب لا يضارها ولا تضاره. ويقال مثل ذلك، يعني الكسوة الرزق في رضاع الصبي ونفقته. {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً}، أي فطاماً {عَن تَرَاضٍ مّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ}، يعني الأب والأم دون الحولين. ويقال: بعد الحولين. {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} إن لم يرضعاه سنتين، أي لا حرج عليهما. {وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن

تَسْتَرْضِعُواْ أولادكم}، يعني أن تأخذوا ظئراً لأولادكم، إذا أرادت الأم النكاح؛ {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم} ما أتيتم بالمعروف، يعني لا إثم عليكم إذا أعطيتم الظئر {مَّا ءاتَيْتُم بالمعروف}، ما أعطيتم بما تعرفونه. ويقال: أعطيتم ما شرطتم لهن.

ثم خوفهما في الإضرار، فقال تعالى: {واتقوا الله}، يعني الأبوين فلا يضار واحد منهما لصاحبه. {واعلموا أَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} من الإضرار فيجازيكم به. قرأ ابن كثير: «مَا أَتَيْتُمْ» بغير مد، يعني ما جئتم وفعلتم؛ وقرأ الباقون بالمد، يعني ما أعطيتم.

▲ تفسير الآية رقم [234]

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)}

وقوله تعالى: {والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ}، أي يموتون؛ {وَيَذَرُونَ أزواجا}، أي يتركون نساء من بعدهم. {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ}، يعني ينتظرن بأنفسهن {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}، لا يتزوجن ولا يتزين ولا يخرجن من بيوتهن ولا يتزين. {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، يعني انقضت عدتهن؛ {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}، أي فلا إثم عليكم {فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ} من الزينة والكحل والخضاب. وذلك أن المرأة إذا انقضت عدتها، فكان أولياؤها يمنعونها من الزينة، فأباح الله تعالى لهن الزينة بعد العدة.

ويقال: فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن {بالمعروف}، يعني إذا تزوجن بزوج آخر، إذا كان الزوج كفواً لها، فلا يمنع من نكاحها. {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} من الزينة والمنع من نكاحها وغير ذلك. وهذه الآية عامة، يستوي فيها المدخولة وغير المدخولة. ويستوي فيها الصغيرة والكبيرة في وجوب العدة من الزينة والمنع وغير ذلك.

▲ تفسير الآية رقم [235]

{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)}

{وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النساء}. فقد أباح للخاطب أن يتعرض للنكاح، ونهاه عن الخطبة والعقد؛ فقال: {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ} يقول: لا بأس بأن يأتي الرجل المرأة المتوفى عنها زوجها، فيعرض لها ويقول: إنك لتعجبيني وإنك لموافقة لي، فأرجو أن يكون بيننا اجتماع، ونحو ذلك من الكلام. فهذا هو التعريض

من خطبة النساء {أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ}، يعني أضمرتم في أنفسكم. قال الزجاج: كل شيء سترته فقد أكننته وكننته فهو مكنون، فلذلك أباح الله تعالى التعريض.

ثم قال: {عَلِمَ الله أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ}، يعني خافوا الله في العدة من تزويجهن. {ولكن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّا}، يعني نكاحاً ويقال: جماعاً. وقال القتبي: سمي الجماع سراً، لأنه يكون في السر فيكنى عنه. {إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}، يعني عدة حسنة، نحو إنك لجميلة وإني فيك لراغب.

وقوله تعالى: {وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النكاح}، يقول: ولا تحققوا عقدة النكاح، يعني لا تتزوجوهن في العدة. {حتى يَبْلُغَ الكتاب أَجَلَهُ}، يعني حتى تنقضي عدتها. {واعلموا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ}، يعني ما في قلوبكم من الوفاء وغيره. {فاحذروه}، يعني أن تخالفوه فيما أوجب عليكم. {واعلموا أَنَّ الله غَفُورٌ حَلِيمٌ}، أي غفور ذو تجاوز، حليم حيث لم يعجل عليكم بالعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [236- 237]

{لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)}

{لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}، أي لا حرج عليكم {إِن طَلَّقْتُمُ النساء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ}؛ قرأ حمزة والكسائي {***تَمَاسُّوهُنَّ} بالألف من المفاعلة، وهو فعل بين اثنين؛ وقرأ الباقون بغير ألف، لأن الفعل للرجال خاصة. وقال بعضهم: المس هو الجماع خاصة، فما لم يجامعها لا يجب عليه تمام المهر. وقال بعضهم: إذا جامعها أو خلا بها، وجب عليه جميع الصداق إذا كان سمى لها مهراً؛ وإن لم يكن سمى لها مهراً، فلها مهر مثلها إن دخل بها، وإن لم يدخل بها فلها المتعة. فذلك قوله تعالى: {حَلِيمٌ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النساء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ}، يعني إذا تزوج الرجل امرأة ثم لم يعجبه المقام معها، فلا بأس بأن يطلقها قبل أن يمسها.

قوله: {أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً}، يعني لا حرج عليكم أن تتزوجوا النساء ولم تسموا لهن مهراً {وَمَتِّعُوهُنَّ}، يعني إذا طلقها قبل أن يدخل بها، فعلى الزوج أن يمتعها {عَلَى الموسع قَدَرُهُ}. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: «قَدَرَهُ» بنصب الدال، وقرأ الباقون بالجزم؛ ومعناهما واحد.

قوله: {وَعَلَى المقتر قَدْرُهُ متاعا بالمعروف}؛ قال ابن عباس في رواية الكلبي: أدنى ما يكون من المتعة ثلاثة أثواب درع وخمار وملحفة وهكذا قال في رواية الضحاك {حَقّاً}، أي واجباً {عَلَى المحسنين} أن يمتعوا النساء على قدر طاقتهم.

{وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ}، يعني من قبل أن تجامعوهن وقبل أن تخلوا بهن، هكذا قال في رواية الضحاك، {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}، يعني على الزوج نصف ما فرض لها من المهر. {إِلَّا أَن يَعْفُونَ}، يعني إلا أن تترك المرأة فلا تأخذ شيئاً، {أَوْ يَعْفُوَاْ الذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النكاح}، يعني الزوج يكمل لها جميع الصداق. {وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ للتقوى}، يقول: أن تعفو بعضكم بعضاً كان أقرب إلى البر، فأيهما ترك لصاحبه فقد أخذ بالفضل. ويقال: إن الله تعالى ندب إلى الإنسانية، فأمر كل واحد منهما بالعفو، ثم قال تعالى: {وَلاَ تَنسَوُاْ الفضل بَيْنَكُمْ}، يعني لا تتركوا الفضل والإنسانية فيما بينكم في إتمام المهر أو في الترك. {إِنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فيجازيكم بذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [238- 239]

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)}

{حافظوا عَلَى الصلوات والصلاة الوسطى}؛ قال ابن عباس: أي حافظوا على الصلوات المكتوبات الخمس في مواقيتها بوضوئها وركوعها وسجودها؛ {حافظوا عَلَى}، يعني الصلاة الوسطى خاصة حافظوا عليها. ويقال: هي صلاة العصر. ويقال هي صلاة الصبح ويقال: هي صلاة الظهر.

حدثنا القاسم بن محمد بن روزية قال: حدثنا عيسى بن خشنام قال: حدثنا سويد بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن داود بن الحصين أنه بلغه، عن رجل، عن زيد بن ثابت أنه بلغه، عن علي وابن عباس أنهما كانا يقولان: صلاة الوسطى صلاة الصبح.

قال مالك: وذلك رأي. أخبرني القاسم بن محمد قال: حدثنا عيسى بن خنشام قال: حدثنا سويد بن سعيد بن مالك بن أنس، عن داود بن الحصين، عن رجل، عن زيد بن ثابت أنه قال: صلاة الوسطى: صلاة الظهر.

وبهذا الإسناد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن الحكم، عن أبي يونس مولى عائشة رضي الله عنها أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى: صلاة العصر.

قال الفقيه: حدثنا أبو إبراهيم الترمذي، عن أبي إسحاق، عن أبي جعفر الطحاوي قال: حدثنا علي بن معبد قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبي إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي، عن عمرو بن رافع، مولى عمر وكان يكتب المصاحف أنه قال: اكتتبتني حفصة ابنة عمر مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها، حتى تأتيني فأمليها عليك كما حفظتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغتها أتيتها بالورقة فقالت: اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر. ويقال: هي قراءة عبد الله بن مسعود.

وروي عن أبي هريرة وابن عمر أنهما قالا: صلاة الوسطى العصر وروي عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن علي أنه قال: كنت ظننت أنها صلاة الفجر، حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق وقد شغلوه عن صلاة العصر، قال: «مَلأَ الله بُطُونَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً، شَغَلُونا عَنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى، صَلاةِ العَصْرِ» وإنما كان فائدة التخصيص بصلاة العصر، لأن ذلك وقت الشغل ويخاف فوتها ما لا يخاف لسائر الصلوات. وقد أكد بالذكر قال: {حافظوا عَلَى} خاصة. ومن طريق المعقول يدل أيضاً على أن صلاة الوسطى هي صلاة العصر، لأن قبلها صلاتي النهار وبعدها صلاتي الليل.

ثم قال تعالى: {وَقُومُواْ لِلَّهِ قانتين}، أي قوموا لله طائعين في الصلاة مطيعين. ويقال: صلوا لله قائمين، فكأنه أمر بطول القيام في الصلاة.

كما قال في آية أخرى: {يامريم اقنتى لِرَبِّكِ واسجدى واركعى مَعَ الراكعين} [آل عمران: 43]. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال: «التِي يُطِيلُ القُنُوتَ فِيهَا»، يعني القيام. ويقال: قانتين، يعني ساكتين، كما روي عن زيد بن أرقم أنه قال: كنا نتكلم في الصلاة، حتى نزلت هذه الآية: {وَقُومُواْ لِلَّهِ قانتين}، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. وقال الزجاج: المشهور في اللغة الدعاء في القيام، وحقيقة القانت القائم بأمر الله تعالى.

ثم قال: {فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا}، يعني إذا خفتم العدو فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فصلوا ركباناً على الدواب، حيث ما توجهت بكم بالإيماء. وهذا موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر صلاة الخوف، ثم قال في آخره «فَإنْ كانَ الخَوْفُ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، صَلُّوا عَلَى أَقْدَامِكُمْ أَوْ رُكْبَاناً مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا» {فَإِذَا أَمِنتُمْ}، يعني العدو والخوف، {فاذكروا الله كَمَا عَلَّمَكُم}، يعني صلوا كما علمكم أربعاً أو اثنتين. وعلمكم {مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ}، يعني علمكم الصلاة ولم تكونوا تعلمون من قبل.

▲ تفسير الآيات رقم [240- 242]

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)}

ثم قال عز وجل: {والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أزواجا}، أي يموتون ويتركون نساءهم من بعدهم {وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم}، أي يوصون لنسائهم. قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم «وَصِيَّةٌ» بالضم، يعني عليهم وصية؛ وقرأ الباقون: بالنصب، يعني يوصون وصية لأزواجهم. {متاعا}، أي نفقة وكسوة {إِلَى الحول غَيْرَ إِخْرَاجٍ}، يقول: لا يخرجن من بيوت أزواجهن. وهذا في أول الشريعة كانت العدة حولاً وهكذا كان في الجاهلية. ألا ترى إلى قول لبيد:

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلمُجَاوِرِ فِيهِم *** وَالمُرْمِلاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

ثم نسخ ما زاد على الأربعة أشهر وعشراً، ونسخت الوصية للأزواج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ " ويقال: نسخ بآية الميراث. ثم قال تعالى: {فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ *** فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ}، يعني من الزينة يحتمل أنه أراد به الخروج بعد مضي السنة، ويحتمل الخروج في السنة إذا خرجت بعذر في أمر لا بد لها منه. {والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}؛ وقد ذكرناها.

{وللمطلقات متاع بالمعروف}. والمطلقات أربع: مطلقة يسمى لها مهراً، ومطلقة لم يسم لها مهراً، ومطلقة دخل بها، ومطلقة لم يدخل بها، فالمتعة لا تكون واجبة إلا لمطلقة واحدة وهي التي لم يسم لها مهراً وطلقها قبل الدخول. كما ذكر في الآية التي سبق ذكرها وفي سائر المطلقات المتعة مستحبة وليست بواجبة. {حَقًّا عَلَى المتقين}، أي واجباً على المتقين، وذلك فيما بينه وبين الله تعالى، فلا يجب عليه إلا في المطلقة التي ذكرنا. {كَذَلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياته}، يعني أمره ونهيه، {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ما أمرتم به. ويقال: آياته يعني دلائله. ويقال: آيات القرآن.

تفسير الآية رقم [243]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)}

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ}، يقول: ألم تخبر: وهذا على سبيل التعجب، كما يقال: ألا ترى إلى ما صنع فلان؟ ويقال: ألم تر، يعني ألم تعلم؟ ويقال: ألم ينته إليك خبرهم؟ يعني الآن نخبرك عنهم. قال ابن عباس: وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل

أمر الناس بالخروج إلى الغزو فخرجوا، فبلغهم أن في ذلك الموضع طاعوناً، فامتنعوا عن الخروج إلى هناك، ونزلوا في موضعهم، فهلكوا كلهم؛ فبلغ خبرهم إلى بني إسرائيل، فخرجوا ليدفنوهم، فعجزوا عن ذلك لكثرتهم، فحظروا عليهم الحظائر. ثم أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وبقيت منهم بقايا من البحر ومعهم النتن إلى اليوم وقال بعضهم: بلغهم أن هناك للعدو شوكة وقسوة، فامتنعوا عن الخروج إليهم فأهلكهم الله تعالى.

وقال بعضهم: إن أرضاً وقع بها الوباء فخرج الناس منها هاربين، فنزلوا منزلاً فماتوا كلهم؛ فمر بهم نبي يقال له حزقيل عليه السلام فقال: الحمد لله القادر الذي يحيي هذه النفوس البالية ليعبدوه. فدعا لهم فأحياهم الله تعالى؛ فذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين خَرَجُواْ مِن ديارهم وَهُمْ أُلُوفٌ}. قال ابن عباس في رواية الكلبي وفي رواية الضحاك: ثمانية آلاف، ويقال: سبعون ألفاً، ويقال: ثمانية عشر ألفاً. وقال بعضهم: هم ألوف كما قال الله تعالى، ولا يعرف كم عددهم إلا الله. {حَذَرَ الموت}، أي خرجوا من ديارهم مخافة الموت.

{فَقَالَ لَهُمُ الله مُوتُواْ}، أي أماتهم الله؛ {ثُمَّ أحياهم إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس}، يعني على أولئك الكفار حين أحياهم. يقال: هو ذو منَ على جميع الناس. {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَشْكُرُونَ} رب هذه النعمة، يعني الكفار. ويقال: على الذي أحياهم.

وفي هذه الآية: دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عمن قبله ولم يكن قرأ الكتب، فظهر ذلك عند اليهود والنصارى وعرفوا أنه حق. وفي هذه الآية إبطال قول من يقول: إن الإحياء بعد الموت لا يجوز، وينكر عذاب القبر؛ لأن الله تعالى يخبر أنه قد أماتهم ثم أحياهم.

▲ تفسير الآية رقم [244]

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)}

قوله: {وقاتلوا فِي سَبِيلِ الله}. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: لما أحياهم الله قال لهم: {قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله}. ويقال: هذا أمر بالجهاد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم قال لهم: قاتلوا في سبيل الله. {واعلموا أَنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، أي سميع لمقالتهم، عليم بالأرض التي وقع فيها الوباء.

تفسير الآية رقم [245]

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)}

قوله عز وجل: {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا}. نزلت في شأن أبي الدحداح، قال: يا رسول الله، إن لي حديقتين لو تصدقت بواحدة منهما، أيكون لي مثلها في الجنة؟ قال «نَعَمْ». قال: وأم الدحداح معي؟ يعني امرأته. قال: «نَعَمْ». قال: والدحداح معي؟ يعني ابنه. فقال: «نَعَمْ». قال: أشهدك أني قد جعلت حديقتي لله تعالى. ثم جاء إلى الحديقة، فقام على الباب وتحرج الدخول فيها، بعدما جعلها لله تعالى ونادى: يا أم الدحداح اخرجي، فإني جعلت حديقتي لله تعالى، فخرجت وتحولت إلى حديقة أخرى، وقالت له: هنيئاً لك بما فعلت أو كما فعلت، فنزل قوله تعالى: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} يعني ألفي ألف ضعف.

قال الفقيه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضيل قال: حدثنا المعلى بن منصور قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي قال: بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال: إن الله تعالى يكتب للعبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فحججت ذلك العام لألقى أبا هريرة، فأكلمه في هذا الحديث فلقيته فأخبرته فقال: ليس كذا قلت، ولم يحفظ الذي حدثك عني. وإنما قلت: ألفي ألف حسنة. ثم قال أبو هريرة: أو لستم تجدون في كتاب الله تعالى: {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}. فقوله: {كَثِيرَةٍ} أكثر من ألف ألف ومن ألفي ألف.

ثم قال تعالى: {والله يَقْبِضُ}، أي يقتر الرزق على من يشاء؛ {وَيَبْصُطُ}، أي يوسع على من يشاء من عباده. ويقال: يقبض الصدقات ويخلفها الثواب في الدنيا والآخرة. وقال بعضهم يسلب قوماً ما أنعم عليهم ويوسع على آخرين. {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة قرأ حمزة والكسائي ونافع وأبو عمرو: {فَيُضَاعِفَهُ} بالألف وبضم الفاء، وقرأ عاصم {فَيُضَاعِفَهُ} بالألف وبنصب الفاء، وقرأ ابن كثير {فَيُضْعِفُهُ} بغير ألف وبضم الفاء، وقرأ ابن عامر: {فَيُضْعِفُهُ} بغير ألف وبنصب الفاء. فأما من قرأ: {فَيُضَاعِفَهُ} [بالألف والضم]، {يضاعفه} فهما لغتان بمعنى واحد. يقال: ضاعفت الشيء وضعفته. ومن قرأ بضم الفاء عطفه على قوله: {يُقْرِضُ الله}. ومن نصبه فعلى جواب الاستفهام. وقرأ نافع {***يَبْصُطُ} بالصاد، وقرأ الباقون: بالسين وهو أظهر عند أهل اللغة. وفي كل موضع يكون الصاد قريباً من الطاء، جاز أن يقرأ بالسين وبالصاد مثل المصيطرون ومثل: الصراط، لأنه يشتد فرق الصاد عند ذلك فيجوز القراءة بالسين.

تفسير الآيات رقم [246- 252]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)}

وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الملإ مِن بَنِى إِسْرءيلَ مِن بَعْدِ موسى}، يعني الرؤساء والقادة. وقال بعضهم: اشتقاق الملأ في اللغة من الملأ وهم الجماعة التي تملأ باديتهم. وقال بعضهم: الناظر إذا نظر إليهم، امتلأ عينه هيبة منهم؛ وذلك أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنيهم فقتلوهم، وسبوهم، وأخرجوهم من ديارهم. وكان رئيسهم جالوت، فلما اضطر المسلمون في ذلك جاؤوا إلى نبي لهم يقال له: أشمويل بن هلقانا عليه السلام بلغة العبرانية وبالعربية إسماعيل بن هلقان، {إِذْ قَالُواْ لِنَبِىّ لَّهُمُ}، يعني أشمويل: {ابعث لَنَا مَلِكًا}، يعني ادع لنا الله تعالى أن يجعل لنا ملكاً، يعني رجلاً ينتظم به أمرنا. {نقاتل فِى سَبِيلِ الله}.

ف {قَالَ} لهم أشمويل: {هَلْ عَسَيْتُمْ}. قرأ نافع: {هَلْ عَسَيْتُمْ} بكسر السين، وقرأ الباقون: بالنصب، وهي اللغة المعروفة. والأول لغة لبعض العرب {هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتال أَلاَّ تقاتلوا}، يعني إذا بعث الله لكم ملكاً وفرض عليكم القتال، لعلكم لا تقاتلون وتجبنون عن القتال. {قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نقاتل فِى سَبِيلِ الله}، يقول: كيف لا نقاتل في سبيل الله؛ {وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن ديارنا وَأَبْنَائِنَا}، يعني أخذوا ديارنا وسبوا أبنائنا.

{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال}، أي فرض عليهم القتال. {تَوَلَّوْاْ} وتركوا القتال ولم يثبتوا {إِلاَّ قَلِيلاً مّنْهُمُ}، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. {والله عَلِيمٌ بالظالمين}، يعني أن الله تعالى يعلم جزاء من تولى عن القتال.

ثم بيّن لهم القصة بقوله: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}، يعني قال: أجابكم ربكم إلى ما سألتم من بعث ملك تقاتلون في سبيل الله معه، وقد جعل لكم طالوت ملكاً؛ وكان طالوت فيهم حقير الشأن، وكانت النبوة في بني لاوي بن يعقوب، والملك في سبط يهوذا. ولم يكن طالوت من أهل بيت النبوة ولا من أهل بيت الملك. ويقال: كان رجلاً يبيع الخمر، ويقال: كان بقاراً، ويقال: كان دباغاً، ولكنه كان عالماً فرفعه الله بعلمه. {قَالُواْ أنى يَكُونُ لَهُ الملك عَلَيْنَا}، يعني المسلمون قالوا لنبيهم: من أين يكون له الملك {عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالملك مِنْهُ}؟ لأن منا الملوك. {وَلَمْ يُؤْتَ} طالوت {سَعَةً مّنَ المال} ينفق علينا. والملك يحتاج إلى مال ينفق على جنوده وأعوانه.

{قَالَ} لهم نبيهم عليه السلام: {إِنَّ الله اصطفاه عَلَيْكُمْ}، يعني اختاره عليكم {وَزَادَهُ بَسْطَةً}، أي فضيلة {فِي العلم والجسم}؛ وكان رجلاً جسيماً وكان عالماً. ويقال: كان عالماً بأمر الحرب. {والله يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَاء والله واسع عَلِيمٌ}.

والواسع في اللغة: هو الغني. ويقال: واسع بعطية الملك، عالم لمن يعطيه. ويقال: واسع يعني باسط الرزق، عليم بمن يصلح له الملك. فظنوا أنه يقول لهم من ذات نفسه. وقالوا له: إن كان الله تعالى أمرك بذلك، فأتنا بآية قال الله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ ءايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التابوت}؛ وذلك أن الكفار كانوا أخذوا التابوت، وكان التابوت للمسلمين، فإذا خرجوا للغزو والتابوت معهم كانوا يرجون الظفر. فأخذ الكفار التابوت ووضعوه في مزبلة أي في مخرأة لهم فابتلاهم الله تعالى بالباسور. ويقال إن أصل الباسور من ذلك الوقت، وأصل الجذام من وقت أيوب عليه السلام وتغير الطعام من قبل بني إسرائيل. فجعل الله تعالى آية ملك طالوت رد التابوت إليهم، فذلك قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ} يعني علامة ملكه {أَن يَأْتِيَكُمُ التابوت}.

{فِيهِ سَكِينَةٌ مّن رَّبّكُمْ}. قال الكلبي: سكينة أي: طمأنينة، إذا كان التابوت في مكان اطمأنت قلوبهم بالظفر. وقال مقاتل: السكينة كانت دابة ورأسها كرأس الهرة ولها جناحان، فإذا صوَّتت، عرفوا أن النصر لهم. ويقال: كانت جوهراً أحمر يسمع منه الصوت. ويقال: كانت ريحاً تهب فيها لها صوت يعرفون أن النصرة لهم عند الصوت.

قوله تعالى: {وَبَقِيَّةٌ مّمَّا تَرَكَ ءالُ موسى وَءالُ هارون}، يعني الرضاض من الألواح، وقفيز من منّ في طست من ذهب، وعصا موسى، وعمامة هارون؛ قال الكلبي: وكان التابوت من عود الشمشار الذي يتخذ منه الأمشاط، فلما ابتلاهم الله تعالى بالباسور، عرفوا أن ذلك من التابوت، فقالوا: لعل إله بني إسرائيل الذي فينا، يعنون التابوت، هو

الذي يفعل بنا هذا الفعل، فأخرجوا بقرتين من المدينة وتركوا أولادها في المدينة، وربطوا التابوت على عجلة ثم ربطوا العجلة بالبقرتين، ثم وجهوهما نحو بني إسرائيل؛ فضربت الملائكة جنوبهما، وساقوهما حتى هجموا بهما على أرض بني إسرائيل، فأصبحوا والتابوت بين أظهرهم. وذلك قوله تعالى: {تَحْمِلُهُ الملائكة}، يعني الملائكة ساقوا العجلة. {إِنَّ فِي ذلك لأَيَةً لَّكُمْ}، يعني إن في رد التابوت علامة لملك طالوت {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، أي مصدقين بأن ملكه من الله تعالى فعرفوا وأطاعوه.

قوله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بالجنود}، يعني فتجهز طالوت وخرج بالجنود وهم سبعون ألفاً، فصاروا في حر شديد، فأصابهم عطش شديد، فسألوا طالوت الماء. ف {قَالَ} لهم طالوت: {إِنَّ الله مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ} وهو بين الأردن وفلسطين؛ وإنما كان الابتلاء ليظهر عند طالوت من كان مخلصاً في نيته من غيره؛ وأراد أن يميز عنهم من لا يريد القتال، لأن من لا يريد القتال إذا خالط العسكر، يدخل الضعف والوهن في العسكر، لأنه إذا انهزم وهرب ضعف الباقون.

ويقال: إن أشمويل هو الذي أخبر طالوت بالوحي، حتى أخبر طالوت قومه حيث قال: {إِنَّ الله مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنّي}، يعني ليس معي على عدوي، إذا شرب بغير غرفة. {وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنّى}، يعني لم يشرب منه يعني غرفة. {فَإِنَّهُ مِنّى}، أي معي على عدوي {إِلاَّ مَنِ اغترف غُرْفَةً بِيَدِهِ}. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: {غُرْفَةً} بنصب الغين، وقرأ الباقون برفع الغين. فمن قرأ بالنصب، يكون مصدر غرفة، أي مرة واحدة باليد. ومن قرأ بالضم، هو ملء الكف وهو اسم الماء مثل: الخَطوة والخُطوة. قال بعض المفسرين: الغَرفة بكف واحدة والغُرفة بالكفين. وقال بعضهم: كلاهما لغتان ومعناهما واحد.

فلما خرجوا من المفازة وقد أصابهم العطش، وقفوا في النهر، {فَشَرِبُواْ مِنْهُ} بغير غرفة {إِلاَّ قَلِيلاً مّنْهُمْ}، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر: «أَنْتُمْ عَلَى عَدَدِ المُرْسَلِينَ وَعَدَدِ قَوْمِ طَالوتَ ثَلاثمائةٍ وثلاثة عشر»، فأمر من شرب بغير غرفة أن يرجعوا. ويقال: قد ظهر على شفاههم علامة، عرف بها من شرب من الذي لم يشرب، فردهم وأمسك المخلصين منهم.

{فَلَمَّا جَاوَزَهُ}، يعني جاوز النهر. {هُوَ}، يعني طالوت {والذين ءامَنُواْ مَعَهُ} ودنوا إلى عسكر جالوت، وكان معه مائة ألف فارس كلهم شاكون في السلاح. {قَالُواْ}، أي المؤمنون: {لاَ طَاقَةَ لَنَا اليوم بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ}، لما رأوا من كثرتهم. {قَالَ الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ الله}، يعني أيقنوا بالموت لما رأوا من كثرة العدو فأيقنوا بهلاك أنفسهم. ويقال: أيقنوا بالبعث بعد الموت وهو قوله: {قَالَ الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ الله}، وهم أهل العلم منهم: {كَم مّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ}، يعني كم من جند قليل، {غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً} عدتهم {بِإِذْنِ

الله} ، أي بنصر الله وأمره، إذا خلصت نيتهم، وطابت أنفسهم بالموت في طاعة الله {والله مَعَ الصابرين} بالنصرة على عدوهم أي معينهم.

{وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}، يقول: خرجوا واصطفوا لجالوت. دعوا الله تعالى، {قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} ، أي أصبب علينا صبراً، معناه ارزقنا الصبر على القتال، {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} عند القتال {وانصرنا عَلَى القوم الكافرين} .

قال وكان داود عليه السلام راعياً، وكان له سبعة أخوة مع طالوت؛ فلما أبطأ خبر إخوته على أبيهم وكان اسمه إيشا أرسل إليهم ابنه داود ينظر إليهم ما أمرهم ويأتيه بخبرهم فلما خرج، مرَّ على حجر فقال له الحجر: خذني فإني حجر إبراهيم قتل بي عدوه، فأخذه وجعله في مخلاته ثم مرَّ بآخر فقال له: خذني فإني حجر موسى الذي قتل بي كذا كذا، ثم مرَّ بثالث فقال له: خذني فأنا الذي أقتل جالوت، فأخذه وجعله في مخلاته؛ فأتاهم وهم بالصفوف وقد برز جالوت وقال: من يبارزني؟ فلم يخرج إليه أحد.

ثم قال: يا بني إسرائيل لو كنتم على حق، لخرج إلي بعضكم. فقال داود لإخوته: أما فيكم أحد يخرج إلى هذا الأقلف؟ فقالوا له: اسكت. فذهب داود إلى ناحية من الصف ليس فيها أحد من إخوته، فمر طالوت به وهو يحرض الناس، فقال له داود: وما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف؟ قال طالوت: أنكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي. قال داود: فأنا أخرج إليه. فأعطاه طالوت درعه وسيفه، فلما خرج في الدرع جرها، لأن طالوت كان أطول الناس، فرجع داود إلى طالوت وقال: إني لم أتعود القتال في الدرع، فرد الدرع إليه. فقال له طالوت: فهل جربت نفسك؟ قال: نعم وقع ذئب في غنمي فضربته بالسيف فقطعته نصفين. فقال له طالوت: إن الذئب ضعيف، فهل جربت نفسك في غير هذا؟ قال: نعم دخل أسد في غنمي فضربته، ثم أخذت بلحييه فشققتها، فقال له: هذا أشد، ثم قال له ما اسمك؟ قال: داود بن إيشا. فعرفه. فرأى أنه أجلد إخوته، فأخذ قذافته وخرج. فلما رآه جالوت قال: خرجت إليّ لتقتلني بالقذافة كما تقتل الكلاب؟ فقال له داود: وهل أنت إلا مثل الكلاب؟ قال الكلبي: وكان على رأس جالوت بيضة ثلاثمائة رطل، فقال له جالوت: إما أن ترميني وإما أن أرميك. فقال له داود: بل أنا أرميك. ثم أخذ واحداً من الأحجار الثلاثة فرماه، فوقع في صدره ونفذ من صدره فقتل خلفه خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: صارت الأحجار كلها واحداً؛ فلما رماها تفرقت في عسكره فقتلت خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: رمى واحداً بعد واحد، فقتل جالوت وخلقاً كثيراً وهزمهم الله بإذنه، فذلك قوله عز وجل: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ} .

ثم إن طالوت زوج داود ابنته وأراد أن يدفع إليه نصف ملكه، فقال له وزراؤه: إن دفعت إليه نصف ملكك، فيصير منازعاً لك في ملكك، ويفسد عليك الملك. فامتنع من ذلك وأراد قتل داود عليه السلام وكان في ذلك ما شاء الله حتى دفع إليه النصف، ثم خرج طالوت إلى بعض المغازي فقتل هناك، فتحول الملك كله إلى داود. ولم يجتمع بنو إسرائيل كلهم

على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله عز وجل: {وآتاه الله الملك}، يعني ملك اثني عشر سبطاً {والحكمة}، يعني النبوة، وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة؛ {وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء}، أي علم داود من صنع الدروع وكلام الطيور وتسبيح الجبال معه وكلام الدواب.

{وَلَوْلاَ دَفْعُ الله الناس بَعْضَهُم بِبَعْضٍ}، أي يدفع البلاء عن المؤمنين بالنبيين عليهم السلام ويدفع بالمؤمنين عن الكفار، {لَّفَسَدَتِ الارض}، أي هلك أهلها.

ويقال: ولولا دفع الله جالوت بطالوت، لهلكت بنو إسرائيل كلهم. ويقال: ولولا دفع الله البلايا بسبب المطيعين، لهلك الناس كما جاء في الأثر: لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع، لصببت عليكم العذاب صباً. وروي عن الحسن أنه قال: لولا الصالحون لهلك الطالحون. ويقال: لولا ما أمر الله المؤمنين بحرب الكفار، لفسدت الأرض بغلبة الكفار. ويقال لولا ما ينتفع بعض الناس ببعض، لأن في كل أرض بلدة يتولد فيها شيء لا يوجد ذلك في سائر البلدان، فينتفع بها أهل سائر البلدان؛ وينتفع بعضهم ببعض، فيكون في ذلك صلاح أهل الأرض.

قرأ نافع هاهنا {وَلَوْلاَ دِفَاع الله} وفي الحج: {إِنَّ الله يُدَافِعُ} وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بغير ألف في كلا الموضعين، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر: {وَلَوْلاَ دَفْعُ الله} بغير ألف، {إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الذين ءامنوا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: 38] بالألف. وتفسير القراءتين واحد وهما لغتان معروفتان.

ثم قال تعالى: {ولكن الله ذُو فَضْلٍ عَلَى العالمين}، أي ذو منّ عليهم بالدفع عنهم. {تِلْكَ آيات الله} وهو ما قصّ عليه من أخبار الأمم. {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ}، أي ننزلها بقراءة جبريل عليك {بالحق}، أي بالصدق. {وَإِنَّكَ لَمِنَ المرسلين}، يعني إنك لمن جملة المرسلين الذين ذكرناهم. وقال الزجاج تلك آيات الله، أي هذه الآيات التي أنبئت، أي العلامات التي تدل على توحيده وتثبت رسالته، إذ كان يعجز عن إتيان مثلها المخلوقون؛ وإنك من هؤلاء المرسلين، لأنك قد أتيتهم بالعلامات.

▲ تفسير الآية رقم [253]

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)}

{تِلْكَ الرسل} {الذين أنزلنا عليك خبرهم في القرآن، {فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ على بَعْض} في الدنيا. ويقال: التفضيل يكون على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون دلالة نبوته أكثر. والثاني: أن تكون أمته أكثر. والثالث: أن يكون بنفسه أفضل. ثم بيّن تفضيلهم فقال: {مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ الله}، مثل موسى عليه السلام {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ درجات}، يعني إدريس عليه السلام كما قال تعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً} [مريم: 57]. وقال الزجاج: جاء في التفسير أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم، لأنه أرسله إلى الناس كافة. وليس شيء من الآيات التي أعطاها الله الأنبياء عليهم السلام إلا والذي أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر، لأنه قد كلمته الشجرة، وأطعم من كف من التمر خلقاً كثيراً، وأمرَّ يده على شاة أم معبد فدرت لبناً كثيراً بعد الجفاف، ومنها انشقاق القمر فذلك قوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الحياة الدنيا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: 32]، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى الكتاب وَقَفَّيْنَا}، يعني العجائب والدلائل وهو: أن يحيي الموتى بإذنه، ويبرئ الأكمه والأبرص؛ {وأيدناه بِرُوحِ القدس}، يعني أعناه بجبريل حين أرادوا قتله.

{وَلَوْ شَاء الله مَا اقتتل الذين مِن بَعْدِهِم مّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينات} التي أتاهم بها موسى وعيسى عليهما السلام وقال الزجاج: يحتمل وجهين: ولو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة ويحتمل ولو شاء الله اضطرهم إلى أن يكونوا مؤمنين، كما قال تعالى: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ استطعت أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى الارض أَوْ سُلَّماً فِى السمآء فَتَأْتِيَهُمْ بِأيَةٍ وَلَوْ شَآءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهدى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين} [الأنعام: 35] ولكن اختلفوا في الدين فصاروا فريقين {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ} بالكتاب والرسل. {وَلَوْ شَاء الله مَا اقتتلوا} وجعلهم على أمر واحد. {ولكن الله يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}، أي يعصم من يشاء من الاختلاف، ويخذل من يشاء؛ فلا مرد لأمره، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

تفسير الآية رقم [254]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)}

قوله تعالى: {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رزقناكم}، أي تصدقوا. قال بعضهم: أراد به الزكاة المفروضة. وقال بعضهم: صدقة التطوع. ثم بيّن لهم أن الدنيا فانية وأنه في الآخرة لا ينفعهم شيء إلا ما قدموه. قال تعالى: {مّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ}، يقول: لا فداء فيه {وَلاَ خُلَّةٌ} يعني الصدقة وهذا كما قال في آية أخرى: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} [الزخرف: 67]. {وَلاَ شفاعة} للكافرين كما يكون في الدنيا.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو {لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شفاعة} بالنصب وكذلك في سورة إبراهيم: «لاَ بَيْعَ فِيهِ وَلاَ خِلاَلَ» وقرأ الباقون بالضم مع التنوين. ثم قال تعالى عز وجل: {والكافرون هُمُ الظالمون} أنفسهم. والظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه. وكان المشركون يقولون: الأصنام شركاؤه وهم شفعاؤنا عند الله؛ فوحد الله نفسه.

تفسير الآية رقم [255]

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)}

فقال عز وجل: {الله لاَ إله إلاَّ هُوَ الحى القيوم}؛ يقول: لا خالق ولا رازق ولا معبود إلا هو. ويقال: الإثبات إذا كان بعد النفي، فإنه يكون أبلغ في الإثبات، فلهذا قال: {الله لاَ إله إلاَّ هُوَ}؛ فبدأ بالنفي ثم استثنى الإثبات، فيكون ذلك أبلغ في الإثبات. {الحى القيوم}، يقول: الحي الذي لا يموت، ويقال: الحي الذي لا بدئ له، يعني لا ابتداء له؛ {القيوم}، يعني القائم على كل نفس بما كسبت، ويقال: القائم بتدبير أمر الخلق في إنشائهم ورزقهم ومعنى القائم: هو الدائم.

{لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}؛ روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: السنة والنوم، كلاهما واحد، ولكنه أول ما يدخل في الرأس يقال له: سنة ويكون بين النائم واليقظان، فإذا وصل إلى القلب صار نوماً. ويقال: معناه: أنه ليس بغافل عن أمور الخلق، فيكون النوم على وجه الكناية. وقال بعضهم هو على ظاهره أنه مستغن عن النوم.

وروي في بعض الأخبار أن موسى بن عمران عليه السلام حين رفع إلى السماء، سأل بعض الملائكة؛ أينام ربنا؟ وقال بعضهم: خطر ذلك بقلبه، ولم يتكلم به فأمره الله تعالى أن يأخذ زجاجتين، وأمره بأن يحفظهما، ثم ألقى عليه النوم فلم يملك نفسه حتى نام، فانكسرت الزجاجتان في يده فقال له: يا موسى لو كان لي نوم، لهلكت السموات والأرض أسرع من كسر الزجاجتين في يدك فذلك قوله تعالى: {لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}.

{لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض}. كلهم عبيده وإماؤه وهو مستغن عن الشريك، ويقال: معناه أن كل ما في السموات والأرض يدل على وحدانيته. {مَن ذَا الذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ}، يقول: من ذا الذي يجترئ أن يشفع عنده {إلاَّ بِإِذْنِهِ} دون أمره، رداً لقولهم حيث

قالوا: هم شفعاؤنا عند الله. وفي الآية دليل على إثبات الشفاعة لأنه قال: {إِلاَّ بِإِذْنِهِ} ففيه دليل على أن الشفاعة قد تكون بإذنه للأنبياء والصالحين.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}، يعني الله لا إله إلا هو الحي القيوم، هو الذي يعلم ما بين أيديهم من أمر الدنيا، يعني يعلم أن الأصنام لا يدعون الألوهية. {وَمَا خَلْفَهُمْ}، يعني يعلم أنه لا شفاعة لهم. وقال مقاتل: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}، يعني ما كان قبل خلق الملائكة {وَمَا خَلْفَهُمْ}، أي ما يكون بعد خلقهم. وقال الزجاج: يعني يعلم الغيب الذي تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم. وقال الكلبي: يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا.

تفسير الآية رقم [256]

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)}

قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِى الدين}، يعني لا تكرهوا في الدين أحداً، بعد فتح مكة وبعد إسلام العرب. {قَد تَّبَيَّنَ الرشد مِنَ الغي}، أي قد تبين الهدى من الضلالة. ويقال: قد تبين الإسلام من الكفر، فمن أسلم وإلا وضعت عليه الجزية ولا يكره على الإسلام.

{فَمَنْ يَكْفُرْ بالطاغوت}، يعني بالشيطان ويقال: الصنم. ويقال: هو كعب بن الأشرف، {وَيُؤْمِن بالله فَقَدِ استمسك بالعروة الوثقى}، يقول: بالثقة يعني بالإسلام. ويقال: فقد تمسك بلا إله إلا الله. {لاَ انفصام لَهَا}، يعني لا انقطاع لها ولا زوال لها ولا هلاك لها. ويقال: قد استمسك بالدين الذي لا انقطاع له من الجنة. {والله سَمِيعٌ} بقولهم، {عَلِيمٌ} بهم.

تفسير الآية رقم [257]

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)}

{الله وَلِيُّ الذين ءامَنُواْ}، أي حافظهم ومعينهم وناصرهم. {يُخْرِجُهُم مّنَ الظلمات إِلَى النور}، يعني من الكفر إلى الإيمان. واللفظ لفظ المستقبل والمراد به الماضي، يعني أخرجهم. ويقال: ثبتهم على الاستقامة كما أخرجهم من الظلمات. ويقال: يخرجهم من الظلمات، أي من ظلمة الدنيا ومن ظلمة القبر ومن ظلمة الصراط إلى الجنة.

{والذين كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطاغوت}، يعني اليهود أولياؤهم كعب بن الأشرف وأصحابه. ويقال: المشركون أولياؤهم الشياطين. {يُخْرِجُونَهُم مّنَ النور إِلَى الظلمات}، يعني يدعونهم إلى الكفر، كما قال في آية أخرى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بأاياتنآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلمات إِلَى النور وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله إِنَّ فِى ذلك لآيات لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم: 5]، يعني ادع قومك. {أُولَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون}، يعني أهل النار هم فيها خالدون أي دائمون.

تفسير الآية رقم [258]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذى حَاجَّ إبراهيم فِى رِبّهِ}، يقول: ألم تخبر بقصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه. {أَنْ آتاه الله الملك}، وهو النمرود بن كنعان، وهو أول من ملك الدنيا كلها. وكانوا خرجوا إلى عيد لهم، فدخل إبراهيم عليه السلام على أصنامهم فكسرها، فلما رجعوا، قال لهم: أتعبدون ما تنحتون؟ فقالوا له: من تعبد أنت؟ قال: أعبد ربي الذي يحيي ويميت. وقال بعضهم: كان النمرود يحتكر الطعام، وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام يشترون منه، وإذا دخلوا عليه سجدوا له، فدخل عليه إبراهيم ولم يسجد له، فقال له النمرود: ما لك لم تسجد؟ فقال: أنا لا أسجد إلا لربي. فقال النمرود: من ربك؟ فقال له إبراهيم: {رَبّيَ الذى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ} له النمرود: {أَلَمْ تَرَ إِلَى}، قال إبراهيم كيف تحيي وتميت؟ فجاءه برجلين فقتل أحدهما وخلى سبيل الآخر، ثم قال: قد أمت أحدهما وأحييت الآخر. {قَالَ} له {إِبْرَاهِيمَ}: إنك أحييت الحي ولم تحيي الميت؛ وإن ربي يحيي الميت.

فخشي إبراهيم أن يلبس النمرود على قومه، فيظنون أنه أحيا الميت كما وصف لهم النمرود، فجاءه بحجة أظهر من ذلك حيث قال: {فَإِنَّ الله يَأْتِى بالشمس مِنَ المشرق فَأْتِ بِهَا مِنَ المغرب} فإن قيل: لِمَ لَمْ يثبت إبراهيم على الحجة الأولى؟ وانتقل إلى حجة أخرى؛ والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود. قيل له: الانتقال على ضربين: انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام، وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام. وإبراهيم عليه السلام انتقل بعد الإلزام، لأنه قد تبين له فساد قوله، حيث قال له: إنك قد أحييت الحي ولم تحيي الميت. وجواب آخر: إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن للمناظرة، وإنما كان قصده إظهار الحجة، فترك مناظرته في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة، وأخذ بالاحتجاج بالحجة المسكتة، ولأن الكافر هو الذي ترك حدّ النظر، حيث لم يسأل عما قال له إبراهيم، ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه، حيث قال: أنا أحيي وأميت.

وقوله تعالى: {فَبُهِتَ الذى كَفَرَ}، أي انقطع وسكت متحيراً. يقال: بهت الرجل إذا تحير. {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين}، أي لا يرشدهم إلى الحجة والبيان. وروي في الخبر أن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة، حتى آتي بالشمس من المغرب، ليعلم أني أنا القادر على ذلك؛ ثم أمر النمرود بإبراهيم فألقي في النار، وهكذا عادة الجبابرة أنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة، اشتغلوا بالعقوبة؛ فأنجاه الله من النار وسنذكر قصة ذلك في موضعها إن شاء الله تعالى.

▲ تفسير الآية رقم [259]

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)}

ثم قال عز وجل: {أَوْ كالذى مَرَّ على قَرْيَةٍ}؛ قال بعضهم: معناه إحيائي ليس كإحياء النمرود، ولكن إحيائي كإحياء عزير عليه السلام أحييته بعد مائة عام. وقال بعضهم هو معطوف على ما سبق من قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين خَرَجُواْ مِن ديارهم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الموت فَقَالَ لَهُمُ الله مُوتُواْ ثُمَّ أحياهم إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَشْكُرُونَ} [البقرة: 243] و{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذى حَآجَّ إبراهيم فِى رِبِّهِ أَنْ آتاه الله الملك إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّيَ الذى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيم فَإِنَّ الله يَأْتِى بالشمس مِنَ المشرق فَأْتِ بِهَا مِنَ المغرب فَبُهِتَ الذى كَفَرَ والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} [البقرة: 258] {أَوْ كالذى مَرَّ على قَرْيَةٍ}. قال مقاتل: والذي مرَّ على قرية هو عزير بن شرخيا، وكان من علماء بني إسرائيل، فمرَّ بدير هرقل بين واسط والمدائن على حمار فمرَّ بها {وَهِىَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا}. وقال الضحاك بن مزاحم: هو عزير النبي عليه السلام مرَّ ببيت المقدس، وقد خربها بخت نصر، وقتل منهم سبعين ألفاً، وأسر منهم سبعين ألفاً، أي من بني إسرائيل فمرَّ عزير فقال: {أَوْ كالذى مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِىَ}.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن بخت نصر غزا بني إسرائيل، فسبى منهم ناساً كثيرةً، فجاء بهم وفيهم عزير بن شرخيا؛ وكان من علماء بني إسرائيل، فجاء بهم إلى بابل. فخرج ذات يوم لحاجة له إلى دير هرقل على شاطئ دجلة، فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له، فربط حماره تحت ظل شجرة، ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكناً {وَهِىَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا}، يقول: ساقطة على سقوفها، وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان ثم الحيطان على السقف، فهي خاوية على عروشها. قال بعض أهل اللغة: الخاوية، الخالية. وقال بعضهم: بقيت حيطانها لا سقوف عليها. وقال الزجاج: عروشها هي الخيام وهي بيوت الأعراب.

فتناول من الفاكهة والتين والعنب، ثم رجع إلى حماره فجلس يأكل من تلك الفاكهة، ثم عصر من العنب فشربه، ثم جعل فضل التين والعنب في سلة، وفضل العصير في الزق؛ ثم نظر إلى القرى فتعجب من كثرة ثمرها وفناء أهلها ف {قَالَ أنى يُحْيِ هذه الله بَعْدَ مَوْتِهَا} فلم يشك في البعث، ولكن أحب أن يريه الله كيف يحيي الموتى. فلما تكلم عزير بذلك، نام في ذلك الموضع.

{فَأَمَاتَهُ الله} في منامه {مِأْئَةَ عَامٍ}، وأمات حماره، {ثُمَّ بَعَثَهُ} الله تعالى في آخر النهار، ومنعه الله تعالى في حال موته عن أبصار الناس والسباع والطير.

فلما بعثه الله تعالى، سمع صوتاً {قَالَ} له: {كَمْ لَبِثْتَ}، أي كم مكثت في نومك يا عزير؟ {قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا}؛ ثم نظر إلى الشمس، وقد بقي منها شيء لم تغرب فقال: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}. {قَالَ} له: {بَل لَّبِثْتَ مِأْئَةَ عَامٍ}، يعني كنت ميتاً مائة عام، ثم أخبره ليعتبر. فقال: {فانظر إلى طَعَامِكَ}، يعني الفاكهة؛ {وَشَرَابِكَ}، يعني العصير. {لَمْ يَتَسَنَّهْ}، يعني لم يتغير، كقوله: {

قرأ حمزة وابن عامر وأبو عمرو: {كَمْ لَبِثْتَ} بإدغام الثاء والتاء. وقرأ الباقون بإظهارها. وقرأ الكسائي: {لَمْ يَتَسَنَّهْ} بغير هاء عند الوصل وأثبتت عند القطع. وقرأ حمزة: بحذف الهاء عند الوصل والقطع جميعاً. وقرأ الباقون بإثبات الهاء عند الوصل والقطع. وقرأ نافع: {أَلَمْ تَرَ} بمد الألف، وكذلك في جميع القرآن نحو هذا، إلا في قوله: {قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَآءَ الله وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغيب لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخير وَمَا مَسَّنِىَ السواء إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188] وقرأ الباقون بغير مد؛ ومعنى القراءتين في هذا كله واحد.

ثم نظر عزير عليه السلام إلى حماره وقد بلي فنودي: انظر إلى حمارك، فإذا هو عظم أبيض يلوح، وقد تفرقت أوصاله. ثم سمع صوتاً قال: أيتها العظام البالية، إني جاعل فيكن روحاً فاجتمعن، فسعى بعضها إلى بعض حتى استقر كل شيء في موضعه، ثم بسط عليه الجلد ونفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق. فخرَّ عزير ساجداً لله تعالى وقال عند ذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير؛ فذلك قوله تعالى: {وانظر إلى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءايَةً لِلنَّاسِ}، أي عبرة للناس، لأن أولاده قد صاروا شيوخاً وقد كان شاباً. {وانظر إِلَى العظام كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالزاي، وقرأ الباقون بالراء. فمن قرأ بالراء، فمعناه كيف نحييها. ونظيرها {أَمِ اتخذوا آلِهَةً مِّنَ الارض هُمْ يُنشِرُونَ} [الأنبياء: 21]، أي يبعثون الموتى. ومن قرأ بالزاي: أي كيف يضم بعضها إلى بعض. النشز: ما ارتفع من الأرض. وهذا كما جاء في الأثر: الرضاع ما أنبت اللحم، وأنشز العظم. وقال أهل اللغة: أصل النشز الحركة؛ يقال: نشز الشيء إذا تحرك، ونشزت المرأة عن زوجها والمراد ها هنا تضمنها.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ}، قرأ حمزة والكسائي: {أَعْلَمُ} بالجزم على مضي الأمر، وقرأ الباقون: {قَالَ أَعْلَمُ} على معنى الخبر عن نفسه ومعناه علمت بالمعاينة ما كنت أعلمه قبل ذلك غيباً. {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من الإحياء وغيره. وقال بعضهم: أن عزيراً لما أحياه الله تعالى قال في نفسه: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم. فلما رجع إلى منزله ولقيه أقرباؤه وحسبوا غيبته، فقالوا له: بل لبثت مائة عام وهذا قول من قال: إن هذا لم يكن عزيراً النبي عليه السلام بل رجل آخر سوى عزير النبي عليه السلام.

▲ تفسير الآية رقم [260]

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الموتى}، وذلك أن النمرود لما قال له: أنا أحيي وأميت. ووصف لهم ذلك، فسألوا إبراهيم فقالوا له: كيف يحيي ربك الموتى؟ فأراد إبراهيم أن يرى ذلك بالمعاينة، حتى يخبرهم بما يرى من المعاينة، فسأل ربه فقال: {رَبّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الموتى}.

وقال مقاتل: مرَّ إبراهيم فرأى جيفة على ساحل البحر، يأكل منها دواب البحر والطيور، وبعضها يصير مستهلكاً في الأرض، فوقع في قلبه أن الذي تفرق في البحر وفي بطون الطير، كيف يجمعها الله تعالى، فأراد أن يعاين ذلك فقال: {رَبّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الموتى}. ف {قَالَ} له ربه: {أَوَلَمْ تُؤْمِن}؟ يعني أو لم تصدق بأني أحيي الموتى؟ {قَالَ بلى} قد صدقت؛ {ولكن لّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى}، أي ليسكن قلبي. ويقال: إنما قال له: أو لم تؤمن؟ لكي يظهر إقراره، لكي لا يظن أحد بعده أنه لم يكن مقراً بذلك في ذلك الوقت، فظهر إقراره بقوله: بلى. وقال سعيد بن جبير: ليسكن قلبي أنك اتخذتني خليلاً.

{قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مّنَ الطير}، فأخذ ديكاً وحمامة وطاووساً وغراباً؛ وفي بعض الروايات أخذ طاووساً وثلاثة من الطيور مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها. {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ}، أي فقطعهن؛ وقال السدي: يعني فدقهن، وقال الأخفش: يعني اضممهن إليك. وذكر مقاتل بإسناده عن الأعمش قال: فيه تقديم وتأخير، فخذ إليك أربعة من الطيور فقطعهن واخلط بعضهن ببعض، {ثُمَّ اجعل على كُلّ جَبَلٍ مّنْهُنَّ جُزْءا}، ثم فرقهن في أربعة أجبل. {ثُمَّ ادعهن يَأْتِينَكَ سَعْيًا}. ففعل ذلك ودعاهن، فسعين على أرجلهن.

ويقال: إنه لما وضعهن على الجبال، هبت الرياح الأربعة التي تقوم يوم القيامة؛ فواحدة من قبل المشرق، والأخرى من قبل المغرب، وواحدة من قبل اليمين، والأخرى من قبل الشمال؛ فرفعت الأعضاء المتفرقة عن مواضعها وحملتها إلى المواضع الأخرى، حتى

اجتمع أعضاء كل طير في موضعها: فجعل إبراهيم ينظر ويتعجب حيث ينضم بعضها إلى بعض. فقال عند ذلك قوله: {واعلم أَنَّ الله عَزِيزٌ} في ملكه، {حَكِيمٌ} حكم بالبعث ولم أسأله لريب كان في قلبي، ولكن سألته ليسكن قلبي في الخلة. قرأ ابن كثير أرْني بجزم الراء، وقرأ الباقون بالكسر؛ وقرأ حمزة فصرهن بكسر الصاد، والباقون بالضم. فمن قرأ بالكسر يعني قطعهن، ومن قرأ بالضم يعني فضمهن إليك؛ ويقال هما لغتان ومعناهما وتفسيرهما واحد.

تفسير الآيات رقم [261- 262]

{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)}

{مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله}؛ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما حثّ الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فضة وقال: يا رسول الله، كانت لي ثمانية آلاف درهم، فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها لربي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: »بَارَكَ الله لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ» وقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، علي جهاز من لا جهاز له، فنزلت هذه الآية {مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله}؛ وفي الآية مضمر، ومعناه مثل النفقة التي تنفق في سبيل الله {كَمَثَلِ حَبَّةٍ}. وطريق آخر مثل الذين ينفقون أموالهم، كمثل زارع زرع في الأرض حبة ف {أَنبَتَتْ} الحبة {سَبْعَ سَنَابِلَ}، أي أخرجت سبع سنابل. {فِي كُلّ سُنبُلَةٍ مّاْئَةُ حَبَّةٍ}، فيكون جملتها سبعمائة. فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة.

ثم قال تعالى: {والله يضاعف لِمَن يَشَاء}، أي يزيد على سبع مائة لمن يشاء، فيكون مثل المتصدق كمثل الزارع؛ إذا كان الزارع حاذقاً في عمله، ويكون البذر جيداً، وتكون الأرض عامرة، يكون الزرع مخصباً طيباً؛ فكذلك المتصدق، إذا كان صالحاً، والمال طيباً ويوضع في موضعه، فيصير الثواب أكثر.

{والله واسع}، أي واسع الفضل لتلك الأضعاف، {عَلِيمٌ} بما ينفقون وبما نووا فيها. قرأ ابن كثير وابن عامر: والله {يضاعف} بتشديد العين وحذف الألف، وقرأ الباقون {يضاعف} بالألف؛ ومعناهما واحد. فالذي قرأ {يضاعف} من التضعيف، والذي قرأ {يضاعف} من المضاعفة.

ثم قال تعالى: {الذين يُنفقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ اللهِ}، أي يتصدقون بأموالهم؛ {ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُواْ مَنّا وَلا أَذًى}، أي لا يمنون عليهم بما تصدقوا عليهم ولا يؤذونهم ولا يعيرونهم بذلك، ومعنى الأذى والتعيير هو أن يقع بينه وبين الفقير خصومة، فيقول له: إني أعطيتك كذا وكذا. وقال بعضهم: المنَّ يشبَّه بالنفاق، والأذى يشبّه بالرياء. ثم تكلم الناس في ذلك، فقال بعضهم: إذا فعل ذلك، لا أجر له في صدقته وعليه وزرٌ فيما منَّ على الفقير به. وقال بعضهم: ذهب أجره فلا أجر له ولا وزر عليه. وقال بعضهم له أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمنِّ.

ثم قال تعالى: {لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ}، أي ثوابه في الآخرة. {وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم من العذاب. {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من أمر الدنيا. ويقال: الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان، حين اشترى بئر رومة، ثم جعلها سبيلاً على المسلمين.

نداءِ ايمان صفحه 7

▲ تفسير الآية رقم [263]

{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)}

{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} أي دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب. {وَمَغْفِرَةٌ} أي يعفو ويتجاوز عمن ظلمه خير من صدقة يعطيها، ثم يمن على من تصدق عليه. ويقال: قول معروف للفقير، يعني إذا أتاه سائل سأله، ولم يكن عنده شيء يعطيه، فيدعو له بالجنة والمغفرة. {خَيْرٌ مّن صَدَقَةٍ} يعطيها له، و{يَتْبَعُهَا أَذًى}. ويقال: وعد المعطي خير من صدقة يتبعها أذى. ويقال: وعد الكريم خير من نقد اللئيم. ويقال: دعاء الفقير إذا دعا لصاحب الصدقة، ومغفرة الله خير من الصدقة التي يتبعها أذى. ويقال: قول معروف أن يتجاوز عمن أساء إليه، ويحسن له القول خير له من صدقة يتبعها أذى ويقال: الأمر بالمعروف، والصبر على ما أصابه، والتجاوز عن الذي أضرّ به، خير من صدقة يتبعها أذى. ثم قال: {والله غَنِىٌّ حَلِيمٌ} أي غني عما عندكم من الصدقة حليم، حيث لم يعجل العقوبة على من يمن بالصدقة.

▲ تفسير الآية رقم [264]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)}

{يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صدقاتكم بالمن والاذى} فالله تعالى أمر عباده برأفته أن لا يمنوا بصدقاتهم، لكي لا يذهب أجرهم، ثم ضرب لذلك مثلاً فقال تعالى: {كالذى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء الناس وَلاَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الاخر}.

يعني المشرك إذا تصدق، فأبطل الشرك صدقته، كما أبطل المن والأذى صدقة المؤمن، ثم ضرب لهما مثلاً جميعاً لصدقة المؤمن الذي يمن وبصدقة المشرك. فقال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ}.

قال القتبي: الصفوان الحجر الذي لا ينبت عليه شيء، يعني كمثل حجر صلب عليه تراب. {فَأَصَابَهُ وَابِلٌ} يعني المطر الشديد {فَتَرَكَهُ صَلْدًا} يعني المطر ترك الصفا نقياً أجرد أملس ليس عليه شيء من تراب فكذلك نفقة صاحب الرياء، ونفقة المشرك لم يبق لهما ثواب.

ثم قال تعالى: {لاَّ يَقْدِرُونَ على شَئ مّمَّا كَسَبُواْ} والله لا يهدي القوم الكافرين. أي لا يجدون للصدقة ثواباً في الآخرة، وهذا كما قال في آية أخرى: و{مَّثَلُ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشتدت بِهِ الريح فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ على شَئ ذلك هُوَ الضلال البعيد} [إبراهيم: 18]. {والله لاَ يَهْدِي القوم الكافرين} يعني لا يرشدهم إلى الإسلام والإخلاص، ولا يوفقهم الله بل يخذلهم مجازاة لكفرهم، ثم ضرب مثلاً لنفقة المؤمن الذي يريد بنفقته وجه الله تعالى، ولا يمن بها فقال عز وجل:

▲ تفسير الآية رقم [265]

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)}

{وَمَثَلُ الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابتغآء مَرْضَاتِ الله} يعني يتصدقون طلب رضاء الله تعالى بصدقاتهم {وَتَثْبِيتًا مّنْ أَنفُسِهِمْ} يعني وتصديقاً من قلوبهم، يعني يصدقون الله تعالى بالثواب في الآخرة، والخلف في الدنيا. ويقال: وتثبيتاً من أنفسهم، يعني وتحقيقاً من قلوبهم يقصدون بها وجه الله. {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} يعني بستاناً في مكان مستو مرتفع. {أَصَابَهَا وَابِلٌ} يعني البستان أصابه المطر الشديد {فَأَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ}.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: أكلها بجزم الكاف، ونصب اللام. وقرأ الباقون بالضم أكلها، وتفسير القراءتين واحد، وقرأ عاصم وأبو عمرو بربوة بنصب الراء، وقرأ الباقون بالضم، وقرأ ابن سيرين بكسر الراء، وفيه ثلاث لغات: رَبْوَة وَرِبْوَةَ وَرَبْوة. وتفسير القراءات واحد.

وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه كمثل جنة بربوة أصابها وابل {فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ} فأتت أكلها ضعفين، يعني البستان إذا أصابه المطر أو الطل، والطل البطيء من المطر، وهو مثل الندى، فأتت أكلها ضعفين، يعني اخضرت أوراق البستان، وأخرجت ثمرها ضعفين، فكذلك الذي يتصدق به لوجه الله تعالى يكون له الثواب ضعفين، يعني للواحد عشرة إلى سبعمائة إلى ما لا نهاية له {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ثم ضرب مثلاً آخر، لعمل الكافر والمنافق فقال تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [266]

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)}

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} يقول: مثل الكافر كمثل شيخ كبير، له بستان، وله أولاد صغار ضعفاء عجزة، لا حيلة لهم، ومعيشته ومعيشة ذريته من بستانه {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار لَهُ فِيهَا مِن كُلّ الثمرات وَأَصَابَهُ الكبر وَلَهُ ذُرّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فاحترقت} يعني ريحاً بها نار، أي فأتته السموم الحارة، فأحرقت بستانه، ولم يكن له قوة أن يغرس مثل بستانه، ولم يكن عند ذريته خير يعينونه، فيبقى متحيراً، فكذلك الكافر إذا لقي ربه أحوج ما كان، فلا يجد خيراً، ولا يدفع عن نفسه، ولا يكون له معين، ولا يعود إلى الدنيا، كما لا يعود الشيخ الكبير شاباً، وكان أحوج إليه قوله تعالى {كذلك يُبَيّنُ الله لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} في أمثاله فتعتبرون.

▲ تفسير الآية رقم [726]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267)}

{تَتَفَكَّرُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طيبات} يقول: من حلالات {مَّا كَسَبْتُمْ} في الآية أمر بالصدقة من الحلال، وفيها دليل: أن من تصدق من الحرام لا يقبل، لأن الواجب عليه أن يردها إلى موضعها.

ويقال: أنفقوا من طيبات، يعني من مال اللذيذ، والشهي عندكم مما كسبتم. يقول: مما جمعتم من الذهب والفضة قوله تعالى: {وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مّنَ الارض} أي من الثمار والحبوب. {وَلاَ تَيَمَّمُواْ الخبيث مِنْهُ تُنفِقُونَ} أي لا تعمدوا إلى رديء المال فتصدقوا منه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حثّ الناس على الصدقة، فجعل الناس يأتون بالصدقة، ويجمعون في المسجد، فجاء رجل بعذق من تمر عامته حَشَفٌ فنزلت هذه

الآية: {وَلاَ تَيَمَّمُواْ الخبيث}، يعني لا تعمدوا إلى الخشف فتتصدقوا منه {وَلَسْتُم بِأَخِذِيهِ} بل الطيب {إِلا أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ} يعني إلا أن يهضم أحدكم، فيأخذ دون حقه مخافة أن يذهب جميع حقه، فيأخذ ذلك للضرورة مخافة موت حقه، والله تعالى غني عن ذلك، فلا يقبل إلا الطيب، ويقال: إلا أن تغمضوا، يعني إلا أن يضطر أحدكم، فمسته الحاجة فرضي بذلك. قوله تعالى: {واعلموا أَنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ} أي غني عما عندكم من الصدقات، حميد في أفعاله.

ويقال: حميد بمعنى محمود ويقال: حميد من أهل أن يحمد ويقال: حميد يقبل القليل، ويعطي الجزيل.

تفسير الآية رقم [268]

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)}

{الشيطان يَعِدُكُمُ الفقر} يقول الشيطان يأمركم بشيئين، والله تعالى يأمركم بشيئين: أما الشيطان، فإنه يأمركم بالفقر، ويقول: لا تنفقوا ولا تتصدقوا، فإنكم تحتاجون إلى ذلك. {وَيَأْمُرُكُم بالفحشاء} قال الكلبي: يعني يمنع الزكاة. ويقال: جميع الفواحش مثل الزنى وقول الزور وغير ذلك {والله يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مّنْهُ} لذنوبكم يعني المغفرة من الله. {وَفَضْلاً} يعني خلفاً في الدنيا {والله واسع} الفضل {عَلِيمٌ} بما تنفقون. ويقال: عليم بمواضع الصدقات.

تفسير الآية رقم [269]

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)}

{يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء} قال ابن عباس: يعني النبوة. وقال الكلبي: يعني الفقه. وقال مقاتل: يعني علم القرآن. ويقال: الإصابة في القول. ويقال: المعرفة بمكائد الشيطان ووساوسه. وقال مجاهد: الإصابة في القوم والفهم والفقه. {وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} يقول من يعط علم القرآن، فقد أعطي خيراً كثيراً. {وَمَا يَذَّكَّرُ} أي ما يتفكر. ويقال: ما يتعظ بما في القرآن {إِلاَّ أُوْلُواْ الالباب} يعني ذوو العقول. ويقال: إن من أعطي الحكمة والقرآن، فقد أعطي أفضل مما أعطي من جميع كتب الأولين من الصحف وغيرها، لأنه تعالى قال لأولئك وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، وسمي لهذا خيراً كثيراً، لأن هذا جوامع الكلم.

وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن، ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لأجل دنياهم، لأن ما أعطي أفضل مما أعطوا أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً. وقال: قل متاع الدنيا قليل، وسمى العلم خيراً كثيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [270- 271]

{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)}

لقوله {وَمَا أَنفَقْتُم مّن نَّفَقَةٍ} يقول ما تصدقتم من صدقة. {أَوْ نَذَرْتُم مّن نَّذْرٍ} فوفيتم بنذوركم {فَإِنَّ الله يَعْلَمُهُ} أي يحصيه ويقبله منكم، وهذا وعد من الله تعالى، فكأنه يقول: إنه لا ينسى بل يعطي ثوابكم. {وَمَا للظالمين مِنْ أَنصَارٍ} يعني ليس للمشركين من مانع في الآخرة يمنعهم من العذاب {إِن تُبْدُواْ الصدقات} وذلك أن الله تعالى لما حثهم على الصدقة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فنزل قوله: {إِن تُبْدُواْ الصدقات}، يعني إن تعلنوا الصدقات المفروضة. {فَنِعِمَّا هِيَ} قرأ حمزة والكسائي وابن عامر، فنعما هي بنصب النون وكسر العين، وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع في رواية ورش، وابن كثير بكسر النون وكسر العين، وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، فنعما بكسر النون وجزم العين، وكل ذلك جائز وفيه ثلاث لغات نِعِم نَعِم ونِعْم، وما زيدت فيها للصلة.

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص، ويكفر بالياء وضم الراء. وقرأ حمزة ونافع والكسائي ونكفر بالنون وجزم الراء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ونكفر بالنون وضم الراء، فمن قرأ بالجزم، فهو جزاء الصدقة، ومن قرأ بالضم فهي على المستقبل، يعني إن تعلنوا الصدقات فحسن {وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفقراء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} من صدقة العلانية.

فأما صدقة التطوع فقد اتفقوا أن الصدقة في السر أفضل، وأما الزكاة المفروضة قال بعضهم: السر أفضل، لأنه أبعد من الرياء وقال بعضهم: العلانية أفضل، لأن الزكاة من شعائر الدين، فكل ما كان أظهر، كان أفضل كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين، ولأن في ذلك زيادة رغبة لغيره في أداء الزكاة ثم قال تعالى: {وَيُكَفّرُ عَنكُم مّن سَيّئَاتِكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} يعني فيما تصدقتم في السر والعلانية يتقبل منكم، ويكون في ذلك كفارة سيئاتكم، ويعطي ثوابكم في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [272- 274]

{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)}

{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمرة القضاء، وخرجت معه أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها قتيلة، وجدها أبو قحافة، فسألا منها حاجة فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنكما لستما على ديني، فاستأمرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَاء}، أي يوفق من يشاء لدينه. فإن قيل قد قال في آية أخرى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جعلناه نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لتهدى إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] وقال هاهنا: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَاء} أي يوفق.

قيل ما يشاء إنما أراد به هناك الدعوة. وهاهنا أراد به الهدى خاصة، وهو التوفيق إلى الهدى.

ثم قال تعالى: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلاِنفُسِكُمْ} يعني ما تنفقوا من مال، فثوابه لأنفسكم إذا تصدقتم على الكفار، أو على المسلمين.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه رأى رجلاً من أهل الذمة، يسأل على أبواب المسلمين فقال: ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً، ثم ضيعناك بعدما كبرت وضعفت، فأمر بأن يجري عليه قوته من بيت المال.

ثم قال تعالى: {وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتغاء وَجْهِ الله} يعني لا تنفقوا إلا ابتغاء ثواب الله {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} أي يوف ثوابه إليكم. {وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} أي لا تنقصون من ثواب أعمالكم وصدقاتكم، فيكون ما الأولى بمعنى الشرط، وما الثانية للجحود وما الثالثة للخبر.

ثم بيّن موضع الصدقة فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الذين أُحصِرُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني النفقة والصدقة للفقراء الذين حبسوا أنفسهم في طاعة الله، وهم أصحاب الصفة كانوا نحواً من أربعمائة رجل، جعلوا أنفسهم للطاعة، وتركوا الكسب والتجارة. قوله: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى الارض} أي لا يستطيعون الخروج إلى السفر في التجارة. {يَحْسَبُهُمُ الجاهل} قرأ حمزة وعاصم وابن عامر: يحسبهم بنصب السين في جميع القرآن، وقرأ الباقون:

بالكسر وتفسير القراءتين واحد، يعني يظن الجاهل بأمرهم وشأنهم أنهم {أَغْنِيَاء مِنَ التعفف} لأنهم يظهرون أنفسهم للناس باللباس وغيره، كأنهم أغنياء ويتعففون عن المسألة. قوله {تَعْرِفُهُم بسيماهم} أي بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار {لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى} يعني إلحاحاً قال ابن عباس رضي الله عنه: لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح، ويقال: أصله من اللحاف، لأن السائل إذا كان ملحاً، فكأنه يلصق بالمسؤول فيصير كاللحاف يلتصق، وجعل ذلك كناية عنه.

ثم قال تعالى: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} يعني عليم بما أنفقتم ويقال هذا على معنى التحريض، فكأنه يقول عليكم بالفقراء الذين أحصروا في سبيل الله. وقال بعضهم: هذا على معنى التعجب، فكأنه يقول عجباً للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ويقال: إنه رد إلى أول الآية {وَمَا أَنفَقْتُم مّن نَّفَقَةٍ} {لِلْفُقَرَاء الذين أُحصِرُواْ} ثم قال تعالى: {الذين يُنفِقُونَ أموالهم باليل والنهار} قال مقاتل والكلبي: نزلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب، كانت له أربعة دراهم لم يملك غيرها، فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم في السر، وبدرهم في العلانية، فنزلت هذه الآية {الذين يُنفِقُونَ أموالهم باليل والنهار}. {سِرّا وَعَلاَنِيَةً} يعني خفية وظاهراً.

ويقال: هذا حثّ لجميع الناس على الصدقة يتصدقون في الأحوال كلها وفي الأوقات كلها {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

تفسير الآيات رقم [275- 281]

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)}

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} يعني يأكلون الربا استحلالاً {لاَ يَقُومُونَ} يوم القيامة من قبورهم {إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذى يَتَخَبَّطُهُ الشيطان} أي يتخبطه الشيطان {مِنَ المس} أي من الجنون. ويقال: إنهم يبعثون يوم القيامة، وقد انتفخت بطونهم كالحباب، وكلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم، فيكون ذلك علامة آكل الربا ويقال يكون بمنزلة

المجنون {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} {الشيطان مِنَ المس ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا البيع مِثْلُ الربا} معناه استحلوا الرِّبا، وكان الرجل إذا حل أجل ماله طالبه فيقول له المطلوب: زدني في الأجل، وأزيدك في مالك فيفعلان ذلك.

فإذا قيل لهما: إن هذا رباً قالا: الزيادة في أول البيع، وعند حلول الأجل سواء. ويقال: إنهم استحلوا الربا وقالوا: الربا والبيع في الحل سواء، فالله تعالى أبطل قولهم فقال تعالى: {الذين يَأْكُلُونَ الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ} ولم يقل جاءته، لأن التأنيث ليس بحقيقي، ويجوز أن يذكر ويؤنث، لأنه انصرف إلى المعنى، يعني فمن جاءه نهي {مِّن رَّبِّهِ} في القرآن في بيان تحريم الربا {فانتهى} عن أكل الربا {فَلَهُ مَا سَلَفَ} يعني ليس عليه إثم فيما مضى قبل النهي، لأن الحجة لم تقم عليهم، ولم يعلموا بحرمته، وأما اليوم فمن تاب عن الربا، فلا بدَّ له من أن يرد الفضل، ولا يكون له ما سلف، لأن حرمة الربا ظاهرة بين المسلمين، لأن كتاب الله تعالى فيهم.

ثم قال عز وجل: {وَأَمْرُهُ إِلَى الله} في المستأنف إن شاء عصمه، وإن شاء لم يعصمه {وَمَنْ عَادَ} إلى استحلال الرِّبا {فأولئك أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} قال ابن مسعود آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ أَكَلَ الرِّبا، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلِ الرِّبا أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ» وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الرِّبا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَاباً، أَدْنَاها كَإِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ»، يعني كالزاني بأمه.

ثم قال تعالى: {يَمْحَقُ الله الربا} أي يبطله، ويذهب ببركته {وَيُرْبِى الصدقات} يقول: يقبلها ويضاعفها. ويقال: إن مال آكل الربا لا يخلو من أحد أوجه ثلاثة، إما أن يذهب عنه أم عن ولده، أو ينفقه فيما لا يصلح {والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ} يعني جاحد بتحريم الرِّبا {أَثِيمٍ} يعني عاص بأكله {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {والذين يُمَسّكُونَ} يعني الصلوات الخمس {وَءاتُواْ الزكواة} يعني أعطوا الزَّكاة المفروضة {لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} وقد ذكرناه {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا الله} أي أطيعوا الله ولا تعصوه فيما نهاكم من أمر الرِّبا {وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} أي مصدقين بتحريمه.

وقال أهل اللغة: إن الحقيقة على ثلاثة أوجه: إن بمعنى ما، كقوله: {إِنِ الكافرون} {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة فَإِذَا هُمْ خامدون} [يس: 29]. وإن بمعنى لقد، كقوله {وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبّنَا لَمَفْعُولاً} [الإسراء: 108]. {وتالله أن كُنَّا وتالله إن كِدتَّ لَتُرْدِينِ} [الصافات: 56]، {فكفى بالله شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لغافلين} [يونس: 29]، وإن بمعنى إذ كقوله: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، {وَلاَ تَهِنُوا

وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَّعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، {ياأيها الذين ءَامَنُواْ اتقوا الله وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 278] نزلت هذه الآية في نفر من بني ثقيف، وفي بني المغيرة من قريش، وكانت ثقيف يربون لبني المغيرة في الجاهلية، وكانوا أربعة أخوة منهم مسعود وعبد ياليل وأخواهما يربون لبني المغيرة، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة، وضع الرِّبا كله، وكان أهل الطائف قد صالحوا على أن لهم رباهم على الناس يأخذونه، وما كان عليهم من رباً للناس، فهو موضوع عنهم لا يؤخذ منهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لهم كتاباً، وكتب في أسفله إنَّ لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، فلما حلّ الأجل طلب ثقيف رباهم، فاختصموا إلى أمير مكة، وهو عتاب بن أسيد، فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية {عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اتقوا الله وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني مصدقين بتحريم الرِّبا. ثم خوفهم فقال تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ} أي لم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مّنَ الله وَرَسُولِهِ}.

قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر فآذِنوا بمد الألف وكسر الذال، وقرأ أبو عمرو وورش عن نافع، فأْذَنوا بترك الهمزة ونصب الذال، وقرأ الباقون بجزم الألف ونصب الذال، فمن قرأ {فَأْذَنُواْ} بالجزم معناه: فاعلموا بِحَرْبٍ مِّنَ الله، يعني بإهلاك من الله. ويقال معناه: فاعلموا بأنكم كفار بالله وَرَسُولِهِ ومن قرأ فآذنوا بالمد يقول: اعلموا بعضكم بعضاً بحرب، أي بإهلاك من الله تعالى ورسوله. فقالوا: ما لنا بحرب من الله ورسوله طاقة فما توبتنا؟!

فقال تعالى: {فَإِن تُبْتُمْ * فَلَكُمْ رُءوسُ أموالكم} التي أسلفتم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ رِباً كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رباً وُضِعَ رِبَا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكُلُّ دَمٍ كانَ في الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ «

ثم قال: {لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} يعني الطالب لا يظلم بطلب الزيادة، ويرضى برأس المال، ولا يظلم المطلوب، فينتقص عن رأس المال، وذلك أنهم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة، فشكوا العسرة يعني بني المغيرة وقالوا: ليس لنا شيء، وطلبوا الأجل إلى وقت إدراك ثمارهم، فنزل قوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} يعني إن كان المطلوب ذو شدة {فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ} يقول: أجله أن يتيسر عليه بإدراك ثماره {وَأَن تَصَدَّقُواْ} يقول: لو تصدقتم ولا تأخذونه فهو {خَيْرٌ لَّكُمْ} ويقال: لئن تصدقتم بالتأخير فهو خير لكم {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أن الصدقة خير لكم.

قرأ نافع إلى ميسرة بضم السين. وقرأ الباقون والنصب، وهما لغتان ومعناهما واحد. وقرأ عطاء فناظرة بالألف. وقرأ العامة بغير ألف، ومعناها واحد. وقرأ عاصم وأن

تصدقوا بتخفيف الصاد. وقرأ الباقون بالتشديد، لأن التاء أدغم في الصاد، وأصله تتصدقوا. ثم قال تعالى: {واتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ} يقول اجتنبوا عذاب يوم ترجعون {فِيهِ إِلَى الله} يعني في يوم القيامة {ثُمَّ توفى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} من خير أو شر {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} يقول: وهم لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال آخر آية نزلت من القرآن {واتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله} قرأ أبو عمرو ترجعون بنصب التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بالضم ونصب الجيم قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [282- 283]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)}

{يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ} روي عن ابن عباس أنه قال: الآية نزلت في السلم. ويقال كل دين إلى أجل سلماً كان أو غيره. {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} يعني إلى أجل معلوم.

وفي الآية دليل أن المداينة لا تجوز إلا بأجل معلوم {فاكتبوه} يعني الدين والأجل. ويقال: أمر بالكتابة، ولكن المراد به الكتابة والإشهاد، لأن الكتابة بغير شهود لا تكون حجة. ويقال: أمر بالكتابة لكي لا ينسى. ويقال: من أدان ديناً، ولم يكتب، فإذا نسي ودعى الله تعالى بأن يظهره يقول الله تعالى: أمرتك بالكتابة فعصيت أمري، وإذا دعى بالنجاة من الزوجة يقول الله تعالى جعلت الطلاق بيدك إن شئت طلقها، وإن شئت فأمسكها.

ثم قال تعالى: {وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ بالعدل} يعني يكتب الكاتب عن البائع والمشتري يعدل بينهما في كتابته، ولا يزاد على المطلوب على حقه، ولا ينقص من حق الطالب.

ويقال: إن هذا أمر للكاتب بالكتابة، وكانت المكاتبة واجبة في ذلك الوقت على الكاتب، لأن الكتبة كانوا قليلاً ثم نسخ بقوله: {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فاكتبوه وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ بالعدل وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الذى عَلَيْهِ الحق وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الذى عَلَيْهِ الحق سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعدل واستشهدوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشهدآء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الاخرى وَلاَ يَأْبَ الشهدآء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تسأموا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلى أَجَلِهِ ذلكم أَقْسَطُ عِندَ الله وَأَقْوَمُ للشهادة وأدنى أَلاَّ ترتابوا إِلاَ أَن تَكُونَ تجارة حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وأشهدوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ واتقوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 282] وقال بعضهم: الكتابة لم تكن واجبة، ولكن الأمر على معنى الاستحباب ثم قال: {وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ} يقول ولا يمتنع الكاتب عن الكتابة أن يكتب {كَمَا عَلَّمَهُ الله} يعني يكتب شكراً لما أنعم الله عليه حيث علمه الكتابة، واحتاج غيره إليه، فكما أكرمه الله تعالى بالكتابة وفضله بذلك، فيعرف شكره، ولا يمتنع عن الكتابة لمن طلب منه. ثم قال: {وَلْيُمْلِلِ الذى عَلَيْهِ الحق} يعني المطلوب هو الذي يملي على الكاتب حتى يكتب الكتابة، لأن قول المطلوب حجة على نفسه، فإذا أملى على الكاتب يكون ذلك إقراراً منه بوجوب الحق عليه.

ثم خوف المطلوب لكيلا ينقص شيئاً من حق الطالب.

فقال تعالى: {وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ} يعني المطلوب {وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً} يقول: لا ينقص من الحق شيئاً، يعني المطلوب. ويقال: يعني الكاتب، ولا يبخس في الكتابة شيئاً {فَإن كَانَ الذى عَلَيْهِ الحق} يعني إذا كان المطلوب {سَفِيهًا} أي جاهلاً بالإملاء، ويقال أحمق {أَوْ ضَعِيفًا} يعني صبيّاً عاجزاً عن الإملاء. ويقال: أخرس أو مجنون {أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ} يعني لا يحسن {أَن يُمِلَّ هُوَ} على الكاتب فيرجع الإملاء على الطالب {فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ} يعني: ولي الحق أي الطالب هكذا قال في رواية الكلبي. وقال في رواية الضحاك. يعني ولي المدين يعني إذا كان للصبي وصي أو ولي يرجع الإملاء عليه فليملل وليه {بالعدل} أي بالحق.

ثم أمر بالإشهاد فقال تعالى: {واستشهدوا} على حقكم {شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ} يعني من أهل دينكم من الأحرار البالغين {فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ} فليكن رجلاً {وامرأتان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشهداء} يعني من العدول {أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا} يعني إذا نسيت إحدى المرأتين. {فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الاخرى} يعني: إذا حفظت إحداهما الشهادة فتذكر صاحبتها ويقال: إذا امتنعت إحداهما عن أداء الشهادة، فتعظها الأخرى حتى تشهد. قرأ حمزة إن تضل بكسر الألف ونصب التاء وجزم اللام، وإنما كسر الألف على معنى الابتداء والشرط، وجزم اللام لحرف الشرط، فَتُذْكِرُ بضم الراء. وقرأ الباقون بنصب الألف،

ومعناه لأن تضل. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، فتذكر بالتخفيف. وقرأ الباقون بنصب الذال وتشديد الكاف، وهما لغتان أذكرته وذكرته.

ثم قال: {وَلاَ يَأْبَ الشهداء إِذَا مَا دُعُواْ} يعني: الشاهد إذا دعي إلى الحاكم ليشهد، فلا يمتنع عن أداء الشهادة والإباء عن الشهادة حرام، لأن الله تعالى نهى عن الإباء عن الشهادة. ويقال: إباء الشهادة على ثلاثة أوجه: أحدهما أن يمتنع عن أدائه. والثاني أن يشهد ويقصر في أدائه، لكيلا تقبل شهادته. والثالث بأن لا يصون نفسه عن المعاصي، فيصير منهما لا تقبل شهادته، فكأنه وهو الذي أبطل حق المدعي، وخانه حيث عصى الله تعالى حتى ردت شهادته بمعصيته. ثم قال تعالى {وَلاَ يَأْبَ} يقول ولا تملوا {أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا} يعني قليل الحق أو كثيره {إِلَى أَجَلِهِ} لأن الكتابة أحصى للأجل وأحفظ للمال {ذلكم أَقْسَطُ عِندَ الله وَأَقْوَمُ} أي أعدل {وَأَقْوَمُ} وأصوب {للشهادة وَأَدْنَى} يقول: أحرى وأجدر {أَلاَّ تَرْتَابُواْ} يعني: لا تشكوا في شيء من حقوقكم.

ثم استثنى الله تعالى {إلا أَن تَكُونَ تجارة حَاضِرَةً} قرأ عاصم تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقون بالرفع، فمن قرأ بالنصب جعله خبر تكون، والاسم مضمر معناه إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة.

ومن قرأ بالرفع جعله اسمه يعني إذا كان البيع بالنقد {تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ} يعني تداولونها أيديكم، ولم يكن المال مؤجلاً {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} أي حرج {أَلاَّ تَكْتُبُوهَا} يعني التجارة. ثم قال {وَأَشْهِدُواْ} على حقكم {إِذَا تَبَايَعْتُمْ} على كل حال، نقداً كان أو مؤجلاً، وهذا أمر استحباب، ولو ترك الإشهاد جاز البيع. ثم قال تعالى {وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ} يقال لا يعمد أحدكم إلى الكاتب والشاهد، فيدعوهما إلى الكتابة والشهادة، ولهما حاجة مهمة، فيمنعهما عن حاجتهما، وليتركهما حتى يفرغا من حاجتهما، أو يطلب غيرهما {وَإِن تَفْعَلُواْ} يقول: إن تضاروا الكاتب والشاهد {فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ} يقول معصية منكم وترك الأدب قوله: {واتقوا الله} في الضرر ويقال: واتقوا الله ولا تعصوه فيما أمركم من أمر الكتابة والإشهاد {وَيُعَلّمُكُمُ الله} في أمر الكتابة، ويقال: ويؤدبكم الله {والله بِكُلّ شَيْء} من أعمالكم {عَلِيمٌ}.

{وَإِن كُنتُمْ على سَفَرٍ} أي كنتم مسافرين {وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا} يعني لم تجدوا من يكتب الكتاب وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ، ولم تجدوا كاتباً، يعني الكاتب والصحيفة {فرهان مَّقْبُوضَةٌ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن، والباقون فرهان، فمن قرأ فرهان، فهو جمع الرهن، ومن قرأ فرهن فهو جمع الرهان، وهو جمع الجمع. ويقال: كلاهما واحد، وهو جمع الرهن، يعني إذا كنتم في السفر، ولم تجدوا من يكتب، ولم تجدوا الصحيفة والدواة، فاقبضوا الرهن. وفي الآية دليل أن الرهن لا يصح إلا بالقبض لأنه جعل الرهن بالقبض.

ثم قال تعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا} يعني إذا كان الذي عليه الحق أميناً عند الطلب، ولم يطلب منه الرهن، ورضي بدينه بغير رهن قوله: {فَلْيُؤَدّ الذى اؤتمن أمانته} يعني أن المطلوب يقضي دينه حيث ائتمنه الطالب، ولم يرتهن منه {وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ} ولا يمنع حقه، ثم رجع إلى الشهود فقال: {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشهادة} عند الحاكم يقول: من كانت عنده شهادة، فليؤدها على وجهها ولا يكتمها {وَمَن يَكْتُمْهَا} يعني الشهادة {وَإِن كُنتُمْ على} يعني فاجر قلبه. قوله: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} من كتمان الشهادة وإقامتها، فهذا وعيد للشاهد على كتمان شهادته لكيلا يكتمها.

قرأ حمزة وعاصم فليؤد الذي أوتمن، بضم الألف، والباقون يقرؤون بسكون الألف وكلاهما واحد.

تفسير الآية رقم [284]

{لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)}

{لِّلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق كلهم عبيده وإماؤه، وهو خالقهم ورازقهم، وحكمه نافذ فيهم، معناه لا تعبدوا أحداً سواه، لأنه هو الذي خلق المسيح والملائكة والأصنام، ويقال: لله ما في السموات وما في الأرض، يعني في كل شيء دلالة ربوبيته ووحدانيته، ثم قال: {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ} يعني إن تظهروا ما في قلوبكم أو تضمروه {يُحَاسِبْكُم بِهِ الله} أي يجازيكم به الله. وقال بعضهم: يعني في كتمان الشهادة أن تعلنوا الشهادة أو تخفوها يحاسبكم به الله، أي يجازيكم به الله.

وقال الكلبي: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من المعصية أو تسروها، ولا تظهروها يجازيكم. قال: لما نزلت هذه الآية شقّ على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله إنا لنحدث أنفسنا بالأمر المعصية، ثم لا نعملها، أو نعملها فهو سواء، فشق ذلك على المؤمنين مشقة شديدة، فلما علم الله مشقة ذلك على المؤمنين، أنزل على نبيه ما هو أهون عليه منه فقال: {لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ واعف عَنَّا واغفر لَنَا وارحمنآ أَنتَ مولانا فانصرنا عَلَى القوم الكافرين} [البقرة: 286].

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الدبيلي، قال حدثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »

قال سفيان: بلغني أن الأنبياء كانوا يأتون قومهم بهذه الآية {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله} فيقولون: لا نطيق هذا، ولا نحتمله، فأعقبهم الله المؤاخذة، فلما عرض على هذه الأمة قبلوا، فأعقبهم الله تعالى أن وضعها عنهم، فأنزل الله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ واعف عَنَّا واغفر لَنَا وارحمنآ أَنتَ مولانا فانصرنا عَلَى القوم الكافرين} [البقرة: 286] الآية.

ثم قال عز وجل: {فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء} أي لمن تاب عن الذنوب {وَيُعَذّبُ مَن يَشَاء} أي من أقام على ذلك، وأصر عليه. ويقال: فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم، لمن انتزع عنه، ويعذب من يشاء بالذنب الصغير إذا أصر عليه. ويقال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. قرأ عاصم وابن عامر، فيغفر بضم الراء على معنى الابتداء وقرأ الباقون بالجزم على جواب الشرط، وكذلك في قوله: {وَيُعَذّبُ مَن يَشَاء} ثم قال: {والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ}.

تفسير الآيات رقم [285- 286]

{آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)}

{الرسول بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن} روي عن الحسن وعن مجاهد: أن هذه الآية نزلت في قصة المعراج، وهكذا روي في بعض الروايات عن عبد الله بن عباس.

وقال بعضهم جميع القرآن نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم إلا هذه الآية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سمعها ليلة المعراج. وقال بعضهم: لم يكن ذلك في قصة المعراج، لأن ليلة المعراج كانت بمكة، وهذه السورة كلها مدنية، فأما من قال: إنها كانت في ليلة المعراج. قال: لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ فوق السموات في مكان مرتفع، ومعه جبريل حتى جاوز سدرة المنتهى. فقال له جبريل: إني لم أجاوز هذا الموضع، ولم يؤمر أحد بالمجاوزة عن هذا الموضع غيرك، فجاوز النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الموضع الذي شاء الله، فأشار إليه جبريل بأن يسلم على ربه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ " فقال الله تعالى: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لأمته حظ في

السلام فقال: «السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ». فقال جبريل: وأهل السموات كلهم، أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قال الله تعالى على معنى الشكر آمن الرسول، أي: صدق النبي صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشارك أمته في الفضيلة فقال: {والمؤمنون كُلٌّ ءامَنَ بالله وَمَلَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رُّسُلِهِ} يعني: يقولون آمنا بجميع الرسل، ولا نكفر بواحد منهم، ولا نفرق بينهم، كما فرقت اليهود والنصارى.

فقال له ربه عز وجل: كيف قبولهم للآي التي أنزلتها؟ وهي قوله: {لِّلَّهِ مَا فِي السماوات وَمَا فِى الارض وَإِن تُبْدُواْ مَا في أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذّبُ مَن يَشَآءُ والله على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284]، فقال: رسول الله: {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا} أي أطعنا مغفرتك يا ربنا {وَإِلَيْكَ المصير} أي: المرجع قال الله تعالى عند ذلك: {لاَ يُكَلّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} أي طاقتها.

ويقال: إلا دون طاقتها ويقال لا يكلف الصلاة قائماً لمن لا يقدر عليها {لَهَا مَا كَسَبَتْ} من الخير {وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت} من الشر فقال له جبريل عند ذلك: سل تعط فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا " يعني: إن جهلنا {أَوْ أَخْطَأْنَا} يعني: إن تعمدنا، ويقال إن عملنا بالنسيان، أو أخطأنا يعني عملنا بالخطأ، فقال له جبريل: قد أعطيت ذلك قد رفع عن أمتك الخطأ والنسيان شيئاً آخر، فقال عند ذلك: {رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا} يعني ثقلاً {كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذين مِن قَبْلِنَا} وهو أنه حرم عليهم الطيبات بظلمهم، وكانوا إذا أذنبوا بالليل، وجدوه مكتوباً على بابهم، وكانت الصلوات عليهم خمسين، فخففت عن هذه الأمة، وحطّ عنهم بعدما فرض عليهم إلى خمس صلوات ثم قال: {رَبَّنَا وَلاَ تُحَمّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} يقول: لا تكلفنا من العمل ما لا نطيق، فتعذبنا.

. ويقال: ما يشق ذلك علينا، لأنه لو أمر بخمسين صلاة، لكانوا يطيقون ذلك، ولكنه يشقّ عليهم، ولا يطيقون الإدامة على ذلك {واعف عَنَّا} من ذلك كله {واغفر لَنَا وارحمنا} أي: تجاوز عنا ويقال: واعف عنا من المسخ، واغفر لنا من الخسف، وارحمنا من القذف، لأن الأمم الماضية بعضهم أصابهم المسخ، وبعضهم أصابهم الخسف، وبعضهم القذف ثم قال: {أَنتَ مولانا} أي: أنت ولينا وحافظنا {فانصرنا عَلَى القوم الكافرين} فاستجيب دعاؤه.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: »نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ« ويقال: إن الغزاة إذا خرجوا من بلادهم بالنية الخالصة، وضربوا الطبل، وقع الرعب والهيبة في قلوب الكفار مسيرة شهر، علموا بخروجهم أو لم يعلموا، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع، أوحى الله تعالى إليه هذه الآيات، ليعلم أمته بذلك. ولهذه الآية تفسير آخر قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة في هذه السورة، وبيّن أحكام الحج، وحكم الحيض، والطلاق والإيلاء، وأقاصيص الأنبياء، وبيّن حكم الربا والدين، ثم ذكر

تعظيمه بقوله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِى السماوات والارض إِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} [لقمان: 26] الآية.

ثم ذكر تصديق جميع ذلك حيث قال: {الرسول بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والمؤمنون}، أي صدق الرسل بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها، وكذلك المؤمنون. كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله.

قرأ حمزة والكسائي وكتابه على معنى الوحدان. وقرأ الباقون وكتبه على معنى الجمع. ثم قال: {لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رُّسُلِهِ}، فأخبر عن المؤمنين بأنهم يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله.

قرأ الحضرمي لا يفرق بالياء، ومعنا كل آمن بالله، وكل لا يفرق.

وقرأ ابن مسعود لا يفرقون بين أحد من رسله. {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، أي قبلنا ما سمعنا، لأن من سمع ولم يقبل قيل له: أصم، لأنه لم ينتفع بسماعه.

وقرأ أبو عمرو من رسله، برفع السين، وكذلك في جميع القرآن غير هذه الحروف الأربعة، مثل رسلنا ورسلهم يقرأ بالسكون، وقرأ الباقون برفع السين في جميع القرآن. ومعنى قوله: {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا}، أي اغفر غفرانك، وهو من أسماء المصادر كالكفران والشكران {وَإِلَيْكَ المصير}.

يعني نحن مقرون بالبعث.

ثم قال: {لاَ يُكَلّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} يعني: طاقتها قال الفقيه: حدثنا أبو الحسين قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا مروان عن عطاء بن عجلان عن زرارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الله تَجَاوَزَ عَنْ هذه الأُمَّةِ ما حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها، أَوْ هَمَّتْ بِهِ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ» ثم قال {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا}، أي لا تؤاخذ أحداً بذنوب غيره، كما قال في آية أخرى: {قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَئ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 164] وقوله: إن نسينا أي إن تركنا أو أخطأنا، يعني إن كسبنا خطيئة، فأخبر الله تعالى بهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن المؤمنين، وجعله في كتابه ليكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم دعوة يدعون بها من بعده، لأن هذا الدعاء قد استجيب له، فينبغي أن يحفظ، ويدعى به كثيراً.

قال الفقيه: حدثنا القاضي الخليل قال: حدثنا السراج قال: حدثنا أحمد بن سعيد الرازي قال: حدثنا سهل بن بكار قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثِ خِصَالٍ: جُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً، وَجُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلائِكَةِ، وَأُوتِيتُ هذه الآياتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي، ولا تُعْطَى أَحَداً بَعْدِي «

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَعَلَّمُوا البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فإِنَّهُمَا تَجِيئَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالغَمَامَتَيْنِ أَوْ كَالغَيَايَتَيْنِ، أَوْ كَفِرْقَتَيْنِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَيُحَاجَّانَ عَنْ صَاحِبِهِمَا» ثم قال: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا يَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ»، يعني السَّحَرَةَ.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نزل عليه ملك فقال له: إن الله يبشرك بنورين، لم يعطهما نبياً قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لا يقرأ بحرف منهما إلا أعطيته نوراً.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ بَلَغَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ ثلاثمائةِ آيةٍ، لَتَكَلَّمَتْ» يعني: لصارت بحال تتكلم، لأنه لا يبقى شيء، إلا اجتمع فيها من كثرة ما فيها من العجائب.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد.

Surah Aal Imraan

تفسير بحر العلوم لابوالليث سمرقندي

▲ سورة آل عمران

▲ تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)}

{الم} قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا الله أعلم {الله} يعني، هو الله الذي {لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحى القيوم} الذي لا يموت ولا يزول أبداً.

ويقال الحي الذي لا بادئ له {القيوم} يعني القائم على كل نفس بما كسبت. ويقال: القائم بتدبير الخلق.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الحي قبل كل حي، والحي بعد كل حي، الدائم الذي لا يموت؛ ولا تنقضي عجائبه، والقائم على العباد بأرزاقهم وآجالهم. ويقال: الحي القيوم هو اسم الله الأعظم. ويقال: إن عيسى ابن مريم عليهما السلام، كان إذا أراد أن يُحيي الموتى، يدعو بهذا الاسم يا حَيُّ يَا قَيّوم. ويقال: إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام دعا بقوله يا حَيُّ يا قيوم ويقال: إن بني إسرائيل، سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال لهم: قولوا اهيا يعني يا حي شراهيا يعني يا قيوم ويقال: هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به، ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5)}

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الكتاب} يعني أنزل عليك جبريل بالقرآن {بالحق} أي بالعدل ويقال لبيان الحق {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني موافقاً للكتب المتقدمة في التوحيد، وفي بعض الشرائع {وَأَنزَلَ التوراة والإنجيل * مِن قَبْلُ} يعني أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى من قبل هذا الكتاب.

وروي عن الفراء أنه قال: اشتقاق التوراة من وري الزند وهو ما يظهر من النور والضياء، فسمي التوراة بها، لأنه ظهر بها النور والضياء لبني إسرائيل، ومن تابعهم، وإنما سمي الإنجيل، لأنه أظهر الدين بعدما درس، وقد سمي القرآن إنجيلاً أيضاً لما روي في قصة مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: يا رب أرى في الألواح أقواماً أناجيلُهم في صدورهم، فاجعلهم أمتي قال الله تعالى: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وإنما أراد بالأناجيل القرآن.

قرأ حمزة والكسائي، وابن عامر التوراة بكسر الراء، والباقون بالفتح ثم قال تعالى: {هُدًى لّلنَّاسِ} معناه: وأنزل التَّورَاة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام، بياناً لبني إسرائيل من الضلالة {وَأَنزَلَ الفرقان} على محمد صلى الله عليه وسلم بعد التوراة والإنجيل.

وقال الكلبي الفرقان هو الحلال والحرام، يعني بيان الحلال والحرام. ويقال: المخرج من الشبهات {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بأيات الله} أي جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، وما أوتي من آيات نبوته {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في وفد نجران، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجادلوه بالباطل. ويقال: في شأن اليهود. ويقال: في شأن مشركي العرب. {والله عَزِيزٌ ذُو انتقام} أي منيع بالنقمة ينتقم ممن عصاه {إِنَّ الله لاَ يخفى عَلَيْهِ شَئ} لا يذهب ولا يغيب عليه شيء {فِي الارض وَلاَ فِى السماء} معناه أنه لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم، فيجازيهم يوم القيامة، وهم وفد نجران، وسائر المشركين.

▲ تفسير الآية رقم [6]

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)}

ثم أخبر عن صنعه، ليعتبروا بذلك فقال تعالى: {هُوَ الذي يُصَوّرُكُمْ فِي الارحام كَيْفَ يَشَاء} أي يخلقكم كيف يشاء قصيراً أو طويلاً، حسناً أو ذميماً، ذكراً أو أنثى.

ويقال: شقيّاً أو سعيداً. وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوَلَدُ يَكُونُ في بَطْنِ أُمِّهِ، يكونُ نُطْفَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَصِيرُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يُنْفَخُ فيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أمْ سَعِيدٌ «

وذكر عن إبراهيم بن أدهم أن القراء اجتمعوا إليه، ليسألوا ما عنده من الحديث. فقال لهم: إني مشغول بأربعة أشياء، فلا أتفرغ لرواية الحديث فقيل له: وما ذاك الشغل؟ فقال أحدها: إني أتفكر في يوم الميثاق. حيث قال: هؤلاء في الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا أدري من أي الفريقين كنت في ذلك الوقت. والثاني حيث صوّرني في رحم أمي فقال الملك الموكل على الأرحام: يا رب شقي أم سعيد؟ فلا أدري كيف كان الجواب في ذلك الوقت. والثالث حيث يقبض روحي ملك الموت فيقول: يا رب أمع الكفار أم مع المؤمنين؟ فلا أدري كيف يخرج الجواب. والرابع حيث يقول: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59]، فلا أدري من أي الفريقين أكون. ثم قال تعالى: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني لا خالق ولا مصور إلا هو {العزيز} يعني المنيع بالنقمة لمن جحده {الحكيم} يحكم تصوير الخلق على ما يشاء.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 9]

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)}

{هُوَ الذى أَنزَلَ عَلَيْكَ الكتاب} يعني أنزل عليك جبريل بالقرآن {مِنْهُ آيات محكمات} يعني من القرآن آيات واضحات ويقال مبينات بالحلال والحرام. ويقال: ناسخات لم تنسخ قط {هُنَّ أُمُّ الكتاب} يعني أصل كل كتاب، وهي ثلاث آيات من سورة الأنعام وهو قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إِحْسَاناً وَلاَ تقتلوا أولادكم مِّنْ إملاق نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151] وروي عن ابن عباس أنه سمع رجلاً يقول: فاتحة الكتاب أم الكتاب؟ فقال له ابن عباس: بل أم الكتاب قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إِحْسَاناً وَلاَ تقتلوا أولادكم مِّنْ إملاق نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151] إلى آخر ثلاث آيات الآية.

ثم قال تعالى {وَأُخَرُ متشابهات} قال الضحاك أي منسوخات وقال الكلبي يعني ما اشتبه على اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ألم، والمص ويقال المحكم ما كان واضحاً لا يحتمل التأويل، والمتشابه الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى مختلف.

ويقال: المحكم الذي هو حقيقة اللغة، والمتشابه ما كان مجاوزاً. ويقال: المحكمات التي فيها دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والمتشابه الذي اشتبهت الدلالة فيه، فإن قيل: إذا أنزل القرآن للبيان، فكيف لم يجعل كله، واضحاً؟ قيل: الحكمة في ذلك، والله أعلم أن يظهر فضل العلماء، لأنه لو كان الكل واضحاً، لم يظهر فضل العلماء بعضهم على بعض. وهكذا يفعل كل من يصنف تصنيفاً يجعل بعضه واضحاً، وبعضه مشكلاً، ويترك للحيرة موضعاً، لأن ما هان وجوده، قل بهاؤه.

ثم قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} يعني مَيْل عن الحق وهم اليهود {فَيَتَّبِعُونَ مَا تشابه مِنْهُ} قال الضحاك: يعني ما نسخ منه {ابتغاء الفتنة} أي طلب الشرك واستبقاؤه ما هم عليه {وابتغاء تَأْوِيلِهِ} أي طلب ثناء هذه الأمة. ويقال: طلب وقت قيام الساعة {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله} يعني منتهى ملك هذه الأمة، وذلك أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم حيي بن أخطب وغيره، فقالوا: بلغنا أنه نزل عليك ألم، فإن كنت صادقاً في مقالتك، فإن ملك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة، لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فنزل {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله}، يعني: منتهى ملك هذه الأمة، ثم قال تعالى: {والرسخون فِي العلم} قال الكلبي ومقاتل: استأنف الكلام يعني لما قال {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله}، فقد تم الكلام ثم استأنف فقال: {والرسخون فِي العلم} أي البالغون العلم في كتبهم التوراة والإنجيل {يَقُولُونَ ءامَنَّا بِهِ} يعني القرآن {كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا} ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال بعضهم: هو معطوف عليه. يقول: وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يعني يعلمون تأويله. ويقولون: {بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا}.

وروى ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه كان يقرأ، وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم: آمنا به، وهذا يوافق قول الكلبي ومقاتل. وقال عامر الشعبي: لو كان ابن عباس بين أظهرنا ما سألته عن آية من التفسير، لأني أحلُّ حلاله، وأحرّم حرامه، وأومن بمتشابهه، وأكل ما لم أعلم منه إلى عالمه.

ثم قال تعالى: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الالباب} يعني ما يتعظ بما أنزل من القرآن إلا ذوو العقول من الناس. ثم قال عبد الله بن سلام وأصحابه، حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا} يعني لا تُحَوّل قلوبنا عن الهدى {بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} يعني بعد ما أكرمتنا بالإسلام، وهديتنا لدينك {وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً} يعني ثَبِّتْنا على الهدى {إِنَّكَ أَنتَ الوهاب} أي المعطي المثبت للمؤمنين {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ الناس} بعد الموت {لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ} أي في يوم لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائنٌ لا محالة.

{إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الميعاد} في البعث ويقال معناه {إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الميعاد} في إجابة الدعاء يعني يوم يجمع الناس في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [10- 11]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)}

ثم قال تعالى {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني اليهود ويقال جميع الكفار {لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ} كثرة {أموالهم وَلاَ أولادهم مّنَ الله} شيئاً يعني من عذاب الله {شَيْئاً} في الدنيا إذا نزل بهم شدة أو مرض، ولا في الآخرة عند نزول العذاب. ويقال: كل ما لم ينفق في طاعة الله، فهو حسرة له يوم القيامة. ويقال: إنما ذكر الأموال والأولاد، لأن أكثر الناس يدخلون النار، لأجل الأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في الآخرة، لكيلا يفني الناس أعمارهم، لأجل المال والولد، وإنما ذكر الله تعالى الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون ثم قال تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النار} أي حطب النار.

قرأ بعضهم وُقُودُ النار بضم الواو، يعني إيقاد النار كما قال في آية أخرى {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بأياتنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بدلناهم جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ العذاب إِنَّ الله كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء: 56] قالوا: معناه إذا أرادت النار أن تنطفئ، بدلهم الله جلوداً غيرها لتتقد النار {كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ} يعني أن صنيع الكفار معك، كصنيع آل فرعون مع موسى.

وقال مقاتل: كأشباه آل فرعون بالتكذيب بالعذاب في الدنيا. ويقال: إهلاك الله إياهم بالقتل، كإهلاك آل فرعون بالغرق.

ويقال تعاونُهم وتظاهرهم فيما بينهم عليك، كتظاهُر آل فرعون على موسى {والذين مِن قَبْلِهِمْ} أي قبل آل فرعون، مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط {كَذَّبُواْ بئاياتنا} أي

بدلائلنا وعجائبنا ويقال بكتبي ورسلي كما كذبك قومك يا محمد {فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ} أي أهلكهم وعاقبهم بشركهم {والله شَدِيدُ العقاب} للكافرين.

تفسير الآية رقم [12]

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)}

قوله تعالى {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} قال الضحاك: يعني كفار مكة لما ظهروا يوم أحد، فرحوا بذلك، فنزل قوله تعالى: {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} من أهل مكة {سَتُغْلَبُونَ} بعد هذا {وَتُحْشَرُونَ إلى * نَارُ جَهَنَّمَ} وقال الكلبي نزلت في شأن بني قريظة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر، قالت اليهود هذا النبي الأمّي الذي بشرنا به موسى الذي نجده في التوراة، فأرادوا تصديقه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى له، فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: والله ما هو إياه، فقد تغيّرت صفته وحاله، فشكوا فيه ولم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، فأنزل الله تعالى: {قُلْ لّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ} وقال عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر، وقَدِمِ المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، أَسْلِمَوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ الله بِمِثْلِ مَا أَصَابَ قُرَيْشاً» قالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك. إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال فإنك لو قاتلنا لعرفت أنّا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله تعالى {قُلْ لّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ} يعني تُهْزمون وتُقْهَرون وتُحْشرون بعد القتل إلى جهنم {وَبِئْسَ المهاد} يعني لبئس موضع القرار جهنم. قرأ حمزة والكسائي سَيُغْلبونَ وَيُحشرُون بالياء على معنى الخبر والباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

تفسير الآية رقم [13]

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)}

ثم قال: {قَدْ كَانَ لَكُمْ ءايَةٌ} يعني عبرة {فِي فِئَتَيْنِ} أي جَمْعَيْن، يعني جَمْع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وجمع كفار أهل مكة {التقتا فِئَةٌ تقاتل فِى سَبِيلِ الله وأخرى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مّثْلَيْهِمْ} قرأ نافع ترونهم على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى الخبر، وذكر عن الفراء أنه قال كان الكفار ثلاثة أمثال المسلمين، لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة ونيفاً، وكان الكفار تسعمائة ونيّفاً. وقوله: مثليهم أي ثلاثة أمثالهم، والمعنى في ذلك عن طريق اللغة أن الإنسان إذا كان عنده ألف درهم يقول احتاج إلى مثليها، فإنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف. وقال الزجاج: هذا القول لا يصح في اللغة،

ولا في المعنى، ولكن المسلمين يرونهم مثليهم في العدد، لكي لا يجبنوا، لأنه أعلمهم أن المائة تغلب المائتين، فأراهم في {رَأْىَ العين} أن المشركين مثليهم في العدد، لكي لا يجبنوا، وهذا كما قال في آية أخرى، {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التقيتم فى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور} [الأنفال: 44]، وذلك أن المشركين كانوا تسع مائة، فأرى الله المسلمين أنهم ستمائة، لكي لا يجبنوا، وأرى الكفار أن المسلمين أقل من ثلاثمائة، ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب حتى انهزموا، فكان في ذلك دلالة من الدلالات، فمن قرأ بالتاء على معنى المخاطبة لليهود إن لكم آية وعلامة حيث رأيتم غلبة المسلمين على الكفار مع قلة المسلمين، وكثرة الكفار، فإن قيل: إن اليهود لم يكونوا حضوراً في ذلك الوقت، فكيف يرون ذلك؟ قيل له: إذا انتشر الخبر فهموا، وعلموا ذلك صار كالمعاينة، ولأن لهم جواسيس عند المسلمين يخبرون اليهود بذلك، فصار كأن كلهم رأى ذلك، ومن قرأ بالياء معناه أن المسلمين يرون الكفار مثليهم.

ويقال إن المشركين حين خرجوا من مكة، كانوا ألفاً وثلاثمائة رجل، فلما وجدوا العير سالمة رجع مع العير ثلاثمائة وخمسون، وتخلف تسعمائة وخمسون للحرب، وكان أبو سفيان بن حرب في تلك العير، فرجع إلى مكة، وحثّهم على المسير، ولم يكن حاضراً وقت الحرب، وإنما قال الكلبي في كتابه: نزلت في جمع أبي سفيان وأصحابه، لأن أبا سفيان هو الذي حثهم على الخروج، ولم يخرج معهم ثم قال تعالى: {والله يُؤَيّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء} أي يقوي بنصرته، وهم أهل بدر، فأرسل إليهم الملائكة، وهزم المشركين {إِنَّ فِى ذلك لَعِبْرَةً لاِوْلِى الابصار} يعني من ينصر الحق.

تفسير الآيات رقم [14- 17]

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)}

{زُيّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشهوات} حُسِّن وحُبِّب إليهم، وقد يكون التزيين من الله تعالى. كما قال في آية أخرى {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالهم فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: 4] كما قال في آية أخرى {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} [النمل: 24] فأما التزيين من الله تعالى، فهو على وجهين: يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان، وأما التزيين من الشيطان، فهو على جهة الوسوسة. فقال: زين

للناس حب الشهوات {مِنَ النساء والبنين} بدأ بالنساء، لأن فتنة النساء أشد من فتنة جميع الأشياء.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تَرَكْتُ لأُمَّتِي فِتْنَةً أَشَدَّ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ»، ولأن النساء فتنتهن ظاهرة من وقت آدم عليه السلام إلى يومنا هذا.

ويقال: في النساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة: إحداهما أنها تؤدي إلى قطيعة الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطيعة الرحم عن الأمهات والأخوات. والثانية يبتلي بجمع المال من الحلال والحرام، وأما البنون، فإن الفتنة فيهم واحدة، وهي ما ابتلي به من جمع المال لأجلهم. فذكر البنين وأراد به الذكور والإناث.

وقال بعض الحكماء: أولادنا فتنة إن عاشوا فتنونا، وإن ماتوا أحزنونا.

ثم قال تعالى {والقناطير المقنطرة مِنَ الذهب والفضة} روي عن الفراء أنه قال: القناطير جمع قنطار، والمقنطرة جمع الجمع، فيكون تسع قناطير.

وروي عن أبي عبيدة أنه قال: المقنطرة مُفَعَّلة من الورق. كما يقال: ألف مؤلفة، وبذر مبذرة. ويقال: المقنطرة هي المكيلة، ثم اختلفوا في مقدار القنطار، فروي عن مجاهد أنه قال: القنطار سبعون ألف دينار. وقال أبو هريرة: القنطار اثني عشر ألف أوقية. وقال معاذ بن جبل: ألف ومائتا أوقية. وقال بعضهم: مِلْءُ مَسْكِ ثَوْرٍ من ذهب. حكاه الكلبي، وقال: هو لغة رومية.

وروي عن الحسن البصري أنه سئل عن القنطار ما هو؟ فقال: هو مثل دية أحدكم.

ثم قال تعالى: {والخيل المسومة} يعني الراعية كما قال في آية أخرى {فِيهِ تُسِيمُونَ} أي ترعون. وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل.

وقال يحيى بن كثير: هي السمينة المصورة. وقال أبو عبيدة المُعْلَمة. {والانعام} يعني الإبل والبقر والغنم {والحرث} يعني الزرع، ذكر أربعة أصناف كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس، أما الذهب والفضة، فيتمول به التجار، وأما الخيل المُسَوَّمة، فيتمول بها الملوك، وأما الأنعام، فيتمول بها أهل البوادي وأما الحرث فيتمول به أهل الرساتيق، فيكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول به، وأما النساء والبنين فهي فتنة للجميع.

ثم زهد في ذلك كله، ورغب في الآخرة فقال تعالى: {ذلك متاع الحياة الدنيا} أي منفعة الحياة الدنيا تذهب، ولا تبقى {والله عِندَهُ حُسْنُ المأب} أي المرجع في الآخرة الجنة، لا

تزول. ولا تفنى. ثم بَيّن أن الذي وعد المؤمنين في الآخرة، خير مما زين للكفار فقال تعالى: {قُلْ أَؤُنَبّئُكُمْ بِخَيْرٍ مّن ذلكم} أي من الذي زين للناس في الدنيا {لِلَّذِينَ اتقوا} الشرك والفواحش والكبائر. ويقال للذين اتقوا الزينة، فلا تشغلهم عن طاعة الله {عِندَ رَبّهِمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} يعني البساتين تجري من تحت شجرها، ومساكنها الأنهار، فهو خير من الزينة الدنيوية وما فيها.

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَشِبْرٌ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» قال: {خالدين فِيهَا} يعني مقيمين فيها أبداً {وأزواج مُّطَهَّرَةٌ} معناه في الخَلْق والخُلُق، فأما الخَلْقُ فإنهن لا يَحضنَ ولا يتمخَّطْن، ولا يأتين الخلاء، وأما الخُلُق، فإنهن لا يَغِرْن ولا يحسدن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن {ورضوان مّنَ الله} أي مع هذه النعم لهم رضوان من الله، وهو من أعظم النعم كما قال في آية أخرى {وَعَدَ الله المؤمنين والمؤمنات جنات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار خالدين فِيهَا ومساكن طَيّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ورضوان مّنَ الله أَكْبَرُ ذلك هُوَ الفوز العظيم} [التوبة: 72] قرأ عاصم في رواية أبي بكر وَرُضْوَان بضم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحد {والله بَصِيرٌ بالعباد} أي عالم بأعمالهم وثوابهم.

ثم وصفهم فقال تعالى: {الذين يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءامَنَّا} أي صَدَّقْنَا {فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا} أي: خطايانا التي كانت في الشرك وفي الإسلام {وَقِنَا عَذَابَ النار} يعني ادفع عنا عذاب النار {الصابرين} يعني الجنة التي ذكر للذين اتقوا الشرك، وللصابرين الذين يصبرون على طاعة الله، ويصبرون على المعاصي، ويصبرون على ما أصابهم من الشدة والمصيبة. {والصادقين} يعني الصادقين في إيمانهم، وفي قلوبهم، وفي وعدهم بينهم وبين الناس، وبينهم وبين الله تعالى. ثم قال: {والقانتين} يعني المطيعين لله تعالى {والمنافقين} الذي يتصدقون من أموالهم في سبيل الله {والمستغفرين بالاسحار} يعني يصلون لله عند الأسحار. ويقال: يصلون لله بالليل، ويستغفرون عند السَّحَر.

تفسير الآية رقم [18]

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)}

{شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إِلاَّ هُوَ} يعني أن الله تعالى قَبْل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو {والملئكة} ولما خلق الملائكة شهدوا بذلك، ثم لما خلق الله المؤمنين شهدوا بمثل ذلك وهم {أُوْلُو * العلم} يعني المؤمنين شهدوا بذلك {قَائِمَاً بالقسط} يعني الله قائماً بالعَدْل على كل نفس. ويقال: من أقرّ بهذه الشهادة على عقد قلبه، فقد قام بالعدل. وقال مقاتل: سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام وأصحابه، قالوا لرؤساء اليهود اتبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم. فقالت اليهود: ديننا أفضل من دينكم. فقال الله عز

وجلَّ: {شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ والملائكة وَأُوْلُواْ *العلم} يشهدون بذلك، وأولو العلم بالتوراة يشهدون بذلك، ويشهدون أن الله قائم بالقسط، أي بالعدل، وأن الدين عند الله الإسلام.

قال الكلبي: وفيه وجه آخر وذلك أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قدم عليه حَبْران من أحبار الشام، فلما نظرا إلى المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه قالا له: أنت محمد؟ قال: «نَعَمْ». قالا: وأنت أحمد؟ قال: " أَنا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ " قالا: أَخْبِرْنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى، فنزلت هذه الآية {شَهِدَ الله}... الخ. فأسلم الرجلان وصدَّقا أن الدين عند الله الإسلام.

وروي عن أبي عبيدة أنه قال: شَهِدَ الله يعني عَلِمِ الله وبَيَّن الله، فالله عز وجل دَلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبيّن أنه لا يقدر أحدٌ أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ الله تعالى، وشَهِدت الملائكة بما علمت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم، وتبين من خلقه الذي لا يقدر غيره عليه، وفي هذه الآية بيان فضل أهل العلم، لأنه ذكر شهادة نفسه، ثم ذكر شهادة الملائكة، ثم ذكر شهادة أهل العلم. ثم قال تعالى: {لا إله إلاَّ هُوَ العزيز الحكيم} فشهد بمثل ما شهد من قبل، لتأكيد الكلام.

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية، أصبحت تلك الأصنام كلها قد خرت ساجدة.

▲ تفسير الآية رقم [19]

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)}

ثم قال عز وجل {إِنَّ الدّينَ عِندَ الله الإسلام} قرأ الكسائي إنَّ الدين بالنصب على معنى البناء يعني شهدوا أنه لا إله إلا هو، وأَنَّ الدين عند الله الإسلام، والباقون بالكسر على معنى الابتداء، ومعناه إن الدين المرضيَّ عند الله الإسلام {وَمَا اختلف الذين أُوتُواْ الكتاب} في هذا الدين {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وهم اليهود والنصارى، فلما بعث الله تعالى محمداً، كفروا حسداً منهم، هكذا قال مقاتل. ويقال: إنهم كانوا مسلمين، وكانا يسمّون بذلك، وكان عيسى عليه السلام سمى أصحابه مسلمين، فحسدتهم اليهود لمشاركتهم في الاسم فغيَّروا ذلك الاسم، وسُمُّوا يهوداً، وأما النصارى فغيرهم عن ذلك الاسم بولس، وسماهم نصارى، فذلك قوله: {وَمَا اختلف الذين أُوتُواْ الكتاب إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني غَيّروا

الاسم حسداً منهم ثم قال: {وَمَن يَكْفُرْ بآيات الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الحساب} لأنه قد جاء في آية أخرى {وَلِلَّهِ غَيْبُ السماوات والارض وَمَآ أَمْرُ الساعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [النحل: 77] وقوله: {سَرِيعُ الحساب} يعني سريع المجازاة ويقال سريع التعريف للعامل عمله، لأنه عالم بجميع ما عملوا، لا يحتاج إلى إثبات شيء، وتذكر شيء. ويقال: إذا حاسب، فحسابه سريع يحاسب جميع الخلق في وقت واحد، كل واحد منهم يظن أنه يحاسبه خاصة.

تفسير الآية رقم [20]

{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)}

ثم قال تعالى: {فَإنْ حَاجُّوكَ} أي خاصموك وجادلوك في الدين {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ للَّهِ} أي أخلصت ديني لله. وقال الزجاج: إن الله تعالى أمر نبيه أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين، بأنه اتبع أمر الله الذي هم أجمعون مقرون. أنه خالقهم ورازقهم، فأراهم الآيات والدلالات بأنه رسوله. وقوله: {أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ للَّهِ} أي قصدت بعبادتي الله، وأقررت بأنه لا إله غيره {و} كذلك {مِنْ اتبعن} وقال القتبي: معنى أسلمت وجهي لله، يعني أسلمت لله، والوجه زيادة كما قال: كل شيء هالك إلا وجهه، يعني إلا هو {وَقُلْ لّلَّذِينَ أُوتُواْ الكتاب} يعني أُعْطُوا التَّوْرَاة والإنْجيل {والاميين} يعني مشركي العرب {ءأَسْلَمْتُمْ} يعني أخلصتم بالتوحيد. ويقال: اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، فكأنه يقول أَسْلِمُوا، كما قال في آية أخرى: فهل أنتم منتهون؟ يعني انتهوا. وقال في آية أخرى: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة: 74]، أي توبوا إلى الله. {فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهتدوا} يعني أخلصوا بالتوحيد وأسلموا وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب، فقد اهتدوا من الضلالة {وَإِن تَوَلَّوْاْ} يقول إن أَبَوا أن يُسلموا {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ} بالرسالة {والله بَصِيرٌ بالعباد} يعني بأعمالهم، ومعناه ليس عليك من عملهم شيء وإنما عليك التبليغ، وقد فَعلتَ ما أمرتَ به.

تفسير الآيات رقم [21- 22]

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)}

{إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بآيات الله} يعني يجحدون بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ حَقّ} يعني يتولون آباءهم بالقتل، ويرضون بذلك.

قرأ حمزة يقاتلون بألف من المقاتلة، والباقون بغير ألف، وقرأ نافع النبيئين بالهمزة. وقرأ الباقون بغير همز {وَيَقْتُلُونَ الذين يَأْمُرُونَ بالقسط مِنَ الناس} يعني بالعدل، وهم مؤمنو بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف، فكانوا يقتلونهم، فعَيَّرهم الله بذلك، وأوعدهم النار فقال: {فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أي وجيع ويقال: أليم يعني مؤلم {أُولَئِكَ الذين حَبِطَتْ أعمالهم} يعني بطل ثواب حسناتهم، فلا ثواب لهم {فِي الدنيا والاخرة وَمَا لَهُم مّن ناصرين} يعني مانعين يمنعونهم من النار.

تفسير الآيات رقم [23- 24]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} يعني أُعْطُوا حظاً من علم التوراة قال مقاتل: نزلت في كعب بن الأشرف، وجماعة منهم حين قالوا؛ نحن أَهْدَى سبيلاً، وما بعث الله رسولاً بعد موسى عليه السلام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكُمْ حَقٌّ فأَخْرِجُوا التَّوْرَاةَ»، فأَبَوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} {يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يتولى فَرِيقٌ مّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ} وقال الكلبي: نزلت في يهوديين من أهل خيبر زَنَيا، وكان الحكم في كتابهم الرجم، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى عليهما بالرجم فقالوا: ليس هذا بحكم الله، فدعا بالتوراة، ودعا بابن صوريا، وكان يسكن فَدَك، وكان أعور، فحلَّفه بالله، فأقرّ بالقصة، فأنزل الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله} الآية. ثم قال: {ذلك} أي ذلك الجزاء. قال مقاتل فيها تقديم وتأخير، ومعناه فبشرهم بعذاب أليم {ذلك بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النار} ويقال: إنما جزاؤهم خلاف الكتاب، لأنهم قالوا لن تمسنا النار {إلا أَيَّامًا معدودات} يعني أربعين يوماً على عدد أيام عبادة العجل ويقال على عدد أيام الدنيا. ويقال: إن مذهبهم كان مذهب جَهْم، لأنهم لا يرون الخلود في النار {وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم} عَفْوُ الله عنهم بتأخير العذاب {مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} أي يكذبون على الله، وهو قولهم {وَقَالَتِ اليهود والنصارى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذّبُ مَن يَشَآءُ وَللَّهِ مُلْكُ السماوات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المصير} [المائدة: 18]، فذلك قولهم الذي غرهم.

تفسير الآية رقم [25]

{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)}

ثم خوَّفهم فقال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جمعناهم} فقال فكيف يصنعون وكيف يحتالون إذا جمعناهم؟ {لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ} يعني يوم القيامة، لا شك فيه عند المؤمنين، بأنه كائن {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} أي وفيت وأُعْطِيَتْ كل نفس ثواب ما عملت {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} أي لا يُنْقَصُون من ثواب أعمالهم شيء.

صفحه 8 نداءِ اسلام

تفسير الآيات رقم [26- 27]

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)}

{قُلِ اللهم مالك الملك} قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن المنافقين، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال عبد الله بن أبي رأس المنافقين: إن محمداً يتمنى أن ينال ملك فارس والروم وأنَّى له ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه، أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته، فعلمه الله بأن يدعو بهذا الدعاء، وهو قول مقاتل وقال بعضهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بحفر الخندق، فظهر في الخندق صخرة عجزوا عن حفرها، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، وضرب ضربة، فظهر من تلك الصخرة نور فقال له سلمان: رأيت شيئاً عجيباً. فقال له النبي: «هَلْ رَأَيْتَ ذلك»؟ قال: نعم. فقال: رأيت في ذلك النور قصور أهل الشام، ثم ضرب ضربة أخرى، فظهر أيضاً كذلك. فقال: رأيت قصور أهل فارس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »سَيَظْهَرُ لأُمَّتِي مُلْكُ الشَّامِ، وَمُلْكُ فَارِسَ» فقال المنافقون: إن محمداً لا يأمن على نفسه، واضطر إلى حفر الخندق، فكيف يتمنى ملك الشام وفارس، فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم إن مشركي مكة قالوا: إن فارس والروم يبيتان في الحرير والديباج، فلو كان هو نبياً، كيف ينام على الحصير؟ فنزلت هذه الآية {قُلِ اللهم مالك الملك تُؤْتِى الملك مَن تَشَاء} وأصل اللهم في اللغة يا الله أمنا بخير، أي اقْصِدْنا بالرحمة، ولكن لما كثر استعمال هذا اللفظ في الناس صارت الكلمتان ككلمة واحدة. فقال: {اللهم}، يعني اللهم يا مالك الملك، {تُؤْتِى الملك مَن تَشَاء} يعني تؤتي محمداً صلى الله عليه وسلم ومن تبعه {وَتَنزِعُ الملك مِمَّن تَشَاء} من فارس والروم {وَتُعِزُّ مَن تَشَاء} يعني أهل الإسلام {وَتُذِلُّ مَن تَشَاء} يعني أهل الشرك والطغيان {بِيَدِكَ الخير} يعني النصرة والغنيمة والعز {إِنَّكَ على كُلّ شَىْء قَدِيرٌ} من الذل والعز وقال الضحاك: تؤتي الملك من

تشاء، يعني الإسلام، وتعز من تشاء بالإسلام، وتذل من تشاء بالشرك، بيدك الخير، يعني الهداية والسعادة، إنك على كل شيء قدير.

وقال الزَّجَّاج: تؤتي الملك من تشاء، معناه تولي الملك من تشاء أن تؤتيه، وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه، إلا أنه حذف الهاء، لأن في الكلام دليلاً عليه. قال مقاتل: وقد قيل في الملك قولان: أحدهما هو المال والعبيد، والآخر من جهة الغلبة بالدين ثم قال تعالى {تُولِجُ اليل فِى النهار} يعني ما نقص من الليل دخل في النهار، حتى يبلغ خمسة عشرة ساعة هو أطول ما يكون، والليل تسع ساعات، وهو أقصر ما يكون {وَتُولِجُ النهار فِى اليل} يعني أن ما نقص من النهار دخل في الليل، حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات.

وهو قول الكلبي. ويقال: {تُولِجُ اليل فِى النهار} أي تذهب بالليل، وتجيء بالنهار، وتذهب بالنهار، وتجيء بالليل، هكذا إلى أن تقوم الساعة. ثم قال {وَتُخْرِجُ الحى مِنَ الميت وَتُخْرِجُ الميت مِنَ الحى} فقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص المَيِّت بالتشديد، والباقون المَيْت بالتخفيف، وهما لغتان ومعناهما واحد.

قال الكلبي: يعني تخرج البيضة، وهي ميتة من الطير، وهو حي، وتخرج الطير الحي من البيضة الميتة، وتخرج النطفة، وهي ميتة من الإنسان الحي، وتخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة، وتخرج الحبة من السنبلة إلى آخره. وقال الحسن البصري: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن. ويقال: يخرج الجاهل من العالم، ويخرج العالم من الجاهل. وروى معمر عن الزهري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه، فإذا بامرأة حسنة الهيئة فقال: «مَنْ هذه؟» قالوا إحدى خالاتك. قال: «وَمَنْ هِيَ؟» قالوا هي خالدة بنت الأَسْوَد بن عَبْد يغوث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ "، وكانت امرأة صالحة، وكان أبوها كافراً. ثم قال تعالى: {وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} يعني من غير أن تحاسب في الإعطاء، فكأنه يقول: ليس فوقه من يحاسبه في الإعطاء. كما قال تعالى: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] ويقال: من غير أن يحاسبه في الإعطاء. ويقال: بغير تقتير. ويقال: بغير حساب كما قال ويرزقه من حيث لا يحتسب.

▲ تفسير الآية رقم [28]

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)}

ثم قال تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أَوْلِيَاء} قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن المنافقين عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وأصحابه من أهل النفاق، وكانوا قد

أظهروا الإيمان، وكانوا يتولون اليهود في العون والنصرة، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم ظفر على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال مقاتل: نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة وغيره، ممن كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: {لاَّ يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أَوْلِيَاء}، فهذا نهي بلفظ المغايبة، يعني لا يتخذونهم أولياء في العون والنصرة {مِن دُونِ المؤمنين وَمَن يَفْعَلْ ذلك فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَئ} يعني ليس في ولاية الله من شيء. ويقال: ليس في دين الله من شيء، لأن ولي الكافر يكون راضياً بكفره، ومن كان راضياً بكفره، فهو كافر مثله كقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليهود والنصارى أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} [امائدة: 51].

ثم استثنى لما علم أن بعض المسلمين، ربما يُبْتَلون في أيدي الكفار فقال تعالى: {إِلا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تقاة}. قرأ يعقوب الحضرمي تقية، وقراءة العامة تقاة، ومعناهما واحد، يعني يرضيهم بلسانه، وقلبه مطمئن الإيمان، فلا إثم عليه كما قال الله تعالى في آية أخرى {مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْدِ إيمانه إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: 106] قرأ حمزة والكسائي {تقاة} بالإمالة. وقرأ الباقون بتفخيم الألف ثم قال: {وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ} يعني يخوّفكم الله بعقوبته، أي الذي يتخذ الكافر وليّاً بغير ضرورة، وهذا وعيد لهم. ويقال: إذا كان الوعيد مبهماً، فهو أشد ثم قال تعالى: {وإلى الله المصير} أي مرجعكم في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

تفسير الآيات رقم [29- 30]

{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)}

{قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ} يقول: إن تسروا ما في قلوبكم من النكوث، وولاية الكفار {أَوْ تُبْدُوهُ} يعني تعلنوه للمؤمنين {يَعْلَمْهُ الله} لأن الله عليم {وَيَعْلَمُ مَا فِى * السموات وَمَا فِي الارض} من عمل، فليس يخفى عليه شيء {والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ} من السر والعلانية، والعذاب والمغفرة قدير {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} في الدنيا {مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا} يعني تجد ثوابه حاضراً، ولا ينقص من ثواب عمله شيء {وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوء} يعني من شر في الدنيا {تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيدًا} يعني تتمنى النفس أن تكون بينها، وبين ذلك العمل أجلاً بعيداً، كما بين المشرق والمغرب، ولم تعمل ذلك العمل قط ثم قال: {وَيُحَذّرُكُمُ الله نَفْسَهُ} أي عقوبته في عمل السوء {والله رَءوفٌ بالعباد} قال ابن عباس: يعني بالمؤمنين خاصة، وهو رحيم بهم.

ويقال: رؤوف بالذين يعملون السوء، حيث لم يعجّل بعقوبتهم. ويقال: ذكر في أول هذه الآية عدله عز وجل في قوله: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}، وفي وسطها تخويف وتهديد وهو قوله {وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ} وفي آخرها ذكر رأفته ورحمته وهو قوله {والله رَءوفٌ بالعباد}.

تفسير الآيات رقم [31- 32]

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)}

ثم قال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله} وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، يعني نحن في المنزلة بمنزلة الأبناء، ولنحن أشدّ حباً لله. فقال الله لنبيه: قل إن كنتم تحبون الله تعالى: {فاتبعونى} على ديني، فإني رسول الله أؤدي رسالته {يُحْبِبْكُمُ الله}.

قال الزجاج: تحبون الله، أي تقصدون طاعته، فافعلوا ما أمركم الله عز وجل، لأن محبة الإنسان لله وللرسول طاعته له، ورضاه بما أمر، والمحبة من الله عفوه عنهم، وإنعامه عليهم برحمته. {وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ويقال: الحب من الله عصمته وتوفيقه، والحب من العباد طاعة كما قال القائل:

تَعْصي الإله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه *** هَذَا لَعَمْرِي في القِيَاسِ بديعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَه *** إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمداً يريد أن نتخذه حناناً، كما اتخذت النصارى عيسى حناناً فنزلت هذه الآية: {قُلْ أَطِيعُواْ الله والرسول} فقرن طاعته بطاعة رسوله رغماً لهم، ويقال: أطيعوا الله فيما أنزل، والرسول فيما بَيّن {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني إن أعرضوا عن طاعتهما {فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الكافرين} أي لا يغفر لهم.

تفسير الآية رقم [33]

{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)}

{إِنَّ الله اصطفى آدَمَ وَنُوحًا وَءالَ إبراهيم} يعني اختاره ويقال: اختار دينه، وهو دين الإسلام.

ويقال: قد اختاره لخمسة أشياء: أولها أنه خلقه بأحسن صورة بقدرته. والثاني أنه علّمه الأسماء كلها. والثالث أنه أمر الملائكة أن يسجدوا له. والرابع أسكنه الجنة. والخامس جعله أباً للبشر، واختار نوحاً عليه السلام بخمسة أشياء: أولها أنه جعله أباً للبشر، لأن الناس كلهم غرقوا، فصارت ذريته هم الباقين. والثاني أنه أطال عمره. ويقال: طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمرهُ، وحَسُن عَمَلُهُ. والثالث أنه استجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين. والرابع أنه حمله على السفينة. والخامس أنه كان أول من نسخ الشرائع، وكان قبل ذلك لم يحرم تزوج الخالات والأخوات والعمات، واختار آل إبراهيم عليه السلام بخمسة أشياء: أولها أنه جعله أبا الأنبياء، لأنه روي أنه خرج من صلبه ألف نبي من زمانه إلى زمان النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني أنه اتخذه خليلاً، والثالث أنه أنجاه من النار والرابع أنه جعله للناس إماماً، والخامس أنه ابتلاه الله بخمس كلمات، بكلمات، فوفقه حتى أتمَّهن ثم قال: {إِنَّ الله} قال مقاتل: يعني به أبا موسى وهارون. وقال الكلبي: هو عمران أبو مريم، وهو من ولد سليمان النبي عليه السلام فإنه أراد به آل موسى وهارون، إنما كان اختارهما على العالمين، حيث بعث على قومه المن والسلوى، ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء في العالم، وإن أراد به أبا مريم، فإنه اصطفى آله، يعني مريم بولادة عيسى عليه السلام بغير أب، ولم يكن ذلك لأحد في العالم. وقال الكلبي: يعني اختار هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية {عَلَى العالمين} يعني عالمي زمانهم.

تفسير الآيات رقم [34- 37]

{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)}

ثم قال تعالى: {ذُرّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ} أي بعضهم على إثر بعض. ويقال: بعضهم على دين بعض. {والله سَمِيعٌ} لقولهم عليم بهم وبدينهم. ويقال: قوله {والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، انصرف إلى ما بعده، أي سميع بقول امرأة عمران {إِذْ قَالَتِ امرأت عمران} وهي حنة أم مريم امرأة عمران بن ماثان، وذلك أنها لما حبلت، قالت: لئن نجَّانِي الله ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرَّراً، والمحرر من لا يعمل للدنيا، ولا يتزوج، ويتفرغ لعمل الآخرة، ويلزم المحراب، فيعبد الله تعالى فيه، وهذا قول مقاتل.

وقال الكلبي: محرراً، أي خادماً لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان. فقال لها زوجها: إن كان الذي في بطنك أنثى، والأنثى عورة، فكيف تصنعين؟ فاهتمت بذلك وقالت: يا {رَبّ إِنّي نَذَرْتُ لَكَ} وأنت تعلم {مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنّي إِنَّكَ أَنتَ

السميع العليم} السميع لدعائي العليم بنيتي، وما في بطني {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا} أي ولدت فإذا هي أنثى {قَالَتْ رَبِّ إِنّى وَضَعْتُهَا أنثى} يعني ولدتها جارية {والله أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، والله أعلم بما وَضَعْتُ، بجزم العين، وضم التاء، يعني أن المرأة قالت: والله أعلم بما وَضَعْتُ، والباقون بنصب العين وسكون التاء، فيكون هذا قول الله إنه يعلم بما وضعت تلك المرأة. ثم قال تعالى: {وَلَيْسَ الذكر كالانثى} في الخدمة.

قال بعضهم: هذا قول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس الذكر كالأنثى يا محمد. وقال بعضهم: هي كلمة المرأة، أنها قالت: وليس الذكر كالأنثى في الخدمة. وقال مقاتل: فيها تقديم، فكأنه يقول: قالت رب إني وَضعَتُهَا أُنْثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت، ثم قالت: {وَإِنّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ} يعني خادم الرب بلغتهم {وإِنّى أُعِيذُهَا بِكَ} يعني أعصمها وأمنعها بك {وَذُرّيَّتَهَا} إن كان لها ذرية {مِنَ الشيطان الرجيم} يعني الملعون. ويقال: المطرود من رحمة الله. ويقال: الرجيم بمعنى المرجوم كما قال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجُوماً للشياطين وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السعير} ر ز س [الملك: 5].

حدثنا أبو الليث، قال: حدثنا الخليل بن أحمد القاضي. قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ والشَّيْطَانُ يَنْخَسُهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ الشَّيْطَانِ، إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَها عِيسَى عَلَيْهِما السَّلامُ»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {وإِنّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرّيَّتَهَا مِنَ الشيطان الرجيم} وقال الزجاج: معنى قوله {إِذْ} يعني إن الله اختار آل عمران، {إِذْ قَالَتِ امرأت عمران}: واصطفاهم، إذ قالت الملائكة.

وقال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمران، وقالت الملائكة و«إذ» زيادة. وقال الأخفش: معناه واذكر إذ قالت امرأة عمران، واذكر إذ قالت الملائكة، وقال أهل اللغة: المحرر والعتيق في اللغة بمعنى واحد، ثم إن حنة لفتها في خرق، ثم وضعتها في بيت المقدس عند المحراب، فاجتمعت القراء، أي الزهاد فقال زكريا: أنا أحق بها، لأن خالتها عندي. فقال القُرّاء: إن هذه محررة، فلو تركت لخالتها، فكانت أمها أحق بها، ولكن نتساهم، فخرجوا إلى عين سلوان، فأَلْقَوْا أقلامهم في النهر. قال بعضهم: كانت أقلامهم من الشَّبَّة، فغابت أقلامهم في الماء، وبقي قلم زكريا على وجه الماء. وقال بعضهم كانت أقلامهم من قَصَب، فبقيت أقلامهم على وجه الماء، وغاب قلم زكريا في الماء. وقال بعضهم: أَلْقَوْا أَقلامهم في النهر، فسال الماء بأقلامهم إلا قلم زكريا، فإنه جرى من الجانب الأعلى، فعلموا أن الحق له، فضمّها إلى نفسه فذلك قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} أي تقبل منها نَذْرها {وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} وقال مجاهد غذاها غذاء حسناً، ورباها تربية حسنة {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} قرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد، أي كفلها الله إلى

زكريا. وقرأ الباقون بالتخفيف، أي ضمها زكريا إلى نفسه، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية حفص زكريا بغير إعراب، وجزم الألف. وقرأ الباقون بالإعراب والمد، وهما لغتان معروفتان عند العرب، فمن قرأ كفلها بالتشديد، قرأ زكريا بنصب الألف، لأنه يصير مفعولاً، ومن قرأ كفلها بالتخفيف قرأ زكريا برفع الألف على معنى الفاعل.

وذكر في الخبر أن زكريا بنى لها محراباً في غرفة، وجعل باب الغرفة في وسط الحائط، لا يصعد إليها إلا بسلم، واستأجر ظئراً، فكان يغلق عليها الباب، وكان لا يدخل عليها أحد إلا زكريا حتى كبرت، فإذا حاضت أخرجها إلى منزله، فتكون عند خالتها، وكانت خالتها امرأة زكريا. وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: كانت أختها امرأة زكريا، وكانت إذا طهرت من حيضها، واغتسلت ردها إلى المحراب. وقال بعضهم: كانت لا تحيض، وكانت مطهرة من الحيض، وكان زكريا إذا دخل عليها في أيام الشتاء، رأى عندها فاكهة الصيف، وإذا دخل عليها في أيام الصيف، وجد عندها فاكهة الشتاء، وكانت الحكمة في ذلك أن لا يدخل في قلب زكريا شيء من الريبة، إذا رأى الفاكهة في غير أوانها، وعلم أنه لم يدخل عليها أحد من الآدميين، فذلك قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المحراب وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا} ويقال: المحراب في اللغة أشرف المجالس، وهو المكان العالي، وقد قيل: إن مساجدهم كانت تسمى المحاريب ف {قَالَ} لها زكريا {قَالَ يامريم أنى لَكِ هذا} يعني: من أين لك هذا؟ فإنه لا يدخل عليك أحد غيري {فَقَالَتْ} مريم {هُوَ} أي هذا الرزق {مِنْ عِندِ الله} أي من فضل الله {إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} في غير حينه. ويقال: من حيث لا يحتسب.

▲ تفسير الآية رقم [38]

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38)}

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} يقول عند ذلك طمع في الولد، وكان آيساً من ذلك، وكان مفاتيح بيت القربان عند آبائه، وقد صار ذلك بيده، وكان يخشى أن يخرج من أهل بيته إذا مات. فقال عند ذلك: إن الله قادر على أن يأتيها برزق الشتاء في الصيف، وبرزق الصيف في الشتاء، فهو قادر أن يرزق لي الولد بعد الكبر فذلك قوله تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} {قَالَ رَبّ هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ} أي من عندك {ذُرّيَّةً طَيّبَةً} أي من عندك تقية مهذبة. ويقال: مستوي الخلق. ويقال: مسلمة مطيعة. ويقال: تقية {إِنَّكَ سَمِيعُ الدعاء} أي مجيب له.

▲ تفسير الآيات رقم [39- 40]

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40)}

{فَنَادَتْهُ الملئكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّي فِى المحراب} قرأ حمزة والكسائي بالياء، أي جبريل عليه السلام وإنما صار مذكراً على معنى الجنس، كما يقال: فلان ركب السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وقرأ الباقون، فنادته على معنى التأنيث، لأن اللفظ لفظ الجماعة، والمراد به أيضاً جبريل {أَنَّ الله يُبَشّرُكَ بيحيى} قرأ حمزة وابن عامر: إن الله يبشرك، بكسر الألف، ومعناه: فنادته الملائكة. وقالوا له: إن الله يبشرك. وقرأ الباقون بالنصب، ومعناه: فنادته الملائكة، بأن الله يبشرك بيحيى قال مقاتل: اشتق اسمه من اسم الله تعالى، والله تعالى حي، فسماه الله تعالى يحيى، ويقال: لأنه أحيا به رحم أمه. ويقال: لأنه حي به المجالس. ويقال غير ذلك {بيحيى}، بأن الله يحييه، فيكون حياً عند الله أبداً، لأنه شهيد قال الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أمواتا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169] ثم قال تعالى: {مُصَدّقاً بِكَلِمَةٍ مّنَ الله} يعني بعيسى عليه السلام وكان يحيى أول من صدق بعيسى عليهما السلام، وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه، فلما شهد بذلك يحيى، عجب بنو إسرائيل لصغره، فلما شهد سمع زكريا شهادته، فقام إلى عيسى، فضمه إليه، وهو في خرقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين. وقال بعضهم صدقه وهو في بطن أمه، كانت أم يحيى عند مريم، إذ سجد يحيى بالتحية لعيسى، وكل واحد منهما كان في بطن أمه، وذلك قوله مصدقاً بكلمة من الله {وَسَيّدًا} يعني حكيماً {وَحَصُورًا} يعني لا يأتي النساء، وهو قول الكلبي. وقال سعيد بن جبير: السيد الذي يملك غضبه، والحصور الذي لا يأتي النساء.

وقال مقاتل: يعني لا ماء له، يعني أن يحيى لم يكن له ماء في الصلب. وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن العنة عيب بالرجال، والنبي لا يكن معيباً، ولكن معناه أنه كان مانعاً نفسه من الشهوات، لأن الذي يمنع نفسه من الشهوات مع قدرته، كانت فضيلته أكثر من الذي لا قدرة له، ثم قال تعالى: {وَنَبِيّا مّنَ الصالحين} يعني أن يحيى كان نبياً من الصالحين، فلما بشره جبريل بذلك {قَالَ رَبّ أنى يَكُونُ لِي غلام} قال ذلك على وجه التعجب، لا على وجه الشك، قال لجبريل: رب أي يا سيِّدي من أين يكون لي غلام؟ يعني ولد، وهذا قول الكلبي.

وقال بعضهم قوله رب، يعني قال: يا الله على وجه الدعاء، يا رب من أين يكون لي ولد؟ {وَقَدْ بَلَغَنِي الكبر} قال القتبي: هذا من المقلوب، يعني بلغت الكبر. وقال الكلبي: كان يوم بشر ابن تسعين سنة، وامرأته قريبة في السن منه. وقال الضحاك: كان ابن مائة وعشرين سنة، فذلك قوله، {وَقَدْ بَلَغَنِي الكبر} أي الهرم {وامرأتى عَاقِرٌ} لا تلد {قَالَ

كذلك} قال بعضهم: تم الكلام عند قوله كذلك، يعني هكذا كما قلت: إنه قد بلغك الكبر، وامرأتك عاقر ثم قال تعالى: {اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء} وقال بعضهم: معناه. قال: كذلك يعني الله تعالى هكذا قال: أنه يكون لك ولد، والله يفعل ما يشاء، إن شاء أعطاك الولد في حال الصغر، وإن شاء في حال الكبر.

تفسير الآية رقم [41]

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)}

ثم قال تعالى: {قَالَ رَبّ اجعل لّى ءايَةً} يعني اجعل لي علامة حين حملت امرأتي أعرف {قَالَ رَبّ} يعني علامة الحبل {أَلاَّ تُكَلّمَ الناس ثلاثة أَيَّامٍ} يعني أنك تصبح، فلا تطيق الكلام ثلاثة أيام {إِلاَّ رَمْزًا} أي كلاماً خَفِيّاً. ويقال: الرمز بالشفتين والحاجبين، والإيماء باليد والرأس.

قال بعضهم: كان منع الكلام عقوبة له، لأنه بُشِّر بالولد، فسأل آية فحبس الله لسانه عن الناس ثلاثة أيام، ولم يحبسه عن ذكر الله، وعن الصلاة. وقال بعضهم: لم يكن عقوبة، ولكن كانت كرامة له، حين جعلت له علامة لظهور الحبل، ومعجزة له. وروى أسباط عن السدي أنه قال: لما بُشِّر بيحيى قال له الشيطان: إن النداء الذي سمعت بالبشارة من الشيطان، ولو كان من الله، لأوحى إليك، كما أوحي إلى سائر الأنبياء. فقال عند ذلك: اجْعَل لي آية، حتى أعلم أن هذه البشارة منك. قال: {أَلاَّ تُكَلّمَ الناس ثلاثة أَيَّامٍ إِلاَّ}.

وقال في آية أخرى: {قَالَ رَبِّ اجعل لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ الناس ثلاث لَيَالٍ سَوِيّاً} [مريم: 10]، يعني أنك مستوي الخَلْق، ولا علة بك، ثم أمره بذكر ربه، لأن لسانه لم يمنع عن ذكر الله تعالى فقال: {واذكر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبّحْ بالعشى والإبكار} يعني بالغداة والعَشِيِّ ويقال بالليل والنهار.

تفسير الآيات رقم [42- 43]

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)}

{وَإِذْ قَالَتِ الملئكة} يعني جبريل {الملئكة يامريم إِنَّ الله اصطفاك} يعني اختارك بالإسلام {وَطَهَّرَكِ} من الذنوب والفواحش. ويقال: من دم الحيض والنفاس {واصطفاك على نِسَاء العالمين} يعني بولادة عيسى بغير أب.

وقال بعضهم: اصطفاك أي فضلك على نساء العالمين يعني عالمي زمانها {العالمين يامريم اقنتى لِرَبّكِ} يعني أطيعي. ويقال: أطيلي القيام في الصلاة. وقال مجاهد: قامت في الصلاة حتى تورَّمَتْ قدماها، ونحل جسمها. ثم قال تعالى: {واسجدى واركعى مَعَ الركعين} أي مع المسلمين، يعني مع قراء بيت المقدس.

تفسير الآيات رقم [44- 51]

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)}

قوله {ذلك مِنْ أَنبَاء الغيب} يعني الذي ذكر في هذه الآية من قصة زكريا ومريم من أخبار الغيب، مما غاب عنك خبره، ولم تكن حاضراً، وفي الآية دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم، ولم يكن قرأ الكتب، وأخبر عن ذلك، وصدقه أهل الكتاب بذلك، فذلك قوله تعالى: {ذلك مِنْ أَنبَاء الغيب نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ} يعني لم تكن عندهم، وإنما تخبر عن الوحي. فقال: {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أقلامهم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} يعني يطرحون أقلامهم في النهر بالقرعة {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} في أمر مريم {إِذْ قَالَتِ الملئكة يامريم} يعني جبريل عليه السلام وحده {إِنَّ الله يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ مّنْهُ} قرأ نافع وعاصم وابن عامر {يُبَشّرُكِ} بالتشديد في جميع القرآن.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد في جميع القرآن إلا في حم، عسق {ذَلِكَ الذى يُبَشِّرُ الله عِبَادَهُ الذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِى القربى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى: 23] بالتخفيف، وقرأ حمزة بالتخفيف إلا في قوله {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى على أَن مَّسَّنِىَ الكبر فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر: 54] ووافقه الكسائي في بعضها، فمن قرأ بالتشديد، فهو من المباشرة، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه يفرحك، وكانت قصة البشارة أن مريم لما طهرت من الحيض، ودخلت المغتسل كما قال في سورة مريم، {واذكر فِى الكتاب مَرْيَمَ إِذِ انتبذت مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً} [مريم: 16]، يعني أرادت أن تغتسل في جنب المشرفة،

فلما دخلت المغتسل، رأت بشراً كهيئة الإنسان كما قال {فاتخذت مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} [مريم: 17]، فخافت مريم، ثم قالت: {قَالَتْ إِنى أَعُوذُ بالرحمن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً} [مريم: 18]، لأن التقي يخاف الرحمن. فقال لها جبريل: {قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً} [مريم: 19]، وذكرها هنا بلفظ آخر. ومعناه واحد قال: {إِذْ قَالَتِ الملائكة يامريم إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسمه المسيح عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدنيا والاخرة وَمِنَ المقربين} [آل عمران: 45]، أي بولد بغير أب يصير مخلوقاً بكلمة من الله، وهو قوله كن فكان {اسمه المسيح عِيسَى ابن مَرْيَمَ} ويقال إنما سمي المسيح، لأنه يسيح في الأرض. ويقال: المسيح بمعنى الماسح، كان يمسح وجه الأعمى فيبصر.

وقال الكلبي: المسيح الملك. ثم قال {وَجِيهاً} أي ذا جاه {فِى الدنيا والاخرة} له منزلة {فِى الاخرة} وقال مقاتل: فيها تقديم يعني وجيهاً في الدنيا {وَمِنَ المقربين} في الآخرة عند ربه. وقال الكلبي: {وَجِيهًا فِي الدنيا} يعني في أهل الدنيا بالمنزلة، {وَفِي الاخرة مِنَ المقربين} في جنة عدن {وَيُكَلِّمُ الناس فِى المهد وَكَهْلاً} أي في حال صغره، وهو طفل في حجر أمه طفلاً وكهلاً، يعني إذا اجتمع عقله وكبر، فإن قيل: ما معنى قوله كهلاً؟ والكلام من الكهل لا يكون عجباً.

قيل له: المراد منه كلام الحكمة والعبرة. ويقال: كهلاً بعد نزوله من السماء، وهو قول الكلبي {وَمِنَ الصالحين} مع آبائه في الجنة {قَالَتْ} مريم {رَبّ أنى يَكُونُ لِى وَلَدٌ} يعني من أين يكون لي ولد {وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ} وهو كناية عن الجماع ف {قَالَ} جبريل {كذلك} يعني هكذا كما قلت أنه لم يمسسك بشر ولكن {الله يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا} يعني إذا أراد أن يخلق خَلْقاً {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فنفخ جبريل في جيبها، يعني في نفسها قال بعضهم: وقع نفخ جبريل في رحمها، فعلقت بذلك. وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل، لأنه يصير الولد بعضه من الملائكة، وبعضه من الإنس، ولكن سبب ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته، فجعل بعضهم في أصلاب الآباء، وبعضهم في أرحام الأمهات، فإذا اجتمع الماءان صار ولداً، وإن الله تعالى جعل المَاءَيْن جميعاً في مريم، بعضه في رحمها، وبعضه في صلبها، فنفخ فيها جبريل لتهيج شهوتها، لأن المرأة ما لم تهج شهوتها، لا تحبل، فلما هاجت شهوتها بنفخة جبريل، وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها، فاختلط الماءان فعلقت بذلك، فذلك قوله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا}، يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً سبحانه، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} بغير أب، ثم قال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الكتاب} قرأ نافع وعاصم {وَيُعَلِّمُهُ} بالياء يعني أن الله يعلمه، وقرأ الباقون بالنون، ومعناه أن الله يقول ونعلمه {الكتاب} يعني كتب الأنبياء. وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: يعني الخط والكتابة، فعلّمه الله بالوحي والإلهام {والحكمة} يعني الفقه {والتوراة والإنجيل} يعني يحفظ التوراة عن ظهر قلبه. وقال بعضهم: وهو عالم بالتوراة. وقال بعضهم: ألهمه الله بعدما كبر حتى تعلم في مدة يسيرة.

ثم قال: {وَرَسُولاً إلى بَنِى إسراءيل} نصب رسولاً لمعنيين: أحدهما يجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، والثاني ويكلم الناس ورسولاً. أي في حال رسالته إلى بني إسرائيل دليله أنه قال: {أَنّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مّن رَّبّكُمْ} وذكر الزجاج فالمعنى والله أعلم ويكلمهم رسولاً بأني قد جئتكم بآية من ربكم. ثم أخبر عن أداء رسالته بعدما أوحى إليه في حال الكبر، حيث قال لقومه: إني قد جئتكم بآية من ربكم، يعني علامة لنبوتي، ثم بيّن العلامة فقال: {أَنِى أَخْلُقُ} أي أقدر {لَكُمْ مّنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله} ويقال: إن الناس سألوه عنه على وجه التعنت فقالوا له: اخلق لنا خفَّاشاً، واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقالتك، فأخذ طيناً، وجعل منه خفاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض، فكأن تسوية الطين، والنفخ من عيسى عليه السلام والخلق من الله عز وجل كما أن النفخ من جبريل عليه السلام والخلق من الله عز وجل ويقال: إنما طلبوا منه خلق خفاش، لأنه أعجب من سائر الخلق، ومن عجائبه أنه لحم ودم، يطير بغير ريش، ويلد كما يلد الحيوان، ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور، ويكون له ضرع يخرج منه لبن، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة، فلما أن رأوا ذلك منه ضحكوا.

وقالوا: هذا سِحْر.

ثم قال تعالى: {وَأُبْرِئ الاكمه والابرص} الأكمه الذي ولد أعمى فقالوا: إن لنا أطباء يفعلون مثل هذا، فذهبوا إلى جالينوس، وأخبروه بذلك فقال جالينوس: إذا ولد أعمى، لا يبصر بالعلاج، والأبرص إذا كان بحال إذا غرزت الإبرة فيه لا يخرج الدم منه لا يبرأ بالعلاج، فرجعوا إلى عيسى عليه السلام وجاؤوا بالأكمه والأبرص، فمسح يده عليهما، فأبصر الأعمى، وبرأ الأبرص، فآمن به بعضهم، وجَحَد بعضهم. وقالوا: هذا سِحْر. ثم قال تعالى: {وَرَسُولاً إلى بَنِى إسراءيل} فأَخْبَروا بذلك جالينوس. فقال: الميت لا يعيش، ولا يحيى بالعلاج، فإن كان هو يحيي الموتى، فهو نبي، وليس بطبيب، فطلبوا منه أن يحيي الموتى، فأحيا أربعة نفر، أحدهم عازر، وكان صديقاً له، فبلغه أنه مات، فذهب مع أصحابه، وقد دفن، وأتى عليه أيام، فدعا الله، فقام بإذن الله تعالى وَوَدَكُه يقطر، فعاش وَوُلد له. والثاني ابن العجوز، مَرّ به وهو يحمل على سرير، فدعا الله، فقام بإذن الله تعالى، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله. والثالث ابنة من بنات العاشر ماتت، وأتى عليها ليلة، فدعا الله تعالى، فعاشت بعد ذلك، وولد لها. والرابع سام بن نوح، لأن القوم قالوا له: إنك تحيي من كان موته قريباً، فلعلهم لم يموتوا، وأصابتهم سكتة، فأحيي لنا سام بن نوح. فقال: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه حتى

انتهوا إلى قبره، فدعا الله تعالى، فأحياه وخرج من قبره قد شابت رأسه. فقال له عيسى: كيف شابت رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله إنك لما دعوتني، سمعت صوتاً يقول أَجِبْ روحَ الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن ذلك الهول شابت رأسي، فسأله عن النَّزْع.

فقال له: يا روح الله إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي، وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، ثم قال للقوم: صدقوه فإنه نبي الله، فآمن به بعضهم، وكذب به بعضهم. وقالوا: هذا ساحر، فأرنا آية نعلم أنك صادق، فأخبرنا بما نأكل في بيوتنا، وما نَدَّخر للغد، فأخبرهم. فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا، فذلك قوله عز وجل: {وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ} فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر.

ويقال إن الله بعث كل نبي إلى قومه، وأظهر لهم نوع ما كانوا يعرفونه، فكان في زمن موسى عليه السلام الغالب عليهم السحر، فبيَّن لهم من جنس ذلك، ليعرفوا أن ذلك ليس بِسِحْر، وأنه من الله تعالى، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام علم الطب، فجاءهم عيسى بما عجز الأطباء عنه، فعرف الأطباء أن ذلك ليس من الطب، وكان في زمن نبينا عليه السلام الفصاحة والشعر، فجاءهم بقرآن عجز الفصحاء والشعراء عن إتيان مثله.

ثم قال تعالى: {إِنَّ فِي ذلك لأَيَةً لَّكُمْ} يعني فيما صنع عيسى عليه السلام علامة لنبوته {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي مصدقين أنه نبي، قرأ نافع: فيكون طائراً، وكذلك في سورة المائدة. وقرأ الباقون بغير ألف، ومعناهما واحد. ويقال: الطائر واحد، والطير جماعة. ثم قال: {وَمُصَدّقًا لّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التوراة} ومعناه جئتكم مصدقاً، يعني الكتاب الذي أنزل عليّ، وهو الإنجيل مُصَدِّقاً، أي موافقاً لما بين يدي من التوراة {وَلاِحِلَّ لَكُم} يعني أرخص لكم {بَعْضَ الذي حُرّمَ عَلَيْكُمْ} مثل الشحوم، ولحوم الإبل، ولحم كل ذي ظفر، وأما الميت، ولحم الخنزير، فهو حرام أبداً. قوله: {وَجِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعني أني لم أحل لكم شيئاً بغير برهان، فحقيق عليكم اتباعي، لأني أتيتكم ببرهان، وأتيتكم بتحليل الطيبات {فاتقوا الله} فيما أمركم ونهاكم {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم وأنهاكم، وأنصح لكم {إِنَّ الله رَبّى وَرَبُّكُمْ} هذا تكذيب لقول النصارى حيث قالوا: إن الله هو المسيح. وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فاعترف عيسى أنه عبد الله، وهو قوله تعالى: {إِنَّ الله رَبّى وَرَبُّكُمْ} أي خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم، فاعبدوه، أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً {هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} يعني هذا التوحيد الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم، لا عوج فيه، وهو طريق الجنة.

▲ تفسير الآيات رقم [52- 53]

{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)}

{فَلَمَّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكفر} قال الكلبي: فلما عرف منهم الكفر بالله. ويقال: فلما سمع منهم كلمة الكفر. وقال الزجاج: أحس في اللغة علم، ووجد. ويقال هل أحسست الخبر؟ أي هل عرفته وعلمته؟.

وقال مقاتل: فلما رأى من بني إسرائيل الكفر. كقوله عز وجل: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً} [مريم: 98] يعني هل ترى؟ ويقال: إنه لما علم عيسى أنهم أرادوا قتله {قَالَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى الله} يقول: من أعواني مع الله؟ قال القتبي: إلى هاهنا بمعنى مع مثل قوله، {وَءَاتُواْ اليتامى أموالهم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب وَلاَ تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: 2]، أي مع أموالكم، كما يقال: الذود إلى الذود إبل، أي مع الذود. فقال: {مَنْ أَنصَارِى إِلَى الله}؟ أي مع الله {قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله} قال الكلبي: الحواريون هم أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلاً. وقال مقاتل: كانوا قَصَّارين، فمر بهم عيسى عليه السلام وقال: من أنصاري إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار الله. ويقال: إنه مر بهم، وهم يغسلون الثياب. فقال لهم: إيش تصنعون قالوا: نطهر الثياب. فقال: ألا أدلكم بطهارة أنفع من هذا؟ قالوا: نعم. فقال: تَعَالَوْا حتى نطهرَ أنفسنا من الذنوب، فبايعوه. ويقال: إنهم كانوا صيادين، فمرَّ بهم. وقال: ألا أدلُّكم على اصطياد أنفعَ لكم من هذا؟ قالوا: نعم. فقال: تَعَالَوْا حتى نصطاد أنفسنا من شر إبليس، فبايعوه. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: إنما سُمُّوا حواريين لبياض ثيابهم، وكانوا صيّادين.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: »الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوارِيَّ من أُمَّتِي«، يعني به الخالص، فهذا يكون دليلاً لقول الكلبي: إنهم خواصه وأصفياؤه، ومعنى آخر نحن أنصار الله، يعني أنصار دين الله {بالله فَإِذَا} أي صدقنا بتوحيد الله {واشهد بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني أشهدنا، على ذلك، فاشهد يا عيسى بأنا مسلمون ثم قالوا: {رَبَّنَا ءامَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ} من الإنجيل على عيسى {واتبعنا الرسول} أي عيسى عليه السلام على دينه {فاكتبنا مَعَ الشاهدين} يعني اجعلنا مع من أسلم قبلنا، وشهدوا بوحدانيتك.

▲ تفسير الآية رقم [54]

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54)}

ثم قال تعالى حكاية عن كفار قومه: {وَمَكَرُواْ} يعني أرادوا قتل عيسى عليه السلام {وَمَكَرَ الله} تعالى، أي جازاهم جزاء المكر {والله خَيْرُ الماكرين} لأن مكرهم جَوْرٌ ومكر الله عَدْل. قال الكلبي: وذلك أن اليهود اجتمعوا على قتل عيسى، فدخل عيسى عليه السلام البيت هارباً منهم، فرفعه جبريل من الكوَّة إلى السماء. كما قال في آية أخرى، {وأيدناه بِرُوحِ القدس} فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه، فاقتله، فدخل الرجل الخوخة، فلم يجد هناك عيسى، وألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج رأوه على شبه عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى، فوقع بينهم قتال، فقتل بعضهم بعضاً، فلما خرجوا رأوه على بيت، فذلك قوله: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ الله والله خَيْرُ الماكرين} قال الضحاك: وكانت القصة أن اليهود خذلهم الله تعالى لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام اجتمع الحواريون في غرفة، وهم اثنا عشر رجلاً، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر إبليس جميع اليهود، فركب منهم أربعة آلاف رجل، فأحدقوا بالغرفة. فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج فَيُقْتَلُ وهو معي في الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا يا نبي الله، فألقى إليه مدرعة من صوف، وعمامة من صوف، وناوله عكازه، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه، وأما المسيح، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فطار في الملائكة.

▲ تفسير الآيات رقم [55- 57]

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)}

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الله ياعيسى إِنّي مُتَوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} ففي الآية تقديم وتأخير، ومعناه إني رافعك من الدنيا إلى السماء، ومتوفّيك بعد أن تنزل من السماء على عهد الدجال ويقال: إنه ينزل ويتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال، وتلد له ابنة، فتموت ابنته، ثم يموت هو بعدما يعيش سنين، لأنه قد سأل ربه أن يجعله من هذه الأمة، فاستجاب الله دعاه. وروي عن أبي هريرة أنه جاء إلى الكتاب، وقال للمعلم: قل للصبيان حتى يسكتوا، فلما سكتوا قال لهم: أيها الصبيان من عاش منكم إلى وقت نزول عيسى

عليه السلام فليقرئه مني السلام، وإني كنت أرجو أن لا أخرج من الدنيا حتى أراه هذا كناية عن قرب الساعة.

ثم قال: {وَمُطَهِّرُكَ} أي منجيك {مِنَ الذين كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الذين اتبعوك} على دينك {فَوْقَ الذين كَفَرُواْ} بالحجة والغلبة {إلى يَوْمِ القيامة}. وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال: الذين اتبعوه هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين صدّقوه.

ثم قال {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} يعني الذين اتبعوك، والذين كفروا كلهم مرجعهم إلي. {فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} يعني بين المؤمنين والكفار {فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين، ثم أخبر عن حال الفريقين في الآخرة فقال: {فَأَمَّا الذين كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدنيا والاخرة} في الدنيا بالقتل والجزية، وفي الآخرة بالنار {وَمَا لَهُم مّن ناصرين} يعني مانع يمنعهم من عذاب الله {وَأَمَّا الذين ءامَنُوا وَعَمِلُواْ الصالحات} قال مقاتل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم " فَيوفيهم أجورهم "

قرأ عاصم في رواية حفص، فيوفيهم بالياء، يعني يوفيهم أجورهم، وأما الباقون بالنون، يعني أن الله قال {فَيُوَفّيهِمْ أُجُورَهُمْ} وهذا لفظ الملوك، إنهم يتكلمون بلفظ الجماعة، ويقولون: نحن نفعل كذا وكذا، ونكتب إلى فلان، ونأمر بكذا، فالله تعالى خاطب العرب بما يفهمون فيما بينهم كما قال في سائر المواضع {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ} [القمر: 19] {إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَآ أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} [النساء: 105] وكذلك ها هنا قال: «فنوفيهم أجورهم» أي نعطيهم ثواب عملهم {والله لاَ يُحِبُّ الظالمين} أي لا يرضى دين الكافرين.

▲ تفسير الآية رقم [58]

{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآَيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)}

{ذلك نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيات والذكر الحكيم} يقول هذه الآيات، وهذه القصص بينات في القرآن. وأنزلنا عليك جبريل، ليقرأ عليك من الآيات يعني من البيان {والذكر الحكيم} يعني القرآن كله. وقال الكلبي: الذكر الحكيم الذي عند رب العالمين في درة بيضاء، وهو اللوح المحفوظ. ويقال هو القرآن، لأنه محكم ليس فيه تناقض، ولا يقدر أحد أن يأتي بمثله. ويقال: هو الشرف كقوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 44].

تفسير الآية رقم [59]

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)}

ثم قال: {إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله} نزلت في وفد نجران، السيد والعاقب، والأسقف، وجماعة من علمائهم وأحبارهم، قدموا على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وناظروه في أمر عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ»، فقالوا: أرنا خلقاً من خلق الله تعالى بغير أب، وَكَانَ يُحيي الموتى، وكان فيه دليل على ما قلنا، وكانوا يقولون: إنه اتخذه ابناً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسْلِمُوا» فقالوا: قد أسلمنا قبلك، فقال لهم: »كَذَبْتُمْ، إِنَّمَا يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإِسْلامِ ثَلاثٌ، أَكْلُ لَحمِ الخَنْزِيرِ، وَعِبَادَةُ الصَّلِيبِ، وَقَوْلُكُمْ: لله وَلَدٌ»، فقالوا له: من أبو عيسى؟ فنزل قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءادَمَ} يعني: شبه خلق عيسى عند الله كشبه خلق آدم {خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} يعني: صوّره من غير أب ولا أم {ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} فكان بشراً بغير أب، كذلك عيسى كان بشراً بغير أب، وفي هذه الآية دليل علمي أن الشيء يشبه بالشيء، وإن كان بينهما فرق كبير، بعد أن يجتمعا في وصف واحد، كما أن هاهنا خلق آدم من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب، وكان بينهما فرق من هذا الوجه، ولكن الشبه بينهما أنه خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقهما جميعاً كان من تراب، لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً، ثم جعله صلصالاً، ثم خلقه منه، فكذلك عيسى عليه السلام حوله من حال إلى حال، ثم خلقه بشراً من غير أب.

تفسير الآيات رقم [60- 61]

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)}

ثم قال تعالى: {الحق مِن رَّبّكَ} يعني خبر عيسى، كما أخبرتك وأنبأتك في القرآن {فَلاَ تَكُنْ مّن الممترين} أي من الشاكين. ويقال: المثل الذي ذكر في عيسى، هو الحق من ربك، وهذا الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمراد منه جميع من اتبعه، ومعناه فلا تكونوا من الممترين، أي من المشركين، يعني إن مثله كمثل آدم عليهما السلام {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ} وذلك أن النصارى لما أخبرهم بالمثل في حق عيسى عليه السلام قالوا ليس كما تقول، وهذا ليس بمثل، فنزلت هذه الآية {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ} يعني خاصمك في أمر عيسى عليه السلام {مّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلم} أي من البيان في أمره {فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ} أي نخرج أبناءنا وأبناءكم {و} نخرج {وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ} يعني نحن بأنفسنا، ويقال: إخواننا ونجتمع في موضع {ثُمَّ نَبْتَهِلْ} أي نلتعن. وقال مقاتل: يعني نخلص في الدعاء. ويقال: هي المبالغة في الدعاء والتضرع {فَنَجْعَل

لَّعْنَتُ الله عَلَى الكاذبين} فواعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا للملاعنة، فجعلوا وقتاً للخروج، وتفرقوا على ذلك، ثم ندموا، فلما كان ذلك اليوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ بيد الحسن والحسين، وخرج معه علي بن أبي طالب، وفاطمة، فلما اجتمعوا في الموضع الذي واعدهم، طلب منهم الملاعنة، فقالوا نعوذ بالله، فقال لهم: «إِمَّا أَنْ تُلْعَنُوا، وَإِمَّا أَنْ تُسْلِمُوا، وَإِمَّا أَنْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ»، فقبلوا الجزية، وصالحوه بأن يؤدوا كل سنة ألفي حلة، ألف حلة في المُحَرَّم، وألف حلة في رجب، وأَمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن الجراح، ورجعوا، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّهُمُ الْتَعَنُوا لَهَلَكُوا كُلُّهُمْ حَتَّى العَصَافِيرُ فِي سُقُوفِ الحِيطَانِ».

▲ تفسير الآيات رقم [62- 66]

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)}

ثم قال الله تعالى: {إِنَّ هذا لَهُوَ القصص الحق} يعني ما أُخْبِرُوا من أمر عيسى عليه السلام هو الخبر الحق يعني أنه كان عبد الله ورسوله. ويقال: هذا القرآن هو الحق {وَمَا مِنْ إله إِلاَّ الله} لا شريك له {وَإِنَّ الله لَهُوَ العزيز الحكيم} العزيز في ملكه، الحكيم في أمره حكم بخلق عيسى في بطن أمه من غير أب. {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يقول: أَبَوْا، ولم يسْلموا {فَإِنَّ الله عَلِيمٌ بالمفسدين} يجازيهم بذلك، وهذه كلمة تهديد {قُلْ ياأهل * أَهْلِ الكتاب **تَعَالَوْاْ إلى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} يعني كلمة عدل بيننا وبينكم. ويقال في قراءة عبد الله بن مسعود: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، يعني لا إله إلاَّ الله، وهي كلمة الإخلاص ويقال إلى كلمة تسوي بيننا وبينكم، فتصير دماؤكم كدمائنا، وأموالكم كأموالنا {أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله} يعني ألا نُوَحِّد إلا الله {وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً} من خلقه {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مّن دُونِ الله} لأنهم اتخذوا عيسى رباً من دون الله.

ويقال: لا يطيع بعضنا بعضاً في المعصية. كما قال: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله والمسيح ابن مَرْيَمَ وَمَآ أمروا إِلاَّ ليعبدوا إلها واحدا لاَّ إله إِلاَّ هُوَ سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة التوبة: 31] أي أطاعوهم في المعصية. ويقال: لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً. كما قالت النصارى: إن الله ثالثُ ثلاثة {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني أبوا عن التوحيد {فَقُولُواْ} لهم يا معشر المسلمين {اشهدوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} أي مخلصون لله بالعبادة والتوحيد {مُسْلِمُونَ ياأهل الكتاب لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إبراهيم} وذلك أن اليهود والنصارى كانوا اجتمعوا في بيت مدرسة اليهود، وكل فريق يقول كان إبراهيم منا، وكان على ديننا

فنزل {مُسْلِمُونَ ياأهل الكتاب لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إبراهيم} أي لِمَ تخاصمون في دين إبراهيم {وَمَا أُنزِلَتِ التوراة والإنجيل إِلاَّ مِن بَعْدِهِ} يعني من بعد إبراهيم عليه السلام ولكن اليهودية والنصرانية إنما سميت بهذا الاسم بعد نزول التوراة والإنجيل. وقال الكلبي: نزلت في شأن النفر الذين كانوا بالحبشة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فهم جعفر الطيار وغيره. كما قال الله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً} أي أطاعوهم في المعصية، وكانت بينهم، وبين أحبار الحبشة مناظرة في ذلك الوقت، فنزلت هذه الآية.

وقال الزجاج: هذه الآية أبين الحجج على اليهود والنصارى، بأن التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب، وهو قوله: {لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إبراهيم وَمَا أُنزِلَتِ التوراة والإنجيل إِلاَّ مِن بَعْدِهِ}، {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} يقول: أليس لكم ذهن الإنسانية أن تنظروا فيما تقولون {تَعْقِلُونَ هاأَنتُمْ هؤلاء حاججتم} يقول أنتم يا هؤلاء خاصمتم {فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ} في صفة محمد صلى الله عليه وسلم فتجدونه في كتبكم {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} يقول: ما ليس في كتابكم، وهو أمر إبراهيم عليه السلام {الله يَعْلَمُ} أن إبراهيم كان على دين الإسلام {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ذلك.

▲ تفسير الآية رقم [67]

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}

{وَمَا كَان إبراهيم يَهُودِيّا وَلاَ نَصْرَانِيّا} يقول: لم يكن إبراهيم عليه السلام على دين اليهودية ولا النصرانية {وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا} أي مخلصاً {وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} يعني ما كان أي لم يكن على دينهم. وقال الزجاج: الحنف في اللغة إقبال صدر القدمين إقبالاً لا رجوع فيها أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسلام، الإقبال والميل إليه، والإقامة على ذلك.

▲ تفسير الآية رقم [68]

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)}

ثم قال: {إِنَّ أَوْلَى الناس بإبراهيم} يقول: أحق الناس بدين إبراهيم {لَلَّذِينَ اتبعوه} واقتدوا به وآمنوا به {وهذا النبى} يعني هو على دينه ومنهاجه {والذين ءامَنُواْ} هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على دينه، {والله وَلِىُّ المؤمنين} في العَوْن والنُّصرة.

تفسير الآية رقم [69]

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69)}

{وَدَّت طَّائِفَةٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب} يعني أرادت، وتمنت جماعة من أهل الكتاب {لَوْ يُضِلُّونَكُمْ} أي يصرفونكم عن دين الإسلام {وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنفُسَهُمْ} أي وَبَالُ ذلك يرجع إلى أنفسهم. ويقال: وما يضلون إلا أنفسهم، أمثالهم كقوله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ ياقوم إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بَارِئِكُمْ فاقتلوا أَنفُسَكُمْ ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم} [سورة البقرة: 54] أي بعضكم بعضاً {وَمَا يَشْعُرُونَ} قال مقاتل: أي وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم. وقال الكلبي: وما يشعرون أن الله يَدُلُّ نبيَّه عليه السلام على ضلالتهم أي يُطْلِعُه.

تفسير الآيات رقم [70- 71]

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71)}

ثم قال: {ياأَهْلَ الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بأيات الله} يقول لم تجحدون بالقرآن {وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} أنه نبيّ الله، لأنهم كانوا يخبرون بأمره قبل مبعثه ويقال: بآيات الله، يعني بعجائبه ودلائله. ويقال: بآية الرجم ثم قال: {تَشْهَدُونَ ياأهل الكتاب لِمَ تَلْبِسُونَ الحق بالباطل} يقول لِمَ تخلطون الكفر بالإيمان؟ لأنهم آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه {وَتَكْتُمُونَ الحق} يعني بعث محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه حق، وأنه في التوراة.

تفسير الآيات رقم [72- 74]

{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)}

وَقَالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ} قال الكلبي: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَدِمَ المدينة، صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، فلما صرف الله نبيّه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، وقد كان صلى صلاة الصبح إلى بيت المقدس، وصلّى صلاة الظهر والعصر إلى الكعبة. فقال رؤساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وغيرهما للسفلة منهم، آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، صدقوه بالقبلة التي صلّى صلاة الصبح

في أول النهار وآمنوا به، وإنه الحق، {واكفروا ءاخِرَهُ} يعني اكفروا بالقبلة التي صلى إليها آخر النهار {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إلى قبلتكم ودينكم. وقال مقاتل: معناه أنهم جاؤوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار، ورجعوا من عنده، وقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة، ثم رجعوا في آخر النهار. فقالوا: قد نظرنا في التوراة، فليس هو إياه، يعنون أنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة، وأن يشككوا فيه فذلك قوله: {وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب ءامِنُواْ بالذي أُنزِلَ} يعني قالوا: لهم في أول النهار آمنوا به {واكفروا ءاخِرَهُ} يعني قالوا: في آخر النهار، واكفروا به {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي يشكون فيه فيرجعون.

ثم قال للسفلة: {وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه ولا تؤمنوا، أي لا تصدقوا، إلا لمن تبع دينكم، فإنه لن يُؤْتَى أَحَدٌ مثلَ ما أُوتِيتُمْ من التوراة، والمَنّ والسَّلوى، ولا تخبروهم بأمر محمد صلى الله عليه وسلم، فيحاجوكم عند ربكم، أي يخاصموكم، ويجعلوه حجة عليكم. فقالوا ذلك حسداً حيث كان النبيّ صلى الله عليه وسلم من غيرهم قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} وإن الفضل بيد الله، وهو قول مقاتل.

وقال الكلبي: بغير تقديم وتأخير، يقول: {وَلاَ تُؤْمِنُواْ}، أي ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وصلى إلى قبلتكم، {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} يقول: دين الله هو الإسلام. {أَن يؤتى أَحَدٌ مّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} يقول لن يعطى أحد مثل ما أوتيتم من دين الإسلام، والقرآن الذي فيه الحلال والحرام {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبّكُمْ} أي: لن يخاصمكم اليهود عند ربكم يوم القيامة، ثم قال {قُلْ} يا محمد {إِنَّ الفضل بِيَدِ الله} يعني النبوة، والكتاب والهدى، بيد الله، أي: بتوفيق الله، {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} يعني يوفق من يشاء، {والله واسع عَلِيمٌ}. يقول: واسع الفضل {عَلِيمٌ} بمن يؤتيه الفضل {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء} يعني بدينه يعطيه من يشاء من عباده {والله ذُو الفضل العظيم} أي ذو المن العظيم، لمن اختصه بالإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [75- 76]

{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)}

{وَمِنْ أَهْلِ الكتاب مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدّهِ إِلَيْكَ} قرأ أبو عمرو وحمزة يُؤَدِّهْ بجزم الهاء، وهي لغة لبعض العرب، واللغة المعروفة هي بإظهار الكسرة. قال مقاتل: يعني عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح إن الله تعالى ذكر أن أهل الكتاب فيهم أمانة، وفيهم خيانة وقال الضحاك: {وَمِنْ أَهْلِ الكتاب مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ} يعني به عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقيّة من الذهب، فأداها إليه،

فمدحه الله تعالى ويقال: إن نعت محمد صلى الله عليه وسلم أمانة، فمن كتمه، دخل تحت قوله {لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}، ومن لم يكتمه دخل تحت قوله {يُؤَدِّهِ}، ثم قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} وهو فنْخاص بن عازورا اليهودي، أودعه رجل ديناراً، فخانه. ويقال: {يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}، يعني النصارى كانوا أَلْيَنَ قُلوباً، يؤدون الأمانة، واليهود لا يؤدون الأمانة، فكانوا إذا أخذوا أمانات الناس، أو مال اليتامى، فكانوا يغتنمون ذلك، كما يفعل بعض أهل الإسلام إذا وقع في يده شيء من أموال المسلمين جعله كالغنيمة.

ثم قال تعالى: {إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} أي مُلِحّاً متقاضياً و{ذلك} يعني الاستحلال {بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الاميين سَبِيلٌ} يعني يقولون ليس علينا في مال العرب مأثم. ويقال: من لم يكن على ديننا، فَمَالُه لنا حلال، بمنزلة مذهب الخوارج أنهم يستحلون مال من كان على خلاف مذهبهم {وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب} وهم يعلمون، لأنهم كانوا يقولون إن ذلك حلال في التوراة، فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون على الله {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أن الله أمرهم بأداء الأمانة، وأخذ على ذلك ميثاقهم، فهذا قوله تعالى: {بلى مَنْ أوفى بِعَهْدِهِ} أي بعهد الله الذي أخذ عليهم بأداء الأمانة، وهي نعت محمد صلى الله عليه وسلم {واتقى} محارمه، هذا قول مقاتل وقال الكلبي: واتقى ظلم الناس {فَإِنَّ الله يُحِبُّ المتقين} عن نقض العهد.

▲ تفسير الآيات رقم [77- 78]

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)}

{إِنَّ الذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله} قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن عبدان بن الأشوع، وامرئ القيس بن عابس، ادّعى أحدهما على صاحبه حقاً، فأراد المدَّعى عليه أن يحلف بالكذب، فنزلت هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في شأن رؤساء اليهود، كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم، لأجل منافع الدنيا. ويقال: إن جماعة من علماء اليهود، قَدِموا المدينة من الشام ليُسلموا، فلقيهم كَعْب بن الأشرف فقال لهم: تعلمون أنه نبي؟ قالوا: نعم. فقال لهم كعب: حَرَّمْتُمْ على أنفسكم خيراً كثيراً، لأني كنت أردت أن أَبْعث لكم الهدايا. فقالوا: حتى ننظر في ذلك، فنظروا ثم رجعوا. فقالوا: ليس هو الذي وجدنا صفته، فأخذ منهم إقرارهم وخطوطهم وأَيْمَانهم على ذلك، ثم بعث إلى كل واحد منهم ثمانية أذرع من الكرباس، وخمسة أصوع من الشعير، فنزل في شأنهم {إِنَّ الذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأيمانهم ثَمَنًا قَلِيلًا} أي عرضاً يسيراً {أُوْلَئِكَ لاَ خلاق لَهُمْ فِى الاخرة} أي لا نصيب لهم في الآخرة {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله} وقال الزجاج: قوله {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله}، يحتمل معنيين؛ أحدهما إسماع كلام الله تعالى أولياءه، خصوصاً لهم، كما كلم موسى

خصوصية له دون البشر، ويجوز أن يكون تأويله للغضب عليهم، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، ولا ينظر إليه، أي هو غضبان عليه، وإن كان هو يكلمه بكلام السوء، فذلك معنى قوله لا يكلمهم، أي بكلام الرحمة {وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القيامة} بالرحمة {وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ثم قال {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا} يعني طائفة من اليهود، وهذه اللام لزيادة تأكيد على تأكيد {يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بالكتاب} أي يحرفون ألسنتهم بالكتاب، يعني بنعت محمد صلى الله عليه وسلم ويغيرونه، ويقال: يغيرونه في التلاوة فيقرؤونه على خلاف ما في التوراة. ويقال: يحرفون تأويله على خلاف ما فيه {لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكتاب} أي من التوراة {وَمَا هُوَ مِنَ الكتاب} أي من التوراة، بل هم كتبوا وهم تأوّلوا {وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ الله} أي ليس هو من عند الله {وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنه كذب.

تفسير الآيات رقم [79- 80]

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)}

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ الله الكِتَاب} أي التوراة والإنجيل {والحكم} يعني الفهم {والنبوة} وهو عيسى ابن مريم عليهما السلام {ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ} ما جاز له أن يقول للناس: {كُونُواْ عِبَادًا لّى مِن دُونِ الله} ويقال: إن اليهودَ والنصارى اختلفوا فيما بينهم، فجاء الفريقان جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال كل فريق: نحن أولى بإبراهيم عليه السلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّكُمْ عَلَى الخَطَأ " فغضبوا. وقالوا: والله ما تريد إلا أن نتخذك حَنَّاناً، أي معبوداً، فأنزل الله تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ الله الكتاب}، يعني القرآن والحكم، يعني الحلال والحرام والنبوة، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله {ولكن} يقول لهم {كُونُواْ ربانيين} أي متعبدين ويقال كونوا علماء فقهاء.

قال الزجاج: الربانيون أرباب العلم، والبيان، أي كانوا علماء {بِمَا كُنتُمْ تُعَلّمُونَ الكتاب} أي كونوا عاملين بما كنتم تعلمون، لأن العالم إنما يقال له عالم إذا عمل بما علم، وإن لم يعمل بعلمه، فليس بعالم، لأن من ليس له من علمه منفعة، فهو والجاهل سواء ثم قال: {وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} يقول بما كنتم تقرؤون يعني كونوا علماء بذلك عاملين به. قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو «بما كنتم تَعْلَمُون» بنصب التاء والتخفيف، يعني يُعَلِّمكم الكتاب ودراستكم والباقون بضم التاء والتشديد يعني تُعَلِّمُون غيركم فإنما يأمركم بذلك {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الملائكة والنبيين أَرْبَابًا} يعني عيسى وعُزَيراً والملائكة صلوات الله عليهم، ولو أمركم بذلك لَكَفَر، وتنزع النبوة منه {أَيَأْمُرُكُم بالكفر} يعني

بعبادة الملائكة {بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} أي مخلصون بالتوحيد لله. قرأ عاصم وحمزة وابن عامر: ولا يَأْمُرَ بنصب الراء ينصرف إلى قوله {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ اللهِ}، فيصير نصباً بأن، والباقون ولا يأمرُكم بضم الراء على معنى الابتداء.

تفسير الآية رقم [81]

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)}

ثم قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين} يعني الميثاق حيث أخرجهم من صُلْبِ آدم عليه السلام وَأَخَذَ عليهم الميثاق العهد أن يبلغ الأول الآخر، وأن يصدق الآخر الأول، فذلك قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين} يعني إقرار النَّبِيِّين {لَمَا ءاتَيْتُكُم} قرأ حمزة لِمَا آتيتكم بكسر اللام والتخفيف، يعني بما آتيتكم، والباقون بنصب اللام، ومعناه فما آتيتكم يعني، أي كتاب آتيتكم لتؤمنوا به. وقرأ بعضهم بنصب اللام والتشديد، أي حين آتيتكم {مّن كتاب وَحِكْمَةٍ} يعني بيان الحلال والحرام. وقرأ نافع آتيناكم بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك، والباقون آتيتكم بلفظ الوحدان. ويقال: أخذ الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيّاً، إلا ذكر له محمداً صلى الله عليه وسلم ونعته، وأخذ عليه ميثاقه أن يبينه لقومه، وأن يأخذ منهم ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، ولا يكتمونه {ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ} يعني به أهل الكتاب، الذين كانوا في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم {مُّصَدّقٌ لّمَا مَعَكُمْ} في التوحيد وبعض الشرائع، وذلك أن الله تعالى لما أخذ ميثاق الأنبياء، وأخذ الأنبياء الميثاق من قومهم بأن يبينوه، فلما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة، فكذبوه فذكرهم الله تعالى ما أتاهم به أنبياؤهم فقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين لَمَا ءاتَيْتُكُم مّن كتاب وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ} يعني محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم من التوراة {لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ} يعني قال لهم في الميثاق: لتؤمنن به أي لتصدقنه إذا بُعث {وَلَتَنصُرُنَّهُ} إذا خرج {قَالَ} لهم {ءأَقْرَرْتُمْ} بتصديقه، يعني: هل أقررتم بما أخذ عليكم من الميثاق بتصديقه ونصره؟ {وَأَخَذْتُمْ على ذلكم إِصْرِى} يعني: هل قبلتم على ذلك عهدي الذي أخذت عليكم على إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ {قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ} الله تعالى {فَأَشْهِدُواْ} بعضكم على بعض بأني قد أخذت عليكم العهد {وَأَنَاْ مَعَكُمْ مّنَ الشاهدين} على إقراركم.

قال الزجاج: قوله فاشهدوا، أي فاثبتوا، لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي، {وَأَنَاْ مَعَكُمْ مّنَ الشاهدين}، وشهادة الله للنبيين تبيينه أمر نبوتهم بالآيات المعجزات. وقال القتبي: أصل الإصر الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه يمنع صاحبه عن مخالفة الأمر الذي أخذ عليه فثقل.

تفسير الآيات رقم [82- 83]

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)}

قوله تعالى: {فَمَنْ تولى بَعْدَ ذلك} أي أعرض عن الإيمان، وعن البيان بعد ذلك الإقرار والعهد قوله: {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون} أي الناقضون للعهد، ويقال: هم العاصون، وأصل الفسق الخروج من الطاعة كقوله تعالى: {وَإِذَا قُلْنَا للملائكة اسجدوا لآِدَمَ فسجدوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجن فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ للظالمين بَدَلاً} [سورة الكهف: 50] أي خرج عن طاعة ربه وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ} قال الكلبي: وذلك أن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. فقالوا: أينا أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِ» فقالوا: ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزل قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ} أي يطلبون، قرأ عاصم في رواية حفص {يَبْغُونَ} {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} كلاهما بالياء. وقرأ أبو عمرو يبغون بالياء، وإليه ترجعون بالتاء، وقرأ الباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة، فمن قرأ بالياء، يعني أفغير دين الله يطلبون من عندك، ومن قرأ بالتاء يعني أفغير دين الله تطلبون، {وَلَهُ أَسْلَمَ}، أي أخلص وخضع {مَن فِى السموات والارض طَوْعًا وَكَرْهًا}.

قال الكلبي: أما أهل السموات، فأسلموا لله طائعين، وأما أهل الأرض، فمن ولد في الإسلام أسلم طوعاً، ومن أبى قُوتِل حتى دخل في الإسلام كرهاً، وما أفاء الله عليهم مما يسبون، فيجاء بهم في السلاسل، فيكرهون على الإسلام. وقال مجاهد: يسجد ظل المسلم ووجهه طائع، ويسجد ظل الكافر، وهو كاره. وقال مقاتل: وله أسلم من في السموات، يعني الملائكة والأرض، يعني المؤمنين طوعاً وكرهاً، يعني أهل الأديان يقولون الله ربكم وخالقكم، فذلك إسلامهم، وهم مشركون معنى قوله: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السموات والارض} يعني خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم، لا يمتنع ممتنع من جبلة ما جبل عليها، ولا يقدر على تغيير ما خلق عليها طوعاً وكرهاً. ثم قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} كما خلقكم، أي كما بدأكم فلا تقدرون على الامتناع، كذلك يبعثكم كما بدأكم. قرأ عاصم في رواية حفص يرجعون، وقرأ الباقون بالتاء.

تفسير الآية رقم [84]

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)}

ثم قال: {قُلْ ءامَنَّا بالله} خاطب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأراد به أمته فقال: قل للمؤمنين إن لم يؤمن أهل الكتاب فقولوا أنتم آمنا بالله {وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ والاسباط وَمَا أُوتِىَ موسى وعيسى والنبيون مِن رَّبّهِمْ لاَ} وقد ذكرناه في سورة البقرة.

تفسير الآية رقم [85]

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)}

قوله {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا} قال الكلبي: نزلت في شأن مرثد بن أبي مرثد، وطُعْمَة بن أَبَيْرِق، ومقيس بن صبابة، والحارث بن سُوَيد، وكانوا عشرة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر. وقال الضحاك: يعني لا يقبل من جميع الخلق من أهل الأديان ديناً غير دين الإسلام، ومن يتدين غير الإسلام ديناً {فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} أي من المغبونين، لأنه ترك منزله في الجنة، واختار منزله في النار.

تفسير الآيات رقم [86- 91]

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)}

{كَيْفَ يَهْدِى الله قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إيمانهم وَشَهِدُواْ أَنَّ الرسول حَقٌّ وَجَاءهُمُ البينات} أي بعدما ظهر لهم العلامات {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} فإن قيل في ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه، لا يهديه الله، ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا كثيراً من المرتدين، أسلموا وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُقْبِلُون إلى الإسلام، فأما إذا جاهدوا، وقصدوا الرجوع، وفقهم الله لذلك لقوله: {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [سورة العنكبوت: 69] وتأويل آخر: {كَيْفَ يَهْدِى الله} يقول: كيف يرشدهم إلى الجنة؟ كما قال في آية: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً} [النساء: 168] ويقال: كيف يرحمهم الله وينجيهم من العقوبة؟ ويقال: كيف يغفر الله لهم؟ وقالت المعتزلة: كَيْفَ يَهْدِي الله؟ معناه: كيف يكونون مهتدين، لأنهم لا يرون الهداية، والاهتداء في الابتداء إلا على سبيل الجزاء، ويرون ذلك من كسب العبد. ثم

قال: {أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ} يعني أهل هذه الصفة التي ذكر {أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ الله} أي سخط الله. ويقال: الطرد والتبعيد من رحمة الله والخذلان. ويقال: يلعنهم بالقول: {والملئكة} يعني عليهم لعنة الله والملائكة {والناس أَجْمَعِينَ} إذا لعن رجل رجلاً، فإن لم يكن أَهْلاً لذلك، رجعت اللعنة إلى الكفار، ويقال: من لم يكن على دينهم، يلعنهم في الدنيا، ومن كان على دينهم، يلعنهم في الآخرة. لقوله تعالى: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم مِّن دُونِ الله أوثانا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الحياة الدنيا ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النار وَمَا لَكُمْ مِّن ناصرين} [سورة العنكبوت: 25] فذلك قوله تعالى: {والناس أَجْمَعِينَ}.

ثم قال تعالى: {خالدين فِيهَا} يعني في اللعنة فيما توجبه اللعنة، وهو عذاب النار خالدين فيها {لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب} أي لا يهون عليهم العذاب {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} أي لا يؤجلون. ثم استثنى التوبة فقال تعالى: {إِلاَّ الذين تَابُواْ مِن بَعْدِ ذلك وَأَصْلَحُواْ} يقول: من بعد الكفر، وأصلحوا أعمالهم بالتوبة. ويقال: أصلحوا لمن أفسدوا من الناس {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لما كان منهم في الكفر رحيم بهم بعد التوبة. قال الكلبي ومقاتل لما نزلت هذه الآية، أي الرخصة بالتوبة، كتب أخو الحارث بن سُوَيْد، إلى الحارث: إن الله قد عرض عليكم التوبة، فرجع وتاب. وبلغ ذلك إلى أصحابه الذين بمكة، فقالوا: إن محمداً تتربص به ريب المنون. فقالوا: نقيم بمكة على الكفر، متى بدا لنا الرجعة رجعنا، فينزل فينا ما نزل في الحارث، فتقبل توبتنا فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بَعْدَ إيمانهم ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا} أي ثبتوا على كفرهم بقولهم: نقيم بمكة ما بدا لنا {لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} ما أقاموا على الكفر.

قال الزجاج: كانوا كلما نزلت آية كفروا بها، فكان ذلك زيادة كفرهم. وقوله: {لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}، أي توبتهم الأولى، وحبط أجر عملهم. ويقال: {لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}، معناه أنهم لن يتوبوا. كما قال: {واتقوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شفاعة وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} [سورة البقرة: 48]، أي لا يشفع لها أحد، ثم قال تعالى: {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضالون} عن الإسلام، وهم الذين لم يتوبوا {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مّلْء الارض ذَهَبًا وَلَوِ افتدى بِهِ} قال الكلبي: يعني وزن الأرض ذهباً.

وقال مقاتل: إن الكافر إذا عاين النار في الآخرة، يتمنى أن يكون له الأرض ذهباً، فيقدر على أن يفتدي به نفسه من العذاب، لافتدى به ولو افتدى به ما تقبل منه، {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، ونظيرها في سورة المائدة {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الارض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القيامة مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 36]. قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مّن ناصرين} الآية.

▲ تفسير الآية رقم [92]

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)}

{لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} قال ابن عباس في رواية أبي صالح أنه قال لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، أي حتى تخرجوا أموالكم طيبة بها أنفسكم. وقال مقاتل: يعني لن تنالوا التقوى، حتى تنفقوا مما تحبون من الصدقة، أي بعض ما تحبون من الأموال {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَئ} يعني الصدقة وصلة الرحم {فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} أي لا يخفى عليه، فيثيبكم عليه. ويقال: لن تنالوا البر حتى تستكملوا التقوى. ويقال: لا تكونوا بارين، حتى تنفقوا مما تحبون، أي من الصدقة، أي بعض ما تحبون من الأموال.

وروي عن عمر بن عبد العزيز، أنه كان يشتري أعدالاً من السُّكَّر، ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصدقت بثمنه؟ فقال: لأنَّ السُّكَّر أَحبّ إِليَّ، فأردت أن أتصدق مما أحب.

وروي عن عبد الله بن عمر أنه اشترى جارية جميلة، وكان يحبها، فمكثت عنده أياماً، ثم أعتقها وزوجها من رجل، فَوُلِد لها ولد، فكان يأخذ ولدها، ويضمّه إلى نفسه. ويقول: أشم منك ريح أمك. فقيل له: قد رزقك الله من حلال، وأنت تحبها، فلم تركتها؟ فقال: ألم تسمع هذه الآية: {لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ في مصحف مذهب، فلما انتهت إلى هذه الآية باعته، وتصدقت بثمنه.

صفحه 9

▲ تفسير الآية رقم [93]

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)}

قوله تعالى: {كُلُّ الطعام كَانَ حِلاًّ لّبَنِى إسراءيل} قال في رواية الكلبي: خرج يعقوب إلى بيت المقدس، فلقيه ملك في الطريق، فظن يعقوب أنه لص، فعالجه، فغمز الملك رجل يعقوب، فهاج به عرق النساء، فنذر أن يحرم أحب الطعام إليه إن برأ من ذلك لما رأى فيه من الجهد. فلما برأ كان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وألبانها، فحرمها على نفسه. فقالت اليهود: هذا التحريم من الله تعالى في التوراة، فنزل قوله تعالى: {كُلُّ الطعام كَانَ حِلاًّ لّبَنِى إسراءيل} أي كان حلالاً، إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ثم قال: {إِلاَّ مَا حَرَّمَ إسراءيل على نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التوراة} وليس تحريمها في التوراة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} لليهود {فَأْتُواْ بالتوراة فاتلوها} يعني اقرؤوها {إن

كُنتُمْ صادقين} بأن تحريمها في التوراة، لأنهم كانوا يقولون: إن ذلك حرام من وقت نوح، وأنت وأصحابك تستحلونها. وقال الضحاك: إن يعقوب لما أصابه عرق النساء، أمره الأطباء أن يتجنب لحوم الإبل، فحرم على نفسه لحوم الإبل. فقالت اليهود: حرَّمْناها على أنفسنا، لأن يعقوب حرّمها على نفسه، فنزل تحريمها في التوراة، فنزلت الآية ويقال معناه كل طعام هو حلال لأمتك، مثل ما كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، وبعضها حُرّم عليهم بذنوبهم. وقال الزجاج: هذه الآية أعظم دليل لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبرهم بأنه ليس في كتابهم، وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة، فأبوا وعرفوا أنه قال ذلك بالوحي.

تفسير الآيات رقم [94- 95]

{فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)}

ثم قال تعالى: {فَمَنِ افترى عَلَى الله الكذب} يعني اختلق على الله الكذب {مِن بَعْدِ ذلك} البيان في كتابهم {فَأوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني يظلمون أنفسهم {قُلْ صَدَقَ الله} أن تحريمه ليس في التوراة. ويقال: قُلْ صَدَقَ الله، حين قال: {مَا كَانَ إبراهيم يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} [آل عمران: 67] {فاتبعوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً} أي مخلصاً مستقيماً، وكلوا لحوم الإبل وألبانها، كما أكلها إبراهيم، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً بأهوائكم {وَمَا كَانَ} إبراهيم {مِنَ المشركين} يعني على دينهم.

تفسير الآيات رقم [96- 97]

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)}

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ} قال مقاتل يعني أول مسجد وضع للناس، أي للمؤمنين. ويقال: أول موضع خلق، هو موضع الكعبة للناس، أي قبلة للناس {لَلَّذِى بِبَكَّةَ} قال الكلبي: إنما سمي بكة، لأن الناس يبك بعضهم بعضاً، أي يزدحم.

وقال الزجاج: بكة موضع البيت، وسائر ما حواليه مكة. وقال القتبي: بكة ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم. كما يقال سمد رأسه وسبده إذا استأصله، أي قلع بأصله. ويقال: بكة موضع المسجد، ومكة البلد حوله. ثم قال تعالى: {مُبَارَكاً} أي فيها بركة ومغفرة للذنوب {وَهُدًى للعالمين} يعني قبلة لمن صلّى إليها، وذلك أن اليهود قالوا

للمؤمنين: لم عمدتم إلى الحجارة تطوفون بها وتصلون إليها؟ وجعلوا يعظمون بيت المقدس، فنزلت هذه الآية.

وروى الكلبي أن آدم عليه السلام بنى البيت، فلما كان زمان الطوفان، رفع إلى السماء السادسة بحيال الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لم يدخلوه قط قبله. ويقال: أنزل من السماء، وهو من ياقوتة حمراء، فلما كان زمان الطوفان، رفع إلى السماء الرابعة. ثم قال تعالى: {فِيهِ ءايات بينات} يعني علامات واضحات كالحجر الأسود والحطيم {مَّقَامِ إبراهيم}.

وروي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقرأ فيه آية بينة مقام إبراهيم. وقرأ غيره آيات بينات مقام إبراهيم، ومعناه من تلك الآيات مقام إبراهيم {وَمَن دَخَلَهُ} يعني الحرم {كَانَ ءامِناً} يعني أن من دخل فيه، فإنه لا يهاج منه إذا وجب عليه القتل خارج الحرم {وَللَّهِ عَلَى الناس حِجُّ البيت} قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حِجُّ بكسر الحاء، والباقون بالنصب، وهما لغتان ومعناهما واحد. {مَنِ استطاع إِلَيْهِ سَبِيلاً} أي بلاغاً والاستطاعة هي الزاد والراحلة وتخلية الطريق. ويقال: ولله على الناس فريضة حج البيت. ثم قال: {وَمَن كَفَرَ} يعني ومن لم يرَ الحج واجباً فقد كفر، فذلك قوله {وَمَن كَفَرَ}. {فَإِنَّ الله غَنِىٌّ عَنِ العالمين} يعني غني عمن حج، وعمن لم يحج.

قال الفقيه: حدّثني أبي قال: حدّثني أبو بكر المعلم قال: حدثنا أبو عمران الفارابي قال: حدّثنا عبد الرحمن بن حبيب قال: حدثنا داود بن المحبر قال: حدّثنا عباد بن كثير عن عبد خير عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته: «أَيُّها النَّاسُ إنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ الحَجَّ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إليهِ سَبِيلاً، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلْيَمُتْ عَلَى أَيِّ حَالٍ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً أَوْ مَجُوسِيّاً، إلاَّ أَنْ يَكُونَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ مَنْعٌ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، ألا لا نَصِيبَ لَهُ مِنْ شَفَاعَتِي، وَلا يَرِدُ حَوْضِي «

وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السَّبِيلُ الزَّادُ والرَّاحِلَةُ» وكذلك روي عن ابن عباس. وقال مجاهد: مقام إبراهيم أثر قدميه.

▲ تفسير الآيات رقم [98- 99]

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)}

ثم قال: {قُلْ ياأهل الكتاب} يعني اليهود والنصارى {لِمَ تَكْفُرُونَ بئيات الله} يعني لم تكفرون بالحج والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم، {والله شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} من

الجحود والكفر {قُلْ ياأهل الكتاب لَمَ تَصُدُّونَ} يقول: لم تصرفون الناس {عَن سَبِيلِ الله} أي عن دين الله الإسلام والحج {تَبْغُونَهَا عِوَجاً} أي تطلبونها تغيراً وزيناً {وَأَنْتُمْ شُهَدَاء} أن ذلك في التوراة {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته. ويقال في اللغة ما كان ينتصب انتصاب العود والحائط يقال: عوج بالنصب، وما لم ينتصب مثل الأرض والكلام. ويقال: عوج كما قال تعالى: {لاَّ ترى فِيهَا عِوَجاً ولا أَمْتاً} [طه: 107] وقال تعالى: {ولم يجعل له عوجاً. قيماً} [طه: 107] وقال تعالى: {الحمد لِلَّهِ الذى أَنْزَلَ على عَبْدِهِ الكتاب وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المؤمنين الذين يَعْمَلُونَ الصالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف: 1/ 2].

▲ تفسير الآيات رقم [100- 101]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)}

ثم قال تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً} يقول طائفة {مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب} وهم رؤساء اليهود {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمانكم كافرين} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، لأنهم كانوا يدعون إلى الكفر، واتباع مذهبهم، وكان يتبعهم بعض المنافقين، فنهى الله تعالى المؤمنين عن متابعتهم. ثم قال تعالى على وجه التعجب: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} يقول: كيف تجحدون بوحدانية الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن؟ {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تتلى عَلَيْكُمْ} يقول: يُقْرَأُ عليكم القرآن، وفيه دلائله وعجائبه، {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} يعني معكم محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الزَّجاج: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم، وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة، لأن آثاره وعلاماته، والقرآن الذي أتى به فينا فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، وإن لم نشاهده. ثم قال عزّ وجلّ: {وَمَن يَعْتَصِم بالله} يقول: يتمسك بدين الله {فَقَدْ هُدِىَ إلى صراط مّسْتَقِيمٍ} يقول وفق وأرشد من الضلالة {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني الطريق الذي يسلك به إلى الجنة، وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [102- 107]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

أَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107)}

{مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ} يقول: أطيعوا الله حق طاعته، وحق طاعته أن يطاع فلا يعصى طرفة عين، وأن يشكر فلا يكفر طرفة عين، وأن يذكر فلا ينسى طرفة عين، فشقّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: {فاتقوا الله مَا استطعتم واسمعوا وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لأَّنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ المفلحون} [التغابن: 16] فنسخت هذه الآية. هكذا قال الكلبي والضحاك ومقاتل، وغيرهم من المفسرين: إن هذه الآية منسوخة. وقال بعضهم: لا يجوز أن يقال هذه الآية منسوخة، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بشيء لا يطيقونه، ولكن الجواب أن يقال عن هذا إنهم يطيقونه، ولكن تلحقهم مشقة شديدة، ولأن ذلك مجهود الطاقة، ولا يستطيعون الدوام عليه، والله تعالى لا يكلف عباده إلا دون ما يطيقون، فخفَّف عنهم بقوله تعالى: {فاتقوا الله مَا استطعتم واسمعوا وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لأَّنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ المفلحون} [التغابن: 16] ولم ينسخ آخر الآية أولها، وهو قوله تعالى: {وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} يعني اثبتوا على الإسلام، وكونوا بحال يلحقكم الموت، وأنتم على الإسلام {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً} يقول: تمسَّكوا بدين الله وبالقرآن. ويقال: تمسكوا بسبيل السنة والهدى، {وَلاَ تَفَرَّقُواْ}. يقول: ولا تختلفوا في الدين، كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء ويقال {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً} يعني: اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة. ويقال: {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً} ، يعني ما اشتبه عليكم، فردوه إلى كتاب الله كقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول وَأُوْلِى الامر مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَئ فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر ذلك خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59] وقال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنه أن يخرج منها والنجاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وثيق، وهو كتاب الله تعالى.

ثم ذكَّرهُم نعمته فقال تعالى: {اذكروا} نعمتي واحفظوا {نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} الإسلام {إِذْ كُنتُم أَعْدَاء} في الجاهلية {فَأَلَّفَ} الله {بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} يعني جمع بين قلوبكم بالإسلام تودُّداً {فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} يقول: فصرتم بنعمة الإسلام {إِخْوَانًا} في الدين، وكل ما ذكر في القرآن أصبحتم، معناه صِرْتم، كقوله: {أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهف: 41] أي صار ماؤكم غوراً، وهذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، كان بينهم قتال قبل الإسلام بأربعين عاماً، حتى كادوا أن يتفانوا، فلما بُعث النبيّ صلى

الله عليه وسلم بمكة آمن به الأوس والخزرج، وهم بالمدينة، ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، قبل أن يهاجر منهم سبعون رجلاً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه عمه العباس حتى أتى إلى العقبة إلى سبعين رجلاً من الأنصار فعاهدوه ثم رجعوا إلى المدينة، وهاجر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إليهم بعد الحولين، فوقعت بين الأوس والخزرج أُلْفَةٌ، وزالت عنهم العداوة التي كانت بينهم في الجاهلية بالإسلام، وهذا كما ذكر في آية أخرى:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الارض جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63].

وروي عن جابر بن عبد الله أن رجلين من الأنصار: أحدهما من الأوس، والآخر من الخزرج، تفاخرا فيما بينهما، واقتتلا، فاستعان كل واحد منهما بقومه، فاجتمعت الأوس والخزرج، وأخذوا السلاح، وخرجوا للحرب، فبلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم في ثلاثين من المهاجرين، وهو راكب على حمار له قال جابر: فما كان من طالع يومئذ أكرم إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ طلع علينا، فأومأ إلينا بيده، فكففنا، ووقف بيننا على حمار له فقال: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ} إلى قوله: {واذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ}. إلى قوله: {عَذَابٌ عظِيمٌ} فألقوا السلاح وأطفؤوا الحرب التي كانت بينهم، وعانق بعضهم بعضاً يبكون، فما رأيت الناس أكثر باكياً من يومئذ، فلم يكن في الأرض شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية.

ثم قال تعالى: {وَكُنتُمْ على شَفَا حُفْرَةٍ مّنَ النار} قال القتبي: أشفى على كذا إذا أشرف عليه {شَفَا حُفْرَةٍ}، أي حرف حفرة، ومعناه وكنتم في الجاهلية على هلاك بالشرك من مات في الجاهلية كان في النار {فَأَنقَذَكُمْ مّنْهَا} بعدما كنتم على حرف من النار {كَذَلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياته} يعني علاماته حيث كنتم أعداء في الجاهلية إخواناً في الإسلام {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أي لكي تهتدوا من الضلالة، وتعرفوا علامته بهذه النعمة {وَلْتَكُن مّنْكُمْ أُمَّةٌ} فهذه لام الأمر كقوله: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحى إِلَيَّ أَنَّمَآ إلهكم إله وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا} [الكهف: 110] يعني لتكن منكم أمة.

قال الكلبي: يعني جماعة. وقال مقاتل: يعني عصبة وقال الزجاج ولتكونوا كلكم أمة واحدة تدعون إلى الخير ومن هاهنا لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، وهي مؤكدة كقوله تعالى: {ذلك وَمَن يُعَظِّمْ حرمات الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الانعام إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ فاجتنبوا الرجس مِنَ الاوثان واجتنبوا قَوْلَ الزور}

[الحج: 30] وقوله: {يَدْعُونَ إِلَى الخير} يعني إلى الإسلام. ويقال: إلى جميع الخيرات {وَيَأْمُرُونَ بالمعروف} قال الكلبي: يعني باتباع محمد صلى الله عليه وسلم {وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر} يعني الجبت والطاغوت. ويقال: المنكر، يعني العمل الذي بخلاف الكتاب والسنة. ويقال: ما لا يصلح في العقل.

وروي عن سفيان الثوري أنه قال إنما يجب النهي عن المنكر إذا فعل فعلاً يخرج عن الاختلاف، أي اختلاف العلماء. ويقال: إنما أمر بعض الناس بقوله، {وَلْتَكُن مّنْكُمْ أُمَّةٌ}، ولم يأمر جميع الناس، لأن كل واحد من الناس لا يحسن الأمر بالمعروف، وإنما يجب على من يعلم. ويقال: إن الأمراء، يجب عليهم الأمر والنهي باليد، والعلماء باللسان، والعوام بالقلب، وهنا كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا رَأَى أَحَدٌ مُنْكَراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلك أَضْعَفُ الإيمانِ «

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: بحسب امرئ إذا رأى منكراً، لا يستطيع النكير أن يعلم الله من قلبه أنه كاره. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكراً، لا يستطيع النكير عليه، فليقل ثلاث مرات: اللهم إِنَّ هذا منكر، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه.

ثم قال تعالى: {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم الناجون. ويقال: فازوا بالنعيم. ثم قال: {وَلاَ تَكُونُواْ} في الاختلاف {كالذين تَفَرَّقُواْ} وهم اليهود والنصارى {واختلفوا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ البينات} فافترقت اليهود فرقاً والنصارى فرقاً، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، ثم خوفهم فقال: {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} يعني دائم لا يرفع عنهم أبداً، يعني الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، أي العلامات في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان الطريق.

ثم بَيَّن منازل الذين تفرقوا، والذين لم يتفرقوا فقال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم. ويقال: إن ذلك عند قوله تعالى: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59] تكون وجوه المؤمنين مُبْيَضّة، ووجوه الكفار مُسْوَدَّة. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه، فرأى في كتابه حسناته، استبشر وابيضّ وجهه، وإذا قرأ المنافق والكافر كتابه، فرأى فيه سيئاته، اسودّ وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان، إذا رجحت حسناته ابيضّ وجهه، وإذا رجحت سيئاته اسودّ وجهه. ويقال: إذا كان يوم القيامة يؤمر كل قوم بأن يجتمعوا إلى معبودهم، فإذا انتهوا إليه حزنوا، واسودّت وجوههم، فيبقى المؤمنون، وأهل الكتاب والمنافقون، فيقول الله تعالى للمؤمنين: من ربكم؟ فيقولون: ربنا الله عزّ وجلّ.

فيقول لهم: أتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: سبحانه إذا عرفنا، عرفناه فيرونه كما شاء الله، فيخر المؤمنون سجداً لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، وبقي المنافقون

وأهل الكتاب، لا يقدرون على السجود، فحزنوا واسودّت وجوههم، فذلك قوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}. {فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم} يعني يقال لهم: أكفرتم؟ ولكن حُذِفَ القول، لأن في الكلام دليلاً عليه بعد إيمانكم، يعني يوم الميثاق. قالوا: بَلَى، يعني المرتدين والمنافقين. ويقال هذا لليهود، وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم، قبل أن يُبْعث، فلما بُعث كفروا به. وقال أبو العالية: هذا للمنافقين خاصة. يقول: أكفرتم في السرّ بعد إيمانكم، أي مع إقراركم في العلانية {فَذُوقُواْ العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا عباد بن الوليد قال: حدّثنا محمد بن عباد البنائي قال: حدّثنا حميد بن الخياط قال: سألت أبا العالية عن هذه الآية: {فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم} فقال: حدّثنا أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّهُمُ الخَوَارِجُ» وسألته عن قوله: {لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ} [آل عمران: 118] قال: إنهم الخوارج قوله: {وَأَمَّا الذين ابيضت وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ الله} أي في جنة الله قال الزجاج: يعني في الجنة التي صاروا إليها برحمة الله تعالى، لأن الجنة تُنَالُ برحمته، ولا تُنَال بالجهد، وإن اجتهد المجتهد، لأن نعمة الله تعالى لا يكافئها عمل، ففي رحمة الله أي في ثواب الله {وَهُمْ فِيهَا خالدون} أي دائمون.

تفسير الآيات رقم [108- 109]

{تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109)}

تلك آيات الله} يعني القرآن {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ} يعني ننزل جبريل فيقرأ عليك {بالحق} أي بالصدق. وقال الزجاج: تلك آيات الله أي تلك التي جرى ذكرها، حجج الله وعلاماته {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ}، أي نعرّفك إياها {وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً للعالمين} يعني لا يعذبهم بغير ذنب {وَللَّهِ مَا فِى *** السموات والارض} قال بعضهم: هذا معطوف على الأول، كأنه يقول: {وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً للعالمين} لأنهم كلهم عبيده ومخلوقه ومرزوقه، فلا يريد ظلمهم. وقال بعضهم: هذا ابتداء كلام، بين لعباده أن جميع ما في السموات وما في الأرض له، حتى يسألوه ويعبدوه، ولا يعبدوا غيره. ثم قال تعالى: {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور} يقول: تصير أمور العباد إلى الله في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [110- 111]

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111)}

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال الكلبي: أخبر الله تعالى أن خير الدين عند الله دين أهل الإسلام، ووصفهم بالوفاء فقال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}... يقول: كنتم خير أهل دين كان الناس لا يظلمون من خالطهم منهم، أو من غيرهم، فجعلهم الله خير الناس للناس {تَأْمُرُونَ بالمعروف} ويقال: خير أمة أُخْرِجَت للناس، تأمرون بالمعروف، فتقاتلون الكفار ليسلموا، فترجع منفعتهم إلى غيرهم.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاس» ويقال: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} يعني: كنتم عند الله في اللوح المحفوظ. ويقال: كنتم مذ أنتم خير أُمَّة. ويقال: هذا الخطاب لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، يعني أنتم خير الأمة. كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ القُرُونِ أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ثُمَّ وَصَفَهُمْ، فقال: {تَأْمُرُونَ بالمعروف} أي بالتوحيد والإسلام. {وَتَنْهَوْنَ عَنِ المنكر} أي عن الشرك {وَتُؤْمِنُونَ بالله} أي تصدقون بتوحيد الله، وتثبتون على ذلك. وقال الزجاج: تؤمنون بالله، معناه تقرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيّ الله، لأن من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله، لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من ذات نفسه.

ثم قال تعالى: {وَلَوْ ءامَنَ أَهْلُ الكتاب} وهم اليهود والنصارى {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} من الإقامة على دينهم {مّنْهُمُ المؤمنون} وهم مؤمنو أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن آمن من اليهود والنصارى {وَأَكْثَرُهُمُ الفاسقون} وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، والذين لم يؤمنوا منهم {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى} يعني باللسان بالسب وغيره، وليس لهم قوة القتال {وَإِن يقاتلوكم} يعني إن أعانوكم في القتال، فلا منفعة لكم منهم لأنهم {يُوَلُّوكُمُ الادبار} وينهزمون {ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} يقول لا يُمْنَعون من الهزيمة، فكأنه يحكي ضعفهم عن القتال. يقول: لو كانوا عليكم لا يضرونكم، ولو كانوا معكم لا ينفعونكم، وهذا حالهم إلى يوم القيامة وهم اليهود ليس لهم شوكة، ولا قوة القتال في موضع من المواضع. ويقال: {وَإِن يقاتلوكم يُوَلُّوكُمُ الادبار} يعني إن خرجوا إلى قتالكم، وأرادوا قتالكم يولون الأدبار، أي ينهزمون منكم. ويقال: يُوَلُّوكم الأَدْبَار، يعني منهزمين، {ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} يقول: لا يُمْنَعون منكم، وهو قول الكلبي.

▲ تفسير الآيات رقم [112- 115]

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)}

ثم قال {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة} يقول جُعِلَتْ عليهم الجزية ويقال أَلْزِم عليهم القتال {أَيْنَمَا ثُقِفُواْ} أي وُجدوا {إِلاَّ بِحَبْلٍ مّنْ الله} أي بعهد من الله {وَحَبْلٍ مّنَ الناس} يعني تحت قوم يؤدون إليهم الجزية، فإن لم يكن لهم عهد قتلوا {وَبَاءوا بِغَضَبٍ مّنَ الله} يقول: استوجبوا الغضب من الله تعالى. ويقال: رجعوا بغضب من الله {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسكنة} يعني جعل عليهم زي الفقر.

قال الكلبي: فترى الرجل منهم غنياً، وعليه من البؤس والفقر والمسكنة. ويقال: إنهم يظهرون من أنفسهم الفقر، لكيلا تضاعف عليهم الجزية {ذلك} الذي يصيبهم {بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيات الله} ومحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {وَيَقْتُلُونَ الانبياء بِغَيْرِ حَقّ} يعني رضوا بما فعل آباؤهم، فكأنهم قتلوهم {ذلك} الغضب {بِمَا عَصَواْ} الله {وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} بأفعالهم كلما ذكر الله عقوبة قوم في كتابه بيّن المعنى الذي يعاقبهم لذلك، لكيلا يظن أحد أنه عذَّبهم بغير جُرْم. ثم بيَّن فضيلة من آمن من أهل الكتاب على من لم يؤمن فقال تعالى: {لَيْسُواْ سَوَاء} قال بعضهم: هذا معطوف على الأول منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون، ليسوا سواء في الثواب، فيكون هاهنا وقف. وقال بعضهم: هذا ابتداء، ويكون فيه مضمر، فكأنه يقول: ليس من آمن منهم ويتلون آيات الله كمن هو كافر. كقوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَآءَ اليل ساجدا وَقَآئِماً يَحْذَرُ الاخرة وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الالباب} [الزمر: 9] معناه: ليس كالذي هو من أهل النار، فكذلك هاهنا قال: ليس من آمن {مّنْ أَهْلِ الكتاب} كمن لم يؤمن، فبين الذين آمنوا فقال: {مّنْ أَهْلِ الكتاب أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} يعني مُهَذَّبة عاملة بكتاب الله تعالى. ويقال: مستقيمة.

وروى الزجاج عن الأخفش قال: ذو أمة قائمة، يعني ذو طريقة قائمة {يَتْلُونَ ءايات الله} يعني القرآن في الصلاة {أَمَّنْ هُوَ} يعني في ساعات الليل {وَهُمْ يَسْجُدُونَ} أي يصلون لله. قوله: {يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر} يعني يقرون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم {وَيَأْمُرُونَ بالمعروف} أي باتباعه {وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر} أي عن الشرك {ويسارعون فِى الخيرات} أي يبادرون إلى الطاعات، والأعمال الصالحة {وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصالحين} أي مع الصالحين، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة. {وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ} يعني لن تجحدوه ولن تنسوه يقول تجزون به، وتثابون عليه في الآخرة، وهذا كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «البرُّ لا يَبْلَى وَالإِثْمُ لا يُنْسَى «

ثم قال تعالى: {والله عَلِيمٌ بالمتقين} أي عليم بثوابهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، ومن كان بمثل حالهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ} كلاهما بالياء، والباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة.

▲ تفسير الآيات رقم [116- 117]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)}

ثم قال: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ} قال مقاتل: ذكر قبل هذا مؤمني أهل الكتاب، ثم ذكر كفار أهل الكتاب، وهو قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ}...

وأما الكلبي فقال: هذا ابتداء {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ} كثرة {أموالهم وَلاَ} كثرة {أولادهم مّنَ} عذاب {الله شَيْئاً} وقال الضحاك: يعني اليهود والنصارى، وجميع الكفار، وكل من خالف دين الإسلام، وذلك أنهم تفاخروا بالأموال والأولاد وقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، وما نحن بمعذّبين، فأخبر الله تعالى أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من عذاب الله شيئاً {وَأُوْلَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون}.

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هذه الحياة الدنيا} قال الكلبي: يعني ما ينفقون في غير طاعة الله {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} أي برد شديد {أَصَابَتْ} الريح الباردة {حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} بمنع حق الله تعالى منه {فَأَهْلَكَتْهُ} يقول: أحرقته، فلم ينتفعوا منه بشيء، فكذلك نفقة من أنفق في غير طاعة الله، لا تنفعه في الآخرة، كما لا ينفع هذا الزرع في الدنيا. وقال مقاتل: يعني نفقة السفلة على رؤساء اليهود. وقال الضحاك: مثل نفقة الكفار من أموالهم في أعيادهم وعلى أضيافهم وما يعطي بعضهم بعضاً على الضلالة {كَمَثَلِ رِيحٍ} الآية، ثم قال {وَمَا ظَلَمَهُمُ الله ولكن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} يعني أصحاب الزرع هم ظلموا أنفسهم بمنع حق الله تعالى، فكذلك الكفار أبطلوا ثواب أعمالهم بالشرك بالله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [118- 119]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)}

قوله تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ} يعني خلّة وصداقة من غير أهل دينكم، وإنما سميت بطانةً لقربها من البدن {مّن دُونِكُمْ}، أي من دون المؤمنين نزلت الآية في شأن جماعة من الأنصار، كانت بينهم وبين اليهود مواصلة وخاصية، وكانوا على ذلك بعد الإسلام، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبه ودينه لا ينبغي له أن يحادثه، لأنه يقال في المثل:

عن المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قرينه *** فَإِنَّ القَرِينَ بالمقارن يَقْتَدِي

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ» وروي عن ابن مسعود أنه قال: اعتبروا الناس بأخْدَانهم. ثم بيّن الله المعنى الذي لأجله نهى عن المواصلة فقال تعالى: {لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً} أي فساداً، يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم لا يتركون وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون جهدهم في المكر والخديعة {وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ} ما أَثِمْتُم بربكم. وقال الزّجاج: الخَبَالُ في اللغة ذِهَابُ الشيء، والعَنَتُ في الأصل المشقة. وقال القتبي: الخَبَال الفساد. وقال أيضاً: {وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ}، أي ما أعنتكم؛ وهو ما نزل بكم من مكروه.

ثم قال: {قَدْ بَدَتِ البغضاء} أي ظهرت العداوة والتكذيب لكم {مِنْ أفواههم وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} أي والذي في صدورهم من العداوة أكثر مما أظهروا بأفواههم. ويقال: {وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}، أي قصدهم قتل محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يضمرون ذلك {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الايات} يعني أخبرناكم بما أخفوا، وبما أبدوا بالدلالات والعلامات {إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} وتصدقون {تَعْقِلُونَ هَاأَنتُمْ أُوْلاء} يعني ها أنتم يا هؤلاء {تُحِبُّونَهُمْ} لمظاهرتكم إياهم {وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} لأنهم ليسوا على دينكم.

وقال الضحاك: معناه كيف تحبون الكفار وهم لا يحبونكم {وَتُؤْمِنُونَ بالكتاب كُلّهِ} يعني بالتوراة والإنجيل وسائر الكتب، ولا يؤمنون بذلك كله، وقد فضلكم الله عليهم بذلك، لأنهم لا يؤمنون إلا بكتابهم {وَإِذَا لَقُوكُمْ} يعني المنافقين منهم {قَالُواْ ءامَنَّا} بمحمد صلى الله عليه وسلم إنه رسول الله {وَإِذَا خَلَوْاْ} فيما بينهم {عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الانامل} يعني أطراف الأصابع {مِنَ الغيظ} والحنق عليكم فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء قد ظهروا وكثروا. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} لهم يا محمد {مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ} يقول موتوا بحنقكم على وجه الدعاء، والطرد واللعن، لا على وجه الأمر والإيجاب، لأنه لو كان على وجه الإيجاب، لماتوا من ساعتهم. كما قال في موضع آخر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين خَرَجُواْ مِن ديارهم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الموت فَقَالَ لَهُمُ الله مُوتُواْ ثُمَّ أحياهم إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَشْكُرُونَ} [البقرة: 243]، فماتوا من ساعتهم، فهاهنا لم يرد به الإيجاب.

وقال الضحاك: {قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ}، يعني أنكم تخرجون من الدنيا بهذه الحسرة، والغيظ يعني اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر، يعني أنكم تموتون بغيظكم ثم قال تعالى: {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني بما في قلوبكم من العداوة للمؤمنين، إن الله يجازيكم بذلك.

تفسير الآية رقم [120]

{إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)}

ثم قال للمؤمنين: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ} يعني الظفر والغنيمة، كما أصابكم يوم بدر {تَسُؤْهُمْ} أي يسوؤهم {وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ} يعني الهزيمة، كما أصابكم يوم أحد، ويقال: الشدة في العيش والقحط {يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ} على أذى المنافقين واليهود {وَتَتَّقُواْ} المعصية والشرك. وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل {وَأَن تَصْبِرُواْ} على أمر الله {وَتَتَّقُواْ} معاصيه. {وَلاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} يقول: لا تضركم عداوتهم شيئاً. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: لاَ يَضِرْكُمْ بكسر الضاد وجزم الراء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء، ومعناهما قريب في التفسير، يعني لا ضير عليكم من كيدهم {إِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} يعني أحاط علمه بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء بكماله.

تفسير الآيات رقم [121- 122]

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)}

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ} يعني خرجت من منزلك بالصباح. ويقال: من عند أهلك، وهي عائشة رضي الله عنه {تُبَوّئ المؤمنين} يعني تهيئ للمؤمنين {مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} يعني مواضع للحرب. قال الكلبي: هو يوم أحد. وقال مقاتل: هو يوم الخندق {والله سَمِيعٌ} لدعائك {عَلِيمٌ} بأمر الكفار {إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ} يعني أرادت وأضمرت طائفتان من المسلمين. وهما: حيا بني حارثة، وبني سلمة من الأنصار {أَن تَفْشَلاَ} يعني أن تَجْبُنَا عن القتال مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وترجعا {والله وَلِيُّهُمَا} أي ناصرهما {وحافظهما} حيث لم يرجعا، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة يوم أحد، ومعه ألف رجل، فرجع عبد الله بن أبي ابن سلول مع ثلاثمائة من المنافقين، ومن تابعهم، فدخل الفشل في قبيلتين من الأنصار، وهم المؤمنون، فأرادوا أن يرجعوا، فحفظ الله تعالى قلوبهم، فلم يرجعوا، فذلك قوله تعالى: {تَفْشَلاَ والله وَلِيُّهُمَا} أي حافظ قلوبهما {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله وهذه كلها مِنَنٌ ذكرها الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم، ليعرف ويشكر الله تعالى، ويصبر على ما يصيبه من الأذى.

▲ تفسير الآيات رقم [123- 125]

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125)}

ثم ذكَّرهم أمر بَدْر؛ فقال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ الله بِبَدْرٍ} أي أعانكم الله ببدر {وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ} يعني قليلة، {فاتقوا الله} يعني: اعرفوا هذه النعمة، واتقوا الله ولا تعصوه {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي لكي تشكروا الله. {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني يوم أحد {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ بِثَلاثَةِ ءالاَفٍ مّنَ الملئكة مُنزَلِينَ} من السماء. يقول الله تعالى: {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ} مع نبيّكم، {وَتَتَّقُواْ} معصيته بالهزيمة {وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هذا} يعني العدو، يأتوكم من وجوههم {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مّنَ الملئكة مُسَوّمِينَ} يعني مُعلمين بالصوف الأبيض في نواصي الخيل، وفي أذنابها عليهم البياض، قد أَرْخَوْا أطراف العمائم بين أكتافهم؛ فأنزل الله تعالى عليهم يوم بدر ثلاثة آلاف، ووعد لهم يوم أُحد خمسة آلاف. ولكنهم لما عصوا وتركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا عنهم، ولو أنهم صبروا لنزلت عليهم.

قرأ عاصم، وابن كثير، وأبو عمرو: {مُسَوّمِينَ} بكسر الواو؛ والباقون بالنصب ومعناهم قريب. وهو: إرخاء أطراف العمائم بين الأكتاف؛ وهذا كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم بدر: «تَسَوَّمُوا فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ».

▲ تفسير الآية رقم [126]

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)}

ثم قال تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بشرى لَكُمْ} يعني: المدد من الملائكة. قال بعضهم: إن الملائكة لم تقاتل، وإنما بعثهم للبشارة وتسكين قلوب المؤمنين، لأن في قتال الملائكة لم يكن للمؤمنين فضيلة، وإنما كانت الفضيلة للمؤمنين إذ كانوا هم الذين يقاتلون ويهزمون الكفار، ولو كان ذلك لأجل الإعانة لكان ملك واحد يكفيهم كما فعل بقوم لوط. ألا ترى أنه قال تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التقيتم فى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور} 5 4 3[الأنفال: 44] فجعل الفضيلة في قلتهم في أعين الكفار ونصرتهم بالغلبة، وهذا معنى قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بشرى لَكُمْ}.

{وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} يعني تطمئن إليه قلوبكم. وقال بعضهم: إن الملائكة كانوا يقاتلون، وكانت علامة ضربهم في الكفار ظاهرة، لأن كل موضع أصابت ضربتهم اشتعلت النار

في ذلك الموضع، حتى إن أبا جهل قال لابن مسعود: أنت ما قتلتني، إنما قتلني الذي لم يصل سناني إلى سنْبك فرسه وإن اجتهدت. وإنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة لتسكن قلوب المؤمنين، ولأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة، وكل عسكر من المسلمين صبروا واحتسبوا تأتيهم تلك الملائكة ويقاتلون معهم ويقال: الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويسبحون، وثواب ذلك للذين يقاتلون يومئذ. وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى. ثم قال: {وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِندِ الله العزيز الحكيم} يعني. ليس بكثرة العدد ولا بقلته، ولكن النصر من الله تعالى كما قال في آية أخرى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: 25].

▲ تفسير الآيات رقم [127- 128]

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128)}

ثم قال: {لِيَقْطَعَ طَرَفاً مّنَ الذين كَفَرُواْ} يعني أرسل الملائكة ونصر المؤمنين لكي يقطع طرفاً، أي يستأصل جماعة من الذين كفروا {أَوْ يَكْبِتَهُمْ} قال الكلبي: أي يهزمهم. وقال مقاتل: يعني يخزيهم كقوله {إِنَّ الذين يُحَآدُّونَ الله وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الذين مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءايات بينات وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} [المجادلة: 5] ويقال: يقنطهم {فَيَنقَلِبُواْ} إلى مكة {خَائِبِينَ} لم يصيبوا ظفراً ولا خيراً، وقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. ويقال معناه وما جعله الله إلا بُشْرَى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، وليقطع طرفاً من الذين كفروا.

ثم قال عزّ وجلّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} روى جويبر عن الضحاك قال: لما كان يوم أحد، كسرت رباعية النبيّ صلى الله عليه وسلم وأدمي ساقه، وقتل سبعون رجلاً من الصحابة، فَهَمَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين، فأنزل الله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} أي ليس لك من الحكم شيء، أو يتوب عليهم يعني كفار قريش يهديهم إلى الإسلام. وقال الكلبي: فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلعن الذين انهزموا من الصحابة يوم أحد، فنزل: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} يعني الذين انهزموا {أَوْ يُعَذّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالمون} قال: فلما نزلت هذه الآية، كفَّ ولم يلعن المشركين، ولا الذين انهزموا من الصحابة، لعلم الله فيهم أنهم سيتوبون، وأن المشركين سيؤمن كثير منهم. وقد آمن كثير منهم فمنهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم.

قال مقاتل: وكان سبعون رجلاً من أصحاب الصُّفَّة، خرجوا إلى الغزو محتسبين، فقتل السبعون جميعاً، فشق ذلك على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فدعا الله عليهم أربعين يوماً

في صلاة الغداة، فنزل قوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} ويقال: معنى قوله أو يتوب عليهم، أو يعذبهم إن لم يكونوا من أهل التوبة.

تفسير الآية رقم [129]

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129)}

ثم عظم نفسه فقال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: أن جميع الخلق في ملكه وعبيده {يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء} وقال الضحاك: يغفر لمن يشاء الذنب العظيم، {وَيُعَذّبُ مَن يَشَاء} على الذنب الصغير إذا أصرَّ على ذلك {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} في تأخير العذاب عنهم، حيث لم يعاقبهم قبل توبتهم.

تفسير الآيات رقم [130- 131]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131)}

{ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الربا أضعافا مضاعفة} قال الزَّجاج: يعني لا تضاعفوا أموالكم بالربا. وقال القتبي: هو ما يضاعف منها شيء بعد شيء، ويقال أضعافاً مضاعفة عند البيع، ببيعه بأكثر من قيمته مضاعفة بعد العقد، أن يزيده في الأجل ويزيد في المال. ويقال: المضاعفة هي نعت الأضعاف كما قال تعالى: {ياأيها الناس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 168 وغيرها] والطيب هو نعت الحلال.

ثم قال تعالى: {واتقوا الله} في الربا فلا تستحلوه {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي لكي تنجوا من العذاب. ثم خَوّفهم فقال: {واتقوا النار التى أُعِدَّتْ للكافرين} يعني خُلقت وهيئت للكافرين. وقالت المعتزلة: من أتى بالكبيرة ومات عليها فإنه يخلد في النار كالكافر، فإنه وعد لأكل الربا النار كما وعد الكفار. وقال أكثر أهل العلم والتفسير: هذا الوعيد لمن استحل الربا؛ ومن استحل الربا فإنه يكفر ويصير إلى النار. ويقال: معناه اتقوا العمل الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبوا النار، لأن من الذنوب ما يستوجب به نزع الإيمان ويخاف عليه، فمن ذلك عقوق الوالدين. وقد جاء في ذلك أثر أن رجلاً كان عاقاً لوالدته يقال له علقمة، فقيل له عند الموت: قل لا إله إلا الله فلم يقدر على ذلك، حتى جاءت أمه فرضيت منه. ومن ذلك قطيعة الرحم، وأكل الربا، والخيانة في الأمانة. وذكر أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة أنه قال: أكبر ما في الذنوب الذي ينزع الإيمان من العبد عند

الموت. ثم قال أبو بكر: فنظرنا في الذنوب التي تنزع الإيمان من العبد، فلم نجد شيئاً أسرع نزعاً للإيمان من ظلم العباد.

تفسير الآيات رقم [132- 133]

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)}

ثم قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ الله والرسول} يعني أطيعوا الله في الفرائض، والرسول في السنن. ويقال: {وَأَطِيعُواْ الله} في تحريم الربا، {والرسول} فيما بلغكم من التحريم {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ولا تُعَذَّبُونَ {وَسَارِعُواْ إلى مَغْفِرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} قرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة، وابن عامر ومن تابعه من أهل الشام: سارعوا بغير الواو على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالواو على معنى العطف. قال الكلبي: معناه وسارعوا إلى التوبة من الربا. وقال مقاتل: وسارعوا بالأعمال الصالحة التي هي مغفرة لذنوبكم وإلى الجنة. وقال الضحاك: يعني سارعوا إلى النجاء الأكبر إلى الصف المقدم في الصلاة، وإلى الصف المقدم في القتال. ويقال: وسارعوا حتى لا تفوتكم تكبيرة الافتتاح.

ثم قال تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السموات والارض} قال القتبي: أي سعتها، ولم يرد به العَرْض الذي هو خلاف الطول. والعرب تقول: بلاد عريضة أي واسعة. ويقال: عَرْضُ الجنة كعرض سبع سموات، وكعرض سبع أرضين، لو ألزق بعضها إلى بعض. وإنما ذكر العرض ولم يذكر الطول، لأن طولها لا يعرف ولا يدرك. وقال الكلبي: الجنان أربع: جنة عدن وهي الدرجة العليا، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة النعيم. كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها إلى بعض. ويقال: لم يرد بهذا التقدير، ولكنه أراد بذلك أنها أوسع شيء رأيتموه. وقال السدي: لو كسرت السموات وصرن خردلاً، فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والأرض.

حدّثنا محمد بن داود، قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا يعقوب عن أبي حازم قال أخبرني سهل بن سعد قال إن أدنى أهل الجنة يقال له: تَمَنَّ. فيقول: أعطني كذا أعطني كذا، حتى إذا لم يجد شيئاً يتمنى لُقِّن فيقال له: تَمَنَّ، قل كذا قل كذا، فيقول. فيقال له: هو لك ولك مثله معه. وفي رواية أبي سعيد الخدري لك هذا وعشرة أمثاله معه. ثم قال تعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} يعني الجنة.

تفسير الآية رقم [134]

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}

ثم نَعَتَ المتقين فقال: {الذين يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاء والضراء} الخ الآية. نعت للمتقين. ويقال إن كل نعت من ذلك هو نعت على حدة، فكأنه يقول: أعدت للمتقين الذين ينفقون من السراء... الخ. قوله: {فِى السَّرَّاء والضراء} أي ينفقون أموالهم في حال اليسر وفي حال العسر، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل والضحاك: في حال السعة والشدة. ويقال: في حال الصحة والمرض. ويقال: {فِى السَّرَّاء}، يعني في حال الحياة. وفي الضراء، يعني بعد الموت. ويقال في سراء المسلمين في عرسهم وولائمهم، والضراء في نوائبهم ومآتمهم. ويقال {فِى السَّرَّاء} يعني النفقة التي تسرّكم، مثل النفقة التي على الأولاد والأقربين {والضراء} النفقة على الأعداء والكاشحين. ويقال {فِى السَّرَّاء} يعني على الأنبياء يضيفهم ويهدي إليهم {والضراء} يعني على أهل الضر يتصدق عليهم.

{والكاظمين الغيظ} يعني المرددين الغيظ في أجوافهم، وأصله في اللغة: كظم البعير إذا رَدَّد جِرَّتَه. ومعناه: الذين إذا أصابهم الغيظ تجاوزوا ولم يعاقبوا. {والعافين عَنِ الناس} قال الكلبي: يعني عن المملوكين. ويقال: والعافين عن الناس بعد قدرتهم عليهم فيعفوا عنهم {والله يُحِبُّ المحسنين} من الأحرار والمملوكين، ويقال: الذين يحسنون بعد العفو ويزيدون عليه إحساناً وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ ينفذهُ ثُمَّ لَمْ يُنفِذْهُ زَوَّجَهُ الله مِنَ الحُورِ العين حَيْثُ يَشَاءُ»، وفي خبر آخر: عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ قَطّ إلاّ زَادَهُ الله بِهَا عِزّاً».

تفسير الآيات رقم [135- 137]

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)}

قوله تعالى: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشة} نزلت في شأن رجل تَمَّار، جاءت امرأة تشتري منه تمراً، فأدخلها في حانوته وقبلها ثم ندم على ذلك، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت هذه الآية في رجل مَسّ امرأة أخيه في الله، وكان أخوه خرج غازياً، ثم ندم وتاب. ويقال: إنها نزلت في شأن بهلول النباش، تاب عن صنيعه فنزلت هذه الآية. فقال تعالى: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشة} يعني الزّنى. {أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ} يعني القُبْلَة واللمس. ويقال: الفاحشة كل فعل يستوجب به الحد في الدنيا {أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} ما دون ذلك. ويقال: الفاحشة ما استوجب به النار، {أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} ما استوجب به الحساب والحبس. وقال إبراهيم النخعي: الظلم هاهنا تفسير الفاحشة فكأنه يقول: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشة وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ}. {ذَكَرُواْ الله} أي خافوا الله، ويقال ذكروا مقامهم بين يدي الله. ويقال: ذكروا عذاب الله. {فاستغفروا لِذُنُوبِهِمْ} يعني الاستغفار باللسان والندامة بالقلب. ويقال:

الاستغفار باللسان بغير ندامة القلب توبة الكذابين. وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى الاستغفار الكثير.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَغْفِرُ الذنوب إِلاَّ الله} يعني لا يغفر الذنوب إلا الله {وَلَمْ يُصِرُّواْ على مَا فَعَلُواْ} يعني: لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنها معصية فلا يرجعون. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، فكأنه يقول: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله {أولئك} يعني أهل هذه الصفة {جَزَآؤُهُمْ} يعني ثوابهم {مَّغْفِرَةٌ مّن رَّبّهِمْ وجنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العاملين} يعني: نعم ثواب العاملين الجنة، وهو قول الكلبي. وقال مقاتل: نعم ثواب التائبين من الذنوب الجنة {وَقَدْ خَلَتْ مِن * قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} أي قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج، فإذا اتبعوها رضي الله عنهم. قال الكلبي: قد مضت سنة بالهلاك فيمن كان قبلكم، {فانظروا}: أي فاعتبروا كيف كان جزاء المكذبين. وقال مقاتل نحو هذا، وقال: يخوف الله هذه الأمة بمثل عذاب الأمم السابقة. وقال السدي: {فَسِيرُواْ فِى الارض} أي اقرؤوا القرآن {فانظروا كَيْفَ كَانَ عاقبة المكذبين} لأن من لم يسافر فإنه لا يعرف ذلك، وأما من قرأ القرآن فإنه يعرف ذلك. وقال الحسن: اقرؤوا القرآن وتدبروا فيه، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [138- 140]

{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)}

ثم قال: {هذا بَيَانٌ لّلنَّاسِ} يعني القرآن، بيان للناس من الضلالة {وهدى} من العمى {وَمَوْعِظَةً} من الجهل، ويقال: {هُدًى وَمَوْعِظَةً} أي كرامة ورحمة {لّلْمُتَّقِينَ} {وَلاَ تَهِنُواْ} أي لا تضعفوا ولا تجبنوا، ويقال: ولا تَعْجزوا عن عدوكم {وَلاَ تَحْزَنُواْ} على ما أصابكم من القتل والهزيمة يوم أحد {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} يعني: الغالبون يقول آخر الأمر لكم. ويقال: {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} في الجنة. ويقال: هذا وعد لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في المستأنف {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} أي الغالبون على الأعداء بعد أحد، فلم يخرجوا بعد ذلك في عسكر إلا ظفروا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي كل عسكر كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا كان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم، فهذه البلدان كلها إنما فتحت في عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد انقراضهم ما فتحت بلدة على الوجه كما كانوا يفتحون في ذلك الوقت. ويقال: في هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه لأنه قال لموسى عليه الصلاة والسلام: {قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الاعلى} [طه: 68] وقال لهذه الأمة: {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} ويقال اشتُقَّت هذه اللفظة من اسم الله تعالى، لأن اسمه العلي

الأعلى. وقال للمؤمنين: {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} يعني: إن كنتم مصدقين بوعد الله. ويقال: معناه إذ كنتم مؤمنين. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، فكأنه قال: ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون.

ويقال: إن هذا وعد لهم بأنهم غالبون إن ثبتوا وصدقوا، فلو أنهم ثبتوا وصدقوا لغَلَبُوا كما غَلَبوا يوم بدر، ولكنهم تركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الأمر عليهم. وكانت القصة في ذلك أنهم لما غَلَبُوا المشركين يوم بدر، وأصابوا منهم ما أصابوا وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى فرجع أبو سفيان بن حرب إلى مكة بالعير، وانهزم المشركون، وذهب عكرمة بن أبي جهل، ورجال أُصِيب أبناؤهم وآباؤهم وإخوانهم ببدر إلى أبي سفيان بن حرب وهو رئيس مكة فكلموه، وأتاه كل من كان له في ذلك العير مال، فقالوا: إن محمداً قد قتل خياركم، فاستعينوا بهذه الأموال على حربه ففعلوا. قال الضحاك: فأعانهم أبو سفيان بمائة راحلة وما يصلحها من الزاد والسلاح، فسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل، وعليهم أبو سفيان بن حرب، وكان في القوم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وذلك قبل دخولهم في الإسلام، فلم يبقَ أحد من قريش إلا وخرج أهله معه وولده يجعلهم خلف ظهره ليقاتل عنهم.

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، وقال في خطبته: «إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي سَيْفِي ثلمَةُ فَأَوَّلْتُهَا مصِيبَةً فِي نَفْسِي، وَرَأَيْتُ بُقُوراً قَدْ ذُبِحَتْ، فَأَوَّلْتُهَا قَتْلَى فِي أَصْحَابِي، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِينَةَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ» وكره الخروج إليهم، فكان رأي عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يخرج إليهم، ولكنه كان منافقاً فقال: يا رسول الله لا تخرج إليهم فأنا ما خرجنا إلى عدوّ قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه. فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة وغيرهم ممن فاتته بدر: اخرج لهم يا رسول الله، لكي لا يرى أعداء الله أنا قد جَبُنَّا عنهم وضعفنا عن قتالهم. فلم يزالوا به حتى دخل ولبس لأمته، ثم خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إليهم وقد خرج الناس فقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا: يا رسول الله: قد استكرهناك وما كان لنا ذلك، فإن شئت فاخرج، وإن شئت فاقعد. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ أَنْ يَضَعَ سِلاَحَهُ إِذَا لَبِسَهُ حَتَّى يُقَاتِلَ» فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار إلى أُحدٍ، فانخذل عبد الله بن أبي ابن سلول. قال في رواية الكلبي: فرجع معه ثلاثمائة من الناس، وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة رجل. وقال في رواية الضحاك: فانخذل في ستمائة رجل من اليهود، وبقي مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ألف رجل من المؤمنين الطيبين. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشِّعب من أحد، وأمر عبد الله بن جبير على الرُّمَاة وقال لهم: «لاَ تَبْرَحُوا مِنْ هَذَا المَوْضِعِ، وَاثْبُتُوا هاهنا إِنْ كَانَ الأَمْرُ عَلَيْنَا أَوْ لَنَا» وقال في رواية الكلبي: كان الرماةُ خمسين رجلاً. وقَال في رواية الضحاك: كانوا سبعين رجلاً. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره إلى

أُحد، ودنا المشركون وأخذوا في الحرب، فقامت هند امرأة أبي سفيان وصواحبتها حين حميت الحرب، يضربن بالدُّفوف خلف قريش ويقلن:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِق *** نَمْشِي على النَّمَارق

إِن تُقْبِلُوا نُعَانِق *** أَو تُدْبِرُوا نفارق

فِرَاقَ غَيْرَ وَامِق *** فقاتل أبو دجانة في نفر من المسلمين قتالاً شديداً، وقاتل علي بن أبي طالب حتى انكسر سيفه، وقاتل سعد بن أبي وقاص، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لسعد: «ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» فقتلوا جماعة من المشركين، وَصَدَقَهم الله وعده وأنزل نصره، حتى كانت هزيمة القوم لا شكّ.

فكشفوهم عن عسكرهم قال الزبير: رأيت هنداً وصواحبتها هوارب، فلما نظر الرماة إلى القوم وانهزموا، أقبلوا على النهب فقال لهم عبد الله بن جُبَيْر: لا تَبْرحوا عن هذا الموضع، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إليكم. فلم يلتفتوا إلى قوله، وظنوا أن المشركين قد انهزموا؛ فبقي عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر، فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من قِبَل الشِّعب، فقتلوا من بقي من الرماة، ودخلوا خلف أقفية المسلمين، وتفرق المسلمون ورجع المشركون، وحملوا حملةً واحدة، فصار المسلمون ثلاثة أنواع: بعضهم جريح، وبعضهم قتيل، وبعضهم منهزم.

وكان مصعب بن عمير يَذُبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ دونه، ثم قاد زياد بن السكن فقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ، وخلص الحرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقذف بالحجارة حتى وقع بشفتيه، وأصيبت رباعيَتُه، وكُلِمَتْ شفته، وأدمي ساقه. فقال سفيان بن عيينة: لقد أصيب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين رجلاً، كلهم جثوا بين يديه. أو قال: كلهم يتقدم بين يديه. ثم يقول: وجهي لوجهك الوفاء، ونفسي لنفسك الفداء، وعليك سلام الله غير مودع. فرجع الذي قتل مصعب بن عمير، فظن أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال للمشركين: قتلت محمداً. فصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. ويقال: كان ذلك إبليس لعنه الله، فولى المسلمون هاربين متحيّرين، وجاء إبليس لعنه الله ونادى بأعلى صوته في المدينة: ألا إن محمداً قد قتل وأَخَذَت النسوة في البكاء في البيوت، فأقبل أَنَس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رِجَالٍ من المهاجرين والأنصار، فقال: ما يُجْلسكم؟ قالوا: قتل محمد. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا كراماً على ما مات عليه نبيُّكم. ثم أقبل نحو العدو، فقاتل حتى قتل.

قال كعب بن مالك: فأوّل من كنت عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين، عرفت عينيه من تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين

أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأشار إليَّ أَن اسكت. وقال أنس بن مالك: قد شجّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: »كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِالدَّمِ» وهو يدعوهم إلى ربهم. ويقال: إن أصحابه لما اجتمعوا قالوا: يا رسول الله، لو دعوت الله على هؤلاء الذين صنعوا بك؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَمْ أُبْعَثْ طَعَّاناً وَلاَ لَعَّاناً، وَلَكِن بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ «

فجاءه أُبَيّ بن خلف الجمحي، فقال: يا محمد لا نَجوتُ إن نجوتَ مني. فهمَّ المسلمون بقتله، فقال لهم. «دَعُوهُ» حتى دنا منه، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ورماه بها، فخدشه في عنقه خدشاً غير كبير، وقد كان ذلك لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقال: عندي فرس أعلفه كل يوم فرق ذرة، أقتلك عليه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إنْ شَاءَ الله " فلما خدشه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه رجع إلى قريش وهو يقول: قتلني محمد. فقالوا له: ما بك من طعن. فقال: بلى، لقد قال لي أنا أقتلك، والله لو بصق علي بعد تلك المقالة لقتلني. فمات قبل أن يصل إلى مكة في طريقها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً عند أحد، وقد اجتمع عليه بعض أصحابه، فعلت عليه فرقة من قريش في الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا " فأقبل عمر ورهط من المهاجرين، فقاتلوهم حتى أهبطوهم من الجبل. وقد كان جبير بن مطعم قال لمملوك له يقال له وحشي: إن أنت قتلت محمداً جعلت لك أعنة الخيل، وإن أنت قتلت علي بن أبي طالب جعلت لك مائة ناقة كلها سود الحدقة، وإن أنت قتلت حمزة فأنت حرٌّ. فقال وَحْشي: أما محمد فعليه حافظ من الله تعالى لا يخلص إليه أحد، وأما عَلَيٌّ فما برز إليه رجل إلا قتله؛ وأما حمزة فرجل شجاع، فعسى أن أُصَادفه في غِرَّته فاقتله مكانه. وكانت هند كلما مرّ بها وَحْشي أو مرّت به هند قالت له: إيهاً أبا دسمة اشف واستشف. فكمن وحشي خلف صخرة، وكان حمزة حمل على قوم من المشركين، فلما رجع من حملته مرّ بوحشي وهو خلف الصخرة، فزرقه بمزراق فأصابه فسقط، فذهبت هند ابنة عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنوف، وشَقَّت هند بطن حمزة وأخذت كبده ومضغته، ثم صعدت هند على صخرة وهي تنادي بأعلى صوتها: نَحْنُ جَزَيْنَاكم بيوم بَدْر. وأقبل أبو سفيان وهو يصرخ بأعلى صوته: اعلُ هبل يوماً بيوم بدر. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعمر: " أَجِبْهُ يَا عُمَرَ " فأجابه عمر: الله أعلى وأجل لا سواه، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ثم ركب النبيّ صلى الله عليه وسلم بغلته، وظاهر بين درعيه، وأخرج يده من جيب الدرع، وسلّ سيفه ذا الفقار، وباشر القتال بنفسه، وحمل على المشركين والتأم إليه المسلمون فأعانوه، وهزم الله جمع المشركين، وقُتل يومئذ من المسلمين سبعون رجلاً: أربعة نفر من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار.

وقتل يومئذ من المشركين تسعة عشر رجلاً أو أكثر، وكثرت القروح في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعزَّاهم الله تعالى: في ذلك بقوله تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} قرأ عاصم في رواية أبي بكر والكسائي وحمزة: قُرْحٌ بضم القاف والباقون بالنصب. قال الفراء: القَرْح والقُرْح واحد. ويقال: القَرْح بالنصب مصدر، والقُرح بالضم اسم. ويقال: القَرْحُ بالنصب الجراحة، وبالضم ألم الجراحة. يعني إن أصابكم الجراحات يوم أحد {فَقَدْ مَسَّ القوم قَرْحٌ مّثْلُهُ} يقول: قد أصاب المشركين جراحات مثلها يوم بدر. {وَتِلْكَ الايام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناس} يقول: يوم لكم ويوم عليكم، وهذا كما يقال في الأمثال: الأيام دُوَل والحرب سِجَال.

ثم بَيّن المعنى الذي تداول مرة لهم ومرة عليهم، فقال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الله الذين ءامَنُواْ} يعني يتبين المؤمن من المنافق أنهم يشكون في دينهم أم لا، لأن المؤمن المخلص يتبين حالُه عند الشدة والبلايا. وهذا كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: إن الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا، والاختبار من الله تعالى إظهار ما علم منه من قبل فذلك قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الله الذين ءامَنُواْ} يعني ليبين لهم الله الذي يعلم إيمانه، لأنه يعطى الثواب بما يظهر منه لا بما يعلم منه، وكذلك العقوبة. ألاَ ترى أنه عَلِم من إبليس المعصية في المستقبل ثم لم يلعنه ما لم يظهر منه. ثم قال تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء} يعني لكي يتخذ منكم شهداء، وإنما كان لأجل ذلك لا لأجل حب الكفار {والله لاَ يُحِبُّ الظالمين} أي الجاحدين.

▲ تفسير الآية رقم [141]

{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)}

{وَلِيُمَحّصَ الله الذين ءامَنُواْ} أي: لكي يُطْهر المؤمنين ويكفر ذنوبهم. والتمحيص في اللغة الاختبار والتطهير. والله بَيّن أنه يُداول الأيام بين الناس لكي يَظْهر المؤمن من المنافق، ويكرم بعض المؤمنين بالشهادة لينالوا ثواب الشهداء، وقد ذكر ثوابهم بعد هذا في هذه الصورة وليكفر ذنوبهم {وَيَمْحَقَ الكافرين} أي يهلكهم ويستأصلهم لأنهم يجترئون فيخرجون مرة أخرى فيستأصلهم.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة} قال مقاتل: بيّن للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء في ذات الله لكي يصبروا ويحتسبوا. فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة} يقول: أظننتم أن تدخلوا الجنة بغير شيء قبل أن يصيبكم من الشدة في ذات الله، فذلك قوله تعالى: {وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جاهدوا مِنكُمْ} قال مقاتل: أي ولما يرى الله الذين جاهدوا منكم. ويقال: ولما يظهر جهاد الذين جاهدوا منكم {وَيَعْلَمَ الصابرين} الذين يصبرون عند البلاء. ويقال: ويعلم الكارّين أي غير الفارين عن القتال.

تفسير الآيات رقم [142- 143]

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)}

{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الموت مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ} وذلك أنه لما وصف الله لهم ما نزل بشهداء بدر من الكرامة، فقالوا: ليتنا نجد قتالاً فنقتل فيه لكي نصيب مثل ما أصابوا، فلما لقوا القتال يوم أحد هربوا، فعاقبهم الله تعالى بقوله: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الموت} أي القتال والشهادة من قبل أن تلقوه، لأن القتال سبب الموت {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يوم أحد {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} إلى السيوف فيها الموت. وقال الزجاج: معناه ولقد كنتم تمنون القتال لأن القتال سبب الموت، فقد رأيتموه، يعني وأنتم بصراء كقولك: رأيت كذا وكذا ولم يكن في عينيك علّة. ويقال: وأنتم تنظرون إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وقال القتبي: فقد رأيتموه، يعني أسبابه وهو السيف.

تفسير الآية رقم [144]

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)}

ثم قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل} لأنهم هربوا حيث سمعوا بقتله، فقال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ} كسائر الرسل {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن} أي رجعتم إلى دينكم الشرك. {وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ} أي يرجع إلى الشرك بعد الإسلام {فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً} يقول: لن ينتقص من ملكه وسلطانه شيئاً، وإنما يضرّ نفسه {وَسَيَجْزِى الله الشاكرين} يعني الموحدين الله تعالى في الآخرة الجنة. ويقال: وسيجزي الله المؤمنين المجاهدين الجنة.

تفسير الآيات رقم [145- 147]

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)}

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ} قبل أجلها {إِلاَّ بِإِذْنِ الله كتابا مُّؤَجَّلاً} يقول: في موتها كتاباً مؤجلاً في اللوح، فلا يسبق أجله. وقال الزجاج: قوله كتاباً مؤجلاً، أي كتب كتاباً ذا أجل،

وهو الوقت المعلوم، وذكر الكتاب على معنى التأكيد كقوله: {والمحصنات مِنَ النسآء إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أيمانكم كتاب الله عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بأموالكم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مسافحين فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ فَأَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفريضة إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 24] أي أن المحرمات مفروضة عليكم على معنى التأكيد. وفي هذه الآية إبطال قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكل ما ذبح من الحيوان كان هالكاً قبل أجله، لأنه يجب على القاتل الضمان والدية. وقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنه لا تهلك نفس قبل أجلها.

{وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا} قال الكلبي: يعني يرد ثواب الدنيا بالعمل الذي افترض الله عليه {نُؤْتِهِ مِنْهَا} يعني أعطاه الله ما يحب، وما له في الآخرة من نصيب {وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الاخرة نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشاكرين} في الآخرة. ومن الناس من قال: إن الرياء يدخل في النوافل، ولا يدخل في الفرائض، لأن الفرائض واجبة على جميع الناس. وقال بعضهم: يدخل في الفرائض ولا يدخل في النوافل، لأنه لو لم يأتِ بها لا يؤاخذ بها، فإذا أتى بهذا القدر ليس عليه غير ذلك. وقال بعضهم: كلاهما سواء، فالرياء يدخل في الفرائض والنوافل جميعاً. وهذا القول أصح لقوله تعالى: {إِنَّ المنافقين يخادعون الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قاموا إِلَى الصلاة قَامُواْ كسالى يُرَآءُونَ الناس وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 142].

ثم إن الله تعالى أخبرهم بما لَقِيَتِ الأنبياءُ والمؤمنون قبلهم فعزَّاهم ليصبروا فقال تعالى سبحانه: {وَكَأَيِّن مّن نَّبِىّ} قرأ ابن كثير {وَكَأَيّن} بعد الألف والهمزة، وقرأ الباقون بغير مد، ومعناهما واحد. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: وكأيِّن من نبي قُتِل، بضم القاف وكسر التاء. وقرأ الباقون: {قَاتَلَ}، فمن قرأ قاتل فمعناه كم من نبيّ قاتل معه جموع كثيرة. ومن قرأ قتل معناه: وكم من نبي قتل {مَعَهُ} جماعة كثيرة. وقوله: {رِبّيُّونَ} قال الكلبي: الربية الواحدة من عشرة آلاف. وقال الزجاج: هاهنا قراءتان رُبِّيُّون بضم الراء، ورِبِّيّون بكسرها، فأما بالضم فهي الجماعة الكثيرة عشرة آلاف، وأما الرِّبِّيُّون بالكسر العلماء الأتقياء الصبراء على ما يصيبهم في الله تعالى. ويقال: وكأين من نبي قتل يعني: كم من نبيّ قتل وكان معه ربيون كثير.

{فَمَا وَهَنُواْ} بعد قَتْلِهِ عن القتال، وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم {لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُواْ} لَعدُوِّهم، ويقال: وما جبنوا.

ثم قال {وَمَا استكانوا} يقول: وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا {والله يُحِبُّ الصابرين} فكأنه يقول للمؤمنين: فهلا قاتلتم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وبعد قتله وإن قتل، كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم إذا أصيبت أنبياؤهم. ثم أخبر عن قول الذين قاتلوا مع النبيين فقال تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ} عند قتل أنبيائهم {إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا} أي هي دون الكبائر {وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا} أي العظائم من الذنوب {وَثَبّتْ

أَقْدَامَنَا} عند القتال {وانصرنا عَلَى القوم الكافرين} معناه: هلاّ قلتم كما قالوا وقاتلتم كما قاتلوا. وقرأ بعضهم قولهم بالضم، والمعنى في ذلك أنه جعل القول اسم كان، فيكون معناه وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا. ومن قرأ بالنصب جعل القول خبر كان، وجعل الاسم ما بعده.

▲ تفسير الآية رقم [148]

{فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)}

قوله تعالى: {فاتاهم الله ثَوَابَ الدنيا} أي أعطاهم الله ثواب الدنيا بالغنيمة والنصرة {وَحُسْنَ ثَوَابِ الاخرة} أي الجنة {والله يُحِبُّ المحسنين} المؤمنين المجاهدين.

▲ تفسير الآيات رقم [149- 150]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)}

{المحسنين يأيها الذين ءامَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الذين كَفَرُواْ} يعني المنافقين {يَرُدُّوكُمْ على أعقابكم} كفاراً بعد إيمانكم {فَتَنقَلِبُواْ خاسرين} إلى دينكم الأول {بَلِ الله مولاكم} أي أطيعوا الله فيما يأمركم، هو مولاكم يعني: وليكم وناصركم {وَهُوَ خَيْرُ الناصرين} أي المانعين من كفار مكة.

▲ تفسير الآية رقم [151]

{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)}

{سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الذين كَفَرُواْ الرعب} قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة: الرعب بتسكين العين. وقرأ ابن عامر، والكسائي: الرعب بالضم. وأصله الضم، إلا أنه إذا اجتمع ضمتان حذفت إحداهما عند من قرأ بالجزم. ومعنى الآية سنلقي الهيبة في قلوب المشركين، وذلك بعد هزيمة المؤمنين، فقذف الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فانهزموا إلى مكة. ويقال: حين صعد خالد بن الوليد الجبل، قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع خالد منهزماً. ويقال: عنى به يوم الأحزاب، ألقي في قلوبهم الرعب فانهزموا {بِمَا أَشْرَكُواْ بالله} يعني بأنهم أشركوا بالله {مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا} يعني كتاباً فيه عذر وحجة لهم بالشرك {وَمَأْوَاهُمُ

النار} أي: مصيرهم إلى النار في الآخرة {وَبِئْسَ مثوى الظالمين} يعني أن مثوى المشركين النار.

تفسير الآيات رقم [152- 154]

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)}

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ} وذلك أنهم لما أخذوا في الحرب انهزم المشركون، فلما أَخَذَ بعض المسلمين في النهب والغارة رجع الأمر عليهم وانهزم المسلمون، فذلك قوله: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ}. {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} يقول: تقتلونهم بأمره. وقال القتبي: تحسونهم يعني تستأصلونهم بالقتل، يقال: جراد محسوس إذا قتله البرد. {حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وتنازعتم فِى الامر} يعني: جَبُنْتُمْ من عدوكم، واختلفتم في الأمر {وَعَصَيْتُمْ} أمر الرسول صلى الله عليه وسلم {مّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ} يعني أراكم الله {مَّا تُحِبُّونَ} يعني من النصر على عدوكم، وهزيمة الكفار والغنيمة.

ثم قال: {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا} أي يطلب الغنيمة {وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الاخرة} وهم الذين ثبتوا عند المشركين حتى قتلوا. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنا لا نعرف أن أحداً منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية، فَعَلِمْنا أن فينا من يريد الدنيا {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} بالهزيمة من بعد أن أَظْفَركم عليهم {لِيَبْتَلِيَكُمْ} بمعصية الرسول بالقتل والهزيمة {وَلَقَدْ عَفَا} الله {عَنكُمْ} ولم يعاقبكم عند ذلك، فلم تقتلوا جميعاً {والله ذُو فَضْلٍ} في عفوه وإنعامه {عَلَى المؤمنين} بالعفو والإنعام {إِذْ تُصْعِدُونَ} يعني: إلى الجبل هاربين، حيث صعدوا الجبل منهزمين من العدو، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ أَنَا رَسُولُ الله» فلم يلتفت إليه أحد، حتى أتوا على الجبل. فذلك قوله تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ} يعني الجبل. وهذا قول الكلبي وقال الضحاك: إذ تصعدون في الوادي منهزمين. وقال القتبي: يعني تبعدون في الهزيمة، يقال: أصعد في الأرض إذا أمعن في الهزيمة. وقرأ الحسن: تَصْعَدُون بنصب التاء، أي تَصْعَدُون الجبل. وقرأ العامة بالضم {وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ} يقول: ولا تقيمون على رسول الله صلى الله

عليه وسلم، ويقال: لا يقيم بعضكم على بعض {والرسول يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ} يقول: مِنْ خَلْفِكم {فأثابكم غَمّاً بِغَمّ} يقول: جعل ثوابكم غماً على أثر الغم، ويقال: جزاكم غماً على أثر الغم، ويقال غماً متصلاً بالغم. فأما الغم الأول: فإشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين وهم في ذلك الجبل قاله الكلبي. وقال مقاتل: الغم الأول ما فاتهم من الفتح والغنيمة، فاجتمعوا وكانوا يذكرون فيما بينهم ما أصابهم في ذلك اليوم. والغم الثاني: إذ صعد خالد بن الوليد، فلما عاينوه أَذْعَرهُم ذلك أي خوفهم، فأنساهم ما كانوا فيه من الحزن، فذلك قوله تعالى: {لّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ على مَا فَاتَكُمْ} من الفتح والغنيمة {وَلاَ مَا أصابكم} من القتل والهزيمة.

ويقال: الغم الأول الجُرح والقتل، والغم الثاني أنهم سمعوا بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الأول. قال: {والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يعني لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجازيكم بها.

{ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مّن بَعْدِ الغم أَمَنَةً نُّعَاساً} الأمنة في اللغة الأمن. قال الكلبي: إذا أَمِنَ القوم نعسوا. وقال الضحاك: النعاس عند القتال أَمَنَةٌ من الله تعالى. ويقال: الذي يصيبه الغم والهزيمة لا يكون له شيء أحسن من النعاس، فيذهب عنه همه، فأصاب القومَ النعاسُ فذهب عنهم الغم وأمنوا. قوله تعالى: {يغشى طَائِفَةً مّنْكُمْ} يعني النعاسَ يغشى ويعلو طائفة منكم، من كان من أهل الصدق واليقين. قرأ حمزة والكسائي: تغشى بالتاء. وقرأ الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء انصرف إلى قوله أمنة، ومن قرأ بالياء يكون نعتاً للنعاس.

ثم قال: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} يعني أهل النفاق. وقال الكلبي: هو معتب بن قُشَيْر وأصحابه {يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحق} يعني: أنهم يظنون أن لن ينصر الله محمداً وأصحابه {ظَنَّ الجاهلية} قال الكلبي: يعني كظنهم في الجاهلية. وقال مقاتل: ظن الجاهلية كظن الجهال المشركين، مثل أبي سفيان وأصحابه {يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الامر مِن شَىْءٍ} يعني: النصرة والفتح {قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ للَّهِ} يعني النصرة والغنيمة كله من الله {يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِم} أي يُسِرُّونَ في أنفسهم {مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ} أي يقولون ما لا يظهرون لك {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الامر شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا} أي يقولون لو كان ديننا حقاً ما قتلنا {ها هنا} قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه يقولون: هل لنا من الأمر من شيء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا {مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ للَّهِ} وقال الضحاك: {قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ} يعني القدر خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: قل إِنَّ الأَمْرَ كُلُّه لله بضم اللام، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالرفع جعله اسماً مستأنفاً، ومن نصب جعله نعتاً للأمر.

ثم قال تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ} يقول: لظهر. ويقال: لخرج {الذين كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتل} أي قُضِيَ عَلَيهم القتل {إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} أي إلى مواضع مصارعهم. معناه: أنهم وإن لم يخرجوا إلى العدو وقد قضى الله عليهم بالقتل، لخرجوا إلى مواضع قتلهم لا

محالة، حتى ينفذ فيهم القضاء. قال تعالى: {وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ} يعني ليختبر ويظهر ما في قلوبكم {وَلِيُمَحّصَ} يعني: ليظهر ويكفر {مَا فِي قُلُوبِكُمْ} من الذنوب {والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: بما في القلوب من الخير والشر.

صفحه 10 نداءِ ايمان

تفسير الآيات رقم [155- 159]

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)}

ثم نزل في المنهزمين قوله تعالى: {إِنَّ الذين تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ} أي الذين انهزموا منكم {يَوْمَ التقى الجمعان} يعني جمع المسلمين، وجمع المشركين {إِنَّمَا استزلهم الشيطان} قال القتبي: استزلهم أي طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلاناً أي طلبت عجلته؛ واستعملته أي طلبت عمله. ويقال: زَيَّنَ لهم الشيطان {بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ} يعني: الذي أصابهم كان بأعمالهم كما قال في آية أخرى {وَمَآ أصابكم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30]. {وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُمْ} حيث لم يستأصلهم {أَنَّ الله غَفُورٌ} لذنوبهم {حَلِيمٌ} إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة.

قال: حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا السراج، قال: حدّثنا قتيبة، قال: حدّثنا أبو بكر عن غيلان بن جرير، أن عثمان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال له عبد الرحمن: أتسبُّني وقد شهدت بدراً ولم تشهدها؟ وبايعتُ تحت الشجرة ولم تُبَايِع؟ وقد كنت توليت فيمن تولى يوم الجمع أي يوم أحد فردّ عليه عثمان وقال: أما قولك إنك شهدت بدراً ولم أشهدها، فإني لم أغب عن شيء شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مريضة فكنت معها أُمرِّضها، وضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم في سهام المسلمين. وأما بيعة الشجرة، فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً على المشركين بمكة؛ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه على شماله قال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فيمين رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ خير من يميني وشمالي. وأما يوم الجمع فقال الله تعالى: {إِنَّ الذين تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ

التقى الجمعان إِنَّمَا استزلهم الشيطان بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا الله عَنْهُمْ} فكنت فيمن عفى الله عنهم. فخصم عثمان عبد الرحمن بن عوف.

ثم قال تعالى: {حَلِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كالذين كَفَرُواْ} يعني منافقي أهل الكتاب {وَقَالُواْ لإخوانهم} من المنافقين: {إِذَا ضَرَبُواْ فِى الارض} يعني إذا ساروا في الأرض تجاراً مسافرين، فماتوا في سفرهم {أَوْ كَانُواْ غُزًّى} يعني: خرجوا في الغزو فقتلوا. قال القتبي: غزّاً جمع غاز، مثل صائم وصُوَّم، ونائم ونوم {لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا} بالمدينة {مَا مَاتُواْ} في سفرهم {وَمَا قُتِلُواْ} في الغزو {لِيَجْعَلَ الله ذلك} الظن {حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ} ويقال: جعل الله ذلك القول حسرة في قلوبهم لأنه ظهر نفاقهم. وقال الضحاك: ليجعل الله ذلك حسرة في قلوب المنافقين، لأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في أشجار الجنان حيث شاءت.

وأرواح قتلى المنافقين في حواصل طير سُودٍ تسرح في الجحيم.

ثم قال تعالى: {والله يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي يحيي في السفر ويميت في الحضر، ويحيي في الحضر ويميت في السفر. ويقال: والله يحيي قلوب المؤمنين ويميت قلوب الكافرين، يحيي قلوب المؤمنين بالنصرة والخروج إلى الغزو، ويميت قلوب المنافقين بالتخلف وظن السوء. وقال الضحاك: يعني يحيي من أحيى من نطفة بقدرته، ويميت من أمات بعزته وسلطانه. {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} قرأ عبد الله بن كثير وحمزة والكسائي: يعملون بالياء على معنى المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء. ومعناه قل لهم: والله بما تعملون بصير {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ} يعني: إن متم في إقامتكم، أو قتلتم في سبيل الله وأنتُم مُؤْمنون {لَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله} لذنوبكم {وَرَحْمَةً} يعني: ونعمة وجنة {خَيْرٌ مّمَّا} في الدنيا من الأموال يا معشر المنافقين. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: متم بضم الميم في جميع القرآن، والباقون بكسرها. وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم قال: {يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ} في الغزو {لإِلَى الله تُحْشَرُونَ} بعد الموت. قرأ عاصم في رواية حفص: خير مما يَجْمَعون بالياء. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة {فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ الله لِنتَ لَهُمْ} يقول: فبرحمة من الله وما صلة، فالله ذكر منه أن جعل رسوله رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين، حيث قال: فبرحمة من الله {لِنتَ لَهُمْ} يا محمد أني لينت لهم جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب} أي خشناً في القول غليظ القول {لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} أي لتفرقوا من عندك، ولكن الله جعلك سهلاً سَمْحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً، وهكذا قال الضحاك.

ثم قال: {فاعف عَنْهُمْ} أي: فتجاوز عنهم، ولا تعاقبهم بما يكون منهم من الزلة والذنب {واستغفر لَهُمُ} من ذلك الذنب {وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر} يقول: إذا أردت أن تعمل عملاً فاعمل بتدبيرهم ومشاورتهم، ويقال: ناظرهم في الأمر. ويقال: ناظرهم عند القتال.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: وشاوِرْهُمْ في بَعْضِ الأمر، لأنه كان يشاورهم فيما لم ينزل عليه الوحي فيه، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم عاقلاً ذا رأي، ولكنه أمر بالمشورة ليَقْتَدي به غيره، ولأن في المشاورة تودُّداً لأصحابه، لأنه إذا شَاوَرهم تَوَدَّد قلوبهم. وفي المشورة أيضاً ترك الملامة، لأنه يقال: فعلت كذا بمشاورتكم. وروى سهل بن سعيد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا شَقِيَ عَبْدٌ قَطّ بِمَشُورَةٍ وَمَا سَعِدَ عَبْدٌ بِاسْتِغْنَاءِ رَأْيٍ» ثم قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله} أي لا تتوكل على المشورة، ولكن توكل على الله بعد المشورة لا على الأصحاب {إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} الذين يتوكلون على الله.

تفسير الآية رقم [160]

{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)}

ثم أخبر عزّ وجلّ أن النصرة من عند الله كلها، فقال تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ الله} يقول إن يمنعكم الله {فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ} من العدو يعني يوم بدر {وَإِن يَخْذُلْكُمْ} يعني يوم أحد {فَمَن ذَا الذى يَنصُرُكُم مّنْ بَعْدِهِ} أي: يمنعكم من عدوكم {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} أي: فليتّق الواثقون في النصرة ويقال: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، لأنهم عرفوا أنه لا ناصر لهم غيره.

تفسير الآيات رقم [161- 163]

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163)}

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِىّ أَنْ يَغُلَّ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: يَغُل بنصب الياء. وقرأ الباقون: يُغَل بضم الياء ونصب الغين. فمن قرأ بالنصب معناه: وما كان لنبي أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ بالضم فمعناه: لا ينسب إلى الغلول. وذلك أنه لما كان يوم أحد أخذوا في النهب والغارة وتركوا القتال، وخافوا أن تفوتهم الغنيمة، وظنوا أن من أخذ شيئاً يكون له، وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يقسم لهم، فنزلت هذه الآية: {وَمَا كَانَ لِنَبِىّ أَنْ يَغُلَّ} يقول: ما جاز لنبيّ أن يخون في الغنيمة، وما جاز لأصحابه أن ينسبوه إلى الخيانة {وَمَن يَغْلُلْ} أي يخن في الغنيمة {يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القيامة} يعني يحمله على ظهره. وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لأَعرِفَنّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَأْتِي عَلَى عُنقِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله شَيْئاً» يريد أن من غل شاة أو بقرة، أتى بها يوم القيامة يحملها. ويقال: من غلّ شيئاً

في الدنيا، يمثل له يوم القيامة في النار، ثم يقال له: انزل إليه فَخُذْه، فيهبط إليه فإذا انتهى إليه حمله، فكلما انتهى به إلى الباب سقط منه إلى أسفل جهنم، فيرجع فيأخذه فلا يزال كذلك ما شاء الله. ويقال: {يَأْتِ بِمَا غَلَّ} يعني تشهد عليه يوم القيامة تلك الخيانة والغلول، ويقال هذا على سبيل التمثيل {يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القيامة} أي بوباله، فيكون وباله على عنقه كما قال في آية أخرى: {قَدْ خَسِرَ الذين كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الله حتى إِذَا جَآءَتْهُمُ الساعة بَغْتَةً قَالُواْ ياحسرتنا على مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام: 31].

ثم قال تعالى: {ثُمَّ توفى كُلُّ نَفْسٍ} أي توفى وتجازى كل نفس {مَّا عَمِلَتْ} من خير أو شر {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً {أَفَمَنِ اتبع رضوان الله} قال الكلبي: يعني أفمن أخذ الحلال من الغنيمة {كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مّنَ الله} يعني: كمن استوجب سخطاً من الله بأخذ الغلول من الغنائم. ثم بيّن مستقر كل من غل يوم القيامة ومن أخذ من الحلال، فقال لمن غل: {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المصير} الذي صاروا إليه يعني النار. وقال في حق من أخذ الحلال: {هُمْ درجات عِندَ الله} يعني لهم درجات في الجنة عند الله، ويقال: هم ذوو درجات عند الله {والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} أي بمن غلّ وبمن لم يغل. وقال القتبي: هي طبقات عند الله في الفضل، فبعضهم أرفع من بعض. وقال أبو عبيدة والكسائي: لهم درجات عند الله، ويقال لمن لم يغل درجات في الجنة، ولمن غل درجات في النار.

تفسير الآيات رقم [164- 168]

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)}

لَقَد مَنَّ الله على المؤمنين} أي أنعم الله عليهم {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ} يعني: من أصلهم ونسبهم من العرب، يعرفون نسبه. ويقال: من أنفسهم، يعني من جنسهم من بني آدم، ولم يجعله من الملائكة. وإنما خاطب بذلك المؤمنين خاصة لأن المؤمنين هم الذين صدقوه فكأنه منهم. وقرئ في الشاذ: من أَنفسكم بنصب الفاء، أي من أشرفهم. وقد كانت له فضيلة في ثلاثة أشياء: أحدها: أنه كان من نسب شريف لأنهم اتفقوا أن العرب

أفضل، ثم من العرب قريش، ثم من قريش بنو هاشم، فجعله من بني هاشم. والثاني: أنه كان أميناً فيهم قبل الوحي. والثالث: أنه كان أمياً لكي لا يرتاب فيه الافتعال.

ثم قال: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياته} أي يعرض عليهم القرآن {وَيُزَكِّيهِمْ} يعني يأخذ منهم الزكاة ليطهر أموالهم، ويقال: ويزكيهم يعني يطهرهم من الذنوب والشرك. ويقال: ويزكيهم أي يأمرهم بكلمة الإخلاص، وهي قول لا إله إلا الله، {وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب} يعني القرآن، والحكمة أي الفقه وبيان الحلال والحرام {وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضلال مُّبِينٍ} أي: وقد كانوا من قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم لفي خطأ بَيِّن.

ثم رجع إلى قصة أُحد وذكر التعزية للمؤمنين بما أصابهم من الجراحات، فقال: {أَوَ لَمَّا أصابتكم مُّصِيبَةٌ} يعني يوم أُحد {قَدْ أَصَبْتُمْ مّثْلَيْهَا} يوم بدر، لأن المسلمين يوم بدر قتلوا سبعين نفساً من صناديد قريش وأسروا سبعين، وقتل من المسلمين يوم أُحد سبعين ولم يؤسر منهم أحد، فذلك قوله تعالى: {قَدْ أَصَبْتُمْ مّثْلَيْهَا} وقوله: {أَوَلَمَّا} فالألف للاستفهام والواو للعطف وما صلة، فكأنه قال: ولئن متم أو قتلتم أو أصابتكم مصيبة يوم أحد، قد أصبتم مثليها يوم بدر {مّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أنى هذا} يعني قلتم: فمن أين لنا هذا؟ وكيف أصابنا هذا ونحن مسلمون؟ {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ} أي من عند قومكم بمعصية الرماة، بتركهم ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الضحاك: {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}، يعني بذنوبكم التي سلفت منكم قبل القتال، يعني أن في ذلك تطهيراً لما سلف من ذنوبكم وهو قوله تعالى: {وَمَآ أصابكم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30]. {إِنَّ الله على كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ} من النصرة والهزيمة {وَمَا أصابكم يَوْمَ التقى الجمعان} فبإذن الله، أي جمع المسلمين وجمع المشركين {فَبِإِذْنِ الله} أي فبإرادة الله أصابكم {وَلِيَعْلَمَ المؤمنين وَلِيَعْلَمَ الذين نَافَقُواْ} يعني أصابتكم المصيبة لكي يظهر المؤمن من المنافق.

ثم بيّن أمر المنافقين وصنيعهم وقلة حسبتهم في أمر الجهاد، فقال: {وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أَوِ ادفعوا} يعني: إن لم تقاتلوا لوجه الله، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وحريمكم.

قال الكلبي: ويقال ادفعوا يعني: كثروا. وقال القتبي: ادفعوا، أي كثروا لأنكم إذا كثرتم ثم دفعتم القوم بكثرتكم {قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتبعناكم هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمان} يعني: أن ميلهم إلى الكفر أقرب من ميلهم إلى الإيمان. وقوله: {لاتبعناكم} أي لجئنا معكم. قال الضحاك: وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما خرج يوم أحد، أبصر كتيبة خشناء وفيها كبكبة من الناس، فقال: «مَنْ هَؤُلاءِ»؟ فقيل: يا نبيّ الله، هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي. فقال: «إِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِالكُفَّارِ» فرجع عبد الله مع حلفائه من اليهود. فقال له عمر: أقم مع المؤمنين. فقال: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتبعناكم}. ويقال: إن عونهم للكفار أكثر من عونهم للمؤمنين {يَقُولُونَ بأفواههم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ} ذكر الأفواه على معنى التأكيد،

لأن الرجل يقول بالمجاز بالإشارة، وهذا كما قال: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79] و{سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب شَغَلَتْنَآ أموالنا وَأَهْلُونَا فاستغفر لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [الفتح: 11] {والله أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} من النفاق والكفر.

ونزل فيهم أيضاً: {الذين قَالُواْ لإخوانهم} من المنافقين {وَقَعَدُواْ} عن الجهاد {لَوْ أَطَاعُونَا} في القعود عن الجهاد {مَا قُتِلُوا} في الغزو {قُلْ} لهم يا محمد {فَادْرَءوا عَنْ أَنفُسِكُمُ} في حال حضور {الموت إِن كُنْتُمْ صادقين} في مقالتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول: لما نزلت هذه الآية: {فَادْرَءوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ} مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

تفسير الآيات رقم [169- 170]

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)}

ثم نزل في شأن الشهداء: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني في طاعة الله

{أمواتا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} من التحف؛ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون مات فلان ومات فلان، فنزلت هذه الآية: {بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} وهذا قول الكلبي. ويقال: ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً كسائر الأموات بل أحياء، يعني: هم كالأحياء عند ربهم، لأنه يُكْتب لهم أجرهم إلى يوم القيامة، فكأنهم أحياء في الآخرة. ويقال: لا تظن كما يظن الكفار بهم أنهم لا يبعثون، بل يبعثهم الله ويقال: أرواحهم في المنزلة والكرامة بمنزلة الشهداء الأحياء وروي عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلَ الله أَرْوَاحَهُم فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مُنْقَلَبِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ، وَرَأَوْا مَا عِنْدَ الله لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا عَلِمُوا مَا أَعدَّ الله لَنَا مِنَ الكَرَامَةِ، وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَلَمْ يَنكلُوا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَمْ يَجْبُنُوا عِنْدَ القِتَالِ، فَقَالَ الله تَعَالَى أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أمواتا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} »{فَرِحِينَ} أي معجبين {بِمَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} أي من رزقه في الجنة {وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مّنْ خَلْفِهِمْ} من إخوانهم من بعدهم أن يأتوهم.

ثم رجع إلى الشهداء فقال تعالى: {أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من الدنيا. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: ولا تَحْسَبَنَّ بنصب السين في جميع القرآن. وقرأ الباقون: بالكسر. وقرأ ابن عامر: قُتِّلُوا بتشديد التاء على معنى التكثير، يعني أنهم يقتلون واحداً فواحداً. وقرأ الباقون بالتخفيف.

تفسير الآيات رقم [171 -171]

{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)}

قوله تعالى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مّنَ الله وَفَضْلٍ} يقول: بجنة من الله، ويقال: بمغفرة من الله {وَفَضَّلَ} يعني: الكرامات في الجنة. وروي عن مجاهد أنه كان يقول: السيوف مفاتيح الجنة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشَّهِيدُ يَشفعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ» قال الفقيه: أروي هذا الحديث بمعناه لا بلفظه، إن الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات، لم يكرم بها أحد من الأنبياء ولا أنا، إحداها: أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذي سيقبض روحي، وأما الشهداء فالله تعالى هو الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء، ولا يسلط على أرواحهم ملك الموت. والثانية: أن جميع الأنبياء قد غُسِّلوا بعد الموت، وأنا أُغسَّل بعد الموت، وأما الشهداء فلا يغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا. والثالثة: أن جميع الأنبياء قد كفنوا وأنا أكفن أيضاً، والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم. والرابعة: أن جميع الأنبياء لما ماتوا فقد سُمُّوا أمواتاً، وإذا مت أنا يقال: قد مات؛ والشهداء لا يُسمون موتى. والخامسة: أن الأنبياء تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة، وشفاعتي أيضاً يوم القيامة، وأما الشهداء فيشفع لهم في كل يوم فيمن يستشفعون.

ثم قال تعالى: {وَأَنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المؤمنين} قرأ الكسائي: وإنَّ بكسر الألف، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله، ويستبشرون بأن الله لا يضيع ثواب المؤمنين الموحدين. ومن قرأ بالكسر على معنى الابتداء: إن الله لا يبطل ثواب عمل الموحدين، وهذا الخبر للترغيب في الجهاد. وأما الشهداء والأولياء، فيشفع لهم لا يبلغون إلى درجة الأنبياء. ومن قال: إنهم يبلغون إلى درجة الإباحة، ومن أنكر كرامات الأولياء فهو معتزلي.

تفسير الآيات رقم [172- 175]

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)}

قوله تعالى: {الذين استجابوا لِلَّهِ والرسول} قال في رواية الكلبي: وذلك أن أبا سفيان حين رجع من أُحد، نادى فقال: يا محمد، إن الموعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى. فقال صلى الله عليه وسلم لعمر: «قُلْ لَهُ ذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى» ثم ندم أبو سفيان، فقال لنعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجارة: إذا أتيت المدينة، فخوّفهم لكيلا يخرجوا. فلما قدم نعيم المدينة قال: إن أبا سفيان قد جمع خلقاً كثيرة، فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إليهم وتثاقلوا، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعِي مِنْكُمْ أَحَدٌ» قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للميعاد، ومعه نحواً من سبعين رجلاً، حتى انتهوا إلى ذلك الموضع، وكان هنالك سوق فلم يخرج أحد من أهل مكة، فتسوقوا من السوق حاجتهم وانصرفوا، فنزل قوله تعالى: {الذين استجابوا لِلَّهِ والرسول}.

{مِن بَعْدِ مَا أصابهم القرح} يعني أصابتهم الجراحات يوم أُحد {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ} أي الذين أوفوا الميعاد {واتقوا} السخط في معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم {أَجْرٌ عَظِيمٌ} أي ثواب كثير {الذين قَالَ لَهُمُ الناس} يعني نعيم بن مسعود، وإنما أراد به جنس الناس وكان رجلاً واحداً {إِنَّ الناس قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ} يعني أبا سفيان وأصحابه {فاخشوهم} ولا تخرجوا إليهم {فَزَادَهُمْ إيمانا} أي تصديقاً، ويقيناً، وجرأة على القتال {وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوكيل} أي ثقتنا بالله، وأيقنوا أن الله لا يخذل محمداً صلى الله عليه وسلم {وَنِعْمَ الوكيل} أي نعم الثقة لنا. {فانقلبوا} انصرفوا {بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله} أي بأجر من الله {وَفَضْلٍ} يعني ما تسوقوا به من السوق، واشتروا الأشياء بسعر رخيص {لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء} يعني قتال {واتبعوا رضوان الله والله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} أي ذو مَنٍّ عظيم. وقال في رواية الضحاك: كان ذلك يوم أُحد، لما انهزمت قريش، ونزلت في مواضع، وكثرت الجراحات في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج إليهم فأجابه سبعون رجلاً، فنزلت هذه الآية قوله تعالى: {إِنَّمَا ذلكم الشيطان يُخَوّفُ أَوْلِيَاءهُ} يعني نعيم بن مسعود، لأن كل عات متمرد شيطان يخوف أولياءه، يعني بأوليائه الكفار. ويقال: يخوف أشكاله. وقال الزجاج: {إِنَّمَا ذلكم الشيطان} أي ذلك التخويف عمل الشيطان، يخوفكم من أوليائه. وقال القتبي: يخوف أولياءه أي بأوليائه، أي كما.

قال تعالى: {قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المؤمنين الذين يَعْمَلُونَ الصالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف: 2] يعني لينذركم ببأس شديد.

ثم قال تعالى: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ} في الخروج {وَخَافُونِ} في القعود {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي مصدقين. قال الزجاج: معناه إن كنتم مصدقين، فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم.

تفسير الآيات رقم [176- 176]

{وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176)}

{وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر} قال الكلبي: يعني به المنافقين ورؤساء اليهود، كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب فنزل: {وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر}. ويقال: إن أهل الكتاب لما لم يؤمنوا، شقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الناس ينظرون إليهم ويقولون: إنهم أهل الكتاب، فلو كان قوله حقاً لاتبعوه. فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في مشركي قريش، لأنهم كانوا أقرباءه، والناس يقولون: لو كان قوله حقاً لاتبعه أقرباؤه، فشق ذلك عليه فنزلت {وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر} أي يبادرون في الكفر ولا يصدقونك {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً} أي لا ينقصوا من ملك الله شيئاً وسلطانه شيئاً بكفرهم وهذا كما روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قَالَ الله لَو أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَجِنَّكُمْ وَإِنْسَكُمْ كَانُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذلك فِي مُلْكِ الله شَيْئاً وَلَوْ كَانَ أوَّلُكُمْ وَآخِرُكُمْ وَجِنُّكُمْ وَإنْسُكُمْ كَانُوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»

ثم قال تعالى: {يُرِيدُ الله أَن ألا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِى الاخرة} أي نصيباً في الجنة {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} في الآخرة. قرأ نافع: ولا يُحْزِنْكَ بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك ما كان نحو هذا في جميع القرآن إلا في قوله تعالى: {لاَ يَحْزُنُهُمُ الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: 103] وقرأ الباقون بنصب الياء وضم الزاي، وهما لغتان وتفسيرهما واحد.

تفسير الآيات رقم [177- 177]

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين اشتروا} يعني اختاروا {الكفر بالإيمان لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً} يقول لن ينقصوا من ملك الله شيئاً، وإنما أضروا بأنفسهم حيث استوجبوا لأنفسهم العذاب، {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [178- 178]

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)}

قوله تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاِنفُسِهِمْ} يعني: لا يظن الكفار أن الذي نملي لهم ونمهلهم خير لهم، ويقال: ما نعطيهم من المال والولد لا يظنن أن ذلك خير لهم في الآخرة، بل هو شر لهم في الآخرة {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} أي نعطي لهم المال والولد، يهانون به من العذاب. ويقال: إنما نملي لهم، أي بما أصابوا من الظفر يوم أُحد لم يكن ذلك خيراً لأنفسهم، وإنما كان ليزدادوا عقوبة. ويقال: إنما نملي لهم ونؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثماً، أي جرأة على المعاصي. وإنما كان ذلك مجازاة لكفرهم وخبث نياتهم. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما من بر وفاجر إلا والموت خير له، لأنه إن كان براً فقد قال الله تعالى: {لَكِنِ الذين اتقوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ الله وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ} [آل عمران: 198] وإن كان فاجراً فقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً} قرأ ابن عامر وعاصم: لا يحسبن بالياء ونصب السين. قرأ الباقون بالتاء وكسر السين، وكذلك الذي بعد هذا.

تفسير الآيات رقم [179- 179]

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)}

ثم قال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} قال الكلبي: وذلك أن قريشاً من أهل مكة قالوا: يا رسول الله إنك تزعم أن الرجل منا في النار، وإذا ترك ديننا واتبع دينك قلت هو من أهل الجنة، فأخبرنا عن هذا من أين هو؟ وأخبرنا مَن يأتيك منا ومن لا يأتيك؟ فأنزل الله تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} من الكفر والنفاق. {حتى يَمِيزَ الخبيث مِنَ الطيب} يقول: حتى يخلص الكافر من المؤمن {وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} أي ليبين لكم المؤمن من الكافر قبل أن يؤمن. وقال الفراء: لم يكن الله ليعلمكم ذلك فيطلعكم على غيبه {وَلَكِنَّ الله يَجْتَبِى} يقول يصطفي {مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء} للنبوة والرسالة من خلقه، فيوحي إليه بإذنه. قال في رواية الضحاك: إن المنافقين أعلنوا الإسلام وأسروا الكفر، وصلوا وجاهدوا مع المؤمنين، فأحب الله أن يميز بين الفريقين، وأن يدل رسوله على سرائر المنافقين فقال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخبيث مِنَ الطيب} يعني المنافق من المؤمن {وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} ولكن الله يطلع أنبياءه ورسله، يعني: أن المؤمنين لا يعلمون سر المنافقين، ولكن الله يبين ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين}، أي ليترك من علم أنه من أهل الإيمان على ما أنتم عليه من الكفر حتى يوفقه للإيمان، {وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} ولكن الله يطلع أنبياءه ورسله بالوحي، حتى يكون ذلك علامة لنبوتهم.

ثم قال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين} بالله ورسله {وَتَتَّقُواْ} الشرك والمعصية {فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} أي ثواب عظيم في الجنة. ويقال: إن الكفار لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيّن لهم من يؤمن منهم، فنزل قوله: {مَّا كَانَ الله} يعني ولا تشتغلوا بما لا يعنيكم، واشتغلوا بما يعنيكم، فآمنوا بالله ورسله فإنكم إن فعلتم ذلك فلكم أجر عظيم. قرأ حمزة والكسائي: حتى يُميز مع التشديد بضم الياء ونصب الميم. وقرأ الباقون بنصب الياء وكسر الميم بغير تشديد، وتفسيرهما واحد إلا انك إذا قرأت بالتشديد قد يكون عبارة عن الكثرة والمبالغة.

تفسير الآيات رقم [180- 181]

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)}

ثم قال تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بِمَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك {هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ} يعني: أن البخل شر لهم. ويقال: الفضل شر لهم {سَيُطَوَّقُونَ} يقول سيوثقون {مَا بَخِلُواْ بِهِ} من الزكاة كهيئة الطوق. وروي عن ابن عباس أنه قال: يأتي كنز أحدهم، شجاع أقرع له زبيبتان طوقاً في عنقه، يلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا فذلك قوله تعالى: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القيامة} ويقال: هو طوق من نار في عنقه. ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عنقهم كما قال في آية أخرى: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طائره فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القيامة كِتَابًا يلقاه مَنْشُوراً} [الإسراء: 13].

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السموات والارض} يعني إذا هلك الخلق كلهم أهل السموات من الملائكة، وأهل الأرض من الإنس والجن وسائر الخلق، ويبقى رب العالمين ثم يقول: {يَوْمَ هُم بارزون لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ لِّمَنِ الملك اليوم لِلَّهِ الواحد القهار} [غافر: 16]. فلا يجيب أحد فيرد على نفسه فيقول: {ياصاحبى السجن ءَأَرْبَابٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحد القهار} [يوسف: 39 وغيرها] فذلك قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السموات والارض} يعني يهلك أهل السموات والأرض ولم يبق لأحد ملك. وإنما سمي ميراثاً على وجه المجاز، لأن القرآن بلغة العرب، وكانوا يعرفون أن من رجع الملك إليه يكون ميراثاً على وجه المجاز، وأما في الحقيقة فليس بميراث، لأن الوارث في الحقيقة هو الذي يرث شيئاً لم يكن يملكه من قبل، والله عز وجل مالكهما، وكانت السموات وما فيها والأرض وما فيها له، وإنما كانت الأموال عارية عند أربابها، فإذا ماتوا رجعت العارية إلى صاحبها الذي كانت له في الأصل. ومعنى الآية أن الله تعالى

أمر عباده أن ينفقوا ولا يبخلوا، قبل أن يموتوا ويتركوا المال ميراث الله لله تعالى، ولا ينفعهم إلا ما أنفقوا.

ثم قال تعالى: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} أي عالم بمن يؤدي الزكاة وبمن يمنعها، فيجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بما يعملون بالياء، والباقون بالتاء على وجه المخاطبة {لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}. وقال في رواية الضحاك: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت الفجرة من كفرة اليهود: أفقير ربنا فيستقرضنا؟ قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية.

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى اليهود ليأمرهم بالإسلام، وأن يعطوا الصدقة ويؤمنوا، فلما انتهى إليهم أبو بكر قال فنحاص بن عازورا: أيسأل الله منا الصدقة؟ فهو فقير ونحن أغنياء. فنزلت هذه الآية {لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} أي حفظ قولهم ونجازيهم ويقال: سنكتب ما قالوا، يعني: يكتب عليهم الكرام الكاتبون ويؤاخذون به في الآخرة {وَقَتْلِهِمُ} أي ونكتب قتلهم {الانبياء بِغَيْرِ حَقّ} يعني بلا جرم {وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الحريق} أي تقول لهم خزنة جهنم في الآخرة ذلك. قرأ حمزة: سيُكتَب بضم الياء ونصب التاء، وقتلُهم الأنبياء بضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله، يعني يكتب قتلهم الأنبياء، ويقول بالياء. والباقون سنكتب بالنون، وقتلهم بنصب اللام، ونقول بالنون. وقوله: {ذُوقُواْ عَذَابَ الحريق} روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ أَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بِالْمَشْرِقِ لَغَلَتْ مِنْهَا جَمَاجِمُ قَوْمٍ بِالمَغْرِبِ، وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سَلاَسِلِ النَّارِ وُضِعَتْ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لاحْتَرَقَ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ» فهذا معنى قوله: {عَذَابَ الحريق}.

تفسير الآيات رقم [182- 182]

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)}

ثم قال: {ذلك بِمَا قَدَّمَتْ} يعني يقال لهم: ذلك العذاب بما قدمت {أَيْدِيكُم} من الكفر والتكذيب، أي بما قدمتم. وذكر الأيدي على معنى الكتابة {وَأَنَّ الله لَيْسَ بظلام لّلْعَبِيدِ} أي لا يعذب أحداً بغير ذنب.

تفسير الآيات رقم [183- 183]

{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183)}

قوله تعالى: {الذين قَالُواْ} يعني كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف وغيرهما من رؤساء اليهود: قالوا: {إِنَّ الله عَهِدَ إِلَيْنَا} يعني أمرنا في التوراة {أَن لا نُؤْمِنُ} يعني أن لا نصدق {لِرَسُولٍ حتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النار} يعني تجيء نار من السماء فتأكل القربان بالبينات، فإن جئتنا بها صدقناك قال الله تعالى: {قُلْ} يا محمد {قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بالبينات وبالذى قُلْتُمْ} يعني: بالآيات والعلامات {وبالذى قُلْتُمْ} يعني قد جاءكم الرسل بالذي قلتم من أمر القربان {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} يعني زكريا ويحيى وغيرهما {إِن كُنتُمْ صادقين} فيما تقولون.

تفسير الآيات رقم [184- 184]

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184)}

قوله تعالى: {فَإِن كَذَّبُوكَ} بما تقول لهم {فَقَدْ كُذّبَ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ} فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم، فقد {موسى بالبينات} يعني الرسل جاؤوا بالبينات، أي من قبلك، وقد جاؤوا بالآيات والعلامات {والزبر} قال الكلبي: يعني بأحاديث الأنبياء من قبلهم بالنبوة على ما يكون {والكتاب المنير} يعني: الحلال والحرام. وقال الزجاج: الزبر جماعة الزبور وهو الكتاب يقال: زَبَرْتُ أي كتبت، ويقال: زَبَرْتُ أي قرأت، والكتاب المنير يعني المعنيّ بالحلال والحرام. قرأ أبو عمرو بالزبر مع الباء، وقرأ الباقون والزبر بالواو.

تفسير الآيات رقم [185- 185]

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)}

ثم قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: 26] قالت الملائكة هلك أهل الأرض، فلما نزل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} أيقنت الملائكة أنها هلكت معهم. ثم قال {وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} أي توفون ثواب أعمالكم {يَوْمَ القيامة فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النار} يقول بَعُد وَنُحِّي عنها {وَأُدْخِلَ الجنة فَقَدْ فَازَ} يعني: نجا وسعد في الجنة. حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا المسيب عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْيَأْت إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه» وقوله: {وَما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور} قال ابن عباس: متاع الغرور مثل القدر والقارورة والسكرجة ونحو ذلك، لأن ذلك لا يدوم، وكذلك الدنيا تزول وتفنى ولا تبقى.

ويقال: هو مثل الزجاج الذي يسرع إليه الكسر، ولا يصلحه الجبر. ويقال: كزاد المسافر، يسرع إليه الفناء فكذلك الدنيا.

تفسير الآيات رقم [186- 186]

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)}

قوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِى أموالكم وَأَنفُسِكُمْ} يقول: لتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب، ويقال بوجوب الحقوق فيها وفي أنفسكم، بالأمراض والأوجاع والقتل {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلِكُمْ} حين قالوا: {لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قالوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الانبياء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الحريق} [آل عمران: 181] {وَمِنَ الذين أَشْرَكُواْ} يعني مشركي العرب {أَذًى كَثِيراً} باللسان والفعل، ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر رضي الله عنه، كانوا أهل الجاهلية يهددونه ويشتمونه ويقولون: إن ما يفعله محمد صلى الله عليه وسلم بمشاورته، فأمره الله تعالى بأن يصبر على أذاهم. فقال تعالى: {وَأَن تَصْبِرُواْ} على أذاهم {وَتَتَّقُواْ} المكافأة ويقال وتتقوا معاصيه {فَإِنَّ ذلك مِنْ عَزْمِ الامور} يعني من حقائق الأمور. ويقال: إن ذلك الصبر من خير الأمور.

تفسير الآيات رقم [187- 195]

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)}

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: أخذ عليهم الميثاق حين أخذ ذرية آدم من ظهورهم. ويقال: أخذ عليهم الميثاق بالوحي في كتب الأنبياء {لَتُبَيّنُنَّهُ لِلنَّاسِ} يعني: نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته {وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} عنهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ليبيننه للناس ولا يكتمونه، كلاهما بالياء. وقرأ الباقون بالتاء، فمن قرأ بالياء فمعناه أخذ عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ومن قرأ بالتاء فمعناه أخذ عليهم الميثاق، وقال لهم: لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ثم أخبر عن سوء معاملتهم ونقضهم الميثاق فقال تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ} أي طرحوه خلف ظهورهم، يعني أنهم تركوا الميثاق ولم يعملوا به {واشتروا بِهِ} أي بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته {ثَمَناً قَلِيلاً} أي عَرضاً يسيراً من متاع الدنيا {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} يعني: بئس ما يختارون لأنفسهم الدنيا على الآخرة {لاَ تَحْسَبَنَّ} يقول: لا تظنن يا محمد {الذين يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُواْ} يقول: يعجبون بما أوتوا، يعني بما غيرّوا من نعته وصفته، وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك: إنا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبياً في آخر الزمان يختم به النبوة، فلما بعثه الله سألهم الملوك: أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهود طمعاً في أموال الملوك: هو غير هذا. فأعطاهم الملوك مالاً فقال الله تعالى: {لاَ تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُواْ} أي بما أعطاهم الملوك {وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ} لأنهم كانوا يقولون: نحن على دين إبراهيم ولم يكونوا على دينه. ويقال: كانوا يقولون نحن أهل الصلاة والصوم والكتاب، ويريدون أن يحمدوا بذلك. قال الله تعالى: {فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ} يقول فلا تظنهم {بِمَفَازَةٍ مّنَ العذاب} معناه لا تظنن أنهم ينجون من العذاب بذلك {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي دائم لا يخرجون منه أبداً.

{وَللَّهِ مُلْك السموات والارض} أي خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: جميع من في السموات والأرض عبيده وفي ملكه {والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ} من النبات وغيره. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام أنهم لا ينجون من عذابه، يأخذهم متى شاء لأنه على كل شيء قدير {إِنَّ فِي خَلْقِ *** السموات والارض} وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية لصحة دعواه، لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فنزل {إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والارض} أي خلقين عظيمين. ويقال: فيما خلق في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار {واختلاف اليل والنهار} يقول: وذهاب الليل ومجيء النهار، ويقال اختلاف لونيهما {لآيَاتٍ} أي لعبرات {لاِوْلِى الالباب} أي لذوي العقول {الذين يَذْكُرُونَ الله قياما وَقُعُوداً} أي يصلون لله قياماً إن استطاعوا على القيام، وقعوداً إن لم يستطيعوا القيام {وعلى جُنُوبِهِمْ} إن لم يستطيعوا القعود لزمانة.

ويقال: معناه الذين يذكرون الله في الأحوال كلها في حال القيام والقعود والاضطجاع، كما قال في آية أخرى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً} [الأحزاب: 41] ثم قال: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السموات والارض} أي يعتبرون في خلقهما. قال: حدثنا

الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا ابن زرارة الحلبي، عن أبي حباب، عن عطاء بن أبي رباح قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة، فسلمنا عليها فقالت: من هؤلاء؟ فقلت: عبد الله بن عمر، وعبيد بن عمير. فقالت: مرحباً بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد: زر غبّاً تَزْدَدْ حُبّاً فقال ابن عمر: دعونا من هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت بكاء شديداً ثم قالت: كل أمره عجب، أتاني في ليلتي فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي، فقال: «يَا عَائِشَةُ أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي» فقلت: والله إني لأحب قربك، والله إني لأحب هواك. فقام إلى قربة ماء فتوضأ، ثم قام فبكى وهو قائم حتى روت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى روت الدموع الأرض. ثم أتاه بلال بعدما أذن للفجر، فلما رآه يبكي قال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يَا بِلالُ أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، وَمَا لِي لا أَبْكِي وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ {إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والارض إِلَى... قَوْلُهُ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ» وقال صلى الله عليه وسلم: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ «

ثم قال تعالى عز وجل: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا باطلا} أي يتفكرون ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلاً عبثاً بغير شيء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن {سبحانك فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} يعني ادفع عذاب النار. وقال الزجاج: معنى {سبحانك} أي تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} أي صدَّقْنا رسلك، وسلَّمنا أن لك جنة وناراً {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النار فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} أي أهنته وفضحته {وَمَا للظالمين مِنْ أَنصَارٍ} يعني: ما للمشركين من مانع من العذاب إذ نزل بهم، ويقولون أيضاً: {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى للإيمان} يعني محمداً يدعو إلى التصديق {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا} أي صدقوا بتوحيد ربكم، فآمنا أي صدقنا بتوحيد ربنا. وقال محمد بن كعب القرظي: ليس كل الناس لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن المنادي هو كتاب الله يدعو إلى الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن آمنوا بربكم فآمنا {رَبَّنَا فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سيئاتنا} وقال الكلبي: الذنوب الكبائر ودون الكبائر، والسيئات الشرك. وقال الضحاك: ذنوبنا يعني ما عملوا في حال الجاهلية، وكفر عنا سيئاتنا، يعني: ما عملوا في حال الإسلام. ويقال: الذنوب والسيئات بمعنى واحد. ويقال: الذنوب هي الكبائر، والسيئات ما دون الكبائر التي تكفر من الصلاة إلى الصلاة {وَتَوَفَّنَا مَعَ الابرار} أي مع المطيعين، ويقال: اجعل أرواحنا مع أرواح المطيعين والصالحين. ويقولون أيضاً: {رَبَّنَا وَءاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا على رُسُلِكَ} يعني أعطنا ما وعدتنا من الخير والجنة على لسان رسلك. ويقال: هو ما ذكر من استغفار الملائكة والأنبياء للمؤمنين، وهو قوله: {تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ

والملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الغفور الرحيم} [الشورى: 5] وما ذكر من دعاء نوح وإبراهيم عليهم السلام للمؤمنين.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القيامة} يعني لا تعذبنا، ويقال: لا تخذلنا {إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الميعاد} يعني ما وعدت من الخير والثواب للمؤمنين {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ} فأخبر الله عن فعلهم، وذكر ما أجابهم به وأنجز لهم موعده، وبيّن لهم ثوابه وهو قوله: {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ}. روي عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من دعا بهذه الدعوات فإنه يستجاب له، لأنه قال تعالى: {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ} يعني ثواب عمل عامل في طاعتي {مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى} يعني رجلاً أو امرأة. قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن رجل من ولد أم سلمة يقال له سلمة بن الأكوع، عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله إني أسمع الله ذكر الهجرة، فذكر فيها الرجال ولم يذكر فيها النساء فأنزل الله تعالى: {أَنّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى}. {بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ} قال الكلبي: أي بعضكم أولياء بعض في الدين. وقال الضحاك: يعني يشبه بعضكم بعضاً في الطاعة. ويقال: بعضكم على أثر بعض، ويقال بعضكم على دين بعض.

{فالذين هاجروا} من مكة إلى المدينة {وَأُخْرِجُواْ مِن ديارهم} يعني: أن أهل مكة أخرجوا مؤمنيهم من مكة {وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى} أي عُذّبوا في طاعتي {وَقَاتِلُواْ} مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين {وَقُتِلُواْ} أي قتلهم المشركون. قرأ حمزة والكسائي: وقتلوا وقاتلوا على معنى التقديم والتأخير كقوله تعالى: {إِذْ قَالَ الله ياعيسى إِنّي مُتَوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذين كفروا وَجَاعِلُ الذين اتبعوك فَوْقَ الذين كفروا إلى يَوْمِ القيامة ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [آل عمران: 55] وقرأ الباقون: وقاتلوا وقتلوا، إلا ابن كثير وابن عامر قرآ وقتّلوا بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة، فذكر الله فعلهم، ثم ذكر ثوابهم فقال: {لأكَفّرَنَّ عَنْهُمْ سيئاتهم} أي لأمحون عنهم ذنوبهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي تجري يعني من تحت قصورها وأشجارها الأنهار {ثَوَاباً مّن عِندِ الله} يعني أن الجنات جزاء لأعمالهم من عند الله. وقال الزجاج: إنما صار نصباً لأنه مصدر مؤكد، معناه: لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولأثيبنهم ثواباً. وروي عن الفراء أنه قال: إنما صار نصباً على التفسير. {والله عِندَهُ حُسْنُ الثواب} أي حسن الجزاء وهو الجنة. ويقال: حسن المرجع في الآخرة خير من الدنيا.

تفسير الآيات رقم [196- 197]

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)}

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد} يقول: لا يحزنك يا محمد ذهابهم ومجيئهم في تجاراتهم ومكاسبهم في الأرض. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين، ومعناه: لا يغرنكم تجارات الكفار وتصرفهم في أموالهم في البلاد، لأن ذلك {متاع قَلِيلٌ} لأن الكفار كانوا في رخاء وعيش، وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف، وكان المؤمنون في ضيق وشدة، فأخبر الله تعالى بمرجع الكفار في الآخرة، وبمرجع المؤمنين فقال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذين كَفَرُواْ} أي ما هم فيه من العيش والسعة، فإنما هو متاع أي يفنى بعد وقت قريب. قوله: {ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي مصيرهم إلى جهنم {وَبِئْسَ المهاد} بئس موضع القراء في النار، وبئس المصير إليها، فما ينفعهم تجاراتهم وأموالهم.

تفسير الآيات رقم [198- 200]

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)}

ثم ذكر مرجع المؤمنين ومصيرهم فقال: {لَكِنِ الذين اتقوا رَبَّهُمْ} أي اتقوا الشرك والفواحش، ووحّدوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً {نُزُلاً مّنْ عِندِ الله} يقول: ثواباً من عند الله للمؤمنين الموحدين خاصة {وَمَا عِندَ الله} الجنة {خَيْرٌ لّلابْرَارِ} من الدنيا للمؤمنين المطيعين {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكتاب لَمَن يُؤْمِنُ بالله} يعني مؤمني أهل الكتاب، معناه من أهل الكتاب من آمن بالله فصدق بقوله {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ} من القرآن وصدق {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ} من التوراة والإنجيل، يعني على أنبيائهم، فذكر حالهم وبيّن ثوابهم لكي يرغب غيرهم من أهل الكتاب ليؤمنوا إذا علموا بثوابهم.

ثم نعتهم فقال تعالى: {خاشعين لِلَّهِ} أي متواضعين لله، والخشوع أصله التذلل وكذلك الخضوع، وقد فرّق بعض أهل اللغة بين الخشوع والخضوع، فقال الخضوع في البدن خاصة، والخشوع يكون في البدن والبصر والصوت والقلب. كما قال الله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الداعى لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأصوات للرحمن فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً} [طه: 108] وقال: {خاشعة أبصارهم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السجود وَهُمْ سالمون} [القلم: 43].

ثم قال تعالى: {لاَ يَشْتَرُونَ بئايات الله ثَمَناً قَلِيلاً} يعني عرضاً يسيراً كفعل اليهود {أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ} أي ثوابهم {عِندَ رَبّهِمْ} الجنة {إِنَّ الله سَرِيعُ الحساب} أي شديد العقوبة، ويقال: سريع الحفظ والتعريف {الحساب يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اصبروا} أي اصبروا على

البلاء والجهاد وأداء الفرائض، وعن المعاصي {وَصَابِرُواْ} مع نبيكم صلى الله عليه وسلم على عدوكم حتى يدعوا دينهم إلى دينكم، يعني يتركوا الشرك ويدخلوا في الإيمان {وَرَابِطُواْ} مع عدوكم ما أقاموا، وهذا قول الكلبي. وقال عكرمة: اصبروا على البلاء وعلى طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة، ورابطوا الخيول. وقال الزجاج: اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم، ورابطوا أي أقيموا على جهادكم بالحرب {واتقوا الله} في جميع ما أمركم ونهاكم. وقال القتبي: أصل المرابطة أن يربطوا خيولهم في الثغر {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يقول: تفوزون وتأمنون النار وتنجون منها. ويقال: أصل الفلاح البقاء بالنعمة، ويقال: الفلاح أن يبلغ الإنسان نهاية ما يؤمل، والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين.

▲ سورة النساء

▲ تفسير الآية رقم [1]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)}

{أَيُّهَا الناس} قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} قال: الناس عامة، وقد يكون {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} خاصة وعامة، يعني خاصة لأهل مكة، وفي هذا الموضع عام لجميع الناس {اتقوا رَبَّكُمُ} يعني اخشوا ربكم ويقال أطيعوا ربكم احذروا المعاصي لكي تنجوا من عقوبة ربكم. وقال: وحّدوا ربكم ولا تشركوا به شيئاً، ثم دل على وحدانية نفسه بصنيعه فقال: {الذى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحدة} يعني آدم {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} يعني خلق من نفس آدم زوجها حواء، وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم، فكان آدم بين النائم واليقظان، فخلق من ضلع من أضلاعه اليسرى حواء، فلما استيقظ قيل له من هذه يا آدم؟ قال امرأة لأنها خلقت من المرء، فقيل: ما اسمها؟ قال: حواء لأنها خلقت من حي. وقد قيل: إنما سميت حواء لأنه كان على شفتيها حوة وقيل لأن لونها كان يضرب إلى السمرة فسميت حواء من قولك أحوى كقوله تعالى {فَجَعَلَهُ غُثَآءً أحوى} [الأعلى: 5]

ثم قال تعالى: {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء} يعني: خلق منهما يعني من آدم وحواء، ونشر منهما رجالاً كثيراً ونساءً، يعني خلق منهما رجالاً كثيراً ونساءً. قال مقاتل: أي خلق منهما ألف ذرية من الناس. ثم قال تعالى: {واتقوا الله} أي أطيعوا الله {الذى تَسَاءلُونَ بِهِ} قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، وأبو عمرو في رواية هارون: «تسألون» بغير تشديد. وقرأ الباقون بالتشديد، فأما من قرأ بالتشديد لأن أصله تتساءلون فأدغم إحدى التاءين في السين وأقيم التشديد مقامه، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل أيضاً تتساءلون، فحذف إحدى التاءين لاجتماع الحرفين من جنس واحد للتخفيف. ثم قال: {والارحام} قرأ حمزة: {والارحام} بكسر الميم، والباقون بنصب الميم، ومعناه واتقوا الله الذي تسألون به الحاجات، يعني الذي يسأل الناس بعضهم بعضاً، فيقول الرجل للرجل: أسألك بالله وأنشدك بالله والأرحام. يقول: واتقوا الله في ذوي الأرحام، فصلوها ولا تقطعوها. وأما من قرأ بالكسر معناه: أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئاً. وقال الزجاج: من قرأ بالخفض فخطأ في العربية وفي أمر الدين، أما الخطأ في العربية لأن

الاسم يعطف على الاسم المفصح به ولا يعطف على المكنى به إلا في اضطرار الشعر، كقول الشاعر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا *** فما لنا بك والأيام من عجب

وأما في غير الشعر فلا يستعمل، وأما الخطأ الذي في الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ " فالسؤال بالأرحام أمر عظيم. ولكن روي عن إبراهيم النخعي أنه كان يقرأ بالخفض أيضاً.

تفسير الآيات رقم [2- 3]

{وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (3)}

ثم قال {وَءاتُواْ اليتامى أموالهم} يقول للأولياء {أَتَوْاْ اليتامى أموالهم} التي عندكم إذا بلغوا النكاح، يعني الحلم {وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث} يعني الحرام {بالطيب} يعني بالحلال من أموالكم يقول: لا تذروا أموالكم الحلال، وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى. ويقال: لا تخلطوا الخبيث بالطيب. ويقال: لا تخلطوا من مالكم الرديء، وتأخذوا الجيد من مال اليتيم. يعني أن يرسل شاة عجفاء في غنمه ويأخذ مكانها شاة سمينة، وفي الحبوب كذلك. ويقال: لا تجعلوا أموالهم وقاية لأموالكم.

ثم قال تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالهم إلى أموالكم} يعني مع أموالكم {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} يعني: إثماً عظيماً قرأ الحسن «حوباً» بنصب الحاء. قال مقاتل: هو بلغة الحبش. قال القتبي: الحُوب والحَوْب واحد، وهو الإثم. وقال مقاتل: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخيه، فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه العم، فنزلت الآية فقرأها عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل: أطعنا الله ورسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لَقَدْ أصَابَ الأَجْرَ وَبَقِيَ الوِزْرُ " فقالوا كيف بقي الوزر وقد أنفقه في سبيل الله؟ فقال: " أصَابَ الغُلامُ الأجْرَ وَبَقِيَ الوِزْرُ عَلَى وَالِدِهِ "

قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى} يعني: ألا تعدلوا في أموال اليتامى، يقال في اللغة: أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار. وقال صلى الله عليه وسلم: " المُقْسِطُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " يعني العادلون. قال الله تعالى: {وَأَمَّا القاسطون فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً} [الجن: 15] يعني الجائرون. ثم قال تعالى: {فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ} وذلك أنهم كانوا يسألون عن أمر اليتامى ويخافون ألا يعدلوا، وكانوا

يتزوجون من النساء ما شاؤوا، فنزلت هذه الآية {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ} {مّنَ النساء مثنى وثلاث وَرُبَاعَ} يعني فكما خفتم ألا تعدلوا في اليتامى، فخافوا في النساء إذا اجتمعن عندكم ألا تعدلوا بينهن. وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون بينهن، ولم يكن لهم أحد يخاصم عنهن، فنهى الله المؤمنين عن ذلك فقال: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى} الآية. ويقال: إنهم كانوا يتزوجون امرأة لها أولاد أيتام، وكانوا لا يحسنون النظر إليهم، فنزل {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ} يعني بغير ولد {مثنى وثلاث وَرُبَاعَ}.

ثم قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ} في القسم والنفقة {فواحدة} يقول: تزوجوا امرأة واحدة، وإن خفتم ألا تعدلوا في الواحدة {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانكم} يعني الإماء، ويقال إن خفتم ألا تعدلوا في القسم بين النساء فواحدة، أي واشتروا الإماء لأن الواحدة لا تحتاج إلى القسمة، والإماء لا يحتاج فيهن إلى القسمة.

وقال بعض الروافض بظاهر هذه الآية أنه يجوز نكاح تسع نسوة، لأنه قال مثنى وثلاث ورباع، فيكون ذلك تسعاً. ولكن أجمع المفسرون أن المراد به التفصيل لا الاجتماع، ومعناه مثنى أو ثلاث أو رباع، وبذلك جاءت الآثار، وهو حديث غيلان بن سلمة أنه أسلم ومعه عشر نسوة، فخيّره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أربعاً وفارق البواقي. وروي عن الكلبي ومقاتل أن قيس بن الحارث كان عنده ثمان نسوة حرائر، فلما نزلت هذه الآية أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلق أربعاً ويمسك أربعاً. وروى محمد بن الحسن في كتاب السير الكبير، أن ذلك كان الحارث بن قيس الأسدي، وهذا هو المعروف عند الفقهاء. ثم قال تعالى: {ذلك أدنى أَلاَّ تَعُولُواْ} أي أحرى ألا تميلوا ولا تجوروا ولا تظلموا.

ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)}

{وَءاتُواْ النساء صدقاتهن نِحْلَةً} يعني أعطوا النساء مهورهن فريضة. ويقال: ديانة كما يقال: فلان ينتحل إلى مذهب كذا، أي يدين بكذا. ويقال نحلة أي صدقة وهبة، لأن المهر

نحلة من الله تعالى للنساء حيث لم يوجب عليهن وأوجب لهن. وقال في رواية الكلبي: إن أهل الجاهلية كان الولي إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كانت غريبة حملوها على بعير إلى زوجها، ولا يعطوها مهرها غير ذلك البعير شيئاً، فنزل قوله تعالى {وَءاتُواْ النساء صدقاتهن نِحْلَةً} يعني به الأولياء، يعني أعطوهن مهورهن نحلة. يقول: عطية لهن. وقال في رواية مقاتل: كان الرجل يتزوج بغير مهر، ويقول: أرثك وترثيني، فنزلت الآية {وَءاتُواْ النساء} يعني الأزواج {صدقاتهن نِحْلَةً} أي مهور النساء نحلة يعني فريضة {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ} يا معشر الأزواج أي أحللن لكم ووهبن لكم، قال في رواية الكلبي: يعني الأولياء إذا وهبت المرأة المهر للولي فذلك قوله {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ} {عَن شَئ مّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً} أي طيباً لا إثم فيه {مَّرِيئاً} أي لا داء فيه، ويقال: هنيئاً مريئاً يعني حلالاً طيباً. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا كان أحدكم مريضاً فليسأل من امرأته درهمين من مهرها، حتى تهب له بطيبة نفسها، فيشتري بذلك عسلاً فيشربه مع ماء المطر، فحينئذٍ قد اجتمع الهنيء والمريء، والشفاء والماء المبارك، يعني أن الله سبحانه تعالى سمى المهر هنيئاً مريئاً إذا وهبت، وسمى العسل شفاء، وسمى ماء المطر مباركاً، فإذا اجتمعت هذه الأشياء يرجى له الشفاء.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تُؤْتُواْ السفهاء أموالكم} يعني النساء والأولاد الصغار، يعني لا يجعل الرجل ماله في يدي امرأته وأولاده، ثم يجعل نفسه محتاجاً إليهم فلا يدفع إليه عند حاجته. ويقال: لا تدفعوا أموالكم مضاربة، ولا إلى وكيل لا يحسن التجارة. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا. فذلك قوله تعالى {وَلاَ تُؤْتُواْ السفهاء أموالكم} يعني الجهال بالأحكام. ويقال: لا تدفعوا إلى الكفار، ولهذا كره علماؤنا أن يوكل المسلم ذمياً بالبيع والشراء، أو يدفع إليه مضاربة ثم قال تعالى: {التى جَعَلَ الله لَكُمْ قياما} يعني الأموال التي جعل الله قواماً لمعاشكم. ثم قال: {وارزقوهم فِيهَا} يعني الأولاد الصغار أطعموهم {واكسوهم} من أموالكم، وكونوا أنتم القوام على أموالكم {وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} يعني إذا طلبوا منكم النفقة ولم يكن عندكم في ذلك الوقت شيء، فعدوا لهم عدة حسنة، أي سأفعل ذلك.

ثم قال: {وابتلوا اليتامى} يعني اختبروا اليتامى وجربوا عقولهم، {حتى إِذَا بَلَغُواْ النّكَاحَ} يعني الحلم ويقال: مبلغ الرجال {وابتلوا اليتامى حتى إِذَا} يقول: إذا رأيتم منهم رشداً، وصلاحاً في دينهم، وحفظاً لأموالهم {فادفعوا إِلَيْهِمْ أموالهم} التي معكم {وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً} في غير حق {وَبِدَاراً} يعني مبادرة في أكله {أَن يَكْبَرُواْ} يعني مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم.

ثم قال: {وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ} أي ليحفظ نفسه عن مال اليتيم {وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف} وقد اختلف الناس في تأويل هذه الآية، وقالوا فيها ثلاثة أقوال. قال بعضهم: يجوز للمعسر أن يأكل على قدر قيامه عليه. وقال بعضهم: لا يجوز أن يأكل إلا

على وجه القرض، ويرد عليه إذا كبر. وقال بعضهم: لا يجوز في الأحوال كلها. فأما من قال إنه يجوز أكله على قدر قيامه فإنه احتج بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم المراد منه بيت المال فمن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً سأله فقال: يا ابن عباس أتي إليّ بمواشي أيتام فهل عليَّ جناح إن أصبت من رسل مواشيهم؟ قال ابن عباس: إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حياضها ولا تفرط لها يوم وردها، فلا جناح عليك إن أصبت من رسلها. وقال مجاهد: كان يقول من أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للوصي أن يأكل بالمعروف مع اليتيم، فإنه يحلب غنمه ويقوم على ماله ويحفظه، وأما من قال إنه يجوز أكله على وجه القرض احتج بما روي عن محمد بن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى {وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف} قال: هو قرض ثم يرد عليه إذا كبر. فقال: ألا ترى أنه قال في سياق الآية {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أموالهم فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ}؟ وقال أبو العالية: ما أكل فهو دين عليه. وقال الشعبي: مثله. وأما من قال إنه لا يجوز أكله، فلأن الله تعالى قال {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: 10] وتلك الآية محكمة وهذه من المتشابهة، لأنه يحتمل التأويل أنهم يأكلون على وجه القرض أو على وجه الإباحة، فيرد حكم المتشابه إلى المحكم. وقد قيل إن هذه الآية منسوخة بتلك الآية. قال الفقيه رحمه الله: إذا كان الوصي فقيراً، فأكل من مال اليتيم مقدار قيامه عليه، أرجو أن لا بأس به، لأن كثيراً من العلماء أجازوا ذلك والاحتراز عنه أفضل.

قرأ نافع وابن عامر {التى جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَّماً} بكسر القاف ونصب الياء بغير ألف، والباقون بالألف ومعناهما قريب.

وقال أهل اللغة: قياماً وقواماً وقيماً بمعنى واحد. وقوله تعالى {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أموالهم} يعني إذا أدرك اليتامى ودفعتم إليهم أموالهم {فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ} على ذلك، وإنما الإشهاد على معنى الاستحباب لنفي التهمة عن نفسه، ولو لم يشهد على ذلك لجاز كقوله تعالى {وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ} ثم قال: {وكفى بالله حَسِيباً} أي شهيداً في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا ينبغي أن يشهد العدول على ذلك لدفع القال عن نفسه، لأن الله تعالى لا يشهد له في الدنيا.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [7- 10]

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)}

{لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوالدان والاقربون} وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء، وإنما يورثون الرجال من كان يقاتل ويحوز الغنيمة، حتى مات أوس بن ثابت الأنصاري، وترك ثلاث بنات وترك امرأة يقال لها: أم كجة، فقام ابن عمه وأخذ ماله، فجاءت المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له القصة. ويقال: مات رفاعة وترك ابنه وابنته، فأخذ الابن ميراثه كله فجاءت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فنزل قوله {لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ} أي حظ {مِّمَّا تَرَكَ الوالدان والاقربون} {وَلِلنّسَاء نَصِيبٌ} أي حظ {مِّمَّا تَرَكَ الوالدان والاقربون مِمَّا قَلَّ مِنْهُ} يعني إن قل المال {أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً} أي حظاً معلوماً لكل واحد من الميراث، فبيّن في هذه الآية أن للرجال نصيباً وللنساء نصيباً، ولكن لم يبين مقدار نصيب كل واحد منهم. ثم بيّن في الآية التي بعدها فقال: {وَإِذَا حَضَرَ القسمة أُوْلُواْ القربى واليتامى والمساكين} قال مقاتل: فيها تقديم وتأخير، ومعناه إذا حضر أولو القربى قسمة الميراث {فارزقوهم مّنْهُ} يعني فأعطوهم من الميراث. قال مقاتل: وهذا كان قبل قسمة الميراث.

ثم قال تعالى: {وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} يعني إذا كان الورثة كباراً يعطون من الميراث لذوي القربى، وإن كانت الورثة صغاراً ليقل لهم الأولياء قولاً معروفاً، أي عدوا لهم عدة حسنة. يقول لهم: إذا أدرك الصغار أمرناهم يعطوكم شيئاً ويعرفون حقكم. وقال القتبي: {إِذَا حَضَرَ القسمة} فيه قولان: أحدهما أن تكون قسمة الوصية إذا حضرها أقرباؤكم، فاجعلوا لهم حظاً من الثلث. ووجه آخر: أن يكون قسمة الميراث فارضخوا لهم منها.

ثم قال: {وَلْيَخْشَ الذين لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ} يقول: وليخش على أولاد الميت الضياع، كما أنكم لو تركتم أولاداً {ذُرّيَّةً ضعافا} يقول: عجزة صغار، يعني الذي يحضره الموت لا يقال له قدم لنفسك وأوص بكذا وكذا حتى يوصي بعامة ماله، فليخش على ذرية الميت كما يخشى على ذرية نفسه. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا حضر الرجل الوصية، فلا ينبغي أن يقول له أوص بمالك؛ فإن الله تعالى رازق أولادك ولكن يقول: له قدم لنفسك واترك لولدك؛ فذلك قوله تعالى: {خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواّ الله وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} يعني: يقول للميت قولاً عدلاً، وهو أن يلقنه لا إله إلا الله ولا يأمره بذلك، ولكن يقول ذلك في نفسه حتى يسمعه منه ويتلقن. وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إله إلاَّ الله» ولم يقل مروهم بذلك، لأنه لو أمر بذلك فلعله يغضب ويجحد.

قوله تعالى: {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً} يعني بغير حق {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً} أي حراماً، لأن الحرام يوجب النار، فسماه الله باسمها ويقال: إنه يلقم من

النار إذا صار إلى جهنم، فذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً}. وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض قصة المعراج أنه قال: «رَأَيْتُ أَقْوَاماً بُطُونُهُمْ كَالحُبَالَى فِيهَا الحَيَّاتُ وَالعَقَارِبُ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤلاء يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَأْكُلونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً»، {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} أي سيدخلونها في الآخرة. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (وسيصلون) بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون النصب، وهذا كقوله: سيدخلون. وسيدخلون وقال القتبي في قوله: {وَلْيَخْشَ الذين لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ} معناه: وليخش الذين يكفلون اليتامى، وليفعل بهم ما يحب أن يفعل بولده من بعده.

صفحه 11

▲ تفسير الآيات رقم [11- 14]

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)}

{يُوصِيكُمُ الله فِى أولادكم} أي يبين الله لكم ميراث أولادكم كما بيّن قسمة المواريث، يعني: إذا مات الرجل أو المرأة وترك أولاداً ذكوراً وإناثاً، يكون {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الانثيين} يعني لكل ابن سهمان، ولكل بنت سهم. وروى ابن أبي نجيح عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول: كان الميراث للولد، وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للوالدين لكل واحد منهما السدس، وللمرأة الثمن أو الربع، وللزوج النصف أو الربع. ثم قال تعالى: {فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثنتين} يعني إذا ترك الميت بناتاً ولم يترك أبناء، فللبنات إن كن اثنتين فصاعداً {فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ} من الميراث، ولم يذكر في الآية حكم البنتين، ولكن أجمع المسلمون ما خلا رواية عن ابن عباس أنه قال: للاثنتين النصف، كما كان للواحدة وللثلاث بنات الثلثان وأما سائر الصحابة فقد قالوا: إن للاثنتين الثلثين، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم. روى جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هاتان ابنتا سعد وقد قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما ولم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »سَيَقْضِي الله ذلك» فأنزل الله تعالى آية الميراث، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمهما وقال: " أَعْطِ لابْنَتَيْ سَعْدٍ الثّلُثَيْنِ وَأَعْطِ أمَّهُمَا الثُّمُنَ وَالبَاقِي لَكَ "

ثم قال تعالى: {وَإِن كَانَتْ واحدة فَلَهَا النصف} يعني: إن ترك الميت بنتاً واحدة فلها النصف من الميراث، والباقي للعصبة بالخبر. قرأ نافع: (وإن كانت واحدة) بالرفع على اسم كانت وقرأ الباقون بالنصب على معنى الخبر؛ ويكون الاسم فيه مضمراً. ثم قال تعالى: {وَلاِبَوَيْهِ لِكُلّ واحد مّنْهُمَا السدس مِمَّا تَرَكَ} الميت من المال {وَإِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ} ذكر أو أنثى أو ولد الابن {فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُ} للميت {وَلَدَ} ولا ولد ابن {وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ} يعني: إن لم يكن للميت وارث سوى الأبوين {فَلامّهِ الثلث} يعني للأم ثلث المال والباقي للأب. قرأ حمزة والكسائي: (فلإمه) بكسر الألف لكسر ما قبله، وقرأ الباقون بالضم. ثم قال تعالى: {وَإِن كَانَ *** لَهُ إِخْوَةٌ فَلاِمِهِ السدس} يعني: إذا كان للميت إخوة، وقد اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اسم الإخوة يقع على الاثنين فصاعداً، إلا في قول ابن عباس ثلاثة فصاعداً، واتفقوا أن الذكور والإناث فيه سواء، فيكون للأم السدس والباقي للأب {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ} يعني: أن قسمة المواريث من بعد وصية {يُوصِى بِهَا} الميت {أَوْ دَيْنٍ} يعني بعد قضاء الدين وإنفاذ الوصية.

وروى الحارث عن علي رضي الله عنه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية، وأنتم تقرؤون {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ} يعني أن في الآية تقديماً وتأخيراً، وروي عن ابن عباس هكذا. قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم (يوصى بها) على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون {يُوصِى بِهَا} يعني الميت إن كان يوصي بها أو عليه دين.

ثم قال تعالى: {وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً} يعني في الآخرة، إذا كان أحدهما أرفع درجة من الآخر يسأل الله تعالى حتى يرفع إليه الآخر لتقر عينه به فقال: {لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً} يعني أيهم أرفع درجة، فيلتحق به صاحبه. ويقال: معناه أن الله علمكم قسمة المواريث، وأنكم لا تدرون {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً} حتى تعطوه حصته، ويقال {لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} موتاً فيرث منه الآخر. ثم قال تعالى: {فَرِيضَةً مّنَ الله} يعني بيان قسمة المواريث من الله تعالى، ويقال: القسمة فريضة من الله تعالى، لا يجوز تغييرها عما أمر الله به. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً} بالمواريث {حَكِيماً} حكم قسمتها وبيّنها لأهلها. وقال الزجاج: معناه وكان الله عليماً بالأشياء قبل خلقها، حكيماً فيما يقرر بتدبيره منها. وقال بعضهم: لأن الله تعالى لم يزل، ولا يزال فالخبر منه

بالماضي كالخبر منه بالاستقبال. وقال سيبويه: كأن القوم شاهدوا علماً وحكماً، فقيل لهم: إن الله كان عليماً كذلك، لم يزل على ما شاهدتم.

ثم قال تعالى: {ولكن *** نِصْفُ مَا تَرَكَ أزواجكم} إذا ماتت المرأة فتركت زوجاً، فللزوج النصف {إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ} ذكراً أو أنثى أو ولد ابن {فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ} أو ولد ابن فللزوج الربع {فَلَكُمُ الربع مِمَّا تَرَكْنَ} مما تركت المرأة {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}. ثم قال: {وَلَهُنَّ الربع مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثمن مِمَّا تَرَكْتُم مّن بَعْدِ} يعني إذا مات الزوج وترك امرأة فللمرأة الربع {إِن لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ} ولا ولد ابن {فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ} فإن كان للميت ولد وولد ابن {فَلَهُنَّ الثمن} سواء كان له امرأة واحدة أو أربع نسوة فلهن الربع بغير ولد، والثمن مع الولد أو مع ولد الابن، لأنه قال: {وَلَهُنَّ الربع} فجعل حصتهن الربع أو الثمن.

ثم قال: {مِمَّا تَرَكْتُم مّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}.

ثم قال: {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كلالة} والكلالة ما خلا الوالد والولد، ويقال: هو اسم الميت الذي ليس له ولد ولا والد. قال أبو عبيدة: هو مصدر من تكله النسب أي أحاط به، والأب والابن طرفا الرجل فيسمى لذهاب طرفيه كلالة. وقرأ بعضهم: (يورث) بكسر الراء. قال أبو عبيدة: من قرأ (يورث) بكسر الراء جعل الكلالة الورثة، ومن قرأ بنصب الراء جعل الكلالة الميت. وروى الشعبي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما قالا: الكلالة من لا ولد ولا والد.

وروي عنهما أيضاً أنهما قالا: الكلالة ما سوى الولد والوالد. قوله تعالى: {أَو امرأة} يعني إن كانت الكلالة هي امرأة. ثم قال تعالى: {وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلّ واحد مّنْهُمَا السدس} من الميراث {فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذلك فَهُمْ شُرَكَاء فِى الثلث} يعني: الإخوة من الأم، وقد أجمع المسلمون أن المراد ها هنا الإخوة من الأم، لأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين، ففهموا أن المراد ها هنا الإخوة من الأم. ثم قال: {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يوصى بِهَا أَوْ دَيْنٍ} وقد ذكرناه {غَيْرَ مُضَارّ وَصِيَّةً مّنَ الله} يعني: غير مضار للورثة، فيوصي بأكثر من الثلث {وَصِيَّةً مّنَ الله} يعني أن تلك القسمة فريضة من الله {والله عَلِيمٌ} يعني علم بأمر الميراث {حَلِيمٌ} على أهل الجهل منكم. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَطَعَ مِيْرَاثاً فَرَضَهُ الله قَطَعَ الله مَيرَاثَهُ مِنَ الجَنَّةِ» وقرأ بعض المتقدمين: (والله عليم حكيم)، يعني حكم بقسمة الميراث والوصية.

ثم قال: {تِلْكَ حُدُودُ الله} يعني هذه فرائض الله مما أمركم به من قسمة المواريث، ويقال: تلك أحكام الله، وتلك بمعنى هذه، يعني هذه أحكام الله قد بيّنها لكم لتعرفوا وتعملوا. {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} في قسمة المواريث فيقر بها، ويعمل بها كما أمره الله {يُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهر خالدين فِيهَا وذلك الفوز العظيم} أي ذلك الثواب هو الفوز

العظيم إلى النجاة الوافرة. قوله تعالى: {وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ} في قسمة المواريث، فلم يقسمها ولم يعمل بها {وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ} أي خالف أمره {يُدْخِلْهُ نَاراً خالدا فِيهَا} لأنه إذا جحد صار كافراً {وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهان فيه. قرأ نافع وابن عامر: (ندخله) كلاهما بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه، وقرأ الباقون كلاهما بالياء لأنه سبق ذكر اسم الله تعالى.

تفسير الآيات رقم [15- 18]

{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)}

{واللاتى يَأْتِينَ الفاحشة مِن نّسَائِكُمْ} يعني الزنى وهي المرأة الثيب إذا زنت {فاستشهدوا عَلَيْهِنَّ} أي اطلبوا عليهن من الشهود {أَرْبَعَةٍ} {مّنكُمْ} أي من أحراركم المسلمين عدولاً {فَإِن شَهِدُواْ} عليهن بالزنى {فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى البيوت} يعني: احبسوهن في السجن {حتى يَتَوَفَّاهُنَّ الموت} أي حتى يمتن في السجن {أَوْ يَجْعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً} يعني مخرجاً من الحبس، ثم نسخ فصار حدهن الرجم لما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ بِالحِجَارَةِ» ثم ذكر في الآية حد البكر فقال: {واللذان} لم يحصنا {يأتيانها} يعني الفاحشة {مّنكُمْ} يعني من الأحرار المسلمين {فَئَاذُوهُمَا} باللسان، يعني بالتعيير بما فعلا ليندما على ما فعلا {فَإِن تَابَا} من بعد الزنى {وَأَصْلَحَا} العمل {فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا} أي فلا تسمعوهما الأذى بعد التوبة {إِنَّ الله كَانَ تَوَّاباً} أي متجاوزاً {رَّحِيماً} بهما. ثم نسخ الحبس والأذى بالرجم والجلد، وإنما كان التعيير في ذلك الزمان لأن التعيير حل محل الجلد، وأما اليوم فلا ينفعهم التعيير. وروي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال: واللاتي يأتين الفاحشة (من نسائكم) واللذان يأتيانها منكم كان ذلك في أول الأمر، ثم نسخ بالآية التي في سورة النور. قرأ ابن كثير: (واللذان) بتشديد النون، لأن الأصل (اللذيان). فحذف الياء وأقيم التشديد مقامه، وقرأ الباقون بالتخفيف.

ثم قال تعالى: {إِنَّمَا التوبة عَلَى الله} يعني قبول التوبة على الله ويقال: توفيقه على الله، ويقال: إنما التجاوز من الله {لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السوء بجهالة} قال ابن عباس رضي الله عنه: كل مؤمن يذنب فهو جاهل في فعله، ويقال: إنما الجهالة أنهم يختارون اللذة الفانية على اللذة الباقية، وذلك الجهل لا يسقط عنهم العذاب إلا أن يتوبوا. قوله {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن

قَرِيبٍ} قال ابن عباس: كل من تاب قبل موته فهو قريب {فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ} أي يقبل توبتهم {وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} يعني عليماً بأهل التوبة حكيماً حكم بالتوبة. وقال مقاتل: نزلت الآية في رجل من قريش، سكر وذكر شعراً ذكر فيه اللات والعزى وأنكر البعث، فلما أصبح أخبر بذلك فندم على ذلك واسترجع، فنزلت الآية {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} يعني قبل الموت. قال: حدّثنا محمد بن الفضل، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدّثنا أبو حفص، عن صالح المري، عن الحسن قال: من عيّر أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله به.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يغَرْغِرْ» وقال الحسن: إن إبليس لما أهبط من الجنة، قال: بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده. قال الله تعالى: فبعزتي فبعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم يغرغر بنفسه. قال أبو العالية الرياحي: نزلت أول الآية في المؤمنين، والوسطى في المنافقين، والأخرى في الكافرين. فأما توبة المؤمنين فذكرها قد مضى. وأما ذكر توبة المنافقين فقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التوبة لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السيئات} الآية. يعني ليس قبول التوبة للذين أصروا على فعلهم {حتى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الموت} أي الشرق والنزع وعاينه ملك الموت {قَالَ إِنِّى تُبْتُ الان} فليس لهذا توبة. ثم ذكر توبة الكفار {وَلاَ الذين يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} أي وجيعاً دائماً.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 21]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21)}

{يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النساء كَرْهاً} قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة وله ولد من غيرها، أو له وارث غير الابن فألقى ثوبه عليها ورث نكاحها بالصداق الأول. ويقول: أنا ولي زوجك فورثتك. فإن كانت جميلة أمسكها، وإن لم تكن جميلة طول عليها لتفتدي منه، فنزلت هذه الآية. وقال في رواية الضحاك: كان الرجل عنده عجوز ونفسه تتوق إلى الشابة، فيكره فراق العجوز لمالها، فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدي منه بمالها أو تموت، فيرث مالها، فنزلت هذه الآية، وأمر الزوج بأن يطلقها إن كره صحبتها فلا يمسكها كرهاً. فذلك قوله تعالى: {لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النساء كَرْهاً} قرأ عاصم وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع: (كَرهاً) بنصب الكاف. وقرأ حمزة والكسائي: (كُرها) بالضم. قال القتبي: (الكَره)

بالنصب بمعنى الإكراه، (والكُره) بالرفع المشقة، ويقال: ليفعل ذلك طوعاً أو كرهاً، يعني طائعاً أو مكرهاً.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} أي لا تمنعوهن من الأزواج {لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءاتَيْتُمُوهُنَّ} من المهر وغيره {إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيّنَةٍ} وهي المعصية في النشوز على زوجها، فيحل له ما أخذ منها. ويقال: إلا أن تزني فيحل له أن يفتدي منها، يعني إذا كانت بطيبة نفسها. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر (بفاحشة مبيَنة) بنصب الياء، وقرأ الباقون (مبِّينة) بكسر الياء. فمن قرأ بالكسر يعني الفعل الفاحشة يعني فاحشة ظاهرة تبين منها نفسها. ومن قرأ بالنصب يكون بمعنى المفعول. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في محصن بن أبي قيس، وامرأته هند بنت المغيرة وفي جماعة. وقال الكلبي: نزلت في حصن بن أبي قيس وامرأته كبشة بنت معن.

ثم قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بالمعروف} أي صاحبوهن بالجميل {فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ} أي كرهتم صحبتهن {فَعَسَى} يقول فلعل {أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا} من صحبتكم إياهن {وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} يعني في صحبتهم يرزق لكم ولداً صالحاً، وهذا كقوله عز وجل {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} ويقال {وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} لعله إن أمسكها فيعطفه الله عليها من بعد ذلك، وأما أن يخلي سبيلها فيزوجها الله زوجاً غيره، فيرزقها الله منه الولد. ثم قال: {وَإِنْ أَرَدْتُّمُ استبدال زَوْجٍ} يعني تغيير زوج {مَّكَانَ زَوْجٍ} يعني إذا أراد الرجل أن يطلق زوجته ولم يكن منها نشوز، وأراد أن يتزوج غيرها {وَإِنْ أَرَدْتُّمُ استبدال} من الذهب في المهر. قال مجاهد: القنطار سبعون ألف دينار.

وقال عطاء: سبعة آلاف دينار. وقال الحسن: ألف دينار أو اثني عشرة ألف درهم. وقال قتادة: كان يقال القنطار مائة رطل من الذهب، أو ثمانون ألفاً من ورق. وروي عن عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبي قال: كل ما لم أسنده لكم فهو كله عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: القنطار ألف مثقال مما كان من ذهب أو فضة.

ثم قال تعالى {فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً} أي فلا تستحلوا أن تأخذوا مما أعطيتم شيئاً إذا لم يكن النشوز من قبلها. ثم قال: {أَتَأْخُذُونَهُ بهتانا} يقول: أتستحلون أخذه ظلماً {وَإِثْماً مُّبِيناً} أي ذنباً ظاهراً. ثم قال تعالى: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} يقول: كيف تستحلون أخذه، يعني أخذ مهورهن {وَقَدْ أفضى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ} يقول: قد اجتمعا في لحاف واحد. قال الفراء: الإفضاء أن يخلو الرجل والمرأة إن لم يجامعها، أو جامعها وقد وجب المهر. وقال الكلبي: الإفضاء إذا كان معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها، فقد وجب المهر. وروى عوف الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى قال: قضى الخلفاء الراشدون المهديون أن من أغلق باباً وأرخى ستراً، فقد وجب المهر والعدة. وقال مقاتل: الإفضاء الجماع. وبهذا القول قال بعض الناس: وأما علماؤنا رحمهم الله قالوا: إذا خلا بها خلوة

صحيحة يجب كمال المهر والعدة، دخل بها أو لم يدخل بها. ثم قال: {وَأَخَذْنَ مِنكُم ميثاقا غَلِيظاً} يقول: أوجبن عليكم عقداً وثيقاً بالنكاح. وهو قوله تعالى {الطلاق مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بإحسانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَآ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افتدت بِهِ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فأولئك هُمُ الظالمون} [البقرة: 229] فصار ذلك على الرجال ميثاقاً غليظاً من النساء ثم بيّن ما يحل للرجال من النساء وما لا يحل فقال:

تفسير الآيات رقم [22- 23]

{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)}

فقال تعالى: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُمْ مّنَ النساء} يعني: لا تتزوجوا من قد تزوج آباؤكم من النساء، ويقال: اسم النكاح يقع على الجماع والتزوج، فإن كان الأب تزوج امرأة أو وطئها بغير نكاح، حرمت على ابنه. وقوله: {إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} يقول: لا تفعلوا ما قد فعلتم في الجاهلية، وكان الناس يتزوج الرجل منهم امرأة الأب برضاها بعد نزول قوله {لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النساء كَرْهاً} حتى نزلت هذه الآية {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُمْ} الآية. فصار حراماً في الأحوال كلها. ويقال: إلا ما قد سلف، يعني ولا ما قد سلف كقوله تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ الله وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 92] ولا خطأ. وقد قيل: إن في الآية تقديماً وتأخيراً، ومعناه ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، فإنكم إن فعلتم تؤاخذون وتعاقبون إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلا ما قد سلف. وقد قيل: إن في الآية إضماراً تقول: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُمْ} من النساء، فإنكم إن فعلتم تعاقبون وتؤاخذون إلا ما قد سلف. ثم قال: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي معصية {وَمَقْتاً} أي بغضاً {وَسَاء سَبِيلاً} أي بئس المسلك {حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم} أي نكاح أمهاتكم، فذكر الأمهات والمراد منه الأمهات والجدات {وبناتكم} ذكر البنات، والمراد به البنات والحفيدات أي بنات الأولاد.

ثم قال تعالى: {وأخواتكم} يعني من النسب {وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم اللاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مّنَ الرضاعة}. ثم قال تعالى: {وأمهات

نِسَائِكُمْ} يعني أن نكاح أمهات نسائكم حرام عليكم، سواء دخل بالابنة أو لم يدخل بها. هكذا روي عن ابن عباس وعن جماعة من الصحابة أنهم قالوا ذلك. ثم قال: {وَرَبَائِبُكُمُ} يعني حرام عليكم نكاح بنات نسائكم {اللاتى فِى حُجُورِكُمْ} يعني التي يربيها في حجره، حرام عليه إذا دخل بأمها {مّن نّسَائِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} يعني: إن لم يكن دخل بأمها فهي حلال له أن يتزوجها، وقد اتفقوا على أن كونها في الحجر ليس بشرط، غير قول روي عن بعض المتقدمين، وإنما ذكر الحجر لتعارفهم فيما بينهم، وتسميتهم بذلك الاسم.

ثم قال تعالى: {وحلائل أَبْنَائِكُمُ} يعني حرام عليكم نساء أبنائكم {الذين مِنْ أصلابكم} يقال: إنما اشترط الذين من الأصلاب لزوال الاشتباه، لأن القوم كانوا يتبنون في ذلك الوقت ويجعلون الابن المتبنى بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة. وتبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، فتزوج زيد بن حارثة امرأة ثم طلقها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعيّره المشركون بذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه، فنزل قوله تعالى {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مّن رِّجَالِكُمْ ولكن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النبيين وَكَانَ الله بِكُلِّ شَئ عَلِيماً} [الأحزاب: 40] وذكر في هذه الآية فقال: {وحلائل أَبْنَائِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم} لكي لا يظن أحد أن امرأة الابن المتبنى تحرم عليه.

ثم قال تعالى: {وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين} أي حرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين في النكاح في حالة واحدة، ثم قال تعالى: {إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} يقول: إلا ما قد مضى في الجاهلية. وروى هشام بن عبيد الله، عن محمد بن الحسن أنه قال: كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات كلها التي ذكر في هذه الآية، إلا اثنتين أحدهما نكاح امرأة الأب، والثانية الجمع بين الأختين. ألا ترى أنه قال تعالى: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُمْ مّنَ النساء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} {وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} ولم يذكر في سائر المحرمات إلا ما قد سلف. ويقال: إلا ما قد سلف، يعني: دع ما قد مضى {إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً} لما كان في الجاهلية، {رَّحِيماً} بما كان في الإسلام إن تاب من ذلك. ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [24- 25]

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)}

{والمحصنات مِنَ النساء} قال في رواية الكلبي وفي رواية الضحاك، يعني ذوات الأزواج حرام عليكم {إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أيمانكم} من سبايا، فإذا ملك الرجل امرأة لها زوج في دار الحرب واستبرأ رحمها بحيضة، فهي حلال له. وهذا موافق لما روي عن أبي سعيد الخدري أن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون منهن وقالوا: لهن أزواج، فأنزل الله تعالى {والمحصنات مِنَ النساء إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أيمانكم} يقول: ما أفاء الله عليكم من ذلك، وإن كان لهن أزواج من المشركين، فلا بأس بأن يأتيها الرجل إذا استبرأ رحمها. وقال في رواية مقاتل: {والمحصنات مِنَ النساء} يعني كل امرأة ليست تحتكم، فهي حرام عليكم. ثم استثنى من المحصنات فقال: {إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أيمانكم} يعني إلا ما قد تزوجتم من النساء مثنى وثلاث ورباع. قوله: {كتاب الله عَلَيْكُمْ} أي هذا ما حرم عليكم في الكتاب، ويقال: {كتاب الله عَلَيْكُمْ} معناه: هذا الذي يقرأ عليكم هو كتاب الله تعالى، فاتبعوه ولا تخالفوه. وقال الزجاج: {كتاب الله عَلَيْكُمْ} منصوب على التأكيد، محمول على المعنى، لأن معناه حرمت عليكم أمهاتكم، كتب الله عليكم هذا كتاباً. ويجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، كأنه قال: الزموا كتاب الله فيكون عليكم مفسراً له. ثم قال تعالى: {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ} يقول: رخص لكم ما سوى ذلكم، فالله تعالى قد ذكر ما حرم في هذه الآية من قوله {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُمْ} أربع عشرة من المحرمات، سبع بالنسب وسبع بالسبب.

ثم بيّن المحللات فقال: {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ} يعني ما سوى هذه الأربع عشرة التي ذكر في هذه الآية، فلو كان الأمر على ظاهر هذه الآية، لكان يجوز ما سوى ذلك؛ إلا أنه قد جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» وقال: «لا تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلا عَلَى خَالَتِها» فوجب اتباعه لأن الله تعالى قال: {مَّآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كَى لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الاغنيآء مِنكُمْ وَمَآ ءاتاكم الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنْهُ فانتهوا واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الحشر: 7]. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: {وَأُحِلَّ لَكُمْ} بضم الألف وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم لأنه عطف على قوله {حُرّمَتْ عَلَيْكُمُ}. ومن قرأ بالنصب لأنه نسق على قوله {كتاب الله عَلَيْكُمْ}.

ثم قال تعالى: {أَن تَبْتَغُواْ بأموالكم} يعني أن تتزوجوا بأموالكم، ويقال: تشتروا بأموالكم الجواري {مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مسافحين} يقول: كونوا متعففين من الزنى غير زانين {فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ} قال مقاتل: يعني به المتعة، أي فما استمتعتم منهن إلى أجل مسمى {والمحصنات مِنَ} أي أعطوهن ما شرطتم لهن من المال؛ وإنما كانت إباحة

المتعة في بعض المغازي، ثم نهي عن ذلك. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها هذه الأمة، ولولا نهي عمر عنها ما زنى إلا شقي. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إنما رخص في المتعة في بعض المغازي، ثم نسختها آية الطلاق والميراث والعدة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: {فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ} قال النكاح فآتوهن أجورهن، يعني مهورهن. وقال في رواية الكلبي: {فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ} بعد النكاح فآتوهن أجورهن، أي مهورهن {فَرِيضَةً} لهن عليكم. وقال الضحاك: فما استمتعتم به منهن أي فما تزوجتم بهن فأعطوهن مهورهن {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفريضة} قال بعضهم: يعني المتعة قبل أن تنسخ، أجاز لهما أن يتراضيا على زيادة الأجل والمال. وقال بعضهم: يعني المهر، لا جناح على الزوجين أن يتراضيا بعد النكاح على زيادة المهر {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً} فيما رخّص لكم من نكاح الأجانب {حَكِيماً} فيما حرم عليكم من ذوات المحارم.

ثم قال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً} أي غنى، يقول: من لم يجد منكم سعة في المال {أَن يَنكِحَ المحصنات المؤمنات} يعني الحرائر، فليتزوج الإماء فذلك قوله: {فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أيمانكم} من الإماء. ويقال: من لم يستطع منكم طولاً، يعني من لم يكن له منكم مقدرة على الحرة، فليتزوج الأمة، يعني: إذا لم يكن له امرأة حرة. وقد قال بعض الناس: إذا كان للرجل من المال مقدار ما يمكنه أن يتزوج بالحرة، لا يجوز أن يتزوج الأمة. وفي قول علمائنا: يجوز إذا لم يكن عنده امرأة حرة، لأنه لو صرف إلى ذلك الوجه لا يضر، لأن كل مال يمكن أن يتزوج به الأمة يمكن أن يتزوج به الحرة، ولكن معناه كون الحرة عنده أفضل. ثم قال: تعالى {مّن فتياتكم المؤمنات} يعني يتزوج الأمة المسلمة. وقال بعض الناس: لا يجوز أن يتزوج أمة يهودية أو نصرانية، لأن الله تعالى قال {مّن فتياتكم المؤمنات}. وفي قول علمائنا: يجوز نكاح الأمة اليهودية والنصرانية، وذكر المؤمنات ليس بشرط أنه لا يجوز غيرها، وهذا بمنزلة قوله

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النسآء مثنى وثلاث وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فواحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانكم ذلك أدنى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: 3] فإن خاف ألا يعدل فيتزوج أكثر من واحدة جاز، ولكن الأفضل أن لا يتزوج، فكذلك ها هنا الأفضل أن يتزوج الأمة إلا المؤمنة ولو تزوج غير المؤمنة جاز.

ثم قال تعالى: {والله أَعْلَمُ بإيمانكم بَعْضُكُمْ مّن بَعْضٍ} يقول: والله أعلم بإيمانكم في الحقيقة، وأنتم تعرفون الظاهر وليس عليكم أن تبحثوا عن الباطن. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه فما ملكت أيمانكم بعضكم من بعض يعني يتزوج هذا وليدة هذا، وهذا وليدة هذا. ثم قال: {والله أَعْلَمُ بإيمانكم} من غيره. ويقال: معناه والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض، يعني بعضكم من بعض في النسب، يعني محلكم ولد آدم ولا فخر فيما بينكم. ويقال: دينكم واحد أي بعضكم على دين بعض. ثم قال تعالى: {فانكحوهن بِإِذْنِ

أَهْلِهِنَّ} يعني الولاية بإذن أربابهن {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ} يقول: أعطوهن مهورهن بالمعروف، يعني بإذن أهلهن، لأنه إذا أعطى الأمة مهرها بغير إذن مولاها واستهلكت، ضمن الزوج للمولى. ويقال: مهراً غير مهر البغي، يعني بعدما أطلق ذلك. ثم قال: {محصنات} أي عفائف {غَيْرَ مسافحات} أي زواني، ويقال: غير معلنات بالزنى {وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} يعني أخلاء في السر، لأن أهل الجاهلية كان فيهن زواني في العلانية، ولهن رايات منصوبة وبعضهن اتخذن أخداناً يعني أخلاء في السر، ولا يفعلن بالعلانية فنهى الله عن نكاح الفريقين جميعاً. فقال: تزوجوا محصنات غير معلنات بالزنى ولا في السر. قرأ الكسائي: محصنات بكسر الصاد في جميع القرآن إلا في قوله {والمحصنات مِنَ النساء} وقرأ الباقون في جميع القرآن بالنصب.

ثم قال تعالى: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} يعني أسلمن. ويقال: إذا أعففن. قرأ عاصم وحمزة والكسائي: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} بالنصب. وقرأ الباقون بالضم. وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بالنصب، ومعناه إذا أسلمن. وقرأ ابن عباس بالضم، يعني أحصن بالأزواج. {فَإِنْ أَتَيْنَ بفاحشة} يعني الزنى {فَعَلَيْهِنَّ} أي وجب عليهن {نِصْفُ مَا عَلَى المحصنات مِنَ العذاب} يعني إذا زنت الأمة فحدّها نصف حدّ الحرة، خمسون جلدة. والفائدة في نقصان حدهن والله أعلم أنهن أضعف من الحرائر، فجعل عقوبتهن أقل. ويقال لأنهن لا يصلن إلى مرادهن كما تصل الحرائر إلى مرادهن. ويقال: لأن العقوبة تجب على قدر النعمة، ألا ترى أن الله تعالى قال لأزواج النبي النبي صلى الله عليه وسلم {يانسآء النبى مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العذاب ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [سورة الأحزاب: 30] فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد، فكذلك الأمة لما كانت نعمتها أقل كانت عقوبتها أدنى.

وذكر في الآية حدّ الإماء خاصة ولم يذكر حد العبيد، ولكن حد العبيد والإماء سواء، خمسون جلدة في الزنى، وفي حد القذف وشرب الخمر أربعون جلدة، لأن حد الأمة إنما نقص لنقصان الرق، وذلك في العبد موجود. وروي عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قالا: حدّ العبد نصف حد الحر.

ثم قال تعالى: {ذلك} يعني هذا الذي ذكر في الآية، وهو رخصة نكاح الأمة {لِمَنْ خَشِيَ العنت مِنْكُمْ} يعني الإثم في دينه. ويقال: الزنى والفجور. قال القتبي: أصله المضرور الإفساد. قال تعالى {وَأَن تَصْبِرُواْ} عن نكاح الإماء {خَيْرٌ لَّكُمْ} من تزوجهن، لأنه لو تزوج الأمة يصير ولده عبداً. وروي عن عمر أنه قال: أيما حر تزوج بأمة فقد أرق نصفه، أي يصير ولده رقيقاً، فالصبر عن ذلك أفضل لكيلا يرق ولده. وقال مجاهد: {وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ} يقول: وإن تصبروا على نكاح الأمة خير لكم من أن تقعوا في الفجور. {والله غَفُورٌ} لما أصبتم منهن قبل تحليله {رَّحِيمٌ} حين رخص في نكاح الإماء. ويقال: رحيم إذ لم يعجل العقوبة.

تفسير الآيات رقم [26- 31]

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31)}

{يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} أي بيّن لكم أن الصبر خير لكم من نكاح الإماء، ويقال: يبين لكم إباحة نكاح الأمة عند العذر. ثم قال تعالى: {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الذين مِن قَبْلِكُمْ} أي شرائع الذين من قبلكم بأنه لم يحل لهم تزوج الإماء، وقد أحل لكم ذلك. وقال مقاتل: {يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} حكم حلاله وحرامه من النساء، {وَيَهْدِيَكُمْ} أي يبين لكم شرائع من كان قبلكم. {وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أي يتجاوز عنكم ما كان منكم قبل التحريم {والله عَلِيمٌ} بمن فعله منكم بعد التحريم {حَكِيمٌ} فيما نهاكم عن نكاح الاماء إن لم يجد طولاً. والنهي نهي استحباب لا نهي وجوب. ويقال: إن هذا ابتداء القصة، يريد الله أن يبين لكم كيفية طاعته {وَيَهْدِيَكُمْ} يعني يعرفكم سنن الذين من قبلكم، يعني أنهم لما تركوا أمري فكيف عاقبتهم؟ وأنتم إذا فعلتم ذلك لا أعاقبكم، ولكني أتوب عليكم {والله عَلِيمٌ} بمن تاب {حَكِيمٌ} حكم بقبول التوبة.

ثم قال تعالى: {والله يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أي يتجاوز عنكم ما كان منكم من قبل التحريم، ويقال: يتجاوز عنكم الزلل والخطايا {وَيُرِيدُ الذين يَتَّبِعُونَ الشهوات أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً} يعني اليهود والنصارى، ويقال: المجوس. {أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً} يعني أن تخطئوا خطأً عظيماً، لأن بعض الكفار كانوا يجيزون نكاح الأخت من الأب، وبنات الأخ، وبنات الأخت، فلما حرم الله تعالى ذلك قالوا للمسلمين: إنكم تنكحون ابنة الخالة والعمة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ويقال: ويريدون الذين يتبعون الشهوات، ويقال: إن اليهود يريدون أن يقفوا منكم على الزلل والخطايا، يعني: أن الله تعالى قد بين لكم لكي لا يقفوا منكم على الزلل والخطايا. ثم قال تعالى: {يُرِيدُ الله أَن يُخَفّفَ عَنْكُمْ} يقول: يهون عليكم الأمر إذ رخص لكم في نكاح الإماء، {وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفاً} أي لا يصبر على النكاح. وقال الضحاك: يخفف عنكم أي يريد أن يضع عنكم أوزاركم، ويضع عنكم آثامكم.

قوله تعالى: {ضَعِيفاً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أموالكم بَيْنَكُمْ بالباطل} يعني بالظلم باليمين الكاذبة ليقطع بها مال أخيه. ثم استثنى ما استفضل الرجل من مال أخيه في تجارته أنه لا بأس به فقال: {إِلاَّ أَن تَكُونَ تجارة عَن تَرَاضٍ مّنْكُمْ} ويقال: إلا ما كان

بينهما تجارة، وهو أن يكون مضارباً له، فله أن يأكل من مال المضاربة إذا خرج إلى السفر. ويقال: إلا ما يأكل الرجل شيئاً عند اشترائه ليذوقه. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: {تجارة} بنصب الهاء على معنى خبر تكون.

وقرأ الباقون بالضم على معنى الاسم. ثم قال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} أي لا يقتل بعضكم بعضاً، فإنكم أهل دين واحد. ويقال {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} يعني أن يوجب الرجل على نفسه قتل نفسه، فإيجابه باطل. وقال القتبي: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالكم} يعني لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، ولا يقتل بعضكم بعضاً كقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عسى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عسى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تلمزوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بالالقاب بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الايمان وَمَن لَّمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظالمون} {صلى الله عليه وسلم [سورة الحجرات: 11] أي لا تعيبوا إخوانكم. ويقال: {ولا تقتلوا أنفسكم} أي لا تقتلوها بالكسل والبخل {إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} إذ نهى عن القتل وعن أخذ الأموال.

قوله تعالى {وَمَن يَفْعَلْ ذلك عدوانا} يعني اعتداء ويقال: مستحلاً {وَظُلْماً} أي وجوراً {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً} هذا وعيد لهم من الله تعالى، يعني يدخله في الآخرة النار {وَكَانَ ذلك عَلَى الله يَسِيراً} أي عذابه هين عليه. قوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ} قال مقاتل: يعني ما نهي عنه من أول هذه السورة إلى هذه الآية وقال في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه. {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ} الكبائر كل شيء سمى الله تعالى فيه النار لمن عمل بها، أو شيء نزل فيه حدّ في الدنيا، فمن اجتنب من هذا وهو مؤمن كفر الله عنه ما سواه من الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، وشهر رمضان إلى شهر رمضان إن شاء الله تعالى. قال: حدّثنا محمد بن الفضل، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدّثنا وكيع عن الأعمش، عن أبي الضحاك، عن مسروق، عن ابن مسعود قال: الكبائر من أول السورة إلى قوله {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ}. وروي عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربعة: الإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والشرك بالله. وروى عامر الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أُنبِئَكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ باللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ» وقال ابن عمر الكبائر تسعة: الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والسحر، وعقوق الوالدين، واستحلال حرمة البيت الحرام. ويقال: الكبيرة ما أصر عليها صاحبها. ويقال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

ثم قال تعالى: {نُكَفّرْ عَنْكُمْ سيئاتكم} يقول: نمحو عنكم ذنوبكم ما دون الكبائر {وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً} في الآخرة وهي الجنة. قرأ نافع: مدخلاً بنصب الميم، والباقون بالضم.

فمن قرأ بالنصب فهو اسم الموضع وهو الجنة، ومن قرأ بالضم فهو المصدر والموضع جميعاً. قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [32- 35]

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33) الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)}

{وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ} قال ابن عباس: يعني لا يتمنى الرجل مال أخيه، ولا امرأته، ولا دابته، ولكن ليقل: اللّهم ارزقني مثله. وقال الكلبي مثله. وفيها وجه آخر وهو أن الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء، فلنا سهمان ولهن سهم، ونرجو أن يكون لنا أجران في الأعمال. وقالت أم سلمة: ليت الجهاد كتب على النساء. فنزلت هذه الآية {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ} {لّلرّجَالِ نَصِيبٌ مّمَّا اكتسبوا وَلِلنّسَاء نَصِيبٌ مّمَّا اكتسبن} ويقال: إن النساء قلن: كما نقص سهمنا في الميراث، كذلك ينقص من أوزارنا، ويكون الإثم علينا أقل من الرجال، فنزلت الآية {لّلرّجَالِ نَصِيبٌ مّمَّا اكتسبوا} ولا يتمنى أحدكم أكثر مما عمل {وَلِلنّسَاء نَصِيبٌ مّمَّا اكتسبن} من الشر ولا ينقص منهن شيء مما عملن من الإثم. {واسألوا الله مِن فَضْلِهِ} جميعاً الرجال والنساء {مِن فَضْلِهِ} أي من رزقه {إِنَّ الله كَانَ بِكُلّ شَئ عَلِيماً} فيما يصلح لكل واحد منهم من السهام، وبمن يصلح للجهاد. قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز في جميع القرآن. وقرأ الباقون واسألوا الله بالهمز وأصله الهمز، إلا أنه حذف الهمز للتخفيف.

قوله تعالى: {وَلِكُلٍ جَعَلْنَا مَوَالِىَ} أي بينا موالي يعني الورثة من الولد والإخوة وابن العم. ويقال: الموالي العصبة: العم، وابن العم، وذوي القربى كقوله: {وَإِنّي خِفْتُ الموالى مِن وَرَآئِى وَكَانَتِ امرأتى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً} [مريم: 5] معناه: ولكل واحد منكم جعلنا الورثة لكي يرث {مّمَّا تَرَكَ} وهم {الوالدان والاقربون}. ثم قال: {والذين عَقَدَتْ أيمانكم فَئَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} قال الكلبي ومقاتل: كان الرجل يرغب في الرجل، فيحالفه ويعاقده على أن يكون في ميراثه كبعض ولده ثم قال: {وَلِكُلٍ جَعَلْنَا} أي أعطوهم حظهم الذي سميتم لهم من الميراث هكذا قال مجاهد ثم نسخ بقوله تعالى: {والذين ءامَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وجاهدوا مَعَكُمْ فأولئك مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأرحام بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي

كتاب الله إِنَّ الله بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ} [الأنفال: 75] ويقال: إنهم كانوا يوصون لهم بشيء من المال، فأمرهم بأن يؤتوا نصيبهم من الثلث. ويقال: أراد به مولى الموالاة كانوا يرثون السدس.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله كَانَ على كُلّ شَئ شَهِيداً} أي شاهد إن أعطيتموهم أو لم تعطوهم. قرأ أهل الكوفة حمزة والكسائي وعاصم: والذين عقدت أيمانكم بغير ألف، والباقون بالألف. قال أبو عبيدة: والاختيار عاقدت بالألف لأنه من معاقدة الحلف، فلا يكون إلا بين اثنين. ومن قرأ عقدت معناه عقدت لهم أيمانكم فأضمر فيها لهم.

ثم قال: {الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النساء} نزل في سعد بن الربيع، لطم امرأته بنت محمد بن مسلمة، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص، فنزل جبريل من ساعته بهذه الآية {الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النساء} يعني مسلطون في أمور النساء وتأديبهم {بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ} وذلك أن الرجل له الفضل على امرأته في إنفاقه عليها، ودفع الحق إليها. ويقال: إن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير، فجعل لهم حق القيام عليهن بما لهم من زيادة عقل ليس ذلك للنساء. ويقال: للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة، فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة، فيكون فيه معنى اللين والضعف، فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك. ثم قال: {وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أموالهم} أي فضلوا على النساء بما أنفقوا من أموالهم عليهن من المهر والنفقة. ثم قال: {فالصالحات قانتات} يعني المحصنات من النساء في الدين، قانتات مطيعات لله تعالى ولأزواجهن. ويقال: الصالحات يعني المحسنات إلى أزواجهن من النساء في الدين {قانتات} أي مطيعات لله ولأزواجهن. ويقال: الصالحات يعني الموحدات {قانتات} يعني قائمات بأمور أزواجهن {حفظات لّلْغَيْبِ} أي لغيب أزواجهن في فروجهن، وفي أموال الأزواج {بِمَا حَفِظَ الله} يقول: أي يحفظ الله إياهن. قال مقاتل: وما صلة، يعني يحفظ الله لهن. ثم قال عز وجل: {واللاتى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} أي تعلمون عصيانهن {فَعِظُوهُنَّ} بالله، أي يقول لها: اتق الله، فإن حق الزوج عليك واجب، فإن لم تقبل ذلك.

قوله تعالى {واهجروهن فِى المضاجع} قال الكلبي: أي ينسها وهو الهجر، ويقال: لا يقرب فراشها، لأن الزوج إذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج يشق عليها فترجع إلى الصلاح، وإن كانت مبغضة فتظهر السرور فيها، فيتبين أن النشوز من قبلها. وقال الضحاك: {واهجروهن فِى المضاجع} أي يعرض عنها، فإن ذلك يغيظها، فإن لم ينفعها ذلك {واضربوهن} يعني ضرباً غير مبرح {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} يقول: لا تطلبوا عليهن عللاً، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإن الحب أمر القلب وليس لها ذلك بيدها {إِنَّ الله كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} أي رفيعاً علا فوق كل كبير، فلا يطلب من عباده الحب،

ولا يكلفهم ما لا يطيقونه، ويطلب منهم الطاعة، فأنتم أيضاً لا تكلفوهن. ويقال: إن الله مع علوه يتجاوز عن عباده، فأنتم أيضاً تجاوزوا ولا تطلبوا العلل.

ثم قال تعالى للأولياء {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} يقول: إن علمتم خلافاً بين الزوجين، ويقال: إن خفتم الفراق بينهما ولا تدرون من أيهما يقع النشوز فيقول: {فابعثوا حَكَماً مّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مّنْ أَهْلِهَا} يعني رجلاً عدلاً من أهل الزوج له عقل وتمييز، يذهب إلى الرجل ويخلو به، ويقول له: أخبرني ما في نفسك أتهواها أم لا؟ حتى أعلم بمرادك، فإن قال: لا حاجة لي بها خذ مني لها ما استطعت وفرق بيني وبينها، فيعرف أن من قبله جاء النشوز.

وإن قال: فإني أهواها فأرضيها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها، فيعرف أنه ليس بناشز. ويخلو ولي المرأة بها ويقول: أتهوين زوجك أم لا؟ فإن قالت: فرق بيني وبينه وأعطه من مالي ما أراد، علم أن النشوز من قبلها. وإن قالت: لا تفرق بيننا ولكن حثّه حتى يزيد في نفقتي ويحسن إلي، علم أن النشوز ليس من قبلها. فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلان عليه بالعظة والزجر والنهي، وذلك قوله تعالى {فابعثوا حَكَماً مّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مّنْ أَهْلِهَا} {إِن يُرِيدَا إصلاحا} يعني عدلاً فينظران في أمرهما بالنصيحة والموعظة {يُوَفّقِ الله بَيْنَهُمَا} بالصلاح ويقال: كل اثنين يقومان في الإصلاح بين اثنين بالنصيحة، يقع الصلح بينهما لقوله تعالى {إِن يُرِيدَا إصلاحا يُوَفّقِ الله بَيْنَهُمَا} ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} أي عليماً بهما خبيراً بنصيحتهما. وفي هذه الآية دليل على إثبات التحكيم، وليس كما يقول الخوارج إنه ليس الحكم لأحد سوى الله تعالى، فهذه كلمة حق ولكن يريدون بها الباطل.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [36- 38]

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38)}

{واعبدوا الله} قال بعضهم: هذا الخطاب للكفار، واعبدوا الله يعني وحدوا الله {وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} أي لا تثبتوا على الشرك. ويقال: الخطاب للمؤمنين اعبدوا الله، يعني اثبتوا على التوحيد ولا تشركوا به. ويقال: اعبدوا الله يعني أطيعوا الله فيما أمركم به، وأخلصوا له بالأعمال، ولا تشركوا به شيئاً. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين وللمنافقين

وللكفار، فأمر المؤمنين بالطاعة، والمنافقين بالإخلاص، والكفار بالتوحيد. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كل عبادة في القرآن إنما يعني بها التوحيد. ويقال: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، وذكر فيها أحكاماً كانت تعرف تلك من طريق العقل، وإن لم ينزل به القرآن وهو قوله تعالى: {واعبدوا الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} {وبالوالدين إحسانا} يعني أحسنوا إلى الوالدين {وَبِذِى القربى} يعني صلوا القرابات. قوله: {واليتامى} يعني أحسنوا إلى اليتامى. ويقال: هذا أمر للأوصياء بالقيام على أموالهم. ثم قال تعالى: {والمساكين} أي عليكم بإطعام المساكين. ثم قال: {والجار ذِى القربى} أي عليكم بالإحسان إلى الجار الذي بينك وبينه قرابة، فله ثلاث حقوق. هكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: »الجِيرَانُ ثَلاَثَةٌ: جَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ. فَأَمَّا الجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلاَثَةُ حُقُوقٍ فَالجَارُ القَرِيبُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الجِوَارِ، وَحَقُّ القَرَابَةِ، وَحَقُّ الإِسْلامِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ: وَهُوَ الجَارُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الإِسلامِ، وَحَقُّ الجِوَارِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ هُوَ الجَارُ الكَافِرُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ «

ثم قال تعالى: {والجار الجنب} يعني الجار الذي لا قرابة بينهما، وهو من قوم آخرين {والصاحب بالجنب} أي الرفيق في السفر. وروي عن معاذ بن جبل أنه قال: الصاحب بالجنب يعني المرأة. ثم قال: {وابن السبيل} يعني الضيف، ينزل عليكم فأحسنوا إليه، وحقه ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة. ثم قال: {وَمَا مَلَكَتْ أيمانكم} من الخدم أحسنوا إليهم. وقد روي في الخبر «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا لا يُطِيقُونَ، فَإِنَّهم لَحْمٌ وَدَمٌ وَخَلْقٌ أَمْثَالُكُمْ» رواه علي عن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الله الله فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» وذكر الحديث. وروي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ، وَمَا زَالَ يُوصِينِي بِالنِّساءِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُحَرِّمُ طَلاَقَهُنَّ، وَمَا زَالَ يُوصِينِي بِالمَمَالِيكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ لَهُمْ مُدَّةً إذَا انْتَهَوْا إِلَيْها أُعْتِقُوا، وَمَا زَالَ يُوصِينِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَن يُحْفِي فَمِي، وَمَا زَالَ يُوصِينِي بِقِيَامِ اللَّيْلِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ خِيَارَ أُمَّتِي لَمْ يَنَامُوا لَيْلاً «

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} يعني من كان مختالاً في مشيه فخوراً على الناس؛ وهذا قول الكلبي. وقال القتبي: المختال ذو الخيلاء والكبر، وهذا قريب من الأول. ويقال: فخوراً في نعم الله، لا يشكرها ويتكبر على الناس. ثم قال تعالى: {الذين يَبْخَلُونَ} قال مجاهد ومقاتل: نزلت في اليهود، يبخلون بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم {وَيَأْمُرُونَ الناس بالبخل} يعني: أمروا قومهم أن يكتموا صفته صلى الله عليه وسلم- {وَيَكْتُمُونَ مَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} في التوراة. ويقال: أبخل الناس الذي يبخل بعلمه. ويقال: {الذين يَبْخَلُونَ} يعني في المال، لأن رؤساءهم كانوا لا يعطون أحداً من أموالهم شيئاً، لأن عادتهم كان الأخذ والمنع، وكانوا أيضاً يأمرون بالبخل، لأن من كان في معصية فإنه يأمر غيره بذلك لكي لا يظهر عيبه {وَيَكْتُمُونَ مَا

ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} يعني: لا يشكرون على ما أعطاهم الله من نعمته، ولا يخرجون الزكاة.

ثم قال تعالى: {وَأَعْتَدْنَا للكافرين عَذَاباً مُّهِيناً} أي عذاباً شديداً. قرأ حمزة والكسائي: بالبخل بنصب الباء والخاء، وقرأ الباقون بالبُخْل بضم الباء وجزم الخاء. وقال بعض أهل اللغة: ها هنا أربع لغات وهي لغة الأنصار: بخل، وبخل، وبخل، وبخل إلا أنه قرأ بحرفين ولا يقرأ بالحرفين الآخرين. ثم قال تعالى: {والذين يُنْفِقُونَ أموالهم رِئَاء الناس} قال مقاتل: يعني اليهود. وقال الضحاك: يعني المنافقين، ينفقون أموالهم مراءاة للناس {وَلاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ باليوم الاخر} يعني: ولا يصدقون في السر. ويقال: نزلت في مطعمي يوم بدر وهم رؤساء مكة، أنفقوا على الناس ليخرجوا إلى بدر. ثم قال تعالى: {وَمَن يَكُنِ الشيطان لَهُ قَرِيناً} ففي الآية مضمر فكأنه قال: ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فقرينهم الشيطان، ومن يكن الشيطان له قريناً {فَسَاء قِرِيناً} أي قرينهم الشيطان في الدنيا، يأمرهم بالبخل. ويقال: قرينه في النار في السلسلة.

ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [39- 42]

{وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42)}

{وَمَاذَا عَلَيْهِمْ} أي وما كان عليهم {لَوْ ءامَنُواْ بالله} مكان الكفر {واليوم الاخر وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ الله} مكان البخل في غير رياء. ويقال: {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ} أي لم يكن عليهم شيء من العذاب لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم الله من الأموال، وهي الصدقة {وَكَانَ الله بِهِم عَلِيماً} أنهم لم يؤمنوا. ويقال: إن الله عليم بثواب أعمالهم، ولا يظلمهم شيئاً من ثواب أعمالهم. قوله تعالى: {إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني لا ينقص من ثواب أعمالهم وزن الذرة. قال الكلبي: وهي النملة الحميراء الصغيرة. ويقال: هو الذي يظهر في شعاع الشمس، ويقال: لا يظلم مثقال ذرة يعني لا يزيد عقوبة الكافر مثقال ذرة، ولا ينقص من ثواب المؤمنين مثقال ذرة.

ثم قال تعالى: {وَإِن تَكُ حَسَنَةً يضاعفها} قرأ نافع وابن كثير: وإن تك حسنة بضم الهاء لأنه اسم تك بمنزلة اسم كان. قرأ الباقون: حسنة بالنصب، وجعلوه خبر تك والاسم فيه مضمر معناه: وإن تكن الفعل حسنة يضاعفها، يعني: إذا زاد على حسناته مثقال ذرة من حسنة يضاعفها الله تعالى حتى يجعلها مثل أحد ويوجب له الجنة، فذلك قوله

تعالى: {وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} يعني الجنة. وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خمس آيات في سورة النساء أحب إلي من الدنيا وما فيها: قوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سيئاتكم وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً} [سورة النساء: 31] الآية. وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظلموا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فاستغفروا الله واستغفر لَهُمُ الرسول لَوَجَدُواْ الله تَوَّاباً رَّحِيماً} [سورة النساء: 64] الآية. وقوله: {إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} الآية. وقوله: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افترى إِثْماً عَظِيماً} [سورة النساء: 48] الآية. وقوله: و{لَّيْسَ بأمانيكم ولا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكتاب مَن يَعْمَلْ سواءا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ الله وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} [سورة النساء: 123] الآية. وقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ} أي فكيف يصنعون؟ وكيف يكون حالهم؟ إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني بنبيها هو شاهد بتبليغ الرسالة من ربهم {وَجِئْنَا بِكَ} يا محمد {على هَؤُلاء شَهِيداً} يعني على أمتك شهيداً بالتصديق لهم، لأن أمته يشهدون على الأمم المكذبة للرسالة، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للأمم الخالية: هل بلغتكم الرسل رسالاتي؟ فيقولون: لا. فقالت الرسل: قد بلغنا ولنا شهود، فيقول عز وجل: ومن شهودكم؟ فيقولون: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون بتبليغ الرسالة، بما أوحي إليهم من ربهم في كتابهم في قصة الأمم الخالية.

فتقول الأمم الماضية: إن فيهم زواني وشارب الخمر، فلا يقبل شهادتهم، فيزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول المشركون: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [سورة الأنعام: 23] فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فذلك قوله تعالى {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرسول لَوْ تسوى بِهِمُ الارض} أي تخسف بهم الأرض. ويقال: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ} الرسل يشهدون على قومهم بتبليغ الرسالة، ويشهد النبي صلى الله عليه وسلم على أمته بتبليغ الرسالة من قبل ومن لم يقبل.

حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا أبو منيع، قال: حدّثنا أبو كامل، قال: حدّثنا فضيل عن يونس بن محمد بن فضالة عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم من بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في بني ظفر، ومعه ابن مسعود، ومعاذ وناس من الصحابة، فأمر قارئاً فقرأ حتى إذا أتى على هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاء شَهِيداً} بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخضلت وجنتاه فقال: «يَا رَبِّ هذا عِلْمِي بِمَنْ أَنَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ أَرَهُمْ؟ «

ثم قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ} يعني: يتمنى الذين كفروا يعني الكفار {وَعَصَوُاْ الرسول لَوْ تسوى بِهِمُ الارض} أي يكونوا تراباً يمشي عليهم أهل الجمع {وَلاَ يَكْتُمُونَ الله حَدِيثاً} وهو قولهم: {والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}. قال الزجاج: قال بعضهم: {وَلاَ

يَكْتُمُونَ الله حَدِيثاً} مستأنف، لأن ما عملوا ظاهر عند الله تعالى لا يقدرون على كتمانه. وقال بعضهم: هو كلام بناء يعني يودون أن الأرض سويت بهم، وأنهم لم يكتموا الله حديثاً لأنه مظهر كذبهم. قرأ حمزة والكسائي {تسوى} بنصب التاء وتخفيف السين وتشديد الواو يعني يخسف بهم، وقرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو {تسوى} بضم التاء فأدغم إحدى التاءين في الأخرى على فعل لم يسم فاعله، أي يصيروا تراباً وتسوى بهم الأرض. وقرأ نافع وابن عامر: {تسوى} بنصب التاء وتشديد السين والواو، لأن أصله تتسوى فأدغم إحدى التاءين في السين.

ثم قال تعالى:

تفسير الآية رقم [43]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)}

{يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنتُمْ سكارى} قال مقاتل: وذلك أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً، فدعا أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وسعداً رضي الله عنهم، فأكلوا وسقاهم خمراً، فحضرت صلاة المغرب فأمهم علي فقرأ {قُلْ ياأيها الكافرون} [سورة الكافرون: 1] على غير الوجه، فنزل {حَدِيثاً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنتُمْ سكارى} {حتى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} وكان ذلك قبل تحريم الخمر. وقال {لاَ تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنتُمْ سكارى} يعني موضع الصلاة، وهو المسجد حتى تعلموا ما تقولون. ويقال: حتى تصيروا بحال تعلمون ما تقولون، فحينئذٍ تقربوا المسجد لأنهم إذا لم يعلموا ما يقولون فلا يعرفون الحرمة. ثم قال تعالى: {وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ} يقول: ولا تقربوا الصلاة جنباً إلا عابري سبيل، يعني إلا أن يكون مسافراً فلا يجد الماء، فيتيمم ويصلي إذا كان جنباً. وقال الزجاج: وحقيقته ألا تصلوا إذا كنتم جنباً {حتى تَغْتَسِلُواْ} إلا أن لا تقدروا على الماء. وقال القتبي: لا تقربوا الصلاة، يعني لا تقربوا المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين. وقال بعضهم: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى من النوم. وروى السدي عمن حدثه، عن ابن عباس في قوله: {وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ} قال: في السفر يتيمم ويصلي. ويقال: إلا أن تكون في المسجد عين، فيدخل ليغترف الماء.

ثم قال تعالى: {وَإِنْ كُنتُم مرضى} نزلت في عبد الرحمن بن عوف، أصابته جنابة وهو جريح، فرخص له بأن يتيمم، ثم صارت الآية عامة في جميع الناس. وروي عن عبد الله بن عباس وجابر بن سمرة وغيرهما من الصحابة، أن رجلاً كان به جدري على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصابته جنابة فغسلوه فمات من ذلك، فأخبر بذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله فَهَلاَّ يَمَّمُوهُ» وروي عن ابن عباس أنه قال: وإن كنتم مرضى قال: فإنما هو المجذوم، والمجدور، والمقروح. ثم قال تعالى: {أَوْ على سَفَرٍ} أي إذا كنتم مسافرين {أَوْ جَاء أَحَدٌ مّنْكُمْ مّن الغائط} والغائط في اللغة اسم المكان المطمئن من الأرض، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. ثم قال تعالى: {أَوْ لامستم النساء} قرأ حمزة والكسائي: {أَوْ لامستم} وقرأ الباقون {لامستم} من الملامسة. قال ابن عباس: يعني الجماع. وقال بعضهم: هو المس باليد {فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيّباً} يعني: إذا أصابكم الحدث أو الجنابة، ولم تجدوا ماءً، فتيمموا صعيداً طيباً أي تراباً نظيفاً. ويقال: الصعيد هو ما علا وجه الأرض {فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ} قال بعضهم: الوجه والكفين، وهو قول الأعمش والأوزاعي. وقال بعضهم: إلى المنكبين، وهو قول الزهري. وقال عامة أهل العلم: الوجه واليدين إلى المرفقين، وبذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عامة الصحابة اعتباراً بالوضوء. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً} أي ذو الفضل والعفو حين أجاز لكم التراب مكان الماء، غفوراً لتقصيركم.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [44- 48]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} يعني: أعطوا حظاً من علم التوراة {يَشْتَرُونَ الضلالة} يعني: يختارون الكفر على الإسلام. قال القتبي: وهذا من الاختصار، ومعناه يشترون الضلالة بالهدى، أي يستبدلون هذا بهذا، كقوله: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ العهد كَانَ مَسْؤُولاً} [سورة الإسراء: 34] أي مسؤولاً عنه. ثم قال تعالى: {وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السبيل} أي تتركوا طريق الهدى، وهو طريق الإسلام {والله أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} أي علم بعداوتهم إياكم، يعني هو يعلم بالحقيقة وأنتم تعلمون الظاهر. ويقال: هذا وعيد لهم، فكأنه يقول: هو أعلم بعذابهم كما قال في آية أخرى {قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ الامر بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ والله أَعْلَمُ

بالظالمين} [سورة الأنعام: 58] يعني عليم بعقوبتهم ومجازاتهم. ثم قال تعالى: {وكفى بالله وَلِيّاً} أي ناصراً لكم، ومعيناً لكم {وكفى بالله نَصِيراً} يعني مانعاً لكم.

قوله تعالى {مّنَ الذين هَادُواْ} أي مالوا عن الهدى. قال الزجاج: {مّنَ الذين هَادُواْ} فيه قولان: فجائز أن يكون من صلة، والمعنى ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا، ويجوز أن يكون معناه من الذين هادوا قوم {يُحَرّفُونَ الكلم عَن مواضعه} أي يحرفون نعته عن مواضعه، وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم {وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا} قولك {وَعَصَيْنَا} أمرك {واسمع غَيْرَ مُسْمَعٍ} منك {وراعنا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ} أي يلوون لسانهم بالسب {وَطَعْناً فِى الدين} أي في دين الإسلام. قال القتبي: كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم إذا حدثهم وأمرهم سمعنا، ويقولون في أنفسهم وعصينا. وإذا أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا: اسمع يا أبا القاسم. ويقولون في أنفسهم: لا سمعت. ويقولون: راعنا يوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون انظرنا حتى نكلمك بما تريد، ويريدون به السب بالرعونة {لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ} أي قلباً للكلام بها {وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} مكان سمعنا وعصينا {واسمع} مكان اسمع لا سمعت {وانظرنا} مكان قولهم راعنا {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ} أي وأصوب من التحريف والطعن. ثم قال تعالى: {وَلَكِن لَّعَنَهُمُ الله بِكُفْرِهِمْ} أي خذلهم الله وطردهم، مجازاة لهم بكفرهم {فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} يعني: لا يؤمنون، إلا بالقليل، لأنهم لا يؤمنون بالقرآن، ولا يؤمنون بجميع ما عندهم، ولا بسائر الكتب، وإنما يصدقون ببعض ما عندهم. ويقال: لا يؤمنون إلا القليل منهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب. ويقال: إنهم لا يؤمنون وهم بمنزلة رجل يقول: فلان قليل الخير، يعني لا خير فيه.

ثم خوفهم فقال: {قَلِيلاً يَأَيُّهَا الذين أُوتُواْ الكتاب ءامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا} أي صدقوا بالقرآن {مُصَدّقاً لّمَا مَعَكُمْ} أي موافقاً للتوراة في التوحيد وبعض الشرائع {مّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا على أدبارها} وطمسها أن يردها على بصائر الهدى، ويقال طمسها أن يحول الوجوه إلى الأقفية. ويقال: يخسف الأنف والعين فيجعلها طمساً. ويقال: من قبل أن يطمس أي تسود الوجوه. قال بعضهم: يعني به في الآخرة. ويقال: هذا تهديد لهم في الدنيا. وذكر أن عبد الله بن سلام قدم من الشام، فلم يأتِ أهله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي. ويقال: {مّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً} يعني وجه القلب، وهو كناية عن القسوة. وقال مقاتل: يعني من قبل أن تحول القبلة كقوله {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فاستبقوا الخيرات أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ الله جَمِيعًا إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [سورة البقرة: 148] ثم قال تعالى: {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أصحاب السبت} أي نمسخهم كما مسخنا أصحاب السبت القردة. ثم قال {وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً} أي كائناً، وهذا وعيد من الله تعالى لهم ليعتبروا ويرجعوا.

قوله تعالى: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} أي دون الشرك {لِمَن يَشَاء} يعني لمن مات موحداً نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة، وذلك أن الناس لما التقوا يوم أحد وقد جعل لوحشي جزاء إن قتل حمزة فقتله، لم يوف له، فلما قدم مكة ندم على صنعه الذي صنع هو وأصحابه معه، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إنا قد ندمنا على ما صنعنا، وإنه ليس يمنعنا من الدخول معك إلا أنا سمعناك تقول: إذ كنت عندنا بمكة {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أَثَاماً} [سورة الفرقان: 68] إلى قوله {يضاعف لَهُ العذاب يَوْمَ القيامة وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} [سورة الفرقان: 69] وقد دعونا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس، وزنينا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزل {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الجنة وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً} [سورة مريم: 60] فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات إلى وحشي وأصحابه، فلما قرؤوا كتبوا إليه أن هذا شرط شديد، فنخاف ألا نعمل عملاً صالحاً فلا نكون من أهل هذه الآية. فنزل {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} فبعث إليهم فقرؤوها، فبعثوا إليه فقالوا: إن في هذه الآية شرطاً أيضاً نخاف ألا نكون من أهل مشيئته، فنزل قوله

{قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغفور الرحيم} [سورة الزمر: 53] فبعثها إليهم، فلما قرؤوها وجدوها أوسع مما كان قبلها، فدخل هو وأصحابه في الإسلام. وروي عن ابن عمر أنه قال: كنا إذا مات الرجل منا على كبيرة، شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} فأمسكنا عن الشهادة. وهذه الآية رد على من يقول: إن من مات على كبيرة يخلد في النار، لأن الله تعالى قد ذكر في آية أخرى {وَأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النهار وَزُلَفاً مِّنَ اليل إِنَّ الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات ذلك ذكرى للذاكرين} [سورة هود: 114] يعني ما دون الكبائر، فلم يبق لهذه المشيئة موضع سوى الكبائر. ثم قال تعالى: {وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افترى إِثْماً عَظِيماً} يعني اختلق على الله كذباً عظيماً. ويقال: فقد أذنب ذنباً عظيماً. قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [49- 55]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ} يقول: يبرئون أنفسهم من الذنوب {بَلِ الله يُزَكّى مَن يَشَاء} وذلك لأن رؤساء اليهود كانوا يقولون: هل على أولادنا من ذنب؟ فما نحن إلا كهيئتهم. فهذا الذي زكوا به أنفسهم، قال الله تعالى: {بَلِ الله يُزَكّى مَن يَشَاء} أي يصلح ويبرئ من يشاء من الذنوب. ويقال: يكرم من يشاء بالإسلام {وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} قال الكلبي ومقاتل: الفتيل الذي يكون في شق النواة وهو الأبيض، ويقال: هو ما فتلته بين أصبعيك من الوسخ، إذا مسحت إحداهما بالأخرى، يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم بذلك المقدار. ثم قال تعالى: {انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ} أي يختلقون على الله الكذب {وكفى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً} أي ذنباً مبيناً. روى مقاتل عن الضحاك قال: الفتيل، والنقير، والقطمير كلها في النواة. ثم قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} يعني أعطوا حظاً من علم التوراة {يُؤْمِنُونَ بالجبت والطاغوت} الجبت حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. وقال القتبي: كل معبود من حجر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت. قال: ويقال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. ويقال: في هذه السورة رجلان من اليهود، وإيمانهم بهما تصديقاً لهما وطاعتهم إياهما.

ثم قال تعالى: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} يعني لمشركي مكة {هَؤُلاء أهدى مِنَ الذين ءامَنُواْ سَبِيلاً} وذلك أن رؤساء اليهود قدموا مكة بعد قتال أُحد، ونقضوا العهد، وبايعوا المشركين وقالوا: أنتم أهدى سبيلاً من المسلمين. حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا الديبلي، قال: حدّثنا أبو عبيد الله، قال: حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة، قال: جاء كعب بن الأشرف وفي رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب إلى مكة، فأتيا قريشاً فقالت لهما قريش أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، ديننا القديم ودين محمد الحديث، ونحن نصل الرحم، ونسقي الحجيج، ونفك العناة، ومحمد صلى الله عليه وسلم صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، فنحن أهدى أم هو؟ قالا: بل أنتم أهدى سبيلاً منهم. فأنزل الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} الآية إلى قوله {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أهدى مِنَ الذين ءامَنُواْ سَبِيلاً} يعني أهدى ديناً من المهاجرين والأنصار.

قوله تعالى: {أَوْلَئِكَ الذين لَعَنَهُمُ الله} أي خذلهم وطردهم الله من رحمته، ويقال: عذبهم الله بالجزية {وَمَن يَلْعَنِ الله فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً} أي مانعاً. قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مّنَ الملك} يقول: لو كان لهم، يعني لليهود حظ من الملك {فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ الناس نَقِيراً} أي لا يعطون أحداً من بخلهم وحسدهم نقيراً، والنقير: النقطة التي على ظهر النواة {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس} أي أيحسدون الناس.

ويقال: بل يحسدون الناس يعني به محمداً صلى الله عليه وسلم {على مَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} من النبوة وكثرة تزوجه النساء، ويقولون: لو كان نبياً لشغلته النبوة عن كثرة النساء، فيحسدونه بذلك.

قال الله تعالى {فَقَدْ ءاتَيْنَا ءالَ إبراهيم الكتاب والحكمة} يعني النبوة والعلم والفهم {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس} فكان يوسف عليه السلام ملكاً على مصر، وكان سليمان بن داود عليهما السلام ملكاً، وكانت له ثلاثمائة امرأة حرّة سوى السرية، قال مقاتل هكذا. وقال الكلبي: كانت له سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سرية، وكان لداود عليه السلام مائة امرأة، فلم يكن تمنعهم النبوة عن ذلك. ويقال: إن الفائدة في كثرة تزوجه أنه كانت له قوة أربعين نبياً، وكل من كان أقوى فهو أكثر نكاحاً. ويقال: إنه أراد بالنكاح كثرة العشيرة، لأن لكل امرأة قبيلتين، قبيلة من قبل الأب، وقبيلة من قبل الأم، فكلما تزوج امرأة صرف وجوه القبيلتين إلى نفسه، فيكونون عوناً له على أعدائه. ويقال: إن كل من كان أتقى كانت شهوته أشد، لأن الذي لا يكون تقياً إنما ينفرج بالنظر واللمس، ألا ترى إلى ما روي في الخبر «العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَاليَدَانِ تَزْنِيَانِ». فإذا كان في النظر وفي المس نوع من قضاء الشهوة، فلا ينظر التقي ولا يمس، فتكون الشهوة مجتمعة في نفسه، فيكون أكثر جماعاً. وقال أبو بكر الوراق: كل شهوة تقسي القلب إلا الجماع، فإنه يصفي القلب، ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يفعلون ذلك.

قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءامَنَ بِهِ} يعني من اليهود من آمن به، بالكتاب الذي أنزل على إبراهيم، وآمن بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم {وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ} يعني أعرض عنه مكذباً، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءامَنَ بِهِ} يعني من آل إبراهيم {مَنْ ءامَنَ بِهِ} يعني بالكتاب الذي جاء به {وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ} لم يؤمن به. وقال الضحاك: {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس} يعني اليهود كانوا يحسدون قريشاً لأن النبوة فيهم {فَقَدْ ءاتَيْنَا إبراهيم الكتاب} يعني إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط. {الكتاب} يعني التنزيل {والحكمة} يعني السنة {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس} يعني قريشاً وبني هاشم {مُّلْكاً عَظِيماً} يعني الخلافة لا تصلح إلا لقريش {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءامَنَ بِهِ} يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم {وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ} أي كفر به. ثم قال تعالى: {وكفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً} أي وقوداً لمن كفر به. ثم بيّن مصير من كذب به، وموضع من آمن به، فقال تعالى:

تفسير الآيات رقم [56- 57]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57)}

{إِنَّ الذين كَفَرُواْ بئاياتنا} يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً} أي ندخلهم ناراً في الآخرة. ويقال: صَلِيَ إذا دخل النار لأجل شيء، وأصلاه إذا أدخله للاحتراق. والاصطلاء بالنار الاستدفاء. ثم قال تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}

يقول: كلما احترقت جلودهم {بدلناهم} يعني: جددنا لهم {جُلُوداً غَيْرَهَا} لأنهم إذا احترقوا خبت عنهم النار ساعة فبدلوا خلقاً جديداً، ثم عادت تحرقهم، فهذا دأبهم فيها. وقال مقاتل: تجدد في كل يوم سبع مرات. وقال الحسن: بلغني أنه ينضج كل يوم سبعين ألف مرة. وقال الضحاك: سبعين جلداً في كل يوم. وقد طعنت الزنادقة في هذا وقالوا: إن الجلد الذي تبدل لم يذنب، فكيف يستحق العقوبة والعذاب؟ وقيل لهم: إن ذلك الجلد هو الجلد الأول، ولكنه إذا أحرق أعيد إلى الحال الأول، كالنفس إذا صارت تراباً وصارت لا شيء ثم أحياها الله تعالى، فكذلك هاهنا. وقوله تعالى {جُلُوداً غَيْرَهَا} على وجه المجاز، كما قال في آية أخرى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الارض غَيْرَ الارض والسماوات وَبَرَزُواْ للَّهِ الواحد الْقَهَّارِ} [سورة إبراهيم: 48] قال ابن عباس رضي الله عنه يعني يزاد في سعتها، وتسوى جبالها وأوديتها.

ثم قال تعالى: {لِيَذُوقُواْ العذاب} أي لكي يجدوا مس العذاب {إِنَّ الله كَانَ عَزِيزاً} في نقمته {حَكِيماً} في أمره، حكم لهم بالنار، ثم بيّن مصير الذين صدقوا به فقال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني الطاعات التي أمرهم الله بها {سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار خَالِدِينَ فِيهَآ} أي مقيمين فيها {أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} في الخلق والخلق {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً}. قال الضحاك: يعني، ظلال أشجار الجنة، وظلال قصورها وقال الكلبي: يعني ظلاً ظليلاً أي دائماً. وقال أكنان القصور، (ظَلِيلا) يعني لا خلل فيها. قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [58- 59]

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)}

قوله تعالى:

{إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الاحمانات إِلَى أَهْلِهَا} وذلك أن مفتاح الكعبة كان في يد بني شيبة، وكانت السقاية في يد بني هاشم، فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة وقال له: هات المفتاح. فخشي عثمان أن يعطيه إلى عمه العباس، فجاء بالمفتاح وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: خذه بأمانة الله: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت، فإذا فيه تمثال إبراهيم عليه السلام مصور على الحائط، وبيده قداح، وعنده إسماعيل والكبش مصوران، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَاتَلَ الله الكُفَّارَ مَا لإبْرَاهِيمَ والقِدَاحِ» فأمر بالصور فمحيت، فقضى حاجته من البيت ثم خرج،

فطلب منه العباس بأن يدفع إليه المفتاح، فنزلت هذه الآية {إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الاحمانات إِلَى أَهْلِهَا} ثم صارت الآية عامة لجميع الناس برد الأمانات إلى أهلها. ويقال: نزلت في شأن اليهود، حيث كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت أمانة عندهم فمنعوها. ويقال: هذا أمر لجميع المسلمين بأداء الفرائض وجميع الطاعات، لأنها أمانة عندهم كقوله تعالى {إِنَّا عَرَضْنَا الامانة... إِلَى قَوْلُهُ: وَحَمَلَهَا الإنسان}.

ثم قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ الناس أَن تَحْكُمُواْ بالعدل} يقول: بالحق، وقال الضحاك: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ الناس} أي بين القوم {أَن تَحْكُمُواْ بالعدل} أي بالبينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه {إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} يعني يأمركم بالعدل والنصيحة، والاستقامة، وأداء الأمانة {إِنَّ الله كَانَ سَمِيعاً} بمقالة العباس {بَصِيراً} بردِّ المفتاح إلى أهله. قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة {نِعِمَّا} بنصب النون وكسر العين والاختلاف فيه كالاختلاف الذي في سورة البقرة، وذلك قوله تعالى {إِن تُبْدُواْ الصدقات فَنِعِمَّا هِيَ} وقوله تعالى {بَصِيراً ياأيها الذين ءامَنُواْ أَطِيعُواْ الله} أي في الفرائض {وَأَطِيعُواْ الرسول} أي في السنن. ويقال: أطيعوا الله فيما فرض، وأطيعوا الرسول فيما بيّن. ويقال {أَطِيعُواْ الله} بقول لا إله إلا الله، وأطيعوا الرسول بقول محمد رسول الله {وَأُوْلِى الامر مِنْكُمْ}. يعني: أطيعوا أولي الأمر منكم. قال الكلبي ومقاتل: يعني: أمراء السرايا. وقال الضحاك: يعني: الفقهاء والعلماء في الدين. ويقال: الخلفاء والأمراء. ويجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية. قوله: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَئ} من الحلال والحرام والشرائع {فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرسول} يعني إلى أمر الله فيما يأمر بالوحي، وإلى أمر الرسول فيما يخبر عن الوحي، ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما انقطع الوحي يرد إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ويقال: معناه إذا أشكل عليكم شيء، فقولوا: الله ورسوله أعلم. وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وقال الخليل بن أحمد البصري: الناس أربعة: رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فهذا أحمق فاجتنبوه. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فهذا جاهل فعلِّموه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فهذا نائم فأيقظوه. ورجل يدري وهو يدري أنه يدري، فهذا عالم فاتبعوه.

ثم قال تعالى: {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر} يعني إن كنتم تصدقون بالله واليوم الآخر ثم قال: {ذلك خَيْرٌ} أي الرد إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله خير من الاختلاف {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} أي وأحسن عاقبة. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة إلى أهلها، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه، فإن الله تعالى أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمرنا بطاعتهم. وقال مجاهد: {وَأُوْلِى الامر مِنْكُمْ} العلماء والفقهاء، وهكذا روي عن جابر. وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [60- 63]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} وذلك أنَّ منافقاً يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الخصومة في حكم الإسلام على المنافق، وفي حكم اليهود على اليهودي. فقال اليهودي: نأتي محمداً صلى الله عليه وسلم يحكم بيننا. وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا. فكانا في ذلك إذ سمع عمر بن الخطاب قولهما، فقال: ما شأنكما؟ فأخبراه بالقصة. فقال عمر: أنا أحكم بينكما. فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف، وقتل المنافق، فنزلت هذه الآية {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني بالقرآن {وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} يعني سائر الكتب المنزلة {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطاغوت} وهو كعب بن الأشرف {وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ} يعني أمروا بتكذيبه. وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، وركنوا إلى قول اليهود ومالوا إلى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله: {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطاغوت وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ} يعني: إلى كهنة اليهود وسحرتهم.

ثم قال: {وَيُرِيدُ الشيطان أَن يُضِلَّهُمْ *** عَنِ الهدى وَعَن الحق {ضلالا بَعِيداً} ثم قال: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إلى مَا أَنزَلَ الله وَإِلَى الرسول} يعني: إلى ما أمر الله في كتابه، وإلى ما أمر الرسول، وإلى ما أنزل إلى الرسول {رَأَيْتَ المنافقين يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً} أي يعرضون عنك إعراضاً. ويقال: صدّ يصد يكون لازماً ويكون متعدياً، وإنما يتبين ذلك بالمصدر. ويقال: صد يصد صدّاً إذا صرف غيره. كقوله تعالى {فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل} وصد يصد صدوداً، إذا أعرض بنفسه كقوله تعالى {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ} وكقوله {رَأَيْتَ المنافقين يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً} قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا أصابتهم مُّصِيبَةٌ} يقول: فكيف يصنعون إذا أصابتهم عقوبة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} أي بما عملت أيديهم {ثُمَّ جَاؤوكَ يَحْلِفُونَ بالله} قال في رواية الكلبي: نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب، كانت بينه وبين الزبير بن العوام خصومة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير، فخرجا من عنده فمرا على المقداد بن الأسود، فقال المقداد لمن كان القضاء يا ثعلبة؟ فقال ثعلبة: قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا أصابتهم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} أي

بليه شدقه، فلما نزلت هذه الآية أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه ويحلف.

وذلك قوله: {ثُمَّ جَاؤوكَ يَحْلِفُونَ بالله إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً} أي ما أردنا إلا الإحسان في المقالة {وَتَوْفِيقاً} يقول: صواباً. وقال الضحاك ومقاتل: نزلت في شأن الذين بنوا مسجد ضرار، فلما أظهر الله نفاقهم وأمر بهدم المسجد، حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم دفعاً عن أنفسهم: ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله وموافقة الكتاب.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ الذين يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ} من الضمير. وقال الزجاج: معناه قد علم الله أنهم منافقون، والفائدة لنا أن اعلموا أنهم منافقون. قال: ومعنى قوله: {وَتَوْفِيقاً} أي طلباً لما وافق الحق. ثم قال تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ولا تعاقبهم {وَعِظْهُمْ} بلسانك {وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} يقول: خوفهم وهددهم إن فعلتم الثاني عاقبتكم. قال مقاتل: تقدم إليه تقدماً وثيقاً ثم نسخ بقوله {ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المصير} [سورة التوبة: 73]. وقوله تعالى:

صفحه 12

تفسير الآيات رقم [64- 68]

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65) وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)}

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ} ومن صلة فكأنه يقول: وما أرسلنا رسولاً {إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله} أي لكي يطاع بأمر الله. ثم قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} بصنعهم {جاؤوك} بالتوبة {جَاءوكَ فاستغفروا الله} لذنوبهم {واستغفر لَهُمُ الرسول لَوَجَدُواْ الله تَوَّاباً رَّحِيماً} أي متجاوزاً.

قوله تعالى: {فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ} كقول القائل: لا والله لا يؤمنون {حتى يُحَكّمُوكَ} حتى يقروا ويرضوا بحكمك يا محمد {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} أي فيما اختلفوا فيه. ويقال: تشاجرا أي اختلفا. ويقال: فيما التبس عليهم. قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا الديبلي، قال: حدّثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن عمرو، عن رجل من ولد أم سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: كان بين الزبير بن العوام وبين رجل خصومة، فقضى النبي صلى الله

عليه وسلم للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته. فأنزل الله تعالى {فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} {ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ} أي في قلوبهم {حَرَجاً} أي شكّاً {مّمَّا قَضَيْتَ} أنه الحق {وَيُسَلّمُواْ تَسْلِيماً} أي ويخضعوا لأمرك في القضاء خضوعاً. وقال الزجاج: تسليماً مصدر مؤكد، فإذا قلت ضربه ضرباً فكأنك قلت: لا شك فيه، كذلك {وَيُسَلّمُواْ تَسْلِيماً} أي ويسلمون لحكمك تسليماً، لا يدخلون على أنفسهم شكّاً.

قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقتلوا أَنفُسَكُمْ} يعني: لو فرضنا عليهم القتل {أَوِ اخرجوا مِن دياركم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مّنْهُمْ} والقليل منهم: عمار بن ياسر، وابن مسعود، وثابت بن قيس، قالوا: لو أن الله تعالى أمرنا بأن نقتل أنفسنا أو نخرج من ديارنا لفعلنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الإيمانُ أَثْبَتُ في قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنَ الجِبالِ الرَّوَاسِي» قرأ ابن عامر إلا قليلاً منهم بالألف وهكذا في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون بغير الألف بالضم. فمن قرأ بالضم فمعناه ما فعلوه، ويفعله قليل منهم على معنى الاستئناف. ومن قرأ بالنصب على معنى أنه على خلاف الأول للاستثناء. كقوله تعالى {إِلاَّ المستضعفين مِنَ الرجال والنسآء والولدان لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً} [النساء: 98].

ثم قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ} أي ما يؤمرون به {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} أي الثواب في الآخرة {وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً} أي تحقيقاً في الدنيا. قوله تعالى {وَإِذاً لاتيناهم} يقول: حينئذٍ لأعطيناهم {مّن لَّدُنَّا} أي من عندنا {أَجْراً عَظِيماً} في الآخرة يعني الجنة {ولهديناهم صراطا مُّسْتَقِيماً} أي ديناً قيماً يرضاه لهم. قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [69- 73]

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73)}

{وَمَن يُطِعِ الله والرسول} قال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شديد الحب له، وكان قليل الصبر عنه حتى تغير لونه ونحل جسمه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ "؟ فقال: ما بي من مرض، ولكني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك، وأذكر الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك. فنزل قوله تعالى {وَمَن يُطِعِ الله والرسول} {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مّنَ النبيين} في الجنة. وقال في رواية الضحاك: وذلك أن نفراً من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبيَّ الله، وإن صرنا إلى الجنة فإنك تفضلنا في الدرجات، كما أنك تفضلنا بدرجات النبوة، فلا نراك. فنزل {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم} الآية.

حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا أبو العباس، قال: حدّثنا قتيبة، قال: حدّثنا جهضم، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي أن رجلاً من الأنصار أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي وولدي وأهلي، فلولا أني آتيك فأراك لا ريب أي لا شك أني سوف أموت. قال: وبكى الأنصاري. فقال: «مَا أَبْكَاكَ؟ «قال: ذكرت أنك تموت ونموت وترفع مع النبيين، ونكون نحن وإن دخلنا الجنة دونك، فلم يجبه بشيء، فأنزل الله تعالى {وَمَن يُطِعِ الله والرسول فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم} {مِّنَ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} أي من المسلمين. ثم قال: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} في الجنة، أي رفقاء كقوله تعالى: {ياأيها الناس إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خلقناكم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الارحام مَا نَشَآءُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لتبلغوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يتوفى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الارض هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المآء اهتزت وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5] أي أطفالاً، وكقوله {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامهم وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العدو فاحذرهم قَاتَلَهُمُ الله أنى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4] أي الأعداء {ذلك الفضل مِنَ الله} أي المنّ والعطية من فضل الله {وكفى بالله عَلِيماً} بالثواب في الآخرة.

قوله تعالى: {عَلِيماً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ} أي عدتكم من السلاح {فانفروا ثُبَاتٍ} يعني عصباً سرايا {أَوِ انفروا جَمِيعاً} مع النبي صلى الله عليه وسلم بأجمعكم.

وقال عز وجل: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} فاللام الأولى زيادة للتأكيد، واللام الثانية للقسم. أي وإن منكم من يتثاقل ويتخلف عن الجهاد، يعني المنافقين، فهذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: إن فيكم منافقين يتثاقلون ويتخلفون عن الجهاد {فَإِنْ أصابتكم} معشر المسلمين {مُّصِيبَةٍ} يعني نكبة وشدة وهزيمة من العدو {قَالَ} ذلك المنافق الذي فيكم وتخلف عن الجهاد: {قَدْ أَنْعَمَ الله عَلَيَّ} بالجلوس {إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً} أي حاضراً في تلك الغزوة. قوله تعالى: {وَلَئِنْ أصابكم فَضْلٌ مِنَ الله} يعني الفتح والغنيمة {لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} أي معرفة وودا في الدين {مَوَدَّةٌ ياليتنى كُنتُ مَعَهُمْ} في تلك الغزوة {فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} فأصيب غنائم كثيرة. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيداً، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة في الدين ولا ولاية. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص: {كَأَن لَّمْ تَكُنْ} بالتاء لأن المودة مؤنثة، وقرأ الباقون بالياء لأن تأنيثه ليس بحقيقي.

ثم أمر المنافقين بأن يقاتلوا لوجه الله تعالى، فقال عز وجل:

تفسير الآيات رقم [74- 76]

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75) الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)}

{فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ الله} يعني فليقاتل الذين معكم في طاعة الله {الذين يَشْرُونَ الحياة الدنيا} أي يختارون الدنيا على الآخرة. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: فليقاتل في سبيل الله الكفار الذين يشرون الحياة الدنيا {بالاخرة}. ثم قال تعالى: {وَمَن يقاتل فِى سَبِيلِ الله} أي في طاعة الله {فَيُقْتَلْ} يقول فيستشهد: {أَو يَغْلِبْ} أي يقتل العدو ويهزمهم {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} أي ثواباً عظيماً في الجنة، فجعل ثوابهما واحداً، يعني: إذ غلب أو غلب يستوجب الثواب في الوجهين جميعاً، وقال الضحاك في قوله: {وَمَن يقاتل فِى سَبِيلِ الله} قال: ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة، غفرت له ذنوبه ووجبت له الجنة. والفواق بالرفع: ما بين الحلبتين. والفواق: بالنصب الراحة. وذلك قوله: {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} أي ثواباً عظيماً في الجنة.

ثم حثّ المؤمنين على القتال فقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تقاتلون فِى سَبِيلِ الله والمستضعفين} أي وعن المستضعفين {مِنَ الرجال والنساء والولدان} ويقال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين. ويقال: {وَمَا لَكُمْ لاَ تقاتلون فِى سَبِيلِ الله} وفي خلاص المستضعفين. وقال الضحاك: وذلك أن كفار قريش أسروا سبعة نفر من المسلمين وكانوا يعذبونهم، فأمر الله تعالى بقتال الكفار ليستنقذوا الأسرى من أيديهم {الذين يَقُولُونَ} يعني المستضعفين بمكة، يدعون الله تعالى ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذه القرية الظالم أَهْلُهَا} بالشرك {واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً} أي من عندك حافظاً يحفظنا {واجعل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً} أي مانعاً يمنعنا منهم. قال الكلبي: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل الله لهم النبي صلى الله عليه وسلم ولياً، وعتاب بن أسيد نصيراً، وكان عتاب بن أسيد ينصف الضعيف من الشديد، فنصرهم الله به وأعانهم، وكانوا أعز من بمكة من الظلمة قبل ذلك، فصار المسلمون الضعفاء أعزاء كما كان الكفار قبل ذلك.

ثم مدح الله المؤمنين بقتالهم لوجه الله تعالى، فقال تعالى: {الذين كَفَرُواْ * يقاتلوا فِى سَبِيلِ الله} أي في طاعة الله وإعزاز الدين وذم المنافقين، وبيّن أن قتالهم للشيطان، فقال

تعالى: {والذين كَفَرُواْ يقاتلون فِى سَبِيلِ الطاغوت} أي في طاعة الشيطان. ثم حرض المؤمنين على القتال فقال: {فقاتلوا أَوْلِيَاء الشيطان} أي جند الشيطان وهم المشركون {إِنَّ كَيْدَ الشيطان} أي مكر الشيطان {كَانَ ضَعِيفاً} أي واهياً. ويقال: أراد به يوم بدر حيث قال لهم الشيطان أي الكفار: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه. ويقال: {إِنَّ كَيْدَ الشيطان كَانَ ضَعِيفاً} أي مكره ضعيف لا يدوم، وهذا كما يقال للحق دولة وللباطل جولة أي ما له ري.

ثم قال عز وجل:

تفسير الآيات رقم [77- 78]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ} يعني ألم تخبر عنهم، ويقال: إن معناه ألا ترى إلى هؤلاء، وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا بمكة استأذنوا في قتل كفار مكة سراً، لما كانوا يلقون منهم من الأذى، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً كفوا أيديكم عن قتالهم {وَإِذْ أَخَذْنَا} فإني لم أؤمر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره الله تعالى بالقتال، فكره بعضهم فنزلت هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ} عن القتل {وَإِذْ أَخَذْنَا} أي أتموها {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: أقروا بها وأعطوها إذا وجبت عليكم {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال} أي فرض عليهم القتال بالمدينة {إِذَا فَرِيقٌ مّنْهُمْ يَخْشَوْنَ الناس} أي يخشون عذاب الكفار {كَخَشْيَةِ الله} أي كخشيتهم من عذاب الله {أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} أي بل أشد خشية، ويقال: معناه أو أشد خشية يعني أكثر خوفاً {وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القتال} أي لم فرضت علينا القتال {لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا} أي يقولوا هلاّ أجلتنا {إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ} وهو الموت، فبيّن الله تعالى لهم أن الدنيا فانية فقال: {قُلْ متاع الدنيا قَلِيلٌ} أي منفعة الدنيا قليلة لأنها لا تدوم. وقال عليه الصلاة والسلام: " مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا "

ثم قال تعالى: {والاخرة خَيْرٌ لّمَنِ اتقى} يقول: ثواب الآخرة أفضل لمن اتقى الشرك والمعاصي {وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} وقد ذكرناه. قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: (ولا تظلمون) بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر يعني المتقين. قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الموت} أي في الأرض يأتيكم

الموت {وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} أي في القصور الطوال المشيدة المبنية إلى السماء، حتى لا يخلص إليه أحد من بني آدم. وقال القتبي: «البروج»: الحصون، و«المشيدة»: المطولة وذلك أنهم لما تثاقلوا عن الخروج إلى الجهاد مخافة الموت، فأخبرهم الله تعالى أنهم لا يموتون قبل الأجل، إذا جاء أجلهم لا ينجون من الموت، وإن كانوا في موضع حصين. وهذا قوله تعالى: {الذين قَالُواْ لإخوانهم وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صادقين} [آل عمران: 168] ثم أخبر عن المنافقين فقال: {وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ} أي الفتح والغنيمة والخصب يقولوا: {هذه مِنْ عِندِ الله وَإِن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ} أي نكبة وهزيمة {يَقُولُواْ هذه مِنْ عِندِكَ} أي من شؤمك، يعني: أصابتنا بسببك، أنت الذي حملتنا على هذا. {قُلْ كُلٌّ مّنْ عِندِ الله} يقال: الرخاء والشدة، ويقال: القدر خيره وشره من الله تعالى. ثم قال تعالى: {فَمَا لِهَؤُلاء القوم لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ} يعني المنافقين لا يكادون يفقهون {حَدِيثاً} أي لا يفهمون قولاً أن الشدة والرخاء من الله تعالى، أي لا يسمعون ولا يفهمون ما يحدثهم ربهم في القرآن.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [79- 81]

{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79) مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81)}

{مَّا أصابك مِنْ حَسَنَةٍ} يعني: النعمة وهو الفتح والغنيمة {فَمِنَ الله} أي: وبفضله {وَمَا أصابك مِن سَيّئَةٍ} يعني: البلاء والشدة من العدو أو الشدة في العيش {فَمِن نَّفْسِكَ} أي فبذنبك، وأنا قضيته عليك. ويقال: ما أصابك من حسنة يوم بدر فمن الله، وما أصابك من سيئة يوم أحد فمن نفسك، أي بذنب أصحابك، يعني بتركهم المركز. ويقال: {مَّا أصابك مِنْ حَسَنَةٍ} يعني الدلائل والعلامات لنبوتك فمن الله، {وَمَا أصابك مِن سَيّئَةٍ} يعني انقطاع الوحي فمن نفسك يعني بترك الاستثناء، حيث انقطع عنك جبريل أياماً بترك استثنائك به. ويقال: {مَّا أصابك مِنْ حَسَنَةٍ} يعني تكثير الأمة فمن الله {وَمَا أصابك مِن سَيّئَةٍ} من أذى الكفار فبتعجيلك كقوله تعالى: {لَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ} ويقال: فيه تقديم وتأخير ومعناه {فَمَا لِهَؤُلاء القوم لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} بقولهم {مَّا أصابك مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أصابك مِن سَيّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} قل: كلٌّ من عند الله.

ثم قال تعالى: {وأرسلناك لِلنَّاسِ رَسُولاً} أي ليس عليك سوى تبليغ الرسالة {وكفى بالله شَهِيداً} على مقالتهم وفعلهم. ثم قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله} يعني من يطع الرسول فيما أمره فقد أطاع الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم بأمر

الله تعالى، وفي طاعة الله تعالى، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ الله وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله» فقال المنافقون: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه حناناً، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتبعونى يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: 31] وقال: {مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله} ثم قال تعالى: {وَمَن تولى} أي أعرض عن طاعة الله وطاعة رسوله {فَمَا أرسلناك عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} أي رقيباً، وكان ذلك قبل الأمر بالقتال.

ثم أخبر عن أمر المنافقين فقال: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} أي يقولون بحضرتك: قولك طاعة. وأمرك معروف، فمرنا بما شئت فنحن لأمرك نتبع {فَإِذَا بَرَزُواْ} أي خرجوا {مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ} أي ألغت ويقال غيرت {طَائِفَةٌ مّنْهُمْ غَيْرَ الذى تَقُولُ} وقال الزجاج: لكل أمر قضي بليل قد بيت، قرأ أبو عمرو وحمزة {بَيَّتَ طَائِفَةٌ} بالإدغام لقرب مخرج التاء من الطاء، وقرأ الباقون بالإظهار لأنهما كلمتان. ثم قال تعالى: {والله يَكْتُبُ مَا يُبَيّتُونَ} يعني: يحفظ عليهم ما يغيرون. وقال الزجاج: {والله يَكْتُبُ} له وجهان، يجوز أن يكون ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون: يحفظ ما جاؤوا به. ثم قال تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أي اتركهم {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وكفى بالله وَكِيلاً} أي شهيداً. ويقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله} أي ثق بالله {وكفى بالله وَكِيلاً} أي شهيداً. أو يقال: وتوكل على الله ثقة لك. ثم نسخ بقوله تعالى: {ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المصير} [التوبة: 73].

تفسير الآيات رقم [82- 84]

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84)}

قوله تعالى:

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان} يعني أفلا يتفكرون في مواعظ القرآن ليعتبروا بها، ويقال: أفلا يتفكرون في معاني القرآن فيعلمون أنه من عند الله تعالى؟ لأنه {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً} أي تناقضاً كثيراً، ويقال: أباطيل وكذباً كثيراً؛ لأن الاختلاف في قول الناس، وقول الله تعالى لا اختلاف فيه، فلهذا قال أهل النظر: إن الإجماع حجة، لأن الإجماع من الله تعالى، ولو لم يكن من الله تعالى لوقع فيه الاختلاف. ولهذا قالوا: إن القياس إذا انتقض سقط الاحتجاج به لأنه لو كان حكم الله تعالى لم يرد عليه النقض. قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مّنَ الامن أَوِ الخوف} يعني المنافقين إذا

جاءهم خبر من أمر السرية بالفتح والغلبة على العدو، سكتوا وقصروا عما جاءهم من الخبر أو الخوف، أي وإن جاءهم خبر من السرية ببلاء وشدة نزلت بالمؤمنين {أَذَاعُواْ بِهِ} أي أفشوه {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول وإلى أُوْلِى الامر مِنْهُمْ} قال الكلبي: يقول لو سكتوا عن إفشائه حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يفشيه وأولو الأمر منهم مثل أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم {لَعَلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ} يقول: يبتغونه {مِنْهُمْ} فيكون هؤلاء الذين يستمعونه ويفشونه ويعلمونه إلا قليلاً منهم.

يقول الله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} أي لولا منّ الله عليكم ورحمته ونعمته {لاَتَّبَعْتُمُ الشيطان} فيه تقديم وتأخير. وقال مقاتل: أذاعوا به أي أفشوه {إِلاَّ قَلِيلاً} منهم لا يفشون الخبر. وقال الزجاج: {أَذَاعُواْ بِهِ} أي أظهروه. ومعنى {يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أي يستخرجونه، وأصله من النبط وهو أول الماء الذي يخرج من البئر إذا حفرت، ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوا من قبل الرسول ومن قبل أولي الأمر منهم، لعلمه هؤلاء الذين أذاعوا به من ضعف المسلمين وعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك. وقال عكرمة لعلمه الذين يخوضون فيه ويسألون عنه. وقال أبو العالية: يعني الذين يستحسنونه منهم. وقال الضحاك: ولو ردوا أمرهم في الحلال والحرام إلى الرسول في التصديق به والقبول منه، وإلى أولي الأمر منهم، يعني حملة الفقه والحكمة، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، يعني يتفحصون عن العلم. {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} بالقرآن {لاَتَّبَعْتُمُ الشيطان إِلاَّ قَلِيلاً} وهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. وفي هذه الآية دليل على جواز الاستنباط من الخبر والكتاب، لأن الله تعالى قد أجاز الاستنباط من قبل الرسول وأهل العلم.

ثم قال: {فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ الله} أي في طاعة الله {لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ} قال مقاتل: يعني ليس عليك ذنب غيرك.

وقال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر. وقال أبو بكر في أهل الردة: لو خالفتني يميني لجاهدت بشمالي. ويقال: واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بأن يخرج إلى بدر الصغرى، فكره المسلمون الخروج فأمره الله تعالى بأن يخرج وإن كان وحده. فقال: {وَحَرّضِ المؤمنين} أي على القتال، يعني على الجهاد بقتال أعداء الله {عَسَى الله أَن يَكُفَّ بَأْسَ الذين كَفَرُواْ} أي يمنع قتال الذين كفروا. والبأس هو القتال، كما قال في آية أخرى {لَّيْسَ البر أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشرق والمغرب ولكن البر مَنْ ءَامَنَ بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وَءَاتَى المال على حُبِّهِ ذَوِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وَفِي الرقاب وَأَقَامَ الصلاة وَءَاتَى الزكواة والموفون بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهدوا والصابرين فِى البأسآء والضراء وَحِينَ البأس أولئك الذين صَدَقُوا وأولئك هُمُ

المتقون} [البقرة: 177] ثم قال تعالى: {والله أَشَدُّ بَأْساً} أي عذاباً. ويقال: {وَأَشَدُّ تَنكِيلاً} أي أشد عقوبة في الآخرة عن عقوبة الكفار في الدنيا.

تفسير الآيات رقم [85- 87]

{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85) وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)}

قوله تعالى: {مَّن يَشْفَعْ شفاعة حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مّنْهَا} قال الضحاك: يعني من سنّ سنة حسنة في الإسلام، فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. {وَمَن يَشْفَعْ شفاعة سَيّئَةً يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مّنْهَا} أي من سنّ في الإسلام سنة قبيحة محدثة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وقال الكلبي: {مَّن يَشْفَعْ شفاعة حَسَنَةً} يعني: يصلح بين اثنين يكن له أجر منها {وَمَن يَشْفَعْ شفاعة سَيّئَةً} يمشي بالنميمة والغيبة، {يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مّنْهَا} يعني إثم منها. وقال مجاهد: إنما هي شفاعة في الناس بعضهم لبعض، يعني يشفع لأخيه المسلم في دفع المظلمة عنه. وروى سفيان عن عمرو بن دينار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اشْفَعُوا إِلَيَّ تُؤْجَرُوا فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي الأمْرَ فَأَمْنَعُهُ كَيْ مَا تَشْفَعُوا فَتُؤْجَرُوا» وقال الحسن: الشفاعة تجري أجرها لصاحبها ما جرت منفعتها، والكفل في اللغة النصيب. كقوله تعالى: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ اتقوا الله وَءامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد: 28] ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله على كُلّ شَئ مُّقِيتاً} والمقيت المقتدر. يقال: أقات على الشيء يعني اقتدر. ويقال: المقيت الشاهد على الشيء، الحافظ له، ويقال: مقيتاً يعني: بيده الرزق وعليه قوت كل دابة، كقوله تعالى {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وبارك فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أقواتها فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ} [فصلت: 10].

قوله تعالى: {وَإِذَا حُيّيتُم بِتَحِيَّةٍ} يعني إذا سلم عليكم {فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا} أي ردوا جوابها بأحسن منها {أَوْ رُدُّوهَا} أي مثلها، فأمر الله تعالى المسلمين برد السلام، بأن يردوا بأحسن منها، وهو أن يقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو يرد مثله، فيقول: وعليكم السلام، وقال قتادة: فحيوا بأحسن منها للمسلمين، أو ردوها لأهل الذمة، فيقول لهم: وعليكم، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلاً دخل عليه، وقال: السلام عليكم، فقال له: «وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ فَلَكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ» ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فقال: «لَكَ عِشْرُونَ حَسَنَةً» ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فقال: «لَكَ ثَلاثُونَ حَسَنَةً» وروي عنه أنه نهى أن

ينقص الرجل من سلامه أو من ردّه، وهو أن يقول: السلام عليك، ولكن ليقل: السلام عليكم. ويقال: إنما ذلك للمؤمنين، لأن المؤمن لا يكون وحده ولكن يكون معه الملائكة.

وفي هذه الآية دليل أن السلام سنة، والرد واجب لأن الله تعالى أمر بالرد، والأمر من الله تعالى واجب ويقال: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} يعني إذا أهدي إليكم بهدية، فكافئوا بأفضل منها أو مثلها. وهذا التأويل ذكر عن أبي حنيفة.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله كَانَ على كُلِّ شَئ حَسِيباً} أي مجازياً.

قوله تعالى: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ} نزلت في شأن الذين شكوا في البعث، فأقسم الله تعالى بنفسه {لَيَجْمَعَنَّكُمْ} وهذه لام القسم، وكل لام بعدها نون مشددة فهي لام القسم. وقوله: {إلى يَوْمِ القيامة} قال بعضهم: إلى صلة في الكلام، معناه ليجمعنكم يوم القيامة. ويقال: ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم إلى يوم القيامة، ثم يبعثكم {لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي لا شك فيه، وهو البعث. يعني: لا شك فيه عند المؤمنين، ويقال: يعني لا ينبغي أن يشك فيه. ثم قال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثاً} أي من أوفى من الله قولاً وعهداً. قرأ حمزة والكسائي: (ومن أزدق) بالزاي. وقرأ الباقون: {أَصْدَقُ} وأصله الصاد، إلا أنه لقرب مخرجيهما يجعل مكانه زاي.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [88- 91]

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سَتَجِدُونَ آَخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)}

{فَمَا لَكُمْ فِى المنافقين فِئَتَيْنِ} نزلت في تسعة نفر ارتدوا عن الإسلام، فخرجوا من أموالهم. ويقال: كان قوم من المنافقين بمكة، خرجوا إلى الشام، فاختلف المسلمون في أمرهم، فبيّن الله تعالى للمسلمين نفاقهم، فقال تعالى: {فَمَا لَكُمْ فِى المنافقين} يعني صرتم في المنافقين فئتين، أي فريقين تختصمون في أمرهم {والله أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُواْ} أي

أذلهم. ويقال: أهلكهم. ويقال: أركسهم أي ردهم إلى كفرهم. ويقال: ركست الشيء وأركسته إذا رددته إلى الحال الأول.

ثم قال تعالى: {أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ الله} يعني: أترشدون إلى الهدى من أضله الله {وَمَن يُضْلِلِ الله} عن الهدى {فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} يعني ديناً. ويقال: مخرجاً. ثم قال تعالى: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ} أي ترجعون عن هجرتكم {كَمَا كَفَرُواْ} أي كما رجعوا {فتكونوا} أنتم وهم على الكفر {فِيهِ سَوَآء} ومن هذا يقال في المثل: إن من أحرق يوماً كدسه يتمنى حرق أكداس الأمم. فكذلك الكفار كانوا يتمنون أن يكون الناس كلهم كفاراً، حتى يحترقوا معهم. قال الله تعالى: {فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء} في الدين والنصرة {حتى يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ الله} حتى يتوبوا ويرجعوا إلى دار الهجرة بالمدينة {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني: أبوا الهجرة {فَخُذُوهُمْ} يعني: فأسروهم {واقتلوهم حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} يعني: أين وجدتموهم من الأرض {وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} في العون. ثم استثنى الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد فقال: {إِلاَّ الذين يَصِلُونَ إلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ميثاق} وهم خزاعة، وبنو مدلج، وبنو خزيمة، وهلال بن عويمر الأسلمي وأصحابه، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل من أتاهم من المسلمين فهو آمن، ومن جاء منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن. وفي هذه الآية إثبات الموادعة بين أهل الحرب وأهل الإسلام، إذا كانت في الموادعة مصلحة للمسلمين.

ثم قال تعالى: {أَوْ جَاءوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} أي ضاقت قلوبهم {ءانٍ *** يقاتلوكم} من قبل العهد {أَوْ يقاتلوا قَوْمَهُمْ} معكم من قبل القرابة. ثم قال تعالى: {وَلَوْ شَاء الله لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فلقاتلوكم} ذكر منته على المؤمنين أنه يدفع عنهم البلاء ومنعهم عن قتالهم، ثم قال تعالى {فَإِنِ اعتزلوكم} في القتال {فَلَمْ يقاتلوكم وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السلم} أي الصلح، معناه أنهم لو ثبتوا على صلحهم فلا تقاتلوهم، فذلك قوله: {فَمَا جَعَلَ الله لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً} أي حجة وسلطاناً في قتالهم.

ثم قال عز وجل: {سَتَجِدُونَ ءاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ} وهم أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: آمنا بك.

وإذا رجعوا إلى قومهم قالوا: آمنا بالعقرب والخنفساء. يقول: إنهم لم يريدوا بذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أرادوا به الاستهزاء. وقال مجاهد: هم ناس من أهل مكة، كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون بالأوثان، ويريدون أن يأمنوا ها هنا وها هنا. فذلك قوله تعالى: {كُلَّمَا * رُدُّواْ إِلَى الفتنة} يقول: كلما دعوا إلى الشرك {أُرْكِسُواْ فِيِهَا} يقول: عادوا إليه ودخلوا فيه {فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ} في القتال {وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السلم} أي لم يلقوا إليكم الصلح {وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ} عن قتالكم، يعني إن لم يكفوا أيديهم {فَخُذُوهُمْ} يعني أسروهم {واقتلوهم حَيْثُ

ثَقِفْتُمُوهُمْ} يعني: حيث أدركتموهم ووجدتموهم {وَأُوْلَئِكُمْ} يعني أهل هذه الصفة {جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سلطانا} يعني: حجة {مُّبِيناً} أي حجة مبينة في القتال.

وقوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [92]

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92)}

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ} يقول: وما جاز لمؤمن أن يقتل مؤمناً متعمداً إلا خطأ، بغير قصد منه. ويقال: معناه: ولا خطأ أي ما جاز له يقتل عمداً ولا خطأ. ثم قال تعالى: {وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً} نزلت الآية في شأن عياش بن أبي ربيعة، حين قتل الحارث بن زيد، وذلك أن عياشاً هاجر إلى المدينة مؤمناً، فجاءه أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام، وهما أخواه لأمه، ومعهما الحارث بن زيد فقالوا له: إن أمك تناشدك بحقها ورحمها أن ترجع إليها وإنك أحب الأولاد إليها، وقد حلفت ألا يظلها بيت ولا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها، فارجع إليها وكن على دينك. فخرج معهم، فلما خرج من المدينة أوثقوه بحبل وضربوه، وحملوه إلى مكة، وألقوه في الشمس، وحلفت أمه بأن لا يحله أحد ما لم يكفر بالله، فتركوه على حاله حتى أعطاهم الذي أرادوه، فحلُّوه من الوثاق فقال له الحارث بن زيد: إن كان الذي كنت عليه هدى فقد تركته، وإن كان ضلالة، فقد كنت في ضلالة، فحلف عياش بأن يقتل الحارث بن زيد إذا لقيه خالياً. ثم إن عياشاً خرج إلى المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم الحارث بن زيد بعد ذلك، فلقيه عياش في بعض سكك المدينة ولم يعلم بإسلامه فقتله، ثم علم بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالأمر الذي كان منه، فنزلت هذه الآية فيه، وصارت الآية عامة لجميع الناس. وهو قوله: {وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} أي فعليه عتق رقبة مؤمنة، ولو أعتق رقبة كافرة لم يجز بالإجماع {وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} أي وعليه دية مسلمة إلى أهل القتيل، والدية مائة من الإبل {إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ} وأصله يتصدقوا، فأدغم التاء في الصاد، وأقيم التشديد مقامه. ومعناه: إلا أن يعفو عنه أولياء القتيل، ولا يأخذوا منه شيئاً.

ثم قال: {فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ} يعني إن كان القتيل من أهل الحرب وقد أسلم في دار الحرب، فقتله رجل في دار الحرب، فعلى القاتل الكفارة عتق رقبة مؤمنة، ولا دية عليه. وهذا بالإجماع. وقد نزلت في شأن أسامة بن زيد، قتل رجلاً يقال له مرداس وكان مسلماً، فنزلت هذه الآية. وروي عن عطاء بن السائب عن ابن عباس أنه

قال: كان الرجل يأتي فيسلم، ثم يأتي قومه وهم مشركون فيقيم فيهم، فتغزوهم جيوش من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتل الرجل، فنزلت هذه الآية {فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ} {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} وليس عليه دية.

ثم قال: {وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مّيثَاقٌ} يعني إن كان المقتول من أهل الذمة {فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ} أي فعليه دية مسلمة {إِلى أَهْلِهِ} {و} عليه أيضاً {تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن مستأمنين دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكساهما وحملهما، فلما خرجا من عنده لقيهما عمرو بن أمية الضمري فقتلهما، ولم يعلم أنهما مستأمنان، ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية حرّين مسلمين، فنزلت هذه الآية {وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً} ولهذا قال علماؤنا رحمهم الله: إن دية الذمي والمسلم سواء. وهكذا روي عن أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم أن دية الذمي والمسلم سواء، مائة من الإبل. ثم قال: {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} أي قاتل الخطأ، إذا لم يجد رقبة مؤمنة {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ} أي فعليه صيام شهرين {مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مّنَ الله} أي تلك الكفارة توبة للقاتل من الله تعالى، ويقال سبب التجاوز من الله. ثم قال: {وَكَانَ الله عَلِيماً} يعني عليماً بالقاتل {حَكِيماً} حكم بالكفارة على من قتل خطأ.

▲ تفسير الآية رقم [93]

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)}

قوله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} روي عن سالم بن أبي الجعد قال: كنت عند عبد الله بن عباس بعدما كفّ بصره، فجاءه رجل فناداه: ما تقول فيمن قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: جزاؤه جهنم خالداً فيها. {وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} فقال: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له الهدى، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: «يَأْتِي قَاتِلُ المُؤْمِنِ مُتَعَمِّداً وَيَتَعَلَّقُ بِهِ المَقْتُولُ عِنْدَ عَرْشِ الرحمن، فَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلْ هذا فِيمَ قَتَلَنِي؟» فوالذي نفسي بيده في هذا أنزلت هذه الآية، فما نسختها آية بعد نبيكم، وما نزل بعده من برهان. وروي عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما قالا: لا توبة له. وقال غيرهم: له التوبة لأن الله تعالى ذكر الشرك والقتل والزنى ثم قال: {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالحا فأولئك يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حسنات وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} إلى قوله {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالحا فأولئك يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حسنات وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} [الفرقان: 70] ويقال: معناه فجزاؤه جهنم خالداً فيها، أي داخلاً فيها لأنه لم يذكر فيها الأبد، كما أن الرجل يقول: خلدت فلاناً في السجن أي أدخلته. ويقال فجزاؤه جهنم أي إن جازاه. وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا وَعَدَ الله لِعَبْدِهِ ثَوَاباً فَهُوَ مُنْجِزُهُ، وَإِنْ أَوْعَدَ لَهُ العُقُوبَةَ

فَلَهُ المَشِيئَةُ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْه» ويقال: معناه من يقتل مؤمناً متعمداً يعني مستحّلاً لقتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها، لأنه كفر باستحلاله. ويقال: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمّداً} يعني يقتله متعمداً لأجل إيمانه، كما روي في الأثر أن بغض الأنصار كفر إن كان بغضهم لأجل نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك ها هنا إذا قتله لأجل إيمانه صار كافراً. ويقال هو منسوخ بقوله تعالى {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افترى إِثْماً عَظِيماً} [النساء: 48] ويقال: معناه فجزاؤهم جهنم بقتله خالداً فيها بارتداده، لأن الآية نزلت في شأن رجل قتل مؤمناً متعمداً ثم ارتد عن الإسلام، وهو مقيس بن ضبابة، وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني فهر إلى بني النجار، وأمره بأن يقرئهم السلام ويأمرهم بأن يطلبوا قاتله، فإن وجدوه قتلوه، وإن لم يجدوه حلفوا خمسين يميناً وغرموا الدية، فلما أتاهم مقيس بن ضبابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم الرسالة، فقالوا سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله. وقالوا: ما نعرف قاتله، فحلفوا وغرموا الدية. فلما رجع مقيس بن ضبابة قال في نفسه: إني بعت دم أخي بمائة من الإبل. ودخلت فيه حمية الجاهلية، وقال: أقتل هذا الفهري مكان أخي، وتكون الدية فضلاً لي. فقتله وتوجه إلى مكة وقال في ذلك شعراً.

قتلت به فهراً وحملت عقله *** سراة بني النجار أرباب فارع

فأدركت ثأري واضطجعت موسدا *** وكنت إلى الأوثان أول راجع

تفسير الآية رقم [94]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)}

فنزلت هذه الآية في شأنه إن جزاؤه جهنم خالداً فيها وكل من يعمل مثل عمله.

ثم قال عز وجل:

{عَظِيماً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ الله} أي يقول إذا خرجتم وصرتم في الجهاد {فَتَبَيَّنُواْ} نزلت الآية في شأن أسامة بن زيد، لقي رجلاً يقال له مرداس فقال له مرداس: لا إله إلا الله. وسلم عليهم وقال: السلام عليكم إني مؤمن، فقتله أسامة ولم يصدقه بأنه مسلم، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقَتَلْتَ رَجُلاً يَقُولُ لا إله إلاَّ الله»؟ فقال أسامة: إنه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم: «هَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ» فقال أسامة: استغفر لي فقال له:

«فَكَيْفَ لَكَ بِلاَ إله إلاَّ الله» ثلاث مرات. ثم استغفر له الرابعة، وأمره بأن يعتق رقبة. وروى شهر بن حوشب عن جندب بن سفيان، عن رجل من بجيلة قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه بشير من السرية فأخبره بالفتح وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى، فقصدت رجلاً بالسيف، فلما أحس أن السيف واقع به فقال إني مسلم فقتلته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقَتَلْتَ مُسْلِماً» فقال: يا رسول الله؛ إنه قال متعوّذاً فقال صلى الله عليه وسلم: «أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ» فقال يا رسول الله: استغفر لي فقال: «لاَ أَسْتَغْفِرُ لَكَ «فمات الرجل فدفنوه، ثم أصبح على وجه الأرض ثم دفنوه، ثم أصبح على وجه الأرض ثلاث مرات، فلما رأى ذلك قومه استحيوا وحزنوا، فحملوه وألقوه في شعب من تلك الشعاب فنزلت هذه الآية {عَظِيماً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ} أي قفوا وانظروا من تقتلون. قرأ حمزة والكسائي {فتثبتوا} بالثاء، وقرأ الباقون {الله فَتَبَيَّنُواْ} بالباء، فمن قرأ بالثاء فهو من التثبت يقول: قفوا ولا تعجلوا في الأمر حتى يتبين لكم الكافر من المسلم. ومن قرأ بالباء فهو من التبين ومعناهما قريب.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السلام لَسْتَ مُؤْمِناً} قرأ أبو عمرو وعاصم وابن كثير والكسائي: {السلام} بالألف. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة {السلام} بغير ألف. وأما من قرأ {السلام} فلأن مرداساً قال لهم: السلام عليكم. وأما من قرأ {السلام} فهو الدخول والانقياد والمتابعة، يعني إن انقاد لكم وتابعكم فلا تقولوا له لست مؤمناً، وأسلم واستسلم بمعنى واحد، أي دخل في الانقياد.

كما تقول: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأربع إذا دخل في الربيع. ثم قال: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحياة الدنيا} وذلك أن الرجل كانت معه غنيمة حين قتلوه، وأخذوا ما كان معه من الغنيمة، فعيّرهم الله تعالى بطمعهم في المال. ثم قال: {فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ} أي عند الله ثواب كثير في الآخرة لمن اتقى، ويقال: غنائم كثيرة في الدنيا، فاطلبوا من حيث أذن لكم وأبيح لكم.

ثم قال تعالى: {كذلك كُنتُمْ مّن قَبْلُ} أي هكذا كنتم من قبل الهجرة بمنزلة مرداس، تأمنون في قومكم بالتوحيد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تخيفوا أحداً، وكنتم تأمنون بمثله قبل هجرتكم {فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ} بالهجرة ويقال: هكذا كنتم يعني كنتم تكتمون إيمانكم من قبل، ويقال: أي كنتم كفاراً، فمنَّ الله عليكم بالإسلام. ثم قال تعالى: {فَتَبَيَّنُواْ} أي قفوا وانظروا في أمركم لكي لا تقتلوا مؤمناً، فصارت الآية عامة لجميع السرايا إذا دخلوا دار الحرب ينبغي أن يتبينوا لكي لا يقتلوا مؤمناً. ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} أي عالماً بكم وبأعمالكم.

ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [95- 96]

{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)}

{لاَّ يَسْتَوِى القاعدون مِنَ المؤمنين} يعني القاعدين عن الجهاد لا يكون حالهم مثل حال الذين يجاهدون في الثواب والأجر {غَيْرُ أُوْلِى الضرر} أي القاعدين الذين لا عذر لهم، ومن كان له عذر فهو خارج من هذا. قال ابن عباس: يعني ابن أم مكتوم ومحمد بن جحش. ويقال: عبد الله بن جحش. فقال: إنا عميان فهل لنا من رخصة فنزلت {غَيْرُ أُوْلِى الضرر}. حدّثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدّثنا أبو جعفر الطحاوي، قال: حدّثنا إبراهيم بن داود، قال: حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي، قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه {لاَّ يَسْتَوِى القاعدون مِنَ المؤمنين غَيْرُ أُوْلِى الضرر} {والمجاهدون فِى سَبِيلِ الله} فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها عليَّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت. وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن يرضَّ فخذي، ثم سري عنه أي زال عنه التغير فأنزل الله تعالى: {غَيْرُ أُوْلِى الضرر} يعني: إلا أن يكون أولي الضرر.

قرأ نافع والكسائي وابن عامر: {غَيْرُ أُوْلِى الضرر} بنصب الراء، وقرأ حمزة وعاصم وابن كثير وأبو عمرو {غَيْرُ أُوْلِى الضرر} بالضم. وقرأ بعضهم {غَيْرُ أُوْلِى الضرر} بالكسر. فمن قرأ بالضم جعله نعتاً للقاعدين، أي يعني لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر. ومن قرأ بالنصب فهو على معنى الاستثناء، ويقال: هو نصب على الحال. ومن قرأ بالكسر فلحرف الكسر وهو من قوله تعالى: {والمجاهدون فِى سَبِيلِ الله بأموالهم وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ الله المجاهدين بِأموالهم وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القاعدين} أي بغير عذر {دَرَجَةً} أي فضيلة في الآخرة {وَكُلاًّ} يعني: المجاهدين والقاعدين والمعذورين {وَعَدَ الله الحسنى} أي وعد الله لهم الثواب وهو الجنة.

ثم قال تعالى: {وَفَضَّلَ الله المجاهدين عَلَى القاعدين أَجْراً عَظِيماً} أي بغير عذر، ثم بيّن الأجر فقال: {درجات مّنْهُ وَمَغْفِرَةً} أي فضائل من الله في الجنة أي سبعين درجة. روى هشام بن حسان، عن جبلة بن عطية، عن ابن محيريز قال: ما بين الدرجتين حضر الفرس أو الجواد سبعين عاماً. ثم قال تعالى: {وَمَغْفِرَةً} يعني مغفرة لذنوبهم {وَرَحْمَةً}

نعمة في الجنة {وَكَانَ الله غَفُوراً} لمن جاهد {رَّحِيماً} إذ سوّى بين من له عذر بالفضل مع غيره.

تفسير الآيات رقم [97- 99]

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99)}

قوله تعالى:

{إِنَّ الذين توفاهم الملئكة} يعني ملك الموت يقبض أرواحهم {ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ} يعني الذين أسلموا بمكة، وتخلفوا عن الهجرة، وخرجوا مع المشركين إلى بدر، فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا وكفروا، فقتل بعضهم، فأخبر الله تعالى عن حالهم فقال تعالى: {قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ} يعني الملائكة تقول لهم: في أي شيء كنتم؟ ويقال: أين كنتم عن الهجرة؟ {قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الارض} أي يقولون: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نقدر أن نظهر الإيمان {قَالُواْ} أي: قالت الملائكة {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله واسعة} يعني المدينة مطمئنة آمنة {فتهاجروا} يعني: تهاجروا إليها. فقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي منزلهم ومصيرهم إلى النار {وَسَاءتْ مَصِيراً} أي بئس المصير صاروا إليها. حدّثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدّثنا الطحاوي قال حدّثنا إبراهيم بن مرزوق، قال: حدّثنا أبو عبد الرحمن المقري، عن حيوة بن شريح، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن ناساً من المسلمين مع المشركين، يكثرون سواد المشركين يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، فأنزل الله تعالى {إِنَّ الذين توفاهم الملئكة ظالمى أَنفُسِهِمْ- الأيَةَ}.

ثم استثنى أهل العذر فقال: {إِلاَّ المستضعفين} أي المقهورين {مِنَ الرجال والنساء والولدان} فليس مأواهم جهنم وهم الذين {لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً} أي لا يجدون سعة الخروج عنهم إلى المدينة، ولا يعرفون طريقاً إلى المدينة {فَأُوْلَئِكَ عَسَى الله أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ} أي يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب {وَكَانَ الله عَفُوّاً} عنهم {غَفُوراً} لهم فلا يعاقبهم، فقال عبد الله بن عباس: أنا ممن استثنى الله يومئذٍ؛ وكنت غلاماً صغيراً وكان ذلك قبل نسخ الهجرة، ثم نسخت الهجرة بعد فتح مكة. حدّثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدّثنا الطحاوي، قال: حدّثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، خطب الناس فقال في خطبته: «وَلاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» وروى طاوس عن ابن

عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «إِنَّهُ لاَ هِجْرَةَ ولكن جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا «

ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [100- 101]

{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)}

{وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ} يقول: في طاعة الله إلى المدينة {يَجِدْ فِى الارض مُرَاغَماً كَثِيراً} يقول: ملجأ ومحولاً من الكفر إلى الإيمان {واسعة} من الرزق. وقال القتبي: المراغم والمهاجر واحد. ويقال: راغمت وهاجرت، لأنه إذا أسلم خرج مراغماً لأهله أي مغايظاً لهم، والمهاجر المنقطع. وقيل للذاهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة مراغم، لأنه إذا خرج هجر قومه. وروي عن معمر عن قتادة قال: لما نزلت {إِنَّ الذين توفاهم الملئكة ظالمى أَنفُسِهِمْ} الآية. فقال رجل من المسلمين وهو مريض: والله ما لي عذر إني أجد الدليل في الطريق وإني لموسر فاحملوني فحملوه فأدركه الموت في الطريق، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لو بلغ إلينا لتمّ أجره وقد مات بالتنعيم، وجاء بنوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بالقصة، فنزلت هذه الآية: {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مهاجرا إِلَى الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الموت} يعني في الطريق {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىَ الله} أي ثوابه على الله الجنة {وَكَانَ الله غَفُوراً} لما كان منه في الشرك {رَّحِيماً} حين قبل توبته، وكان اسمه جندع بن ضمرة.

قوله تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الارض} يعني إذا خرجتم إلى السفر {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} ويقول: لا مأثم ولا حرج عليكم {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الارض فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ} يعني يقتلكم. والفتنة في أصل اللغة الاختبار، ثم سمي القتل فتنة لأن معنى الاختبار كما قال {فَمَآ ءامَنَ لموسى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ على خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الارض وَإِنَّهُ لَمِنَ المسرفين} [يونس: 83] أي يقتلهم. فالله تعالى قد أباح قصر الصلاة عند الخوف، ثم صار ذلك عاماً لجميع المسافرين أن يقصروا من الصلاة خافوا أو لم يخافوا. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ الله بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ» ثم قال تعالى: {إِنَّ الكافرين كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً} ظاهر العداوة، ومعناه كونوا بالحذر منهم.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [102]

{وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)}

{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصلاة} يعني بالمؤمنين، ومعناه: إذا كنت بحضرة العدو وحضرت الصلاة {فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مّنْهُمْ} أي جماعة منهم {مَعَكَ} في الصلاة {وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ} يعني الذين يصلون معك، ويقال: وليأخذوا أسلحتهم الذين هم بإزاء العدو {فَإِذَا سَجَدُواْ} يعني: إذ صلوا الذين خلف الإمام ركعة واحدة {فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَائِكُمْ} أي ينصرفون إلى موضع العدو، ويقفون هناك {وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أخرى لَمْ يُصَلُّواْ} كانوا بإزاء العدو {فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ} ركعة أخرى، ولم يذكر في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة؛ ولكن ذكر في الخبر عن عبد الله بن عمر وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة، وبالطائفة الأخرى ركعة كما ذكر في الآية؛ ثم جاءت الطائفة الأولى، وذهبت هذه الطائفة إلى موضع العدو، حتى قضت الطائفة الأولى الركعة الأخرى وسلموا، ثم جاءت الطائفة الأخرى، وقضوا الركعة الأولى وسلموا، حتى صارت لكل طائفة ركعتان. وهذا اختيار أصحابنا في صلاة الخوف ثم قال تعالى: {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الذين كَفَرُواْ} يقول: تمنى الذين كفروا {لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ} يعني أمتعة الحرب {فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً واحدة} يعني: يحملون عليكم حملة واحدة، وإنما حذرهم لكي يكونوا بالحذر منهم.

ثم قال تعالى: {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة أنمار، فهزمهم وسبى ذريتهم، فلما رجعوا أصابهم المطر، فنزلوا وادياً تحت الأشجار، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه وذهب إلى الجانب الآخر من الوادي وحده، فجاء السيل فحال بينه وبين أصحابه. وكان بعض المشركين على ذلك الجبل، فرآه حين حال السيل بينه وبين أصحابه، فجاءه واحد منهم يقال له حويرث بن الحارث، وقال: أنا أقتله، فأتاه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: «الله عزَّ وَجَلَّ» فسلَّ سيفه وأراد أن يضربه، فدفع النبي صلى الله عليه وسلم الكافر في صدره دفعة، فسقط السيف من يده. فوثب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ سيفه وقال: «مَنْ يُخَلِّصُكَ مِنِّي؟» فقال: لا أحد. فقال له: «إِنْ أَسْلَمْتَ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْكَ سَيْفَكَ» فقال: لا أسلم. ولكن أعاهد الله تعالى ألا أكون لك ولا عليك أبداً، فرد عليه سيفه فقال الرجل: يا محمد أنت خير مني، لأنك قدرت على

قتلي فلم تقتلني، فرجع الكافر إلى أصحابه، فأخبرهم بالقصة فآمن بعضهم ثم انقطع السيل. وجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة، وقرأ عليهم هذه الآية {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى} أي أصابتكم الجراحات {أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ} من العدو يعني كونوا بالحذر منهم. وقال الضحاك: {وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ} أي تقلدوا سيوفكم، فإنما ذلك هيبة الغزاة. ثم قال تعالى: {إِنَّ الله أَعَدَّ للكافرين} في الآخرة {عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون فيه.

ثم قال عز وجل:

تفسير الآيات رقم [103- 104]

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104)}

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاة} قال بعضهم: فإذا فرغتم من الصلاة {فاذكروا الله} بالقلب واللسان على أي حال كنتم {قياما وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِكُمْ} إن لم تستطيعوا القيام، ويقال: فإذا قضيتم الصلاة، أي إذا صليتم في دار الحرب فصلوا على الدوابّ، أو قياماً أو قعوداً أو على جنوبكم إن لم تستطيعوا القيام، إذا كان خوفاً أو مرضاً. وهذا كما قال في آية أخرى {فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فاذكروا الله كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 239] يقال: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاة فاذكروا الله قياما وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطمأننتم فَأَقِيمُواْ الصلاة إِنَّ الصلاة كَانَتْ عَلَى المؤمنين كتابا مَّوْقُوتاً} [النساء: 103] أي فرغتم من صلاة الخوف {فاذكروا الله} أي فصلوا لله، وصلاة الصحيح قياماً والمريض قاعداً، أو على جنوبكم إن كان المرض أشد من ذلك. ثم قال تعالى: {فَإِذَا اطمأننتم} يقول: أمنتم ورجعتم إلى منازلكم {فَإِذَا قَضَيْتُمُ} يعني: فأتموا الصلاة أربعاً. وهذا كقوله {يَمْشُونَ مُطْمَئِنّينَ} أي مطمئنين.

ثم قال: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاة فاذكروا الله قياما وَقُعُوداً} يعني فرضاً مفروضاً معلوماً، للمسافر ركعتان، وللمقيم أربع. وقال مقاتل: {كتابا مَّوْقُوتاً} يعني فريضة معلومة كقوله {ياأيها الذين ءامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القصاص فِي القتلى الحر بِالْحُرِّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَئ فاتباع بالمعروف وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بإحسان ذلك تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعتدى بَعْدَ ذلك فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 178 وغيرها] أي فرض عليكم. وقال الزجاج: {كتابا مَّوْقُوتاً} أي مفروضاً موقتاً فرضه.

قوله تعالى {وَلاَ تَهِنُواْ فِى ابتغاء القوم} يقول: لا تضعفوا في ابتغاء القوم، أي في طلب المشركين أبي سفيان وأصحابه بعد يوم أحد، وذلك أن المسلمين لما أصابتهم الجراحات يوم أحد، وكانوا يضعفون عن الخروج إلى الجهاد، فأمرهم الله تعالى بأن يظهروا من أنفسهم الجد والقوة، وهذا الخطاب لهم، ولجميع المسلمين الغزاة إلى يوم القيامة. قوله: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ} قال عكرمة: الألم الوجع، وكذلك قال الضحاك والسدي: إن أصابكم الوجع والجراحات في الحرب {فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ} أي يصيبهم الوجع مثل ما يصيبكم، ولكم زيادة ليست للمشركين، وذلك قوله تعالى: {وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لاَ يَرْجُونَ} يعني الثواب في الآخرة {وَكَانَ الله عَلِيماً} بما كان {حَكِيماً} بما يكون. ثم قال:

تفسير الآيات رقم [105- 109]

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109)}

{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق} يعني: أنزلنا عليك جبريل عليه السلام، ليقرأ عليك القرآن بالعدل والأمر والنهي {لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَا أَرَاكَ الله} أي بما أعلمك الله وألهمك، وبما أوحي إليك {وَلاَ تَكُنْ لّلْخَائِنِينَ خَصِيماً} ولا تكن للسارقين معيناً. وروى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر، عن جده قتادة بن النعمان، قال: كان بنو أبيرق وكانوا ثلاثة: بشر، وبشير، ومبشر. فكان بشر يكنى أبا طعمة، وكان شاعراً، وكان منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول: قال فلان وكان لعمي رفاعة بن زيد علية فيها طعام وسلاح، فطرقه بشر من الليل، فأخذ ما فيها من الطعام والسلاح، فلما أصبح عمي دعاني وقال لي: إنه أغير علينا الليلة فقلت: من فعله؟ فقال: بشير وأخوه. فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته أن بشيراً قد سرق من عمي الطعام والسلاح، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، وأما السلاح فليردوه علينا، فجاء قومه وكانوا أهل لسان وبيان فقالوا: إن رفاعة وابن أخيه عمدوا إلى أهل بيت منا يتهمونهم بالسرقة، فوقع قولهم عند النبي صلى الله عليه وسلم موقعاً، فبين الله خيانتهم فنزل: {وَلاَ تَكُنْ لّلْخَائِنِينَ خَصِيماً} وهو ابن طعمة. وقال الضحاك: سرق طعمة بن أبيرق اليهودي درعاً للزبير بن العوام، فاختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للزبير: «لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى ذلك بِحُجَّةٍ قَيِّمَةٍ وَشَهَادَةٍ صَحِيحَةٍ» فأنزل الله تعالى تصديقاً لقوله: {وَلاَ تَكُنْ لّلْخَائِنِينَ خَصِيماً}. وقال مقاتل: سرق طعمة بن أبيرق المنافق درعاً من يهودي، فلما جاؤوا إلى بيته بالأثر، رمى الدرع في دار رجل من الأنصار وأنكر، فجاء قومه ليبرئوه من السرقة فنزلت هذه الآية. وقال الكلبي: سرق طعمة بن أبيرق درعاً من جار

له يقال له قتادة بن النعمان، فوضعه عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، وأنكر السرقة فجاء قومه يخاصمون عنه، فنزلت هذه الآية {وَلاَ تَكُنْ لّلْخَائِنِينَ خَصِيماً}.

قوله تعالى: {واستغفر الله} عن جدالك عن طعمة حين جادلت عنه {إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} ثم قال تعالى: {وَلاَ تجادل عَنِ الذين يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ} يقول: ولا تخاصم عن الذين يضرون أنفسهم بالسرقة {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً} أي خائناً بالسرقة فاجراً برميه على غيره. ثم قال تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ الناس} قال الضحاك: لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته، وجعل الدرع تحت التراب فنزل {يَسْتَخْفُونَ مِنَ الناس} بالتراب {وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله} يقول: لا يخفى مكان الدرع على الله {وَهُوَ مَعَهُمْ} أي رقيب حفيظ عليهم.

ويقال: يستخفون يعني يستترون من الناس وهم قوم طعمة، ولا يستخفون من الله يقال: ولا يقدرون أن يستتروا من الله {وَهُوَ مَعَهُمْ} يعني عالماً بهم وبخيانتهم {إِذْ يُبَيّتُونَ} يقول: إذ يؤلفون ويغيرون {مَا لاَ يرضى مِنَ القول} يقول: ما لا يرضو لأنفسهم من القول وهم سرقوا، ويقال: ما لا يرضى الله ولا يحبه. ثم قال: {وَكَانَ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} أي عالماً بهم وبخيانتهم، ثم أقبل على قوم طعمة فقال: {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء} يقول: ها أنتم هؤلاء {جادلتم} أي خاصمتم {عَنْهُمْ فِى الحياة الدنيا فَمَن يجادل الله عَنْهُمْ يَوْمَ القيامة} يقول: فمن يخاصم الله عنهم يوم القيامة {أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} أي كفيلاً، ويقال خصيماً.

وقال الضحاك: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحد على طعمة بن أبيرق، وكان طعمة مطاعاً في اليهود، فجاءت اليهود شاكين في السلاح، وهربوا بطعمة وجادلوا عنه، فنزل {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء} يعني اليهود الآية.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [110- 113]

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)}

{وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} قال الضحاك: نزلت الآية في شأن وحشيّ قاتل حمزة رضي الله عنه، أشرك بالله وقتل، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني

لنادم فهل لي من توبة؟ فنزل {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله} الآية. وقال الكلبي: نزلت في شأن طعمة {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً} بسرقة الدرع أو يظلم نفسه برميه غيره وجحوده، ثم يستغفر الله أي يتوب إلى الله {يَجِدِ الله غَفُوراً} متجاوزاً {رَّحِيماً} لمن اتقى الشرك. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره حلفته. وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين، ويستغفر الله تعالى إلا غفر الله له. وتلا هذه الآية {وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} الآية.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً} يعني الشرك بالله تعالى {فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ على نَفْسِهِ} أي يضر بنفسه {وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} ثم قال: {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً} يعني عمل بالمعصية {ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً} قال مقاتل: وهو طعمة حين رمى بالدرع في دار الأنصاري واتهمه به، وهو قوله {ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً}. وقال الضحاك: يعني به المنافقين حيث قالوا في عائشة رضي الله عنها قولاً عظيماً، فقال: {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً} بالمعاصي {ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً} يعني عائشة وصفوان. ثم قال تعالى: {فَقَدِ احتمل بهتانا} يقول: فقد قال كذباً {وَإِثْمَاً مُّبِيناً} ذنباً ظاهراً. قوله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ} يعني فضل الله عليك بالنبوة، ورحمته بالوحي {لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مّنْهُمْ} أي جماعة {أَن يُضِلُّوكَ} أي يخطئون في الحكم {وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنفُسَهُمْ} أي وما يرجع وبال ذلك إلا على أنفسهم {وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ} وإنما يضرون بأنفسهم. قال الضحاك: نزلت الآية في وفد ثقيف، قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: جئناك لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا، فلم يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت {لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ} وقال الكلبي: يعني قوم طعمة. ثم قال: {وَأَنزَلَ * عَلَيْكَ الكتاب} يعني القرآن {والحكمة} يعني يعني القضاء والمواعظ {وَعَلَّمَكَ} بالوحي {مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} قبل الوحي {وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً} بالنبوة. ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [114- 115]

{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)}

{لاَّ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مّن نَّجْوَاهُمْ} وهو ما يتناجون فيما بينهم، ويقال: في كثير من أحاديثهم، وهم وفد ثقيف أو قوم طعمة {إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} يقول: إلا نجوى من أمر بصدقة {أَوْ مَعْرُوفٍ} يعني لقرض، كقوله {وابتلوا اليتامى حتى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فادفعوا إِلَيْهِمْ أموالهم وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ

غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أموالهم فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وكفى بالله حَسِيباً} [النساء: 6] ويقال: المعروف يعني القول بالمعروف والنهي عن المنكر {أَوْ إصلاح بَيْنَ الناس} يعني: يذهب فيما بين اثنين ليصلح بينهما {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} الذي ذكرنا {ابتغاء} يعني طلباً {مَرْضَاتَ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} يعني في الآخرة {أَجْراً عَظِيماً} قرأ حمزة وأبو عمرو {نُؤْتِيهِ} بالياء، أي يؤتيه الله تعالى. وقرأ الباقون {نُؤْتِيهِ} بالنون، أي نحن نعطيه في الآخرة أجراً عظيماً أي ثواباً عظيماً.

قوله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرسول} يعني يخالفه في التوحيد {مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهدى} أي من بعد ما تبين لهم التوحيد {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين} أي يتبع ديناً غير دين المؤمنين، ويقال: يتبع طريقاً أو مذهباً غير طريق المؤمنين. وفي الآية دليل أن الإجماع حجة، لأن من خالف الإجماع فقد خالف سبيل المؤمنين. وقال الضحاك: قدم نفر من قريش المدينة وأسلموا، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين، فنزلت هذه الآية {وَمَن يُشَاقِقِ الرسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهدى} أي دين الإسلام {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين} المسلمين {نُوَلِّهِ مَا تولى} نكله إلى الأصنام يوم القيامة، وهم لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ولا ينجونهم من عذاب الله تعالى. وقال مقاتل: {نُوَلِّهِ مَا تولى} أي نتركه وما اختار لنفسه. وقال الكلبي: {نُوَلِّهِ مَا تولى} يعني نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا، وهذا كما قال بعض الحكماء: من أراد أن يعلم كيف يعامل معه في الآخرة، فلينظر كيف يعامل هو في الدنيا. وقال الكلبي: نزلت الآية في شأن طعمة، لما ظهر حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد، فنقب بمكة حائطاً لرجل، فسقط حجر فبقي في النقب حتى وجدوه على حاله، فأخرجوه من مكة فخرج إلى الشام، فسرق بعض أموال القافلة فرجموه وقتلوه، فنزل قوله: {نُوَلِّهِ مَا تولى}. {وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً} قرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو {نُوَلِّهِ وَنُصْلِهِ} بجزم الهاء، وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان.

ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [116- 121]

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (121)}

{إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} قال الضحاك: وذلك أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني شيخ منهمك في الذنوب

والخطايا، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً مذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً، ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، ولا مكابرة له، وإني لنادم وتائب مستغفر، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله تعالى {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} ويقال: نزل في شأن وحشيّ، وقد ذكرناه من قبل. {وَمَن يُشْرِكْ بالله} أي من يعبد غير الله {فَقَدْ ضَلَّ ضلالا بَعِيداً} يعني فقد ضل عن الهدى ضلالاً بعيداً عن الحق. ثم قال تعالى في ذم الكفار وبيّن جهلهم فقال: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إناثا} يقول: ما يعبدون من دون الله إلا أصناماً أمواتاً، وهذا قول ابن العباس. وعن الحسن أنه قال: الإناث الشيء الميت الذي ليس فيه روح. وقال السدي: سموها إناثاً: اللات والعزى ومناة. ثم قال تعالى: {وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شيطانا مَّرِيداً} وذلك أن الشيطان كان يدخل في الصنم ويكلمهم، وهم يعبدون الصنم وفيه الشيطان. ويقال: إبليس زين لهم عبادة الأصنام، وإذا عبدوا بإذنه فكأنهم عبدوا الشيطان. ثم قال: مريداً أي مارداً مثل قدير وقادر، والمارد العاتي. ويقال: كل فاسد مفسد يكون مريداً، أي يكون فاسداً لنفسه ويفسد غيره.

ثم قال تعالى: {لَّعَنَهُ الله} يعني طرده الله من رحمته وهو إبليس، حيث لم يسجد لآدم فلما لعنه {وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً} أي حظاً معلوماً، قال مقاتل: يعني من كل ألف واحد في الجنة وسائرهم في النار، فهذا نصيب مفروض. ثم قال: {وَلأَضِلَّنَّهُمْ} يعني عن الهدى والحق {وَلأمَنِّيَنَّهُمْ} يعني لأخبرنهم بالباطل أنه لا جنة ولا نار ولا بعث {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءاذَانَ الانعام} وهي البحيرة، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشقون آذان الأنعام ويسمونها بحيرة، وذكر قصتهم في سورة المائدة. ثم قال: {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيّرُنَّ خَلْقَ الله} قال عكرمة: هو الخصاء، وهكذا روي عن ابن عباس وأنس بن مالك. وروي عن سعيد بن جبير قال: هو دين الله، وهكذا قال الضحاك ومجاهد. وقيل لمجاهد: إن عكرمة يقول: هو الخصاء فقال: ما له لعنه الله وهو يعلم أنه غير الخصاء. فبلغ ذلك عكرمة، فقال: هو فطرة الله. وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الأنعام ليركبوها فحرموها على أنفسهم، وخلق الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس فجعلوها آلهة يعبدونها، فقد غيروا خلق الله عز وجل. {وَمَن يَتَّخِذِ الشيطان وَلِيّاً} أي يعبد الشيطان ويطيعه {مِن دُونِ الله} يعني ترك أمر الله تعالى وطاعته {فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً} أي ضلّ ضلالاً مبيناً بيناً عن الحق. ثم قال تعالى: {يَعِدُهُمْ} يعني الشيطان، يخوفهم بالفقر حتى لا يصلوا رحماً ولا ينفقوا في خير {وَيُمَنّيهِمْ} أي يخبرهم بالباطل أنه لا ثواب لهم في ذلك العمل {وَمَا يَعِدُهُمْ الشيطان إِلاَّ غُرُوراً} أي باطلاً. قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} يعني الذين يطيعون الشيطان مصيرهم إلى جهنم {وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً} أي مفرّاً ومهرباً. قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [122- 124]

{وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ

يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124)}

قوله تعالى:

{والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} أي صدقوا بالله تعالى والرسول والقرآن، وأدوا الفرائض، وانتهوا عن المحارم {سَنُدْخِلُهُمْ جنات} وهي البساتين {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} وهي أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل مصفى. {خالدين فِيهَا أَبَداً} يعني مطمئنين فيها، لا يتغير بهم الحال. فهذا وعد من الله تعالى. ثم قال: {وَعْدَ الله حَقّاً} أي صدقاً وكائناً، أنجز لهم ما وعد لهم من الجنة {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً} أي قولاً ووعداً، قوله تعالى: {لَّيْسَ بأمانيكم وَلا أَمَانِىّ أَهْلِ الكتاب} وذلك أن أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. وقال المؤمنون: إنا أسلمنا لا تضرنا الذنوب فنزل: {لَّيْسَ بأمانيكم وَلا أَمَانِىّ أَهْلِ الكتاب} يقول: ليس لكم يا معشر المسلمين ما تمنيتم، ولا أهل الكتاب ما تمنوا {مَن يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ} أي من يعمل معصية دون الشرك يعاقب به. وقال الزجاج: معناه ليس ثواب الله بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب وهو قوله: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} أي إنما يدخل الجنة من آمن وعمل صالحاً، ليس كما تمنيتم و{مَن يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ} أي لا ينفعه تمنيه.

ويقال: لما نزلت هذه الآية {مَن يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ} شق ذلك على المسلمين. وقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف الفلاح بعد هذه الآية يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: »أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأواءُ؟ أي الشدة فذَلِكَ كُلُّهُ جَزَاؤُهُ« حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا العباسي، قال: حدّثنا الحسن بن صباح، قال: حدّثنا عبد الوهاب الخفاف، عن زياد، عن علي بن زيد، عن مجاهد قال: مرّ ابن عمر على ابن الزبير وهو مصلوب، فنظر إليه فقال: يغفر الله لك ثلاثاً، والله ما علمتك إلا كنت صواماً قواماً وصّالاً للرحم، أما والله إني لأرجو مع مساوئ ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها أبداً، ثم التفت فقال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا «وروى محمد بن قيس، عن أبي هريرة قال: لما نزلت {مَن يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ} شق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَكُلُّ مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ كَفَّارَةٌ حَتَّى الشَّوْكَةُ تُشَاكُهُ والنَّكْبَةُ تَنْكُبُهُ» وقال الضحاك: السوء الكفر.

وقال مجاهد: قالت قريش: لن نبعث ولن نعذب، فنزلت: {لَّيْسَ بأمانيكم} أي أماني كفار قريش ولا أماني أهل الكتاب {مَن يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ} أي يعاقب عليه.

ثم قال تعالى: {وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ الله وَلِيّاً} يعني الكافر لا يجد لنفسه {مِن دُونِ الله} أي من عذاب الله ولياً يمنعه {وَلاَ نَصِيراً} ينفعه ويمنعه من العذاب. ثم قال تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالحات} يعني يؤدي الفرائض وينتهي عن المحارم {مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى} أي من رجل أو امرأة {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} أي مصدق بالثواب والعقاب {فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنة} لا شك فيها {وَلاَ يُظْلَمُونَ} أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم {نَقِيراً} وهي النقرة التي تكون على ظهر النواة. قرأ أبو عمرو وابن كثير {فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنة} بضم الياء ونصب الخاء، على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون بنصب الياء وضم الخاء، أي يدخلون الجنة بأعمالهم.

ثم فضل دين الإسلام على سائر الأديان فقال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [125- 127]

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)}

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ} أي أخلص دينه {لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} في عمله ويقال: وهو موحد {واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً} أي مستقيماً، ويقال: مائلاً إلى دين الإسلام. ثم قال تعالى {واتخذ الله إبراهيم خَلِيلاً} وذلك أن إبراهيم عليه السلام كان يوسع على الضعفاء الطعام، واحتاج في بعض الأوقات إلى الطعام، فبعث غلمانه مع الجمال إلى خليل له بمصر ليقرضه شيئاً من الطعام فيرد عليه إذا أدرك إنزاله، فلما انتهوا إليه قال: إني أخاف أن أحتاج قبل إدراك الإنزال، فلم يدفع إليهم ورجعوا، فاستحيا الغلامان أن يدخلوا في قرية إبراهيم والناس ينظرون إليهم وليس معهم شيء، فجعلوا الرحل في الجواليق وحملوا على الجمال، وجاؤوا إلى منزل إبراهيم عليه السلام وألقوا الأحمال وتفرقوا، وجاء واحد منهم وأخبر إبراهيم بالقصة فاغتمّ لذلك ودخل البيت ونام، فخرجت جواريه ونظرن إلى الأحمال فإذا الجواليق دقيق، فرفعن منها وجعلن يخبزن خبزاً، حتى إذا استيقظ إبراهيم عليه السلام وخرج وقال: من أين هذا الدقيق؟ فقلن: من عند خليلك المصري. فقال إبراهيم: ليس هذا من عند خليلي المصري ولكن من عند خليل السماء. فاتخذه الله تعالى خليلاً بذلك.

ويقال: لما دخلت عليه الملائكة في شبه الآدميين، وجاءهم بعجل سمين فلم يأكلوا منه، وقالوا: إنا لا نأكل شيئاً بغير ثمن. فقال لهم: أعطوني ثمنه وكلوه. قالوا: وما ثمنه؟ قال:

أن تقولوا في أوله بسم الله وفي آخره الحمد لله. فقالوا فيما بينهم: حقاً على الله أن يتخذه خليلاً فاتخذه الله خليلاً.

ويقال: إنه أضاف رؤساء الكفار، وأهدى لهم هدايا وأحسن إليهم فقالوا له: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تسجدوا لله سجدة، فسجدوا. فدعا الله تعالى وقال: اللهم إني قد فعلت ما أمكنني، فافعل أنت ما أنت أهل لذلك. فوفقهم الله تعالى للإسلام فاتخذه الله خليلاً لذلك.

وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً لإِطْعَامِهِ الطَّعَامَ وَإِفْشَائِهِ السَّلاَمَ وَصَلاَتِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» ثم قال عز وجل: {وَللَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} كلهم عبيده وفي ملكه وحكمه نافذ فيهم {وَكَانَ الله بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطاً} أحاط علمه بكل شيء.

قوله تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النساء} أي يسألونك عن ميراث النساء، نزلت في أم كجة التي ذكرنا في أول السورة {قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} أي يبين لكم ما لهن من الميراث {وَمَا يتلى عَلَيْكُمْ فِى الكتاب} أي وكتاب الله يفتيكم بذلك {فِى يتامى النساء} يعني في ميراث يتامى النساء {اللاتى لاَ تُؤْتُونَهُنَّ} لا تعطونهن {مَا كُتِبَ لَهُنَّ} أي ما فرض لهن من الميراث {وَتَرْغَبُونَ} أي وتزهدون {أَن تَنكِحُوهُنَّ} لدمامتهن.

وروى معمر عن إبراهيم قال: كان الرجل يكون عنده اليتيمة الدميمة ولها مال، ويكره أن يزوجها من غيره من أجل مالها. قال إبراهيم: وكان عمر يأمر الرجل إذا كانت عنده اليتيمة الدميمة ولها مال، أن يتزوجها. وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت يتيمة في حجر رجل، فأراد أن يتزوجها ولم يكمل صداق نصابها، فأمروا بإكمال الصداق. وقال مجاهد: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئاً، ويقولون: لا يغزون، ففرض الله لهم الميراث وأمر لليتيم بالقسط. ثم قال تعالى: {والمستضعفين} يقول: يسألونك عن ميراث المستضعفين {مِنَ الولدان} ويقال: يفتيكم في المستضعفين من الولدان {وَأَن تَقُومُواْ لليتامى بالقسط} أي بالعدل {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله كَانَ بِهِ عَلِيماً} يجازيكم. وفي هذه الآية دليل على أن ما سوى الأب والجد إذا زوج اليتيمة جاز، وفيه أنه إذا زوج من نفسه جاز إذا كانت غير ذي رحم محرم.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [128- 130]

{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)}

{وَإِنِ امرأة خافت} أي علمت {مِن بَعْلِهَا} يعني زوجها {نُشُوزاً} يعني عصياناً في الأثرة {أَوْ إِعْرَاضاً} عنها وترك محادثتها، نزلت في رافع بن خديج تزوج امرأة أشبّ من امرأته خولة بنت محمد بن مسلمة. وقال في رواية الكلبي: نزلت في ابنة محمد بن مسلمة، وفي زوجها أسعد بن الزبير تزوجها وهي شابة، فلما أدبرت وعلاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة وآثرها عليها، وجفا بنت محمد بن مسلمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فنزل: {وَإِنِ امرأة خافت مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً} يعني ترك مجامعتها {أَوْ إِعْرَاضاً} يعني يعرض بوجهه ويقل مجالستها ومحادثتها {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} أي لا إثم على الزوج والمرأة {أَن يُصلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً} قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي {أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا} بضم الياء والتخفيف، وهو من الصلح. وقرأ الباقون {ءانٍ} بالألف وتشديد الصاد، لأن أصله وتصالحا فأدغمت التاء في الصاد، وأقيم التشديد مكانه /

ثم قال: {صُلْحاً والصلح خَيْرٌ} يعني الصلح خير من الفرقة. ويقال: الصلح خير من النشوز، ويقال: الصلح خير من الخصومة والخلاف. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: {وَإِنِ امرأة خافت مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً} قال: قول الرجل لامرأته أنت كبيرة، وإني أريد أن أستبدل بك شابة، فقري على ولدك ولا أقسم لك من نفسي شيئاً ورضيت بذلك، فذلك الصلح بينهما. قال: وهذا قول أبي السنابل بن بعكك حين جرى بينهما هذا الصلح، ثم صارت الآية عامة في جواز الصلح الذي يجري فيما بين الناس، لقوله تعالى: {والصلح خَيْرٌ}. ثم قال تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الأنفس الشح} يعني الشح حملها على أن تدع نصيبها، ويقال: شحت المرأة بنصيبها من زوجها أن تدعه للأخرى، وشحّ الرجل بنصيبه من الأخرى. وقال مقاتل: طمعها وحرصها يجرها إلى أن ترضى. ثم قال تعالى: {وَإِن تُحْسِنُواْ} يقول تحسنوا إليهن {وَتَتَّقُواْ} الميل والجور {فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} في الإحسان والجور.

قوله تعالى: {وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النساء} يقول: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب بين الشابة والكبيرة {وَلَوْ حَرَصْتُمْ} أي ولو جهدتم، ولكن اعدلوا في القسمة والنفقة {فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الميل} بالنفقة والقسمة إلى الشابة {فَتَذَرُوهَا كالمعلقة} بغير قسمة كالمسجونة لا أيم ولا ذات بعل. وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ» وفي رواية أخرى

»وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ» وروى أبو أيوب عن أبي قلابة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل في القسمة ويقول: «اللَّهُمَ هذا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ» يعني الحب والجماع.

ثم قال تعالى: {وَإِن تُصْلِحُواْ} يعني تصلحوا بينهما بالسوية {وَتَتَّقُواْ} الجور والميل {فَإِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} حيث رخص لكم في الصلح. ثم قال عز وجل: {وَإِن يَتَفَرَّقَا} يعني الزوج والمرأة {يُغْنِ الله كُلاًّ مّن سَعَتِهِ} يعني من رزقه. وقال مجاهد: يعني الطلاق. وروي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكا إليه الفقر فأمره بالنكاح، فذهب الرجل وتزوج ثم جاء إليه فشكا إليه الفقر، فأمره بالطلاق، فسئل عن ذلك فقال: أمرته بالنكاح. وقلت: لعله من أهل هذه الآية {وَأَنْكِحُواْ الأيامى مِنْكُمْ والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32] فلما لم يكن من أهل هذه الآية. قلت: فلعله من أهل هذه الآية (وإن يتفرقا يغن الله كلاًّ من سعته) وروي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: فَتَذَرُوهَا كَأَنَّهَا مسجونة. ثم قال: {وَكَانَ الله واسعا} يعني واسع الفضل {حَكِيما} حكم بفرقتهما وتسويتهما.

ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [131- 134]

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآَخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)}

{وَلِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض وَلَقَدْ وَصَّيْنَا} أي أمرنا {الذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلِكُمْ} يعني أهل التوراة والإنجيل {وإياكم} يعني أمرناكم يا أمة محمد عليه السلام في كتابكم {أَنِ اتقوا الله} فيما أوصاكم به في كتابكم من التوحيد، ثم بعد التوحيد بالشرائع {وَإِن تَكْفُرُواْ} يقول: تجحدوا بما أوصاكم وبوحدانية الله تعالى {فَإِنَّ للَّهِ مَا فِى

*السموات وَمَا فِي الارض} يعني هو غني عن عبادتكم {وَكَانَ الله غَنِيّاً} عن إيمان الخلق وطاعتهم {حَمِيداً} محموداً في أفعاله. وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِى * السموات وَمَا فِي الارض} يعني كلهم عبيده وإماؤه، ويقال: هذا موصولاً بالأول، وكان الله غنياً حميداً في أفعاله، لأن له ما في السموات وما في الأرض، وهو رازقهم والمدبر في أمورهم. ثم قال: {وكفى بالله وَكِيلاً} أي حفيظاً وربّاً، ثم ذكر التهديد لمن رجع عن عبادته فقال: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} أي يهلككم إذا عصيتموه {وَيَأْتِ بِاخَرِينَ} أي يخلق خلقاً جديداً غيركم من هو أطوع لله منكم، وهذا كما قال في آية أخرى {هَاَ أَنتُمْ هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ الله فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ والله الغنى وَأَنتُمُ الفقراء وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يكونوا أمثالكم} [محمد: 38].

ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله على ذلك قَدِيراً} أي يذهبكم ويأتِ بغيركم. ويقال: في الآية تخويف وتنبيه لجميع من كانت له ولاية أو إمارة أو رئاسة، فلا يعدل في رعيته أو كان عالماً، فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس أن يذهبه ويأتي بغيره.

قوله تعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدنيا} يعني من كان يطلب الدنيا بعمله الذي يعمل ولا يريد به وجه الله، فليعمل لآخرته كما قال: {فَعِندَ الله ثَوَابُ الدنيا والاخرة} يعني الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة، وهو الجنة. ويقال: في الآية مضمر فكأنه يقول: من كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. وقال الزجاج: كان المشركون مقرين بأن الله خالقهم، وأنه يعطيهم خير الدنيا، فأخبر الله تعالى أن خير الدنيا والآخرة إليه. وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين: أنتم لا تريدون الدنيا ولا الآخرة، لأن الدنيا والآخرة لله تعالى، فاعبدوه إما لأجل الدنيا وإما لأجل الآخرة. وروي في بعض الأخبار أن في جهنم وادياً تتعوذ منه جهنم، أعد للقراء المرائين. ثم قال: {وَكَانَ الله سَمِيعاً بَصِيراً} يعني عالماً بنية كل واحد منهم. وروى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نِيَّةُ المُؤمنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَمَلُ المُنَافِقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ» وكان يعمل على نيته.

▲ تفسير الآيات رقم [135- 137]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137)}

قوله تعالى: {يأأيها الذين ءامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بالقسط شُهَدَاء للَّهِ} أي كونوا قوامين بالعدل، وأقيموا الشهادة لله بالعدل، ومعناه قولوا الحق {وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ} أي وإذا كانت عندكم شهادة، فأدوا الشهادة ولو كانت الشهادة على أنفسكم {أَوِ الوالدين والاقربين} ثم قال: {إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً} أي أدوا الشهادة لا تكتموها، سواء كان لغني أو لفقير، ولا تميلوا إلى الغني لأجل غناه، ولا تكتموا الشهادة على الفقير لأجل فقره. ويقال: اشهدوا على الوالدين كانا غنيين أو فقيرين {فالله أولى بِهِمَا} أي بالغني وبالفقير. ويقال: أولى بالوالدين وأرحم بهما إن كانا غنيين أو فقيرين. ثم قال: {فَلاَ تَتَّبِعُواْ الهوى} أي لا تشهدوا بهواكم، ولكن اشهدوا على ما شهدتم عليه.

ثم قال تعالى: {أَن تَعْدِلُواْ} يعني أولى بهما أن تعدلوا على وجه التقديم والتأخير. ويقال: فلا تتبعوا الهوى أن لا تعدلوا. وقال مقاتل: يعني فلا تتبعوا الهوى للقرابة، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق إلى الهوى.

وقال تعالى: {وَإِن تَلْوُواْ} أي تحرفوا الشهادة وتلجلجوا بها ألسنتكم، فلا تقيموها على الوجه لتبطل به الشهادة {أَوْ تُعْرِضُواْ} عنها فلا تشهدوا بها عند الحاكم. قرأ حمزة وابن عامر: {وَأَنْ} بواو واحدة يعني من الولاية، يعني أقيموا الشهادة إذا وليتم. وقرأ الباقون: {وَإِن تَلْوُواْ} بواوين من التحريف {فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من كتمان الشهادة وإقامتها {خَبِيراً} يعني عالماً. فهذا تهديد للشاهد لكيلا لا يقصروا في أداء الشهادة ولا يكتموها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُقِمْ شَهَادَتَهُ عَلَى مَنْ كَانَتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ فَلا يَجْحَد لِحَقَ هُوَ عَلَيْهِ بَلْ يُؤَدِّهِ، وَلاَ يُلْجِئْهُ إِلَى السُّلْطَانِ والخُصُومَةِ «

قوله تعالى {خَبِيراً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ ءامِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ} قال الضحاك: يعني أخبار أهل الكتابين الذين آمنوا بموسى وعيسى، آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقال في رواية الكلبي: نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد وأسد ابني كعب، وثعلبة بن قيس وغيرهم، قالوا: يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وبعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلْ آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَكِتَابِهِ القُرْآنِ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ «فنزلت هذه الآية {خَبِيراً يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ ءامِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ والكتاب الذى نَزَّلَ على رَسُولِهِ والكتاب الذى أَنزَلَ مِن قَبْلُ} ويقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} خاطب به جميع المؤمنين، آمنوا بالله يعني اثبتوا على الإيمان.

وقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني يوم الميثاق {بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ} ويقال: نزلت في شأن أهل الكتاب لأنه علم أن فيهم من يؤمن، فلقربهم من الإيمان سماهم مؤمنين كما قال: {واترك البحر رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ} [الدخان: 24] وكانوا لم يغرقوا بعد. ويقال: إنهم كانوا يقولون نحن مؤمنون فقال لهم: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} أي بزعمهم

كما قال {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيز الكريم} [الدخان: 49] أي بزعمه. قرأ نافع وعاصم عن حمزة والكسائي {والكتاب الذى نَزَّلَ} بنصب النون والزاي {والكتاب الذى نَزَّلَ} بنصب الألف. وقرأ الباقون (نزل) بضم النون وكسر الزاي، ونزل وأنزل بضم الألف على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال: {وَمَن يَكْفُرْ بالله وَمَلَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم الاخر} أي من يجحد بوحدانية الله تعالى وملائكته أنهم عبيده، وبرسله أنهم أنبياؤه وعبيده، وبالبعث بعد الموت {فَقَدْ ضَلَّ} عن الهدى {ضلالا بَعِيداً} عن الحق. وقوله تعالى: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ} قال مقاتل: يعني آمنوا بالتوراة وبموسى عليه السلام، ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى عليه السلام والإنجيل، ثم كفروا من بعده {ثُمَّ ازدادوا كُفْراً} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. ويقال: إن الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعيسى، ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يبعث، ثم كفروا به بعدما بعث، ثم ازدادوا كفراً يعني ثبتوا على كفرهم. وقال في رواية الكلبي: آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعده، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقال في رواية الضحاك: نزلت في شأن أبي عامر الراهب، وهو الذي بنى مسجد الضرار، آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر، ثم آمن ثم كفر ومات على كفره. وقال الزجاج: يجوز أن يكون محارباً آمن ثم كفر، ثم آمن ثم كفر، ويجوز أن يكون منافقاً أظهر الإيمان وأبطن الكفر، ثم آمن ثم كفر، ثم ازداد كفراً بإقامته على النفاق. فإن قيل: إن الله تعالى لا يغفر كفراً مرة واحدة فأيش الفائدة في قوله {إِنَّ الذين ءامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءامَنُواْ}؟ قيل له: لأن الكافر إذا أسلم فقد غفر له ما قد سلف من ذنبه، فإذا كفر بعد إيمانه لم يغفر الله له الكفر الأول، فهو مطالب بجميع ما فعل في كفره الأول، فذلك قوله عز وجل: {لَّمْ يَكُنْ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ} يعني إذا ماتوا على كفرهم {وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً} أي يوفقهم طريقاً.

ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [138- 140]

{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)}

{بَشّرِ المنافقين} وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2] فقال المؤمنون هذا لك فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: {وَبَشِّرِ المؤمنين بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ الله فَضْلاً كِبِيراً} [الأحزاب: 47] فقال

المنافقون: فما لنا؟ فنزل قوله تعالى {بَشّرِ المنافقين} {بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} في الآخرة. ثم نعت المنافقين فقال: {الذين يَتَّخِذُونَ الكافرين} يعني اليهود {أَوْلِيَاء} في العون والنصرة {مِن دُونِ المؤمنين} ثم عيّرهم بذلك فقال {أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العزة} يعني يطلبون عندهم المنعة والظفر على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، العزة في اللغة المنفعة والغلبة كما يقال: من عزَّ بزَّ، أي من غلب سلب. ويقال: عز الشيء إذا اشتد وجوده، ثم ذكر أنه لا نصرة لهم من الكفار، والنصرة من الله تعالى، فقال: {فَإِنَّ العزة لِلَّهِ جَمِيعاً} يعني الظفر والنصر كله من الله تعالى، وهذا كما قال في آية أخرى {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الاعز مِنْهَا الاذل وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ولكن المنافقين لاَ يَعْلَمُونَ} [المنافقون: 8].

ثم قال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الكتاب} وذلك أن المشركين بمكة كانوا يستهزئون بالقرآن، فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم، وهو قوله {وَإِذَا رَأَيْتَ الذين يَخُوضُونَ فى ءاياتنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذكرى مَعَ القوم الظالمين} إلى قوله {وَإِذَا رَأَيْتَ الذين يَخُوضُونَ فى ءاياتنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذكرى مَعَ القوم الظالمين} [الأنعام: 68] فامتنع المسلمون عن القعود معهم، فلما قدموا المدينة كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين، وكان اليهود يستهزئون بالقرآن، فنزلت هذه الآية {فَقَدْ * نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الكتاب} {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الكتاب أَنْ إِذَا} أي يجحد بها {وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حتى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ} أي حتى يأخذوا في كلام أحسن. ثم قال تعالى: {إِنَّكُمْ إِذاً مّثْلُهُمْ} يعني: لو جلستم معهم كنتم معهم في الوزر، وفي هذه الآية دليل أن من جلس في مجلس المعصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عملوا بها، فإن لم يقدر بأن ينكر عليهم ينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية. وروى جويبر عن الضحاك أنه قال: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة. قرأ عاصم {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ} بنصب النون والزاي، وقرأ الباقون بضم النون وكسر الزاي على فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله جَامِعُ المنافقين والكافرين فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً} يعني إذا ماتوا على كفرهم ونفاقهم، فبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار، وجعل مأواهم جميعاً النار. وقال في رواية الكلبي: قوله تعالى {فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حتى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ} نسخ بقوله عز وجل {وَمَا عَلَى الذين يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مّن شَئ ولكن ذكرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: 69] وقال عامة المفسرين: إنها محكمة وليست بمنسوخة.

ثم أخبر عن المنافقين، فقال تعالى:

تفسير الآيات رقم [141- 144]

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144)}

{الذين يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} يعني ينتظرون بكم الدوائر، وهو تغيير الحال عليكم {فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مّنَ الله} يعني النصرة والغلبة على العدو {قَالُواْ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ} فأعطونا من الغنيمة {وَإِن كَانَ للكافرين نَصِيبٌ} يعني الظفر والغلبة على المؤمنين {قَالُواْ} للكفار {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} يعني: ألم نخبركم بصورة المسلمين ونطلعكم على سرهم، ونخبركم عن حالهم. ويقال: {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} يعني: ألم نغلب عليكم بالمودة لكم. والاستحواذ هو الاستيلاء على الشيء، كقوله تعالى {إستحوذ عَلَيْهِمُ الشيطان فأنساهم ذِكْرَ الله أولئك حِزْبُ الشيطان أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشيطان هُمُ الخاسرون} [المجادلة: 19] ثم قال: {وَنَمْنَعْكُمْ مّنَ المؤمنين} يعني نجادل المؤمنين عنكم ونجنبهم عنكم. قال الله تعالى: {فالله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القيامة} أي بين المؤمنين والمنافقين والكافرين {وَلَن يَجْعَلَ الله للكافرين عَلَى المؤمنين سَبِيلاً} أي الحجة، ويقال: دولة دائمة أي لا تدوم دولتهم. وروي عن علي كرم الله وجهه، أنه سئل عن قوله عز وجل إن الله تعالى يقول: {وَلَن يَجْعَلَ الله للكافرين عَلَى المؤمنين سَبِيلاً} وهم يسلطون علينا ويغلبوننا، فقال: لا يسلط الكافر على المؤمن في الآخرة يوم القيامة.

ثم بين حال المنافقين في الدنيا وخداعهم، فقال تعالى: {إِنَّ المنافقين يخادعون الله} أي يظنون أنهم يخادعون الله {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أي يجازيهم جزاء خداعهم، وهو أنهم يمشون مع المؤمنين على الصراط يوم القيامة، ثم يسلبهم النور فيبكون في ظلمة. ثم قال تعالى: {إِنَّ المنافقين يخادعون الله} يعني المنافقين {قَامُواْ كسالى} أي متثاقلين {يِرَبّ الناس} أي لا يرونها حقاً، ويصلون مراءاة للناس وسمعة {وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً} قال ابن عباس: لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً وتقبل منهم، ولكن لن يريدوا به وجه الله تعالى. ثم قال: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلك} أي مترددين. ويقال: منفضحين بين ذلك {لاَ إلى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء} يعني ليسوا مع المؤمنين في التصديق، ولا مع اليهود في الظاهر {وَمَن يُضْلِلِ الله} أي من يخذله الله عن الهدى {فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} أي مخرجاً. ثم قال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} أي صدقوا. قال مقاتل: الذين آمنوا بزعمهم وهم

المنافقون {لاَ تَتَّخِذُواْ الكافرين أَوْلِيَاء مِن دُونِ المؤمنين} ويقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} في الظاهر وأسروا النفاق. ويقال: يعني المؤمنين المخلصين، كانت بينهم وبين اليهود صداقة، وكانوا يأتونهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك. فقال: {لاَ تَتَّخِذُواْ الكافرين أَوْلِيَاء مِن دُونِ المؤمنين}. ثم قال تعالى: {أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ للَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً} يعني حجة مبينة في الآخرة.

ثم بيّن مأوى المنافقين في الآخرة فقال تعالى:

تفسير الآيات رقم [145- 147]

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)}

{إِنَّ المنافقين فِى الدرك الاسفل مِنَ النار} المنافق في اللغة اشتقاقه من نافقاء اليربوع، ويقال: لليربوع جحران أحدهما نافقاء، والآخر قاصعاء، فيظهر نفسه في أحدهما ويخرج من الآخر، ولهذا يسمى المنافق منافقاً لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم، ويخرج عن الإسلام إلى الكفر. قرأ أهل الكوفة حمزة والكسائي وعاصم الدرك بجزم الراء، وقرأ الباقون بالنصب وهما لغتان: الدرك والدرك، وجماعتهما أدراك وهي المنازل بعضها أسفل من بعض، فأعد للمنافقين الدرك الأسفل من النار وهي الهاوية.

ثم قال تعالى: {وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً} أي مانعاً يمنعهم من العذاب. ثم قال تعالى: {إِلاَّ الذين تَابُواْ} من النفاق {وَأَصْلَحُواْ} أعمالهم {واعتصموا بالله} أي تمسكوا بدين الله وبتوحيده {وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للَّهِ} أي بتوحيدهم لله بالإخلاص، فإن فعلوا ذلك {فَأُوْلَئِكَ مَعَ المؤمنين} أي المصدقين على دينهم لهم، ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. ثم قال: {وَسَوْفَ يُؤْتِ الله المؤمنين} أي يعطي الله المؤمنين {أَجْراً عَظِيماً} يعني ثواباً عظيماً في الآخرة. وفي هذه الآية دليل أن المنافقين هم شر خلق الله، لأنه أوعدهم الدرك الأسفل من النار. ثم استثنى لهم أربعة أشياء التوبة والإخلاص والإصلاح والاعتصام. ثم قال بعد هذا كله: {فَأُوْلَئِكَ مَعَ المؤمنين} ولم يقل هم المؤمنون. ثم قال: {وَسَوْفَ يُؤْتِ الله المؤمنين} ولم يقل: سوف يؤتيهم الله بغضاً لهم وإعراضاً عنهم، والمنافقون هم الزنادقة والقرامطة الذين هم بين المؤمنين، يظهرون من أنفسهم الإسلام وإذا اجتمعوا فيما بينهم يسخرون بالإسلام وأهله، فهم من أهل هذه الآية ومأواهم الهاوية. قوله تعالى: {مَّا يَفْعَلُ الله بِعَذَابِكُمْ} أي ما يصنع الله بعذابكم {إِن شَكَرْتُمْ} يعني إن آمنتم بالله تعالى ووحدتموه، ويقال: معناه ما حاجة الله إلى تعذيبكم لو كنتم موحدين شاكرين له {وَءامَنتُمْ} به وصدقتم رسله. ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله شاكرا عَلِيماً} أي شاكراً للقليل من أعمالكم، عليماً

بأعمالكم وثوابكم. ويقال: شاكراً يقبل اليسير ويعطي الجزيل، عليماً بما في صدوركم. ويقال: بمن شكر وآمن فلا يعذب شاكراً ولا مؤمناً.

تفسير الآيات رقم [148- 152]

{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)}

{لاَّ يُحِبُّ الله الجهر بالسوء مِنَ القول} أي لا يحب أن يذكر بالقول القبيح لأحد من الناس {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} فيقتص من القول بمثل ما ظلم، فلا جناح عليه. نزلت الآية في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، شتمه رجل فسكت أبو بكر مراراً، ثم ردّ عليه، ويقال: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} فيدعو الله تعالى على ظالمه. وقال الفراء: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} يعني ولا من ظلم. وقال السدي: يقول من ظلم فانتصر بمثل ما ظلم فليس عليه جناح. وقال الضحاك: {لاَّ يُحِبُّ الله الجهر بالسوء} أي لا يحب لكم أن تنزلوا برجل، فإذا ارتحلتم عنه تذمون طعامه إلا رجلاً أردتم النزول عليه عند حاجتكم فمنعكم. وقال مجاهد: هو في الضيافة إذا دخل الرجل المسافر إلى القوم، يريد أن ينزل عليهم فلم يضيفوه، فقد رخص له أن يذكر كلاماً عنهم ويقول فيهم. ويقال: يعني يسبه مثل ما سبه ما لم يكن كلاماً فيه حد أو كلمة لا تصلح، ولو لم يقل كان أفضل. وقرأ بعضهم: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} متصل بما يفعل الله بعذابكم إلا من ظلم، يعني من إشراك بالله، وهو شاذ من القراءة ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله سَمِيعاً عَلِيماً} أي سميعاً بدعاء المظلوم، عليماً بعقوبة الظالم.

ثم أخبر عن التجاوز أنه خير من الانتصار، فقال تعالى: {إِن تُبْدُواْ خَيْراً} يعني إن تظهروا حسنة {أَوْ تُخْفُوهْ} يعني الحسنة {أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوء} يعني يتجاوز عن ظالمه ولا يجهر بالسوء عنه، فهو أفضل لأن الله تعالى قادر على عباده فيعفو عنهم، وذلك قوله {فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً} يعني أن الله أقدر على العقوبة لكم، فيعفو عنكم. قوله تعالى: {إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بالله وَرُسُلِهِ} قال ابن عباس: نزلت الآية في أهل الكتاب، يؤمنون بموسى وعيسى ويكفرون بغيرهما، وهو قوله: {وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرّقُواْ بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ} يعني يريدون أن يتخذوا ديناً لم يأمر به الله ورسوله {وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ} بموسى وعزير والتوراة {وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعيسى والإنجيل والقرآن {وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} يعني بين اليهودية والإسلام. قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الكافرون حَقّاً} حين كفروا ببعض الرسل {وَأَعْتَدْنَا للكافرين عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون فيه. وقوله تعالى: {والذين ءامَنُواْ بالله وَرُسُلِهِ} يعني أقروا بوحدانية الله

تعالى وصدقوا بجميع الرسل {وَلَمْ يُفَرّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ} في الإيمان والتصديق، يعني لم يكفروا ولم يجحدوا بأحد من الأنبياء والرسل عليهم السلام، ويصدقون بجميع الكتب {أولئك} يعني أهل هذه الصفة {سَوْفَ نؤتّيهِمْ أُجُورَهُمْ} أي سنعطيهم ثوابهم في الجنة {وَكَانَ الله غَفُوراً} لذنوبهم {رَّحِيماً} بهم لما كان منهم في الشرك. قرأ عاصم في رواية حفص: {يُؤْتِيهِمْ} بالياء؛ وقرأ الباقون {نؤتيهم} بالنون.

تفسير الآيات رقم [153- 158]

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)}

قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتاب أَن تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ كتابا مّنَ السماء} يعني جملة واحدة كما جاء به موسى عليه السلام. ويقال: إن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وأصحابهما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً تحمله الملائكة إلينا فتقرؤه. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك} يعني إن هؤلاء من أصل أولئك القوم الذين {فَقَالُواْ} لموسى عليه السلام {أَرِنَا الله جَهْرَةً} يعني عياناً، وهم القوم الذين ساروا مع موسى عليه السلام إلى طور سيناء {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} أي أحرقتهم النار {بِظُلْمِهِمْ} أي بقولهم وسؤالهم {ثُمَّ اتخذوا العجل} أي ومع ذلك، قد عبدوا العجل وهم قوم موسى في حال غيبته {مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينات} أي جاءهم موسى بالآيات والعلامات {فَعَفَوْنَا عَن ذلك} كله ولم نستأصلهم {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتاب أَن} أي حجة بينة، وهي اليد والعصا {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ} يقول: قلعنا فوقهم {الطور بميثاقهم} يعني بإقرارهم بما في التوراة حين أبوا أن يتقبلوا الشرائع {وَقُلْنَا لَهُمُ ادخلوا الباب سُجَّداً} يعني باب أريحة منحنية أصلابهم {وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِى السبت} يقول: لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت. قرأ نافع في رواية ورش {لاَ تَعْدُواْ} بالتشديد، لأن أصله لا تعتدوا، فأدغم التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه. وقرأ الباقون {لاَ تَعْدُواْ} بالتخفيف من عدا يعدو عدواناً.

ثم قال تعالى: {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ميثاقا غَلِيظاً} يعني إقراراً وثيقاً شديداً في التوراة، يعني تركوا هذه الأشياء كلها ونقضوا الميثاق. ثم قال عز وجل: {فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم} ولم

يذكر في هذه الآية جوابهم، والجواب فيه مضمر فكأنه قال: وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً، فبنقضهم الميثاق لعنهم الله تعالى وخذلهم كقوله {فَبِمَا نَقْضِهِمْ ميثاقهم وَكُفْرِهِم بأايات الله وَقَتْلِهِمُ الانبيآء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 155] ثم قال: {وَكُفْرِهِم بئايات الله} يعني بكفرهم بآيات الله لعنهم الله وخذلهم. ثم قال تعالى: {وَقَتْلِهِمُ الانبياء بِغَيْرِ حَقٍّ} يعني: وبقتلهم الأنبياء بغير جرم {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} يعني: ذا غلاف ولا نفقه حديثك، وقرأ بعضهم: غلف بضم اللام وجماعة الغلاف يعني أن قلوبنا أوعية لكل علم ولا نفقه حديثك. قال الله تعالى: {بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا} يعني ختم الله على قلوبهم {بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} أي لا يؤمنون إلا قليل منهم ويقال لا يؤمنون إلا بالقليل لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال مقاتل: يعني ما أقل ما يؤمنون، يقول: بأنهم لا يؤمنون البتة.

ثم قال تعالى: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بهتانا عَظِيماً} وذلك أن مريم كانت متعبدة لله تعالى ناسكة، اصطفاها الله تعالى بولد بغير أب، فعيرها اليهود واتهموها وقذفوها بيوسف بن ماثان، وكان يوسف خادم بيت المقدس ويقال: كان ابن عمها، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم وبيّن بهتانهم فقال: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بهتانا عَظِيماً} يعني لعنهم الله وخذلهم بذلك {وَقَوْلِهِمْ} أي وبقولهم {إِنَّا قَتَلْنَا المسيح عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولَ الله} هذا قول الله لا قول اليهود وقول اليهود إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم. ثم قال الله تعالى {رَسُولِ الله} يعني الذي هو رسول الله؛ وذلك أن اليهود لما اجتمعوا على قتله هرب منهم ودخل في بيت، فأمر ملك اليهود رجلاً يدخل البيت يقال له يهوذا ويقال ططيانوس، فجاء جبريل عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فلما دخل الرجل إلى البيت لم يجده، فألقى الله شبه عيسى عليه، فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه. ثم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فاختلفوا فيما بينهم، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم فقال: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولكن شُبّهَ لَهُمْ} يعني ألقي شبه عيسى على غيره فقتلوه. ثم قال {وَإِنَّ الذين اختلفوا فِيهِ لَفِى شَكّ مّنْهُ} أي من قتله {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ} يعني لم يكن عندهم علم يقين أنه قتل أو لم يقتل {إِلاَّ اتباع الظن} أي قالوا قولاً بالظن {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً} أي لم يستيقنوا بقتله، ويقال: يقيناً ما قتلوه {بَل رَّفَعَهُ الله إِلَيْهِ} وقال مقاتل: بل رفعه الله إلى السماء في شهر رمضان ليلة القدر. وقال الضحاك: رفعه في يوم عاشوراء بين صلاتي المغرب والعشاء. ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله عَزِيزاً} أي منيعاً حين منع عيسى من القتل {حَكِيماً} حين حكم رفعه إلى السماء.

وقوله عز وجل:

تفسير الآيات رقم [159- 161]

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)}

{وَإِن مّنْ أَهْلِ الكتاب} يقول: وما من أهل الكتاب {إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} يعني بعيسى عليه السلام {قَبْلَ مَوْتِهِ} وذلك أن اليهودي إذا حضرته الوفاة وعاين أمر الآخرة ضربته الملائكة، وقالت له: يا عدو الله أتاك عزير فكذبته، ويقال للنصراني: يا عدو الله أتاك عبد الله ورسوله، وهو عيسى، فزعمت أنه ابن الله، فيؤمن عند ذلك ويقر أنه عبد الله ورسوله، ولا ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، ويكون إيمانهم عليهم شهيداً يوم القيامة. وروي عن مجاهد أنه قال: ما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته، فقيل له: وإن غرق أو احترق أو أكله السبع يؤمن بعيسى عليه السلام؟ فقال: نعم. وروي أن الحجاج بن يوسف سأل شهر بن حوشب عن هذه الآية فقال إني لأوتى بالأسير من اليهود والنصارى، فآمر بضرب عنقه، وأنظر إليه في ذلك الوقت فلا أرى منه الإيمان، فقال له شهر بن حوشب: إنه حين يعاين أمر الآخرة يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله فيؤمن به ولا ينفعه. فقال له الحجاج: من أين أخذت هذا؟ قال: أخذته من محمد بن الحنفية. فقال له الحجاج: لقد أخذت من عين صافية. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: {قَبْلَ مَوْتِهِ} يعني قبل موت عيسى عليه السلام هكذا قال الحسن.

قال الفقيه: حدّثنا عمر بن محمد، قال: حدّثنا أبو بكر الواسطي، قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدّثنا يزيد بن زريع، عن رجل، عن الحسن في قوله: {وَإِن مّنْ أَهْلِ الكتاب إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. وروي عن ابن عباس أنه قال: يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة نبياً إماماً مهدياً، ثم يموت وتصلي عليه هذه الأمة. وقال الضحاك: يهبط عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض بعد خروج الدجال، فيكون هبوطه على صخرة بيت المقدس، ثم يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويهدم البيع والكنائس، ولا يبقى على وجه الأرض يهودي ولا نصراني إلا آمن بالمسيح ودخل في الإسلام.

ثم قال تعالى: {وَيَوْمَ القيامة يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} يعني يكون عليهم عيسى عليه السلام شهيداً، بأنه قد بلغهم الرسالة. قوله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مّنَ الذين هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طيبات أُحِلَّتْ لَهُمْ} يعني بشركهم حرمنا عليهم أشياء كانت حلالاً لهم، وهو كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم أحلت لهم {وَبِصَدّهِمْ عَن سَبِيلِ الله كَثِيراً} أي بصرفهم كثيراً من الناس عن

دين الله على وجه التقديم {وَأَخْذِهِمُ الربا} أي حرم عليهم الحلال بكفرهم، وبصرف الناس عن دين الله، وبأخذهم الربا {وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ} أي يعني عن أخذ الربا في التوراة {وَأَكْلِهِمْ أموال الناس بالباطل} وهو أخذ الرشوة في الحكم {وَأَعْتَدْنَا للكافرين مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} أي هيأنا لهم عذاباً وجيعاً دائماً.

تفسير الآيات رقم [162- 162]

{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)}

وقوله: {لكن الراسخون فِى العلم مِنْهُمْ} يعني المبالغون في العلم الذين أدركوا علم الحقيقة، وهم مؤمنو أهل الكتاب، وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا: هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وأنت تحلها، ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل {لكن الراسخون فِى العلم مِنْهُمْ} يصدقون بما أنزل إليك أنه الحق، ويقال: إن مؤمني أهل الكتاب يعلمون أن الذي أنزل إليك من القرآن هو الحق، وأنك نبي مبعوث وهو مكتوب عندهم. ثم قال: {والمؤمنون} يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} ثم قال: {والمؤمنون بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ} يعني يصدقون بالقرآن {وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} ويصدقون بما أنزل من قبلك من كتب الله.

ثم وصفهم فقال: {والمقيمين الصلاة} قال بعض الجهال: هذا غلط الكاتب حيث كتب مصحف الإمام، كان ينبغي أن يكتب والمقيمون فأوهم وكتب والمقيمين. واحتج بما روي عن عائشة أنها قالت: ثلاثة أحرف في المصحف غلط من الكاتب: قوله تعالى: {والمقيمين الصلاة} وقوله {والصابئون والنصارى} وقوله {إِنْ هاذان لساحران} وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها، ولكن هذا بعيد عند أهل العلم والخبر، لم يثبت عن عثمان ولا عن عائشة رضي الله عنهما، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا حماة الدين والقدوة في الشرائع والأحكام، فلا يظن بهم أنهم تركوا في كتاب الله تصحيفاً يصلحه غيرهم، وهم أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى في قوله {والمقيمين الصلاة} قال بعضهم: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، يعني بالنبيين المقيمين الصلاة. وقال بعضهم: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك.

ثم قال تعالى: {والمؤتون الزكواة} يعني الذين يعطون الزكاة المفروضة {والمؤمنون بالله واليوم الاخر} يعني المقرون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت. ثم قال: {أولئك} يعني أهل هذه الصفة {سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً} أي يعطيهم الله في الآخرة ثواباً عظيماً وهو الجنة. قرأ حمزة {سيؤتيهم} بالياء وقرأ الباقون بالنون.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [163- 164]

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)}

{إنا أوحينا إليك} يعني أرسلنا إليك جبريل {إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ} يعني كما أرسلنا إلى نوح، ويقال: أوحينا إليك بأن تثبت على التوحيد وتأمر الناس بالتوحيد، كما أوحينا إلى نوح بأن يثبت على التوحيد، ويدعو الناس إلى التوحيد {والنبيين مِن بَعْدِهِ} أي أوحينا إليهم بذلك {وَأَوْحَيْنَا إلى إبراهيم وإسماعيل *** وإسحاق} وهما ابنا إبراهيم عليهم السلام {وَيَعْقُوبَ} وهو ابن إسحاق {وَالاسْبَاطَ} وهم أولاد يعقوب عليه السلام، كانوا اثني عشر سبطاً، أوحينا إلى أنبيائهم بأن يثبتوا على التوحيد، ويدعوا الناس إلى ذلك، {و} أوحينا إلى {عيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً} قرأ حمزة: {زَبُوراً} بضم الزاي. وقرأ الباقون بالنصب في جميع القرآن، ومعناهما واحد، وهو عبارة عن الكتاب. ثم قال: {وَرُسُلاً قَدْ قصصناهم عَلَيْكَ مِن قَبْلُ} يعني قد سميناهم لك من قبل، يعني بمكة {وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} يعني لم نسمهم لك، وقد أرسلناك كما أرسلنا هؤلاء. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان الأنبياء ألفي ألف ومائتي ألف. وقال مقاتل: كان الأنبياء ألف ألف، وأربعمائة ألف، وأربعة وعشرين ألفاً. وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بُعِثْتُ عَلَى أَثَرِ ثَمَانِيَةِ آلافٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قال الفقيه أبو الليث: حدّثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدّثنا أحمد بن محمد القاضي، قال: حدّثنا إبراهيم بن حشيش البصري، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا نبي الله كم كانت الأنبياء؟ وكم كان المرسلون فقال صلى الله عليه وسلم: «كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، وَكَانَ المُرْسَلُونَ ثَلاثَمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ» ثم قال: {وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً} قال بعضهم: معناه أنه قد أوحى إليه، وإنما سماه كلاماً على وجه المجاز كما قال في آية أخرى {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سلطانا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ} [الروم: 35] أي يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائط كذا. وقال عامة المفسرين وأهل العلم: إن هذا كلام حقيقة لا كلام مجاز، لأنه قد أكده بالمصدر حيث قال: {وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً} والمجاز لا يؤكد لأنه لا يقال: قال الحائط قولاً، فلما أكده بالمصدر نفى عنه المجاز، وقال في موضع آخر: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: 40] وقد أكده بالتكرار ونفى عنه المجاز. وقال في موضع آخر {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِىٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: 51] يعني الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين،

فأراهم في المنام أو من وراء حجاب بكلام مثل ما كلم الله موسى، أو يرسل رسولاً وهو رسالة جبريل إلى المسلمين. ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [165- 169]

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)}

{رُّسُلاً مُّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ} أي أرسلنا رسلاً مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار {لِئَلاَّ يَكُونَ} يقول: لكيلا يكون {لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل} يعني: بعد إرسال الرسل، كي لا يقولوا يوم القيامة إنك لم ترسل إلينا رسولاً. ولو أن الله تعالى لم يرسل رسولاً كان ذلك عدلاً منه إذ أعطى كل واحد من خلقه من العقل ما يعرفه، ولكن أرسل تفضلاً منه، ولكي يكون زيادة في الحجة عليهم. ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله عَزِيزاً حَكِيماً}. {عَزِيزاً} بالنقمة لمن يجحده {حَكِيماً} حكم إرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام. قوله تعالى: {لكن الله يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ} قال ابن عباس: وذلك أن رؤساء مكة أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا سألنا اليهود عن صفتك ونعتك، فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم، فأتِنا بمن يشهد لك بأنك نبي مبعوث فنزل: {لكن الله يَشْهَدُ} يعني إن لم يشهد لك أحد منهم، فالله تعالى أعظم شهادة من خلقه، هو يشهد لك بأنك نبيّ ويظهر نبوتك. قال القتبي: هذا من الاختصار لأنه لما نزل {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إلى نُوحٍ والنبيين مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ والاسباط وعيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وهارون وسليمان وَءاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً} [النساء: 163] قال المشركون: لا نشهد لك بهذا فمن يشهد لك؟ فنزلت هذه الآية حكاية قولهم. فقال تعالى {لكن الله يَشْهَدُ} {بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ} لأن كلمة لكن إنما تجيء بعد نفي شيء، فوجب ذلك الشيء بها.

ثم قال تعالى: {أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} أي بأمره. ويقال: أنزل القرآن الذي فيه علمه. ثم قال تعالى: {والملئكة يَشْهَدُونَ} أيضاً على شهادتك بالذي شهدت أنه الحق {وكفى بالله شَهِيداً} فلا أحد أفضل من الله تعالى، شهادة بأنه أنزل عليك القرآن. قوله تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} يعني صرفوا الناس عن دين الله {قَدْ ضَلُّواْ ضلالا بَعِيداً} عن الحق. ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ} أي جحدوا وأشركوا {لَّمْ يَكُنْ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ} أي ما داموا على كفرهم {وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً} يعني: لا يوفقهم لطريق الإسلام {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} يعني: يتركهم ويخذلهم في طريق الكفر عقوبة لكفرهم ولجحودهم وهو طريق جهنم. ويقال: إلا العمل الذي يجبرهم إلى جهنم. وقال الضحاك: لا يهديهم طريقاً يوم القيامة، أي لا يرفع لهم إلا طريق جهنم. وذلك أن أهل الإيمان يرفع

لهم في الموقف طريق تأخذ بهم إلى الجنة، ويرفع لأهل الكفر طريق ينتهي بهم إلى النار. ثم قال تعالى: {خالدين فِيهَا أَبَداً} أي دائمين فيها {وَكَانَ ذلك عَلَى الله يَسِيراً} أي خلودهم وعذابهم في النار هيّن على الله تعالى.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [170- 171]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)}

{أَيُّهَا الناس} قال ابن عباس: يعني أهل مكة {قَدْ جَاءكُمُ الرسول بالحق مِن رَّبّكُمْ} أي بشهادة أن لا إله إلا الله، ويقال: ببيان الحق. ويقال: للحق، يعني للعرض والحجة وقوله تعالى: {قَدْ جَاءكُمُ} على وجه المجاز، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فيهم، ولكن معناه أنه قد ظهر فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في آية أخرى {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمؤمنين رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128] أي ظهر فيكم ثم قال: {يأَيُّهَا الناس قَدْ} أي صدقوا بوحدانية الله تعالى، والقرآن الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم خيراً لكم من عبادة الأوثان، لأن عبادة الأوثان لا تغنيكم شيئاً. ثم قال تعالى: {وَإِن تَكْفُرُواْ} أي إن تجحدوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله غنيٌّ عنكم {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السموات والارض} كلهم عبيده وإماؤه {وَكَانَ الله عَلِيماً} بخلقه {حَكِيماً} في أمره.

ثم قال تعالى: {حَكِيماً يأَهْلَ الكتاب لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ} قال الضحاك: أي لا تكذبوا في دينكم. وقال بعض أهل اللغة: الغلو مجاوزة القدر في الظلم. ويقال: الغلو أن تجاوز ما حدَّ لك. وقال القتبي: يعني لا تفرطوا في دينكم، فإن دين الله بين المقصر والغالي. وغلا في القول إذا تجاوز المقدار. وقال ابن عباس: وذلك أن اليعقوبية وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله. وقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت المرقوسية ويقال لهم الملكانية: هو ثالث ثلاثة، فنزل {حَكِيماً يأَهْلَ الكتاب لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ}. قال مقاتل: الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق. ويقال: لا تتعمقوا في دينكم. ثم قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى الله إِلاَّ الحق} يعني: لا تصنعوا بالله بما لا يليق بصفاته، فإن الله تعالى واحد لا شريك له ولا ولد له.

ثم قال تعالى: {إِنَّمَا المسيح عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ} وهو قوله {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: 40] ثم قال: {وَرُوحٌ مِّنْهُ} قال ابن عباس في رواية الكلبي: يعني أمر منه فأتاها جبريل، فنفخ في جيب درعها فدخلت تلك النفخة بطنها، ثم وصل إلى عيسى ابن مريم فتحرك في بطنها وأمه أمة الله تعالى {مَّا كَانَ الله} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى وبما جاءكم به الرسل من الله تعالى {وَلاَ تَقُولُواْ ثلاثة} يعني: لا تقولوا إن الله ثالث ثلاثة {انتهوا خَيْراً لَّكُمْ} يقول: توبوا إلى الله تعالى من مقالتكم، فالتوبة خيرٌ لكن من الإصرار على الكفر {إِنَّمَا الله إله واحد} ثم نزّه نفسه عما قال الكفار فقال: {سبحانه أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ}. ثم قال تعالى: {لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق {وكفى بالله وَكِيلاً} يعني كفيلاً ويقال شاهداً ولا شاهد أفضل منه.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [172- 173]

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)}

{لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله} يعني: لن يتعظم ولن يأنف ولن يتكبر. ويقال: لن يحتشم أن يكون عبداً لله. ويقال: إن وفد نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وناظروه في أمر عيسى عليه السلام، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: كان عبد الله ورسوله، فقالوا: لا تقل هكذا فإن عيسى يأنف عن هذا القول، فنزل تكذيباً لقولهم {لَّن يَسْتَنكِفَ المسيح أَن يَكُونَ عَبْداً لّلَّهِ} يعني كان عيسى مقرّاً بالعبودية. ثم قال تعالى: {وَلاَ الملئكة المقربون} يعني حملة العرش لن يأنفوا عن الإقرار بالعبودية. وقال مقاتل: الملائكة المقربون أقرب إليه، فلم يأنفوا عن عبادته فكيف يأنف عيسى عليه السلام وهو عبد من عباده؟

ثم قال تعالى: {وَمَن يَسْتَنْكِفْ} أي يتعظم {عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ} والاستكبار هو الاستنكاف، يقال: استنكف واستكبر يعني استكبر عن طاعته {فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً} يأمر بهم إلى النار. ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {فَيُوَفّيهِمْ أُجُورَهُمْ} أي يوفر لهم ثواب أعمالهم {وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ} أي من رزقه في الجنة {وَأَمَّا الذين استنكفوا واستكبروا} عن عبادة الله تعالى {فَيُعَذّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً} أي وجيعاً دائماً {وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مّن دُونِ الله} يعني من عذاب الله {وَلِيّاً} يعينهم {وَلاَ نَصِيراً} مانعاً يمنعهم.

ثم قال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [174- 176]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)}

{يَأَيُّهَا الناس قَدْ جَاءكُمْ بُرْهَانٌ مّن رَّبّكُمْ} أي بياناً من ربكم وحجة من ربكم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً} أي بياناً من العمى وبيان الحلال من الحرام، وهو القرآن. قوله تعالى: {فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ بالله} أي صدقوا بوحدانية الله تعالى {واعتصموا بِهِ} أي تمسكوا بدينه {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مَّنْهُ} يعني الجنة {وَفَضّلَ} أي الثواب {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ} أي يرشدهم إلى دينه، ويوفقهم لذلك. وفي الآية تقديم وتأخير فكأنه يقول: يهديهم في الدنيا {صراطا مُّسْتَقِيماً} أي ديناً لا عوج فيه، ويثيبهم على ذلك ويدخلهم في الآخرة في رحمة منه وفضل وهو الجنة والكرامة.

قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ} يعني يسألونك في حكم الميراث {قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِى الكلالة} روي عن قتادة أنه قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد، وكذلك قال ابن عباس: وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: إني قد رأيت رأياً فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان: الكلالة ما عدا الوالد والولد. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ثلاث لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهن لنا كان أحب إليّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، وأبواب الربا. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الكلالة فقال: «أَلَمْ تَرَ الآيَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ فِي النِّسَاءِ {قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِى الكلالة إِن امرؤ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ}» يعني هذا تفسير الكلالة. وهذه الآية نزلت في شأن جابر بن عبد الله، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي أختاً فما لي من ميراثها؟ فنزلت هذه الآية، فبيّن ميراث جابر أولاً ثم ميراث أخته، فصارت الآية عامة لجميع الناس. قال: {إِن امرؤ هَلَكَ} يعني إن مات رجل {لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} من المال {وَهُوَ يَرِثُهَا} يعني إذا ماتت الأخت والأخ حيّ ورثها {إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ} وقد ذكرت الآية حكم الأخ والأخت إذا لم يكن لهما ولد، ولم يبين أنه لو كان لأحدهما ولد فمات أحدهما فما حكمه؟ ولكن بيّن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن للابنة النصف، وما بقي فللأخت وإن كانت الأخت هي التي ماتت وتركت ابنة وأخاً، فللابنة النصف وما بقي فللأخ. وفي هذا إجماع وفي الأول اختلاف قال ابن

عباس: لا ترث الأخت مع الابنة شيئاً، وخالفه جميع الصحابة وقالوا كلهم: الأخوات مع البنات عصبة.

ثم قال تعالى: {فَإِن كَانَتَا اثنتين فَلَهُمَا الثلثان مِمَّا تَرَكَ} يعني: إذا كان للميت أختان أو أكثر فلهما الثلثان إذا كانتا اثنتين، وإن كنَّ أكثر من ذلك فلهنَّ الثلثان أيضاً بالإجماع. ثم قال: {وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء} يعني إخوة وأخوات {فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الانثيين} يعني لكل أخ سهمان ولكل أخت سهم، هذا إذا كانت الإخوة والأخوات من الأب والأم أو من الأب خاصة، فأما إذا كانوا من قبل الأم فهم شركاء في الثلث، ليس لهم أكثر من ذلك كما ذكرنا في أول السورة، وهذا بالإجماع. ثم قال عز وجل: {يُبَيِّنُ الله لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ} أي يبين الله لكم قسمة المواريث لكي لا تضلوا ولا تخطئوا في قسمتها. وقد يحذف لا فيراد به إثباته كقوله {خَلَقَ السماوات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وألقى فِى الارض رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السمآء مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [لقمان: 10] يعني أن لا تميد بكم، وقد يذكر لا ويراد حذفه كقوله {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12] يعني أن تسجد وكقوله {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة} [القيامة: 1] أقسم ثم قال تعالى: {والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} من قسمة المواريث وغيره، أي اتبعوا ما أنزل الله تعالى وبيّن لكم في كتابه، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.

سورة المائدة

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)}

{ياأيها الذين ءَامَنُواْ} فهذا نداء المدح، والنداء في القرآن على سبع مراتب: نداء المدح، مثل قوله {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى} {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل}. ونداء الذم، مثل قوله تعالى: {عَمُونَ وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} {قُلْ ياأيها الذين هادوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ الناس فَتَمَنَّوُاْ الموت إِن كُنتُمْ صادقين} [الجمعة: 6]. ونداء التنبيه، مثل قوله {القرءان خَلَقَ الإنسان}. ونداء الإضافة، مثل قوله {فِى عِبَادِى} ونداء النسبة، مثل قوله: {تَتَّقُونَ وَإِذْ أَخَذْ} {مَعِىَ بَنِى إسراءيل}. ونداء الاسم: مثل قوله {ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} {وَقَتَلَ دَاوُودُ}. ونداء التعبير، مثل قوله: {مِّنْ أَهْلِ الكتاب} فهاهنا نداء المدح: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} وهو من جوامع الكلم، لأنه قال {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني صدقوا، ولم يقل بأي شيء صدقوا، معناه الذين صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، وصدقوا بجميع الرسل، وبالبعث، والحساب، والجنة، والنار. وقال عبد الله بن مسعود: كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه وإن أدب الله القرآن، فإذا سمعت الله يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} فأرعها سمعك فإنه خير مأمور به أو شر منهي عنه، ويقال: جميع ما في القرآن {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} نزل بالمدينة، وكل ما يقال في القرآن {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} نزل أكثره بمكة، وقد قيل نزل بالمدينة أيضاً. ويقال: كل ما في القرآن {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} ذكر في مقابله في الإنجيل يا أيها المساكين.

ثم قال: {أَوْفُواْ بالعقود} يعني أتموا الفرائض التي ذكر الله تعالى في القرآن، وعقد على عباده ما أحل لهم وحرم عليهم أن يوفوا بها. وقال مقاتل: {أَوْفُواْ بالعقود} يعني بالعهود التي بينكم وبين المشركين. ويقال: جميع العقود التي بينه وبين الناس، والتي بينه وبين الله تعالى. وهذا من جوامع الكلم، لأنه اجتمع فيه ثلاثة أنواع من العقود أحدها: العقود التي عقد الله تعالى على عباده من الأوامر والنواهي. والنوع الثاني: العقود التي يعقدها الإنسان بينه وبين الله تعالى من النذور والأيمان، وغير ذلك. والنوع الثالث: العقود التي بينه وبين الناس، مثل البيوع والإجارات وغير ذلك. فوجب الوفاء بهذه العقود كلها. ثم قال: {أُحِلَّتْ لَكُمْ} يعني رخصت لكم {بَهِيمَةُ الانعام} والأنعام تشتمل على الإبل والبقر والغنم والوحش، دليله على قوله تعالى {وَمِنَ الأنعام حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [الأنعام: 142] ثم قال: {ثمانية أزواج} وأما البهيمة فهي كل حيّ لا يتميز، وإنما قيل لها بهيمة لأنها أبهمت من أن تميز.

ثم قال: {إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ} يعني: رخصت لكم الأنعام كلها إلا ما حرم عليكم في هذه السورة، وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك، وذلك أنهم كانوا يحرمون السائبة والبحيرة، فأخبر الله تعالى أنهما حلالان {إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ} يعني إلا ما بين في هذه السورة. ثم قال: {غَيْرَ مُحِلّى الصيد وَأَنتُمْ حُرُمٌ} يعني: أحلت لكم هذه الأشياء من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم محرمون. ثم قال: {إِنَّ الله يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} يعني يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لأنه أعرف بصلاح خلقه وما يصلحهم وما لا يصلحهم، وليس لأحد أن يدخل في حكمه. وهذا كقوله {قُلِ الله أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ السماوات والارض أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: 26] وقال {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} «[سورة الأنبياء: 23].

قوله تعالى: {يُرِيدُ يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ الله} الشعائر ما جعل الله علامات الطاعات، واحدها شعيرة، ومعناه لا تستحلوا شيئاً من ترك المناسك كلها مما أمر الله تعالى من أمر الحج، وهو السعي بين الصفا والمروة، والخروج إلى عرفات، ورمي الجمار، والطواف، واستلام الحجر وغير ذلك. وذلك أن الأنصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة، وكان أهل مكة لا يخرجون إلى عرفات، وكان أهل اليمن يرجعون من عرفات، فأمر الله تعالى في هذه السورة بأن لا يتركوا شيئاً من أمور المناسك. ثم قال: {وَلاَ الشهر الحرام} يعني لا تستحلوا القتل في الشهر الحرام {وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد} يقول: لا تتعرضوا له ولا تستحلوا. وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا خرجوا إلى مكة، وكانوا إذا قلدوا الهدي أمنوا بذلك، ومن يكن له هدي جعل في عنق راحلته قلادة، ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة من شعر أو وبر فيأمن بذلك، فإذا رجع من مكة جعل شيئاً من لحاء شجر مكة في عنق راحلته، فيأمن بذلك ليعرف أنه كان حاجاً، فأمرهم الله تعالى بأن لا يستحلوا ذلك، يعني: من فعل ذلك لا يتعرض له.

ثم قال تعالى {وَلاَ الشهر} يقول: ولا تستحلوا قاصدين {البيت الحرام} نزلت في " شُرَيْح بن ضُبَيْعة بن شُرَحْبِيل اليماني " دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه، فلما خرج من عنده مَرَّ بسرح لأهل المدينة فساقها، وانتهى إلى اليمامة ثم خرج من هناك نحو مكة ومعه تجارة عظيمة، فهمَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا إليه ويغيروا على أمواله، فنزل {وَلاَ الشهر الحرام وَلاَ} {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ} يعني الربح في المال {وَرِضْوَاناً} يعني يطلبون بحجهم رضوان ربهم فلا يرضى عنهم حتى يؤمنوا.

ثم نسخ بقوله: {فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ واحصروهم واقعدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصلاة وَءاتَوُاْ الزكواة فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 5] ولم ينسخ قوله {لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ الله} ولكنه محكم، فوجب إتمام أمور المناسك، ولهذا قال أصحابنا: إن الرجل إذا دخل في الحج ثم أفسده، فعليه أن يأتي بجميع أفعال الحج، ولا يجوز أن يترك، ثم عليه القضاء في السنة الثانية. ونسخ قوله {وَلاَ الشهر الحرام} فيجوز القتال في الشهر الحرام بقوله {إِنَّ عِدَّةَ الشهور عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كتاب الله يَوْمَ خَلَقَ السماوات والارض مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيم فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ المشركين كَآفَّةً كَمَا يقاتلونكم كَآفَّةً واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين} [التوبة: 36] وقوله تعالى {وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد} فهو محكم أيضاً، ولم ينسخ فكل من قلد الهدي وتوجه إلى مكة ونوى الإحرام صار محرماً، ولا يجوز له أن يحل بدليل هذه الآية. فهذه الأحكام معطوفة بعضها على بعض، بعضها منسوخة وبعضها محكمة، فإن قيل: قد قال: {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورضوانا} فأخبر أنهم يطلبون رضوان ربهم، ولم يذكر أن طلبهم كان باطلاً؟ قيل له: لأنه لم يذكر في لفظ الآية أمر الكفار، وإنما بيّن النهي عن التعرض للذين يقصدون البيت، فإن كان الذي قصد كافراً فقد بيّن في آية أخرى أنه لم يقبل منه، وإن لم يذكر ها هنا وهو قوله {اليوم أُحِلَّ لَكُمُ الطيبات وَطَعَامُ الذين أُوتُواْ الكتاب حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ والمحصنات مِنَ المؤمنات والمحصنات مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ متخذى أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} [المائدة: 5] وقال: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصطادوا} يعني إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا إن شئتم، فهذه رخصة بلفظ الأمر كقوله {فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا فِى الارض وابتغوا مِن فَضْلِ الله واذكروا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: 10] وكقوله {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إلى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فالن باشروهن وابتغوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ وَكُلُواْ واشربوا حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخيط الأبيض مِنَ الخيط الأسود مِنَ الفجر ثُمَّ أَتِمُّواْ الصيام إِلَى اليل وَلاَ تباشروهن وَأَنتُمْ عاكفون فِي المساجد تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَقْرَبُوهَا كذلك يُبَيِّنُ الله آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [سورة البقرة: 187] الآية. وقال الضحاك {وَإِذَا حَلَلْتُمْ} يعني إذا خرجتم من إحرامكم وخرجتم من حرم الله تعالى وأمنه فاصطادوا. ثم قال: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} يقول: ولا يحملنكم عداوة كفار مكة {أَن صَدُّوكُمْ عَنِ

المسجد الحرام} يعني عام الحديبية {أَن تَعْتَدُواْ} على حجاج اليمامة من المشركين فتستحلوا منهم.

وفي الآية دليل أن المكافأة لا تجوز من غير جنس الذي فعل به، وتكون تلك المكافأة اعتداء لأن الله تعالى قال: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ} يعني بغض قوم وعداوتهم {أَن تَعْتَدُواْ} يعني تجاوزوا الحد في المكافأة. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {شَنَانُ} بجزم النون. وقرأ الباقون {شَنَانُ} بالنصب. وقال القتبي: لا يقال في المصادر فعلان، وإنما يقال ذلك في الصفات مثل عطشان وسكران، وفي المصادر يقال: فعلان مثل طيران ولهفان وشنآن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو {أَن صَدُّوكُمْ} بكسر الألف على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالنصب على معنى البناء.

ثم قال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى} يعني: تعانوا على أمر الله واعملوا به. وروى ابن عباس: البرُّ ما أمر الله تعالى به، يعني تحاثُّوا على أمر الله واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله تعالى عنه، وامتنعوا عنه. وهذا موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ» وقد قيل: الدالُّ على الشر كصانعه. ثم قال: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم والعدوان} قال القتبي: العدوان على وجهين: عدوان في السبيل كقوله {وقاتلوهم حتى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدين للَّهِ فَإِنِ انتهوا فَلاَ عدوان إِلاَّ عَلَى الظالمين} [البقرة: 193] وكقوله {قَالَ ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الاجلين قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ والله على مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [القصص: 28] والثاني عدوان في الظلم كقوله {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تتناجوا بالإثم والعدوان وَمَعْصِيَةِ الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة: 9] وكقوله {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ الله وَلاَ الشهر الحرام وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد ولا ءَامِّينَ البيت الحرام يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورضوانا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصطادوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المسجد الحرام أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم والعدوان واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ} [سورة المائدة: 2] يعني به حجاج أهل اليمامة، وصارت الآية عامة في جميع الناس. ثم قال: {واتقوا الله} يقول واخشوا الله وأطيعوه فيما يأمركم به {أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب} إذا عاقب.

قوله تعالى: {حُرّمَتْ عَلَيْكُمُ الميتة} يعني حرم عليكم أكل الميتة، والميتة كل ما مات حتف أنفه بغير ذكاة فهو حرام، إلا الجراد والسمك، فقد أباحهما على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أُحِلَّتْ لَنَا السَّمَكُ والجَرَادُ وَالكَبِدُ وَالطِّحَالُ» ثم قال {والدم} يعني حرم عليكم أكل الدم وشربه، وهو الدم المسفوح كما قال في آية أخرى

{قُل لاَ أَجِدُ فِى مَآ أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ فَمَنِ اضطر غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام: 145] وأما الدم الذي بقي بعد الإنهار فهو مباح، مثل الطحال

والكبد والصفرة التي بقيت في اللحم. ثم قال: {وَلَحْمَ الخنزير} يعني أكل لحم الخنزير، فذكر اللحم والمراد به اللحم والشحم وغير ذلك، وهذا حرام بإجماع المسلمين. ثم قال: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ} يعني حرم عليكم أكل ما ذبح لغير الله، وأصل الإهلال رفع الصوت، ومنه استهلال الصبي، وإهلال الحج، وإنما سمي الذبح إهلالاً لأنهم كانوا يرفعون الصوت عند الذبح بذكر آلهتهم، فحرم الله تعالى ذلك. ثم قال: {والمنخنقة} وهي الشاة التي تختنق فتموت، وكان بعض أهل الجاهلية يستحلون ذلك ويأكلونها. ثم قال: {والموقوذة} يعني: حرم عليكم أكل الموقوذة وهي التي تضرب بالخشب فتموت، وأصله في اللغة هي الإشراف على الهلاك، فإذا ضرب بالخشب حتى أشرف على الموت ثم يتركه يقال: وقذه ويقال فلان وقيذ وقذته العبادة أي ضعف وأشرف على الهلاك. ثم قال: {والمتردية} وهي الشاة التي تخر من الجبل، أو تتردى في بئر فتموت {والنطيحة} وهي الشاة التي تنطح صاحبها فيقتلها. ثم قال: {وَمَا أَكَلَ السبع} وهي فريسة السبع، فحرم الله تعالى أكل هذه الأشياء كلها على المؤمنين، ثم استثنى فقال: {إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} يعني إلا ما أدركتم ذكاته فذكيتموه قبل أن يموت فلا بأس بأكله.

قال القتبي: أصل الذكاة من التوقد، يقال ذكيت النار إذا ألقيت عليها شيئاً من الحطب، وإنما سميت الذكية ذكية لأنها صارت بحال ينتفع بها. وقال الزجاج: أصل الذكاة تمام الشيء. وقوله: {إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} يعني ما أدركتم ذبحه على التمام. ثم قال: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النصب} قال القتبي: النصب هو حجر أو صنم منصوب، كانوا يذبحون عنده وجمعه أنصاب، ويقال: كانوا يذبحون لأعيادهم باسم آلهتهم. ثم قال: {وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بالازلام} والأزلام القداح، واحدها زلم على ميزان قلم وأقلام، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يجتمعون عشرة أنفس ويشترون جزوراً، وجعلوا لحمه على تسعة أجزاء، وأعطى كل واحد منهم سهماً من سهامه، فجمعوا السهام عند واحد منهم أو شيء من الأحجار، ثم يخرج هذا الرجل واحداً واحداً من السهام، فكل من خرج سهمه يأخذ جزءاً من ذلك اللحم، فإذا خرج تسعة من السهام لا يبقى شيء من اللحم، ولا يكون للذي بقي اسمه آخراً شيء من اللحم، وكان ثمن الجزور كله عليه. وكان نوع آخر أنهم كانوا يجعلون عشرة من القداح، وكان لكل واحد منها سهم، ولم يكن لثلاثة منها نصيب من اللحم، وهو السفيح والمنيح والوغد، وكان للسبعة لكل سهم نصيب وهو: القذ، والتوأم، والرقيب، والمعلى، والحلس، والناقس، والمسبل.

ويقال: كان إذا أراد واحد منهم السفر أخرج سهمين من القداح، في واحد منها مكتوب أمرني ربي، وفي الآخر نهاني ربي، فيخرج أحدهما، فإن خرج باسمه أمرني ربي وجب عليه الخروج ولم يجز له التخلف، وإن خرج الآخر لا يسعه الخروج، فنهى الله تعالى عن ذلك كله بقوله: {ذلكم فِسْقٌ} يعني هذه الأفعال معصية وضلالة واستحلالها كفر.

قم قال: {اليوم يَئِسَ الذين كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} يعني كفار العرب أن تعودوا كفاراً حين حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وليس معهم مشرك. وقال الضحاك: نزلت هذه الآية حين فتح مكة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة سبع، ويقال: سنة ثمان. ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. فانقادت قريش لأمر الله ورفعوا أيديهم وأسلموا. قال الله تعالى: {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ} يقول: فلا تخشوا صولة المشركين فأنا معكم وناصركم {واخشون} في ترك أمري. ثم قال: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} يعني أتممت لكم شرائع دينكم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان بمكة لم يكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام، فنزلت هذه الآية {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} يعني دينكم، حلالكم وحرامكم. وروى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، أنه قرأ {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فقال له يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم عيدين يوم الجمعة، ويوم عرفة.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا ابن صاعد، قال: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق أن اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: إنكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}. فقال عمر: إني لأعلم حيث نزلت، وفي أي يوم نزلت، أنزلت بيوم عرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة. فإن قيل: في ظاهر هذه الآية دليل أن الدّين يزيد حيث قال {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}. قيل له: ليس فيها دليل، لأنه أخبر أنه أكمل في ذلك اليوم، وليس فيها دليل أنه لم يكمل قبل ذلك. ألا ترى أنه قال في سياق الآية {وَرَضِيتُ لَكُمُ الأسلام دِيناً} ليس فيه دليل أنه لم يرض قبل ذلك، ولكن معناه أنه قد أظهر وقرر، كما جاء في الخبر أن رجلاً أعتق ستة أعبد له في مرضه، فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين منهم يعني أظهر عتقهما، وقرر ولم يرد به الابتداء.

وقال مجاهد: معناه اليوم أتممت لكم ظهور دينكم وغلبة دينكم ونصرته. وقال قتادة: معناه أخلص لكم دينكم.

ثم قال: {وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى} يعني منتي، فلم يحج معكم مشرك {وَرَضِيتُ} يعني اخترت {لَكُمُ الأسلام دِيناً} وروي في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول هذه الآية إحدى وثمانين ليلة، ثم مضى لسبيله صلوات الله عليه. وقال الزجاج: {اليوم} صار نصباً للظرف، ومعناه اليوم أكملت لكم دينكم. وقال معاذ بن جبل: النعمة لا تكون إلا بعد دخول الجنة، فصار كأنه قال: رضيت لكم الجنة لأنه لا تكون النعمة تماماً حتى يضع قدميه فيها. ثم رجع إلى أول الآية فقال: {فَمَنِ اضطر فِى مَخْمَصَةٍ} وذلك أنه لما بيّن المحرمات علم أن بعض الناس اضطروا إلى أكله، فأباح لهم أكله عند الضرورة فقال: {فَمَنِ اضطر} يعني: أجهد إلى شيء مما حرم الله تعالى

عليه {فِي مَخْمَصَةٍ} يعني مجاعة، وأصل الخمص ضمور البطن ودقته، فإذا جاع فقد خمص بطنه. ثم قال: {غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ} يعني غير متعمد المعصية لأكله فوق الشبع، وأصل الجنف الميل. وقال الزجاج: يعني غير متجاوز للحد، وغير آكل لها على وجه التلذذ فلا إثم عليه في أكله. وقال أهل المدينة: المضطر يأكل حتى يشبع. وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: يأكل مقدار ما يأمن به الموت، وكذلك قال الشافعي. ثم قال: {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: غفور فيما أكل، رحيم حين رَخَّص له في أكله عند الاضطرار. قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو {فَمَنِ اضطر} بكسر النون لاجتماع الساكنين، وقرأ الباقون بالضم.

تفسير الآيات رقم [4- 5]

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)}

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ} نزلت الآية في شأن «عديّ بن حاتم الطائي» قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قوم نتصيَّد بهذه الكلاب والبزاة فما يحل لنا منها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " مَا عَلَّمْتَ مِنْ كَلْبٍ أَوْ بَازِيٍّ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ وَذَكَرْتَ اسْمَ الله تَعَالَى عَلَيهِ، فَكُلْ مَا أمْسَكَ عَلَيْكَ " فقلت: وإن قتله؟ قال: " إنْ قَتَلَهُ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئاً فَكُلْ، فَإنَّمَا أمْسَكَ عَلَيْكَ. وَإنْ أكَلَ مِنْهُ شَيْئاً فَلاَ تَأْكُلْ، فَإنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ " قال: قلت فإذا خالط كلابنا كلابٌ أخرى حين ترسلها؟ قال: " ا تَأْكُلْ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ كَلْبَكَ هُوَ الَّذِي أَمْسَكَ عَلَيْكَ " ونزلت هذه الآية {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ} يعني ماذا رخص لهم من الصيد ويقال لما أنزل قوله تعالى {حُرّمَتْ عَلَيْكُمُ} قالوا: إن الله تعالى حرم هذه الأشياء، فأي شيء لنا حلال يا رسول الله؟ {قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطيبات} يعني رخص لكم الحلالات من الذبائح {وَمَا عَلَّمْتُمْ مّنَ الجوارح} يعني وأحلّ لكم صيد ما علمتم من الجوارح من الطير والكلاب الكواسب. ويقال: الجوارح الجارحات. ثم قال: {مُكَلّبِينَ} بكسر اللام، وقرأ بعضهم بالنصب، فمن قرأ بالكسر يعني به أصحاب الكلاب المعلِّمين للكلاب، ومن قرأ بالنصب أراد به الكلاب يعني الكلاب المعلَّمة. {مُكَلّبِينَ} يعني معلمين. ثم قال: {تُعَلّمُونَهُنَّ} يعني تؤدبونهن في طلب الصيد {مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله} يقول: كما أدبكم الله تعالى. وروي عن مجاهد أنه سئل عن الصقر والبازي والفهد، قال: هذه كلها جوارح ولا بأس بصيده إذا كان معلماً. ثم قال: {فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} يعني: حبسن عليكم {واذكروا اسم الله عَلَيْهِ} إذا أرسلتم الكلاب على الصيد. وفي هذه الآية دليل أن الكلب إذا كان أكل لا يؤكل لأنه أمسك لنفسه، وفيها دليل أنه لا يجوز إلا بالتسمية لأنه قد

أباح على شرط التسمية، وعلى شرط أن يمسك لصاحبه، وفيها دليل أيضاً أن الكلب إذا كان غير معلَّم لا يجوز أكلُ صيده، وفيها دليل أيضاً أن العالِم له من الفضيلة ما ليس للجاهل، لأن الكلب إذا عُلِّم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، وأن الإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس وهذا كما روي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يُحْسِن.

ثم خَوّفهم فقال: {واتقوا الله} أي اخشوا الله ولا تأكلوا الميتة، ولا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه {إِنَّ الله سَرِيعُ الحساب} يعني سريع المجازاة، وقوله تعالى: {اليوم أُحِلَّ لَكُمُ الطيبات} يعني المذبوحات من الحلال، يعني اليوم أظهر وبيّن حله.

ثم قال: {وَطَعَامُ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني ذبائح أهل الكتاب {لَّكُمُ الطيبات} يعني حلال لكم أكله {وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} يعني ذبائحكم وطعامكم رخص لهم أكله. وقال الزجاج: تأويله أحل لكم أن تطعموهم لأن الحلال والفرائض إنما تعتمد على أهل الشريعة. ثم قال: {والمحصنات مِنَ المؤمنات} يعني أحل لكم تزوج العفائف من المؤمنات {والمحصنات مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني العفائف من أهل الكتاب {مِن قَبْلِكُمْ} يعني: أُعْطوا الكتاب من قبل كتابكم، وهو التوراة والإنجيل، واختلفوا في نكاح الصابئة، وقد ذكرناه في سورة البقرة. ثم قال: {اليوم أُحِلَّ لَكُمُ} يعني أعطيتموهن مهورهن {مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مسافحين} يقول: كونوا متعففين عن الزنى {وَلاَ مُتَّخِذِى أَخْدَانٍ} يقول: لا تتخذوا خِدْناً فتزنوا بها سراً، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يعيِّرون من يزني في العلانية ولا يعيرون من يزني سراً، فحرم الله زنى السر والعلانية، فلما نزلت هذه الآية قلن نساء أهل الكتاب: لولا أن الله تعالى قد رضي بديننا لم يبح للمسلمين نكاحنا، فنزل {وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} قيل: نزل قوله {حُرّمَتْ عَلَيْكُمُ الميتة} ثم رخص من حالة الاضطرار، فقال بعضهم: لا نأخذ الرخصة من الاضطرار فنزل {وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان} ويقال هذا ابتداء خطاب، وهو لجميع المسلمين فقال: {وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان} قال ابن عباس: يعني من يكفر بالتوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله فقد حبط عمله. وقال مجاهد: معناه ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، يعني بطل ثواب عمله. {وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} يعني من المغبونين في العقوبة، ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن الرجل إذا صلى ثم ارتد ثم أسلم في وقت تلك الصلاة، وجب عليه إعادة تلك الصلاة، ولو كان حج حجة الإسلام فعليه أن يعيد الحج، لأنه قد بطل ما فعل قبل ارتداده.

تفسير الآيات رقم [6- 11]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)}

قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصلاة} يعني إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة وأنتم محدثون، ويقال: إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة {فاغسلوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المرافق} يعني: مع المرافق {وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكعبين} يعني مع الكعبين. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم، وفي رواية أبي بكر {وَأَرْجُلَكُمْ} بكسر اللام وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب فإنه جعله نصباً لوقوع الفعل عليه وهو الغسل، يعني واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين. ومن قرأ بالكسر جعله كسراً لدخول حرف الخفض وهو الباء، فكأنه قال: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، يعني إذا كان عليه خفان، وقد ثبت ذلك بالسنة. ويقال: صار كسراً بالمجاورة كما قال في آية أخرى {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة: 22] قرأ بعضهم بالكسر بالمجاورة، فهذه الأربعة التي ذكرت في الآية من فرائض الوضوء، وما سوى ذلك آداب وسنن. فإن قيل: الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعاً أو بإحداهما؟ قيل له: هذا على وجهين: إن كان لكل قراءة معنى غير المعنى الآخر، فالله تعالى قال بهما جميعاً، وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين، وإن كانت القراءتان معناهما واحد، فالله تعالى قال لإحداهما، ولكنه رخص بأن يقرأ بهما جميعاً.

ثم قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فاطهروا} قد يوصف الجمع بصفة الواحد كقوله {وَإِن كُنتُمْ جُنُباً} وكقوله: {وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذلك ظَهِيرٌ} قوله: {فاطهروا} معناه فتطهروا إلا أن التاء أدغمت في الطاء لأنهما من مكان واحد فإذا، أدغمت فيها سكن أول الكلمة وزيدت ألف الوصل للابتداء. ثم قال: {وَإِنْ كُنتُم مرضى أَوْ على سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مّنْكُمْ مّن الغائط أَوْ لامستم النساء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ} يعني من الصعيد. ثم قال: {مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مّنْ حَرَجٍ} يقول: لا يكلفكم في دينكم من ضيق {ولكن يُرِيدُ لِيُطَهّرَكُمْ} يعني: يطهركم من الأحداث والجنابة {وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} بما أنعم من الرخص {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لكي تشكروا الله لما رخص لكم ولم يضيق عليكم.

قوله تعالى: {واذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} يقول: احفظوا منن الله عليكم بإقراركم بوحدانية الله تعالى {وميثاقه الذى وَاثَقَكُم بِهِ} يعني يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بنى ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ على أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بلى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين} [الأعراف: 172] هكذا قال في رواية الكلبي ومقاتل والضحاك. وقال بعضهم: هو الميثاق الجبلة والإدراك، فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق، وشهدت له خلقته وجبلته فصار ذلك كالإقرار منه، ثم قال {إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} يوم الميثاق، قلتم سمعنا قولك يا ربنا وأطعنا أمرك.

ثم قال: {واتقوا الله} في نقض العهد والميثاق {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور}، يعني: عالم بسرائركم. ثم قال: {الصدور يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بالقسط} يعني قوالين بالحق. ثم قال: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى * أَن لا ****تَعْدِلُواْ} وذلك أن الله تعالى لما فتح على المسلمين مكة، أمر الله المسلمين أن لا يكافئوهم بما سلف، وأن يعدلوا في القول والحكم والنصفة. وذلك قوله {اعدلوا} يعني قولوا الحق والعدل {هُوَ أَقْرَبُ للتقوى} يعني فإنه أقرب للطاعة. ثم قال: {واتقوا الله} يقول: واخشوا الله بما أمركم به {إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الطاعة وغيره.

ثم بيّن ثواب من عمل بطاعته فقال: {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني الطاعات {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} يعني ثواب عظيم في الجنة. ويقال: إن أهل مكة قالوا بعدما أسلموا: ما لنا في الآخرة وقد أخرجناك وأصحابك. فقالوا: وعد الله الذين آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات بعد الإسلام لهم مغفرة لما فعلوا في حال الشرك وأجر عظيم في الآخرة. ثم قال: {والذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بآياتنا} يعني: جحدوا وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وماتوا على ذلك {أولئك أصحاب الجحيم} يعني مقيمين فيها أبداً. وقوله تعالى: {الجحيم يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وصالح بني قريظة وبني النضير، وهما قبيلتان بقرب المدينة، وأخذ منهم الميثاق بأن لا يكون بينهم القتال، وأن يتعاونوا فيما بينهم على الديات، فدخل مستأمنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا من عنده فقتلهما «عمرو بن أمية الضمري»، ولم يعلم بأنهما مستأمنان، فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية حُرَّين مسلمين، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وعلي إلى بني النضير ليستعين بهم في ديتهما، فقالوا: مرحباً حتى نستأذن إخواننا من بني قريظة. وقال في رواية الكلبي: خرج إلى بني قريظة فقالوا: حتى نستأذن إخواننا من بني النضير، وأدخلوهم داراً وأجلسوهم في صفّة، وجعلوا يجمعون السلاح، وهموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا ينتظرون كعب بن الأشرف وكان غائباً، فنزل جبريل وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة وخرج، فلما أبطأ الرجوع قام أبو بكر فخرج، ثم خرج عمر، ثم خرج علي رضي الله عنهم فنزلت هذه الآية: {الجحيم يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَةَ الله

عَلَيْكُمْ} {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} يقول: أرادوا وتمنوا أن يمدوا أيديهم إليكم بالقتل {فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} بالمنع.

قال الفقيه أبو الليث: حدّثنا أبو جعفر، قال: حدّثنا علي بن أحمد، قال: حدّثنا نصير بن يحيى، قال: حدّثنا أبو سليمان، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى بني النضير ليستعين بهم في دية الكافرَيْن اللذيْن قتلهما «عمرو بن أمية الضمري»، فهمّ بنو النضير بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فسار إليهم فحاصرهم، وأمر بقطع النخيل وحاصرهم حتى قالوا: أتؤمننا على دمائنا وذرارينا وعلى ما حملت الإبل إلا الحلقة يعني السلاح؟ قال: «نعم» ففتحوا الحصون، وأجلاهم إلى الشام. فهذا الخبر موافق رواية مقاتل أنه خرج إلى بني النضير. وقال الضحاك: كان سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة إلى البقيع إلى قبور الشهداء وحده، فأتاه رجل من اليهود شديد محارب، فقال: إن كنت نبياً كما تزعم فأعطني سيفك هذا، فإن الأنبياء لا يبخلون، فأعطاه سيفه فشهر اليهودي السيف وهزه ليضربه به. فلم يجترئ للرعب الذي قذفه الله تعالى في قلبه، ثم ردّ عليه السيف فنزل: {الجحيم يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} ثم قال: {واتقوا الله وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} ففي الآية مضمر، فكأنه قال: فاتقوا الله وتوكلوا على الله، {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويثقوا بالنصر لهم.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)}

{وَلَقَدْ أَخَذَ الله ميثاق بَنِى إسراءيل} يعني في التوراة من الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه وأن يعملوا بما في التوراة، ثم قال: {وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثنى عَشَرَ نَقِيباً} قال مقاتل: يعني شهداء على قومهم، بعث الله تعالى من كل سِبْطٍ منهم رجلاً ليأخذ كل رجل منهم على سبطه الميثاق، يكونوا شهداء على قومهم. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد {وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثنى

عَشَرَ نَقِيباً} قال: من كل سبط من بني إسرائيل رجلاً، أرسلهم موسى عليه السلام إلى الجبارين، فوجدوهم يدخل في كُمِّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبة منه خمسة أنفس أو أربعة، فرجع النقباء كلهم ينهون سبطهم عن القتال إلا يوشع بن نون، وكالب بن يافن، ويقال كالوب بن يوقنا، أمرا قومهما بالقتال. وقال القتبي: النقيب الكفيل على القوم، والنقابة والنكابة شبه العرافة. ويقال: نقيباً يعني أميناً. وقال ابن عباس: نقيباً يعني ملكاً، حين بعثهم موسى إلى بيت المقدس جعل موسى عليه السلام عليهم اثني عشر ملكاً، على كل سبط منهم ملك {قَالَ الله} تعالى للنقباء: {إِنّى مَعَكُمْ} ويقال: قال الله لبني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق في التوراة: {إِنّى مَعَكُمْ} أي معينكم وحافظكم وناصركم {لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصلاة} يعني: ما دمتم أقمتم الصَّلاة {وَلَقَدْ أَخَذَ الله ميثاق} يعني: صدقتم برسلي {وَعَزَّرْتُمُوهُمْ} يعني: أعنتموهم. وقال القتبي: أي عظمتموهم والتعزير التعظيم. وقال السدي: يعني نصرتموهم بالسيف. وقال الأخفش: يعني وقَّرتموهم وقَوَّيتموهم. وقال الضحاك: شرفتموهم بالنبوة كما شرفهم الله تعالى. ويقال: آمنتم برسلي أي أمرتم قومكم، حتى يؤمنوا برسلي ونصرتموهم {وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضاً حَسَناً} أي تأمرون قومكم بذلك.

ثم بيّن جزاءهم وثوابهم إن فعلوا ذلك فقال: {لاكَفّرَنَّ} أي لأمحونَّ {عَنْكُمْ سيئاتكم} يعني ذنوبكم {وَلاَدْخِلَنَّكُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} ثم قال: {فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك} العهد والميثاق {مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السبيل} يعني أخطأ قصد الطريق. ثم قال عز وجل: {فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم} يعني لما أخذ عليهم الميثاق نقضوا الميثاق، فبنقضهم ميثاقهم {لعناهم} أي لعنهم الله، يعني طردهم من رحمته. ويقال: {لعناهم} يعني عذبناهم بالمسخ. ويقال: بالجزية. ثم قال: {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} يعني يابسة، ويقال: خالية عن حلاوة الإيمان. قرأ حمزة والكسائي {قسية} بغير ألف، وقرأ الباقون {قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} ومعناهما واحد ويقال: قست فهي قاسية وقسية. ثم قال: {يُحَرّفُونَ الكلم} والكلم جمع كلمة، يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم {عَن مواضعه} يعني في كتابهم مما وافق القرآن، يعني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم، ويقال: استحلوا ما حرم الله تعالى عليهم ولم يعملوا به، فكان ذلك تغيير الكلم عن مواضعه.

ثم قال: {وَنَسُواْ حَظَّا} يعني تركوا نصيباً {مّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ} يعني مما أمروا به في كتابهم {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ على خَائِنَةٍ مّنْهُمْ} يعني لا يزال يظهر لك منهم الخيانة ونقض العهد.

وقال القتبي عن أبي عبيدة: إن العرب تضع لفظ الفاعل في موضع المصدر، كقولهم للخوان مائدة، وإنما يميد بهم ما في الخوان فيجوز أن يكون الهاء صفة للخائن، كما يقال رجل طاغية وراوية للحديث. ثم قال: {إِلاَّ قَلِيلاً مّنْهُمُ} يعني: مؤمنيهم لم ينقضوا العهد {فاعف عَنْهُمْ} يعني اتركهم ولا تعاقبهم {واصفح} عنهم يعني: أعرض عنهم {إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} الذين يعفون عن الناس، وهذا قبل الأمر بقتال أهل الكتابين. قوله

تعالى: {وَمِنَ الذين قَالُواْ إِنَّا نصارى} وذلك أن الله تعالى لما ذكر حال اليهود ونقضهم الميثاق، فقال على أثر ذلك إن النصارى لم يكونوا أحسن معاملة من اليهود، ثم بيّن معاملتهم فقال: {وَمِنَ الذين قَالُواْ إِنَّا نصارى} {أَخَذْنَا ميثاقهم} في الإنجيل، بأن يتبعوا قول محمد صلى الله عليه وسلم {فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ} يعني تركوا نصيباً مما أمروا به في الإنجيل من اتباع قول محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال: نقضوا العهد كما نقض اليهود، ويقال إنما سموا أنفسهم النصارى لأنهم نزلوا قرية يقال لها «ناصرة»، نزل فيها عيسى عليه السلام فنزلوا هناك وتواثقوا بينهم، ويقال: إنما سموا النصارى لقول عيسى: {فَلَمَّآ أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكفر قَالَ مَنْ أنصارى إِلَى الله قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله ءَامَنَّا بالله واشهد بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 52].

ثم قال: {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العداوة} يعني ألقينا بينهم العداوة {والبغضاء} ويقال: الإغراء في أصل اللغة الإلصاق، يقال: أغريت الرجل إغراءً إذا ألصقت به. ويقال: إن أصل العداوة التي كانت بينهم ألقاها إنسان يقال له «بولس»، كان بينه وبين النصارى قتال، وكان يهودياً فقتل منهم خلقاً كثيراً، فأراد أن يحتال بحيلة يلقي بينهم القتال ليقتل بعضهم بعضاً، فجاء إلى النصارى، وجعل نفسه، أعور وقال لهم: أتعرفوني؟ فقالوا: أنت الذي قتلت منا وفعلت ما فعلت، فقال: قد فعلت ذلك كله وأنا تائب، لأني رأيت عيسى ابن مريم في المنام نزل من السماء، فلطم وجهي لطمة وفقأ عيني. فقال: أي شيء تريد من قومي؟ فتبت على يده، وإنما جئتكم لأكون بين ظهرانيكم، وأعلمكم شرائع دينكم، كما علمني عيسى في المنام فاتخذوا له غرفة، فصعد تلك الغرفة وفتح كوة إلى الناس في الحائط، وكان يتعبد في الغرفة، وربما كانوا يجتمعون إليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة، وربما يأمرهم حتى يجتمعوا ويناديهم من تلك الكوة، ويقول لهم بقول كان في الظاهر منكراً وينكرون عليه، فكان يفسر ذلك القول بتفسير يعجبهم ذلك، فانقادوا كلهم له وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به.

فقال لهم يوماً من الأيام: اجتمعوا قد حضرني علم، فاجتمعوا، فقال لهم: أليس قد خلق الله تعالى هذه الأشياء في الدنيا كلها لمنفعة بني آدم؟ قالوا: نعم، فقال لم تحرمون على أنفسكم هذه الأشياء؟ يعني الخمر والخنزير وقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً، فأخذوا بقوله واستحلوا الخمر والخنزير، فلما مضى على ذلك أيام دعاهم وقال: حضرني علم. فاجتمعوا وقال لهم: من أي ناحية تطلع الشمس؟ فقالوا: من قبل المشرق. فقال: ومن أي ناحية يطلع القمر والنجوم؟ فقالوا: من قبل المشرق. فقال: ومن يرسلهم من قبل المشرق؟ قالوا: الله تعالى: فقال: فاعلموا أنه من قبل المشرق فإن صليتم له فصلوا إليه، فحول صلاتهم إلى المشرق، فلما مضى على ذلك أيام دعا طائفةً منهم وأمرهم بأن يدخلوا عليه في الغرفة. وقال لهم: إني أريد أن أجعل نفسي الليلة قرباناً لأجل عيسى، وقد حضرني علم وأريد أن أخبركم في السر لتحفظوا عني وتدعوا الناس إلى ذلك. ويقال أيضاً إنه أصبح يوماً وفتح عينه الأخرى ثم دعاهم وقال لهم: جاءني عيسى الليلة، وقال: قد رضيت عنك، فمسح يده على عيني فبرئت، فالآن أريد أن أجعل نفسي قرباناً. ثم قال

لهم: هل يستطيع أحد أن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص إلا الله تعالى؟ فقالوا: لا. فقال: إن عيسى قد فعل هذه الأشياء، فاعلموا بأنه هو الله. فخرجوا من عنده. ثم دعا طائفة أخرى فأخبرهم بذلك أيضاً، وقال: إنه كان ابنه ثم دعا بطائفة ثالثة وأخبرهم بأنه ثالث ثلاثة، وأخبرهم بأنه يريد أن يجعل نفسه الليلة قرباناً، فلما كان في بعض الليل خرج من بين ظهرانيهم، فأصبحوا وجعلوا كل فريق منهم يقول: قد علمني كذا وكذا. وقال الفريق الآخر: أنت كاذب بل علمني كذا وكذا، فوقع بينهم القتال فاقتتلوا وقتلوا خلقاً كثيراً وبقيت العداوة بينهم {إلى يَوْمِ القيامة} وهم ثلاث فرق، فرقة بينهم النسطورية قالوا المسيح ابن الله. وصنف منهم يقال: لهم الماريعقوبية قالوا: إن الله هو المسيح. وصنف يقال لهم: الملكانية، قالوا: إن الله ثالث ثلاثة المسيح وأمه والله. فأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. ويقال: ألقى بينهم العداوة بالجدال والخصومات في الدين، وذلك يحبط الأعمال. وقال معاوية بن قرة: إياكم وهذه الخصومات في الدين، فإنها تحبط الأعمال. ثم قال: {وَسَوْفَ يُنَبّئُهُمُ الله بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} يعني: ينبئهم في الآخرة الذي هو على الحق.

ثم قال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [15- 17]

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)}

{يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا} يعني؛ محمد صلى الله عليه وسلم {يُبَيّنُ لَكُمْ كَثِيراً مّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكتاب} يعني: يكتمون ما بين في التوراة، وذلك أنهم كتموا آية الرجم وتحريم الخمر وأكل الربا ونعت محمد صلى الله عليه وسلم {وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} يعني يتجاوز عن كثير ولا يخبركم به، وذكر أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال: ما هذا الذي عفوت عنا؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين، وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه أنه لم يترك شيئاً، وقد بينه كله، فلما لم يبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من عنده وذهب، وقال لأصحابه: أرى أنه صادق فيما يقول، لأنه كان وجد في كتابه أنه لا يبين له ما سأله.

ثم قال تعالى: {قَدْ جَاءكُمْ مّنَ الله نُورٌ} يعني؛ ضياء من الضلالة، وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، والنور هو الذي يبين الأشياء ويري الأبصار حقيقتها، فيسمى القرآن

نوراً لأنه يقع في القلوب مثل النور، لأنه إذا وقع في قلبه يبصر به. ثم قال: {وكتاب مُّبِينٌ} يعني القرآن يبين لكم الحق من الباطل. قوله تعالى: {يَهْدِى بِهِ الله} يعني بالقرآن {مَنِ اتبع رِضْوَانَهُ} يعني مَنْ طلب الحق ورغب فيه {سُبُلَ السلام} يعني دين الله الإسلام، والسبل جماعة السبيل وهو الطريق، يعني به طريق الهدى، والسلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، يعني هو دين الله تعالى. ثم قال {وَيُخْرِجُهُمْ مّنِ الظلمات إِلَى النور بِإِذْنِهِ} يعني يخرج من قلوبهم حلاوة الكفر، ويدخل فيها حلاوة الإيمان ويوفقهم لذلك {وَيَهْدِيهِمْ إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني يوفقهم إلى دين الإسلام.

قوله تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله هُوَ المسيح ابن مَرْيَمَ} ثم قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئاً} يقول من يقدر أن يمنع من عذاب الله شيئاً {إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ المسيح ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الارض جَمِيعاً} يعني: لو أراد الله أن يهلك عيسى وأمه وجميع الخلق، ولا يقدر عيسى على ردّ ذلك، فكيف يكون إلهاً وهو لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه. ثم قال: {وَللَّهِ مُلْكُ *** السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} يعني خزائن السموات والأرض، وجميع الخلق عبيده وإماؤه وحكمه نافذ فيهم. ثم قال: {يَخْلُقُ مَا يَشَاء} لأن نصارى أهل نجران كانوا يقولون: لو كان عيسى بشراً كان له أب، فأخبر الله تعالى على أنه قادر على أن يخلق خلقاً بغير أب {والله على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} من خلق عيسى وغيره.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [18- 19]

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)}

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وأَحِبَّاؤُه} يعني: نحن من الله تعالى بمنزلة الأبناء من الآباء في المنزلة والكرامة، والوالد إذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت آخر. ويقال: معناه نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ فَلِمَ يُعَذّبُكُم بِذُنُوبِكُم} يعني يحرقكم لأنهم كانوا مقرّين بأنه يحرقهم أربعين يوماً أياماً معدودة، قل لهم فهل رأيتم والداً يحرق ولده أو يحرق مُحِبَّه؟ ففي الآية دليل أن الله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه، ولا يعذبه بذنوبه، لأنه احتج عليهم فقال: {فَلِمَ يُعَذّبُكُم} إن كنتم أحباء الله تعالى، وقال في آية أخرى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيض قُلْ هُوَ أَذًى فاعتزلوا النساء فِي المحيض وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله إِنَّ الله يُحِبُّ التوابين وَيُحِبُّ المتطهرين} [البقرة: 222] ففيه دليل على

أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم، ولا المجاهدين الذين يجاهدون لقوله تعالى: {إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بنيان مَّرْصُوصٌ} [الصف: 4] ثم قال: {بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ} يعني أنتم لستم بأبناء الله ولا أحبائه، ولكن أنتم خلق كسائر خلق الله تعالى. ثم قال: {يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء} أي يتجاوز عمن يشاء فيهديه لدينه {وَيُعَذّبُ مَن يَشَاء} فيهينه ويتركه على الكفر {وَللَّهِ مُلْكُ السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الخلق {وَإِلَيْهِ المصير} يعني إليه المرجع، فيجزيهم بأعمالهم.

قوله تعالى: {مّنْ أَهْلِ الكتاب} يعني يا أهل التوراة والإنجيل، وإنما أضافهم إلى الكتاب والله أعلم على وجه التعيير، يعني أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم؟ كقوله: يا عاقل لم لا تفعل كذا وكذا، وإنما تذكر العقل على معنى التعيير أي إنك لا تعمل عمل العقلاء. ثم قال: {قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا} يعني محمداً صلى الله عليه وسلم {يُبَيّنُ لَكُمْ} الدين والأحكام والشرائع {على فَتْرَةٍ مّنَ الرسل} يعني بعد انقطاع من الرسل والوحي. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، معناه قد جاءكم رسولنا على فترة من الرسل يبين لكم، وإنما سمي فترة لأن الدين يفتر ويندرس عند انقطاع الرسل، يعني بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال قتادة: كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة. وقال الكلبي: خمسمائة وأربعون سنة. وقال الضحاك ومقاتل: كان بينهما ستمائة سنة. وقال وهب: كان بينهما ستمائة وعشرون سنة. ثم قال: {أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ} يعني لكي لا تقولوا: ما جاءنا من رسول بعد ما درس الدين ليبشرنا وينذرنا {فَقَدْ جَاءكُمْ} محمد صلى الله عليه وسلم {بَشِيرٍ} بالجنة {وَنَذِيرٌ} من النار {والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ} من المغفرة والعذاب وبعث الرسل.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 26]

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)}

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ: ياقوم اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} يعني: احفظوا منة الله عليكم ونعمته {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء} قال في رواية الكلبي: يعني السبعين سوى موسى وهارون عليهما السلام، وهم الذين اختارهم موسى فانطلقوا معه إلى الجبل. ويقال: {إِذْ

جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء} يعني في بني إسرائيل، فكان فيهم أربعة آلاف نبي عليهم السلام ثم قال: {وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً} يعني: بعد العبودية لفرعون. قال ابن عباس: إن الرجل إذا لم يدخل عليه أحد في بيته إلا بإذنه فهو ملك. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: {وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً} أي جعل لكم أزواجاً وخدماً وبيوتاً وبنين. ويقال: من استغنى عن غيره فهو ملك. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ وَلَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» ثم قال: {وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ ياقوم اذكروا نِعْمَةَ} يعني أعطاكم ما لم يعط أحداً من الخلق، وهو: المن والسلوى والغمام وغير ذلك.

ثم قال عز وجل: {العالمين يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأرْضَ المُقَدَّسَةَ} يعني المطهرة، والمقدسة في اللغة هو المكان الذي يتطهر فيه، فتأويله البيت الذي يتطهر فيه الإنسان من الذنوب. ثم قال: {الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} يعني التي أمركم الله أن تدخلوها. ويقال: التي وعد لإبراهيم أن يكون ذلك له ولذريته، وذلك أن الله وعد لإبراهيم أن يكون له مقدار ما يمد بصره فصار ذلك ميراثاً منه حين خرج إبراهيم عليه السلام فقال له جبريل: انظر يا إبراهيم. فنظر فقال: يعطي الله تعالى لك ولذريتك مقدار مد بصرك من الملك. وهي أرض فلسطين وأردن وما حولهما. فقال موسى لقومه: {ادْخُلُوا الأرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} يعني التي جعل لأبيكم إبراهيم عليه السلام ولكم ميراث منه

وقال القتبي: أصل الكتاب ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ، ثم يتفرع منه المعاني. ويقال: كتب يعني قضى كما قال: {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مولانا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} [التوبة: 51] ويقال: كتب أي فرض كما قال: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيام} أي فرض ويقال: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ} أي جعل كما قال: {فاكتبنا مَعَ الشاهدين} ويقال: كتب أي أمر. كما قال: {ادْخُلُوا الأرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} يعني أمر الله لكم بدخولها. قال: ويقال كتب هاهنا بمعنى جعل. ثم قال تعالى: {وَلاَ تَرْتَدُّوا على أدباركم} يعني لا ترجعوا عما أمرتم به من الدخول {فَتَنقَلِبُواْ} أي فتصيروا {خاسرين} بفوات الدرجات ووجوب الدركات، أي مغبونين في العقوبة، فبعث موسى عليه السلام اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً يأتيهم بخبر الجبارين، فلما أتوهم لقيهم بعض أصحاب تلك المدينة جاؤوا وأخذوا أصحاب موسى، فجعل كل رجل رجلين من أصحاب موسى عليه السلام في كمه، حتى جاؤوا بهم إلى الملك.

ويقال: لقيهم رجل واحد اسمه «عوج»، فاحتملهم في ثوبه وأتى بهم حتى ألقاهم بين يدي الملك؛ فنظر إليهم وقال: هؤلاء يريدون أن يأخذوا مدينتنا. فأراد قتلهم فقالت امرأته: أيش تصنع بقتل هؤلاء الضعفاء؟ ويكفيهم ما رأوا من أمر القوم وأمر هذه البلدة. فأنعِم عليهم ودعهم حتى يرجعوا ويذهبوا إلى موسى وقومه بالخبر، فأرسلهم الملك وأعطاهم عنقوداً من العنب فحملوه على عمودين، فرجعوا إلى موسى عليه السلام وقالوا فيما بينهم: لا تخبروا قوم موسى بهذا الخبر، فإنهم يجبنون عن القتال، والله تعالى قد وعد لموسى بأن

يفتح عليهم هذه البلدة، ولا تخبروا أحداً سوى موسى. فلما رجعوا أخبروا بخبرهم إلا اثنين منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا.

فلما أمر موسى قومه بدخول البلدة {قَالُواْ يَا موسى أَنِ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ} قال مقاتل: يعني طول كل رجل منهم ستة أذرع ونصف. وقال الكلبي: طول كل رجل منهم ثمانون ذراعاً. وقال الزجاج: الجبار من الآدميين العاتي، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد. ثم قال تعالى: {وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حتى يَخْرُجُواْ مِنْهَا} يعني من تلك البلدة، وهي الأرض المقدسة واسمها إيلياء. ويقال مدينة أخرى يقال لها أريحا {فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا داخلون} {قَالَ رَجُلاَنِ} يعني يوشع بن نون وكالب {مِنَ الذين يَخَافُونَ} الله تعالى {أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا} بالإسلام، ويقال من الذين يخافون الجبارين {أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا} فلم يخافا وصدقا في مقالتهما {ادخلوا عَلَيْهِمُ الباب} وهي أريحا أو إيلياء {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالبون} يعني أن القوم إذا رأوا كثرتكم انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم، فتكونوا غالبين {وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُواْ} يعني فثقوا بأنه ناصركم {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين بوعد الله تعالى، فقال لهم موسى: ادخلوا عليهم {قَالُواْ يَا موسى} أتصدق اثنين وتكذب العشرة {إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا} يعني: قل لربك أن ينصرك عليهم كما نصرك على فرعون. وقال أبو عبيدة: يعني اذهب فقاتل وليقاتل معك ربك، وليتم أمرك كما أتم قبل ذلك فهو يعينك، فإنا لا نستطيع قتال الجبابرة. ويقال: {اذهب أَنتَ وَرَبُّكَ} يعني أنت وسيدك هارون، لأن هارون كان أكبر منه بسنتين أو بثلاث سنين {فَقَاتِلا إِنَّا هاهنا قاعدون} فغضب موسى عليه السلام من قولهم {قَالَ رَبّ إِنّى لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى} هارون.

وقال الزجاج: {لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى} يحتمل معنيين، أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. ويحتمل: لا أملك إلا نفسي وأخي، لأن أخاه كان مطيعاً له فهو يملك طاعته. ثم قال: {فافرق بَيْنَنَا وَبَيْنَ القوم الفاسقين} يعني: اقضِ بيننا وبين القوم العاصين.

ثم قَالَ الله تعالى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} يعني الأرض المقدسة، دخولها محرم عليهم {أَرْبَعِينَ سَنَةً} ثم قال: {يَتِيهُونَ فِى الارض} ضلالاً يعني: يتحيرون فيها ولا يعرفون وجه الخروج منها ضلالاً في التيه. ويقال: فإنها محرمة عليهم، وتم الكلام. ثم قال أربعين سنة يتيهون في الأرض، فعمي عليهم السبيل، فحبسهم بالنهار وسيّرهم بالليل، يسهرون ليلتهم ويصبحون حيث أمسوا، وكان التيه بين فلسطين وأيلة ست فراسخ في اثني عشر فرسخاً، فمكثوا فيها أربعين سنة لم يقدروا على الخروج منها. قال بعضهم: لم يكن موسى وهارون عليهما السلام في التيه، لأن الأنبياء لا يعذبون وقال بعضهم: كانا فيه وسهل الله تعالى عليهما كما سهل على إبراهيم عليه السلام النار، وجعلها برداً وسلاماً. ويقال: إن موسى وهارون قد ماتا في التيه، وهلكت تلك العصابة ولم يبقَ منهم إلا يوشع وكالب، فخرج يوشع بذرياتهم إلى تلك المدينة، وفتحوها عند

غروب الشمس. وذكر في الخبر أن يوشع دعا بأن ترد الشمس فردت ثلاث ساعات حتى فتحوا البلدة، فاختلفت النجوم عن مجاريها من ذلك اليوم، فخفي على المنجمين، فلما بقوا في التيه ندم موسى على دعائه، فأوحى الله تعالى إليه {فَلاَ تَأْسَ عَلَى القوم الفاسقين} يعني لا تحزن على قوم سميتهم فاسقين. وقال بعضهم: هذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا. ويقال: {أَرْبَعِينَ سَنَةً} صار نصباً بمعنى يتيهون لأن في التفسير، إن دخلوها لم يكن محرم عليهم أبداً. كذا قاله ابن عباس رضي الله عنه. وإنما دخلها أولادهم. وقال قوم: حرمت أربعين سنة فكانوا يتيهون أربعين سنة وفتحوا.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [27- 31]

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)}

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ} يعني اقرأ على قومك {نَبَأَ} يعني خبر {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ} يعني بالصدق {إِذْ قَرَّبَا قربانا} وذلك أن حواء عليها السلام ولدت غلاماً وجارية في بطن واحد، قابيل وأخته إقليما، ثم ولدت في بطن آخر هابيل وأخته ليوذا، فلما كبروا أمر الله تعالى بأن يزوج كل واحد منهما أخت صاحبه، وكانت أخت قابيل أحسن، فأبى قابيل وقال: بل زوج كل واحد منا أخته، فقال آدم: إن الله تعالى أمرني بذلك. فقال له قابيل: إن الله تعالى لم يأمرك بهذا، ولكنك تميل إلى هابيل. فأمرهما بأن قربا قرباناً، فأيكما تقبل قربانه كان أحق بها، فعمد قابيل وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ووضعه عند الجبل، وعمد قابيل وكان صاحب مواشي إلى خير غنمه فوضعها عند الجبل، وكان قابيل يضمر في قلبه أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل لا يسلم إليه أخته، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وتركت قربان قابيل فذلك قوله: {إِذْ قَرَّبَا قربانا} يعني وضعا قرباناً. {فَتُقُبّلَ مِن أَحَدِهِمَا} يعني هابيل {وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الاخر} يعني قابيل ف {قَالَ} قابيل لهابيل {لاَقْتُلَنَّكَ قَالَ} ولم؟ قال: لأن الله قد قبل قربانك ورد عليّ قرباني. فقال له هابيل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المتقين} ولم يكن الذنب مني، وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك. وقال بعض الحكماء: العاقل من يخاف على حسناته، لأن الله تعالى قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المتقين} والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال: {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ الله فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلاَّ القوم الخاسرون} [الأعراف: 99].

قوله تعالى: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ} يعني هابيل قال لقابيل: لئن مددت إليَّ يدك {لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لاِقْتُلَكَ إِنّى أَخَافُ الله رَبَّ العالمين} ثم قال: {إِنّى أُرِيدُ أَن تَبُوء بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ} يعني: إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني بقتلك إياي وبإثمك الذي عملت قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره. ويقال: إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني أن لا أبسط يدي إليك لترجع أنت بإثمي وإثمك، ولا يكون عليَّ من الإثم شيء. ويقال: معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك. {فَتَكُونَ مِنْ أصحاب النار} يعني لكي لا يكون من أصحاب النار {وَذَلِكَ جَزَاء الظالمين}. قال الله تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ} يعني تابعت له نفسه على قتل أخيه ويقال: انقادت له طاعة نفسه. وقال: قتادة زينت له نفسه بقتل أخيه {فَقَتَلَهُ} قال بعضهم: إنه كان لا يدري كيف يقتله، حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين، فأخذ أحدهما حجراً ولم يزل يضرب الآخر حتى قتله، فتعلم ذلك منه وقال بعضهم: بل كان يعرف ذلك بطبعه، لأن الإنسان وإن لم ير القتل فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية، ويمكن إتلافها فأخذ حجراً وقتله بأرض الهند، فلما رجع إلى آدم قال له: ما فعلت بهابيل؟ فقال له قابيل: أجعلتني رقيباً على هابيل؟ فذهب حيث يشاء فبات آدم تلك الليلة محزوناً، فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضع الذي قتله، فرأى غراباً وقال بعضهم: كان يحمله على عاتقه أياماً لا يدري ما يصنع به حتى رأى غراباً ميتاً، فجاء غراب آخر وبحث التراب برجليه ودفن الغراب الميت في التراب، فذلك قوله تعالى فقتله {فَأَصْبَحَ مِنَ الخاسرين} يعني فصار من المغبونين في العقوبة.

قوله تعالى: {فَبَعَثَ الله غُرَاباً يَبْحَثُ فِى الارض} وقابيل ينظر إليه. وقال القتبي: هذا من الاختصار، ومعناه بعث غراباً يبحث التراب على غراب الميت {لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْأَةَ أَخِيهِ} يعني كيف يغطي عورة أخيه {قَالَ} قابيل عند ذلك: {قَالَ ياويلتا أَعَجَزْتُ} يعني أضعفت في الحيلة {أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذا الغراب فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي} يعني فأغطي عورة أخي {فَأَصْبَحَ مِنَ النادمين} على حمله حيث لم يدفنه حين قتله. قال ابن عباس: ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه. ويقال: إن آدم وحواء أتيا قبره وبكيا أياماً عليه، ثم إن قابيل كان على ذروة جبل، فنطحه ثور فوقع على السفح فتفرقت عروقه. ويقال: دعا عليه آدم فانخسفت به الأرض. وقال مقاتل: كان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم، فلما قتل قابيل أخاه هربوا فحلقت الطيور بالهواء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض، فتزوج شيث عليه السلام بإقليما. وروي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ» وقال بعضهم: هذه القصة كانت في بني إسرائيل، وهما أخوان قتل أحدهما الآخر، ولكن هذا خلاف قول المفسرين.

قال الله تعالى:

تفسير الآيات رقم [32- 34]

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)}

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ} يعني من أجل خيانة ابن آدم حين قتل أخاه {كَتَبْنَا} يعني فرضنا {على بَنِى إسراءيل} وغلّظنا وشدّدنا في التوراة {أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ} يعني قتل نفساً بغير أن يقتل نفساً {أَوْ فَسَادٍ فِى الارض} يعني بغير فساد في الأرض، وهو الشرك بالله {فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الناس جَمِيعاً} يعني إذا قتل نفساً بغير جرم واستحل قتله، فكأنه قتل الناس جميعاً، يعني إذا قتل نفساً فجزاؤه جهنم خالداً فيها. ثم قال: {وَمَنْ أحياها} يعني نجّاها من غرق أو حرق أو يعفو عن القتل {فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} يعني: له من الأجر كأنما أحيا الناس جميعاً، لأن في حياة نفس واحدة يكون منفعة لجميع الناس، لأنه يدعو لجميع الخلق. ثم قال: {وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بالبينات} يعني بالبيان في الأمر والنهي {ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مّنْهُمْ بَعْدَ ذلك} البيان {فِى الارض لَمُسْرِفُونَ} يعني: لمشركون تاركون لأمر الله تعالى.

قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الذين يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ} إن للتأكيد، وما صلة يحاربون الله ورسوله، يعني يخالفون الله ورسوله، ويتركون أمر الله وأمر رسوله مجاهرة وعياناً {وَيَسْعَوْنَ فِى الارض فَسَاداً} بالقتل وأخذ المال {أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ} قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سبعة نفر من بني عرينة، قدموا المدينة فاجتووها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِنَا وَأَصَبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا» ففعلوا، فصحوا، ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وساروا بالإبل وارتدوا عن الإسلام، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم علياً، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرّة حتى ماتوا. وهذا قبل أن تنزل آية الحدود. وروى أسباط عن السدي قال: نزلت في سودان عرينة، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يمثل بهم فنهاه الله تعالى عن ذلك، وأمره أن يقيم فيهم الحد الذي أنزل عليه. وقال سعيد بن جبير إنه مثل بهم ثم نزل بعد ذلك: {إِنَّمَا جَزَاء الذين يُحَارِبُونَ الله} الآية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بردة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين فهو آمن، ومن أتى المسلمين منهم فهو آمن، فمر أناس من بني كنانة يريدون الإسلام، فمروا بأصحاب أبي بردة ولم يكن أبو بردة حاضراً

يومئذٍ، فخرج أصحابه إليهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم فنزلت هذه الآية: {إِنَّمَا جَزَاء الذين يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ} الآية. ثم صارت الآية عامة في جميع الناس.

واختلف العلماء في حكمهم وهم قطاع الطريق وهم ثلاثة أصناف: صنف يأخذ المال ولا يقتل، وصنف يأخذ المال ويقتل، وصنف يقتل ولا يأخذ المال. قال بعضهم: إذا وجد من إنسان صنف من هذه الأصناف، فللإمام أن يقيم عليه أي عقوبات شاء، لأن الله تعالى قال: {أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ} فقد خُيِّرَ في عقوبتهم، وهو قول الحسن وعطاء. وقال بعضهم: لكل صنف عقوبة على حدة، والاختيار عند أصحابنا رحمهم الله أنه إن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن قتل وأخذ المال قطع وقتل عند أبي حنيفة. وعند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله يقتل ولا يقطع. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: إن قَتَل قُتل، وإن قَتل وأخذ المال قطعَ ثم صلب. وروي عن ابن عباس نحو هذا. ويكون أو بمعنى الواو، فكأنه قال: إن يقتلوا ويصلبوا {أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مّنْ خلاف} وقال بعضهم: يقتل ثم يصلب على وجه النكال والعبرة، وقال بعضهم: يصلب حياً ثم يطعن في ليته، يخضخض حتى يموت.

قوله تعالى: {أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الارض} يعني يطلب حتى لا يجد قراراً في موضع ويقال: {يُنفَوْاْ مِنَ الارض} يعني يحبس فينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها، فصار كأنه نفي عن الأرض. واحتج هذا القائل بقول بعض أهل السجن في ذلك:

خَرَجْنَا من الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنَ اهْلِها *** فَلَسْنَا من الأمواتِ فيها ولاَ الأحْيَا

إذا جاءنَا السَّجَّان يَوْماً لِحَاجَة *** عَجِبْنَا وقلنا جَاءَ هذا من الدُّنْيَا

ويقال: ينفى إلى دار الحرب. ثم قال تعالى: {ذلك لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدنيا} يعني ذلك القتل والقطع لهم عذاب وعقوبة في الدنيا، ولا يكون ذلك كفارة لذنوبهم إن لم يتوبوا {وَلَهُمْ فِى الاخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي أشد مما كان في الدنيا، وهو عذاب النار. ثم استثنى فقال تعالى: {إِلاَّ الذين تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} يعني رجعوا عن صنيعهم قبل أن يؤخذوا ويردوا المال، فلا يعاقبون في الدنيا ولا في الآخرة، ويغفر الله تعالى لهم ذنوبهم وذلك قوله: {فاعلموا أَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} غفور لذنوبهم رحيم حين قبل توبتهم.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [35- 37]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37)}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله} يعني احذروا المعاصي لكي تنجوا من عذاب الله. {وابتغوا إِلَيهِ الوسيلة} يعني اطلبوا القرابة والفضيلة بالأعمال الصالحة {وجاهدوا فِى سَبِيلِهِ} يعني في طاعته. ويقال: جاهدوا العدو {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي لكي تنجوا من العقوبة وتنالوا الثواب. قوله تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الارض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القيامة} يقول: إن الكافر إذا عاين العذاب ثم تكون له الدنيا جميعاً ومثلها معها فيقدر على أن يفتدي بها، من العذاب لافتدى بها يقول الله تعالى: لو كان ذلك لهم ففعلوه {مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ} ذلك النداء {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي وجيع.

ثم قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النار وَمَا هُم بخارجين مِنْهَا} وذلك أنهم يريدون أن يخرجوا من الأبواب، فتستقبلهم الملائكة فيضربونهم بمقامع من حديد ويردونهم إليها {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} دائم أبداً. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن قوماً يخرجون من النار بعدما يدخلونها، قيل له: سبحان الله أليس الله يقول: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النار وَمَا هُم بخارجين مِنْهَا}؟ فقال جابر: اقرؤوا إن شئتم أول الآية {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني هذا للكفار خاصة دون العاصين من المؤمنين.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [38- 39]

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39)}

{وَالسَّارِقُ والسَّارِقَةُ} بدأ بالرجل لأن السرقة في الرجال أكثر، وقال في الزنى: {الزانية والزانى} بدأ بالنساء، لأن الزنى في النساء أكثر، وهنَّ الفاتنات للرجال {فاقطعوا أَيْدِيَهُمَا}. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: «فاقطعوا أيمانيهما» وغيره قرأ أيديهما، واتفقوا أن المراد به اليمين من الكرسوع، نزلت الآية في «طعْمَة بن أبَيْرق»، ثم صارت الآية عامة في جميع السُّرَّاق.

وقال بعضهم: إذا سرق قليلاً أو كثيراً يجب القطع، واحتج لظاهر الآية. روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لَعَنَ الله السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ " وروي عن ابن الزبير أنه قطع في نعل ثمنه درهم. وقال: لو سرق خيطاً لقطعته، وقال بعضهم: لا يقطع في أقل من ثلاثة دراهم، أو اربع دينار فصاعداً.

والاختيار عند علمائنا رحمهم الله أن اليد لا تقطع في أقلَّ من عشرة دراهم، وبه جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم. قرأ بعضهم: {والسارق والسارقة} بالنصب، وكذلك قوله: {الزانية والزانى} بالنصب، وإنما جعله نصباً لوقوع الفعل عليه، وهو شاذ من القراءة والقراءة المعروفة بالرفع.

وروي عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: رفعه بالابتداء، لأن القصد ليس إلى واحد من السراق بعينه والزناة بعينه، إنما هو كقولك من سرق فاقطعوا يده، ومن زنى فاجلدوه، ثم قال: {جَزَاء بِمَا كَسَبَا} يعني عقوبة لهما بما سرقا، {نكالا} يعني: عقوبة، {مِنَ الله} جزاء صار نصباً لأنه مفعول له يعني: جزاء بجزاء فعلهما، ثم قال: {والله عَزِيزٌ} حكم على السارق بقطع اليد، ثم قال عز وجل: {فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ} يعني: من بعد سرقته، {وَأَصْلَحَ} العمل بعد السرقة {فَإِنَّ الله يَتُوبُ عَلَيْهِ} يعني: يتجاوز عنه، {أَنَّ الله غَفُورٌ} لما سلف من ذنبه، {رَّحِيمٌ} به بعد التوبة، يعني: إذا تاب ورد المال لا تقطع يده.

ثم قال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [40- 41]

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)}

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ} يعني: خزائن السموات والأرض، يعني: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يحكم فيها ما يشاء، {يُعَذّبُ مَن يَشَاء} إذا أصرّ على ذنوبه، {وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء} إذا تاب ورجع، ومعناه: أن السارق إذا تاب، ورد المال لا يقطع ويتجاوز عنه، وإن لم يتب قطعت يده.

ألا ترى أن الله تعالى قال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض، يُعَذّبُ} إذا لم يتب ويتجاوز إذا تاب، فافعلوا أنتم مثل ذلك، لأن الله تعالى مع قدرته يتجاوز عن عباده، وهو قوله: {والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ} من المغفرة والعذاب.

قوله تعالى: {قَدِيرٌ يأَيُّهَا الرسول لاَ يَحْزُنكَ الذين يُسَارِعُونَ فِى الكفر} نزلت في شأن «أبي لبابة بن عبد المنذر»، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني قريظة

فأشار إليهم أبو لبابة، وكان حليفاً لهم، إنكم إن نزلتم من حصونكم قتلكم فلا تنزلوا، فنزلت هذه الآية: {قَدِيرٌ يأَيُّهَا الرسول لاَ يَحْزُنكَ الذين يُسَارِعُونَ فِى الكفر} أي يبادرون ويقعون في الكفر، {مِنَ الذين قَالُواْ ءامَنَّا بأفواههم} يعني ذلك بألسنتهم {وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ} في السر.

وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، كانت علانيتهم تصديقاً، وسرائرهم تكذيباً.

قوله تعالى: {وَمِنَ الذين هِادُواْ سماعون لِلْكَذِبِ} يعني: قوالون للكذب، وقال القتبي: تفسير {سماعون لِلْكَذِبِ} أي: قابلون للكذب، لأن الرجل يسمع الحق والباطل، ولكن يقال: لا تسمع من فلان قولاً، أي: لا تقبله، ومعنى آخر إنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك، لأنهم إنما جالسوه لكي يقولوا: سمعنا منه كذا وكذا، وإنما صار {سماعون} رفعاً لأن معناه: هم {سماعون لِلْكَذِبِ} من {سماعون لِلْكَذِبِ سماعون} يعني: أهل خيبر لم يأتوك، وذلك أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا فكرهوا رجمهما، فكتبوا إلى يهود بني قريظة أن يذهبوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن حكم بالجلد رضوا عنه بحكمه؛ وإن حكم بالرجم لم يقبلوا. وروى نافع عن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكروا له أن رجلاً وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ " فقالوا: يحممان ويجلدان، يعني: تُسَوَّدُ وجوههما. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة. فأتوا بها فنشروها؛ فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، وقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم.

فقالوا: صدق عبد الله بن سلام، يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما. قال ابن عمر: فرأيت الرجل يحنو على المرأة يقيها الحجارة.

وروى الشعبي عن جابر بن عبد الله أنه قال: زنى رجل من أهل فَدَك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن يسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فإن أمركم بالحد فحدوه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه، فسألوه، فدعا ابن صوريا وكان عالمهم، وكان أعور، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنشُدُكَ الله كَيفَ تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُم»؟. فقال ابن صوريا: فأما إذ ناشدتني بالله، فإنا نجد في التوراة أن النظر زنية، والاعتناق زنية؛ والقبلة زنية، فإن شهد أربعة بأنهم رأوه كالميل في المكحلة فقد وجب الرجم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هُوَ ذلك «

وروي عن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجال من اليهود، وقد تشاوروا في صاحب لهم زنى بعدما أُحْصن، قالوا: فانطلقوا فلنسأل هذا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أفتانا بفتوى فيها تخفيف، فاحتججنا عند الله تعالى بها، وإن أفتانا بما فرض الله علينا في التوراة من الرجم تركنا ذلك. فقد تركنا ذلك في التوراة

وهي أحق أن تطاع، فقالوا: يا أبا القاسم إنه زنى صاحبٌ لنا قد أحصن، فما ترى عليه من العقوبة؟. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقمنا معه، حتى أتى بيت مدراس اليهود، فوجدهم يتدارسون التوراة فقال لهم «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، أَنْشُدُكُمْ باللهِ الذي أَنْزَلَ التَّورَاة عَلَى مُوسَى عَلَيهِ السَّلاَم مَا تَجِدُونَ فِي التَّورَاةِ مِنَ العُقُوبَةِ عَلَى مَنْ زَنَى وَقَد أَحْصَنَ»؟. فقالوا: إنا نجد أن يجلد ويحمم، وسكت حبرهم وهو في جانب البيت؛ فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ينشده، فقال له حبرهم: إذا ناشدتنا فإنا نجد عليه الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَانَ أَوَّلَ مَا تَرَخَّصْتُمْ بِهِ أَمْر ِا تَعَالَى»؟، قال: إنه قد زنى رجل قد أحصن، وهو ذو قرابة لملك من ملوكنا فسجنه، وأخر عنه الحد، وزنى رجل آخر، فأراد الملك رجمه، فجاء قومه وقالوا: لا ترجمه حتى ترجم فلاناً، فاصطلحوا بينهم على عقوبة دون الرجم، وتركوا الرجم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ»، فنزل قوله تعالى: {وَمِنَ الذين هِادُواْ سماعون لِلْكَذِبِ سماعون لِقَوْمٍ ءاخَرِينَ} {لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكلم مِن بَعْدِ مواضعه}. قال الزجاج: يعني: من بعد أن وضعه الله تعالى مواضعه، وأحل حلاله وحرم حرامه.

{يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ} يعني: إن أمركم بالجلد فاقبلوه واعملوا به، {وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فاحذروا} يقولون: إن لم يوافقكم على ما تطلبون، ويأمركم بالرجم فلا تقبلوا منه.

قال الله تعالى: {وَمَن يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ} يعني: كفره، وشركه، ويقال: فضيحته، ويقال: اختباره، {فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئاً} يقول: لن تقدر أن تمنعه من عذاب الله شيئاً.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ الذين لَمْ يُرِدِ الله أَن يُطَهّرَ قُلُوبَهُمْ} من الكفر، ولم يرد أن يدخل حلاوة الإيمان في قلوبهم، وخذلهم مجازاة لكفرهم، {لَهُمْ فِى الدنيا خِزْىٌ} يعني: القتل، والسبي، والجزية، وهو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، {وَلَهُمْ فِى الاخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ} أعظم مما كان في الدنيا.

ثم قال تعالى:

تفسير الآية رقم [42]

{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)}

{سماعون لِلْكَذِبِ أكالون لِلسُّحْتِ} قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي {السحت} بضم الحاء، وقرأ الباقون بضمة واحدة، وهما لغتان السُّحُتُ والسُّحْتُ، وهو الاستئصال. يقال: أسحته وسَحَتَهُ، إذا استأصله، وكانوا يأكلون الرِّشا، وكان عاقبته الاستئصال، فسماه به كما قال: {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيراً} [النساء: 10] «أي: يأكلون ما عاقبته نار». وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ بِالسُّحْتِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "، قالوا يا رسول الله وما السحت؟ قال: " الرِّشْوَةُ فِي الحُكْمِ " وقال عليه السلام: " لَعَنَ الله الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي " وروي عن وهب بن منبه، أنه قيل له: الرشوة حرام في كل شيء؟. فقال: لا، إنما يكره من الرشوة أن ترشو لتعطى ما ليس لك، أو تدفع حقاً قد لزمك. فأما إذا أردت أن ترشو لتدفع عن دينك، ودمك، ومالك، فليس بحرام. قال الفقيه أبو الليث: وبهذا القول نأخذ لا بأس بأن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة، وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود، أنه كان بالحبشة فرشى بدينارين، وقال: إنما الإثم على القابض دون الدافع.

ثم قال: {فَإِن جَاءوكَ فاحكم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ}، يعني: أهل الكتاب إذا خاصموا إليك فأنت بالخيار، إن شئت فاحكم بينهم وإن شئت فأعرض عنهم، ولا تحكم بينهم.

ثم قال: {وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فاحكم بَيْنَهُم بالقسط} يعني: بالعدل، وهو الرجم، ولها وجه آخر، أن الصلح كان بينهم أن تكون جراحات بني قريظة نصفاً من جراحات بني النضير، وفي القتل كذلك، فأمر الله تعالى بأن يحكم بالعدل بينهم، وهو قوله عز وجل: {وَإِنْ حَكَمْتَ فاحكم بَيْنَهُم بالقسط} {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} يعني العادلين في الحكم. وروي عن عكرمة أنه قال: {فَإِن جَاءوكَ فاحكم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} نسختها آية أخرى: {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فاعلم أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الناس لفاسقون} ف ق ك ل [المائدا: 49] وقال مجاهد: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله: {فاحكم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} نسختها {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فاعلم أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الناس لفاسقون} [المائدا: 49] وقوله: {وَلاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ الله} نسختها قوله: {فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ واحصروهم واقعدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصلاة وَءاتَوُاْ الزكواة فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 5].

وقال الزهري: مضت السنة أن يرد أهل الكتاب في حقوقهم، ومواريثهم إلى أهل دينهم، إلا أن يأتوا راغبين حكم الله، فيحكم بينهم بكتاب الله تعالى، وهذا القول يوافق قول أبي حنيفة: أن لا يحكم بينهم ما لم يتراضوا بحكمنا.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [43- 44]

{وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)}

{وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ} وكيف يقرّون بحكمك، {وَعِندَهُمُ التوراة فِيهَا حُكْمُ الله} يعني: آية الرجم، وحكم الجراحات فلم يقرُّوا بها، ولا يعملوا بها.

{ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذلك} يعني: يعرضون عن العمل به من بعد ما بيّن الله في كتابهم ثم قال: {وَمَا أُوْلَئِكَ بالمؤمنين} يعني: ليسوا بمصدقين بما عندهم، وهم يقولون: نحن نؤمن بالتوراة وهم كاذبون.

ثم قال: {إِنَّا أَنزَلْنَا التوراة فِيهَا هُدًى} من الضلالة، {وَنُورٌ} يعني: بيان الشرائع والأحكام. يعني: حكم الرجم والجراحات، {يَحْكُمُ بِهَا النبيون الذين أَسْلَمُواْ} يعني: يقضي بها النبيون الذين أسلموا، يعني: صدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى عيسى، وبينهما ألف نبي. ويقال: أربعة آلاف نبي. ويقال: أكثر من ذلك، كانوا يحكمون بما في التوراة. {لِلَّذِينَ هَادُواْ} يعني: كانوا يحكمون لهم وعليهم. ويقال: يحكم بها الأنبياء من لدن موسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم بحكم التوراة.

ثم قال تعالى: {والربانيون والاحبار} قال بعضهم: الربانيون العلماء والأحبار القراء، ويقال: الربانيون الذين في العمل أكثر، وفي العلم أقل، والأحبار الذين في العلم أكثر وفي العمل أقل، مثل الفقهاء والعباد. ويقال: كالفقهاء والعلماء

وقال القتبي: كلاهما واحد وهما العلماء، {بِمَا استحفظوا مِن كتاب الله} يعني: عُلِّموا واستُودعوا من كتاب الله التوراة، {وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} بما في كتاب الله الرجم، وسائر الأحكام.

ثم قال: {فَلاَ تَخْشَوُاْ الناس} يعني: يهود أهل المدينة، لا تخشوا يهود أهل خيبر، وأخبروهم بآية الرجم، {واخشون} في كتمانه، {وَلاَ تَشْتَرُواْ بآياتي ثَمَنًا قَلِيلاً} يعني: عرضاً يسيراً.

ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله} يعني: إذا لم يقر، ولم يبيّن، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكافرون} قال ابن عباس: من يجحد شيئاً من حدود الله فقد كفر، ومن أقر ولم يحكم بها فهو فاسق. روى وكيع عن سفيان قال: قيل لحذيفة: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ

الكافرون}، نزلت في بني إسرائيل: فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم، وبنو إسرائيل كانت لكم كل حلوة، ولهم مرة. لتسلكن طريقهم قدر الشراك. يعني: هذه الآية عامة فمن جحد حكم الله فهو من الكافرين.

ثم بين الحكم الذي في التوراة فقال:

تفسير الآيات رقم [45- 47]

{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)}

{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا} يعني: فرضنا على بني إسرائيل، في التوراة {أَنَّ النفس بالنفس} إذا كان القتل عمداً، {والعين بالعين} إذا كان عمداً، {والانف بالانف} إذا كان عمداً، {والاذن بالاذن} إذا كان عمداً، {والسن بالسن} إذا كان عمداً، {والجروح قِصَاصٌ} إذا كان عمداً. وروى عكرمة عن ابن عباس: أن بني النضير كان لهم شرف على بني قريظة، وكانت جراحاتهم على النصف، فحملهم على الحق، وجعل دم القرظي والنضيري سواء. فقال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف: لا نرضى بحكمك، لأنك تريد أن تصغرنا بعداوتك. فنزل {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكافرون}، ثم صارت الآية عامة في جميع الناس في وجوب القصاص في النفس، وفي الجراحات. قرأ عاصم وحمزة ونافع {أَنَّ النفس بالنفس والعين بالعين} والحروف الست كلها بالنصب. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر كلها بالنصب، غير الجروح فإنهم يقرؤونها بالضم على معنى الابتداء. وقرأ الكسائي كلها بالضم إلا النفس.

ثم قال: {فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ} يعني: عفا عن مظلمته في الدنيا، وترك القصاص، {فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ} قال القتبي: فهو كفارة للجارح وأجر للمجروح. وقال مجاهد: كفارة للجارح، وأجر للعافي. وقال بعضهم: هو كفارة للعافي، أي يكفر الله تعالى عنه بعفوه بعض ما سلف من ذنوبه. ويقال: {كَفَّارَةٌ لَّهُ} أي للجارح، يعني: إذا ترك الولي حقه سقط القصاص عن الجارح.

وروى محرر، عن أبي هريرة، عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَتَرَكَهُ لله تَعَالَى، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ» وقال الحسن: ينادي منادٍ يوم القيامة: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من قد عفا.

ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني: يظلمون أنفسهم. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. فالذي عرض نفسه للعقوبة، فقد وضع الشيء في غير موضعه. قوله تعالى: {وَقَفَّيْنَا على ءاثارهم بِعَيسَى ابن مَرْيَمَ} يعني: اتبعنا على أثر الرسل عيسى ابن مريم عليه السلام، {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: موافقاً لما قبله، {مِنَ التوراة} يقال: إن عيسى يصدق التوراة.

ثم قال: {وَقَفَّيْنَا على ءاثارهم بِعَيسَى} من الضلالة، {وَنُورٌ} يعني: بيان الأحكام، {وَمُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التوراة}، يعني: الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع، {وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لّلْمُتَّقِينَ} الذين يتقون الشرك، والفواحش.

ثم قال: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجيل} قرأ حمزة {وَلِيَحْكُمْ} بكسر اللام ونصب الميم، وقرأ الباقون بالجزم، فمن قرأ بالكسر، فمعناه: وآتيناه الإنجيل، لكي يحكم أهل الإنجيل {بِمَا أَنزَلَ الله فِيهِ} ومن قرأ بالجزم فهو على الأمر، والمراد به الخبر عن أمر سبق لهم، يعني: أمرهم الله تعالى أن يحكموا بما في الإنجيل.

ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله} يعني: في الإنجيل وكان حكمهم العفو، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون} يعني: العاصين.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [48- 50]

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)}

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ} يعني: أنزلنا إليك يا محمد الكتاب بالحق، يعني: بيان الحق. ويقال: بالعرض والحجة، ولم ينزله بغير شيء، {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكتاب} يعني: موافقاً للتوراة، والإنجيل، والزبور، في التوحيد وفي بعض الشرائع.

ثم قال تعالى: {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} يقول شاهداً على سائر الكتب، بأن الكتاب الأول من الله تعالى ويقال: {وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ} يعني: قاضياً عليه، ويقال: ناسخاً لسائر الكتب.

وروي عن ابن عباس أنه قال: مؤتمناً على ما قبله. وقال القتبي: أميناً عليه. ويقال: ومهيمناً عليه، في معنى مؤتمن، إلا أن الهاء أبدلت من الهمزة كما يقال: هَرَقْتُ الماء، وأرَقْتُه، وإياك، وهياك.

ثم قال: {فاحكم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله} يعني: فاحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى في القرآن، {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} يعني: لا تعمل بأهوائهم ومرادهم، {عَمَّا جَاءكَ مِنَ الحق} يعني: لا تترك الحكم بما بين الله تعالى في القرآن من بيان الحق وبيان الأحكام.

ثم قال: {لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومنهاجا} يقول: جعلنا لكل نبي شريعة، والإيمان واحد، ولم يختلف الرسل في الإيمان، وإنما اختلفوا في الشرائع. قال القتبي: الشرعة والشريعة واحد، يعني: السنة والمنهاج الطريق الواضح. وقال الزجاج: الشرعة الدين، والمنهاج الطريق، وقد قيل: هما شيء واحد، وهو الطريق، ويقال: {لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومنهاجا} معناه: فرضت على كل أمة ما علمت أن صلاحهم فيه.

ثم قال: {وَلَوْ شَاء الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحدة} يعني: جعلكم على شريعة واحدة، {ولكن لّيَبْلُوَكُمْ} ليخبركم، {فِيمَا ءاتاكم} يعني: أمركم من السنن، والشرائع المختلفة، ليتبين من يطيع الله فيما أمره ونهاه، ومن يعصيه.

ثم قال: {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} يعني: بادروا بالطاعات، وبالأعمال الصالحة، وإلى الصف المقدم، والتكبيرة الأولى. ثم قال: {إلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين والسنن يوم القيامة، فهذا وعيد وتهديد، لتستبقوا الخيرات، ولا تتّبعوا البدعة، ولا تخالفوا الكتاب.

ثم قال: {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ الله} وذلك أن يهود بني النضير قالوا فيما بينهم: اذهبوا بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه. وإنما هو بشر فأتَوْه. فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنّا أحبار اليهود، وأشرافهم، وسادتهم، وأنّا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولن يخالفونا. وإنّ بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، فنؤمن بك، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. فنزلت هذه الآية {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ الله} يعني: اقضِ بينهم بما في القرآن، {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} في الحكم، {واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ} يعني: يصرفوك، {عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ}.

وقال في رواية الضحاك: تزوج مجوسي ابنته، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبت نفقتها، فأمر الله تعالى رسوله أن يفرق بينهما بقوله: {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ الله}. وقال في رواية الكلبي: طلبوا منه بأن يحكم بينهم في الدماء على ما كانوا عليه في الجاهلية فنزل {وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ}. قال القتبي: أصل الفتنة الاختبار. ثم يستعمل في أشياء يستعمل في التعذيب كقوله: {إِنَّ

الذين فَتَنُواْ المؤمنين والمؤمنات ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحريق} [البروج: 10]، وكقوله: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ} [الذاريات: 13] وتكون الفتنة الشرك، كقوله: {وقاتلوهم حتى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدين للهِ فَإِنِ انتهوا فَلاَ عدوان إِلاَّ عَلَى الظالمين} [البقرة: 193] وتكون الفتنة العبرة، كقوله: {فَقَالُواْ على الله تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لّلْقَوْمِ الظالمين} [يونس: 85] وتكون الفتنة الصد عن السبيل، كقوله: {واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ}.

ثم قال: {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني: أبَوْا أن يرضوا بحكمك، {فاعلم أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} يعني: يعذبهم في الدنيا. قال الكلبي: يعني: بالجلاء إلى الشام، والإخراج من دورهم. وقال الضحاك: يعني: يريد الله أن يأمر بهم إلى النار بذنوبهم.

ثم قال {وَإِنَّ كَثِيراً مّنَ الناس} يعني: رؤساء اليهود، {لفاسقون} يعني: لكافرون. والفاسق هو الذي يخرج عن الطاعة.

ثم قال: {أَفَحُكْمَ الجاهلية يَبْغُونَ} يعني: يطلبون منك شيئاً لم ينزله الله إليك في حكم الزنى والقصاص كما يفعل أهل الجاهلية. قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام (تبغون) على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة.

ثم قال: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً} يقول: ومن أعدل من الله قضاءً، {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بالقرآن.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [51- 53]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53)}

يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِيَاءَ} في العون والنصرة، وذلك أنه لما كانت وقعة أحد، خاف أناس من المسلمين أن يظهر عليهم الكفار، فأراد من كانت بينه وبين النصارى واليهود صحبة أن يتولوهم ويعاقدوهم. فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: {لاَ تَتَّخِذُواْ اليهود والنصارى أَوْلِيَاء} يعني: معيناً وناصراً، {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء

بَعْضٍ} يعني: بعضهم على دين بعض، {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مّنكُمْ} يعني: من اتخذ منهم أولياء، {فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} يعني على دينهم ومعهم في النار.

ثم قال {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: لا يرشدهم إلى الحجة. ويقال لا يرشدهم ما لم يجتهدوا، ويقصدوا الإسلام. ثم بيّن حال المنافقين. فقال: {فَتَرَى الذين فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} يعني: شرك ونفاق {يسارعون فِيهِمْ} يقول: يبادرون في معاونتهم ومعاقدتهم وولايتهم، {يَقُولُونَ نخشى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} يعني: ظهور المشركين. ويقال: شدة وجدوبة فاحتجنا إليهم. ويقال: نخشى الدائرة على المسلمين، فلا ننقطع عنهم.

قال الله تعالى: {فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بالفتح أَوْ أَمْرٍ مّنْ عِندِهِ} يعني: نصر محمد صلى الله عليه وسلم الذي أيسوا منه {أَوْ أَمْرٍ مّنْ عِندِهِ} يعني: من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. ويقال: الفتح أي: فتح مكةً {أَوْ أَمْرٍ مّنْ عِندِهِ} يعني: الخصب. وقال القتبي: الفتح أن يفتح المغلق. ثم قال: النصرة فتح، لأن النصرة يفتح الله بها أمراً مغلقاً، كقوله: {الذين يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ الله قالوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ للكافرين نَصِيبٌ قالوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ المؤمنين فالله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القيامة وَلَن يَجْعَلَ الله للكافرين عَلَى المؤمنين سَبِيلاً}» «{صلى الله عليه وسلم} [النساء: 141] وكقوله {فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بالفتح أَوْ أَمْرٍ مّنْ عِندِهِ} يعني: إظهار نفاقهم، {فَيُصْبِحُواْ على مَا أَسَرُّواْ فِى أَنفُسِهِمْ} من النفاق، {نادمين} لأن المنافقين لما رأوا من أمر بني قريظة والنضير ندموا على ما قالوا.

ثم قال تعالى: {وَيَقُولُ الذين ءامَنُواْ} يعني: في ذلك الوقت الذي يظهر نفاقهم، {هَؤُلاء الذين أَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} يقول: إذا حلفوا بالله فهو جهد اليمين.

{إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} على دينكم. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر {يَقُولُ الذين آمَنُواْ} بغير واو، ومعناه: إن الله تعالى لما بيّن حال المنافقين، بيّن على أثره حال المؤمنين. فقال تعالى: {يَقُولُ الذين آمَنُواْ} يعني: قال الذين آمنوا بعضهم لبعض. وقرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم والكسائي {وَيَقُولُ الذين ءامَنُواْ} بالواو وضم اللام ومعناه: عسى الله أن يأتي بالفتح، ويندم المنافقون، ويقول الذين آمنوا عند ذلك {هَؤُلاء الذين *** أَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} وقرأ أبو عمرو {وَيَقُولُ} بالواو ونصب اللام، عطفاً على قوله: {عَسَى الله أَن يَأْتِيَنِى *** بالفتح} وعسى أن يقول الذين آمنوا.

ثم قال تعالى: {حَبِطَتْ} يعني: بطلت {أعمالهم} يعني: المنافقين الذين كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين وعلى دينهم، ولم يكونوا معهم {حَبِطَتْ أعمالهم} فلا ثواب لهم في الآخرة {فَأَصْبَحُواْ خاسرين} يعني: صاروا خاسرين في الدنيا وفي الآخرة.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [54]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)}

{يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ} قرأ نافع وابن عامر، {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ} بالدالين، وقرأ الباقون بالدال الواحدة مع التشديد. فأما من قرأ يرتدد، فهو الأصل في اللغة، وروي عن أبي عبيدة أنه قال: رأيت في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، بالدالين. وأما من قرأ {يَرْتَدَّ} لأنه أدغم الدال الأولى في الثانية، فأسكن الأولى، ثم حرّك الثانية إلى النصب لالتقاء الساكنين. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن أهل الردة الذين ارتدوا على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن العرب ارتدوا وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما أن نعطي من أموالنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا. وخرج مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة، وامتنعوا. فشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: وكيف نقاتل قوماً، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلاَّ الله، فَإذا قَالُوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى "، فقال أبو بكر الصديق: الزكاة من حقها.

ثم قال: والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم عليه. فاتفقت الصحابة على قول أبي بكر، وجمعوا العسكر، وجاءهم من قبل اليمن سبعة آلاف رجل، واجتمع ثلاثة آلاف من أفناء الناس، فخرجوا وأميرهم «خالد بن الوليد»، وقاتلهم، وخرج مسيلمة الكذاب مع أهل اليمامة، واجتمع الأعراب معه، وكان بينهم قتال شديد، فقتل يومئذٍ من المسلمين مائة وأربعون رجلاً ومنهم «ثابت بن قيس بن شماس»، «وسالم مولى أبي حذيفة» وغيرهما فكاد المسلمون أن ينهزموا كلهم حتى نصرهم الله، وأظهرهم على أعدائه، وقُتل مسيلمة الكذاب، وأصحابه، وتاب أهل الردة، فذلك قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِى الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} يعني: يحبون الله {أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين} يعني: رحيمة ليّنة على المؤمنين {أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين} يقول: شديدة غليظة {عَلَى الكافرين} يعني: أهل اليمن.

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ هُمْ أَلْيَنُ قُلُوباً، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإيمانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ " وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: {فَسَوْفَ يَأْتِى الله بِقَوْمٍ} يعني: الجند من جنود الله، مرداً وعوناً للخليفة أبي بكر، يحبهم الله كحب الوالد لولده، أذلة على المؤمنين كالعبد لسيده، {أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين} كالسبع على فريسته.

ويقال: {فَسَوْفَ يَأْتِى الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} هو أبو بكر وأصحابه، وقال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه. وقال الضحاك: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتدت العرب جاهدهم حتى ردهم إلى الإسلام. وهذا من شمائل أبي بكر، حيث اتفقت الصحابة على رأيه، وذكر أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، همَّ المنافقون أن يُظهروا كفرهم، وتحير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك، حتى جاء عمر وصعد المنبر فقال: من قال إن محمداً قد مات فأنا أفعل به كذا وكذا، بل هو حي حتى يخرج إليكم. وقد وعدنا الله تعالى أن يظهره على الدين كله. فجاء أبو بكر، فقال له: انزل يا عمر، فصعد أبو بكر، فقال: من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم، فقد مات محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان يعبد الله تعالى فهو حي لا يموت، ومن أراد أن يرجع عن دينه فليس بيننا وبينه إلا السيف. فخاف المنافقون، فكتموا نفاقهم وقرأ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ} [الزمر: 30] وقرأ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل أَفإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِى الله الشاكرين} [آل عمران: 144] فقال عمر: كأني لم أكن سمعت هذه الآية. ثم اختلاف آخر كان في دفنه، فقال أبو بكر: يدفن حيث مات فاتفقوا على قوله. ثم اختلاف آخر كان في سقيفة بني ساعدة في الخلافة، فاتفقوا على قوله. ثم اختلاف أهل الردة، وكلهم اتفقوا على قوله. فذلك قوله تعالى: {يجاهدون فِى سَبِيلِ الله} يعني: في طاعة الله {وَلاَ يخافون لَوْمَةَ لائِمٍ} يعني: لا يخافون ملامة الناس بما يعملون من الطاعات {ذلك فَضْلُ الله} يعني: ذلك توفيق الله {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} يعني: يوفق من يشاء. ويقال: ذلك دين الله الإسلام يهدي به من يشاء {والله واسع عَلِيمٌ} يعني: واسع الفضل عليم بمن يصلح للهدى.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [55- 56]

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)}

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ} وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن اليهود أظهروا لنا العداوة، وحلفوا أن لا يخالطونا في شيء، ومنازلنا فيهم، بعيدة من المسجد، ولا نجد محدثاً دون هذا المسجد، فنزلت هذه الآية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ} يقول: حافظكم وناصركم الله ورسوله {والذين ءامَنُواْ} فقال: يا رسول الله رضينا بالله ورسوله، وبالمؤمنين. وقال الضحاك: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، أتاه بنو أسد بن خزيمة، وهم سبعمائة رجالهم ونساؤهم. فلما قدموا المدينة. فقالوا: يا رسول الله اغتربنا وانقطعنا عن قبائلنا، وعشيرتنا فمن ينصرنا؟ فنزل {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ والذين ءامَنُواْ}.

ثم قال: {الذين يُقِيمُونَ الصلاة وَيُؤْتُونَ الزكواة} قال ابن عباس: وذلك أن بلالاً لما أذّن، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس في المسجد يصلون بين قائم وراكع وساجد، فإذا هو بمسكين يسأل الناس، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئاً؟» قال: نعم. قال: «مَاذَا»؟ قال: خاتم فضة. قال: «وَمَنْ أَعْطَاكَ»؟. قال: ذلك المصلي. قال: »فِي أيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ»؟ قال: أعطاني وهو راكع. فنظر، فإذا هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على »عبد الله بن سلام» {الذين يُقِيمُونَ الصلاة وَيُؤْتُونَ الزكواة وَهُمْ رَاكِعُونَ} يعني: يتصدقون في حال ركوعهم حيث أشار بخاتمه إلى المسكين حتى نزع من أصبعه، وهو في ركوعه. ويقال: يراد به جميع المسلمين أنهم يصلون ويؤدون الزكاة.

ثم قال: {وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ والذين ءامَنُواْ} يعني: يجعل الله ناصره ويجالس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه {فَإِنَّ حِزْبَ الله} يعني: جند الله {هُمُ الغالبون}. قال محمد بن إسحاق: نزلت هذه الآية في «عبادة بن الصامت«، حين تبرأ من ولاية اليهود يعني: يهود بني قينقاع، وتولى الله ورسوله، فأخبر الله تعالى أن العاقبة لمن يتولى الله ورسوله، فإن الله ينصر أولياءه، ويبطل كيد الكافرين، فذلك قوله تعالى: {فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغالبون} يعني: هم الظاهرون على أعدائه والعاقبة لهم وقوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [57- 58]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58)}

{ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الذين اتخذوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً} يعني: الذين آمنوا بلسانهم، ولم يؤمنوا بقلوبهم. ويقال: أراد به المخلصين نهاهم الله تعالى عن ولاية الكفار. وروى محمد بن إسحاق بإسناده، عن عبد الله بن عباس قال: كان »رفاعة بن زيد بن تابوت وسويد بن الحارث» قد أظهرا الإسلام، ونافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى {لاَ تَتَّخِذُواْ الذين اتخذوا دِينَكُمْ} الإسلام {هُزُواً وَلَعِباً} يعني: سخرية وباطلاً {مّنَ الذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلِكُمْ والكفار أَوْلِيَاء} يعني: مشركي العرب. قرأ أبو عمرو والكسائي {والكفار} بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالخفض فمعناه: من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الكفار أولياء، ومن قرأ بالنصب، فهو معطوف على قوله: {لاَ تَتَّخِذُواْ الذين اتخذوا دِينَكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا الكفار أَوْلِيَاء} ثم

قال: {واتقوا الله إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} يعني: إن كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار أولياء. قوله تعالى: {وَإِذَا ناديتم إِلَى الصلاة} يعني: إذا أذن المؤذن للصلاة، وإنما أضاف النداء إلى جميع المسلمين، لأن المؤذن يؤذن لهم ويناديهم، فأضاف إليهم فقال: {وَإِذَا ناديتم إِلَى الصلاة} {اتخذوها هُزُواً وَلَعِباً} يعني: الكفار، إذا سمعوا الأذان استهزؤوا به. وإذا رأوهم ركعاً وسجداً ضحكوا واستهزؤوا بذلك. {ذلك} الاستهزاء {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} يعني: لا يعلمون ثوابه. وقال الضحاك: سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل، وقال: «من أَتَّخِذُه مؤذّناً؟». قال: يا محمد عليك بالعبد الأسود، فإنه مشهود في الملائكة، وجهير الصوت، وأحبّ المؤذنين إلى الله تعالى. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً، وعلمه الأذان، وأمره أن يصعد سطح المسجد ويؤذن. فلما أذن سخر منه أهل النفاق، وأهل الشرك، وكذلك يوم فتح مكة. أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يؤذن على ظهر الكعبة، فسخر منه كفار الأعراب، وجهالهم، فنزل قوله تعالى: {وَإِذَا ناديتم إِلَى الصلاة اتخذوها هُزُواً وَلَعِباً} يعني: المنافقين، واليهود، ومشركي العرب. وروى أسباط عن السدي قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله قال: حرق الله الكاذب. فدخلت خادمته ليلة من الليالي بنار، وهم نيام فسقطت شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله، واستجيب دعاؤه في نفسه. وروي عن ابن عباس هذه الحكاية نحو هذا إلا أنه ذكر اليهودي.

وقوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [59- 61]

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61)}

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا} يقول: ما تطعنون فينا وتعيبوننا، {قُلْ ياأهل الكتاب هَلْ} أي سوى أنا قد آمنا بالله وآمنا ب {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} يعني: من القرآن، {وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ} القرآن يعني: التوراة والإنجيل، {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسقون} يعني: لم تؤمنوا لفسقكم، وعصيانكم. وقال الزجاج: معنى {هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا} هل تكرهون منا إلا إيماننا. وبفسقكم إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على الحق، لأنكم فسقتم، ولم تثبتوا على دينكم، لمحبتكم الرئاسة ومحبتكم المال.

وقوله تعالى {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرّ مّن ذلك} قال مقاتل: وذلك أن اليهود، قالوا للمؤمنين: ما نعلم أحداً من أهل هذه الأديان أقلّ حظاً في الدنيا ولا في الآخرة منكم، فنزل {قُلْ هَلْ

أُنَبِّئُكُمْ} يعني: أخبركم بشر من ذلك {مَثُوبَةً عِندَ الله} يعني: ثواباً عند الله فقالت اليهود: من هم؟ قال: {مَن لَّعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القردة والخنازير} فقال المسلمون لليهود: يا إخوة القردة والخنازير. فنكسوا رؤوسهم، وخجلوا. ومثوبة صار نصباً للتمييز يعني: التفسير.

ثم قال: {وَعَبَدَ الطاغوت} قرأ حمزة {وَعَبُدَ الطاغوت} بنصب العين والدال، وضم الباء، وكسر التاء، من الطاغوت، لم يصح في اللغة أن يقال لجماعة: الأعبد. وإنما يقال: أعبد، ولا يقال: عبد. وقرأ الباقون: {وَعَبَدَ الطاغوت} يعني: جعل منهم من عبد الطاغوت، ومعناه: خذلهم حتى عبدوا الشيطان، وروي عن ابن عباس أنه قرأ {وَعَبَدَ الطاغوت} بضم العين، ونصب الباء بالتشديد، يعني: جمع عابد. يقال: عابد وعبَّد، مثل راجع وركَّع، وساجد، وسُجَّد. وقرأ ابن مسعود (وعبدوا الطاغوت) يعني: يعبدون الطاغوت، وقرأ بعضهم {وَعَبَدَ الطاغوت} بضم العين والباء، ونصب الدال، وهو جماعة العبيد. ويقال: عبيد وعُبُد، على ميزان رغيف ورُغُف، وسرير وسُرُر.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً} يعني: شر منزلة عند الله {وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السبيل} يعني أخطأ عن قصد الطريق وهو الهدى.

ثم قال: {وَإِذَا الذين قَالُواْ ءامَنَّا} وهم المنافقون من أهل الكتاب. قالوا: صدقنا ووجدنا نعتك. وأرادوا بذلك أن يمدحهم المسلمون، وهذا كقوله {لاَ تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العذاب وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 188] فأخبر الله تعالى عن حالهم فقال: {وَقَدْ دَّخَلُواْ بالكفر وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ} يعني: هم كافرون في الأحوال كلها، ولا ينفعهم ذلك القول: {والله أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ} يعني: عليم بمجازاتهم وهذا تهديد لهم.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [62- 64]

{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)}

{وترى كَثِيراً مّنْهُمْ يسارعون فِى الإثم} يعني: المعصية {والعدوان} يعني: الظلم، وهو الشرك، {وَأَكْلِهِمُ السحت} يعني: الرشوة في الأحكام، {لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: لبئس ما كانوا يتزودون من دنياهم لآخرتهم.

ثم قال: {لَوْلاَ ينهاهم الربانيون} يعني: هلاّ ينهاهم الربانيون يعني: علماؤهم وعبادهم. وإنما شكا من علماء السوء الذين لا يأمرون بالمعروف، ويجالسونهم، ويؤاكلونهم، وكل عالم لم يأمر بالمعروف، ويجالس أهل الظلم، والمعصية، فإنه يدخل في هذه الآية، فقال: {والاحبار عَن قَوْلِهِمُ الإثم وَأَكْلِهِمُ السحت لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} حين لم ينهوهم عن قولهم الإثم، وأكلهم السحت، ورضوا بفعلهم

قوله تعالى: {وَقَالَتِ اليهود يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} وذلك أن الله تعالى قد بسط عليهم الرزق، فلما عصوه وجحدوا نعمته، قتر عليهم الرزق، فقالوا عند ذلك: يد الله محبوسة عن البسط، فأمسك عنا الرزق.

قال الله تعالى: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: أمسكت أيديهم عن الخير، ويقال: هذا وعيد لهم، غلت أيديهم في نار جهنم. ويقال: جُعِلوا بخلاء، فلا يعطون الناس شيئاً مما أعطاهم الله تعالى.

ثم قال: {وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ} يعني: عُذِّبوا وطُرِدوا من رحمة الله، لقولهم ذلك. ثم قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} يعني: رزقه واسع باسط على خلقه {يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء} يقول: يرزق لمن يشاء مقدار ما يشاء، فله خزائن السموات والأرض. وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قَالَ الله تَعَالى: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَجِنَّكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، سَأَلَ كُلُّ رَجُلٍ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ، لَمْ يَنْقُصْ ذلك مِنْ خَزَائِنِ مُلْكِي مِقْدَارَ مَا يُغْتَرَفُ مِنَ البَحْرِ بِرَأسِ إبْرَةٍ وَاحِدَةٍ «

ثم قال تعالى: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مّنْهُم} يعني: من اليهود، {مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ} من القرآن، {مِن رَّبّكَ طغيانا} يعني: تمادياً بالمعصية، {وَكُفْراً} وجحوداً بالقرآن يعني: كل ما نزل عليك شيء من القرآن كفروا به، فيزيد جحودهم في طغيانهم، وإنما نسب ذلك إلى ما أنزله، لأن ذلك سبب لطغيانهم وجحودهم. وهذا كما قال في آية أخرى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ القرءان مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: 82] يعني: أن ذلك سبب لخسرانهم.

ثم قال تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العداوة والبغضاء إلى يَوْمِ القيامة} يعني: جعلهم الله مختلفين في دينهم، متباغضين كما قال في آية أخرى: {لاَ يقاتلونكم جَمِيعاً إِلاَّ فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شتى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} [الحشر: 14].

ثم قال: {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله} يقول: كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرقه الله تعالى، وأطفأ نار مكرهم، أي: يسكته الله تعالى، ووهن أمرهم، وهذا على وجه الكناية كما قال: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والاغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ} ثم قال: {وَيَسْعَوْنَ فِى الارض فَسَاداً} يعني: يعملون فيها بالمعاصي، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله تعالى، {والله لاَ يُحِبُّ المفسدين} يعني: لا يرضى بعمل الذين يعملون بالمعاصي، والله لا يحب أهل الفساد، ولا عملهم.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [65- 66]

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)}

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكتاب} يعني: اليهود والنصارى، {ءامَنُواْ} يعني: صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {واتقوا} الشرك والمعاصي، {لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سيئاتهم} يعني: غفرنا ذنوبهم، {ولادخلناهم جنات النعيم} في الآخرة.

ثم قال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التوراة والإنجيل} يعني: أقرّوا بما فيهما، وبيّنوا ما كتموا، {وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مّن رَّبّهِمْ} يعني: بما أنزل إليهم من ربهم، يعني: عملوا بما أنزل إليهم من ربهم في كتابهم؛ ويقال: القرآن. {لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ}، يعني: يرزقهم الله تعالى المطر من فوقهم، في الوقت الذي ينفعهم، {وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} يعني: النبات من الأرض، وقال الزجاج: هذا على وجه التوسعة. يقال: فلان خيره من فوقه إلى قدمه، يعني: لو أنهم فعلوا ما أمروا لأعطاهم الله الخير من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يعني: صاروا في الخير في الدنيا والآخرة.

وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه، وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجران.

ثم قال: {مّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ} يعني عصبة وجماعة عادلة، وهم مؤمنو أهل الكتاب، من أهل التوراة والإنجيل {وَكَثِيرٌ مّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ} الذين لم يصدقوا ولم يؤمنوا.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [67- 68]

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)}

{ياأيها الرسول بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الإسلام فجعلوا يستهزئون به ويقولون: إنك تريد أن نتخذك حَنَّاناً كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام، فلما رأى ذلك سكت عنهم. فأمره الله أن يدعوهم ولا يمنعه عن ذلك تكذيبهم إياه فقال: {يَعْمَلُونَ ياأيها الرسول بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} يعني: من القرآن {وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ} إن لم تبلغ جميع ما أنزل إليك {فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} يعني: كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالته، لأنه أمر بتبليغ جميع الرسالة. فإذا ترك البعض صار بمنزلة التارك للكل. كما أن من جحد آية من كتاب الله تعالى صار جاحداً للجميع، ويقال: {وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} يعني: فما بلغت المبلغ الذي تكون رسولاً وروى «سمرة بن جندب»، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَدْ قَصَّرْتُ عَنْ شَيْءٍ مَنْ تَبْلِيغِ رِسَالاتِ رَبِّي فَأَخْبِرُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالاتِ رَبِّي كَمَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُبَلَّغَ " فقام الناس، فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك. وروى مسروق عن عائشة قالت: من حَدّثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي، فقد كذب. ثم قرأت {يَعْمَلُونَ ياأيها الرسول بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} الآية.

ثم قال: {والله يَعْصِمُكَ مِنَ الناس} يعني: اليهود ويقال: كيد الكفار. وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرسه أصحابه بالليل، حتى نزلت هذه الآية فخرج إليهم وقال: " لا تَحْرُسُونِي فَإِنَّ الله قَدْ عَصَمَنِي مِنَ النَّاسِ "

ثم قال: {إِنَّ الله * يَهْدِي القوم الكافرين} يعني: لا يرشدهم إلى دينه، ويقال: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا أُبَالِي مَنْ خَذَلَنِي مِنَ اليَهُودِ وَمَنْ نَصَرَنِي " قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر. {فَمَا بَلَّغْتَ} بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون: {يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} بلفظ الواحد يغني عن الجماعة. ثم علّمه كيف يبلغ الرسالة فقال: {قُلْ ياأهل

1649;لكتاب لَسْتُمْ على شَئ} من الدين ولا ثواب لأعمالكم {حتى تُقِيمُواْ التوراة والإنجيل} يعني: تعملوا بما في التوراة، والإنجيل {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مّن رَّبّكُمْ} يعني: حتى تقروا بما أنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من القرآن، وتعملوا به.

ثم قال: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ} من القرآن {مِن رَّبّكَ طغيانا وَكُفْراً} يعني: تمادياً بالمعصية، وكفراً بالقرآن.

يعني: إنما عليك تبليغ الرسالة والموعظة، فإن لم ينفعهم ذلك فليس عليك شيء. {فَلاَ تَأْسَ عَلَى القوم الكافرين} يعني: لا تحزن عليهم إن كذبوك.

وروى محمد بن إسحاق بإسناده عن ابن عباس أنه قال: جاء رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الضيف، وقالوا: يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ وتؤمن بما عندنا من التوراة؟ وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلَى ولكنكم أَحْدَثْتُمْ، وَجَحَدْتُمْ ما فِيهَا مِمَّا أُخِذَ عَلَيْكُمْ مِنَ المِيثَاقِ، وَكَتَمْتُمْ مِنْهَا مَا أُمِرْتُمْ أَنْ تُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ فَبَرِئْتُ مِنْ إحْدَاثِكُمْ» فقالوا: فإنّا قد آمنا بما في أيدينا، وإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك، فنزل {قُلْ ياأهل الكتاب لَسْتُمْ على شَئ حتى تُقِيمُواْ التوراة والإنجيل}.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [69- 71]

{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71)}

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئون والنصارى مَنْ ءامَنَ بالله واليوم الاخر} قال في رواية الكلبي: هم قوم آمنوا بعيسى، ولم يؤمنوا بغيره، ولم يرجعوا. ويقال {إِنَّ الذين ءامَنُواْ} بألسنتهم وهم المنافقون. ويقال: في الآية تقديم يعني: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ} من آمن من اليهود والنصارى والصابئين، {وَعَمِلَ صالحا} فلهم أجرهم عند ربهم. وقال: في هذه السورة {والصابئون} وقال في موضع آخر: {والصابئين} لأنه معطوف على خبر إن وكل اسم معطوف على خبر إن، كان فيه طريقان، إن شاء رفع، وإن شاء نصب، كقوله: «إن زيداً قادم وعمرو» إن شاء نصب الثاني، وإن شاء رفعه، كقوله تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ إِلَى الناس يَوْمَ الحج الاكبر أَنَّ الله برئ مِّنَ المشركين وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى الله وَبَشِّرِ الذين كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: 3] وقد قرأ: ورسوله ولكنه شاذ، وكذلك ها هنا جاز أن يقول: (والصابئين) {والصابئون}، إلا أن في هذه السورة كتب بالرفع.

ثم قال: {لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} يعني: لمن آمن، والذين سبق ذكرهم فلهم ثوابهم عند ربهم الجنة فلا خوف عليهم، {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. قوله تعالى: {لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إسراءيل} يعني: عهدهم في التوراة، {وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تهوى أَنفُسُهُمْ}

يعني: بما لا يوافق هواهم، {فَرِيقاً كَذَّبُواْ} مثال عيسى ومن قبله، {وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ} مثل يحيى وزكريا، وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، فالله تعالى أمر النبي بتبليغ الرسالة، وأمره بأن لا يحزن عليهم إن لم يؤمنوا، لأنهم من أهل السوء الذين فعلوا هذه الأفعال.

ثم قال: {وَحَسِبُواْ أَن لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني: ظنوا أن لا يبتلوا بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، ويقال: ظنوا أن لا يعاقبوا، ولا يصيبهم البلاء والشدة والقحط. ويقال: ظنوا أن قتل الأنبياء لا يكون كفراً. ويقال: ظنوا أن لا تفسد قلوبهم بالتكذيب وقتل الأنبياء. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: {أَن لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} بضم النون. وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب، بمعنى أن. ومن قرأ بالضم يعني: حسبوا أنه لا تكون فتنة. معناه: حسبوا أن فعلهم غير فاتن لهم.

ثم قال تعالى: {فَعَمُواْ وَصَمُّواْ} يعني: عموا عن الحق، وصمّوا عن الهدى، فلم يسمعوه، {ثُمَّ تَابَ الله عَلَيْهِمْ} يقول: تجاوز عنهم، ورفع عنهم البلاء، فلم يتوبوا {ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مّنْهُمْ} ويقال: معناه تاب الله على كثير منهم، {عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مّنْهُمْ} ويقال: من تاب الله عليهم، يعني: بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليدعوهم إلى التوراة {ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ} بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال: {وَصَمُّواْ ثُمَّ} حين عبدوا العجل، ثم تاب الله عليهم بعدما قتلوا سبعين ألفاً وهذا على جهة المثل. يعني: لم يعملوا بما سمعوا، ولم يعتبروا بما أبصروا، فصاروا كالعمي والصمي.

ثم قال: {والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} بقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل يعني: عليم بمجازاتهم.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [72- 74]

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74)}

{لَّقَدْ كَفَرَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله هُوَ المسيح ابن مَرْيَمَ} وذلك أن نصارى أهل نجران يزعمون أنهم مؤمنون بعيسى، فأخبر الله تعالى أنهم كافرون بعيسى، وأنهم كاذبون في مقالتهم، وأخبر أن المسيح دعاهم إلى توحيد الله، وأنهم كاذبون على المسيح.

وهو قوله {وَقَالَ المسيح يَابَنِى إسراءيل ***اعبدوا الله} يعني: وحدوا الله وأطيعوه، {رَبّى وَرَبَّكُمْ} يعني: خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم.

ثم قال: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بالله} يعني: ويموت على شركه، {فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيهِ الجنة} أن يدخلها، {وَمَأْوَاهُ النار} يعني: مصيره إلى النار، {وَمَا للظالمين مِنْ أَنصَارٍ} يعني: ليس للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب. ثم أخبر أن الفريق الآخر من النصارى هم كفار أيضاً، فقال: {لَّقَدْ كَفَرَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله ثالث ثلاثة} فيه مضمر معناه: ثالث ثلاثة آلهة، ويقال: ثلث من ثلاثة آلهة، يعني: أباً وأماً وروحاً قدساً، يعني: الله ومريم وعيسى. قال الله تعالى ردّاً عليهم: {وَمَا مِنْ إله إِلاَّ إله واحد} يعني: هم كاذبون في مقالتهم، ثم أوعدهم الوعيد إن لم يتوبوا فقال: {وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ} يعني: إن لم يتوبوا، ولم يرجعوا عن مقالتهم، {لَيَمَسَّنَّ الذين كَفَرُواْ مِنْهُمْ} فهذا لام القسم، فكأنه أقسم بأنه ليصيبهم {عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: إن أقاموا على كفرهم.

ثم دعاهم إلى التوبة فقال: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى الله} من النصرانية، {وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} عن مقالتهم الشرك، فإن فعلوا فإنَّ {والله غَفُورٌ} للذنوب {رَّحِيمٌ} بقبول التوبة، ويقال: قوله: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر فكأنه قال: توبوا إلى الله، وكذلك كل ما يشبه هذا في القرآن، مثل قوله: (أتصبرون) يعني: اصبروا.

ثم بيّن الله تعالى أن المسيح عبده ورسوله، وبيّن الحجة في ذلك، فقال:

تفسير الآيات رقم [75- 77]

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآَيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77)}

{مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ} يعني: هو رسول كسائر الرسل، {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل} وهو من جماعة الرسل، {وَأُمُّهُ صِدّيقَةٌ} شبه النبيين، وذلك حين صدقت جبريل حين قال لها: {قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً} [مريم: 19] والصديق في اللغة هو المبالغ في التصديق. وقال في آية أخرى: {مِن قَبْلِهِ الرسل وَأُمُّهُ صِدّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطعام} يعني: المسيح وأمه كانا يأكلان ويشربان. ومن أكل وشرب، تكون حياته بالحيلة، والرب: لا يأكل ولا يشرب. ويقال: {كَانَا يَأْكُلاَنِ الطعام} كناية عن قضاء الحاجة. لأن الذي يأكل الطعام. فله قضاء الحاجة. ومن كان هكذا لا يصلح أن يكون ربّاً.

ثم قال: {انظر كَيْفَ نُبَيّنُ لَهُمُ الايات} يعني: العلامات في عيسى ومريم أنهما لو كانا إلهين ما أكلا الطعام، {ثُمَّ انظر أنى يُؤْفَكُونَ} يقول: من أين يكذبون بإنكارهم بأني واحد. وقال القتبي: {أنى يُؤْفَكُونَ} يعني: أنى يصرفون عن الحق ويعدلون عنه. يقال: أفك الرجل عن كذا، إذا عدل عنه.

ثم أخبر الله تعالى عن جهلهم، وقلة عقلهم، فقال: {قُلْ} يا محمد، {أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} يعني: عيسى، {مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ} يقول: ما لا يقدر لكم، {ضَرّا} في الدنيا {وَلاَ نَفْعاً} في الآخرة: وتركتم عبادة الله، {والله هُوَ السميع} لقولكم، {العليم} بعقوبتكم.

وقوله تعالى: {قُلْ ياأهل الكتاب لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحق} يقول: لا تجاوزوا الحد، والغلو: هو الإفراط والاعتداء. ويقال: لا تتعمقوا.

ثم قال: {وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ} وهم الرؤساء من أهل الكتاب، يعني: لا تتّبعوا شهواتهم، لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان، {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ} وهم رؤساء النصارى ضلوا عن الهدى، {وَأَضَلُّواْ كَثِيراً} من الناس، {وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السبيل} يعني: اخطؤوا عن قصد الطريق. وقال مقاتل: نزلت في برصيصا العابد، فجاءه الشيطان فقال له: قد فضلك الله على أهل زمانك لكي تحل لهم الحرام، وتحرم عليهم الحلال، وتسن لهم سنة، ففعل فاتبعه الناس بذلك، ثم ندم على فعله. فعمد إلى سلسلة، فجعلها في ترقوته فعلق نفسه فجاءه ملك، فقال له: أنت تتوب فكيف لك من تابعك؟ فذلك قوله: {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السبيل} وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [78- 81]

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)}

{لُعِنَ الذين كَفَرُواْ مِن بَنِى إسراءيل} يعني: اليهود، {على لِسَانِ دَاوُودُ} وذلك أن الله تعالى مسخهم قردة، حيث اصطادوا السمك يوم السبت، {وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ} يعني: وعلى لسان عيسى ابن مريم، حيث دعا عليهم، فمسخهم الله تعالى خنازير. ويقال: لعن الذين كفروا، أي: أُبعِدوا من رحمة الله، على لسان داود، وعيسى ابن مريم. وقال الزجاج: يحتمل معنيين: أحدهما أنهم مسخوا بلعنتهما، فجعلوا قردة وخنازير. وجائز أن يكون داود وعيسى لعنا من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، يعني: لعن الكفار الذين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {ذلك بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} يعني: الذين أصابهم من اللعنة بما عصوا يعني: بعصيانهم {وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} في دينهم، {كَانُواْ لاَ يتناهون عَن مُّنكرٍ فَعَلُوهُ} يعني: لم يمتنعوا عن قبيح من الأفعال، ورضوا به {لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} حين لم ينهوا عن المنكر.

ثم قال: {ترى كَثِيراً مّنْهُمْ} قال مقاتل: يعني: اليهود {يَتَوَلَّوْنَ الذين كَفَرُواْ} من مشركي العرب. وقال الكلبي: {ترى كَثِيراً} من المنافقين {يَتَوَلَّوْنَ الذين كَفَرُواْ} يعني: اليهود، {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ الله عَلَيْهِمْ} معناه: لبئس الفعل الذي كانوا يستوجبون به السخط من الله تعالى، ويوجب لهم العقوبة والعذاب {وَفِى العذاب هُمْ خالدون} يعني: دائمون.

ثم قال تعالى: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِىّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ} يعني: المنافقين، لو كانوا يصدقون بتوحيد الله، ونبوة محمد حقيقة وما أنزل إليه من القرآن {مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء} يعني: لو كان إيمان المنافقين حقيقة، ما اتخذوا اليهود أولياء في العون والنصرة {ولكن كَثِيراً مّنْهُمْ فاسقون} يعني: ناقضين للعهد. ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [82- 86]

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86)}

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الناس عَدَاوَةً لّلَّذِينَ ءامَنُواْ اليهود} وهم يهود بني قريظة، وبني النضير، {والذين أَشْرَكُواْ} يعني: مشركي أهل مكة، {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لّلَّذِينَ ءامَنُواْ الذين قَالُواْ إِنَّا نصارى} قال بعضهم: إنما أراد الذين هم النصارى في ذلك الوقت، لأنهم كانوا أقل مظاهرة على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام. وقال أكثر المفسرين: إن المراد به النصارى الذين أسلموا، وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله: {فَأَثَابَهُمُ الله بِمَا قَالُواْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وذلك جَزَآءُ المحسنين} [المائدة: 85] وروى أسباط عن السدي، قال: بعث النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلاً من الحبشة، وسبعة قسيسين، وخمسة رهبان ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه، وقرأ عليهم ما أنزل الله عليه بكوا وآمنوا به ورجعوا إلى النجاشي. فهاجر النجاشي

معهم. فمات في الطريق. فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستغفروا له.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أنه سئل عن هذه الآية فقال: هم الوفد الذين قدموا مع جعفر الطيار من أرض الحبشة. وعن الزهري، أنه سئل عن هذه الآية فقال: ما زلنا نسمع أنها نزلت في النجاشي وأصحابه.

ثم قال: {ذلك بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسّيسِينَ وَرُهْبَاناً} يعني: المتعبدين، وأصحاب الصوامع، ويقال: {قِسّيسِينَ} علماؤهم، {وَرُهْبَاناً} يعني: خائفين من الله تعالى، وقال بعض أهل اللغة: القس والقسيس: رؤساء النصارى، والقس بفتح القاف النميمة.

ثم قال: {وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} يعني: لا يتعظمون على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرسول تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمع} يعني: تسيل من الدمع، {مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الحق} يقول: مما عرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم نعته وصفته، {يَقُولُونَ رَبَّنَا ءامَنَّا} بالقرآن بأنه من الله، {فاكتبنا مَعَ الشاهدين} يعني: المهاجرين والأنصار. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: {مَعَ الشاهدين} هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يشهدون له بالبلاغ ويشهدون للرسل أنهم قد بلغوا الرسالة.

ثم قال: {وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بالله} وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم، قال لهم كفار قومهم: تركتم ملة عيسى ويقال: إن كفار مكة عاتبوهم على إيمانهم. وقالوا: لم تركتم دينكم القديم، وأخذتم الدين الحديث؟. فقالوا: {وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بالله} ومعناه: وما لنا لا نصدق بالله أن محمداً رسوله، والقرآن من عنده، {وَمَا جَاءنَا مِنَ الحق} يعني: وبما جاءنا من الحق، {وَنَطْمَعُ} يقول: نرجو، {أَن يُدْخِلَنَا مَعَ القوم الصالحين} يعني: مع المؤمنين الموحدين في الجنة فمدحهم الله تعالى، وحكى عن مقالتهم، وأخبر عن ثوابهم في الآخرة.

فقال: {فَأَثَابَهُمُ الله بِمَا قَالُواْ} من التوحيد، {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وذلك جَزَاء المحسنين} يعني: ثواب الموحدين المطيعين.

وقد احتج بعض الناس بهذه الآية، أن الإيمان هو مجرد القول، لأنه قال: {فَأَثَابَهُمُ الله بِمَا قَالُواْ} ولكن لا حجة لهم فيها، لأن قولهم كان مع التصديق، والقول بغير التصديق، لا يكون إيماناً.

ثم بيّن عقوبة من ثبت على كفره، ولم يؤمن، فقال: {والذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بآياتنا} يعني: مات على ذلك، {أولئك أصحاب الجحيم} والجحيم هو النار الشديدة الوقود. يقال: جحم فلان النار، إذا شدد وقودها. ويقال: لعيْن الأسد جحمة لشدة توقدها.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [87- 89]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)}

{الجحيم ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُحَرّمُواْ طيبات مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ} نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوماً، وخوف النار والحساب، فاجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، فتواثقوا بأن يخصوا أنفسهم، ويترهبوا فنهاهم الله عن ذلك. فنزلت هذه الآية: {الجحيم ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُحَرّمُواْ طيبات مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ}.

قال: حدّثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدّثنا أبو القاسم أحمد بن محمد، قال: حدّثنا محمد بن فضيل، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن مدرك بن قزعة، عن سعيد بن المسيب، قال: جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله غلبني حديث النفس، ولا أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك، قال صلى الله عليه وسلم: «وَمَا تُحَدِّثُكَ نَفْسُكَ يَا عُثْمَانُ»؟ قال: تحدثني أن أخصي نفسي. قال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ إِخْصَاءَ أُمَّتِي الصِّيَامُ» قال: يا رسول الله، إن نفسي تحدثني أن أترهب في رؤوس الجبال. فقال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ تَرْهِيبَ أُمَّتِي، الجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ لانْتِظَارِ الصَّلَوَاتِ» قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض؟. قال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ: فَإِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الغَزْوُ فِي سَبِيلِ الله، وَالحَجُّ وَالعُمْرَةُ» قال: فإن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله؟ قال: »مَهْلاً يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ صَدَقَتَكَ يَوْماً بِيَوْمٍ، وَتَكُفُّ نَفْسَكَ وَعِيَالَكَ، وَتَرْحَمُ المَسَاكِينَ، وَاليَتِيمَ، أَفْضَلُ مِنْ ذلكَ» فقال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن أطلق خَوْلة. فقال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ الهِجْرَةَ فِي أُمَّتِي، مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ الله، أَوْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي، أَوْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي، أَوْ مَاتَ وَلَهُ امْرَأَةٌ، أَوِ امْرَأَتَانِ، أَوْ ثَلاثٌ، أَوْ أَرْبَعٌ» قال يا رسول الله فإن نهيتني أن أطلقها، فإن نفسي تحدثني بأن لا أغشاها. قال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ المُسْلِمَ إِذَا غَشِيَ أَهْلَهُ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ وَقْعَتِهِ تِلْكَ وَلَدٌ، كَانَ لَهُ وَصِيفاً فِي الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَقْعَتِهِ تِلْكَ وَلَدٌ، فَمَاتَ قَبْلَهُ كَانَ فَرَطاً وَشَفِيعاً يَوْمَ القِيامَةِ. فَإِنْ مَاتَ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ نُوراً يَوْمِ القِيَامَةِ» فقال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا آكل اللحم. قال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ، فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّحْمَ، وَآكُلُهُ إِذَا وَجَدْتُهُ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لأَطْعَمَنِيهِ «

قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمسّ الطيب. قال: «مَهْلاً يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي بَالطِّيِّبِ غبّاً غبّاً «وقال: «لا تَتْرُكْهُ يَا عُثْمَانُ، لا تَرْغَبْ عَنْ سُنَّتِي، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ، صَرَفَتِ المَلاَئِكَةُ وَجْهَهُ عَنْ حَوْضِي يَوْمَ القِيَامَةِ» ونزلت هذه الآية {لاَ تُحَرّمُواْ طيبات مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ}.

{وَلاَ تَعْتَدُواْ} يقول: يعني: لا تحرموا حلاله، {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المعتدين}. ويقال: إن مُحَرِّم ما أحل الله كمُحِلِّ ما حرم الله.

ثم قال: {وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله حلالا طَيّباً} من الطعام والشراب، {واتقوا الله} ولا تحرموا ما أحلّ الله لكم، {الذى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} يعني: إن كنتم مصدّقين به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه. ثم أمرهم الله تعالى بأن يكفروا أيمانهم، لأنه لما حرموا الحلال على أنفسهم، كان ذلك يميناً منهم. ولهذا قال أصحابنا: إذا قال الرجل لشيء حلال: هذا الشيء عليّ حرام يكون ذلك يميناً، فأمرهم الله تعالى بأن يأكلوا، ويحنثوا في أيمانهم، وفي الآية دليل: أن الرجل إذا حلف على شيء، والحنث خير له، ينبغي أن يحنث ويكفر بيمينه. وفيها دليل: أن الكفارة بعد الحنث، لأنه أمرهم بالحنث، بقوله: فكلوا ثم أمرهم بالكفارة وهو قوله تعالى:

{لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ الله باللغو فِى أيمانكم} قال ابن عباس: اللغو أن يحلف الرجل على شيء بالله، وهو يرى أنه صادق، وهو فيه كاذب. وهكذا روي عن أبي هريرة أنه كان يقول: لغو اليمين: أن يحلف الرجل على شيء، يظن أنه الذي حلف عليه هو صادق، فإذا هو غير ذلك. وقال الحسن: هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك، وليس هو كذلك. وقال سعيد بن جبير: الرجل يحلف باليمين الذي لا ينبغي أن يحلف بها، يحرم شيئاً هو حلال، فلا يؤاخذه الله بتركه، لكن يؤاخذه الله إن فعل. وقال زيد بن أسلم: هو قول الرجل أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا، وأخرجني الله من مالي وولدي، وقالت عائشة: اللغو: هو قول الرجل لا والله، وبلى والله، على شيء لم يعقده قلبه.

ثم قال: {ولكن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الايمان} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص {عَقَّدتُّمُ} بالتشديد، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية أبي بكر: {عَقَّدتُّمُ} بالتخفيف، وقرأ ابن عامر: {بِمَا عَقَّدتُّمُ} فمن قرأ: {عاقدتم} فهو من المعاقدة، والمعاقدة تجري بين الاثنين، وهو أن يحلف الرجل لصاحبه بشيء، ومن قرأ بالتشديد فهو للتأكيد. ومن قرأ بالتخفيف لأن اليمين تكون مرة واحدة. والتشديد تجري في التكرار والإعادة.

وروى عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله قال: سئل وهب بن منبه عن قوله: {عَلِيمٌ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ الله باللغو فِى أيمانكم} قال: الأيمان ثلاثة: لغو وعقد وصبر، فأما اللغو: فلا

والله، وبلى والله، لا يعقد عليه القلب، وأما العقد: أن يحلف الرجل لا يفعله فيفعله، فعليه الكفارة، وأما الصبر: بأن يحلف على مال ليقتطعه بيمينه، فلا كفارة له.

وروى حسين بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري قال: الأيمان ثلاثة: يمين تكفر، ويمين لا تكفر، ويمين لا يؤاخذ الله بها. وذكر إلى آخره ثم بيّن كفارة اليمين فقال تعالى: {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مساكين مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: الغداء والعشاء. وسئل شريح عن الكفارة فقال: الخبز والزيت والخل والطيب. فقال السائل: أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم؟ قال: ذلك أرفع طعام أهلك وطعام الناس. وروي عن ابن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنهما قالا: لكل مسكين نصف صاع من حنطة يعني: إذا أراد أن يدفع إليهم، وإن أراد أن يطعمهم، فالغداء والعشاء.

ثم قال: {أَوْ كِسْوَتُهُمْ} قال مجاهد: أدناه ثوب وأعلاه ما شئت وقال إبراهيم النخعي: لكل مسكين ثوب وقال الحسن: ثوبان أبيضان ثم قال: {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} يعني: يعتق رقبة، ولم يشترط ها هنا المؤمنة، فيجوز الكفارة بالكافرة والمؤمنة، فالرجل بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة، {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} الطعام ولا الكسوة ولا الرقبة فعليه {فَصِيَامُ} يعني: صيام {ثلاثة أَيَّامٍ}.

وروى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح قال: سئل طاوس عن صيام الكفارة، قال: يفرق. قال له مجاهد كان عبد الله يقرأ: متتابعات، قال طاوس: فهو أيضاً متتابعات. وروى مالك عن حميد، عن مجاهد قال: كان أبي يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات في الكفارة اليمين.

ثم قال: {ذلك} يعني: الذي ذكر {كَفَّارَةُ أيمانكم} عن الطعام والكسوة والعتق والصوم، ثم قال: {إِذَا حَلَفْتُمْ واحفظوا أيمانكم} يعني: ليعلم الرجل ما حلف عليه، فليكفر يمينه إذا حنث، {كَذَلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياته} يعني: أمره ونهيه، {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: لكي تشكروا رب هذه النعمة، إذ جعل لكم مخرجاً من أيمانكم بالكفارة، والكفارة في اللغة: هو التغطية يعني: يغطي إثمه.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [90- 93]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ} نزلت هذه الآية في شأن سعد بن أبي وقاص، لأنهم كانوا يشربونها، وكانت لهم حلالاً. فجرى بين سعد وبين رجل من الأنصار افتخار في الأنساب، فاقتتلا، فشج رأس سعد، فدعا عمر بن الخطاب، فقال: اللهم أرنا رأيك في الخمر، فإنها متلفة للمال، مذهبة للعقل، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمر والميسر قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ومنافع لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العفو كذلك يُبيِّنُ الله لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: 219] فقال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية: {إِنَّمَا الخمر والميسر والانصاب والازلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان} يعني: حرام، وهو من تزيين الشيطان، {فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يعني: فاتركوا شربها، ولم يقل: فاجتنبوها، لأنه انصرف إلى المعنى، ومعناه: اجتنبوا ما ذكرنا ونهيناكم عن ذلك، قوله: {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات معروشات وَغَيْرَ معروشات والنخل والزرع مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ والزيتون والرمان متشابها وَغَيْرَ متشابه كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تسرفوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسرفين} [الأنعام: 141] ولم يقل: من ثمرها.

ثم قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشيطان أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العداوة والبغضاء فِى الخمر والميسر وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ الله} يعني: عن طاعة الله، {وَعَنِ الصلاة} لأنهم مُنِعوا عن الصلاة إذا كانوا سكارى. ولأنه إذا سكر لا يعقل الطاعة وأداء الصلاة.

ثم قال: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ} يعني: انتهوا عن شربها، فقال عمر: قد انتهينا يا رب. وعن عطاء بن يسار: أن رجلاً قال لكعب الأحبار: أحُرِّمت الخمرة في التوراة؟. قال: نعم هذه الآية {إِنَّمَا الخمر والميسر} مكتوب في التوراة: إنا أنزلنا الحق لنذهب به الباطل، وتبطل به اللعب والدفف والمزامير والخمر مرة لشاربها، أقسم الله تعالى بعزه وجلاله، أن من انتهكها في الدنيا، أعطشته في الآخرة يوم القيامة، ومن تركها بعدما حرمتها لأسقينها إياه في حظيرة القدس، قيل: وما حظيرة القدس؟ قال: الله هو القدس، وحظيرته الجنة.

ثم قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول} يعني: في تحريم الخمر، {واحذروا} عن شربها، {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ} يقول: أعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول {فاعلموا أَنَّمَا على رَسُولِنَا البلاغ المبين} فهذا تهديد لمن شرب الخمر بعد التحريم، فلما نزلت هذه الآية قال: حُيَيُّ بن أخطب: فما حال من مات منهم وهم يشربونها. فعيّر بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن ذلك، فنزلت

هذه الآية: {لَيْسَ عَلَى الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ} يعني: شربوا قبل تحريمها، ولم يعرفوا تحريمها.

ويقال: إن بعض الصحابة كانوا في سَفْرَة فشربوا منها بعد التحريم، ولم يعرفوا تحريمها. فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {وَلَيْسَ *** عَلَى الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ} يعني: شربوا قبل تحريمها، {إِذَا مَا اتقوا} الشرك، {وَءامَنُواْ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، والقرآن {وَعَمِلُواْ الصالحات ثُمَّ اتَّقَواْ} المعاصي {وَءامَنُواْ} يعني: صدقوا بعد تحريمها {ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ والله يُحِبُّ المحسنين} في أفعالهم ويقال: معناه ليس عليهم جناح فيما طعموا قبل تحريمها إذا اجتنبوا شربها بعد تحريمها.

وروى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذٍ معاوية بن أبي سفيان، وقالوا هي لنا حلال وتأولوا قوله {لَّيْسَ عَلَى الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ} فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: أن ابعثهم إليّ، قبل أن يفسدوا من قِبَلك. فلما قدموا على عمر، جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ما ترون؟ فقالوا: إنهم قد افتروا على الله كذباً، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به، فاضرب أعناقهم، وعليّ ساكت فقال: يا عليّ ما ترى؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة وأرسلهم.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [94- 95]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)}

{ياأيها الذين ءامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ الله بِشَئ مّنَ الصيد} يعني: ليختبرنّكم الله. والاختبار من الله هو إظهار ما علم منهم بشيء من الصيد. يعني: ببعض الصيد. فتبعيضه يحتمل أن يكون معناه: ما داموا في الإحرام، فيكون ذلك بعض الصيد، ويحتمل أن يكون على معنى التخصيص، يحمل ذلك على وجه تبيين جنس من الأجناس كما قال: {ذلك وَمَن يُعَظّمْ حرمات الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الانعام إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ فاجتنبوا الرجس مِنَ الاوثان واجتنبوا قَوْلَ الزور} [الحج: 30] ويحتمل بعض الصيد، يعني صيد البر

دون صيد البحر، {تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ} يعني: تأخذونه بأيديكم بغير سلاح، مثل البيض والفراخ، {ورماحكم} يعني: تأخذونه بسلاحكم، وهو الكبار من الصيد، {لِيَعْلَمَ الله مَن يَخَافُهُ بالغيب} يعني: يميز الله من يخاف من الذين لا يخافون.

وبيّن فضل الخائفين: {فَمَنِ اعتدى بَعْدَ ذلك} يعني: من أخذ الصيد بعد النهي {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: وجيع يعني الكفارة والتعذيب في الدنيا والآخرة، والعذاب إن مات بغير توبة.

ثم قال: {أَلِيمٌ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصيد وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} يعني: وأنتم محرمون ويقال: وأنتم محرمون أو في الحرم. ثم بيّن الكفارة فقال: {وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمّداً فَجَزَاء مّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النعم} يعني: عليه الفداء مثل ما قتل. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي: {فَجَزَاء مّثْلُ} بتنوين الهمزة وبضم اللام. وقرأ الباقون: بالضم بغير تنوين وبكسر اللام. فأما من قرأ: بالتنوين. فمعناه: فعليه جزاء، ثم صار المثل نعتاً للجزاء. وأما من قرأ: بغير تنوين فعلى معنى الإضافة إلى الجزاء يعني: عليه جزاء ما قتل من النعم، يشتري بقيمته من النعم ويذبحه. يعني: إذا كان المقتول يوجد النعم.

ثم قال: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مّنْكُمْ} يعني: رجلان مسلمان عدلان ينظران إلى قيمة المقتول، ثم يشتري بقيمته {هَدْياً بالغ الكعبة} يعني: يبلغ بالهدي مكة ويذبحه هناك ويتصدق بلحمه على الفقراء. {أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مساكين} يعني: إن شاء يشتري بقيمته طعاماً ويتصدق به على كل مسكين نصف صاع من حنطة {أَو عَدْلُ ذلك صِيَاماً} يعني: يصوم مكان كل نصف صاع من حنطة يوماً. قال ابن عباس: إنما يقوّم لكي يعرف مقدار الصيام من الطعام؛ فهو بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة إن شاء أطعم، وإن شاء أهدى، وإن شاء صام. قرأ نافع وابن عامر: {أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مساكين} بغير تنوين على معنى الإضافة. وقرأ الباقون {كَفَّارَةٌ} بالتنوين والطعام نعتاً لها.

ثم قال: {لّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} يعني: عقوبة ذنبه لكي يمتنع عن قتل الصيد.

{عَفَا الله عَمَّا سَلَفَ} يعني: عما مضى قبل التحريم {وَمَنْ عَادَ} بعد التحريم {فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ} يعني: يعاقبه الله تعالى. ومع ذلك يجب عليه الكفارة. وقال بعضهم: لا يجب عليه الكفارة إذا قتل مرة أخرى.

وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه سئل عن المحرم يصيب الصيد فيحكم عليه، ثم يصيبه أيضاً قال: لا يحكم عليه، وتلا هذه الآية {وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ} فذلك إلى الله إن شاء عفا وإن شاء عاقبه. وعن شريح: أن رجلاً أتاه فسأله أن يحكم عليه فقال له شريح: هل أصبت صيداً قبله؟ قال: لا. قال: لو كنت أصبته قبل ذلك لم أحكم عليك. وقال بعضهم:

سواء قتل قبل ذلك أو لم يقتل فهو سواء. لأنه قاتل في المرة الثانية كما هو قاتل في المرة الأولى.

وروي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم أنهم حكموا ولم يسألوه أنك أصبت قبل ذلك أم لا. وروى ابن جريج عن عطاء أنه سئل عن قوله: {عَفَا الله عَمَّا سَلَفَ} قال: يعني: ما كان في الجاهلية. ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه، ومع ذلك عليه الكفارة. وروى سعيد بن جبير مثله. وقد قال بعض الناس: إنه إذا قتل خطأ فلا تجب عليه الكفارة. وهذا القول ذكر عن طاوس اليماني.

وقال غيره: تجب عليه الكفارة. وروى ابن جريج عن عطاء قال سألت عن قوله: {وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمّداً} فلو قتله خطأ أيغرم؟ قال: نعم يعظم بذلك حرمات الله. ومضت به السنن. وعن الحسن قال: يحكم عليه في الخطأ والعمد. وعن إبراهيم النخعي وعن مجاهد مثله. وبهذا القول نأخذ ونقول: بأن العمد والخطأ سواء، والمرة الأولى والثانية سواء. ثم قال تعالى: {والله عَزِيزٌ ذُو انتقام} من أهل المعصية آخذ الصيد بعد التحريم. ويقال: {وَمَنْ عَادَ} مستحلاً أو مستخفاً بأمر الله تعالى {فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ} يعني: يعذبه الله تعالى {والله عَزِيزٌ ذُو انتقام} يعذب من عصاه.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [96]

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96)}

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البحر} يعني: للمقيمين والمسافرين. وهي السمكة المالحة. ويقال: {وَطَعَامُهُ} ما نضب الماء عنه فأخذ بغير صيد ميتاً. ويقال: كل ما سقاه الماء فأنبت من الأرض فهو طعام البحر.

قال الفقيه: حدّثنا الفضل بن أبي حفص. قال: حدّثنا أبو جعفر الطحاوي. قال: حدّثنا محمد بن خزيمة قال: حدّثنا حجاج بن المنهال قال: حدّثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: كنت في البحرين، فسألني أهل البحرين عما يقذف البحر من السمك، فقلت: كلوه. فلما رجعت إلى المدينة سألت عن ذلك عمر بن الخطاب فقال: ما أمرتهم به؟ فقلت: أمرتهم بأكله فقال: لو أمرتهم بغير ذلك لضربتك بالدرة. ثم قرأ عمر: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البحر وَطَعَامُهُ متاعا لَّكُمْ} فصيده ما صيد وطعامه: ما رمي به.

ثم قال: {وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البر مَا دُمْتُمْ حُرُماً} يعني: ما دمتم محرمين فلا تأخذوا الصيود {واتقوا الله} فلا تأخذوه في إحرامكم {الذى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} فيجزيكم بأعمالكم.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [97]

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97)}

{جَعَلَ الله الكعبة البيت الحرام قِيَاماً لّلنَّاسِ} يعني: لجأ إلى الحرم آمناً للناس. كان الرجل إذا أصاب ذنباً أو قتل قتيلاً ثم لجأ إلى الحرم آمناً بذلك. ويقال: قياماً للناس يعني قواماً لمعايشهم. قرأ ابن عامر: {قَيِّماً} على جهة المصدر وقرأ الباقون: {قِيَاماً} على جهة الاسم والمصدر. وإنما سميت الكعبة كعبة لارتفاعها. ولهذا سمي الكعبان. ويقال للجارية: إذا نهدت ثدياها قد كعبت ثدياها وهي كاعب كما قال: {وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً} [النبأ: 33].

ثم قال: {والشهر الحرام والهدى والقلائد} يعني: جعل الشهر الحرام والهديَ والقلائد آمناً للناس وقواماً لمعايشهم، لأنهم كانوا إذا توجهوا إلى مكة، وقلّدوا الهدي، أمنوا. ويقال: {جَعَلَ الله الكعبة البيت الحرام قِيَاماً لّلنَّاسِ} يعني: معالم للناس. وقال مقاتل بن حيان: يعني: علماً لقبلتهم يصلون إليها. وقال سعيد بن جبير: صلاحاً لدينهم. وحرم عليهم الغارة في الشهر الحرام. وأخذ الهدي والقلائد في الشهر الحرام. {ذلك} الذي جعل الله من الأمن {لِتَعْلَمُواْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: لتعلموا أن الله يعلم صلاح ما في السموات وما في الأرض.

{وَأَنَّ الله بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} يقول: عليم بكل شيء من صلاح الخلق ويقال: هو مردود إلى ما أنبأ الله تعالى على لسان نبيه في هذه السورة من أخبار المنافقين، وإظهار أسرارهم. فقال: ذلك الذي ذكر الله تعالى لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم من السر والعلانية.

▲ تفسير الآيات رقم [98- 100]

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)}

{اعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب} يعني: إذا عاقب فعقوبته شديدة لمن عصاه {وَأَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لمن أطاعه.

قوله تعالى: {مَّا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} يعني: أن الرسول ليس عليه طلب سرائرهم، وإنما عليه بتبليغ الرسالة، والله تعالى هو الذي يعلم سرائرهم.

قوله تعالى: {قُل لاَّ يَسْتَوِى الخبيث والطيب} يعني: لا يستوي الحلال والحرام. قال في رواية الكلبي: نزلت في شأن حَجَّاج اليمامة شريح بن ضبيعة حين أراد المسلمون أخذ ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأخبرهم أن أخذ ماله حرام.

{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخبيث} يعني: كثره مال شريح بن ضبيعة {واتقوا الله} لا تستحلوا ما حرم الله عليكم {واتقون يأُوْلِي الالباب} يا ذوي العقول {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يعني: تأمنون من عذابه. وروى أسباط عن السدي أنه قال: {الخبيث} هم المشركون {والطيب} هم المؤمنون. وقال الضحاك: {لاَّ يَسْتَوِى الخبيث والطيب} يعني: صدقة من حرام لا تصعد إلى الله تعالى، لا توضع في خزائنه. وصدقة من حلال تقع في يد الرحمن يعني: يقبلها.

{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ} يعني: مثقال حبة من صدقة الحلال أرجح عند الله من جبال الدنيا من الحرام.

وقوله تعالى: {تُفْلِحُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ: {فِيهِ ءايات بينات مَّقَامُ إبراهيم وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءامِناً وَلِلَّهِ عَلَى الناس حِجُّ البيت مَنِ استطاع إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ العالمين} [آل عمران: 97] وقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام رجل فقال: في كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه. ثم عاد فقال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَ، وَلَوْ وَجَبَ مَا اسْتَطَعْتُمُوهُ، وَلَوْ تَرَكْتُمُوهُ لَكَفَرْتُمْ " ثم قال: " إِنَّمَا هِيَ حُجَّةٌ وَاحِدَةٌ أو قال: مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ "

ونزل:

▲ تفسير الآيات رقم [101- 102]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)}

{يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} وعن أبي عوانة أنه قال: سألت عكرمة عن قوله تعالى: {لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} قال: ذلك يوم قام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه، فأكثروا عليه فغضب. وقال: " لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ " فقام رجل فكره المسلمون يومئذٍ مقامه. فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: «حُذَافَةُ» يعني: رجلاً غير أبيه فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله رضينا بالله رباً، وبك نبياً، فنزلت هذه الآية {لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}.

وروي في خبر آخر أن رجلاً سأله فقال: أين أبي؟ فقال: «فِي النَّارِ».

وروي عن نافع أنه سئل عن هذه الآية فقال: لم تنزل منذ قط كثرة السؤال تكره. ثم قال تعالى: {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ} يعني: وقت الذي ينزل جبريل {تُبْدَ لَكُمْ} يعني: تظهر لكم. ويقال: فيها تقديم يعني: وإن تسألوا عنها تبد لكم حين نزول القرآن. ثم قال: {عَفَا الله عَنْهَا} يعني. عن تلك الأشياء حين لم ينزل فيها القرآن ولم يوجبها عليكم {والله غَفُورٌ} ذو التجاوز {حَلِيمٌ} حيث لم يعجل عليكم بالعقوبة. ثم قال: {قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ} يعني: عن هذه الأشياء {مِن قَبْلِكُمْ} حيث سألوا المائدة من عيسى، وغيرهم سألوا أنبيائهم أشياء {ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كافرين} يعني: صاروا كافرين.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [103]

{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)}

{مَا جَعَلَ الله مِن بَحِيرَةٍ} يعني: ما جعل الله حراماً من بحيرة، لقولهم: إن الله أمرهم بتحريمها. ونزلت في مشركي العرب، فكانت الناقة إذا ولدت البطن الخامس، فإن كان الخامس ذكراً ذبحوه للآلهة، وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن مات أكله الرجال والنساء. وإن كان الولد الخامس أنثى شَقُّوا أذنها وهي البحيرة، ثم لا يُجَزّ لها وبر ولا يُذكر عليه اسم الله، وألبانها للرجال دون النساء. فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. {وَلاَ سَآئِبَةٍ} وأما السائبة: فهي الأنثى من الأنعام كلها. إذا قدم الرجل من سفره، أو برأ من مرضه، أو بنى بناءً، سيّب شيئاً من الأنعام للآلهة، وخرجها من ملكه، ويسلمها إلى سدنة البيت لآلهتهم، ولا يركبونها. وكان صوفها وأولادها للرجال دون النساء. {وَلاَ وَصِيلَةٍ} وأما الوصيلة: فهي من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن. فإن كان الولد السابع جدياً ذبحوه لآلهتهم، وكان لحمه للرجال دون النساء؛ وإن كانت عناقاً، كانوا يستعملونها بمنزلة سائر الغنم. وإن كان جدياً وعناقاً، قالوا: إن الأخت قد وصلت بأخيها، فحرمتا جميعاً، وكانت المنفعة للرجال دون النساء. وإن ماتا تشارك الرجال والنساء.

{وَلاَ حَامٍ} وأما الحام: فهو الفحل من الإبل إذا ركب ولده. قالوا: قد حمى ظهره فيهمل، ولا يحمل، ولا يركب، ولا يمنع من المياه، ولا عن المراعي، فإذا مات أكله الرجال والنساء. وكانوا يقولون: هذه الأشياء كلها من أحكام الله تعالى.

قال الله تعالى: ما حرّم الله هذه الأشياء {ولكن الذين كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ على الله الكذب}. وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أعْرِفُ أوَّلَ مَنْ سَيِّبَ السَّوَائِبِ، وَأَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ» قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: »عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ أخُو بَنِي كَعْبٍ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَجُرُّ قُصبَهُ فِي النَّارِ يُؤْذِي رِيحُهُ أهْلَ النَّارِ، وَإِنِّي لأعْرِفُ مَنْ بَحَّرَ البَحَائِرَ» قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ بَنِي مدْلِج كَانَتْ لَهُ نَاقَتَانِ، فَجَدَعَ آذَانَهُما، وَحَرَّمَ ألْبَانَهُمَا، ثُمَّ شَرِبَ ألْبَانَهُمَا بَعْدَ ذلك. فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ وَهُوَ وَهُمَا يَعضَّانِهِ بِأفْوَاهِهِمَا، وَيَخْبِطَانِهِ بِأَخْفَافِهِمَا» ثم قال تعالى: {وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} يعني: ليس لهم عقل يعقلون أن الله هو المحلل والمحرم، وليس لغيره أن يحل ويحرم.

ثم أخبر عن جهلهم فقال:

تفسير الآيات رقم [104- 105]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)}

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا إلى مَا أنزل الله وإلى الرَّسُول} من تحليل ما حرمتم على أنفسكم، وما بيّن رسوله. ويقال: تعالوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله {قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءابَاءنَا} من الدين والسنة.

قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إلى مَا أَنزَلَ الله} يعني: أيتبعون آباءهم وإن كان آباؤهم جهالاً، فنهاهم الله عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة.

وقوله تعالى: {يَهْتَدُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ} معناه: الزموا أنفسكم كما تقول: عليك زيداً، معناه: الزم زيداً. معناه: الزموا أمر أنفسكم لا يؤاخذكم بذنوب غيركم. {لاَ يَضُرُّكُمْ} وأصل اللغة: لا يضرركم. فأدغم أحد الراءين في الثاني، وضمت الثانية لالتقاء الساكنين. وهذا جواب الشرط وموضعه الجزم.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: إذا رأيتم شُحًّا مطاعاً، وهوًى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة

أنفسكم. وروى عمر بن جارية اللخمي عن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ. فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيا مُؤْثَرَةً، وَشُحّاً مُطاعاً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ. فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ المُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلاً " قالوا: يا رسول الله كأجر خمسين عاملاً منهم قال: " لا بَلْ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلاً مِنْكُمْ " وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال: يا أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية على غير تأويلها. إنه كان رجال طعموا بالإسلام، وذاقوا حلاوته، وكانت لهم قرابة من المشركين. فأرادوا أن يذيقوهم حلاوة الإسلام، وأن يدخلوهم في الإسلام. فنزل {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهتديتم}. والذي نفس أبي بكر بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليعمنكم الله بعقاب من عنده.

وروي عن أبي العالية أنه قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود، فوقع بين رجلين ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال بعضهم: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف؟ فقال بعضهم: عليك نفسك إن الله تعالى يقول: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ} يقول: لا يضركم ضلالة من ضلّ {إِذَا اهتديتم} فقال ابن مسعود: مه لم يجئ تأويل هذه الآية، بعد. فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء فعند ذلك جاء تأويلها.

وقوله تعالى: {لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ} يقول: لا يضركم ضلالة من ضلّ {إِذَا اهتديتم} إذا ثبتم على الحق {إِلَى الله} تعالى {مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} يوم القيامة {فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا.

وقال في رواية الكلبي نزلت في «منذر بن عمرو» بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر ليدعوهم إلى الإسلام، فأبوا الإسلام، فوضع عليهم الجزية فقال: {لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ} من أهل هجر، وأقر بالجزية {إِذَا اهتديتم} إلى الله يعني آمنتم بالله.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [106- 108]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآَثِمِينَ (106) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا

وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108)}

{تَعْمَلُونَ يِأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ شهادة بَيْنِكُمْ} {شَهَادَةً}: رفع بالابتداء وخبره (اثنان) ومعناه: شهادتكم فيما بينكم اثنان مسلمان عدلان {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت} فأراد أن يشهد على وصيته، وكان مقيماً. ولم يكن مسافراً فليُشهد على وصيته اثنين مسلمين {حِينَ الوصية اثنان ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الارض} يعني: إذا كنتم في السفر ولم تقدروا على مسلمين، فأشهدوا رجلين من غيركم يعني: من غير أهل دينكم. وروى مغيرة عن إبراهيم قال: إذا كان الرجل في سفر فلم يجد المسلمين يشهدهما على وصيته، فيشهد غير أهل دينه. فإن اتهما حبسا من بعد الصلاة فيغلظ عليهما في اليمين؛ وإن شهد رجلان من الورثة أنهما خانا وكذبا صدقا بما قالا، وأخذ من الآخرين يعني: من الشاهدين ما ادعي عليهما.

وروي عن مجاهد أنه قال: إذا مات المؤمن في السفر لا يحضره إلا كافران أشهدهما على ذلك. فإن رضي ورثته مما حلفا عليه من تركته فذلك. ويحلف الشاهدان أنهما لصادقان، فإن ظهر أنهما خانا، حلف اثنان من الورثة، وأبطلا أيمان الشاهدين.

وروي عن شريح أنه قال: لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في السفر، ولا تجوز في السفر إلا على الوصية، وهكذا قال إبراهيم النخعي. وبه قال ابن أبي ليلى. واحتجوا بظاهر هذه الآية. وقال علماؤنا: لا يجوز شهادة الذمي على المسلم في الوصية ولا في غيره.

وروي عن عكرمة أنه قال: {يِأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ شهادة} قال: من غير عشيرتكم. وكذلك قال الحسن: {يِأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ شهادة} يعني: من غير قبيلتكم، كلهم من أهل العدالة. قال: ألا ترى إلى قوله: {تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصلاة} وقال زيد بن أسلم: كان ذلك في رجل توفي، وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك كان في أول الإسلام، والأرض أرض الحرب، والناس كفار، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة.

وروى أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: {يِأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ شهادة} قال: هي منسوخة وقال الضحاك: نسخت هذه الآية بقوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ الشهادة لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الاخر وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} [الطلاق: 2] ورفع اليمين عن الشهود، وأبطل شهادة أهل الذمة إلا بعضهم على بعض. ويقال: لنزول هذه الآية قصة. وذلك أن ثلاثة نفر خرجوا إلى السفر: تميم الدّاري، وعدي بن زيد، وبديل بن ورقاء مولى العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص، فحضر بديل بن ورقاء

الوفاة وكان مسلماً، وأوصى إلى تميم الدّاري وإلى عدي بن زيد وكانا نصرانيين، وأمرهما أن يسلّما أمتعته إلى أهله، وكتب أسماء الأمتعة، وأدرجه في ثيابه.

فلما قدما المدينة وسلما المتاع إلى أهله، فوجد أهله الكتاب وفيه أسماء الأمتعة، وفيه جام فضة لم يسلماه إليهم. فخاصمهما المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن العاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنزلت الآية: {إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الارض} {فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الموت} بموت بديل بن ورقاء {تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصلاة} يعني: صلاة العصر. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس بعد صلاة العصر. فحلَّف الشاهدين، فحلفا أنهما لم يكتما شيئاً، فذلك قوله تعالى: {إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الارض} يعني: سافرتم في الأرض، فأصابتكم في السفر مصيبة الموت يعني: موت بديل بن ورقاء، {تَحْبِسُونَهُمَا} يعني: تقيمونهما من بعد الصلاة يعني: صلاة العصر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم {فَيُقْسِمَانِ بالله إِنِ ارتبتم} يعني: ظننتم بالشاهدين ريبة أو شككتم في أمرهما {لاَ نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً} يعني: باليمين. يعني: أن الشاهدين يحلفان بالله أنهما لم يشتريا بأيمانهما ثمناً قليلاً من عرض الدنيا.

{وَلَوْ كَانَ ذَا قربى} يعني: ذا قرابة معنا في الرحم. لأن الميت كان بينه وبينهما قرابة {وَلاَ نَكْتُمُ شهادة الله} إن سألنا عن ذلك. فإن كتمناها يعني: الشهادة: {إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الاثمين} يعني: الفاجرين.

ثم وجد الجام أي الكأس بعد ذلك في أيديهما يبيعانه في السوق. وقالا: إنا كنا اشتريناه منه، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل {فَإِنْ عُثِرَ على أَنَّهُمَا استحقا إِثْماً} يعني: خانا وكتما شيئاً من المال {فَآخَرَانِ} من أولياء الميت {يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا} يعني: مقام النصرانيين {مِنَ الذين استحق عَلَيْهِمُ الاوليان فَيُقْسِمَانِ بالله} يعني: يحلف أولياء الميت أن المتاع متاع صاحبنا {لشهادتنا أَحَقُّ مِن شهادتهما} يعني: يمين المسلمين وشهادتهما أحق يعني: أولى من شهادة الكافرين.

{وَمَا اعتدينا} في الشهادة والدعوى {إِنَّا إِذًا} اعتدينا فحينئذٍ {لَّمِنَ الظالمين}. قرأ عاصم في رواية حفص: {استحق} بنصب التاء. وقرأ الباقون: بضم التاء فمن قرأ بالنصب جعل الذين نعتاً للمدعين ومعناه: فآخران من المستحقين يقومان مقامهما. ومن قرأ بالضم: جعل الذين نعتاً للمدعى عليهم. وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر {الاولين}. وقرأ الباقون: {الاوليان}. فمن قرأ الأولين، يجعله خفضاً لأنه بدل من الذين. فكأنه يقول: من الأولين اللذين استحق عليهم. ومن قرأ: {الاوليان} صار رفعاً على البدل مما في {يِقُومَانُ} المعنى: فليقم {الاوليان} بالميت. قال القتبي: {الذين استحق عَلَيْهِمُ الاوليان} وهما الوليان. يقال: هذا الأولى بفلان.

ثم يحذف من الكلام بفلان فيقال: هذا الأولى وهذان الأوليان، كما يقال: هذا الأكبر وهذان الأكبران و{عَلَيْهِمْ} ها هنا يعني: منهم يعني: استحق منهم كما قال الله تعالى: {الذين إِذَا اكتالوا عَلَى الناس يَسْتَوْفُونَ} [المطففين: 2] يعني: من الناس يستوفون.

قوله تعالى: {ذلك أدنى أَن يَأْتُواْ بالشهادة} يعني: ذلك أحرى وأجدر. أن يأتوا بالشهادة. يعني: يقيموا الشهادة {على وَجْهِهَا} كما كانت. يعني: يقيموا شهادة المدعي مقام شهادة المدعى عليه إذا ظهرت الخيانة، لكي لا يخونا في الشهادة، ويأتيا بالشهادة على وجهها.

ثم قال: {أَوْ يخافوا أَن تُرَدَّ أيمان بَعْدَ أيمانهم} يعني: إذا خافا أن ترد اليمين إلى غيرهما، امتنعا عن الكذب. وقد احتج بعض الناس بهذه الآية بأن اليمين ترد إلى المدعي، ولا حجة له فيه، لأن ردّ اليمين حادثة أخرى، وهو ظهور الخيانة منهما. لأن دعوى الثاني دعوى الشرى، ودعوى الأول دعوى الكتمان.

ثم قال: {واتقوا الله} ولا تخونوا {واسمعوا} ما تؤمرون به {والله لاَ يَهْدِى القوم الفاسقين} يعني: الخائنين.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [109]

{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109)}

{يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرسل} {يَوْمٍ} صار نصباً لأن معناه: اتقوا {يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرسل} {فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ} يقول: ماذا أجابكم قومكم في التوحيد {قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا} من هول ذلك اليوم، ومن شدة المسألة، وهي في بعض مواطن يوم القيامة قالوا: {إِنَّكَ أَنتَ علام الغيوب} ما كان وما لم يكن.

وروى أسباط عن السدي قال: نزلوا منزلاً ذهبت فيه العقول فلما سئلوا؟ قالوا: لا علم لنا ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم. ويقال: هذا عند زفرة جهنم فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل عند ذلك إلا قال: نفسي نفسي فعند ذلك قالوا: لا علم لنا. ويقال: كان ذلك عند أول البعث، ثم يشهدون بعد ذلك بتبليغ الرسالة.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [110]

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)}

{إِذْ قَالَ الله ياعيسى ابن مَرْيَمَ **اذكر نِعْمَتِى عَلَيْكَ} بالنبوة وهذا في الآخرة {وعلى والدتك} ثم بيّن النعمة التي أنعم الله عليه في الدنيا قال: {إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القدس} يعني: اعنتُك بجبريل عليه السلام و{تُكَلّمُ الناس فِى المهد وَكَهْلاً} يعني: بعد ثلاثين سنة حين أوحى الله إليه، قال الكلبي: فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله ويقال: أوحي إليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في الرسالة ثلاث سنين، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال: {وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكتاب والحكمة} يعني: الخط بالقلم والحكمة يعني: الفقه والفهم {والتوراة والإنجيل وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا} وقال في موضع آخر: {وَرَسُولاً إلى بنى إسراءيل أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أنى أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئ الاكمه والابرص وَأُحْىِ الموتى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلك لأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [عمران: 49] بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى الطير. وقال ها هنا {فَتَنفُخُ فِيهَا} بلفظ التأنيث، لأنه انصرف إلى الهيئة المتخذة. ويقال: فيها يعني في الطين {فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى}. قرأ نافع: {***طائراً} بالألف. وقرأ الباقون: {عَلَيْهِمْ طَيْراً}.

{وَتُبْرِئ الاكمه والابرص بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الموتى بِإِذْنِى} يعني: تحيي الموتي بإذني. يعني: أحييته بدعائك. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: التقى عيسى ابن مريم عليه السلام وإبليس على عقبة من عقبات بيت المقدس. فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك، أنك تكلم الناس في المهد صبياً، وأنك أحييت الموتى، وتبرئ الأكمه والأبرص. فقال عيسى عليه السلام: بل العظيم الذي بإذنه أحييت الموتى، وهو الذي أنطقني. فقال إبليس: أنت إله الأرض. فقال عيسى عليه السلام: بل إله الأرض والسماء واحد. فكان في ذلك حتى جاءه جبريل وضربه بجناحه وألقاه في لجج البحار.

ثم قال: {وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى إسراءيل عَنكَ} إذ هموا بقتلك {إِذْ جِئْتَهُمْ بالبينات} يعني: بالعلامات والعجائب {فَقَالَ الذين كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: سحر ظاهر. قرأ حمزة والكسائي: {ساحر} بالألف. وقرأ الباقون: {ساحر} بغير ألف. فمن قرأ

بالألف يعني: هذا رجل ساحر. ومن قرأ بغير ألف يعني: هذا الفعل سحر. والاختلاف في أربع مواضع: هاهنا، وفي سورة يونس، وفي سورة هود، وفي سورة الصف. قرأ حمزة والكسائي في هذا كله: بالألف. وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر في هذا كله: بغير ألف. وقرأ عاصم وابن كثير: بغير ألف إلا في سورة يونس.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [111- 113]

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)}

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحواريين} يعني: ألهمتهم وألقيت في قلوبهم. ويقال: أوحيت إلى عيسى ليبلغ الحواريين: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى} يعني: صدقوا بتوحيدي {وَبِرَسُولِى} فلما أبلغهم الرسالة {قَالُواْ ءامَنَّا} يقول: صدقنا بهما {واشهد} يا عيسى {بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} أي: مقرون. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام. إذ قال الله يا عيسى. وقال له أيضاً: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحواريين} يعني: ألهمتهم. وقال مقاتل: يقوم عيسى خطيباً يوم القيامة بهذه الآيات، ويقوم إبليس خطيباً لأهل النار بقوله: {وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِىَ الامر إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحق وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سلطان إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فاستجبتم لِى فَلاَ تَلُومُونِى ولوموا أَنفُسَكُمْ مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظالمين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22] الآية قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الحواريون ياعيسى ابن مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} قرأ الكسائي: بالتاء {هَلُ تَسْتَطِيعَ رَبَّكَ} وبنصب الباء. وقرأ الباقون: بالياء وبضم الباء. فمن قرأ: بالتاء {هَلُ تَسْتَطِيعَ ***رَبَّكَ} معناه: هل تستطيع أن تدعو ربك؟ ومن قرأ: بالياء معناه: هل يجيبك ربك؟ {أَن يُنَزّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مّنَ السماء} وذلك أن عيسى لما خرج، اتبعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر. بعضهم كانوا أصحابه، وبعضه كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لمرض كان بهم أو علة، أو كانوا زمنى، أو عمياناً. وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزئون، وبعضهم نظارة. فخرج إلى موضع، فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة، فجاعوا. فقالوا للحواريين: قولوا لعيسى حتى يدعو الله تعالى بأن ينزل علينا مائدة من السماء. فجاءه شمعون. فأخبره أن الناس يطلبون بأن تدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء ف {قَالَ} عيسى: قل لهم {إتقوا الله إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.

ويقال: هذا القول للحواريين: قل لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين فلا تسألوا لأنفسكم البلاء. فأخبر شمعون بذلك القوم ف {قَالُواْ} لشمعون قل له: {نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا} يعني

المائدة {وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} يعني: تسكن قلوبنا إلى ما دعوتنا إليه {وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا} بأنك نبي {وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشاهدين} لمن غاب عنا، ولمن بعدنا، فقام عيسى وصلى ركعتين.

ثم:

صفحه 16

▲ تفسير الآيات رقم [114- 115]

{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآَخِرِنَا وَآَيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)}

{قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ اللهم رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مّنَ السماء تَكُونُ لَنَا عِيداً لاِوَّلِنَا وَءاخِرِنَا} وكان يوم الأحد، فصار ذلك اليوم عيداً لهم. ويقال: {عِيداً لَّنَا} يعني: حجة لنا {وَءاخِرِنَا} يعني: حجة لمن بعدنا {قَالَ عِيسَى} يعني: نزولها علامة منك لنبوتك {وارزقنا} يعني: وأعطنا المائدة {وَأَنتَ خَيْرُ الرازقين} من غيرك.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى بقوله: {قَالَ الله إِنّى مُنَزّلُهَا عَلَيْكُمْ} ما سألتم من المائدة {فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ} يعني: بعد نزول المائدة {مّنكُمْ} ويكفر بعيسى بعد أكله من المائدة {فَإِنّى أُعَذّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذّبُهُ أَحَداً مّنَ العالمين} يعني: أحداً من الخلق. وقال بعضهم: هذه كلمة تهديد ولم ينزل عليهم المائدة.

وروي في بعض التفاسير أنهم قالوا لعيسى: رضينا بما في هذه الآية. فقال عيسى لشمعون وكان أكبر الحواريين: هل معك شيء من الزاد؟ قال: نعم. فجاءه بخمسة أرغفة، وسمكتين صغيرتين، فقطعهما قطعاً صغاراً ثم قال: اجلسوا رفقاء. فقعدوا عشرة عشرة. فألقى عيسى عليه السلام بين كل رفقة قدر ما يحمله بإصبعيه، فجعل الطعام يزيد حتى جاوز ركبتهم فشبعوا. وفضل خمسة. ثم عاد من الغد ففعل مثل ما فعل بالأمس.

وروي أن الرغيف والسمكتين نزلت من السماء وهم ينظرون إليها. وقيل: كانت مائدة من در وقيل: من بلور وقفت في الهواء. فاجتمعوا يأكلون منها. وروي أن المائدة كان عليها الفواكه، وكل شيء إلا الخبز واللحم. وروي أن الجميع كانوا خمسة آلاف ونيفاً وروي اثني عشر ألفاً والله أعلم بالصواب.

وقال عامة المفسرين: إن المائدة قد أنزلت عليهم. وروي عن سلمان الفارسي أن عيسى عليه السلام قام ولبس جبة من شعر، وقام ووضع يمينه على يساره، وطأطأ رأسه خاشعاً لله تعالى، وبكى حتى سالت الدموع على لحيته وصدره، وهو يدعو ويتضرع، فنزلت مائدة من السماء فوقها منديل والناس ينظرون إليه، وعيسى عليه السلام ينظر ويبكي ويقول: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة. حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى والناس حوله. قال عيسى: بسم الله وكشف المنديل للناس، فإذا فيه سمكة مشوية لا شوك فيها. والوَدَكُ يسيل منها، والخل عند رأسها، والملح عند ذنبها، وعليها أربعة أرغفة وعليها ألوان البقول إلا الكراث. فقال: كلوا من رزق ربكم فأكل منها ألف رجل. ويقال: خمسة آلاف رجل. ورجعت المائدة كما كانت. وقال بعضهم: نزلت يوماً واحداً ولم تنزل أكثر من ذلك. وقال بعضهم: ثلاثة أيام، وقال بعضهم: سبعة أيام. وقال بعضهم: أكثر من ذلك. فلما رجعوا عن ذلك الموضع شكوا فيه وكفروا، فمسخهم الله خنازير.

وروي عن ابن عمر أنه قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

وروي عن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكة. وعن عطية العوفي قال: كانت سمكة فيها طعم كل شيء.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [116- 118]

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)}

{وَإِذْ قَالَ الله ياأعيسى ابن مَرْيَمَ} يعني: يوم القيامة {أأنت قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذونى} روى أسباط عن السدي قال: لما رفع عيسى، وقالت النصارى ما قالت. وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، سأله عن قولهم. وقال الضحاك: يدعى بعيسى يوم القيامة، ويدعى بالنصارى، فيققهم، ويسأله ليفضحهم على رؤوس الناس. وقال الزجاج: هو سؤال التوبيخ للذين اعتدوا عليهم، لأنهم مجمعون أنه صادق وأنه لا يكذبهم الصادق عنده. وذلك أوكد في الحجة عليهم وأبلغ في التوبيخ. والتوبيخ ضرب من العقوبة. ويقال: إن الله تعالى لما قال لعيسى: {قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذونى وَأُمّىَ إلهين مِن دُونِ الله قَالَ} أخذته الرّعدة

من هيبة ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه {قَالَ سبحانك} فنزّه الرب عن ذلك، أن يكون أمرهم بذلك. فقال: {مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقّ} يقول: ما ينبغي وما يجوز لي أن أقول ما ليس لي بحق. يعني: ليس بعدل أن يعبدوا غيرك {إِن كُنتُ قُلْتُهُ} يعني: إن قلت لهم ذلك القول {فَقَدْ عَلِمْتَهُ} فإنك {تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى} يعني: ما كان مني في الدنيا {وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ} يعني: ولا أطلع على غيبك وما كان منك.

وقال أهل اللغة: نفس الشيء: جملة الشيء، وحقيقته، وذاته؛ فمعناه: تعلم ما في ضميري، ولا أعلم ما في حقيقتك وغيبك. {إِنَّكَ أَنتَ علام الغيوب} ما كان وما يكون. وقيل: {تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى} التي نسبت إلي، وأمرتني بالتسليم إليك. {وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ} التي سلمت إليك، فأنت مالكها بجميع ما كان وما يكون منها، وأنت علام الغيوب قبل كونها وكون فعلها. قرأ حمزة: {الغيوب} بكسر الغين ومعناهما واحد. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر: {إِنّى مُنَزّلُهَا} بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهما لغتان نَزّل وأنْزَلَ بمعنى واحد.

ثم قال: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ} يعني: في الدنيا بالتوحيد {أَنِ اعبدوا الله} يعني: وحّدوا الله وأطيعوه {رَبّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} يعني: على بني إسرائيل، أي: بلغتهم الرسالة. ويقال: شهيداً يعني: حفيظاً بما أمرتهم {مَّا دُمْتُ فِيهِمْ} يعني: ما دمت مقيماً في الدنيا بين أظهرهم.

{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى} يعني: رفعتني إلى السماء {كُنتُ أنت الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} يعني: الحفيظ والشاهد عليهم. {وَأَنتَ على كُلّ شَئ شَهِيدٌ} من مقالتي ومقالتهم. وما أدري ما أحدثوا بعدي {إِن تُعَذّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} قرأ ابن مسعود: {فَإِنَّكَ أَنتَ *** الغفور الرحيم} وقرأ غيره: {العزيز الحكيم} فإن قيل: وكيف سأل المغفرة للكفار.

قيل له: لأن عيسى علم أن بعضهم قد تاب ورجع عن ذلك. فقال: {إِن تُعَذّبْهُمْ} يعني: الذين ماتوا على الكفر، فإنهم عبادك وأنت القادر عليهم {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} يعني: الذين أسلموا ورجعوا عن ذلك. وقال بعضهم: احتمل أنه لم يكن في كتابه {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلك لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدْ ضَلَّ ضلالا بَعِيداً} [النساء: 116] فلهذا المعنى دعا لهم، ولكن التأويل الأول أحسن. ويقال: {ءانِ تَغْفِرْ لَهُمْ} يعني: لكذبهم الذي قالوا عليّ خاصة، لا لشركهم. وهذا التأويل ليس بسديد، والأول أحسن. وروي عن أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية ذات ليلة، فردّدها حتى أصبح: {إِن تُعَذّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} الآية وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير ومعناه: {إِن تُعَذّبْهُمْ} فإنك أنت العزيز الحكيم {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ} فإنهم عبادك قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [119- 120]

{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)}

{قَالَ الله هذا يَوْمُ يَنفَعُ الصادقين صِدْقُهُمْ} قرأ نافع: {هذا يَوْمُ} بالنصب. وقرأ الباقون: بالرفع. فمن قرأ بالنصب فعلى الظرف. أي: قال الله تعالى: هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم ومن قرأ: بالرفع فعلى معنى خبر هذا يعني، هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم. ويقال: ينفع النبيين صدقهم بتبليغ الرسالة. ويقال: ينفع المؤمنين إيمانهم {لَهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} يعني: ثوابهم جنات تجري من تحتها الأنهار {خالدين فِيهَا أَبَداً رَّضِىَ الله عَنْهُمْ} بالطاعة {وَرَضُواْ عَنْهُ} بالثواب {ذلك الفوز العظيم} يعني: المؤمنين فازوا بالجنة.

قوله تعالى: {للَّهِ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض {وَمَا فِيهِنَّ} من الخلق كلهم عبيده وإماؤه {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: من خلق عيسى من غير بشر والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الأنعام

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)}

{الحمد للَّهِ الذى خَلَقَ السموات والارض} وخاتمتها خاتمة سورة هود: {وَللَّهِ غَيْبُ السماوات والارض وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الامر كُلُّهُ فاعبده وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: 123] وقوله تعالى: {الحمد للَّهِ} حمد الرب نفسه، ودلّ بصنعه على توحيده، {الذى خَلَقَ السموات والارض} يعني: خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وخلق الأرض وما فيها {وَجَعَلَ الظلمات والنور} يعني: خلق الليل والنهار. ويقال: الكفر والإسلام. وقال الضحاك: هذه الآية نزلت في شأن المجوس. قالوا: الله خالق النور، والشيطان خالق الظلمة، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم، ورداً عليهم، فقال: {وَجَعَلَ الظلمات والنور} يعني: أن الله واحد لا شريك له، وهو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي خلق الظلمات والنور {ثُمَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: المجوس {بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ} يعني: يشركون. ويقال {ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ} يعني: مشركي مكة {بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ} يعني: يعبدون الأصنام.

ثم قال: {هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ} يعني: آدم، وأنتم من ذريته ومن نسله {ثُمَّ قَضَى أَجَلاً} يعني: أجل ابن آدم منذ يوم ولد إلى يوم يموت. {وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ} يعني: البرزخ منذ يموت إلى يوم البعث، فهو مكتوب في اللوح المحفوظ؛ فهذا قول مقاتل والحسن. وقال عكرمة: {أَجَلاً} يعني: أجل الدنيا {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} يعني: أجل الآخرة. وهكذا قال سعيد بن جبير: ويقال {أَجَلاً} يعني: أجل واحد {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} يعني: يوم القيامة {ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ} يعني: تشكون في البعث بعد الموت وفي الأجل المسمى.

ثم قال: {وَهُوَ الله فِى * السموات *** وَفِى الارض} يعني: هو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض. وهذا كقوله: {وَهُوَ الذى فِى السمآء إله وَفِى الارض إله وَهُوَ الحكيم العليم} {صلى الله عليه وسلم} [الزخرف: 84] يعني: وهو خالق السموات والأرض. ويقال: هو الذي يوحد ويقر بوحدانيته أهل السموات والأرض. ويقال: عالم

بما في السموات وبما في الأرض. {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ} يعني: يعلم سر أعمالكم {وَجَهْرَكُمْ} يعني علانيتكم {وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} من الخير والشر فيجازيكم بذلك.

ثم أخبر عن أمر المشركين فقال.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آَخَرِينَ (6)}

{وَمَا تَأْتِيهِم مّنْ ءايَةٍ مّنْ ءايات رَبّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} ولم يتفكروا فيها ليعتبروا في توحيد الله تعالى. وذلك أن مشركي مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم علامة. وقالوا: إنا نريد أن تدعو لينشق القمر نصفين لنؤمن بك، وبربك، ونصدقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانشق القمر شقين، وذهب أحد النصفين إلى جانب حراء، والآخر إلى جانب آخر وهم ينظرون إليه. وقال ابن مسعود: أنا رأيت حراء بين فلقتي القمر. فأعرضوا عنه فلم يؤمنوا. وقالوا: هذا سحر مبين.

فنزلت {اقتربت الساعة وانشق القمر * وَإِن يَرَوْاْ ءايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} [القمر: 1، 2] ونزلت هذه الآية: {وَمَا تَأْتِيهِم مّنْ ءايَةٍ مّنْ ءايات رَبّهِمْ} يعني: انشقاق القمر {إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ}.

يقول الله تعالى: {فَقَدْ كَذَّبُواْ بالحق لَمَّا جَاءهُمْ} يعني: بالقرآن حين جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، واستهزؤوا بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى.

{فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاء} يعني: سيعلمون جزاء تكذيبهم واستهزائهم بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى ويقال: يأتيهم أخبار {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} من العذاب حين رأوها معاينة. فهذا وعيد لهم أنه يصل إليهم العذاب إما في الدنيا، وإما في الآخرة.

ثم وعظهم ليخافوا ويرجعوا فقال: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ} يعني: من قبل كفار مكة {مكناهم فِى الارض} يعني: مكنّاهم وأعطيناهم من المال والولد {مَا لَمْ نُمَكّن لَّكُمْ} يا أهل مكة {وَأَرْسَلْنَا السماء عَلَيْهِم مَّدْرَاراً} يعني: المطر متتابعاً كلما احتاجوا إليه. {وَجَعَلْنَا الانهار تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فأهلكناهم} يعني: عذبناهم {بِذُنُوبِهِمْ} وبتكذيبهم رسلهم {وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ} يعني: وجعلنا من بعد هلاكهم {قَرْنٍ مكناهم} قال الزجاج:

القرن أهل كل مدة فيها نبي أو فيها طبقة من أهل العلم. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ الْقُرونِ أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ «

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [7- 10]

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)}

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كتابا فِى قِرْطَاسٍ} ذلك أن النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء. قال الله تعالى: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كتابا فِى قِرْطَاسٍ} يقول: مكتوباً في صحيفة {فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} يقول: عاينوه وأخذوه بأيديهم ما يصدقونه {لَقَالَ الذين كَفَرُواْ} يعني: يقول الذين كفروا: {إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} ولا يؤمنون به {وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} من السماء فيكون معه نذيراً.

فقال الله تعالى: {وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً} من السماء {لَّقُضِىَ الامر} يعني لهلكوا إذا عاينوا الملك، ولم يؤمنوا، ولم يصدقوا ولنزل العذاب بهم {ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} يعني: لا ينتظر بهم حتى يعذبوا. ويقال: لو نزل الملك لنزل بإهلاكهم. ويقال: لو أنزلنا ملكاً لا يستطيعون النظر إليه فيموتوا.

ثم قال: {وَلَوْ جعلناه مَلَكاً} يعني: لو أنزلنا ملكاً بالنبوة {لجعلناه رَجُلاً} يعني: لأنزلناه على شبه رجل، على صورة آدمي. ألا ترى أنهم حين جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام جاؤوا على صورة الضيفان. وعلى داود عليه السلام مثل خصمين. وكان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية الكلبي.

ثم قال: {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} يعني لو نزل الملك على أشباه الآدميين لا يزول عنهم الاشتباه. والتلبس وروى بعضهم عن ابن عامر أنه قرأ: {مَّا يَلْبِسُونَ} بنصب الباء يعني: جعلنا عليه من الثياب ما يلبسونه على أنفسهم. ظنوا أنه آدمي. والقراءة المعروفة: بالكسر. يقال: لبس يلبس إذا لبس الثوب. ولبس يلبس: إذا خلط الأمر. وقال القتبي: {وَلَلَبَسْنَا} يعني: أضللناهم بما ضلوا به من قبل أن يبعث الملك.

ثم قال: {وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ} يا محمد كما استهزأ بك قومك في أمر العذاب {فَحَاقَ بالذين} يقول: وجب ونزل بالذين {سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} بالرسل. ويقال: {فَحَاقَ} أي: رجع. وقال أهل اللغة: الحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَتْه نفسه. كقوله: {استكبارا فِى الارض وَمَكْرَ السيئ وَلاَ يَحِيقُ المكر السيئ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ آلأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً} [فاطر: 43] وقال الضحاك: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد الحرام مع المستضعفين من المؤمنين بلال بن رباح وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وغيرهم. فمر بهم أبو جهل بن هشام في ملأ من قريش وقال: يزعم محمد أن هؤلاء ملوك أهل الجنة فأنزل الله تعالى عل رسوله هذه الآية ليثبت بها فؤاده، ويصبره على أذاهم فقال: {وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ} يعني: إن سخر أهل مكة من أصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسلهم فجعل الله تعالى دائرة السوء على أهل ذلك الاستهزاء.

ثم أمر المشركين بأن يعتبروا بمن قبلهم وينظروا إلى آثارهم في الأرض فقال:

تفسير الآيات رقم [11- 12]

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12)}

{قُلْ سِيرُواْ فِى الارض} يعني: قل لأهل مكة سافروا في الأرض {ثُمَّ انظروا} يعني: اعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة} يعني: آخر أمر {المكذبين} بالرسل والكتب. وقال الحسن: {سِيرُواْ فِى الارض} يعني: اقرؤوا القرآن فانظروا كيف كان عاقبة المتقدمين في العذاب. فقال أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فعلت هذا الفعل لطلب المال، فاترك هذا الفعل. إنا نجمع لك مالاً تصير به أغنى أهل مكة. فنزل قوله تعالى: {قُل لّمَن مَّا فِى

1649;لسموات والارض} فإن أجابوك وإلا ف {قُل لِلَّهِ} يعني: ما في السموات وما في الأرض يعطي منها من يشاء.

ثم قال: {كَتَبَ على نَفْسِهِ الرحمة} فلا يعذبكم في الدنيا. وروى عطاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ لله مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا وَاحِدَةً فَقَسَمَها بَيْنَ الخَلائِقِ فِبها يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوُحُوشُ عَلَى أوْلادِها، وَادَّخَرَ لِنَفْسِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ويقال: كتب الرحمة حيث أمهلهم، ولم يهلكهم ليرجعوا ويتوبوا.

ثم قال: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوْمِ القيامة} يعني: ليجمعنكم يوم القيامة. وهذا كما يقال: جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أي ضممت بينهم في الجمع {لاَ رَيْبَ فِيهِ} يعني: في البعث أنه كائن.

ثم نعتهم فقال: {الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} قال بعضهم: هذا ابتداء وخبره {لاَ يُؤْمِنُونَ}. وقال بعضهم: هذا بدل من قوله: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ}. عظم نفسه فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [13- 16]

{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)}

{وَلَهُ مَا سَكَنَ} يعني: ما استقر {وَلَهُ مَا سَكَنَ} من الدواب والطير في البر والبحر. فمنها ما يستقر في الليل وينتشر بالنهار. ومنها ما يستقر بالنهار وينتشر الليل.

ثم قال: {وَهُوَ السميع العليم} يعني: السميع لمقالتهم، العليم بعقوبتهم. ثم قال: {قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيّاً} وذلك أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّ آباءك كانوا على مذهبنا، وإنما تركت مذهبهم للحاجة فارجع إلى مذهب آبائك حتى نغنيك بالمال. فنزلت {قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيّاً} يعني: أعبد رباً {فَاطِرَ السموات والارض} يعني: خالق السموات والأرض. ويقال: مبتدئهما. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: »كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ« أي، على ابتداء الخلقة. وهو الإقرار بالله حين أخذ عليهم العهد في أصلاب آباءهم. وإنما صار {فَاطِرَ} كسراً لأنه من صفة الله تعالى يعني: أغير الله فاطر السموات والأرض. وقال الزجاج: يجوز الضم على معنى هو فاطر السموات والأرض. ويجوز النصب على معنى: اذكروا فاطر السموات، إلا أن الاختيار الكسر.

ثم قال: {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ} يعني: يرزق ويقال: وهو يرزق ولا يعان على رزق الخلق. وقرأ بعضهم: {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ} بنصب الياء يعني: يرزق ولا يأكل.

ثم قال: {قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} من أهل مكة يعني: أول من أسلم من أهل مكة، واستقام على التوحيد {وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المشركين} يعني: وقال لي ربي: لا تكونن من المشركين بقولهم: ارجع إلى دين آبائك.

وقوله تعالى: {قُلْ إِنّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّى} يعني: إني أعلم إن عصيت ربي فرجعت إلى آبائي، وعبدت غيره. {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: عذاباً شديداً في يوم القيامة.

{مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ} سوء العذاب {يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ} يعني: غفر له وعصمه. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عامر وعاصم في رواية حفص {مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ} بضم الياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: {مَّن يُصْرَفْ} بنصب الياء ومعناه: من يصرف الله عنه. ولأنه سبق ذكر قوله: {رَبّى} فانصرف إليه.

ثم قال: {وَذَلِكَ الفوز المبين} يعني: صرف العذاب: هو النجاة الوافرة. وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لا يَنْجُو أَحَدٌ بِعَمَلِهِ» قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «وَلاَ أنَا إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدِني الله بِرَحْمَتِهِ» يعني: أن الخلق كلهم ينجون برحمة الله تعالى.

ثم خوّفه ليتمسك بدينه فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [17- 19]

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)}

{وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرّ} يعني: إن يصبك الله بشدة أو بلاء {فَلاَ كاشف لَهُ إِلاَّ هُوَ} يعني: لا يقدر أحد من الآلهة التي يدعونها ولا غيرها كشف الضر إلا الله تعالى.

{وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ} يقول: وإن يصبك بسعة أو صحة الجسم فإنه لا يقدر أحد على دفع ذلك. {فَهُوَ على كُلّ شَئ قَدُيرٌ} من الغنى والفقر والعافية.

ثم قال: {وَهُوَ القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ} الغالب والعالي عليهم. ويقال: القادر والمالك عليهم {وَهُوَ الحكيم} في أمره {الخبير} بأفعال الخلق.

ثم قال: {قُلْ أَىُّ شَئ أَكْبَرُ شهادة} وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد ألا وجد الله رسولاً غيرك؟ وما نرى أحداً من أهل الكتاب يصدقك بما تقول فأرنا من يشهد لك أنك رسوله؟ فقال الله تعالى: {قُلْ}: لأهل مكة {أَىُّ شَئ أَكْبَرُ شهادة} يعني: حجة وبرهاناً ويقال: من أكبر شهادة؟ فإن أجابوك وإلا ف {قُلِ الله شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ} بأني رسول الله. والشهيد في اللغة: هو المبين. وإنما سمى الشاهد شاهداً لأنه يبيّن دعوى المدعي بأمر الله نبيه عليه السلام بأن يحتج عليهم بالله الواحد القهار الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وخلقهم أطواراً.

ثم قال: {قُلْ أَيُّ شَئ أَكْبَرُ شهادة قُلِ} يعني: لأخوفكم بالقرآن يا أهل مكة {وَمَن بَلَغَ} يعني: ومن بلغه القرآن سواكم، فأنا نذير وبشير من بلغه القرآن من الجن والإنس. قال قتادة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتَابِ الله تَعَالَى»، فمن بلغه فكأنما عاين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه. وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ: {لِإنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ} وقال مجاهد: {لِإنذِرَكُمْ بِهِ} يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: {وَمَن بَلَغَ} يعني: من العجم وغيرهم.

ثم قال: {أَءنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ الله ءالِهَةً أخرى} من الأصنام. فإن قالوا: نعم {قُل لاَّ أَشْهَدُ} بما شهدتم ولكن {قُلْ} أشهد {إِنَّمَا هُوَ إله واحد وَإِنَّنِى بَرِئ مّمَّا تُشْرِكُونَ} من الأصنام والأوثان.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [20- 23]

{الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)}

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ} يعني: التوراة والإنجيل {يَعْرِفُونَهُ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته {كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ} وقال عبد الله بن سلام: أنا أعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابني لأني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أشهد لابني، لأني لا أدري ما أحدثت النساء بعدي.

ثم قال: {الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: كعب بن الأشرف ومن تابعه ممن طلبوا الرئاسة، آثروا الدنيا على الآخرة.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً} يعني: ممن اختلق على الله كذباً باتخاذ الآلهة وقوله الشرك {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ} يعني: بالقرآن أنه ليس من عند الله {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون} يعني: أنه لا يأمن الكافرون من عذابه. قال في اللغة: {أَنَّهُ}: مرة تكون للإشارة مثل قوله: {قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ربى إِنَّهُ هُوَ الغفور الرحيم} [يوسف: 98] ومرة تكون للعماد مثل قوله تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ الله إِلَهَا ءاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون} [المؤمنون: 117] {وَأَنَّهُ *** لاَ يُفْلِحُ الظالمون} وقوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً} يوم القيامة {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ

الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} يعني: أين آلهتكم التي تزعمون. يعني: تعبدون من دون الله {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} وأصل الفتنة في اللغة: هو الاختبار. ويقال: فتنت الذهب في النار إذا أدخلته لتعلم جودته وإنما سمي جوابهم فتنة لأنهم حين سئلوا، اختبروا بما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب من ذلك الاختبار فتنة إلا هذا القول. ويقال: ثم لم تكن معذرتهم وجوابهم {إِلاَّ أَن قَالُواْ والله رَبّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}. قال مجاهد: إن المشركين لما رأوا يوم القيامة أن الله لا يغفر ذنوبهم يقول بعضهم لبعض: يا ويلكم جئتم بما لا يغفر الله لكم. هلموا الآن فلنكْذِبْ على أنفسنا، ونحلف على ذلك، فحلفوا. فحينئذٍ ختم على أفواههم، فتشهد أيديهم وأرجلهم عليهم. قرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} بالتاء لأن الفتنة مؤنث {فِتْنَتُهُمْ} بضم التاء، لأنه اسم تكن. وقرأ حمزة والكسائي: ثم لم يكن بالياء، لأن الفتنة وإن كانت مؤنثة إلا أن تأنيثه ليس بحقيقي، ولأن الفتنة بمعنى: الإفتان فانصرف إلى المعنى {فِتْنَتُهُمْ} بالنصب، فجعلاه خبر تكن والاسم ما بعده. وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ} بالتاء والنصب وقرأ حمزة والكسائي: {والله رَبّنَا} بنصب الباء. ومعناه: يا ربنا. وقرأ الباقون: {والله رَبّنَا} بكسر الباء على معنى النعت. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {انظر كَيْفَ كَذَبُواْ على أَنفُسِهِمْ} أي: كيف صار وبال تكذيبهم على أنفسهم.

ويقال: يقول الله تعالى للملائكة:

تفسير الآيات رقم [24- 26]

{انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26)}

انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} يعني: انظر إليهم كيف يكذبون على أنفسهم {وَضَلَّ عَنْهُم} يعني: ذهب عنهم. ويقال: اشتغل عنهم الآلهة بأنفسها {مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} على الله من الكذب في الدنيا.

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} يعني: إلى حديثك وقراءتك. يعني: يستمعون ولا ينفعهم ذلك {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ} يعني: غطاءً مجازاً لكفرهم. {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ} يعني: صمماً وثقلاً لا يفقهون حديثك. وقال قتادة: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً، كمثل البهيمة التي تسمع القول ولا تدري ما هو.

ثم قال: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ} يعني: انشقاق القمر وغيره {حتى إِذَا **لَكَّ◌ِرهُونَ * يجادلونك} يعني: يخاصمونك بالباطل، وينكرون أن القرآن من

الله تعالى {يَقُولُ الذين كَفَرُواْ إِنْ هذا إِلاَّ أساطير الاولين} وذلك أن النضر بن الحارث كان يخبر أهل مكة بسير المتقدمين وبأخبارهم فقالوا له: ما ترى فيما يقول محمد صلى الله عليه وسلم قال: لا أفهم مما يقول شيئاً، ولا أدري أنه من أساطير الأولين الذي أخبركم به مثل حديث رستم واسفنديار. وقال القتبي: واحدها أسطورة واسطارة ومعناها: التُّرهات. والأباطيل البسابس، وهي شيء لا نظام له وليس بشيء. وفي هذا دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بالسر، فيُظهِر الله أسرارهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} يعني: أهل مكة ينهون الناس عن محمد أن يتبعوه؛ ويتباعدون عنه أي: يتنافرون. ويقال: نزل في شأن أبي طالب. كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إن قريشاً لن يصلوا إليك حتى أوسد في التراب، فامض يا ابن أخي فما عليك غضاضة يعني: ذلاً وكان لا يسلم لأجل المقالة فنزل {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ} يعني: أبا طالب ينهى قريشاً عن إيذائه، وينأى عنه، ويتباعد عن دينه. وهذا قول الكلبي والضحاك ومقاتل. والقول الأول أيضاً قول الكلبي.

ثم قال: {وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ} يعني: وما يهلكون إلا أنفسهم {وَمَا يَشْعُرُونَ} بذلك.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [27- 28]

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)}

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} قال الكلبي: يعني: حبسوا على النار. وقال مقاتل يعني: عرضوا على النار. وقال الضحاك: يعني: جمعوا على أبوابها. ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وروي في الخبر: أن الناس كلهم وقفوا على متن جهنم كأنها متن الأهالة، ثم نادى مناد خذي أصحابك، ودعي أصحابي.

ثم قال: {فَقَالُواْ ياليتنا * أَوْ نُرَدُّ} إلى الدنيا ولم يذكر في الآية الجواب، لأن في الكلام ما دل عليه فكأنه يقول: ولو ترى يا محمد كفار قريش حين وقفوا على النار، لعجبت من ذلك فقالوا: {إِنَّمَا تَقْضِى هذه الحياة الدنيا}. {وَلاَ نُكَذّبَ بئايات رَبّنَا وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين} قرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص: {وَلاَ نُكَذّبَ} بالنصب {وَنَكُونَ} بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: {وَلاَ نُكَذّبَ} {وَنَكُونَ} كلاهما بالضم على معنى الخبر. ومن قرأ بالنصب فلأنه

جواب التمني. وجواب التمني إذا كان بالواو والفاء يكون بالنصب. كقولك: ليتك تصير إلينا ونكرمك. وقرأ بعضهم: {وَلاَ نُكَذّبَ} بالضم و{نَّكُونَ} بالنصب في رواية هشام بن عمار عن ابن عامر. وقرأ عبد الله بن مسعود: {فَلا نُكَذّبَ} بالفاء.

قوله تعالى: {بَلْ بَدَا لَهُمْ} يعني: ظهر لهم {مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ} بألسنتهم. لأن الجوارح تشهد عليهم بالشرك، فحينئذٍ يتمنون الرجعة {وَلَوْ رُدُّواْ} إلى الدنيا {لعادوا لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} يعني: رجعوا إلى كفرهم {وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في قولهم: {وَلاَ نُكَذّبَ بئايات رَبّنَا} لأنهم قد علموا في الدنيا وعاينوه. وقد عاين إبليس وشاهد ومع ذلك كفر وكذلك هاهنا لو رجعوا لكفروا كما كفروا من قبل، لأنك ترى في الدنيا إنساناً أصابه مرض أو حبس في السجن، أخلص بالتوبة لله تعالى أن لا يرجع إلى الفسق، فإذا برأ من مرضه أو أطلق من الحبس رجع إلى الحال الأول.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [29- 31]

{وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31)}

{وَقَالُوا إِن هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا} يعني: ما هي إلا آجالنا تنقضي في الدنيا، فيموت الآباء، ويجيء الأبناء {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} بعد الموت. فيبيّن الله تعالى حالهم يومئذٍ فقال: {وَلَوْ ترى إِذْ وُقِفُواْ} يعني: عرضوا وسيقوا وحبسوا {على رَبّهِمْ} يعني: عند ربهم وعند عذاب ربهم {قَالَ أَلَيْسَ هذا} يعني: العذاب والبعث {بالحق قَالُواْ بلى وَرَبّنَا} أقروا في وقت لا ينفعهم الإقرار {قَالَ فَذُوقُواْ العذاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} به وتجحدونه.

قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الذين كَذَّبُواْ بِلِقَاء الله} يعني: غبن الذين جحدوا بالله، وبالبعث حين اختاروا العقوبة على الثواب {حتى إِذَا جَاءتْهُمُ الساعة بَغْتَةً} يعني: فجأة ومعناه: أنهم جحدوا وثبتوا على جحودهم حتى إذا جاءتهم القيامة {قَالُواْ يأَبَانَا} يعني: يا ندامتنا وخزينا والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء كقوله: {يا حسرتنا} و{وَوُضِعَ الكتاب فَتَرَى المجرمين مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ياويلتنا مَا لهذا الكتاب لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] ويا ندامتنا {قَالُواْ ياحسرتنا على مَا فَرَّطْنَا} يعني: ضيعنا وتركنا العمل {فِيهَا} يعني: في الدنيا من عمل الآخرة {وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ} يعني: آثامهم {على ظُهُورِهِمْ} يعني: إنهم يحملون آثامهم. وروى أسباط عن السدي قال: ليس

من رجل ظالم يدخل قبره إلا آتاه ملك قبيح الوجه، أسود اللون، منتن الريح، عليه ثياب دنسة، فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك فيقول: كذلك كان عملك قبيحاً. فيقول ما أنتن ريحك فيقول: كذلك كان عملك منتناً. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك. فيكون معه في قبره. فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، فأنت اليوم تحملني. فيركب على ظهره حتى يدخله النار.

قال: وذلك قوله: {وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ} وذلك على سبيل المجاز يعني: يحملون وبال ذلك على ظهورهم وعقوبته. ويقال: وقرت ظهورهم من الآثام. ثقلت وحملت، وأصل الوزر في اللغة: هو الثقل ثم قال: {أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} يعني: يحملون.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [32]

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32)}

{وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِب ولَهْوٌ} يعني: لعب كلعب الصبيان يبنون بنياناً، ثم يهدمونه. ويلعبون ويلهون ويبنون ما لا يسكنون. كذلك أهل الدنيا يجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون.

ثم قال: {وَلَلدَّارُ الاخرة} يعني: الجنة {خَيْرٌ لّلَّذِينَ يَتَّقُونَ} الشرك والفواحش {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أي أن الآخرة أفضل من الدنيا. قرأ ابن عامر: {وَلَدَارُ الاخرة} بلام واحدة بالتخفيف، وبكسر الآخرة على معنى الإضافة. وقرأ الباقون: {وَلَلدَّارُ الاخرة} بلامين، {والاخرة} بالضم على معنى النعت. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة والباقون بالياء على معنى المغايبة.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [33- 35]

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآَيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)}

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُون} روى سفيان عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به، فنزلت هذه الآية. وروى أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو حزين فقال: ما يحزنك؟ قال: »كَذَّبَنِي هؤلاء« فقال: إنهم لا يكذبونك، يعلمون أنك صادق فنزلت هذه الآية: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذى يَقُولُونَ} من تكذيبهم إياك في العلانية {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذّبُونَكَ} في السر، ويعلمون أنك صادق. وكانوا يسمونه أميناً قبل أن يوحى إليه فلما أوحي إليه، كذّبوه، فقال: {ولكن الظالمين بئايات الله يَجْحَدُونَ} وهم يعلمون أنك صادق. والجحد يكون ممن علم الشيء ثم جحده كقوله تعالى: {وَجَحَدُواْ بِهَا واستيقنتهآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} [النمل: 14] قرأ نافع والكسائي: {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذّبُونَكَ} بالتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه أنهم لا يجحدونك كاذباً. ومن قرأ بالتشديد فمعناه: أنهم لا ينسبونك إلى الكذب، ولا يكذبونك في السر. وقرأ نافع: {يَحْزُنكَ} برفع الياء، وكسر الزاي. وقرأ الباقون {لَيَحْزُنُكَ} بنصب الياء، وضم الزاي، ومعناهما واحد.

ثم عزّاه ليصبر على أذاهم فقال: {وَلَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ} يعني: أن قومهم كذبوهم كما كذبك قريش {فَصَبَرُواْ على مَا كُذّبُواْ وَأُوذُواْ} يعني: صبروا على تكذيبهم وأذاهم {حتى أتاهم نَصْرُنَا} يعني: عذابنا لهلاكهم {وَلاَ مُبَدّلَ لكلمات الله} يعني: لا مغيّر لوعد الله. فهذا وعد من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بالنصرة، كما نصر النبيين من قبله.

ثم قال: {وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ المرسلين} يعني: من خبر المرسلين، كيف أنجيت المرسلين، وكيف أهلكت قومهم. فلما وعد الله تعالى بالنصرة للنبي صلى الله عليه وسلم تعجل أصحابه لذلك، وأرادوا أن يعجل بهلاك الكفار فنزل: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ} خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به قومه فقال: إن عظم عليك إعراضهم عن الإيمان، ولا تصبر على تكذيبهم إياك {فَإِن استطعت أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى الارض} يعني: إن قدرت أن تطلب سِرْباً في الأرض والنافقاء إحدى جحري اليربوع {أَوْ سُلَّماً فِى السماء} يعني: مصعداً إلى السماء {وَإِن كَانَ} فافعل ذلك على وجه الإضمار. وهذا كما قال في آية أخرى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله فِى الدنيا والاخرة فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السمآء ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج: 15] الآية.

وروى محمد بن المنكدر: أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمر السماء أن تطيعك، وأمر الأرض أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت أن ينزل عذاباً عليهم قال: «يا جبريل أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم «

ثم قال: {وَلَوْ شَاء *** لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهدى} يعني: لهداهم إلى الإيمان. ويقال: ولو شاء لاضطرهم إلى الهدى كما قال في آية أخرى {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السمآء ءَايَةً فَظَلَّتْ أعناقهم لَهَا خاضعين} [الشعراء: 4] ومعناه: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قهراً وجبراً، ولكن ما فعل وكلفهم وتركهم فاختيارهم.

ثم قال: {فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين} يعني: بأنه لو شاء لهداهم. وقال الضحاك: يعني: القدر خيره وشره من الله تعالى، فلا تجعل معرفة ذلك بعد البيان.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [36- 38]

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (37) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)}

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الذين يَسْمَعُونَ} يعني: يطيعك، ويصدقك الذين يسمعون منك كلام الهدى والمواعظ. قال الزجاج يعني: يسمع سماع قابل. فالذي لا يقبل كأنه أصم. كما قال القائل: أصم عما ساءه سميع. ويقال: {فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين} بأنه يؤمن بك بعضهم، ولن يؤمن بك البعض. وإنما يؤمن بك الذي وفقه الله للهدى وهو أهل لذلك. وقال: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الذين يَسْمَعُونَ} يعني: يعقلون الموعظة.

ثم قال: {والموتى يَبْعَثُهُمُ الله} أي: كفار مكة سماهم الله موتى، لأنه لا منفعة لهم في حياتهم {يَبْعَثُهُمُ الله} يعني يحييهم بعد الموت {ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} يعني الكفار في الآخرة فينبئهم، فهذا تهديد لهم.

وقوله تعالى:

{وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزّلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مّن رَّبّهِ} يعني: الكفار. قالوا: هلاّ نزل عليه آية من ربه يعني: علامة لنبوته {قُلْ إِنَّ الله قَادِرٌ على أَن يُنَزّلٍ ءايَةً} كما سألوك {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} بأن الله قادر على أن ينزلها. ويقال: {لاَّ يَعْلَمُونَ} بما في نزول الآية لأنه لو نزلت الآية عليهم فلم يؤمنون به استوجبوا العذاب.

قوله تعالى: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الارض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} فذكر الجناحين للتأكيد لأنه يقال: طار في الأمر إذا أسرع فيه، فإذا ذكر الجناحين صار تأكيداً له. وقرأ

بعضهم {وَلاَ طَائِرٍ} بالضم لأن معناه: وما دابةٌ في الأرض ولا طائرٌ لأن {مِنْ} زيادة، فيكون الطائر عطفاً ورفعاً وهي قراءة شاذة.

ثم قال: {إِلاَّ أُمَمٌ أمثالكم} في الخلق، والموت، والبعث، تعرف بأسمائهم {مَّا فَرَّطْنَا} يقول: ما تركنا {فِى الكتاب مِن شَىْءٍ} يعني: في اللوح المحفوظ مما يحتاج إليه الخلق إلا قد بيّناه. ويقال: في القرآن قد بيّن كل شيء يحتاج إليه {ثُمَّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ} يعني: الدواب والطير {يُحْشَرُونَ} ثم يصيرون تراباً.

وروى جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: يَحْشُرُ الله تعالى الخلق كلهم يوم القيامة والبهائم والدواب والطيور وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً. وعن أبي ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أبَا ذَرَ هَلْ تَدْرِي فِيمَا انْتَطَحَتَا»؟ قلت: لا قال: «لكن الله تَعَالَى يَدْرِي فَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» وقال بعضهم: هذا على وجه المثل لأنه لا يجري عليهم القلم فلا يجوز أن يؤاخذوا به.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [39- 43]

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43)}

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن {صُمٌّ} عن الخبر فلا يسمعون الهدى {وَبُكْمٌ} يعني: خرساً فلا يتكلمون بخير {فِى الظلمات} يعني: في الضلالات {مَن يَشَآءِ *** الله يُضْلِلْهُ} يعني: يخذله فيموت على الكفر {وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: يستنقذه من الكفر فيوفّقه للإسلام.

ثم قال: {قُلْ أَرَأَيْتُكُم} الكاف زيادة في بيان الخطاب {إِنْ أتاكم عَذَابُ الله} في الدنيا {أَوْ أَتَتْكُمْ الساعة} يعني: القيامة، ثم رجع إلى عذاب الدنيا فقال: {أَغَيْرَ الله تَدْعُونَ} ليدفع عنكم العذاب {إِن كُنتُمْ صادقين} بأن مع الله آلهة أخرى.

قوله تعالى: {بَلْ إياه تَدْعُونَ} قال أهل اللغة: بل للاستدراك والإيجاب بعد النفي. وإنما تستعمل في موضعين: أحدهما لتدارك الغلط، والثاني: لترك شيء وأخذ شيء آخر. فهاهنا بيّن أنهم لا يدعون غير الله تعالى. وإنما يدعون الله عنهم ليكشف عنهم العذاب. {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء} وإنما قرن بالاستثناء وبالمشيئة، لأن كشف العذاب فضل الله تعالى، وفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

ثم قال: {وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} يعني: تتركون دعاء الآلهة عند نزول الشدة.

ثم ذكر حال الأمم الماضية لكي يعتبروا فقال عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إلى أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ} فكذبوهم على وجه الإضمار {فأخذناهم بالبأساء} يعني: بالخوف والشدة {والضراء} يعني: الزمانة والفقر وسوء الحال والجوع. وقال الزجاج: البأساء: الجوع، والضراء: النقص في الأموال والأنفس {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} يعني: لكي يرجعوا إليه ويؤمنوا به.

قوله تعالى: {فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا} يقول: فهلا إذا جاءهم عذاباً {تَضَرَّعُواْ} إلى الله ويؤمنون به حتى يرفع عنهم العذاب يعني: أنهم لو آمنوا لدفع عنهم العذاب، ولكن أصروا على ذلك فذاك قوله تعالى: {ولكن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} يعني: جفت ويبست قلوبهم {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من عبادتهم الأصنام.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [44- 45]

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)}

{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ} يعني: الأمم الخالية حين لم يعتبروا بالشدة ولم يرجعوا: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَىْء} من النعم والخصب ويقال: إن الله تعالى يبتلي العوام بالشدة، فإذا أنعم عليهم يكون استدراجاً. وأما الخواص فيبتليهم بالنعمة والرخاء فيعرفون ويعدّون ذلك بلاء. كما روي في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل: مرحباً بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل: ذنب عجلت عقوبته فهؤلاء الذين أرسل إليهم، ابتلاهم الله تعالى بالشدة، فلم يعتبروا ولم يرجعوا، فتح عليهم أبواب كل خير عقوبة لهم لكي يعتبروا فيها.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد قال: حدّثنا أبو عتبة قال: حدّثنا محمد بن حمير عن شهاب بن خراش عن حرملة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رَأَيْتَ الله يُعْطِي عَبْداً مِنَ الدُّنْيَا عَلَى

مَعْصِيَةٍ ممَّا يُحِبَّ فإنَّمَا ذلك مِنْهُ اسْتِدْرَاج» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَئ} الآية. وقال الحسن: والله ما أحد من الناس بسط الله له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر له فيها إلا كان قد نقص عمله وعجز رأيه. وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص عمله وعجز رأيه. {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ} يعني: تركوا ما وعظوا به {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَئ} يعني: أرسلنا عليهم كل خير. ويقال: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَئ *** مِنَ الرزق} قرأ ابن عامر: {فَتَّحْنَا} بالتشديد على معنى المبالغة. والباقون بالتخفيف {حتى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ} من أنواع الخير فأعجبهم ما هم فيه {أخذناهم بَغْتَةً} يعني: أصبناهم بالعذاب فجأة {فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ} يعني: آيسين من كل خير. وقال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة. وقال الفراء: المبلس: المنقطع بالحجة. وقال الزجاج: المبلس: الشديد الحسرة والآيس الحزين. وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير. ومعناه: فلما فتحنا عليهم أبواب كل شيء، ونسوا ما ذكروا به أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون.

ثم قال عز وجل: {فَقُطِعَ دَابِرُ القوم الذين ظَلَمُواْ} يعني: قُطع أصلهم فلم يبقَ منهم أحد {والحمد للَّهِ رَبّ العالمين} على هلاك أعدائه واستئصالهم ويقال: الحمد لله الذي ينتقم من أعدائه، ولا ينتقم منه أحد. ويقال: هذا تعليم ليحمدوه سبحانه على إهلاك الظالمين.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [46- 49]

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49)}

{قُلْ أَرَءيْتُمْ} أَيُّ قُلْ لاهْلِ مَكَّةَ {أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ الله سَمْعَكُمْ} فلم تسمعوا شيئاً {وأبصاركم} فلم تبصروا شيئاً {وَخَتَمَ على قُلُوبِكُمْ} فلم تعقدوا شيئاً {مَّنْ إله غَيْرُ الله} يعني هل أحد يرده عليكم {يَأْتِيكُمْ بِهِ} يعني: يخلقها لكم.

ثمَّ قال: {انظر كَيْفَ نُصَرّفُ الايات} أي: كيف تبين لهم العلامات فيما ذكر من تخويفهم {ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} يعني: يُعرضون ولا يعتبرون. قرأ نافع: {أَرَءيْتُمْ}: بعد الألف بغير همز. وقرأ الكسائي بغير مد ولا همز. وقرأ الباقون: بالهمز. فهي كلها لغات العرب.

ثم قال: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أتاكم عَذَابُ الله بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً} يعني: فجأة أو علانية {هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القوم الظالمون} يعني: لا يهلك إلا القوم الكافرون.

ثم قال: {وَمَا نُرْسِلُ المرسلين إِلاَّ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ} يعني: ليس لهم أن يقترحوا من أنفسهم، وإنما أرسلهم بتبليغ الرسالة مبشرين بالجنة لمن أطاعه، ومنذرين بالنار لمن عصاه. {فَمَنْ ءامَنَ} يعني: صدق بالرسل {وَأَصْلَحَ} يعني: سلك طريقهم، وأصلح العمل. ويقال: أخلص العمل بعد الإيمان {فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} يعني: لا خوف عليهم من أهوال القيامة ولا هم يحزنون عند الصراط.

ثم قال: {والذين كَذَّبُواْ بئاياتنا يَمَسُّهُمُ العذاب بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} يعني: يصيبهم العذاب بكفرهم، ولا يعذب أحداً بغير ذنب.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [50- 52]

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)}

{قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ الله} يعني: مفاتيح الرزق {وَلا أَعْلَمُ الغيب} يعني: متى ينزل العذاب بكم. هذا جواب لقولهم: {وَقَالُواْ لولا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الامر ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} [الأنعام: 8] {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ الله قَادِرٌ على أَن يُنَزِّلٍ ءايَةً ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: 37] {وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنّى مَلَكٌ} من السماء، إنما أنا بشر مثلكم {إِنْ أَتَّبِعُ} يعني: ما أتبع {إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ} من القرآن {قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الاعمى والبصير} يعني: الكافر والمؤمن {أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ} في أمثال القرآن ومواعظه.

قوله تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ} يعني: خوّف بالقرآن {الذين يَخَافُونَ} يعني: يعلمون {أَن يُحْشَرُواْ إلى رَبّهِمْ} في الآخرة. وإنما خصّ بالإنذار الذين يعلمون وإن كان منذراً لجميع الخلق، لأن الحجة عليهم وجبت لاعترافهم بالمعاندة وهم أهل الكتاب كانوا يقرون بالبعث. ويقال: هم المسلمون يعلمون أنهم يبعثون يوم القيامة ويؤمنون به.

{لَيْسَ لَهُمْ مّن دُونِهِ} يعني: يعلمون أنه ليس لهم من دون الله. يعني: من عذاب الله {وَلِيٌّ} في الدنيا {وَلاَ شَفِيعٍ} في الآخرة {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} يعني: أنذرهم {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} المعاصي. ويقال: {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} لكي يتقوا ويثبتوا على الإسلام. فإنهم إن لم يثبتوا {لَيْسَ لَهُمْ مّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ}

قوله تعالى: {وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشى} روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن مسعود. قالت قريش: تدني هؤلاء السفلة هم الذين يلونك أي: يصرونك. فوقع في قلبه أن يطردهم فنزل: {وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشى} وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: كان رجال يستبقون إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بلال وصهيب، فيجيء أشراف من قومه وسادتهم فيجلسون ناحية فقالوا له: إنّا سادات قومك وأشرافهم فلو أدنيتنا؟ فهم أن يفعل فنزل {وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشى} الآية. ويقال: إن أبا جهل وأصحابه اختالوا ليطرد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن نفسه. فقالوا: إن محمداً يتبعه الموالي والأراذل فلو طردهم لاتّبعناه. فاستعانوا بعمر رضي الله عنه فأخبر عمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يفعل ذلك. فنزل: {وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} يعني: يعبدون ربهم {بالغداة والعشى} يعني: يصلون لله تعالى في أول النهار وآخره {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} يعني: يريدون بصلواتهم وجه الله تعالى {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مّن شَىْءٍ} يعني: ما عليك من عملهم من شيء {وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مّن شَىْءٍ} يعني: الإثم ويقال: معناه: فما عليك إن لم يسلموا، فليس عليك من أوزارهم شيء. ويقال: يعني به: الضعفة من المسلمين، فلا تطردهم لأنه ليس عليك من حسابهم من شيء أي: فليس عليك من أرزاقهم شيء لكن أرزاقهم على الله.

ثم قال: {فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظالمين} يعني: لو طردتهم من مجلسك فتكون من الضارين بنفسك. قرأ ابن عامر: {بالغدوة} وقرأ الباقون: {رَبَّهُمْ بالغداة} وهما لغتان.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [53- 54]

{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)}

{وَكذلِكَ فَتَنَّا} يقول: هكذا ابتلينا {بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} يعني: الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، والغني بالفقير {لّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ الله عَلَيْهِم مّن بَيْنِنَا} فلم يكن الاختبار لأجل أن يقولوا ذلك. ولكن كان الاختبار سبباً لقولهم.

وهكذا قوله تعالى: {فالتقطه ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين} [القصص: 8] فلم يأخذوه لأجل ذلك، ولكن كان أخذهم سبباً لذلك فكأنهم أخذوه لأجل ذلك، هاهنا ما كان الاختبار لأجل أن يقولوا هؤلاء منّ الله عليهم من بيننا لأنهم كانوا يقولون: لو كان خيراً ما سبقونا إليه. ومعناه: ليظهر الذين يقولون: هؤلاء منّ الله عليهم من بيننا.

قال الله تعالى: {أَلَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بالشاكرين} يعني: بالموحدين منكم من غيرهم. قال الكلبي: فلما نزلت هذه الآية جاء عمر رضي الله عنه فاعتذر. فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَاءكَ الذين يُؤْمِنُونَ بئاياتنا} يعني عمر {فَقُلْ سلام عَلَيْكُمْ} يعني: قبلتُ توبتكم. ويقال: قبل الله عذركم. ويقال: المعنى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا يعني: الضعفة من المسلمين، فابتدئ بالسلام. وقل: سلام عليكم {كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرحمة} يعني: أوجب الرحمة وقبول التوبة {أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءا بِجَهَالَةٍ} يعني: من ركب معصية وهو جاهل بركوبها، وإن كان يعلم أنها معصية {ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ} بعد السوء {وَأَصْلَحَ} العمل {فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} غفور يعني: متجاوز للذنوب رحيم حين قبل التوبة، ويقال: معناه: من عمل منكم سوءاً ثم تاب يغفر له، فكيف من كان قصده الخير فهو أولى بالرحمة.

وروى سفيان عن مجمع عن ماهان الحنفي قال: جاء قوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوباً عظاماً فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {وَإِذَا جَاءكَ الذين يُؤْمِنُونَ بئاياتنا فَقُلْ سلام عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرحمة} قرأ عاصم وابن عامر {أَنَّهُ مَن عَمِلَ}: بنصب الألف. فإنه غفور بالنصب على معنى البناء ومعناه: كتب {أَنَّهُ} وقرأ نافع: {أَنَّهُ} بالنصب على معنى البناء {فَإِنَّهُ} بالكسر على معنى الابتداء. وقرأ الباقون: كلاهما بالكسر على معنى الابتداء.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [55- 56]

{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56)}

{وَكَذَلِكَ نفَصّلُ الايات} قال القتبي: يعني: نأتي بها متفرقة شيئاً بعد شيء، ولا ننزلها جملة متصلة. ويقال: {نُفَصّلُ الآيات} يعني: نبين الآيات بالقرآن {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المجرمين} يعني: طريق المشركين لماذا لا يؤمنون، لأنهم إذا رأوا الضعفاء يسلمون قبلهم، امتنعوا. ويقال: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المجرمين} يعني: تفرقهم. قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ} بالتاء و{سَبِيلِ} بالضم لأن السبيل مؤنث كقوله: {قُلْ هذه سبيلى أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتبعنى وَسُبْحَانَ الله وَمَآ أَنَاْ مِنَ المشركين} [يوسف: 108] ومعناه: ليظهر لكم طريق المشركين. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: {وليستبين} بالياء {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المجرمين} بالضم لأن السبيل هو الطريق. والطريق يذكر ويؤنث. وقرأ نافع: {وَلِتَسْتَبِينَ} بالتاء {سَبِيلِ} بالنصب يعني: لتعرف يا محمد طريق المشركين.

قوله تعالى: {قُلْ إِنّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام ويقال: معناه قل إني نهيت عن طرد الضعفاء عن مجلسي، كما نهيت عن عبادة الأصنام.

ثم قال: {قُلْ لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ} يعني: لا أذهب مذهبكم. ويقال: لا أتبع هواكم يعني: لا أرجع إلى دينكم في بغض الفقراء ومجانبتهم {قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً} يعني: إن فعلت ذلك فقد ضللت إذاً. قرأ بعضهم: {ضَلَلْتُ} بالكسر وهو شاذ يعني: ضللت سبيل الهدى {وَمَا أَنَاْ مِنَ المهتدين} يعني لم أكن على الحق.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [57- 58]

{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58)}

{قُلْ إِنّى على بَيّنَةٍ مّن رَّبّى} يعني: على أمر بيّن. ويقال: على دين من ربي. {وَكَذَّبْتُم بِهِ} يعني: بالقرآن. ويقال: بالعذاب. وذلك أن النضر بن الحارث قال: إن كان ما تقوله حقاً فأتنا بعذاب الله فنزل: {مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} يعني: العذاب {إِنِ الحكم إِلاَّ للَّهِ} يعني: ما القضاء في ذلك إلا لله في نزول العذاب {يَقُصُّ الحق} بنزول العذاب. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: {يَقُصُّ الحق} بالصاد يعني: يبين الحق. ويقال: يأمر بالحق وقرأ الباقون: {يَقْضِ * الحق} بالضاد، ولكن لا يكتب بالياء. لأن الياء سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين، ويقوم الكسر مقام الياء كقوله تعالى: {سَنَدْعُ الزبانية} [العلق: 18] فحذفت الواو. وتفسيره يقضي قضاء الحق، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: {يَقْضِى بالحق}.

ثم قال: {وَهُوَ خَيْرُ الفاصلين} يعني: الحاكمين القاضين ثم قال: {قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} يعني: العذاب {لَقُضِىَ الامر بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ} بالعذاب {والله أَعْلَمُ بالظالمين} يعني: بعقوبة الظالمين، هو أعلم متى ينزل بهم العذاب.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [59]

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)}

{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب يعني: يعلم ما يهلك في البر والبحر. ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى وما في البحر من الدواب وقوت ما فيها {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ} من الشجر {إِلاَّ يَعْلَمُهَا} يعلم من وقت سقوطه، وموضع مسقطه. وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ليس أحد من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة، وليس من شجرة تخرج إلا وملك موكل بها. ويقال: إن الإنسان كالشجرة، وأعضاءه كالأغصان، والحركات منه كالأوراق، فهو يعلم حركة بني آدم.

ثم قال تعالى: {وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظلمات الارض} يعني: تحت الصخرة التي هي أسفل الأرضين السابعة. ويقال: الحبة التي تحت الأرض التي يخرج منها النبات.

ثم قال: {وَلاَ رَطْبٍ} يعني: الماء {وَلاَ يَابِسٍ} يعني: الحجر ويقال: ولا رطب: يعني العمران والأمصار والقرى {وَلاَ يَابِسٍ} يعني: الخراب والبادية {إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني في اللوح المحفوظ. ويقال: {وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ} يعني: لا قليل ولا كثير {إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني: في اللوح المحفوظ. ويقال: القرآن قد بيّن فيه كل شيء، بعضه مفسر، وبعضه يعرف بالاستدلال والاستنباط. وقرأ بعضهم: {وَلاَ حَبَّةٍ} {وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ} كل ذلك بالضم على معنى الابتداء. وهي قراءة شاذة والقراءة المعروفة بالكسر لأجل: {مِنْ}.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [60]

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60)}

{وَهُوَ الذى يتوفاكم باليل} يعني: يقبض أرواحكم في منامكم {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم} يعني: ما كسبتم من خير أو شر {بالنهار ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} يعني: من النوم في النهار ويرد إليكم أرواحكم {ليقضى أَجَلٌ مّسَمًّى} يعني: ليتم أجلكم وتأكلون رزقكم إلى آخر العمر. قال بعضهم: إذا نام الإنسان تخرج منه روحه كما روي في الخبر «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَة فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» يعني: الأرواح إذا تعارفت وقعت الألفة بين الأبدان. وإذا لم تتعارف الأرواح تناكرت الأبدان وقال: إن الروح إذا خرجت في المنام من البدن يبقى فيه الحياة، فلهذا تكون فيه الحركة والنفس. وإذا انقضى عمره خرجت روحه وتنقطع حياته، وصار ميتاً لا يتحرك، ولا يتنفس. فإن قيل: لو خرجت روحه فكيف لا يتوجع لخروجه إذا نام؟ قيل: لأنه يخرج بطيبة نفسه، ويعلم أنه يعود. وأما إذا انقطع عمره خرج بالكره، فتوجع له. وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح، ولكن يخرج منه الذهن. وهو الذي يسمى بالفارسية روان وقال بعضهم: إنما هو ثقل يدخل في نفسه، وهو سبب لراحة البدن وغذائه كقوله: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً} [النبأ: 9] أي: راحة ويقال: هذا أمر لا يعرف حقيقته إلا الله تعالى، وهذا أصح الأقاويل.

وقوله تعالى: {ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ} يعني: مصيركم في الآخرة {ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير أو شر فيجازيكم بذلك.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [61- 62]

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)}

{وَهُوَ القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ} يعني: القادر الغالب عليهم {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً} والحفظة جمع الحافظ، مثل الكتبة والكاتب. يعني به: الملائكة موكلين ببني آدم، ملكين بالليل، وملكين بالنهار، ويكتب أحدهما الخير، والآخر الشر. فإذا مشى يكون أحدهما بين يديه، والآخر خلفه، فإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله. كقوله: {إِذْ يَتَلَقَّى المتلقيان عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 17، 18] ويقال: لكل إنسان خمسة من الملائكة: اثنان بالليل، واثنان بالنهار، والخامس لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً.

وقوله تعالى: {حتى إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الموت} يعني: حضر أحدكم الوفاة عند انقضاء أجله {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} يعني: ملك الموت وأعوانه {وَهُمْ لاَ يُفَرّطُونَ} يعني: لا يؤخرون طرفة عين. قرأ حمزة {توفيه} بلفظ التذكير بالإمالة. وقرأ الباقون: {الموت تَوَفَّتْهُ} بلفظ

التأنيث. لأن فعل الجماعة إذا تقدم على الاسم جاز أن يذكر ويؤنث. ويقال: معه سبعون من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب، فإذا قبض نفساً مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب، ويصعدون بها إلى السماء. وإذا قبض نفساً كافرة دفعها إلى ملائكة العذاب، فيبشرونها بالعذاب، ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم ترد إلى سجّين، وروح المؤمن إلى عليين {ثُمَّ رُدُّواْ إلى الله مولاهم الحق} يعني: يرد أمورهم إلى الله تعالى {أَلاَ لَهُ الحكم} ألا: كلمة التنبيه ومعناه: اعلموا أن الحكم لله تعالى في خلقه ما يشاء، ويقضي بينهم يوم القيامة {وَهُوَ أَسْرَعُ الحاسبين} يعني: إذا حاسب فحسابه سريع. ويقال: وهو أحكم الحاكمين وأعدل القاضين.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [63- 65]

{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)}

{قُلْ مَن يُنَجّيكُمْ مّن ظلمات البر والبحر} يعني من أهواله وشدائده، والظلمات كناية عن الأهوال والشدائد {تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً} وقال الكلبي: سراً وعلانية. وقال مقاتل: يعني. في خفض وسكون.، قرأ عاصم في رواية أبي بكر {خُفْيةً} بكسر الخاء، والباقون بالضم. وهما لغتان وكلاهما واحد {وَخُفْيَةً لَّئِنْ أنجانا مِنْ هذه} يعني: من غمّ هذه الأهوال والشدائد {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين} يعني: من الموحدين. {قُلِ الله يُنَجّيكُمْ مّنْهَا} يعني: من أهوال البر والبحر {وَمِن كُلّ كَرْبٍ} يعني: ينجيكم من كل كرب. يعني: من كل غم وشدة {ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ} يعني: ترجعون إلى الشرك. وقرأ بعضهم {يُنَجّيكُمْ} بالتخفيف والقراءة المعروفة بالتشديد وقرأ عاصم وحمزة والكسائي {لَّئِنْ أنجانا} بالألف يعني: أنجانا الله تعالى. وقرأ الباقون {لإِن أَنْجَيْتَنَا} على معنى المخاطبة. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي {قُلِ الله يُنَجّيكُمْ مّنْهَا} بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد. ويقال: أنْجَى يُنْجِي ونَجَّى يُنَجِّي.

وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ القادر على أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مّن فَوْقِكُمْ} يعني: الحصب بالحجارة كما فعل بقوم لوط، والغرق كما أرسل على قوم نوح. يعني: إن استكبرتم، وأصررتم، وكذبتم رسلي مثل ما فعل قوم نوح، أو فعلتم الفعلة التي فعل قوم لوط ثم قال: {أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} يعني يخسف بكم كما خسف بقارون ومن معه، إن استكبرتم واغتررتم بالدنيا كما فعل قارون.

ثم قال: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً} يعني: الأهوال المختلفة، كما ألبس بني إسرائيل إن تركتم أمر رسولي، واتبّعتم هواكم كما فعل بنو إسرائيل {وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} يعني يقتل بعضكم بعضاً بالسيف كما فعل بالأمم الخالية، إن فعلتم مثل ما فعلوا. فلما نزلت هذه الآية قال النبي: صلى الله عليه وسلم «يا جِبْرِيلُ ما بَقَاءُ أُمَّتِي عَلَى ذلك؟» قال له جبريل: إنَّمَا أنا عَبْدٌ مِثْلُكَ فادْعُ رَبَّكَ وَسَلْهُ لأُمَّتِكَ فقام النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ، وأسبغ الوضوء، فأحسن الصلاة، ثم دعا فنزل جبريل فقال: إنَّ الله تعالَى سَمِعَ مَقَالَتَكَ، وَأَجَارَهُمْ مِنْ خَصْلَتَيْنِ، وَهُوَ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ. فَقَالَ: «يَا جِبْرِيلُ ما بَقَاءُ أُمَّتِي إذا كان فِيهِمْ أَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةٌ وَيُذِيقُ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ؟» فنزل جبريل بهذه الآية {الم أَحَسِبَ الناس أَن يتركوا أَن يقولوا ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: 2/1] الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم: »افْتَرَقَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي اثْنَانَ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةً» قالوا: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟ قال:

»أهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِي أنا عَلَيْهِ، وأصْحَابِي» وفي خبر آخر. «السَّوَادُ الأعْظَمُ» وروى عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله أنه قال: لما نزلت هذه الآية {قُلْ هُوَ القادر على أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعُوذُ بِوَجْهِ الله» فلما نزلت {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قال: «هاتان أهون» ويقال: عذاباً من فوقكم يعني: سلطاناً جائراً، {أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} من سفهائكم يقلبون عليكم {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} يعني: الفتنة بين المحلتين أو القريتين.

ثم قال: {انظر كَيْفَ نُصَرّفُ الايات} يعني: نبيّن الآيات من البلاء والعذاب في القرآن {لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} يعني: يعقلون ما هم عليه.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [66- 70]

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آَيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)}

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحق} يعني: القرآن {قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} يعني: بحفيظ ومسلط. وهذا قبل الأمر بالقتال. {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ} المستقر: هو غاية ينتهي إليها. يقال: لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه، وما كان منه في الآخرة فسوف تبدو لكم، وستعلمون ذلك في الدنيا وفي الآخرة ويقال: معناه: سوف أؤمر بقتالكم إذا جاء وقته {وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} في ذلك الوقت.

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الذين يَخُوضُونَ فِى ءاياتنا} يعني: يستهزئون بالقرآن {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} يعني: قم من عندهم، واترك مجالستهم {حتى يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ} أي: حتى يكون خوضهم واستهزاؤهم في غير القرآن {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان} يقول: إن أنساك الشيطان وصية الله تعالى، فتجلس معهم {فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذكرى مَعَ القوم الظالمين} يقول: قم إذا ذكرت، ودع القوم الظالمين. يعني: المشركين. قرأ ابن عامر: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان} بنصب النون، وتشديد السين. وقرأ الباقون: بالتخفيف والجزم. وهما لغتان: نسيته وأنسيته.

ثم قال: {وَمَا عَلَى الذين يَتَّقُونَ} يعني: الشرك والاستهزاء {مِنْ حِسَابِهِم} يعني: من آثامهم {مِّن شَىْءٍ ولكن ذكرى} يعني: ذكروهم بالقرآن إذا فعلوا ذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} يعني: لكي يتقوا الاستهزاء. قال الكلبي: وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله: لئن قلنا كلما استهزؤوا بالقرآن، قمنا من عندهم لا نستطيع أن نجلس في المسجد الحرام. فنزل {وَمَا عَلَى الذين يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ} الآية.

قوله تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتخذوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً} قال الضحاك: يعني: كفار قريش نصبوا أصنامهم في المسجد الحرام إلى أنصاب الحرم، وقرطوها بالمقراط، وعلقوا بيض النعامة في أعناقها. فنزل {وَذَرِ الَّذِينَ اتخذوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً} وقال الكلبي: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً يعظمونه، ويصلون فيه لله تعالى، وكل قوم اتخذوا دينهم يعني: عيدهم لعباً ولهواً إلا هذه الأمة، فإنهم اتخذوا عيدهم صلاة لله، وحصناً للصدقة، وهي الجمعة والفطر والأضحى. قال مقاتل: اتخذوا دينهم الإسلام لعباً يعني: باطلاً ولهواً عنه.

ثم قال: {وَغَرَّتْهُمُ الحياة الدنيا وَذَكِّرْ بِهِ} يعني: عِظْ وَخَوِّفْ بالقرآن {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ} يعني: لكي لا تهلك نفس {بِمَا كَسَبَتْ} يعني: بما عملت ويقال: تحبس نفس يعني تسلم نفس بذنوبها إلى النار وهذا قول الضحاك. وقال الأخفش: أن ترهن نفس بما عملت. ويقال: تحبس. وقال القتبي: أي تسلم للهلكة. ويقال: تخذل ولا تنصر.

ثم قال: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله وَلِىٌّ} يعني: إذا وقع في العذاب، لم يكن لها مانع يمنعها من العذاب {وَلاَ شَفِيعٍ} يشفع لها {وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا} يقول: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها أو يفتدي بما في الأرض جميعاً لا يؤخذ يعني: لا يقبل منها {أُوْلَئِكَ الذين أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ} يعني: أهلكوا. ويقال: أسلموا بذنوبهم إلى النار {لَهُمْ

شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ} يعني: ماء حار قد انتهى حره {وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} في الدنيا.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [71]

{قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71)}

{قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا} قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة عذبوا نفراً من المسلمين، وراودوهم على الكفر. قال الله تعالى للمسلمين: قولوا لهم {أَنَدْعُواْ مِن دُونِ الله} يعني: الأوثان {مَا لاَ يَنفَعُنَا} في الآخرة {وَلاَ يَضُرُّنَا} في الدنيا {وَنُرَدُّ على أعقابنا} نعود ونرجع إلى الشرك {بَعْدَ إِذْ هَدَانَا الله} إلى الإسلام {كالذى استهوته الشياطين فِى الارض حَيْرَانَ} يعني: كمثل رجل كان مع قوم، فضلَّ الطريق، فحيره الشياطين و{لَهُ أصحاب يَدْعُونَهُ إِلَى الهدى} يعني: إلى الطريق أن {ائتنا} فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم. فذلك مثلنا إن تركنا دين محمد عليه السلام. وقال مجاهد: هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يقول: الكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب الكافر. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام، فأبى أن يأتيهما وهو يدعوهما إلى الشرك. فضرب الله تعالى له المثل بالذي استهوته الشياطين يعني: أضلته.

{قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهدى} يعني: دين الله هو الإسلام {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبّ العالمين} يعني: لنخلص بالعبادة والتوحيد بالله تعالى. قرأ حمزة {استهواه} بلفظ التذكير بالإمالة. وقرأ الباقون {كالذى استهوته} بلفظ التأنيث، لأن فعل الجماعة مقدم، فيجوز أن يذكر ويؤنث كقوله: {وَهُوَ القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حتى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الموت تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: 61] قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [72- 73]

{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)}

{وَأَنْ أَقِيمُواْ الصلاة} يعني: وأمرنا بالهدى وبالعمل: يعني: أقيموا الصلاة {واتقوه} يعني: وحّدوه. ويقال: أطيعوه ويقال: هذا عطف على قوله: و{لَهُ أصحاب يَدْعُونَهُ إِلَى الهدى} وإلى إقامة الصلاة. ويقال: معناه: أمرنا بالإسلام، وبإقامة الصلاة {واتقوه} يعني: وحّدوه. وقيل: أطيعوه.

ثم خوّفهم فقال: {وَهُوَ الذى خَلَق السموات والارض بالحق} يعني: للحق والعبرة {وَيَوْمَ يَقُولُ} اليوم صار نصباً، لأن معناه: واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً. ويقال: معناه واذكروا يوم يقول: {كُنْ فَيَكُونُ} يعني: يوم البعث يقول: انتشروا فانتشروا كلهم كقوله تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث} يعني: القبور {خُشَّعاً أبصارهم يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} [القمر: 7].

ثم قال {قَوْلُهُ الحق} {قَوْلُهُ} رفع بالابتداء، وخبره {الحق} يعني: قوله الصدق أنه كائن. قرأ ابن عامر {فَيَكُونُ} بالنصب على معنى الخير، وكذا في كل القرآن، إلا في موضعين: هاهنا، وفي آل عمران. وقرأ الباقون: بالرفع على معنى الخبر.

{وَلَهُ الملك يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور} يوم صار نصباً لنزع الخافض. ومعناه: وله الملك في يوم ينفخ في الصور وهذا كقوله عز وجل: {يَوْمَ هُم بارزون لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ لِّمَنِ الملك اليوم لِلَّهِ الواحد القهار} [غافر: 16] وكقوله: {مالك يَوْمِ الدين} [الفاتحة: 4] ويقال: هذا مبين لقوله الأول، ومعناه: يوم يقول له {كُنْ فَيَكُونُ}. {يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور} وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه: يوم يَنْفُخ الأرواح في الصور. يعني: في الأجسام. وهذا خلاف أقاويل جميع المفسرين لأنهم كلهم قالوا: هو نفخ إسرافيل في الصور. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ «وفي خبر آخر «وَصَاحِبُ الصُّوَرِ قَدِ الْتَقَمَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخَ فِيهِ «

ثم قال: {عالم الغيب والشهادة} الغيب ما غاب عن العباد والشهادة ما علم العباد به، ويقال السر والعلانية. ويقال {عالم} بما يكون وبما قد كان. ويقال: {عالم} بأمر الآخرة وبأمر الدنيا {وَهُوَ الحكيم الخبير} يعني: {الحكيم} في أمره {الخبير} بأفعال الخلق وبأمر البعث.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [74- 75]

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)}

{وَإِذْ قَالَ إبراهيم لاًبِيهِ ءازَرَ} وكان اسم أبيه تارح بن ناخور بلغة قومه، وبلغة غيرهم كان آزر. وقال السدي: كان اسم أبيه آزر. وهكذا قال الكلبي. وقال بعضهم: لم يكن آزر اسم أبيه، ولكن كان اسم كبير أصنامهم. فقال أبوه لإبراهيم: ربي آزر. فقال إبراهيم على وجه التعجب: آزر.

{وَإِذْ قَالَ إبراهيم} وقال مجاهد: آزر ليس اسم أبيه، وإنما هو اسم صنم. وقال الضحاك عن ابن عباس: إن في هذه الآية تقديماً فكأنه قال: أتتخذ آزر أصناماً آلهة يعني: أتتخذ الصنم إلهاً. ويقال: آزر بلغتهم المخطئ الضال. ومعناه: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم لاًبِيهِ} يا آزر المخطئ أتتخذ أصناماً آلهة. وقرأ الحسن ويعقوب الحضرمي: {ءازَرَ} بالضم ويكون معناه: وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا آزر. والقراءة المعروفة بالنصب لأنه على ميزان أفعل. ينصرف فصار نصباً. وهو بموضع الخفض. ولأنه اسم أعجمي فلا ينصرف.

ثم قال {إِنّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: في خطأ وجهل بَيِّنٍ بعبادتكم الأصنام. ثم قال {وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم مَلَكُوتَ} والملكوت والملك بمعنى واحد. إلا أن الملكوت أبلغ مثل: رَهَبُوت وَرَحَمُوت كما يقال في المثل: رَهَبُوت خير من رَحَمُوت يعني: لأن ترهب خير من أن ترحم. يعني: لما أن إبراهيم برئ من دين أبيه أراه الله ملكوت {السموات والارض} يعني: عجائب السموات والأرض {وَلِيَكُونَ مِنَ الموقنين} يعني: لكي يكون من الموقنين. والواو زيادة كقوله: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ اتبعوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خطاياكم وَمَا هُمْ بحاملين مِنْ خطاياهم مّن شَئ إِنَّهُمْ لكاذبون} [العنكبوت: 12] يعني: لكي نحمل، وكذلك هاهنا {لِيَكُونَ مِنَ الموقنين} يعني: حتى يثبت على اليقين. قال بعضهم: صارت فرجة في السماء حتى رأى إلى سبع سماوات. وصارت فرجة في الأرض حتى رأى إلى تحت الصخرة. ويقال: حين عرج به إلى السماء، فنظر إلى عجائب السموات. وروي عن عطاء أنه قال: لما رفع إبراهيم في ملكوت السماوات، أشرف على عبد يزني فدعا عليه، فهلك. ثم أشرف على آخر يزني فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر فأراد أن يدعو عليه، فقال له ربه عز وجل: على رِسْلِك يا إبراهيم، فإنك مستجاب لك، وإني من عبدي على إحدى ثلاث خلال: إما أن يتوب فأتوب عليه، وإما أن أُخرِج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه أي أنا قادر عليه.

وروي عن سلمان الفارسي أنه قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السموات، رأى عَبْداً على فاحشة، فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه، قال الله تعالى: أنْزِلوا عبدي كي لا يهلك عبادي.

ويقال: إنه كان يقول: أنا أرحم الخلق. فلما رأى المعصية فدعا عليهم، قال الله تعالى: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط لعلّهم يرجعون. ويقال إن نمرود بن كنعان قالت له كهنته: يولد في هذه السنة غلام ينازعك في ملكك، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة. ويقال: رأى في المنام، أن كبشاً دخل عليه، فنطح سريره بقرنه، فسأل المعبِّرين فأخبروه، أنه يولد غلام ينازعك في ملكك. فأمر بذبح كل غلام يولد. فحملت أم إبراهيم بإبراهيم، ولم يتبيّن حملها، ولم يعرف أحد أنها حامل، حتى أخذها الطَّلْق فخرَّت إلى جبل من الجبال، ودخلت في غار فولدت إبراهيم. وخرجت ووضعت صخرة على باب الغار. فجاءه جبريل عليه السلام ووضع إبهامه في فمه، وكان يمصه ويخرج منه اللبن، وكان يجعل سبّابته في فمه فيمصها، ويخرج منها العسل. حتى كبر وأدرك في أيام قليلة. ويقال: إن أمه كانت تختلف إليه وترضعه حتى أرضعته سنتين، وتحمل إليه الطعام حتى أدرك في المدة التي يدرك فيها الصبيان فخرج من الغار فنظر إلى السماء، وإلى الأرض، وإلى الجبال، فتفكَّر في نفسه ثم قال: إن لهذه الأشياء خالقاً خلقها. والذي خلق هذه الأشياء هو الذي خلقني فذلك قوله {وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم مَلَكُوتَ السماوات والارض وَلِيَكُونَ مِنَ الموقنين} وكان في ذلك التفكير إذا نظر إلى نجم يضيء وهو المشتري، فرآه أضوَأ الكواكب. وقد علم أن الله تعالى أعلى الأشياء ولا يشبهه شيء من خلقه. ورأى الكواكب أعلى الأشياء وكان أحسنها.

تفسير الآيات رقم [76- 79]

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)}

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اليل رَأَى كَوْكَباً قَالَ هذا رَبّى} وقال: هذا بغير فكرة. فكان ذلك منه زلة. ويقال: إنما قال ذلك على سبيل الاستفهام أهذا ربي؟ {فَلَمَّا أَفَلَ} يعني: غاب الكوكب {قَالَ لا أُحِبُّ الافلين} يعني: لا أحب ربنا يتغير عن حاله ويزول {فَلَمَّا رَأَى القمر بَازِغاً} يعني: طالعاً. ويقال: إن ذلك كان في وقت السحر، وكان ذلك في آخر الشهر. فرأى كوكباً يعني: الزهرة، حين طلعت، وكان من أضوء الكواكب. فلما ارتفع وطلع الفجر نقص ضوءه {قَالَ لا أُحِبُّ الافلين} يعني: لا أحب ربنا يتغير. فلما رأى القمر فرأى ضوءه أكثر {قَالَ هذا رَبّى} على سبيل الاستفهام {فَلَمَّا أَفَلَ} يعني: نقص

ضوءه حين أسفر الصبح {قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبّى لاَكُونَنَّ مِنَ القوم الضالين} يعني: لئن لم يحفظ ربي قلبي. لقد كنت اتخذت إلها ما لم يكن إلهاً {فَلَماً رَأَى الشمس بَازِغَةً} يعني: طالعة قد ملأت كل شيء ضوءاً ف {قَالَ هذا رَبّى هذا أَكْبَرُ} يعني: أعظم وأكثر نوراً {فَلَمَّا أَفَلَتْ} يعني: غربت. علم أنه ليس بإله. فجاءته أمه فقال لها: من ربي؟ قالت: أنا. قال: ومن ربك؟ قالت: أبوك. قال: ومن رب أبي؟ قالت: نمرود بن كنعان. قال: ومن ربه؟ قالت له: اسكت. فقال لها: كيف هو؟ هل يأكل ويشرب وينام؟ قالت: نعم. قال: هذا لا يصلح أن يكون ربًّا وإلها. فرجعت الأم إلى أب إبراهيم، فأخبرته بالقصة فخرج إليه فسأله مثل ذلك. ثم قال له في آخره: تعال حتى تعبد الذي خلقني وخلقك وخلق نمرود. فغضب أبوه، فرجع عنه، ثم دخلت عليه رأفة الوالد لولده، فرجع إليه. وقال له: ادخل المِصْر لتكون معنا، فدخل فرأى القوم يعبدون الأصنام. فدعوه إلى عبادة الأصنام ف {قَالَ} لهم حينئذٍ: {قَالَ ياقوم إِنّى بَرِئ مّمَّا تُشْرِكُونَ} فقيل له من تَعْبُد أنت يا إبراهيم؟ فقال أعبد الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض.

فذلك قوله: {إِنّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ} يعني: أخلصت ديني وعملي {لِلَّذِى فَطَر السموات} يعني: خلق السموات {والارض حَنِيفاً} يقول: إني وجهت وجهي مخلصاً مستقيماً {وَمَا أَنَاْ مِنَ المشركين} على دينكم. ويقال: إن قوله {هذا رَبّى} قال ذلك لقومه على جهة الاستهزاء بهم. كما قال: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] ويقال: أراد بهذا أن يستدرجهم فيظهر قبيح فعلهم، وخطأ مذهبهم وجهلهم. لأنهم كانوا يعبدون النجوم والشمس، والقمر. فلما رأى الكوكب قال لهم: {هذا رَبّى}. وأظهر لهم أنه يعبد ما يعبدون.

فلما غاب الكوكب قال لهم: {لا أُحِبُّ الافلين} فأخبرهم بأن الآفل لا يصلح أن يكون إلها. ثم قال في الشمس والقمر هكذا. كما روي عن عيسى عليه السلام أنه بعث رسولاً إلى ملك أرض. فلما انتهى إليهم، جعل يسجد ويصلي عند الصنم ويريهم أنه يعبد الصنم، وهو يريد عبادة الله تعالى. ثم إن الملك ظهر له عدو. فقالوا لهذا الرسول: أشر علينا بشيء في هذا الأمر. فقال: نتشفع إلى هذا الذي نعبده. فجعلوا يسجدون له ويتشفعون إليه، فلا يسمعون منه جواباً. فقالوا: إنه لا ينفعنا شيئاً. قال لهم: لم تعبدون من لا يدفع عنا ضراً؟ ارجعوا حتى نعبد من ينفعنا. فقالوا لمن نعبد؟ قال: لرب السماء. فجعل يدعو ويدعون حتى فرّج، الله عنهم. فآمن به بعضهم. وكذلك هاهنا أراد إبراهيم عليه السلام أن يريهم قبح ما يعبدون من دون الله، لعلهم يرجعون فلما لم يرجعوا قال {قَالَ ياقوم إِنّى بَرِئ مّمَّا تُشْرِكُونَ} قرأ حمزة والكسائي {رَأَى كَوْكَباً} بكسر الراء والألف، وهي لغة لبعض العرب والنصب أفصح.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [80- 83]

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)}

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ} معناه: وحاجّه قومه في دين الله يعني خاصموه ف {قَالَ} لهم إبراهيم {أَتُحَاجُّونّى فِى الله} يعني: أتخاصموني في دين الله {وَقَدْ هَدَانَا} الله لدينه. قرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان {أَتُحَاجُّونّى} بتشديد الجيم وتخفيف النون. وقرأ الباقون بتشديد النون. لأن أصله {أتحاجونني} بنونين فأدغم أحدهما في الآخر. فقال: {قَالَ أَتُحَاجُّونّى} يعني: أتجادلوني في دين الله {وَقَدْ هَدَانِى} يعني: بيّن لي الطريق. وكانت خصومتهم أنهم حين سمعوه عاب آلهتهم فقالوا له: أما تخاف تخبلك فتهلك؟ فقال: إني لا أخاف ما لا يسمع ولا يبصر. وقال الكلبي ومقاتل: لما خوّفوه بذلك قال لهم: إنما تخافون أنتم إذ سوّيتم بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير. أما تخافون من الكبير إذ سويتموه بالصغير؟ وهذا قوله: {وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ}.

قوله تعالى: {إِلاَّ أَن يَشَاء رَبّى شَيْئاً} فيضلني، فأخاف منهم. ويقال: إلا أن يشاء ربي شيئاً يعني: ملأ علم ربي كل شيء علماً. يعني: يعلم السر والعلانية.

ثم قال: {أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ} يعني: أفلا تتعظون فتؤمنون به؟ قوله تعالى: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ} يعني: من الأصنام {وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بالله مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سلطانا} يقول: كتاباً وعذراً وحجة لكم فيه {فَأَىُّ الفريقين أَحَقُّ بالامن} من العذاب؟ الموحّد أم المشرك {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} ذلك. ثم قال: {الذين ءامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إيمانهم بِظُلْمٍ} قال بعضهم: هذا قول الله تعالى لما حكى قول إبراهيم للنبي صلى الله عليه وسلم قال: على أثر ذلك {الذين ءامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إيمانهم بِظُلْمٍ} يعني: لم يخالطوا تصديقهم بالشرك ولم يعبدوا غيره. {أُوْلَئِكَ لَهُمُ الامن وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} من الضلالة. وقال بعضهم: هذا كله قول إبراهيم لقومه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ وَظُلِمَ فَغَفَرَ» قيل له: ما لهم يا رسول الله؟ قال: {أُوْلَئِكَ لَهُمُ الامن وَهُمْ مُّهْتَدُونَ}.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا الماسرجي. قال: حدّثنا أبو كريب. قال: حدّثنا ابن إدريس عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود. قال: لما نزلت هذه

الآية {الذين ءامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إيمانهم بِظُلْمٍ} شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ترون إلى قول لقمان لابنه {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يابنى لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] »يعني: إن الظلم أراد به الشرك.

ثم قال {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءاتيناها إبراهيم على قَوْمِهِ} يعني: أعطيناها إبراهيم على قومه. يعني: وفقناه للحجة يخاصم بها قومه {نَرْفَعُ درجات مَّن نَّشَاء} يعني: فضائل من نشاء في الدنيا بالحجة، وفي الآخرة بالدرجات {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ} في أمره {عَلِيمٌ} بخلقه من يصلح للنبوة. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي {درجات} بالتنوين وقرأ الباقون {درجات} على معنى الإضافة.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [84- 90]

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)}

{وَوَهَبْنَا لَهُ} يعني: لإبراهيم {إسحاق وَيَعْقُوبَ} قال الضحاك: ولدت سارة إسحاق ولها تسعة وتسعون سنة. ولإبراهيم مائة وعشرون سنة ثم ولد لإسحاق يعقوب {كُلاًّ هَدَيْنَا} يعني: إسحاق ويعقوب هديناهما بالنبوة والإسلام {وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ} يعني: هديناه للنبوة والإسلام من قبل إبراهيم {وَمِن ذُرّيَّتِهِ} قال الكلبي: يعني من ذرية نوح. وقال الضحاك: يعني من ذرية إبراهيم {دَاوُودُ} النبي عليه السلام {وسليمان} وهو ابن داود {وَأَيُّوبَ} وهو من ولد عيصو بن إسحاق {وَيُوسُفَ} وهو ابن يعقوب {وموسى وهارون وَكَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: نعطيهم أفضل الثواب {وَزَكَرِيَّا} يعني: من ذرية إبراهيم زكريا {ويحيى وعيسى وَإِلْيَاسَ} قال الضحاك: كان إلياس من ولد إسماعيل.

وذكر عن القتبي أنه كان من سبط يوشع بن نون {كُلٌّ مّنَ الصالحين} يعني: من المرسلين {وإسماعيل} وهو من صلب إبراهيم عليه السلام {واليسع} قرأ حمزة

والكسائي {واليسع} مشدداً. وقرأ الباقون {إسماعيل واليسع} بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد فالاسم منه ليسع ثم أدخلت الألف واللام للتعريف فصار الليسع. ومن قرأ بالتخفيف فالاسم منه يسع. ثم أدخلت الألف واللام للتعريف فصار اليسع. وكذا هذا الاختلاف في سورة {ص} وكان اليسع تلميذ إلياس وكان خليفته من بعده.

{وَيُونُسَ} ابن متى {وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى العالمين} بالرسالة والنبوة في ذلك الزمان ثم ذكر آباءهم فقال: {وَمِنْ ءابَائِهِمْ وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم} يعني: وقد اصطفيناهم بالنبوة يعني: آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً عليهم السلام {وهديناهم إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} وهو دين الإسلام {ذلك هُدَى الله} يعني: دين الله {يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} يعني: يكرم بدينه من يشاء من عباده {وَلَوْ أَشْرَكُواْ} يعني: هؤلاء النبيين {لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا يعني: إنما فضلهم الله بالطاعة.

ثم قال: {أولئك الذين ءاتيناهم الكتاب والحكم} يعني: العلم والفهم والفقه {والنبوة فَإِن يَكْفُرْ بِهَا} أي: الأنبياء {هَؤُلاء} يعني: أهل مكة {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا} يعني: ألزمنا بها {قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بكافرين}.

قال سعيد بن جبير هم الأنصار. ويقال {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا} يعني: بآياتنا {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا} يعني: بالإيمان بها {قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بكافرين} يعني: الأنبياء الذين سبق ذكرهم. ويقال: الملائكة. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء} يعني: أمة محمد عليه السلام {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا} قوماً ليسوا بها كافرين. يعني: النبيين الذين قصّ الله عنهم.

ثم قال {أُوْلَئِكَ الذين هَدَى الله} يعني الأنبياء {فَبِهُدَاهُمُ} يعني: بسنتهم وتوحيدهم {اقتده} على دينهم استقم واعمل به. وفي هذه الآية دليل أن شرائع المتقدمين واجبة علينا ما لم يظهر نسخها إذا ثبت ذلك في الكتاب، أو على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أمرنا بأن نقتدي بهداهم، واسم الهدى يقع على التوحيد والشرائع.

مثل قوله: {الم * ذلك الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 1، 2] والكتاب يشتمل على الشرائع وغيرها. قرأ حمزة والكسائي: {فَبِهُدَاهُمُ اقتده} بالهاء في الوقف والوصل جميعاً وقرأ الباقون: بالهاء في الوصل والوقف جميعاً لأنها هاء الوقف.

مثل قوله: {كتابيه} و{حِسَابِيَهْ} ثم قال: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} يعني: قل للمشركين لا أسألكم على الإيمان والقرآن جَعْلاً {إِنْ هُوَ} يعني: ما هو وهو القرآن {إِلاَّ ذكرى للعالمين} يعني: موعظة للعالمين الإنس والجن.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [91- 92]

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)}

{وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} يعني: ما عظّموا الله حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته. نزلت في مالك بن الضيف خاصمه عمر في النبي صلى الله عليه وسلم أنه مكتوب في التوراة. فغضب وقال: {مَا أَنزَلَ الله على بَشَرٍ مّن شَئ} وكان رئيس اليهود. فعزلته اليهود عن الرئاسة بهذه الكلمة. قال مقاتل: نزلت هذه الآية بالمدينة، وسائر السور بمكة. ويقال: إن هذه السورة كلها مكية. وكان مالك بن الضيف خرج مع نفر إلى مكة معاندين ليسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء، وقد كان اشتغل بالنعم، وترك العبادة، وسمن. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمكة. فقال له رسول الله: «أَنْشدكَ الله أَتَجِدُ في التَّوْرَاةِ أنَّ الله يُبْغِضُ الحَبْرَ السَّمِين»؟ قال: نَعَمْ قال: «فَأَنْتَ الحَبْرُ السَّمِينُ فَقَدْ سَمِنْتَ مِنْ مَأْكَلَتِكَ» فضحك به القوم فخجل مالك بن الضيف وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فبلغ ذلك اليهود فأنكروا عليه. فقال: إنه قد أغضبني. فقالوا: كلما غضبت قلت بغير حق وتركت دينك؟ فأخذوا الرياسة منه وجعلوها إلى كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية {وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} حيث جحدوا تنزيله {إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ الله على بَشَرٍ مّن شَئ} يعني: على رسول من كتاب.

{قُلْ} يا محمد {مَنْ أَنزَلَ الكتاب الذى جَاء بِهِ موسى} وهو التوراة {نُوراً} يعني: ضياء {وهدى} يعني: بياناً {لِلنَّاسِ} من الضلالة {تَجْعَلُونَهُ قراطيس} يقول: تكتبونه في الصحف {تُبْدُونَهَا} يقول: تظهرونها في الصحف {وَتُخْفُونَ كَثِيراً} يعني: تكتمون ما فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وآية الرجم، وتحريم الخمر.

{وَعُلّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ ءابَاؤُكُمْ} يعني: علمتم أنتم وآباؤكم في التوراة ما لم تعلموا. ويقال: علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فإن أجابوك وإلا ف {قُلِ الله} أنزله على موسى {ثُمَّ ذَرْهُمْ} إن لم يصدقوك {فِى خَوْضِهِمْ} يعني: في باطلهم {يَلْعَبُونَ} يعني: يلهون ويفترون قرأ ابن كثير وأبو عمرو {وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} كل ذلك بالياء على لفظ المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة لأن ابتداء الكلام على المخاطبة.

ثم قال: {هذا كتابنا أنزلناه} يعني: القرآن أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم {مُّبَارَكٌ} لمن عمل به لأن فيه مغفرة للذنوب. وقال الضحاك {مُّبَارَكٌ} يعني: القرآن لا يتلى على ذي عاهة إلا برئ، ولا يتلى في بيت إلا وخرج منه الشيطان.

{مُّصَدّقُ الذى بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: هو مصدق الذي بين يديه من الكتب {وَلِيُنْذِرَ} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {ولينذر} بالياء يعني: الكتاب. يعني: أنزلناه للإنذار والبركة. وقرأ الباقون: بالتاء يعني: لتنذر به يا محمد {وَلِتُنذِرَ أُمَّ القرى} يعني: أهل مكة وهي أصل القرى. وإنما سميت أم القرى لأن الأرض كلها دُحِيَتْ من تحت الكعبة. ويقال: لأنها مثلث قبلة للناس جميعاً. أي: يؤمونها. ويقال: سميت أم القرى لأنها أعظم القرى شأناً ومنزلة.

{وَمَنْ حَوْلَهَا} يعني: قرى الأرض كلها.

ثم قال: {والذين يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: بالبعث {يُؤْمِنُونَ بِهِ} أي: بالقرآن ومن هم في علم الله أنه سيؤمن {وَهُمْ على صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} بوضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها.

وقوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [93- 94]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آَيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)}

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِى إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ} نزلت في مسيلمة الكذاب زعم أن الله تعالى أوحى إليه وهو قوله {وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ الله} يعني: عبد الله بن أبي سرح كان كاتب الوحي فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أملى عليه {سَمِيعاً عَلِيماً} يكتب عليماً حكيماً. وإذا أملى عليه عليماً حكيماً، كتب هو سميعاً بصيراً وشكّ وقال: إن كان محمد صلى الله عليه وسلم يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان ينزل إليه فقد أنزل إليّ مثل ما أنزل إليه فلحق بالمشركين وكفر. وقال الضحاك: هو مسيلمة الكذاب كان يقول: بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى جسيم

الأمور، وبعثت إلى محقرات الأمور. ويقال هذا جواب لقولهم: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هاذآ إِنْ هاذآ إِلاَّ أساطير الأولين} [الأنفال: 31].

ثم قال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظالمون} يعني: ولو تعلم إذ الكافرون {فِى غَمَرَاتِ الموت} أي: في نزعات الموت وسكراته. فحذف الجواب لأن في الكلام دليلاً عليه. ومعناه: لو رأيتهم في عذاب شديد.

ثم قال: {والملئكة بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ} بالضرب. ويقولون: {أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ} يعني: أرواحكم الخبيثة قال الفقيه أبو جعفر. قال: حدّثنا أبو القاسم أحمد بن حسين. قال: حدّثنا محمد بن سلمة. قال: حدّثنا أبو أيوب عن القاسم بن الفضل الحداني عن قتادة عن أسامة بن زهير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ أَتَتْهُ المَلائِكَةُ بحَرِيرَةٍ فيها مِسْكٌ، ومِنْ ضَبَايِرِ الرَّيْحَانِ، وَتُسَلُّ رُوحُهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ، ويقالُ لها: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً وَمَرْضِيّاً عَنْكِ إِلَى رُوحِ الله وَكَرَامَتِهِ، فإذا خَرَجَتْ رُوحُهُ وُضِعَتْ عَلَى ذلك المِسْكِ والرَّيْحَانِ وَطُوِيَتْ عَلَيْهِ الحَرِيرَةُ وَبُعِثَ بِهَا إلى عِلِّيِّينَ وَإِنَّ الكافِرَ إِذَا حُضِرَ أَتَتْهُ المَلائِكَةُ بِمِسْحٍ فِيهِ جَمْرَةٌ، فَتُنْتَزَعُ رُوحُهُ انْتِزَاعاً شَدِيداً. ويقالُ لَهَا: أَيَّتُها النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي سَاخِطَةً وَمَسْخُوطَةً إِلَى هَوَانِ الله وَعَذَابِهِ، فإذا خَرَجَتْ رُوحُهُ وُضِعَتْ عَلَى تِلْكَ الجَمْرَةِ وإِنَّ لَهَا نَشِيجاً وَيُطْوَى عَلَيْهَا المِسْحُ، وَيُذْهَبُ بِهَا إلى سِجِّين «

ثم قال الله تعالى: {اليوم تُجْزَوْنَ} يعني إذا بعثوا يوم القيامة يقال لهم: اليوم تجزون {عَذَابَ الهون} يعني: الهوان أي الشديد {بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله} في الدنيا {غَيْرَ الحق} بأن معه شريكاً {وَكُنتُمْ عَنْ ءاياته تَسْتَكْبِرُونَ} يعني: عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، ولم تقرّوا به.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرادى} يعني: في الآخرة {فرادى} لا ولد لكم ولا مال.

الفرادى جمع فرد، يعني: ليس معكم من دنياكم شيء. {كَمَا خلقناكم} يعني: أعطيناكم من المال والولد {وَتَرَكْتُمْ مَّا خولناكم وَرَاء ظُهُورِكُمْ} في الدنيا. {وَمَا نرى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ} يعني: آلهتكم {الذين زَعَمْتُمْ} في الدنيا {أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء} يعني: قلتم لي شريك ولكم شفعاء عند الله.

{لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص {بَيْنِكُمْ} بالنصب وقرأ الباقون {بَيْنِكُمْ} بالضم فمن قرأ بالضمّ جعل البَيْن اسماً، يعني: تقطع وصْلُكم ومودتكم. ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم، فيصير نصباً بالظرف كما تقول: أصبحت بينكم أي فيما بينكم. {وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} يعني: اشتغل عنكم ما كنتم تعبدون وتزعمون أنها شفعاؤكم.

وقوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [95- 96]

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)}

{إِنَّ الله فَالِقُ الحب والنوى} يعني: يشق الحبة اليابسة، فيخرج منها ورقاً خضراً. ويقال: فالق الحب مثل البر والشعير والذرة والحبوب كلها، والنوى كل ثمرة فيها نوى مثل الخوخ والمشمش والغبير والإجاص {يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت وَمُخْرِجُ الميت مِنَ الحى}، وقد ذكرنا تأويله {ذَلِكُمُ الله} يعني: هذا الذي يفعل بكم هو الله تعالى: {فأنى تُؤْفَكُونَ} يعني: كيف تكفرون ومن أين تكذبون؟ فذكر عيب آلهتهم، ثم دلّ على وحدانيته بصنعته.

ثم قال: {فَالِقُ الإصباح} يعني: خالق الإصباح والإصباح والصبح واحد ويقال الإصباح مصدر أصبح يصبح إصباحاً، والصبح اسم وقال: فالق الإصباح يعني خالق النهار. {وَجَعَلَ اليل سَكَناً} قرأ أهل الكوفة حمزة والكسائي وعاصم {وَجَعَلَ اليل} على معنى الخبر وقرأ الباقون {جَاعِلِ * فَالِقُ الإصباح} على معنى الإضافة يعني: يسكن فيه الخلق.

ثم قال: {والشمس والقمر حُسْبَاناً} يعني: وجعل الشمس والقمر حسباً يعني: منازلها بالحساب لا يجاوزانه إذا انتهيا إلى أقصى منازلهما رجعا وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل {حُسْبَاناً} يعني: يُعرف بها عدد السنين والحساب. وقال القتبي: {حُسْبَاناً} أي حساباً، يقال: خذ كل شيء بحُسْبانه أي: بحسابه. وقال الكلبي: ويقال للشيء المعلق: حسباناً.

{ذلك تَقْدِيرُ العزيز العليم} يقول: هذا فعل العزيز في ملكه العليم بخلقه لا فعل لأصنامكم فيه.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [97- 98]

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98)}

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا} يعني: لتعرفوا الطريق. {فِى ظلمات البر والبحر} يعني: لتهتدوا بالكواكب في اللّيالي وتعرفوا بها قبلتكم. {قَدْ فَصَّلْنَا الآيات} يعني: بينَّا العلامات لوحدانية الله تعالى. {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} وإنما أضاف إلى أهل العلم، لأنهم هم الذين ينتفعون به، فكأنه بيِّن لهم. ويقال لقوم يعلمون يعني: يصدقون أنه من الله تعالى.

ثم قال: {وَهُوَ الذى أَنشَأَكُم} يعني: خلقكم {مّن نَّفْسٍ واحدة} وهو آدم. {فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} يعني: في الرحم ومستودع في الصلب. ويقال: مستقر في الصلب ومستودع في الرحم. ويقال: مستقر في الدنيا ومستودع في القبر. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {فَمُسْتَقِرٌّ} بكسر القاف، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه فلكم مستقر ولكم مستودع يعني: موضع قرار وموضع إيداع ومن قرأ بالكسر فعلى معنى الفاعل يقال قَرّ الشيء واستقر بمعنى واحد يعني كنتم مستقرين {قَدْ فَصَّلْنَا الايات لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} يعني: بيّنا الآيات لمن له عقل وذهن.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [99]

{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)}

{وَهُوَ الذى أَنزَلَ مِنَ السماء مَاء} يعني: ماء المطر {فَأَخْرَجْنَا بِهِ} يعني: بالمطر {نَبَاتَ كُلّ شَئ} يعني: معاشاً للخلق من الثمار والحبوب وغير ذلك. {فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً} خَضِرَ واخْضَرّ بمعنى واحد، الأخضر يعني: النبات الأخضر، وهو أول ما يخرج.

ثم قال: {نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً} يعني: السنبلة قد ركب بعضها بعضاً. {وَمِنَ النخل مِن طَلْعِهَا} يعني: أخرجنا بالماء من النخل من طلعها يعني: من عذوقها وثمرها. {قنوان دَانِيَةٌ} يعني: عُذوقاً متدانية قريبة ينالها القائم والقاعد. {وجنات مّنْ أعناب} يعني: يخرج بالماء. قرأ الأعمش {وجنات} بالضم عطفها على قوله: {قنوان دَانِيَةٌ}، وقرأ العامة بالكسر ومعناه وأخرجنا من أعناب. {والزيتون} يعني: أخرجنا منه شجر الزيتون. {والرمان متشابها} في المنظر، {وَغَيْرَ متشابه} في الطعم يعني: بعضها حلو وبعضها حامض. {انظروا إلى ثَمَرِهِ} قرأ حمزة والكسائي {انظروا إلى ثُمَرِهِ}، بضم الثاء والميم، وقرأ الباقون بالنصب، وكذلك ما بعده. فمن قرأ بالنصب فهو اسم الثمرة، وإنما أراد به الجنس ومن قرأ بالضم فهو جمع الثمار. {إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} يعني: ونضجه

يعني: انظروا إلى نضجه واعتبروا به، واعلموا أن له خالقاً فهو قادر على أن يحييكم بعد الموت، كما أخرج من الأرض اليابسة النبات الأخضر ومن الشجرة الثمار. {إِنَّ فِى ذلكم لايات} يعني: في اختلاف ألوانه لعلامات {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون ويرغبون في الحق.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [100- 103]

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)}

{وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَاء الجن} يعني: وضعوا لله شركاء. وقال مقاتل: وذلك أن بني جهينة قالوا: إن صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن وذلك قوله: {وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَاء الجن}. وقال الكلبي: وجعلوا الجن شركاء لله نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس لعنه الله ولعنهم أخوان. قالوا: إن الله تعالى خالق الناس والدواب، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب كقوله: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجنة إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات: 158] قال الزجاج: معناه أطاعوا الجن فيما سوّلت لهم من شركهم، فجعلوهم شركاء الله وهذا قريب مما قاله الكلبي. ثم قال: {وَخَلَقَهُمْ} يعني: جعلوا لله الذي خلقهم شركاء، ويقال: وخلقهم يعني خلق الجن، ويقال: وخلقهم يعني: الذين تكلموا به {وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ} يعني: وصفوا له بنين وبنات. {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بلا علم يعلمونه، ويقال بلا حجة وبيان. وروى عبد الله بن موسى عن جويرية قال: سمعت رجلاً سأل الحسن عن قوله: {وَخَرَقُواْ لَهُ} قال: كلمة عربية كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول بعض القوم: خرقها. ثم نزّه نفسه فقال: {سبحانه} يعني: تنزيهاً له. {وتعالى عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: هو أعلى وأجل مما يصف الكفار بأن له ولداً. قرأ نافع {وَخَرَّقُواْ} بالتشديد على معنى المبالغة.

قوله تعالى: {بَدِيعُ السموات والارض} يعني: خالق السموات والأرض يعني مبدعهما، وهو أن يبتدئ شيئاً لم يكن يعني ابتدعهما ولم يكونا شيئاً. {أنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ} قال القتبي: {إِنّى} على وجهين يكون بمعنى كيف كقوله {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ واتقوا الله واعلموا أَنَّكُم ملاقوه وَبَشِّرِ المؤمنين} [البقرة: 223] وكقوله: {أَوْ كالذى مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا قَالَ أنى يُحْىِ هذه الله بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ الله مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ

مِائَةَ عَامٍ فانظر إلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وانظر إلى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وانظر إِلَى العظام كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 259]، ويكون بمعنى من أين كقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفروا فِى سَبِيلِ الله اثاقلتم إِلَى الارض أَرَضِيتُم بالحياة الدنيا مِنَ الاخرة فَمَا مَتَاعُ الحياة الدنيا فِى الاخرة إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة: 38] وكقوله: {أنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ} {وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صاحبة} يعني: زوجة. {وَخَلَقَ كُلَّ شَئ} يعني: الملائكة وعيسى وغيرهم وهم خلقه وعبيده.

{وَهُوَ بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} مما خلق.

ثم قال: {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الذي فعل هذا فهو ربكم {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق غيره. {خالق كُلّ شَئ فاعبدوه} يعني: وحّدوه وأطيعوه. {وَهُوَ على كُلّ شَئ وَكِيلٌ} يعني: كفيل بأرزاقهم، ويقال وكيل يعني: حفيظ.

ثم عظّم نفسه فقال: {لاَّ تُدْرِكُهُ الابصار} قال مقاتل: يعني لا يراه الخلق في الدنيا. وروى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد اقْشَعَرَّ قلبي مما قلت أين أنت من ثلاثة من حدثك بهن فقد كذّب: من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت {لاَّ تُدْرِكُهُ الابصار وَهُوَ يُدْرِكُ الابصار} ومن حدثك أنه قد علم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة وَيُنَزِّلُ الغيث وَيَعْلَمُ مَا فِى الارحام وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ الله عَلَيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34] ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب. ثم قرأت {يَأَيُّهَا الرسول بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ والله يَعْصِمُكَ مِنَ الناس إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الكافرين} [المائدة: 67].

ثم قال: {وَهُوَ يُدْرِكُ الابصار} يعني: لا يخفى عليه شيء ولا يفوته. قال الزجاج: في هذه الآية دليل أن الخلق لا يدركون الأبصار أي لا يعرفون كيف حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه فاعلم أنهم لا يحيطون بعلمه فكيف به.

ثم قال: {وَهُوَ اللطيف الخبير} بخلقه وبأعمالهم وقال أبو العالية لا تدركه الأبصار في الدنيا وتدركه أبصار المؤمنين في الآخرة. قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [104- 105]

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)}

{قَدْ جَاءكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ} يعني بياناً من ربكم وهو القرآن الذي فيه البيان {فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ} يقول: من صدق بالقرآن وآمن به فثوابه لنفسه، {وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} يعني: من لم يصدق بالقرآن ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فعليها جزاء العذاب {وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} يعني: بمسلط وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

ثم قال: {وكذلك نُصَرّفُ الايات} يعني: نبين لهم الآيات في القرآن في كل وجه. {وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو {دَارَسْتَ} يعني: ذاكرت أهل الكتاب وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي {الايات وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ} يعني: قرأت الكتب. ويقال: تعلمت من جبر ويسار وكانا غلامين بمكة عبرانيين فقال أهل مكة: إنما يتعلم منهما وقرأ ابن عامر {دَرَسْتَ} بنصب الراء والسين يعني: هذا شيء قديم قد خلفت وقرأ بعضهم {دَرَسْتَ} أي قرئت. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ {لّيَقُولواْ} بغير واو {درس} بغير تاء يعني: لكي يقولوا دَرَسَ النبي صلى الله عليه وسلم. وكان نزول هذه الآيات سبباً لقولهم هذا، فأضاف قولهم إلى الآيات. ثم قال {دَرَسْتَ وَلِنُبَيّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} يعني: أصحاب محمد عليه السلام.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [106- 108]

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108)}

{اتبع مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} يعني: اعمل بما أنزل إليك من ربك من أمره ونهيه حين دعي إلى ملة آبائه. ثم قال {لا إله إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ المشركين} يعني: اتركهم على ضلالتهم. ثم قال {وَلَوْ شَاء الله مَا أَشْرَكُواْ} يقول: ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين. ويقال: لو شاء لأنزل عليهم آية يؤمنوا بها لو شاء لاستأصلهم فقطع سبب شركهم. {وَمَا جعلناك عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} يعني: أن لم يوحّدوا {وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} يعني: بمسلط وقوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الذين يَدْعُونَ مِن دُونِ الله} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان يذكرون الأصنام بسوء ويذكرون عيبهم، فقال المشركون: لتنتهين عن شتم آلهتنا، أو لنسبنّ ربك. فنهى الله تعالى المؤمنين عن شتم آلهتهم عندهم لأنهم جهلة. {فَيَسُبُّواْ الله عَدْواً} يعني: اعتداءً {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بلا علم منهم ويقال: {عَدُوّاً} يعني: ظلماً صار نصباً بالمصدر، وفي الآية دليل أن الإنسان إذا أراد أن يأمر بالمعروف فيقع المأمور به في أمر هو شر مما هو فيه من الضرب أو الشتم أو القتل، ينبغي أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه. ثم قال: {كَذَلِكَ زَيَّنَّا} يقول: هكذا زينا {لِكُلّ

أُمَّةٍ} يعني: لكل أهل دين عملهم يعني: ضلالتهم في الدنيا عقوبة ومجازاة لهم {ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ} في الآخرة {فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: فيجازيهم بذلك. قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [109]

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109)}

{وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} وكان أهل الجاهلية يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى، وكان يسمونه جهد اليمين إذا كانت اليمين بالله، ولما نزل قوله تعالى {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السمآء ءَايَةً فَظَلَّتْ أعناقهم لَهَا خاضعين} [الشعراء: 4] الآية قالوا: أنْزِلها فوالله لنؤمنن بك. وقال المسلمون: أنْزِلها لكي يؤمنوا فنزل {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} يقول: حلفوا بالله {لَئِن جَاءتْهُمْ ءايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا} قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا الايات عِندَ الله} إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها.

ثم قال: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا} يقول: وما يدريكم أنها {إِذَا جَاءتْ} يعني: الآية {لاَ يُؤْمِنُونَ} وقال مقاتل: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} يا أهل مكة أنها إذا جاءتكم لا تؤمنون. وقال الكلبي {وَمَا يُشْعِرُكُمْ}. أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر {أَنَّهَا} بالكسر على معنى الابتداء وإنما يتم الكلام عند قوله {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} ثم ابتدأ فقال: {أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ}. ويشهد لهذا قراءة عبد الله بن مسعود {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ}. وقرأ الباقون {أَنَّهَا} بالنصب على معنى البناء ويشهد لها قراءة أبي وما يشعركم لعلها إذا جاءت. وقرأ ابن عامر وحمزة {لاَ تُؤْمِنُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، وهذه القراءة توافق لقول مقاتل.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [110- 111]

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)}

{وَنُقَلّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأبصارهم} يعني: نترك قلوبهم وأبصارهم مغلقة كما هي ولا أوفقهم. {كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} قبل نزول الآيات ويقال عند انشقاق القمر: لما لم يعتبروا به ولم يؤمنوا فعاقبهم الله تعالى وختم على قلوبهم فثبتوا على كفرهم. {وَنَذَرُهُمْ}

يقول: وندعهم {فِي طغيانهم} يعني: في ضلالتهم {يَعْمَهُونَ} يعني: يترددون ويتحيرون فيه. ويقال: {كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني: كما لم يؤمن به أوائلهم من الأمم الخالية لما سألوا الآية من أنبيائهم قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملئكة} هذا جواب لقولهم: {وَقَالُواْ لولا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الامر ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} [الأنعام: 8] {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ يَقُولُ ياليتنى اتخذت مَعَ الرسول سَبِيلاً} [الفرقان: 27] قال الله تعالى. ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة كما سألوا حتى يشهدوا بأنك رسول الله {وَكَلَّمَهُمُ الموتى} بأنك رسول الله {وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَئ قُبُلاً} قرأ نافع وابن عامر {قُبُلاً} بكسر القاف ونصب الباء. وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالضم فمعناه جماعة القبيل. والقبيل الكفيل. ويقال قبلاً: أي أصنافاً من الآدميين ومن الملائكة ومن الوحش. ومن قرأ {قُبُلاً} بالكسر معناه: وحشرنا عليهم كل شيء معاينة فعاينوه. {مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ} وهذا إعلام للنبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يؤمنون كما أعلم نوحاً عليه السلام {وَأُوحِىَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} [هود: 36].

ثم قال: {إِلاَّ أَن يَشَاء الله} يعني: إلا من هو أهل لذلك فيوفقه الله تعالى. ويقال: {إِلاَّ أَن يَشَاء الله} يقول: قد شاء الله أن لا يؤمنوا حيث خذلهم ولم يوفقهم. {ولكن أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} عن ذلك ويقال: أكثرهم يجهلون الحق أنه من الله تعالى. ويقال: يجهلون ما في العلامة من وجوب هلاكهم بعد العلامة إن لم يؤمنوا. قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [112- 113]

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)}

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نِبِىّ عَدُوّاً} يعني: أعداء ومعنى ذلك كما جعلنا لك ولأمتك أعداء مثل أبي جهل وأصحابه كذلك جعلنا لكل نبي عدواً {شياطين الإنس والجن} قال مقاتل وذلك أن إبليس وكل شياطين الإنس وشياطين الجن يضلونهم فإذا التقى شيطان الجن مع شيطان الإنس قال أحدهما للآخر: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا فأضْلِلْ أنت صاحبك بكذا وكذا. فذلك قوله: {يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} يعني: يكلم بعضهم بعضاً بالإضلال. وقال عكرمة: للجن شياطين مثل شياطين الإنس. وروي عن الزبير بن العوام أنّ جنياً شكا إليه ما لقي من الشيطان، فعلمه دعاء ليتخلص منه فدعا به، ووجه آخر شياطين الإنس والجن يعني: الشياطين من الإنس والشياطين من الجن، لأن كل عات متمرد فهو شيطان. وروي عن أبي ذر الغفاري أنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فأمرني أن أصلي ركعتين فصليت ثم جلست عنده قال: «يا أَبَا ذَرّ تَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَشَيَاطِينَ الجِنِّ» فقلت يا رسول الله أوَ من الإنس شياطين؟ فقال

النبي صلى الله عليه وسلم «أوَ مَا تَقْرَأ قَوْلَهُ {شياطين الإنس والجن}؟» وكذلك هذان القولان من قوله تعالى {الذى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ الناس * مِنَ الجنة والناس} [الناس: 5، 6] ثم قال {يُوحِى بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ} يعن يوسوس بعضهم بعضاً. {زُخْرُفَ القول غُرُوراً} يعني: ما زين منه وحسن وموه يعني: يزين القول باطلاً، يغرهم بذلك. وأصل الزخرف الذهب. وسمى الزينة زخرفاً لأن أصل الزينة من الذهب يعني: يزين لبعض الأعمال.

ثم قال: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} يعني: لو شاء ربك لمنعهم من الوسوسة، ولكن الله يمتحن بما يعلم أنه أبلغ في الحكمة وأجزل في الثواب {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} يعني: خلّ عنهم وما يكذبون من القول والغرور.

ثم قال: {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ} يقول: ولتميل إلى ذلك الزخرف والغرور. {أَفْئِدَةُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} إلى هذه الزينة والغرور {وَلِيَرْضَوْهُ} يقول: لكي يقبلوا من الشياطين الزينة والغرور {وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ} يعني: ليكسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي وليعملوا ما هم عاملون. وقرأ بعضهم {وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ} بجزم اللام على معنى الأمر، والمراد به التهديد كقوله {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فى ءاياتنا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يلقى فِى النار خَيْرٌ أَم مَّن يأتى ءَامِناً يَوْمَ القيامة اعملوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: 40] والقراءة المعروفة بكسر اللام، والمراد به التهديد، ومعناه: اتركهم ليعلموا ما هم عاملون.

وقوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [114- 117]

{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)}

{أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِى حَكَماً} يعني: أعْبُدُ غير الله؟ ويقال: أأطلب القضاء من غير الله؟ {وَهُوَ الذى أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الكتاب مُفَصَّلاً} يعني: مبيناً فيه أمره ونهيه بلغة يعرفونها. ويقال: مفرقاً سورة سورة وآية آية. {والذين ءاتيناهم الكتاب} يعني: مؤمني أهل الكتاب {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مّن رَّبّكَ بالحق} يعني: القرآن منزل من الله بالعدل. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص {مُنَزَّلٌ} بتشديد الزاي، وقرأ الباقون بالتخفيف.

ثم قال: {فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} يعني: الشاكين في أنه الحق وأنه من الله تعالى. خاطبه بذلك وأراد به غيره من المؤمنين لكي لا يشكوا فيه.

قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ} يقول وجب قول ربك بأنه ناصر محمد صلى الله عليه وسلم وأن عاقبة الأمر به {صِدْقاً وَعَدْلاً} يعني: {صِدْقاً} فيما وعد الله له من النصرة {وَعَدْلاً} فيما حكم به {لاَ مُبَدّلَ لكلماته} يقول: لا مغيّر لوعده كقوله {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والذين ءامَنُواْ فِى الحياة الدنيا وَيَوْمَ يَقُومُ الاشهاد} [غافر: 51] ويقال: {لاَ مُبَدّلَ لكلماته} يعني: لا ينقض بعضها بعضاً ولا يشبه كلام البشر. وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً} قال: «هُوَ قَوْلُ لاَ إله إلاَّ الله» {وَهُوَ السميع العليم} {السميع} بما سألوا {العليم} بهم.

ثم قال: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الارض} يعني: أهل أرض مكة فيما يدعونه إلى ملة آبائه. ويقال: وإن تطع أكثر من في الأرض يعني: الكفار لأن أكثر من في الأرض كانوا الكفار. {يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله} يعني: يصرفوك عن دين الإسلام {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني: أن أكثرهم يتبعون أكابرهم بالظن، ويتبعونهم فيما لا يعلمون أنهم على الحق فإن قيل: كيف يعذبون وهم ظانون على غير يقين؟ قيل لهم: لأنهم اقتصروا على الظن والجهل، لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يتفكروا في طلب الحق. ويقال: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني في أكل الميتة واستحلالها {وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} يعني: ما هم إلا كاذبون باستحلالهم الميتة، لأنهم كانوا يقولون: ما قتل الله فهو أولى بالحل وبأكله مما نذبحه بأيدينا. {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ} يعني: عن دينه وعن شرائع الإسلام. {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} لدينه قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ} وقرأ الباقون {كلمات} بلفظ الجماعة.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [118- 119]

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآَيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119)}

{فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسم الله عَلَيْهِ} من الذبائح {إِن كُنتُم بآياته مُؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين. فقد بيّن الله تعالى أنه لا يجوز أكل الميتة وإنما يحل أكله إذا ذُبح وذُكر اسْمُ الله عليه.

ثم قال: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسم الله عَلَيْهِ} مما ذبح وذكر اسم الله عليه {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم} يعني: بيّن لكم تحريمه في سورة المائدة وغيره من {مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} يعني:

الميتة وغيرها {إِلاَّ مَا اضطررتم إِلَيْهِ} يقول: ما اجتهدتم إلى أكل الميتة عند الجوع. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو {فَصَّلَ لَكُم} بضم الفاء {مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} بضم الحاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {وَقَدْ فَصَّلَ} بالنصب {وَمَا حَرَّمَ} بالضم وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص كلاهما بالنصب يعني: بيّن الله لكم ما حرم عليكم.

ثم قال: {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ} يقول: يدعون إلى أكل الميتة بغير علم {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بالمعتدين} من الحلال إلى الحرام.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [120- 121]

{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)}

{وَذَرُواْ ظاهر الإثم وَبَاطِنَهُ} يعني: زنى السر والعلانية لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمون الزنى في العلانية، ولا يرون به بأساً في السر. فأخبر الله تعالى أن الزنى حرام في السر والعلانية. ويقال: ظاهر الإثم وهو الزنى وباطنه القُبْلة واللَّمس والنظر. وقال الضحاك {ظاهر الإثم} الزنى وباطنه نكاح الأمهات والأخوات وقال قتادة: {ظاهر الإثم وَبَاطِنَهُ} يعني: قليله وكثيره. ويقال: ظاهره ارتكاب المعاصي، وباطنه ترك الفرائض. ويقال: باطنه الرياء في الأعمال. ويقال: الكفر ويقال: جميع المعاصي. {إِنَّ الذين يَكْسِبُونَ الإثم} يقول: يعملون الفواحش ويتكلمون بها {سَيُجْزَوْنَ بِمَا يَقْتَرِفُونَ} سيعاقبون بما كانوا يكسبون من الإثم. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي: وإن كثيراً ليُضلون بأهوائهم بضم الياء يعني: يضلون الناس. وقرأ الباقون {لَّيُضِلُّونَ} بنصب الياء يعني يَضلون بأنفسهم.

قوله تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسم الله عَلَيْهِ} يعني: ما لم يُذَك ولم يذبح أو ذبح بغير اسم الله {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} يعني: أكلُه معصية واستحلاله كفر. {وَإِنَّ الشياطين لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ} يعني: يوسوسون إلى أوليائهم من المشركين {ليجادلوكم} يقول: ليخاصموكم في أكل الميتة. وهو قولهم: ما قتله الله فهو أولى أن يؤكل. وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قيل له: إن المختار يقول: يوحى إليّ فقال، صَدَق {وَإِنَّ الشياطين لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ}.

قال الفقيه قال: حدّثنا أبو الفضل بن أبي حفص قال: حدّثنا أبو جعفر الطحاوي بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال المشركون للمسلمين: ما قتل ربكم ومات فلا تأكلوه وما قتلتم أنتم وذبحتم فتأكلوه فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسم الله عَلَيْهِ}... إلى قوله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} يعني: في أكل الميتة واستحلاله {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} مثلهم ففي الآية دليل أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار مشركاً.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [122- 123]

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123)}

{أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فأحييناه} يعني من كان ضالاً كافراً فهديناه إلى الإسلام والتوحيد {وجعلنا له نوراً يمشي في الناس} يعني: أكرمناه بالمعرفة. ويقال: جعلنا له إيماناً يهتدي به سبيل الخيرات، والنجاة يمشي به في الناس يعني: مع المؤمنين. ويقال: أعطيناه نوراً يوم القيامة يمشي به على الصراط مع المؤمنين. لا يكن حاله {كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظلمات} يعني: كمن قدر عليه الكفر ونزل في الكفر مخذولاً {لَيْسَ بِخَارِجٍ مّنْهَا} يعني: ليس براجع منها. يعني: ليسا بسواء. قال الكلبي: نزلت في عمار بن ياسر يعني ليس حاله بحال الكفار. وقال مقاتل: يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ليس مثل أبي جهل بن هشام الذي بقي في الكفر. ويقال: يعني جميع المؤمنين ليس حالهم كحال الكفار. قرأ نافع {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا} بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد.

ثم قال: {كَذَلِكَ زُيّنَ للكافرين مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: هكذا نعاقب من اختار الكفر على الإيمان فنختم على قلبه مجازاة لكفره.

ثم قال: {وكذلك جَعَلْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ أكابر مُجْرِمِيهَا} يعني جعلنا مجرميها أكابرها وجبابرتها كما جعلنا في أهل مكة وهذا معطوف على ما قبله أي مثل ذلك جعلنا في كل قرية كما زين للكافرين {لِيَمْكُرُواْ فِيهَا} يعني: ليتكبروا فيها ويكذبوا رسلهم {وَمَا يَمْكُرُونَ} يعني: وما يصنعون ذلك {إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ} يعني: إلا على أنفسهم {وَمَا يَشْعُرُونَ} أن ذلك على أنفسهم.

قوله تعالى:

{وَإِذَا جَاءتْهُمْ ءايَةٌ} يعني: الأكابر الذين سبق ذكرهم. ويقال: كفار مكة إذا جاءتهم علامة مثل انشقاق القمر وغيره {قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ} يعني: لن نصدقك ولن نؤمن بالآية {حتى نؤتى مِثْلَ مَا أُوتِىَ} أي مثل ما أعطي {رُسُلُ الله} يعني محمداً صلى الله عليه وسلم من الآيات والعلامات. ويقال: لم نصدقك حتى يوحى إلينا كما أوحي إلى الرسل، وذلك أن الوليد بن المغيرة وأبا مسعود الثقفي قالا: لو أراد الله تعالى أن ينزل الوحي لأنزل علينا. قال بعضهم: أرادوا به محمداً صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: أرادوا به جميع الرسل فقال الله تعالى: {الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ومن يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخصّ بها محمداً صلى الله عليه وسلم {سَيُصِيبُ الذين أَجْرَمُواْ} يعني: أشركوا {صَغَارٌ عِندَ الله} يعني: مَذَلَّة وهوان عند الله أي من عند الله العذاب بالمستهزئين {وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ} يعني: يكذبون بالرسل قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص {حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} بلفظ الوحدان وقرأ الباقون {***رسالاته} بلفظ الجماعة.

قوله تعالى: {يَمْكُرُونَ فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ} يعني: من يرد الله أن يوفقه للإسلام ويهديه لدينه {يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام} يقول يوسع قلبه ويلينه لقبول الإسلام، ويدخل فيه نور الإسلام وحلاوته. وقال القتبي: {يَشْرَحْ صَدْرَهُ} يعني: يفتحه.

قال الفقيه: قال: حدّثنا الخليل بن أحمد حدّثنا الديبلي قال: حدّثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية {فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام} قالوا: يا رسول الله: فكيف ذلك؟ إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا: وهل لذلك من علامة يعرف به؟ قال: «نَعَمْ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ وَالإِنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ «

ثم قال تعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ} عن الإسلام فلا يقبله ويتركه بغير نور {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً} عن الإسلام يعني: غير موسع {حَرَجاً} يعني: شاكاً. وقال ابن عباس: كالشجرة الملتفة بعضها في بعض لا يجد النور منفذاً ومجازاً قرأ ابن كثير {ضَيّقاً} بتخفيف الياء وجزمها. وقرأ الباقون بالتشديد. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {حَرَجاً} بكسر الراء. وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فهو المصدر. ومن قرأ بالكسر فهو النعت.

ثم قال: {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السماء} يعني: مثله كمثل الذي يتكلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيع، فكذلك قلب الكافر لا يستطيع قبول الإسلام. قرأ ابن كثير {يَصْعَدُ} بجزم الصاد ونصب العين بغير تشديد من صَعَد يَصْعَد. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَصَّاعد} بالألف مع تشديد الصاد وتخفيف العين لأن أصله يتصاعد فأدغم التاء في الصاد. وقرأ الباقون: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ} بتشديد الصاد والعين بغير ألف لأن أصله يتصعد

فأدغم التاء في الصاد ثم قال: {كذلك يَجْعَلُ الله الرجس} يعني: العذاب {عَلَى الذين لاَ يُؤْمِنُونَ} بترك حلاوة الإيمان على الذين لا يرغبون في الإيمان ويقال الرجس في اللغة: هو اللعنة والعذاب.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [124- 125]

{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124) فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)}

{وَإِذَا جَاءتْهُمْ ءايَةٌ} يعني: الأكابر الذين سبق ذكرهم. ويقال: كفار مكة إذا جاءتهم علامة مثل انشقاق القمر وغيره {قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ} يعني: لن نصدقك ولن نؤمن بالآية {حتى نؤتى مِثْلَ مَا أُوتِىَ} أي مثل ما أعطي {رُسُلُ الله} يعني محمداً صلى الله عليه وسلم من الآيات والعلامات. ويقال: لم نصدقك حتى يوحى إلينا كما أوحي إلى الرسل، وذلك أن الوليد بن المغيرة وأبا مسعود الثقفي قالا: لو أراد الله تعالى أن ينزل الوحي لأنزل علينا. قال بعضهم: أرادوا به محمداً صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: أرادوا به جميع الرسل فقال الله تعالى: {الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ومن يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخصّ بها محمداً صلى الله عليه وسلم {سَيُصِيبُ الذين أَجْرَمُواْ} يعني: أشركوا {صَغَارٌ عِندَ الله} يعني: مَذَلَّة وهوان عند الله أي من عند الله العذاب بالمستهزئين {وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ} يعني: يكذبون بالرسل قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص {حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} بلفظ الوحدان وقرأ الباقون {***رسالاته} بلفظ الجماعة.

قوله تعالى: {يَمْكُرُونَ فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ} يعني: من يرد الله أن يوفقه للإسلام ويهديه لدينه {يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام} يقول يوسع قلبه ويلينه لقبول الإسلام، ويدخل فيه نور الإسلام وحلاوته. وقال القتبي: {يَشْرَحْ صَدْرَهُ} يعني: يفتحه.

قال الفقيه: قال: حدّثنا الخليل بن أحمد حدّثنا الديبلي قال: حدّثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية {فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام} قالوا: يا رسول الله: فكيف ذلك؟ إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا: وهل لذلك من علامة يعرف به؟ قال: «نَعَمْ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ وَالإِنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ »

ثم قال تعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ} عن الإسلام فلا يقبله ويتركه بغير نور {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً} عن الإسلام يعني: غير موسع {حَرَجاً} يعني: شاكاً. وقال ابن عباس: كالشجرة الملتفة بعضها في بعض لا يجد النور منفذاً ومجازاً قرأ ابن كثير {ضَيّقاً} بتخفيف الياء وجزمها. وقرأ الباقون بالتشديد. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {حَرِجاً} بكسر الراء. وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فهو المصدر. ومن قرأ بالكسر فهو النعت.

ثم قال: {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السماء} يعني: مثله كمثل الذي يتكلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيع، فكذلك قلب الكافر لا يستطيع قبول الإسلام. قرأ ابن كثير {يَصْعَدُ} بجزم الصاد ونصب العين بغير تشديد من صَعَد يَصْعَد. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَصَّاعد} بالألف مع تشديد الصاد وتخفيف العين لأن أصله يتصاعد فأدغم التاء في الصاد. وقرأ الباقون: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ} بتشديد الصاد والعين بغير ألف لأن أصله يتصعد فأدغم التاء في الصاد ثم قال: {كذلك يَجْعَلُ الله الرجس} يعني: العذاب {عَلَى الذين لاَ يُؤْمِنُونَ} بترك حلاوة الإيمان على الذين لا يرغبون في الإيمان ويقال الرجس في اللغة: هو اللعنة والعذاب.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [126- 129]

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)}

{وهذا صراط رَبّكَ مُسْتَقِيماً} يعني: هذا التوحيد دين ربك مستقيماً يعني: قائماً برضاه {قَدْ فَصَّلْنَا الآيات} يعني: قد بيّنا العلامات وبيّنا الآيات في أمر القلوب والهدى والضلالة {لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} يعني: يتعظون ويتفكرون في توحيد الله تعالى. ويقال: معناه لا عذر لأحد في التخلّف عن الإيمان لأن الله تعالى قد بيّن طريق الهدى، وقد بيّن العلامات في ذلك لمن كان له عقل وتمييز.

ثم ذكر ما أعدّ الله للمؤمنين في الآخرة فقال: {لَهُمْ دَارُ السلام عِندَ رَبّهِمْ} وهي الجنة وهي دار السلام من الأمراض والآفات والخوف والهرم وغير ذلك. ويقال: {لَهُمْ دَارُ السلام} فالله السلام والجنة داره يعني: دار رب العزة التي أعد لأوليائه بالثواب {وَهُوَ

وَلِيُّهُم} أي الله تعالى حافظهم وناصرهم في الدنيا. ويقال: هو وليهم في الآخرة بالثواب {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ} يقول: واذكر يوم يجمعهم الله {جَمِيعاً} يعني: الجن والإنس. قرأ عاصم في رواية حفص {يَحْشُرُهُمْ} بالياء يعني: أن الله يحشرهم وقرأ الباقون {نَحْشُرُهُمْ} بالنون {كَانُواْ يَعْبُدُونَ الجن} يقول لهم يا معشر الجن {قَدِ استكثرتم مّنَ الإنس} يعني: قد أضللتم كثيراً من الإنس {وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مّنَ الإنس} الذين أضلوهم {رَبَّنَا استمتع بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} يعني: انتفع بعضنا ببعض وكان استمتاع الإنس بالجن في الدنيا أن أهل الجاهلية كانوا إذا سافر واحد منهم فأدركه المساء بأرض قفر وخاف بالليل فقال: أعوذ بسيد أهل هذا الوادي من سفهاء قومه، فأمن، ولبث في جوارهم حتى يصبح. وكان استمتاع الجن بالإنس أن قالوا: لقد سوّدنا الإنس والجن فيزيدون شرفاً في قومهم يعني: فيما بين الجن والإنس.

{وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذى أَجَّلْتَ لَنَا} يعني: الموت الذي جعلته أجلنا في هذه الدنيا وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: {رَبَّنَا استمتع بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} يعني: خدع بعضنا بعضاً عن دينك يعني: أن الجن قد خدعنا وأضلّنا {وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذى أَجَّلْتَ لَنَا} يعني: ما كتبت علينا من الشقاوة {قَالَ النار مَثْوَاكُمْ} يعني: منزلكم وهم الجن والإنس {خالدين فِيهَا} مقيمين في النار {إِلاَّ مَا شَاء الله} قال الكلبي: مشيئة الله من كل شيء، ويقال: إلا ما شاء الله البرزخ والقيامة قد شاء الله لهم الخلود فيها. ويقال {إِلاَّ مَا شَاء الله} يخرج منها من أهل التوحيد {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} ثم قال: {وكذلك نُوَلّى} يعني: نسلط {بَعْضَ الظالمين بَعْضاً} يعني: كفار الجن على كفار الإنس. ويقال: نسلط بعض الظالمين بعضاً فيهلكه ويذله.

وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع عن ظلمه. لأنه لو لم يمتنع يسلط الله عليه ظالماً آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم ومن ظلم في رعيته أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم. وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً. وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولّى أمرهم خيارهم. وإذا سخط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون، ثم تلا قوله {وكذلك نُوَلّى بَعْضَ الظالمين بَعْضاً}.

وعن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الكتب المنزلة أن الله تعالى يقول: إني أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي ونواصيها بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إليّ أجعلهم عليكم رحمة. ثم قال: {بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يسلط بعضهم على بعض بأعمالهم الخبيثة.

ثم يقول لهم:

▲ تفسير الآيات رقم [130- 131]

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131)}

{وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس} يعني: يقول لهم {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ} قال مقاتل: بعث الله تعالى رسولاً من الجن إلى الجن ومن الإنس إلى الإنس. ويقال رسل الجن السبعة الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى قومهم منذرين. وقالوا: يا قومنا أجيبوا داعي الله. ويقال: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ} يعني: من الإنس خاصة. وقال ابن عباس: كانت الرسل تبعث إلى الإنس وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث إلى الجن والإنس.

ثم قال {يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ} يقول: يقرؤون ويعرضون عليكم {ءاياتي} يعني: القرآن {وَيُنذِرُونَكُمْ} يعني: يخوّفونكم {لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا} يعني يقولون بلى أقررنا أنهم قد بلغوا وكفرنا بهم. ثم قالت الرسل: وذلك بعدما شهد عليهم سمعهم وأبصارهم يقول الله تعالى: {وَغَرَّتْهُمُ الحياة الدنيا} يعني: ما في الحياة الدنيا من زهرتها وزينتها {وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كافرين} في الدنيا. ويقول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يامعشر الجن قَدِ استكثرتم مِّنَ الإنس وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإنس رَبَّنَا استمتع بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الذى أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النار مَثْوَاكُمْ خالدين فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ الله إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: 128] على وجه التقديم والتأخير.

قوله تعالى: {ذلك أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ القرى بِظُلْمٍ} يعني: ذلك السؤال والشهادة ويقال {ذلك} يعني: إرسال الرسل إلى الجن والإنس ليعلم أن لم يكن الله مهلك القرى يعني: معذب أهل القرى بغير ذنب في الدنيا {وَأَهْلُهَا غافلون} عن الرسل. ويقال: غافلون عن العذاب لأنه قد بيّن لهم وأخذ عليهم الحجة.

ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [132- 135]

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ (133) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135)}

{وَلِكُلّ درجات مّمَّا عَمِلُواْ} يعني: ولكل واحد من المؤمنين فضائل في الجنة بعضهم أرفع درجة من بعض، وللكافرين درجات بعضهم أشد عذاباً من بعض.

{وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ} يعني: لمن ينسى الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، ويجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن عامر {عَمَّا تَعْمَلُونَ} على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون: {يَعْمَلُونَ} بالياء على معنى المغايبة.

قوله تعالى: {وَرَبُّكَ الغنى ذُو الرحمة} يعني: غني عن عبادة خلقه، {ذُو الرحمة} بتأخير العذاب عنهم ويقال: {ذُو الرحمة} يعني: ذو التجاوز عمن تاب ورجع إليه بالتوبة {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} يعني: يهلككم {وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء} خلقاً بعدكم من بعد إهلاككم {مَا يَشَاء} إن يشأ مثلكم، وإن يشأ أطوع منكم. {كَمَا أَنشَأَكُمْ} يقول: كما خلقكم {مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء} قرناً من بعد قرن ولكنه لم يهلككم رحمة منه، لترجعوا وتتوبوا.

ثم قال: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لأَتٍ} يعني: الوعيد الذي أوعد في الآخرة من العذاب لآتٍ، يقول: لكائن لا خلف فيه {وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ} يعني: بسابقين الله بأعمالكم الخبيثة التي يجازيكم بها. هذا قول مقاتل. وقال الكلبي: {بِمُعْجِزِينَ} أي: بفائتين أن يدرككم. ويقال في اللغة: أعجزني الشيء أي: فاتني وسبقني. ثم قال: {قُلْ يا قوماعملوا على مَكَانَتِكُمْ} أي: على موضعكم. يقال: مكان ومكانة مثل منزل ومنزلة. ومعناه اعملوا على ما أنتم عليه. ويقال: معناه اجتهدوا في إهلاكي ما استطعتم ويقال: اعملوا في منازلكم من الخير والشر فإنكم تجزون بهما لا محالة.

{إِنّى عامل} بما أوحى الله إلي ويقال: اعملوا بمكاني وأنا عامل بمكانكم. {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عاقبة الدار} فهذا وعيد من الله تعالى. يقول: نبيّن لكم من تكون له عاقبة الأمر في الدنيا، ومن تكون له الجنة في الآخرة.

ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون} مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي: في الآخرة، ولا يأمن المشركون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {اعملوا على مَكَانَتِكُمْ} في جميع القرآن بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون {مَكَانَتِكُمْ}. وقرأ حمزة والكسائي {مَّن يَكُونُ} بالياء لأنه انصرف إلى المعنى وهو الثواب والباقون قرؤوا بالتاء لأن لفظ العاقبة لفظ مؤنث.

قوله تعالى:

صفحه 18

▲ تفسير الآيات رقم [136- 140]

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140)}

{وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحرث والانعام} وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كانوا يسمون لله جزءاً من الحرث، ولأوثانهم جزءاً. فما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه. وما ذهبت به الريح من الجزء الذي سموه لله إلى جزء الأصنام تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا. وقال السدي: ما خرج من نصيب الأصنام أنفقوه عليها، وما خرج من نصيب الله تصدقوا به. فإذا هلك الذي لشركائهم وكثر الذي لله قالوا: ليس لآلهتنا بدّ من النفقة. فأخذوا الذي لله، وأنفقوه على الأصنام. وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا: لو شاء الله لأزكى ماله فلا يزيدون عليه شيئاً. فذلك قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ} يعني: مما خلق من الحرث والأنعام {نَصِيباً} يعني: جعلوا لله نصيباً، ولشركائهم نصيباً، فاقتصر على المذكور لأن في الكلام دليلاً على المسكوت عنه {فَقَالُواْ هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ} يقول بقولهم ولم يأمرهم الله بذلك {وهذا لِشُرَكَائِنَا} يعني: للأصنام {فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ} يعني: لأصنامهم {فَلاَ يَصِلُ إِلَى الله} يقول: فلا يضعون شيئاً في نصيب الله {وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكَائِهِمْ} يقول: يوضع في نصيبهم {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} يعني: لو كان معه شريك كما يقولون ما عدلوا في القسمة. ويقال: {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} حيث وصفوا لله شريكاً. قرأ الكسائي (بزعمهم) بضم الزاي وقرأ الباقون بالنصب وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم قال تعالى: {وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مّنَ المشركين قَتْلَ أولادهم شُرَكَاؤُهُمْ} يعني: زين لهم شركاؤهم وهم الشياطين قتل أولادهم، لأنهم يقتلون أولادهم مخافة الفقر والحمية، ويدفنون بناتهم أحياء فزين لهم الشيطان ذلك، كما زيّن لهم تحريم الحرث والأنعام. ويقال: كان واحد منهم ينذر أنه إذا ولد كذا وكذا ولد يذبح واحداً منهم كما فعل عبد

المطلب. فزين لهم الشيطان قتل أولادهم. فذلك قوله {وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مّنَ المشركين قَتْلَ أولادهم شُرَكَاؤُهُمْ} قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام {وكذلك زُيّنَ} بضم الزاي {قَتْلَ} بضم اللام {أولادهم} بفتح الدال {شُرَكَائِهِمْ} بالخفض. وإنما قرئ {زُيّنَ} بالضم على فعل ما لم يسم فاعله ومعناه: قتل شركائهم على معنى التقديم، وهم أولادهم لأن أولادهم شركاؤهم في أموالهم، فصار شركاؤهم نعتاً للأولاد، وصار الأولاد نصباً على وجه التفسير. وقرأ الباقون {زُيّنَ} بالنصب لأنه فعل ماض {شُرَكَاؤُهُمْ} بالضم لأنه جعل الشركاء على وجه الفاعل.

ثم قال: {لِيُرْدُوهُمْ} يعني: ليهلكوهم بذلك {وَلِيَلْبِسُواْ} يعني: ليخلطوا وليشبهوا {عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} يعني: دين إبراهيم وإسماعيل.

ثم قال: {وَلَوْ شَاء الله مَا فَعَلُوهُ} يعني: لو شاء الله لمنعهم من ذلك منع اضطرار وقهر وأهلكهم {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} يعني: دعهم وما يكذبون بأن الله أمرهم بذلك، ومعناه: أن الله مع قدرته عليهم قد تركهم إلى وقت قدرهم، فاتركهم أنت أيضاً إلى الوقت الذي تؤمر بقتالهم. ويقال: معناه دعهم فإنّ لهم موعداً بين يدي الله فيحاسبهم ويجازيهم بها.

قوله تعالى: {وَقَالُواْ هذه أنعام وَحَرْثٌ} وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث وهو نوع من الزرع حرموها على النساء. {حِجْرٍ} يعني: حرام والحجر يكون عبارة عن العقل كقوله تعالى: {هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ} «[الفجر: 5] أي: لذي لب وعقل ويكون عبارة عن الحرام كقوله: {يَوْمَ يَرَوْنَ الملائكة لاَ بشرى يَوْمَئِذٍ لّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً} [الفرقان: 22] يعني: حراماً محرماً وكقوله {وَقَالُواْ هذه أنعام وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وأنعام حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وأنعام لاَّ يَذْكُرُونَ اسم الله عَلَيْهَا افترآء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 138] يعني: حراماً {لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ} من الرجال دون النساء، وهو مالك بن عوف كان يفتيهم بالحل والحرمة. وكان يقول: هذا يجوز وهذا لا يجوز لأشياء كانوا حرموها برأيهم.

ثم قال {وأنعام حُرّمَتْ ظُهُورُهَا} وهي الحام من الإبل كانوا يتركونها ولا يركبونها {وأنعام لاَّ يَذْكُرُونَ اسم الله عَلَيْهَا} يعني: عند الذبيحة ويقال: عند الركوب وهي البحيرة {افتراء عَلَيْهِ} يعني: اختلاقاً وكذباً على الله بأنه أمرهم بذلك {سَيَجْزِيهِم} يعني: سيعاقبهم {بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يعني: يكذبون على الله بأنه أمرهم {وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هذه الانعام خَالِصَةٌ لّذُكُورِنَا} قال الكلبي يعني: البحيرة والوصيلة حلال لذكورنا ما دامت في الأحياء، وليس للنساء فيه شركة ولا نصيب. فذلك قوله: {وَمُحَرَّمٌ على أزواجنا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً} يعني: من هذه الأنعام {فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء} يعني: الرجال والنساء في أكلها. وقال الضحاك: كانت الناقة إذا ولدت فصيلاً ذكراً حرموا لحم الفصيل ولبن الناقة على النساء دون الرجال، وإن وضعت فصيلاً ميتاً اشتركت الرجال والنساء في

لحم الفصيل ولبن الناقة. ذكر في أول الكلام {خَالِصَةٌ} لفظ التأنيث، لأنه انصرف إلى المعنى، ومعناه: حمله ما في بطون هذه الأنعام.

ثم قال {وَمُحَرَّمٌ على أزواجنا} ذكر بلفظ التذكير، لأنّه انصرف إلى قوله: {مَا فِى بُطُونِ} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {وَأَنْ * تَكُنْ} بالتاء على معنى التأنيث {مَيْتَةً} بالنصب يعني: وإن تكن الجماعة ميتة صارت الميتة خبر كان. وقرأ ابن عامر {وَإِن يَكُن مَّيْتَةً} بالضم يعني: وإن كانت ميتة جعلها اسم كان رفعاً وقرأ ابن كثير {وَإِن يَكُنْ} بالياء {مَيْتَةً} بالضم يعني وإن: كان ما فيه ميتة بلفظ التذكير وجعل الميتة اسم كان.

وقرأ الباقون {وَإِن يَكُن مَّيْتَةً} جعلوا الميتة خبر كان بلفظ التذكير.

ثم قال: {سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ} صار نصباً لنزع الخافض يعني: سيعاقبهم بكذبهم {إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} {حَكِيمٌ} عليهم بالعذاب {عَلِيمٌ} بهم. وفي الآية دليل أن العالم ينبغي أن يتعلم قول من خالفه وإن لم يأخذ به حتى يعلم فساد قوله، ويعلم كيف يرد عليه لأن الله تعالى أعلم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم، ليعرفوا فساد قولهم.

قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الذين قَتَلُواْ أولادهم} يعنوا: دفنوا بناتهم أحياء وقتلوهن {سَفَهاً} صار نصباً لنزع الخافض يعني: جهلاً منهم {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير حجة منهم في قتلهن وهم ربيعة ومضر كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من أصحابه كان لا يزال مغتماً بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَا لَكَ تَكن مَحْزُوناً»؟ فقال: يا رسول الله إني قد أذنبت في الجاهلية ذنباً، فأخاف أن لا يغفر لي وإني أسلمت فقال له: «أَخْبِرْنِي عَنْ ذَنْبِكَ» فقال: يا رسول الله: إني كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنت، فتشفعت إليَّ امرأتي بأن أتركها فتركتها حاتى كبرت، وأدركت فصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلت عليَّ الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج. فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب بها إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي فسرت بذلك وزيّنتها بالثياب والحلي، وأخذت عليَّ المواثيق بأن لا أخونها فذهبت بها إلى رأس بئر، فنظرت إلى البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمت بي وجعلت تبكي وتقول: يا أبت أي شيء تريد أن تفعل بي فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي فجعلت مرة أنظر في البئر، ومرة أنظر إليها، وأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر يا أبت قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها. فرجعت فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال «لَوْ أُمِرْتُ أَنْ أُعَاقِبَ أَحَداً بِمَا فَعَلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ لَعَاقَبْتُكَ بِمَا فَعَلْتَ «

ثم قال: {وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ الله} يعني: ما أعطاهم {افتراء} يعني: كذباً {عَلَى الله} بأنه قد حرم ذلك عليهم {قَدْ أَضَلُّواْ} عن الهدى {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} يعني: وما هم بمهتدين ويقال: {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} من قبل فخذلهم الله بذلك قرأ ابن كثير وابن عامر {قاتلوا} بالتشديد لتكثير الفعل والباقون بالتخفيف.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [141- 144]

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144)}

{وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات معروشات} يعني: خلق البساتين يعني: الكروم وما يعرش وهو الذي يبسط مثل القرع ونحو ذلك {وَغَيْرَ معروشات} يعني: كل شجرة قائمة على أصولها {والنخل والزرع} يعني: خلق النخل والزرع {مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ} يعني: طعمه مثل الحامض والحلو والمر {والزيتون والرمان متشابها} يعني: المنظر {وَغَيْرَ متشابه} يعني: في الطعم {كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} وإنما ذكر ثمره بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى المعنى يعني: ثمره الذي ذكرها {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات} يعني: أعطوا زكاته يوم كيله ورفعه. قرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر {حَصَادِهِ} بنصب الحاء. وروى الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات} قال: العُشْر ونصف العشر. وروى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات} قال: عند الزرع أي يعطي القبض وهو بأطراف الأصابع، ويعطي عند الصرام القبض، ويدعهم يتتبعون آثار الصرام. وعن الربيع بن أنس {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات} قال: لقاط السنبل. وقال الحسن: نسختها آية الزكاة. وقال إبراهيم: نسختها العشر ونصف العشر: وقال الضحاك: نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وهكذا قال عكرمة. وقال سفيان. سألت السدي عن قوله تعالى: {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات} قال: هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن؟ قال عن العلماء. قال الفقيه الذي قال إنه صار منسوخاً يعني: أداؤه يوم الحصاد بغير تقدير صار منسوخاً ولكن أصل الوجوب لم يصر منسوخاً. وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم التقدير وهو العشر أو نصف العشر.

ثم قال: {وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسرفين} قال ابن عباس رضي الله عنهما: عمد ثابت بن قيس إلى خمسمائة نخلة فصرمها وقسمها في يوم واحد فأمسى ولم يكن لأهله شيء فنزل {وَلاَ تُسْرِفُواْ} يعني: ولا تتصدقوا بكله، ودعوا لعيالكم شيئاً. وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: جد لمعاذ بن جبل نخله فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شيء. فنزل {وَلاَ تُسْرِفُواْ} ويقال: {وَلاَ تُسْرِفُواْ} يعني: ولا تنفقوا في المعصية. قال مجاهد: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله تعالى ما يكون إسرافاً، ولو أنفقت درهماً في طاعة الشيطان كان إسرافاً. وروي عن معاوية بن أبي سفيان أنه سئل عن قوله تعالى: {وَلاَ تُسْرِفُواْ} قال: الإسراف ما قصرت عن حق الله تعالى. ويقال: {وَلاَ تُسْرِفُواْ} يقول: لا تشركوا الآلهة في الحرث والأنعام. وقد ذكر قوله: {كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ} بلفظ التذكير لأنه انصرف إلى المعنى يعني: من ثمر ما ذكرنا.

ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسرفين} يعني: المشركين الذين يشركون الآلهة في الحرث والأنعام. ثم قال: {وَمِنَ الانعام حَمُولَةً وَفَرْشًا} يعني: أنشأ لكم وخلق لكم من الأنعام حمولة وفرشاً أي: مما يحمله عليه من الإبل والبقر وفرشاً مثل الغنم وصغار الإبل. وقال القتبي: الفرش ما لا يطيق الحمل عليه، وهي ما دون الحفاف التي لا تصلح للركوب. {كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله} أي: من الحرث والأنعام حلالاً طيباً {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان} يعني: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ظاهر العداوة غير ناصح لكم.

ثم قال: {ثمانية أزواج} يعني: ثمانية أفراد لكم: يقال لكل فرد معه آخر زوج يقول: خلقت لكم ثمانية أصناف. ويقال: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه حيث قالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا. ففي هذه الآية دليل إثبات المناظرة في العلم، لأن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يناظرهم ويبيّن فساد قولهم. وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليل أن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به، ويروى إذا ورد عليه النقض لأن الله تعالى أمرهم بالمقايسة الصحيحة، وأمرهم بطرد علّتهم، وأمرهم بأن يثبتوا وجه الحرمة إن كان سبب الحرمة الأنوثة والذكورة أو اشتمال الرحم. فإن كان سبب الحرمة الأنوثة ينبغي أن يكون كل أنثى حراماً لوجود العلة. وإن كان سبب الحرمة الذكورة ينبغي أن يكون كل ذكر حراماً لوجود العلة وإن كان محرماً لاشتمال الرحم وقد حرم الأولاد كلها ووجهت حرمتها لوجود العلة فيها فبّين انتقاض علتهم وفساد قولهم، وذلك قوله: {ثمانية أزواج} يعني: ثمانية أصناف {مّنَ الضأن اثنين} يعني: قولهم وذلك قوله: {وَمِنَ المعز اثنين} يعني: الذكر والأنثى {قُلْ ءآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الانثيين} يعني: قل لهم من أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرين حُرِّمَ أم من قبل الأُنثيين؟ {أَمَّا اشتملت عَلَيْهِ أَرْحَامُ الانثيين} يعني: أم من قبل اشتمال الرحم فإنها لا تشتمل إلا على الذكر والأنثى.

{نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ} يعني: أخبروني بسبب التحريم {إِن كُنتُمْ صادقين} أن الله حرم ما تقولون {وَمِنَ الإبل اثنين وَمِنَ البقر اثنين قُلْ *** ءآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الانثيين أَمَّا اشتملت عَلَيْهِ أَرْحَامُ الانثيين} يعني: من أين جاء هذا التحريم.

ثم قال: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء} يعني: إذا لم تقدروا على إثبات تحريم ذلك بالعقل فهل لكم كتاب يشهد على تحريم هذا؟ فذلك قوله: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء} {إِذْ وصاكم الله بهذا} يعني: أمركم الله بهذا التحريم فسكت مالك بن عوف وتحير فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا لَكَ لاَ تتكلم» فقال: بل تكلم أنت فأسمع قال الله عز وجل: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِبًا} بغير حجة وبيان {لِيُضِلَّ الناس بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: ليصرف الناس عن حكم الله تعالى بالجهل {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: لا يرشدهم إلى الحجة ويقال لا يوفقّهم إلى الهدى مجازاةً لكفرهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {وَمِنَ المعز} بنصب العين. وقرأ الباقون بالجزم. ومعناهما واحد. ثم بيّن لهم ما حرم عليهم فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [145- 147]

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)}

{قُل لا أَجِدُ فِى مَا أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا} يعني: لا أجد فيما أنزل علي من القرآن شيئاً محرماً {على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ}. يعني: على آكل {إِلا أَن يَكُونَ مَيْتَةً}. قرأ ابن عامر {إِلا أَن تَكُون مَيْتَةٌ} بالتاء على لفظ التأنيث لأن الميتة مؤنث وقرأ {مَيْتَةٌ} بالضم لأنه اسم كان. وقرأ حمزة وابن كثير {إِلا أَن تَكُونَ} بالتاء بلفظ التأنيث {مَيْتَةً} بالنصب فجعل الميتة خبراً لكان، والاسم فيه مضمر. وقرأ الباقون {إِلا أَن يَكُونَ} بلفظ التذكير {الميتة} بالنصب، وإن جعلوه مذكراً لأنه انصرف إلى المعنى ومعناه إلا أن يكون المأكول ميتة {أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا} يعني: سائلاً جارياً {أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} أي: حرام {أَوْ فِسْقًا} يعني: معصية {أُهِلَّ} يعني: ذبح {لِغَيْرِ الله بِهِ} يعني: لغير اسم الله وقال بعضهم: في الآية تقديم. ومعناه: إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير أو فسقاً أهل لغير الله به فإنه رجس أي حرام. يعني: جميع ما ذكر في الآية هو رجس. ويقال: الرجس هو نعت للحم الخنزير خاصة. وروى عمر بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا هذه الآية {قُل لا أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ} الآية يعني: ما لم يبيّن تحريمه فهو مباح

بظاهر هذه الآية. وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن أنه قال: الله لولا حديث سلمة بن المحبق ما لبسنا خفافكم، ولا نعالكم، ولا فراكم، حتى نعلم ما هي. قال أبو بكر: فذكرت ذلك للزهري، فقال: صدق الحسن ذلك عندي أوسع من هذا. حدثني عبيد الله بن عبد الله عن عبد الله بن عباس أنه قرأ {قُل لا أَجِدُ فِى مَا أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا} الآية. قال: إنما حرم من الميتة أكلها وما يؤكل منها، وهو اللحم، أما الجلد والعظم والشّعر والصوف فحلال. قال: وقد احتج بعض الناس بهذه الآية، على أن ما سوى هذه الأشياء التي ذكر في الآية مباح. ولكن نحن نقول قد حرم أشياء سوى ما ذكر في الآية. وقد بيّن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير. وقد قال تعالى: {مَّآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كَى لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الاغنيآء مِنكُمْ وَمَآ ءاتاكم الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنْهُ فانتهوا واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الحشر: 7].

ثم قال: {فَمَنِ اضطر غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وقد ذكرنا تأويل هذه الآية. ثم قال: {وَعَلَى الذين هَادُواْ حَرَّمْنَا} يعني: أن هذه الأشياء التي ذكرنا في الآية كانت حراماً في الأصل وقد حرّم الله أشياء كانت حلالاً في الأصل على اليهود بمعصيتهم. {كُلَّ ذِى ظُفُرٍ} يعني: الإبل والنعامة والبط والأوز. وكل شيء له خفّ وقال القتبي: {كُلَّ ذِى ظُفُرٍ} يعني: كل ذي مخلب من الطيور، وكل ذي حافر من الدواب، وسمي ظفراً على الاستعارة. وقال الكلبي: {كُلَّ ذِى ظُفُرٍ} يعني: ليس بمنشق ولا مجتر فهو حرام عليهم {وَمِنَ البقر والغنم حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} يعني: شحوم البطون.

ثم استثنى فقال: {إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} وقال الضحاك: إلا ما كان على اللحوم من الشحوم. وقال الكلبي: يعني: ما تعلق بالظهر من الشحم من الكليتين. ويقال: حرم عليهم الثروب وأحلّ ما سواها. وواحد الثروب ثرب وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش {أَوِ الحوايا} وهو المباعر واحدتها حاوية {أَوْ مَا اختلط بِعَظْمٍ} مثل الإلية. وروى جويبر عن الضحاك قال: ما التزق بالعظم. ويقال: هو المخ {ذلك جزيناهم بِبَغْيِهِمْ} يعني: ذلك التحريم عاقبناهم بشركهم وظلمهم {وِإِنَّا لصادقون} أن هذه الأشياء كانت حلالاً في الأصل، وحرمناها على اليهود بمعصيتهم، لأن اليهود كانوا يقولون: إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل.

ثم قال: {فَإِن كَذَّبُوكَ} يعني: فيما تقول من التحريم والتحليل {فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسعة} يعني: رحمته وسعت كل شيء لا يعجل عليهم بالعقوبة {وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ} يعني: عذابه {عَنِ القوم المجرمين}.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [148- 150]

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)}

{سَيَقُولُ الذين أَشْرَكُواْ} مع الله {لَوْ شَاء الله مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ ءابَاؤُنَا} يعني: ولا أشرك آباؤنا، ولكن شاء لنا ذلك وأمرنا به {وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَئ} أي: من هذه الأشياء. ويقال: مذهبهم مذهب الجبرية. قال الله تعالى: {كذلك كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: الأمم الخالية كذبوا رسلهم كما كذبك قومك. وإنما كذبهم الله لأنهم قالوا ذلك على وجه السخرية لا على وجه التحقيق كما قال المنافقون: نشهد أنك لرسول الله فكذبهم الله في مقالتهم، لأنهم قالوا على وجه السخرية.

ثم قال: {حتى ذَاقُواْ بَأْسَنَا} يعني: الأمم الخالية أتاهم عذابنا فهذا تهديد لهم ليعتبروا. ثم قال: {قُلْ} يا محمد لهم قل: {هَلْ عِندَكُم مّنْ عِلْمٍ} يعني: بيان من الله {فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} فبينوه لنا بتحريم هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها، ثم بيّن الله أنهم قالوا ذلك بغير حجة وبيان فقال: {إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني: ما تقولون إلا بالظن من غير يقين وعلم {وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ} يعني: قل لهم ما أنتم إلا تكذبون على الله.

قوله تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الحجة البالغة} يعني: الحجة الوثيقة وهو محمد عليه السلام والقرآن. فبيّن لهم ما أحلّ لهم وما حرم عليهم {فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} يعني: لو شاء لوفَّقكم لدينه، وأكرمكم بالهدى لو كنتم أهلاً للإسلام، ولكن لم يوفقهم لأنهم لم يجاهدوا في الله حق جهاده {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الذين يَشْهَدُونَ أَنَّ الله حَرَّمَ هذا} عليكم {فَإِن شَهِدُواْ} على تحريمه {فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ} فأخبر الله أنهم لو شهدوا، كانت شهادتهم باطلة، ولا يجوز قبول شهادتهم، لأنهم يقولون بأهوائهم.

ثم قال: {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الذين كَذَّبُواْ بآياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {والذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: البعث {وَهُم بِرَبِهِمْ يَعْدِلُونَ} يعني يشركون بالله.

ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [151- 153]

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)}

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} يعني: قل لمالك بن عوف وأصحابه الذين يحرمون الأشياء على أنفسهم، وقالوا ما قالوا أبيّن لكم ما حرم الله عليكم وما أمركم به {أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} يقال: معناه أتل ما حرم ربكم عليكم، فقد تمّ الكلام.

ثم قال: {عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} {وبالوالدين إحسانا} يقول: نهاكم عن عقوق الوالدين، وأمركم ببرهم، ويقال: معناه حرم عليكم ألا تشركوا به شيئاً. ويقال: معناه حرم عليكم الشرك. {وبالوالدين إحسانا} يعني: أمركم بالإحسان إلى الوالدين {وَلاَ تَقْتُلُواْ أولادكم مّنْ إملاق} يعني: من خشية الفقر {نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} زنى السر والعلانية {وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق} يعني: إلا بالقصاص أو بالرجم أو بترك الإسلام، فإنّ القتل بهذه الأشياء من الحقوق {ذلكم وصاكم بِهِ} يقول: أمركم به في القرآن {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أمر الله بما حرمه في هذه الآيات. وروي عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس قال: هذه الآيات المحكمات: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى ثلاث آيات وقال الربيع بن خثيم لرجل: هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم؟ ثم قرأ هذه الآيات {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ} ويقال: هذه الآيات هن أم الكتاب، وهن إمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ولا يجوز أن يرد عليها النسخ.

ثم قال: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم} يقول: لا تأكلوا مال اليتيم ولا تباشروه {إِلاَّ بالتى هِيَ أَحْسَنُ} يعني: إلا بالقيام عليه لإصلاح ماله {حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} يعني: احفظوا ماله حتى يبلغ رشده. قال مقاتل: يعني ثماني عشرة سنة. وقال الكلبي: الأَشُدُّ ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة. ويقال: حتى يبلغ مبلغ الرجل. ويقال: بلوغ الأشد ما بين ثماني عشرة إلى أربعين سنة. ثم قال: {وَأَوْفُواْ الكيل والميزان} يعني: أتموا الكيل والميزان عند البيع والشراء {بالقسط} يعني: بالعدل {لاَ نُكَلّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} يعني: إلا جهدها في العدل يعني: إذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن، فلو وقعت فيه زيادة قليلة أو نقصان، فإنه لا

يؤاخذ به إذا اجتهد جهده {وَإِذَا قُلْتُمْ فاعدلوا} يعني: اصدقوا وقولوا الحق {وَلَوْ كَانَ ذَا قربى} يعني وإن كان الحق على ذي قرابة، فقولوا الحق، ولا تمنعوا الحق {وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ} يقول: أتموا العهود التي بينكم وبين الله. والعهد الذي بينكم وبين الناس. {ذلكم وصاكم بِهِ} يقول: أمركم به في الكتاب {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} يعني: تتعظون فتمتنعون عما حرم الله عليكم.

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {تَذَكَّرُونَ} بتخفيف الذال. وقرأ الباقون بالتشديد. لأن أصله تتذكرون. فأدغم إحدى التاءين في الذال.

قوله تعالى: {وَأَنَّ هذا صراطي مُسْتَقِيمًا} قرأ حمزة والكسائي وإن هذا بكسر الألف على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالنصب على معنى البناء. وقرأ ابن عامر {وَأَنَّ هذا} بجزم النون. لأن أن إذا خففت منعت عملها. ومعنى الآية: إن هذا الإسلام ديني الذي ارتضيته طريقاً مستقيماً {فاتبعوه وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل} يعني: لا تتبعوا اليهودية والنصرانية. ويقال: هذا صراطي مستقيماً. يعني: طريق السنة والجماعة فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يعني: الأهواء المختلفة. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي عليه السلام خطَّ بالأرض خطاً مستقيماً، ثم خطّ بجنبيه خطوطاً، ثم قال: هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل يعني: الطريق الذي بجنبي الخط، يعني به: الأهواء المختلفة.

ثم قال: {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} يعني: فيضلكم عن دينه {ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} يعني يجتنبون الأهواء المختلفة.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [154- 157]

{ثُمَّ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آَيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157)}

{ثُمَّ ءاتَيْنَا مُوسَى الكتاب} يعني: التوراة، ويقال: الألواح التي كتبت عليها حين انطلق إلى الجبل. ويقال: معناه ثم أتل عليكم كما قال الله تعالى: {ثُمَّ ءاتَيْنَا مُوسَى الكتاب}. ويقال: ثم بمعنى الواو يعني وآتينا موسى الكتاب {تَمَامًا عَلَى الذى أَحْسَنَ} قال القتبي: أي تماماً على المحسنين. كما يقول ثلث مالي لمن غزا أي للغزاة. والمحسنون هم الأنبياء

والمؤمنون. وعلى بمعنى اللام كما نقول في الكلام أتم الله عليه النعمة بمعنى: أتم له. قال: ومعنى الآية والله أعلم وآتينا موسى الكتاب تماماً على أحسن من العلم والحكمة، أي مع ما كان له من العلم، وكتب المتقدمين أعطيناه زيادة على ذلك. ويكون الذي بمعنى: ما. قال: ومعنى آخر آتينا موسى الكتاب تتميماً منا للمحسنين يعني: الأنبياء والمؤمنين. {وَتَفْصِيلاً} منا {لِّكُلّ شَىْء} يعني: بياناً لكل شيء. قال: ويجوز معنى آخر وآتينا موسى الكتاب إتماماً منا للإحسان على من أحسن، تفصيلاً لكل شيء يعني، بياناً لكل شيء {وهدى} من الضلالة }وَرَحْمَةً} يعني: ونعمة ورحمة من العذاب {لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ} يعني: لكي يصدقوا بالبعث.

ثم قال {وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكٌ} يعني: القرآن فيه بركة لمن آمن به، وفيه مغفرة للذنوب. {فاتبعوه} يعني: اقتدوا به. ويقال: اعملوا بما فيه من الأمر والنهي. {واتقوا} يعني: واجتنبوا ولا تتخذوا إماماً غير القرآن {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعني: لكي تُرْحَموا ولا تُعَذَّبوا.

قوله تعالى: {أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الكتاب على طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا} يعني: أنزلنا هذا القرآن لكي لا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني: اليهود والنصارى. ويقال: أن تقولوا يعني لكراهة أن تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وذلك أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود كيف كذبوا أنبياءهم، والله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا أهدى منهم. فأنزل الله القرآن حجة عليهم.

ثم قال {وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لغافلين} يعني: عن قراءتهم الكتاب لغافلين عما فيه. {أَوْ تَقُولُواْ} يعني: لكي لا تقولوا {لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الكتاب لَكُنَّا أهدى مِنْهُمْ} يعني: أصوب ديناً منهم {فَقَدْ جَاءكُمْ بَيّنَةٌ مّن رَّبّكُمْ} يعني: حجة من ربكم وهو محمد عليه السلام والقرآن. وإنما قال: {جَاءكُمْ} ولم يقل: جاءتكم لأنه انصرف إلى المعنى يعني: البيان، ولأن الفعل مقدم. {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} بمعنى: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب. ويقال: قد جاءكم ما فيه من البيان وقطع الشبهات عنكم.

ثم قال: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بآيات الله} يعني: لا أحد أظلم وأشد في كفره ممن كذب بآيات الله تعالى {وَصَدَفَ عَنْهَا} يعني: أعرض عن الإيمان بها. {سَنَجْزِى الذين يَصْدِفُونَ} يعني: يعرضون {عَنْ آياتنا سُوء العذاب بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ} أي: شدة العذاب بما كانوا يعرضون عن الآيات.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآية رقم [158]

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)}

{هَلْ يَنظُرُونَ} معناه، أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فماذا ينتظرون؟ فهل ينتظرون {إِلا أَن تَأْتِيهُمُ الملائكة} لقبض أرواحهم {أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ} يعني: يأتي أمر ربك بما وعد لهم كقوله: {هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم لأَوَّلِ الحشر مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وظنوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله فأتاهم الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار} [الحشر:] ويقال: أن تأتي عقوبة ربك وعذابه. وقد ذكر المضاف إليه ويراد به المضاف. كقوله تعالى: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82] يعني: أهل القرية. وكقوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور خُذُواْ مَآ ءاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واسمعوا قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ العجل بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانكم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 93] يعني: حب العجل. كذلك هاهنا يأتي أمر ربك يعني: عقوبة ربك وعذاب ربك. ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله {هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَن تَأْتِيهُمُ} يعني: طلوع الشمس من مغربها {يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءايات رَبّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا} حين طلعت الشمس من مغربها {لَمْ تَكُنْ ءامَنَتْ مِن قَبْلُ} يعني: أن الكافر إذا آمن في ذلك الوقت لا يقبل إيمانه، لأنها قد ارتفعت المحنة حين عاينوها. وإنما الإيمان بالغيب.

ثم قال: {أَوْ كَسَبَتْ فِى إيمانها خَيْرًا} يعني: المسلم الذي يعمل في إيمانه خيراً كأن لم يقبل عمله قبل ذلك، فإنه لا يقبل منه بعد ذلك. ومن كان قبل من قبل ذلك فإنه يقبل منه بعد ذلك أيضاً أو كانت النفس مؤمنة ولم تكن كسبت خيراً قبل ذلك الوقت لا ينفعها الخير بعد. قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد بإسناده عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر إذ جاء أعرابي فسأله عن أشياء حتى ذكر التوبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لِلتَّوْبَةِ بَابٌ فِي المَغْرِبِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَاماً أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً فلا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ «

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا السراج. قال: حدثنا زياد بن أيوب عن يزيد بن هارون عن سفيان بن الحسين عن الحكم عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حمار وعليه بردعة أو قطيفة فنظر إلى الشمس حين غابت فقال: «يا أَبَا ذَرَ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هذه «

؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ فَتَنْطَلِقُ حَتَّى تَخُرَّ لِرَبِّها سَاجِدَةً تَحْتَ العَرْشِ، فإذَا دَنَا خُرُوجُهَا أُذِنَ لَهَا فَخَرَجَتْ. فَإِنْ أَرَادَ الله أَنْ يُطْلِعَها مِنْ مَغْرِبِهَا حَبَسَها. فَتَقُولُ: يا رَبِّ إنّ مَسِيري بَعِيدٌ. فَيَقُولُ الله تعالى اطْلَعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءايات رَبّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا}» وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: لا يقبل الله من كافر عملاً ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيراً يومئذ. فإنّه لو أسلم بعد ذلك قُبِلَ ذلك منه، ومتى كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قبلت منه. وروي عن عمران بن حصين أنه قال: إنما لم يقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك كثير من الناس. فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم يقبل منه ومن تاب بعد ذلك قبلت منه.

ثم قال: {قُلِ انتظروا إِنَّا} يعني: انتظروا العذاب فإنا منتظرون بكم حتى ننظر أينا أسعد حالاً. قرأ حمزة والكسائي {إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الملائكة} بالياء بلفظ التذكير، والباقون {إِلا أَن تَأْتِيهُمُ} بلفظ التأنيث لأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [159]

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)}

{إِنَّ الذين فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} قرأ حمزة والكسائي فارقوا دينهم بالألف يعني: تركوا دينهم الإسلام ودخلوا في اليهودية والنصرانية. وقرأ الباقون {فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} يعني: آمنوا ببعض الرسل ولم يؤمنوا ببعض {وَكَانُواْ شِيَعاً} يعني: صاروا فرقاً مختلفة. وروي عن أسباط عن السدي أنه قال: هؤلاء اليهود والنصارى تركوا دينهم وصاروا فرقاً {لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَئ} أي: لم تؤمر بقتالهم ثم نسخ وأمر بقتالهم في سورة براءة.

وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «{إِنَّ الذين فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا} إِنَّهُمْ الخَوَارِجُ» وفي هذه الآية حثّ للمؤمنين على أن كلمة المؤمنين ينبغي أن تكون واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع ما استطاعوا.

ثم قال: {لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَئ} يقول: إنما عليك الرسالة وليس عليك القتال. ثم قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله} يعني: الحكم إلى الله {ثُمَّ يُنَبّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} أي في الدنيا ويقال ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم إنما أمرهم إلى الله تعالى، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.

قوله تعالى:

تفسير الآية رقم [160]

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160)}

{مَن جَاء بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} يعني: من جاء بالإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله فله بكل عمل عمله في الدنيا من الخير عشرة أمثاله من الثواب. {وَمَن جَاء بالسيئة} يعني: بالشرك {فَلاَ يجزى إِلاَّ مِثْلَهَا} وهو الخلود في النار، لأن الشرك أعظم الذنوب والنار أعظم العقوبة. فذلك قوله: {جَزَآءً وفاقا} [النبأ: 26] يعني: جزاءً وافق العمل. ويقرأ فله عشر بالتنوين أمثالُها بضم اللام فتكون الأمثال صفة للعشر، وهي قراءة شاذة قرأها الحسن البصري ويعقوب الحضرمي والقراءة المعروفة عشر أمثالها على معنى الإضافة، وتكلموا في المثل. قال بعضهم إذا عمل عملاً يعطى في الآخرة ثواب عشرة. ويقال: وإنه يكتب للواحدة عشرة. وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ صَاحِبَ اليَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمال. وَإِذَا عَمِلَ العَبْدُ حَسَنَةً كُتِبَ لَهُ عَشَرَةَ أَمْثَالِهَا. وإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا قَالَ لَهُ صَاحِبُ اليَمِينِ: أَمْسِكْهَا فَيُمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ أَوْ سَبْعَ سَاعَاتٍ. فإنِ اسْتَغْفَرَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» ويقال: إن الله تعالى قد وعدّ للواحدة عشراً فهو أعرف بكيفيته. فإن قيل: ذكر هاهنا للواحدة عشر وذكر في آية أُخرى سبعمائة وفي آية أُخرى أضعافاً مضاعفة، قيل له: قد تكلم أهل العلم في ذلك. قال بعضهم: يكون للعوام عشرة والخواص سبعمائة وأكثر إلى ما لا يحصى. وقال بعضهم: العشرة اشترط لسائر الحسنات، والسبعمائة للتفقة في سبيل الله فالخاص والعام فيه سواء.

وقد جاء في الأثر ما يؤكد القولين فقد روى عطية عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في الأعراب {مَن جَاء بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} قال رجل ما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هو أفضل من ذلك {إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يضاعفها وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 40] وإذا قال الله لشيء عظيماً فهو عظيم.

وروى همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إسْلاَمَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا يُكْتَبُ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها إلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ. وَكُلَّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها يُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِها حَتَّى يَلْقَى الله بِلا ذَنْبٍ «

وروى ابن فاتك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأَعْمَالُ سِتَّةٌ فَمُوجِبَتَانِ، وَمِثْلٌ بِمِثْلٍ، وَحَسَنَةٌ بِحَسَنَةٍ، وَحَسَنَةٌ بِعَشْرٍ، وَحَسَنَةٌ بِسَبْعِمائَةٍ. فَأَمَّا المُوجِبَتَانِ فَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يُشْرِكْ باللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةِ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ دَخَلَ النَّارَ. وَأَمَّا مِثْلٌ بِمِثْلٍ فَمَنْ

عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ حَتَّى تَشْتَهِيَ بِهَا نَفْسُهُ وَيَعْلَمَهَا الله مِنْ قَلْبِهِ كُتِبَ لَهُ حَسَنَة. وَأَمَّا حَسَنَةٌ بِعَشْرٍ فَمَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها. وَأَمَّا حَسَنَةٌ بِسَبْعِمائَةٍ فَالنَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ الله» ثم قال: «{وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}» يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً ولا يزادون على سيئاتهم شيئاً.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [161- 163]

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)}

{قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبّى} وذلك أن أهل مكة قالوا له: من أين لك هذه الفضيلة وأنت بشر مثلنا؟ فإن فعلت لطلب المال فاترك هذا القول حتى نعطيك من المال ما شئت. فنزلت {قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبّى} {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: وفقني الله وهداني إلى دين الإسلام وهو دين لا عوج فيه {دِينًا قِيَمًا}. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {دِينًا قِيَمًا} بنصب القاف وكسر الياء مشدودة. وقرأ الباقون {قِيِّماً} بكسر القاف ونصب الياء على معنى المصدر. ومن قرأ بالنصب على معنى النعت {دِينًا قِيَمًا} يعني: ديناً عدلاً مستقيماً {مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً} يعني: مستقيماً مخلصاً {وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} على دينهم {قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى} وأصل النسك ما يتقرب به يعني: قل إن صلاتي المفروضة وقرباني وديني {وَمَحْيَاىَ} في الدنيا {وَمَمَاتِى} بعد الحياة. ويقال: {وَنُسُكِى} يعني: أضحيتي وحجتي {للَّهِ رَبّ العالمين}. {لاَ شَرِيكَ لَهُ وبذلك أُمِرْتُ} في الكتاب {وَأَنَاْ أَوَّلُ المسلمين} من أهل مكة. ويقال: أول المسلمين يوم الميثاق. ويقال: {صَلاَتِى} يعني: صلاة العيد ونسكي يعني: الأضحية.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنه: «قُومِي إِلَى أُضْحِيَتِكِ وَاذْبَحِي وَقُولِي: إنَّ صَلاَتِي وَنُسْكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ «ويقال: إن أول المخلصين بالثبات على الإسلام.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [164- 165]

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

خَلاَئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)}

{قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِى رَبّاً} يعني: يقول أعبد وأطلب رباً غيره {وَهُوَ رَبُّ كُلّ شَئ} من خلقه في السموات والأرض، لأنهم كانوا يقولون له: نحن كفلاء لك بما يصيبك ومن تابعك. فنزلت {وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا} يعني: إلا لها أو عليها إن كان خيراً فلها وإن كان شراً فعليها {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} يعني: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى {ثُمَّ إلى رَبّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ} أي مصيركم في الآخرة {فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين، ويبيّن لكم الحق من الباطل بالمعاينة.

ثم قال: {وَهُوَ الذى جَعَلَكُمْ خلائف الارض} يعني: سكان الأرض من بعد إهلاك الأمم الخالية، لأن النبي عليه السلام خاتم النبيين، وأمته قد خلفوا جميع الأمم. ويقال: خلائف يعني: يخلف بعضكم بعضاً {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات} أي فضل بعضكم على بعض في المال والرزق {لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءاتاكم} يعني: ليبتلي الموسر بالغِنَى ويطلب منه الشكر، ويبتلي المُعْسِر بالفاقة ويطلب منه الصبر. ويقال: {لِيَبْلُوَكُمْ} يعني: بعضكم ببعض كما قال الله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المرسلين إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطعام وَيَمْشُونَ فِى الاسواق وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} [الفرقان: 20].

ثم خوّفه فقال: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العقاب} كأنه جاء لأن ما هو آتٍ فهو قريب، كما قال: {وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ واحدة كَلَمْحٍ بالبصر} [القمر: 50] {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: لمن أطاعه في فاقة أو غِنى. ويقال: {سَرِيعُ العقاب} لمن لم يشكر نعمته وكان مصراً على ذلك.

{أَنَّهُ * لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} لمن رجع وتاب {رَّحِيمٌ} بعد التوبة. ويقال: {سَرِيعُ العقاب} لمن لم يحفظ نفسه فيما أعطاه من فضل الله وترك حق الله في ذلك {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ} لمن تاب {رَّحِيمٌ} بعد التوبة. قال الفقيه قال: حدثنا أبو الحسن بن حمدان بإسناده عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَشَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلَف مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ» قال. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأنْعَامِ صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ أُولئكَ السَّبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بِعَدَدِ كُلِّ آيَةٍ في سُورَةِ الأنْعَامِ يَوْماً وَلَيْلَةً».

سورة الأعراف

تفسير الآيات رقم [1- 7]

{المص (1) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7)}

قوله تعالى:

{المص} قال ابن عباس يعني: أنا الله أعلم وأفصل معناه: أعلم بأمور الخلق وأفصل الأحكام والأمور والمقادير، وليس لي شريك في تدبير الخلق: ويقال: معناه أنا الله المصور. ويقال: أنا الله الناصر. ويقال: أنا الله الصادق.

وروى معمر بن قتادة قال: إنه اسم من أسماء القرآن ويقال هو قسم {كتاب أُنزِلَ إِلَيْكَ} يعني: أن هذا الكتاب أُنزل إليك يا محمد {فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مّنْهُ} أي: فلا يقعن في قلبك شك منه من القرآن أنه من الله عز وجل. فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره. كقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94]. ويقال: {فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مّنْهُ} أي فلا يضيقنّ صدرك بتكذيبهم إياك. كقوله عز وجل: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىء مُّبِينٍ} [الشعراء: 30] والحرج في اللغة هو الضيق.

ثم قال: {لِتُنذِرَ بِهِ} على معنى التقديم يعني: كتاب أنزلناه إليك لتنذر به أي لتخوف بالقرآن أهل مكة {وذكرى لِلْمُؤْمِنِينَ} أي. وعظة للمؤمنين الذين يتبعونك.

ثم قال: {اتبعوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مّن رَّبّكُمْ} أي صدقوا، واعملُوا بما أنزل على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ويقرؤوه عليكم {وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} أي: ولا تتّخذوا من دون الله أرباباً، ولا تعبدوا غيره.

ثم أخبر عنهم فقال: {قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} ما: صلة في الكلام ومعناه: قليلاً تتعظون. يعني: إنهم لا يتعظون به شيئاً. قرأ ابن عامر {يَتَذَكَّرُونَ} على لفظ المغايبة بالياء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر {تَذَكَّرُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة بتشديد الذال والكاف لأن أصله تتذكرون فأدغم إحدى التاءين في الذال. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بتخفيف الذال تَذَكَّرون، فأسقط التشديد للتخفيف.

ثم خوفهم فقال: {وَكَم مّن قَرْيَةٍ أهلكناها} معناه: وكم من أهل قرية وعظناهم فلم يتعظوا فأهلكناهم {فَجَاءهَا بَأْسُنَا} أي جاءها عذابنا بعد التكذيب {بَيَاتًا} أي ليلاً. سمي الليل بياتاً لأنه يبات فيه {أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} عند القيلولة. فإن لم تتّعظوا أنتم يأتيكم العذاب ليلاً أو نهاراً كما أتاهم.

ثم أخبر عن حال من أتاهم العذاب فقال: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُم بَأْسُنَا إِلا أَن قَالُواْ} أي لم يكن قولهم حين جاءهم العذاب ولم تكن لهم حيلة إلا أنهم تضرعوا قالوا: {إِنَّا كُنَّا ظالمين} أي ظلمنا أنفسنا بترك طاعة ربنا من التوحيد يعني: إن قولهم بعدما جاءهم العذاب يعني: الهلاك لم ينفعهم فاعتبروا بهم. فإنكم إذا جاءكم العذاب لا ينفعكم التضرع.

ثم أخبر عن حال يوم القيامة فقال: {فَلَنَسْئَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ} يعني: الأمم لنسألنهم هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم وماذا أجبتم الرسل؟ {فَلَنَسْئَلَنَّ الذين} عن تبليغ الرسالة. وهذا كقوله عز وجل: {لِّيَسْأَلَ الصادقين عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ للكافرين عَذَاباً أَلِيماً} [الأحزاب: 8] ثم قال تعالى: {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ} أي: فلنخبرنّهم بما عملوا في الدنيا ببيان وعلم منا {وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} عمّا بلغت الرسل وعما ردَّ عليهم قومهم. ومعناه: وما كنا نسألهم لنعلم ذلك ولكن نسألهم حجةً عليهم.

قوله:

▲ تفسير الآيات رقم [8- 10]

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)}

{والوزن يَوْمَئِذٍ الحق} أَيّ وزن الأعمال يومئذ بالعدل {فَمَن ثَقُلَتْ موازينه} أي: رجحت حسناته على سيئاته {فَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحون} أي الناجون. وتكلموا في وزن الأعمال. قال بعضهم: توزن الصحائف التي كتبها الحفظة في الدنيا. وقال بعضهم: يجعل للأعمال

صورة وتوضع في الميزان. وقال بعضهم: هذا على وجه المثل وهو كناية عن التعديل، وهو قول المعتزلة. وقال بعضهم: قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته.

وروى بلال الحبشي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ جِبْرِيلَ صَاحِبُ المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ زِنْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلا دِرْهَمَ يَوْمَئِذٍ، وَلا فِضَّةَ، وَلا دِينَارَ، فَيَرُدُّ الظَّالِمُ عَلَى المَظْلُومِ مَا وَجَدَ لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ. فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ لَهُ حَسَنَةٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ المَظْلُومِ فَتُرَدُّ عَلَى الظَّالِمِ فَيَرْجِعُ الظَّالِمُ وَعَلَيْهِ سَيِّئَاتٌ مِثْلُ الجَبَلِ »

وروي عن ابن عباس أنه قال: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان. فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، وتثقل حسناته على سيئاته. وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة، وتثقل سيئاته على حسناته. وقال بعضهم: لا يوزن عمل الكافر، وإنما توزن الأعمال التي بإزائها الحسنات.

ثم قال تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ موازينه} أي رجحت سيئاته على حسناته {فأولئك الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُم} أي غبنوا حظ أنفسهم {بِمَا كَانُواْ بآياتنا يَظْلِمُونَ} بما كانوا بآياتنا يجحدون، بأنه ليس من الله تعالى. وقد ذكر الموازين بلفظ الجمع. قال بعضهم: لأن المراد بها جميع الموزون. وقال بعضهم: أراد به الميزان لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين والخيوط. وقد ذكر باسم الجماعة.

قال تعالى: {وَلَقَدْ مكناكم فِى الارض} أي مكناكم في الأرض وعمرناكم، فذكر لهم التهديد، ثم ذكر لهم النعم ليستحيوا من ربهم ولا يعصوه {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش} يعني: الرزق وهو ما يخرج من الأرض من الكروم والثمار والحبوب.

وروى خارجة عن نافع أنه قرأ معائش بالهمز لأنه على ميزان فعائل مثل الكبائر والصغائر. وقرأ الباقون بغير همز، لأنّ الياء أصلية وكان على ميزان مفاعل. ثم قال: {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} يعني: إنكم لا تشكرون هذه النعمة.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [11- 18]

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ

فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18)}

{وَلَقَدْ خلقناكم ثُمَّ صورناكم} أي: خلقنا آدم وأنتم من ذريته، ثم صورناكم يعني: ذريته. ويقال: {خلقناكم} يعني: آدم خلقه من تراب {ثُمَّ صورناكم} يعني: آدم صوره بعد ما خلقه من طين. ويقال: {خلقناكم} نطفاً في أصلاب الآباء {ثُمَّ صورناكم} في أرحام الأمهات.

{ثُمَّ قُلْنَا للملائكة} على وجه التقديم أي: وقلنا للملائكة: {اسجدوا لِادَمَ} ثُمَّ بمعنى الواو. ويقال: معناه خلقناكم وصورناكم وقلنا للملائكة: اسجدوا لآدم وهي سجدة التحية لا سجدة الطاعة فالعبادة لله تعالى، والتحية لآدم عليه السلام {فَسَجَدُواْ إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مّنَ الساجدين} أي لم يسجد مع الملائكة لآدم عليه السلام {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} يعني: أن تسجد ولا زيادة. ومعناه: ما منعك عن السجود إذ أمرتك بالسجود لآدم {قَالَ} إبليس عليه اللعنة: إنما لم أسجد لأنّي {أَنَاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} أي هذا الذي منعني عن السجود. فاشتغل اللعين بالقياس والقياس في موضع النص باطل، لأنه لما أقرّ بأنه هو الذي خلقه. فقد أقرّ بأن عليه واجب وعليه أن يأتمر بأمره. ومع ذلك لو كان القياس جائزاً في موضع النص، فإن قياسه فاسداً، لأنّ الطين أفضل من النار، لأنّ عامة الثمار والفواكه والحبوب تخرج من الطين، ولأن العمارة من الطين والنار للخراب.

ثم قال له عز وجل: {فاهبط مِنْهَا} قال مقاتل: أي اهبط من الجنة {فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا} أي في الجنة. وقال الكلبي: فاهبط منها أي اخرج من الأرض والحق بجزائر البحور، ولا تدخل الأرض إلا كهيئة السارق وعليه ذل الخوف وهو يروغ فيها، فما يكون لك أن تتكبر فيها، لا ينبغي لك أن تتكبر في هذه الأرض على بني آدم {فاخرج إِنَّكَ مِنَ الصاغرين} يعني: من المهانين المذلين {قَالَ أَنظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} يعني: أجلني إلى يوم البعث، اليوم الذي يخرج الناس من قبورهم. قال ابن عباس: أراد الخبيث ألا يذوق الموت، فأبى الله تعالى أن يعطيه ذلك. ف {قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظرين} إلى النفخة الأولى، فحينئذٍ يذوق الموت وتصيبيه المرارة بعدد الأولين والآخرين. قوله تعالى: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى} قال الكلبي: أي فكما أضللتني. وقال مقاتل: يعني أما إذا أضللتني. وقال بعضهم: فبما أغويتني يعني: فبما دعوتني إلى شيء غويت به. {لاقْعُدَنَّ لَهُمْ صراطك المستقيم} يعني: لأقعدن لهم على طريقك المستقيم، وهو دين الإسلام فأصدّ الناس عن ذلك. {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} روى أسباط عن السدي قال: من بين أيديهم الدنيا أدعوهم إليها {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} الآخرة أشككهم فيها {وَعَنْ أيمانهم} قال الحق: أشككهم فيه {وَعَن شَمَائِلِهِمْ} قال: الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه.

وقال في رواية الكلبي: ثم لآتينّهم من بين أيديهم من أمر الآخرة، فأزيّن لهم التكذيب بالبعث بأنه لا جنة ولا نار، ومن خلفهم من أمر الدنيا فأزينها في أعينهم وأرغبهم فيها، فلا يعطون حقاً عن أيمانهم أي: من قبل دينهم فإن كانوا على الضلالة زيّنتها لهم، وإن كانوا على الهدى شبّهته عليهم حتى يشكوا فيه {وَعَن شَمَائِلِهِمْ} من قبل اللذات والشهوات. ويقال: معناه لآتينهم بالإضلال من جميع جهاتهم ويقال: {عَنْ * أيمانهم} فيما أمروا به {وَعَن شَمَائِلِهِمْ} فيما نهوا عنه. ويقال: {وَعَنْ أيمانهم وَعَن شَمَائِلِهِمْ} أي: فيما يعملون لأنه يقال عملت بذلك {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكرين} يعني ذرية آدم لا يكونون شاكرين لنعمتك، ويقال شاكرين مؤمنين وقال في آية أُخرى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن محاريب وتماثيل وَجِفَانٍ كالجواب وَقُدُورٍ راسيات اعملوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشكور} [سبأ: 13] {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتبعوه إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ المؤمنين} [سبأ: 20] قوله: {قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا} قال الكلبي ومقاتل: يعني اخرج من الجنة مذؤوماً أي معيباً مدحوراً أي: مطروداً. وقال الزجاج: مذؤوماً أي مذموماً. يقال: دأمت الرجل وذممته إذا عبته مدحوراً أي: مبعداً من رحمة الله تعالى. {لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ} أي: مَنْ أطاعك فيما دعوته إليه. واللام زيادة للتأكيد {لاَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} أي: ممن أطاعك منهم من الجن والإنس، ويكون هذا اللفظ بمعنى القسم والتأكيد وأنه يفعل ذلك لا محالة.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [19- 25]

{وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)}

{وَيَئَادَمُ اسكن أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنة} يعني: وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة {فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} أي: من حيث أحببتما موسعاً عليكما {وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة} يعني: لا تأكلا من هذه الشجرة {فَتَكُونَا مِنَ الظالمين} فتصيرا من الضارين بأنفسكما.

قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشيطان} أي: زيّن لهما الشيطان {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءتِهِمَا} يعني: أراد إبليس لعنه الله بالوسوسة ليظهر ما سترا من عوراتهما،

والسوأة كناية عن العورة. وذلك أن إبليس لما رأى محسوده في الجنة ورأى نفسه طريداً لم يصبر، واحتال لإخراجهما فأتاهما {وَقَالَ مَا نهاكما رَبُّكُمَا عَنْ هذه الشجرة إلا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ} يعني: أنكما لو أكلتما تصيران كالملكين تموتان أبداً أو تكونا كالملائكة وتعلمان الخير والشر. {أَوْ تَكُونَا مِنَ الخالدين} يعني: إن لم تكونا مَلَكَيْنِ فتكونا من الخالدين لا تموتان. وقرأ بعضهم مَلِكَيْنِ بالكسر كما قال: في آية أخرى {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشيطان قَالَ ياأادم هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخلد وَمُلْكٍ لاَّ يبلى} [طه: 120] وهي قراءة يحيى بن كثير وهي قراءة شاذة.

قوله: {وَقَاسَمَهُمَا} أي حلف لهما {إِنّي لَكُمَا لَمِنَ الناصحين} بأنها شجرة الخلد من أكل منها لم يمت. وكان آدم لم يعلم أن أحداً يحلف بالله كاذباً {فدلاهما بِغُرُورٍ} أي: غرّهما بباطل ويقال: زَيَّنَ لهما. وأصله في اللغة من التقريب يعني: قربهما إلى الشجرة {فَلَمَّا ذَاقَا الشجرة} يقول: فلما أكلا من الشجرة ووصل إلى بطونهما تهافت لباسهما عنهما {بَدَتْ لَهُمَا سَوْءتُهُمَا} أي ظهرت عوراتهما، وإنما سميت العورة سوأة لأن كشف العورة قبيح.

قال الفقيه: حدّثنا أبو جعفر. قال: حدّثنا أبو القاسم أحمد بن حم قد ذكر بإسناده عن أبَيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ آدَمَ كَانَ رَجُلاً طَوِيلاً كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ في الخَطِيئَةِ بَدَتْ لَهُ سَوْأَتهُ، وَكَانَ لاَ يَرَاها قَبْلَ ذلك، فَانْطَلَقَ هَارِباً فِي الجَنَّةِ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا آدَمُ أَتَفِرُّ مِنِّي؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَسْتَحِي» وفيه دليل أن ستر العورة كان واجباً من وقت آدم لأنه لما كشف عنهما سترا عوراتهما بالأوراق فذلك قوله: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجنة} أي أقبلا وعمدا يلصقان عليهما من ورق الجنة يعني: من ورق التين يطبقان على أبدانهما ورقة ورقة منه. يقال: خصف نعله وهو إطباق طاق على طاق وأصل الخصف الضم والجمع. والخصف إنما هو إلصاق الشيء بالشيء ولهذا قيل: خصاف. وقرأ بعضهم وطفَقَا بالنصب وهما لغتان طَفِقَ يَطْفَقُ وطَفَق يَطْفِقُ {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا} أي قال: لهما ربهما: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشجرة} أي عن أكل تلك الشجرة {وَأَقُل لَّكُمَا} يعني: ألم أقل لكما {إِنَّ الشيطان لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ظاهر العداوة.

قوله عز وجل: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} بأكلنا الشجرة فاغفر لنا وتجاوز عن معصيتنا {وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا} يعني: إن لم تتجاوز عن ذنوبنا {لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} بالعقوبة فهذه لام القسم كأنهما قالا: والله لنكونن من الخاسرين إن لم تغفر لنا وترحمنا. وقد ذكر الله تعالى قبول توبتهما في سورة البقرة. وهو قوله تعالى: {فتلقى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم} [البقرة: 37] أي قبل توبته. وفي الآية دليل أنّ الله تعالى يعذب عباده إذا أصروا على الذنوب ويتجاوز عنهم إذا تابوا، لأن إبليس لم يتب، وسأل النظرة، فجعل مأواه جهنم. وتاب آدم ورجع عن ذنبه فقبل توبته.

قوله: {قَالَ اهبطوا} يعني: آدم وحواء عليهما السلام وإبليس لعنه الله {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} يعني: إبليس عدوّ لآدم وحواء {وَلَكُمْ فِي الارض مُسْتَقَرٌّ} أي: منزل وموضع القرار {ومتاع إلى حِينٍ} أي: معاش إلى وقت الموت.

قوله تعالى: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ} أي: في الأرض تعيشون {وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} من الأرض من قبوركم يوم القيامة. قرأ الكسائي وابن عامر يَخْرُجُونَ بنصب الياء وضم الراء وقرأ الباقون بضم الياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [26- 30]

{يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)}

{يابنى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} يقول خلقنا لكم الثياب {يوارى سَوْءتِكُمْ} يعني يستر عوراتكم، ويقال معناه أنزلنا عليكم المطر ينبت لكم القطن والكتَّان لباساً لكم {وَرِيشًا} قرأ الحسن البصري ورياشاً بالألف. وقرأ غيره وريشاً بغير ألف وقال القتبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به. ويقال: الرياش: المال والمعاش. قال الفقيه: حدّثنا محمد بن الفضل. قال: حدّثنا محمد بن جعفر حدّثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي أمامة عن عوف بن أبي جميلة عن معبد الجهني في قوله: {قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} قال: هو ما تلبسون ورياشاً قال المعاش {وَلِبَاسُ التقوى} هو الحياء {ذلك خَيْرٌ} أي لباس التقوى وهو الحياء خير من الثياب، لأن الفاجر إنْ كان حسن الثياب فإنه بادي العورة ألا ترى إلى قول الشاعر حيث يقول:

إني كأني أرى من لا حياء له *** ولا أمانة وسط القوم عريانا

وقال القتبي: {لِبَاسَ التقوى} أي ما ظهر عليه من السكينة والوقار والعمل الصالح كما قال: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع والخوف بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل: 112] أي

ما ظهر عليهم من سوء آثارهم وتغيُّر حالهم. ويقال: {لِبَاسَ التقوى} الإيمان. ويقال: العفة. قرأ نافع والكسائي وابن عامر {لِبَاسَ التقوى} بالنصب يعني: أنزل لباس التقوى ومعناه: ستر العورة. وقرأ الباقون بالضم لِبَاسُ على معنى الابتداء. ويقال: فيه مضموم يعني: هو {لِبَاسَ التقوى} ومعناه: ستر العورة أي لباسُ المتقين. وقرأ عبد الله بن مسعود {وَلِبَاسُ التقوى} خير. وقال مجاهد: كان أناس من العرب يطوفون حول البيت عراة فنزل قوله تعالى: {قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يوارى سَوْءتِكُمْ وَرِيشًا} يعني: من المال. ويقال: معنى قوله: {ذلك خَيْرٌ} يعني: اللباس خير من تركه لأنهم كانوا يطوفون عراة.

قوله: {ذلك مِنْ آيات الله} أي من نعم الله على الناس، ويقال: من عجائب الله ودلائله. {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أي: يتّعظون.

قوله عز وجل: {يَذَّكَّرُونَ يابنى آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطان} يقول: لا يضلّنّكم الشيطان عن طاعتي فيمنعكم من الجنة {كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مّنَ الجنة} حين تركا طاعتي وعصيا أمري {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءتِهِمَا} يعني: لا يفتنّنكم الشيطان عن دينكم في أمر الثياب فينزعها عنكم، فتبدو عوراتكم، كما فعل بأبويكم، نزع عنهما لباسهما وأظهر عورتهما. وقال بعض الحكماء: إنّ المعصية شؤم تضر بصاحبها فتجعله عرياناً كما فعلت بآدم {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ} يعني: كونوا بالحذار منه، فإنه يراكم هو أي إبليس وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم.

يعني: كونوا على حذر لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم وذكر أن إبليس لما لعن قال رب: إنّك باعث إلى بني آدم رسلاً وكتباً، فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فما كتابي؟ قال: الوشم. قال: فما قراءتي قال: الشعر قال: فما مسجدي؟ قال: السوق. قال: فما مؤذني؟ قال: المزامير. قال: فما بيتي؟ قال: الحمام. قال: فما مصائدي؟ قال النساء. قال: فما طعامي؟ قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما شرابي؟ قال: كل سكر.

قوله عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَا الشياطين أَوْلِيَاء} يعني: قرناء {لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} أي لا يصدقون بالآخرة {وَإِذَا فَعَلُواْ فاحشة} يعني: المشركين حرموا على أنفسهم أشياء قد أحل الله لهم، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، قالوا: لا نطوف في ثياب قد أذنبنا فيها وكان رجالهم يطوفون بالنهار ونساؤهم بالليل وإذا طافت المرأة بالنهار اتخذت إزاراً من سير وكانت تبدو عورتها إذا مشت وكانت تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله *** فما بدا منه فلا أحله

وإذا قيل لهم لم فعلتم هكذا {قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءابَاءنَا والله أَمَرَنَا بِهَا} يعني: بتحريم هذه الأشياء وبالطواف عراة قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِنَّ الله لاَ يَأْمُرُ

بالفحشاء} أي المعاصي {أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} أي أتكذبون على الله وتقولون بغير علم؟

ثم بيّن لهم ما أمرهم الله تعالى به. فقال عز وجل: {قُلْ أَمَرَ رَبّي بالقسط} أي بالعدل والصواب. وكلمة التوحيد وهي شهادة ألاّ إله إلاّ الله {وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ} أي: {قُلْ أَمَرَ رَبّي بالقسط} وقل: أقيموا وجوهكم {عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ} أي حوّلوا وجوهكم إلى الكعبة عند كل صلاة. وقال الكلبي: يعني إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد فصلوا فيه، فلا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وإذا لم يكن في مسجد فليأت أي مسجد شاء. قال مقاتل: يعني: حوّلوا وجوهكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم {وادعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يقول: وحدوه واعبُدُوه بالإخلاص. ويقال: إنّ أهل الجاهلية كانوا يشركون في تلبيتهم، ويقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأمرهم الله أن يوحّدوه في التلبية مخلصين له الدين.

ثم قال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} أي ليس كما تشركون. فاحتج عليهم بالبعث متصلاً بقوله: {فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} أي ليس بعثكم بأشد من ابتدائكم. وقال الحسن: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة. ويقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ} يوم الميثاق من التصديق والتكذيب {تَعُودُونَ} إلى ذلك.

حيث قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي». ويقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ} فخلقكم من التراب {تَعُودُونَ} تراباً بعد الموت. وقال ابن عباس: {كَمَا بَدَأَكُمْ} مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً كذلك تموتون عليه وتبعثون عليه.

ثم قال: {فَرِيقًا هدى} وهم المؤمنون فعلم الله تعالى منهم الطاعة ويكرمهم بالمعرفة {وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضلالة} أي وجب عليهم الضلالة، فخذلهم ولم يكرمهم بالتوحيد حيث علم منهم المعصية والكفر {إِنَّهُمُ اتخذوا الشياطين} يعني: لأنهم اتخذوا الشياطين {أَوْلِيَاء مِن دُونِ الله} يعني: اتخذوهم أولياء وأطاعوهم بالمعصية {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} أي يظنون أنهم على الهدى. قال الزجاج: فيه دليل أن من لا يعلم أنه كافر وهو كافر يكون كافراً لأن بعضهم قال: لا يكون كافراً وهو لا يعلم. وذلك القول باطل لأن الله تعالى قال: {وَمَا خَلَقْنَا السمآء والارض وَمَا بَيْنَهُمَا باطلا ذلك ظَنُّ الذين كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النار} [ص: 27] وقال: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [31- 34]

{يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)}

{يابنى ءادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ} أي البسوا ثيابكم واستروا عوراتكم عند كل صلاة. قال السدي: كان هؤلاء والذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون الودك. فقال الله تعالى: {خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ واشربوا وَلاَ تُسْرِفُواْ} في التحريم. ويقال: الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله أو يأكل مما يحل له أكله فوق القصد ومقدار الحاجة. وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم قد جمع الله الطب كله في هذه الآية {وكُلُواْ واشربوا وَلاَ تُسْرِفُواْ} ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسرفين} أي لا تحرموا ما أحل الله لكم، فإنَّ المحرم ما أحل الله كالمحل ما حرم الله تعالى.

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} وهو أنه لما نزل قوله: {خُذُواْ زِينَتَكُمْ} لبسوا الثياب وطافوا بالبيت مع الثياب فعيرهم المشركون، فنزل {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله} يعني: لبس الثياب {التى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} أي خلقها لهم لعباده أي أوجد. وقيل: أظهر وقيل على حقيقته كان في السماء أو في الأرض فأخرجه. {والطيبات مِنَ الرزق} يعني: الحلال وهو اللحم والشحم والدسم {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ} قال مقاتل: في الآية تقديم. ومعناه: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا {قُلْ لِّلَّذِينَ ءامَنُواْ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التى} قرأ نافع: {خَالِصَةٌ} بضم التاء وقرأ الباقون بالنصب خَالِصَةً فمن قرأ بالضم فهو خبر بعد خبر يعني: هي ثابتة لهم خالصة أي ثابتة. معناه: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشترك فيها المؤمن والكافر وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة وقال القتبي: هذا من الاختصار ومعناه: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وفي الآخرة خالصة ثم قال: {كذلك نُفَصّلُ الآيات} يعني: العلامات ويقال: نبيّن الآيات من أمره ونهيه وما يكون في الدنيا والآخرة {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي يفهمون أمر الله تعالى.

ثم أخبرهم بما حرّم عليهم فقال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبّيَ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثم} يعني: المعاصي. ويقال الإثم يعني: الخمر كما قال القائل:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي *** كذاك الإثم يذهب بالعقول

{والبغى} يعني: حرم الاستطالة وظلم الناس {بِغَيْرِ الحق وَأَن تُشْرِكُواْ بالله} يقول: وحرّم أن تشركوا بالله {مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا} يقول: ما لم ينزل به كتاباً فيه عذركم وحجة لكم {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله} أي وحرم عليكم أن تقولوا على الله {مَا لاَ تَعْلَمُونَ} أنه حرم عليكم.

ثم خوفهم فقال: {وَلِكُلّ أُمَّةٍ أَجَلٌ} يعني: لكل أهل دين مُهلة للعذاب {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ} بالعذاب {لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً} بعد الأجل {وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} ساعة قبل الأجل.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [35- 39]

{يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآَتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)}

{يابنى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ} وأصله إنْ ما ومعناه متى ما يأتيكم {رُسُلٌ مّنكُمْ} أي: من جنسكم {يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءاياتى} أي يقرؤون عليكم، ويعرضون عليكم كتابي {فَمَنِ اتقى وَأَصْلَحَ} أي: اتقى الشرك وأطاع الرسول وأصلح العمل، يعني: فمن اتقى عما نهى الله عنه وأصلح أي: عمل بما أمر الله تعالى به {فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} يعني: لا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون من فوات الثواب. ويقال: {فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من الدنيا ويقال معناه إمَّا يأتينَّكم رسل منكم وأيقنتم فَلاَ خَوْف عَلَيْكُمْ فيما يستقبلكم، فذكر الله ثواب من اتقى وأصلح.

ثم بيّن عقوبة من لم يتقِ فقال عز وجلّ: {والذين كَذَّبُواْ بئاياتنا واستكبروا عَنْهَا} أي تعظموا عن الإيمان، فلم يؤمنوا بالرسل وتكبروا عن الإيمان {أُوْلَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} أي: دائمون.

قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ} قال الكلبي: فمن أكفر. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ لأنه لا يصح أن يقال هذا أكفر من هذا. ولكن معناه: ومن أشد في كفره. ويقال: فلا أحد أظلم. ويقال: أي ظلم أشنع وأقبح {مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً} يعني: من اختلق على الله كذباً أي: شركاً {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ} جحد بالقرآن {أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مّنَ الكتاب} أي: حظهم من العذاب. ويقال {نَصِيبَهُمْ} حظهم مما أوعدهم اللَّه في الكتاب الإهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة. وقال ابن عباس: هو ما ذكر في موضع آخر {وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ}. ويقال: {نَصِيبَهُمْ} أي ما قضي وقدر عليهم في اللوح المحفوظ من السعادة والشقاوة. ويقال: {نَصِيبَهُمْ} رزقهم وأجلهم في الدنيا {حتى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} يعني: أمهلهم حتى يأتيهم ملك الموت وأعوانه عند قبض أرواحهم. ويقال: يقول لهم خزنة جهنم قبل دخولها {قَالُوا أَيْنَمَا كُنتُمْ تَدْعُونَ} يعني: أن الملائكة يقولون ذلك عند قبض أرواحهم {مِن دُونِ الله} يمنعونكم من النار {قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا} أي اشتغلوا عنا بأنفسهم {وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كافرين} في الدنيا، وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم.

ثم قال: {قَالَ ادخلوا فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم} أي: قالت لهم خزنة النار: ادخلوا النار مع أمم قد مضت على مذهبكم {مّن الجن والإنس فِى النار كُلَّمَا دَخَلَتْ} يعني: النار {أُمَّةٍ} جماعة {لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} أي: على الأمة التي دخلت قبلها في النار. قال مقاتل: يعني لعنوا أهل ملتهم يلعن المشركون المشركين والنصارى النصارى.

وقال الكلبي: تدعو على الأمم التي قبلهم في النار يبدأ بالأمم الأولى فالأولى، ويبدأ أولاً بقابيل وولده. ويقال: يبدأ بالأكابر فالأكابر مثل فرعون كما قال في آية آخرى {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرحمن عِتِيّاً} [مريم: 69].

{حَتَّى إِذَا اداركوا فِيهَا جَمِيعًا} يعني: اجتمعوا في النار وأصله تداركوا فيها يعني: اجتمع القادة والأتباع في النار وقرأ بعضهم حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فيه أي دخلوا في إدراكها، كما يقال أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء وهي قراءة شاذة {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لاولاهم} أي: قال أواخر الأمم لأولّهم. ويقال: قالت الأتباع للقادة والرؤساء {رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا} عن الهدى {قَالَ ادخلوا فِى أُمَمٍ قَدْ} أي: أعظم زيادة من العذاب {قَالَ} الله تعالى: {لِكُلّ ضِعْفٌ ولكن لاَّ تَعْلَمُونَ} أي: على القادة زيادة من العذاب ولكن لا تعلمون ما عليهم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {ولكن لاَّ يَعْلَمُونَ} بالياء أي: لا يعلم فريق منهم عذاب فريق آخر {وَقَالَتْ أولاهم لِاخْرَاهُمْ} أي: أولهم دخولاً لآخرهم دخولاً. ويقال: القادة للأتباع {فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} في شيء كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم سواء في الكفر ضللتم كما ضللنا.

قال الله تعالى: {فَذُوقُواْ العذاب} ويقال: يقول الخزنة فذوقوا العذاب. ويقال: هذا قول بعضهم لبعض فذوقوا العذاب {بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} أي: تكفرون في الدنيا بترككم الإيمان.

تفسير الآيات رقم [40- 43]

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {واستكبروا عَنْهَا} يعني: استكبروا عن قبولها. ويقال: عن النظر فيها {لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أبواب السماء} لأعمال الكفار أي: ليس لهم عمل صالح يفتح لهم أبواب السماء ويقال: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا ماتوا. وقال بعضهم: أبواب السماء أي أبواب الجنة {وَلاَ يَدْخُلُونَ الجنة حتى يَلِجَ الجمل فِى سَمّ الخياط} أي لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الجمل. فقال: زوج الناقة. وقال الضحاك: الجمل الذي له أربع قوائم. وقال بعض الناس: الجمل هو أشتر بالفارسية وقال الحسن: هو ولد الناقة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ {حتى يَلِجَ الجمل} بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة الغليظ. وسئل عكرمة عن قوله: {حتى يَلِجَ الجمل} قيل: وما الجمل؟ قال: الحبل الذي يصعد به النخل. قال سعيد بن جبير هو حبل السفينة الغليظ. قرأ أبو عمرو لا تُفْتَحْ بالياء بلفظ التذكير بالتخفيف. وقرأ الباقون بالتاء المشددة. فمن قرأ بالتأنيث فلأنها من جماعة الأبواب. ومن قرأ بالتذكير فلأن الفعل مقدم. ومن قرأ بالتشديد أراد به تكثير الفتح. ومن قرأ بالتخفيف فتفتح مرة واحدة وقرأ بعضهم في سُمِّ بضم السين وهي قراءة شاذة وهما لغتان قال أبو عبيدة: كل ثقب فهو سم.

ثم قال عز وجل: {وكذلك نَجْزِى المجرمين} أي هكذا نعاقب المشركين. ثم ذكر ما أوعدهم في النار فقال عز وجل: {لَهُم مّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ} أي: فراش من النار {وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} أي مُغشاهم النار من فوق رؤوسهم ومعناه: أن من تحتهم ناراً ومن فوقهم ناراً. كقوله: {لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلك يُخَوِّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ ياعباد فاتقون} [الزمر: 16] ويقال: لهم من جهنم مهاد أي حظهم من جهنم كالمهاد، فأخبر عن ضيق مكانهم في النار {وكذلك نَجْزِى الظالمين} نعاقب الكافرين.

قوله عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} وذلك أن الله تعالى لما أخبر عن حال الذين كذبوا بآياته واستكبروا عن قبولها أخبر عن حال الذين آمنوا بآياته. فقال: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} أي: صدقوا وعملوا الصالحات أي الطاعات

والأعمال الصالحة {لاَ نُكَلّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} أي: لا نكلف نفساً بعد الإيمان من العمل إلا بقدر طاقتها {أُوْلَئِكَ أصحاب الجنة هُمْ فِيهَا خالدون} يعني: دائمون.

ثم قال عزّ وجل: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مّنْ غِلّ} قال بعضهم: أي في الدنيا أخرج الله تعالى الغل والحسد من قلوبهم، وألف بين قلوبهم كما قال الله تعالى:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الارض جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63] ويقال: هذا في الجنة يخرج الغل والحسد من قلوبهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ ونحوهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم على سنتهم ومنهاجهم إلى يوم القيامة. وقال عليّ بن أبي طالب لعمران بن طلحة بن عبيد الله: أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله تعالى فيهم: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مّنْ غِلّ إِخْوَانًا على سُرُرٍ متقابلين} فأنكر عليه بعضهم. فقال عليّ: إن لم نكن نحن فمن هم؟ يعني: إن الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن في قلوبهم من الغل حتى ينزع عنهم {تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الانهار} أي من تحت غرفهم وقصورهم وأشجارهم الأنهار {وَقَالُواْ الحمد لِلَّهِ الذى هَدَانَا لهذا} أي أكرمنا بهذه الكرامة. ويقال: إن الذي وفقنا للأمر الذي أوجب لنا هذا الثواب وهو الإسلام. ويقال: هدانا لهاتين العينين. وذلك أن أهل الجنة لما انتهوا إلى باب الجنة، فإذا هم بشجرة تنبع من ساقها عينان، فيعمدون إلى إحداهما، فيشربون منها، فيخرج الله تعالى ما كان في أجوافهم من غل وقذر فذلك قوله تعالى: {عاليهم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وحلوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وسقاهم رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} [الإنسان: 21] ثم يعمدون إلى الأخرى فيغتسلون فيها فيطيب الله تعالى أجسادهم من كل درن وحسد وجرت عليهم نضرة ولا تشعث رؤوسهم، ولا تغبر وجوههم، ولا تشحب أجسادهم أبداً، تتلقاهم خزنة الجنة فينادون في التقديم أي: قبل أن يدخلوها {أَن تِلْكُمُ الجنة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فقالوا بعد ما اغتسلوا من العينين {الحمد لِلَّهِ الذى هَدَانَا لهذا} أي: وفقنا حتى اغتسلنا من هاتين العينين. ويقال: لما دخلوا الجنة ونظروا إلى كراماتها قَالُوا: {الحمد لِلَّهِ الذى هَدَانَا} يعني: لهذا الثواب {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله} أي: ما كنا لولا أن وفقنا الله. ذلك أنهم علموا أن الله تعالى له عليهم المن والفضل فيما أعطاهم. قرأ ابن عامر {مَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ} بغير واو على الاستئناف. وقرأ الباقون بالواو وعلى معنى العطف.

{لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبّنَا بالحق} يعني: جاءت رسل ربنا بالحق فصدقناهم {وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الجنة} قال بعضهم: قبل أن يدخلوها قال لهم خزنة الجنة تلكم الجنة التي وعدتم. ويقال بعد ما دخلوا بها يقال لهم: تلك الجنة أي: هذه الجنة التي {أُورِثْتُمُوهَا} يعني: أنزلتموها بإيمانكم واقتبستموها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} في دار الدنيا. وهذا كما روي في الخبر أنه يقال لهم يوم القيامة: «جُوزُوا الصِّراطَ بِعَفْوِي وَادْخُلُوا الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَاقْتَسِمُوها بِأَعْمَالِكُمْ «

قوله تعالى:

صفحه 19

▲ تفسير الآيات رقم [44- 46]

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46)}

{وَنَادَى أصحاب الجنة أصحاب النار أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً} أي: ما وعدنا يعني: في الدنيا من الثواب وجدناه صدقاً {فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ} من العذاب {حَقّاً} أي صدقاً {قَالُواْ نَعَمْ} فاعترفوا على أنفسهم في وقت لا ينفعهم الاعتراف. قرأ الكسائي قالوا: نَعِمْ بكسر العين في جميع القرآن. وقرأ الباقون بالنصب. وروي عن عمر أنه سمع رجلاً يقول: نَعَمْ بالنصب فقال له عمر: النَّعَم المال، وقل: نَعِمْ يعني: بكسر العين وروى الكسائي عن شيخ من ولد الزبير قال: ما كانت أشياخ قريش إلا يقولون: نَعِمْ فماتت يعني: اللغة {فَأَذَّنَ مُؤَذّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ الله عَلَى الظالمين} وذلك أنه ينادي منادٍ بين الجنة والنار تسمعه الخلائق كلهم إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المحسنين ولعنة الله على الظالمين أي: كرامة الله وفضله وإحسانه على المؤمنين وعذاب الله مع عقابه على الكافرين.

ثم قال: {الذين يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله} أي الناس عن دين الله، وهو الإسلام وهم الرؤساء منهم منعوا أتباعهم عن الإيمان {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} يقول يريدون بملة الإسلام غيراً وزيفاً {وَهُم بالاخرة كافرون} يعني: أنهم كانوا جاحدون بالبعث. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي أَنَّ لَعْنَةَ الله بالتشديد ونصب الهاء. وقرأ الباقون أَنَّ لَعْنَةُ بتخفيف أَنْ وضم الهاء.

قوله: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} أي بين أهل الجنة وأهل النار سور {وَعَلَى الاعراف رِجَالٌ}. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الأعراف سور كعرف الديك. وقال القتبي: الأعراف سور بين الجنة والنار، وسمي بذلك لارتفاعه، وكل مرتفع عند العرب أعراف. وقال السدي: إنما سمّي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «هُمْ قَوْمٌ قُتِلُوا في سَبِيلِ الله فِي مَعْصِيةِ آبائِهِمْ فَمَنَعَهُمْ مِنَ النَّارِ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَنَعَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ مَعْصِيَتُهُمْ آبَاءَهُمْ» وعن حذيفة بن اليمان أنه قال: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يكن لهم حسنات فاضلة يدخلون بها الجنة ولا سيئات فاضلة يدخلون بها النار. وهذا القول أيضاً روي عن ابن

عباس مثل هذا. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: هم أولاد الزنى. وروي عن أبي مجلز أنه قال: هم الملائكة. فبلغ ذلك مجاهداً فقال: كذب أبو مجلز يقول الله تعالى: {وَعَلَى الاعراف رِجَالٌ} فقال أبو مجلز: لأن الملائكة ليسوا بإناث ولكنهم عباد الرحمن. قال الله: {وَجَعَلُواْ الملائكة الذين هُمْ عِبَادُ الرحمن إناثا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شهادتهم وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: 19].

{يَعْرِفُونَ كُلاًّ بسيماهم} يعني: أن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة إذا مروا بهم ببياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم والسيما هي العلامة {وَنَادَوْاْ أصحاب الجنة أَن سلام عَلَيْكُمْ} يعني: فإذا مرّ بهم زمرة من أهل الجنة قالوا: {أَن سلام عَلَيْكُمْ} يعني: إنّ أهل الأعراف يسلّمون على أهل الجنة {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} يعني: إنّ أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون أنْ يَدخلوها.

وقال الحسن: والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدهم بها. ويقال: لم يدخلوها يعني: أهل الجنة لم يدخلوها حتى يسلم عليهم أهل الأعراف وهم يطمعون في دخولها. ويقال: أهل النار لم يدخلوها أبداً وهم يطمعون وطمعهم أن أفيضوا علينا من الماء.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [47- 53]

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51) وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53)}

{وَإِذَا صُرِفَتْ أبصارهم تِلْقَاء أصحاب النار} قال: من سرعة ما انصرفوا كأنهم صرفوا، {تِلْقَاء أصحاب النار} يعني: أنهم إذا نظروا قِبَلَ أصحاب النار أي تلقاء أصحاب النار {قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ القوم الظالمين} أي: مع الكافرين في النار {ونادى أصحاب الاعراف رِجَالاً} يعني: في النار {يَعْرِفُونَهُمْ بسيماهم قَالُواْ مَا

أغنى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ} في الدنيا {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} أي ما أغنى عنكم ما كنتم تستكبرون عن الإيمان. وقرأ بعضهم وما كنتم تستكثرون. يعني تجمعون المال الكثير. وهي قراءة شاذة.

{أهؤلاء الذين أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ الله بِرَحْمَةٍ} يعني: أنّ أهل الأعراف يقولون: يا وليد ويا أبا جهل: أهؤلاء؟ يعني: صهيباً وبلالاً والضعفة من المسلمين الذين كنتم تحلفون لا ينالهم الله برحمة. يعني: إنَّهم لا يدخلون الجنة.

ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف: {ادخلوا الجنة لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ}. وعن أبي مجلز أنه قال: وعلى الأعراف رجال من الملائكة، نادوا أصحاب الجنة قبل أن يدخلوها سلام عليكم لم يدخلوها. وهم يطمعون دخولها يعني: في الجنة. وإذا نظروا إلى أصحاب النار حين مروا بهم {قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ القوم الظالمين * ونادى أصحاب الاعراف رِجَالاً} من المشركين {يَعْرِفُونَهُمْ بسيماهم قَالُواْ مَا أغنى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أهؤلاء الذين أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ الله بِرَحْمَةٍ ادخلوا الجنة} يعني: لأهل الجنة. قال مقاتل: فأقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف داخلون النار معهم. فقالت الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟. ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة. ويقال: إن أهل النار يقولون لأهل الأعراف: ما أغنى عنكم جمعكم وعملكم وأنتم والله تكونون معنا في النار ولا تدخلون الجنة؟. فيقول الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم يعني، أصحاب الأعراف لا ينالهم الله برحمته. ثم يقال: لأصحاب الأعراف: {ادخلوا الجنة لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ}.

قوله عز وجل: {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الماء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله} أي اسقونا من الماء أو شيئاً من الفواكه وثمار الجنة فإنّ فينا من معارفكم. فعلم الله تعالى أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب. فأجابهم أهل الجنة: {قَالُواْ إِنَّ الله حَرَّمَهُمَا عَلَى الكافرين} يعني: الماء والثمار. وروي في الخبر أنَّ أبا جهل بن هشام بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستهزئ به: أطعمني من عنب جنتك أو شيئاً من الفواكه. فقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

»قُلْ لَهُ: إنَّ الله حَرَّمَهُما عَلَى الكَافِرِينَ«

ثم وصفهم عز وجل فقال: {الذين اتخذوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} أي: اتخذوا الإسلام باطلاً ودخلوا في غير دين الإسلام. ويقال: اتخذوا عبداً لهواً وفرحاً. {وَغَرَّتْهُمُ الحياة الدنيا} أي: غرّهم ما أصابهم من زينة الدنيا {فاليوم ننساهم} أي نتركهم في النار {كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هذا} أي: كما تركوا العمل ليومهم هذا. ويقال: كما تركوا الإيمان ليومهم هذا يعني: أنكروا البعث {وَمَا كَانُواْ بئاياتنا يَجْحَدُونَ} يعني: بجحدهم بآياتنا بأنها ليست من عند الله تعالى قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بكتاب} أي: أكرمناهم بالقرآن {فصلناه على

عِلْمٍ} يعني: بيّنا فيه الآيات، الحلال والحرام {على عِلْمٍ} أي: بعلم منا {هُدًى} يعني: بياناً من الضلالة. ويقال: جعلناه هادياً. {وَرَحْمَةً} أي: نعمة ونجاة من العذاب {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: لمن آمن وصدق به. يعني: أكرمناهم بهذا الكتاب فلم يؤمنوا ولم يصدقوا. وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين يهتدون به ويستوجبون به الرحمة. ثم قال: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ} عاقبة ما وعدهم الله. وهو يوم القيامة.

{يَقُولُ الذين نَسُوهُ} يقول: الذين تركوا العمل والإيمان {مِن قَبْلُ} يعني: في الدنيا {قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبّنَا بالحق} وذلك أنهم حين عاينوا العذاب، وذكروا قول الرسل، وندموا على تكذيبهم إياهم. يقولون: {قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبّنَا بالحق}. أي بأمر البعث فكذبناهم {فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا} لأنهم يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين، فيقال لهم: ليس لكم شفيع. فيقولون: {أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ} أي: هل نرد إلى الدنيا فنصدق الرسل ونعمل غير الشرك {فَنَعْمَلَ} صار نصباً لأنه جواب الاستفهام، وجواب الاستفهام إذا كان بالفاء فهو نصب. وكذلك جواب الأمر والنهي. يقول الله تعالى: {قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} أي: قد غبنوا حظ أنفسهم {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} أي يكذبون بأن الآلهة شفعاؤهم عند الله. قوله:

تفسير الآية رقم [54]

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)}

{إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذى خَلَقَ السموات والارض} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عيّر المشركين بعبادة آلهتهم، ونزل قوله: {ياأيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا لَهُ إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجتمعوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذباب شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطالب والمطلوب} [الحج: 73] وقوله: {مَثَلُ الذين اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البيوت لَبَيْتُ العنكبوت لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41] سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: من ربك الذي تدعونا إليه؟ وأرادوا أن يجحدوا في اسمه طعناً أو في شيء من أفعاله فنزلت هذه الآية. فتحيروا وعجزوا عن الجواب. فقال: {إِنَّ رَبَّكُمُ الله} أي خالقكم ورزاقكم {الذى خَلَقَ * السموات والارض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}. قال ابن عباس أي من أيام الآخرة. طول كل يوم ألف سنة. وقال الحسن البصري: من أيام الدنيا. ويقال: يعني في ست ساعات من ستة أيام من أطول أيام الدنيا، ولو شاء أن يخلقها في ساعة واحدة لخلقها، ولكن علَّم عباده التأني والرفق والتدبير في الأمور.

{ثُمَّ استوى عَلَى العرش} قال بعضهم: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. وذكر عن يزيد بن هارون أنه سئل عن تأويله فقال تأويله: الإيمان به. وذكر أن رجلاً دخل على مالك بن أنس فسأله عن قوله {الرحمن عَلَى العرش استوى} [طه: 5] فقال: الاستواء غير مجهول والكيفية غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً. فأخرجوه. وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا. وقد تأوله بعضهم وقال {ثُمَّ} بمعنى الواو فيكون على معنى الجمع والعطف، لا على معنى التراخي والترتيب. ومعنى قوله: {استوى} أي استولى، كما يقال فلان استوى على بلد كذا يعني: استولى عليه فكذلك هذا. معناه: خالق السموات والأرض، ومالك العرش. ويقال: ثم صعد أمره إلى العرش. وهذا معنى قول ابن عباس. قال صعد على العرش. يعني: أمره، ويقال قال له: كن فكان، ويقال: {ثُمَّ استوى عَلَى العرش} أي كان فوق العرش قبل أن يخلق السموات والأرض، ويكون {على} بمعنى العلو والارتفاع، ويقال استوى يعني استولى. وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح. فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة. ثم خلق ما شاء. ثم خلق العرش ثم حملة العرش ثم خلق السموات والأرض. وإنما خلق العرش لا لحاجة نفسه ولكن لأجل عباده ليعلموا أين يتوجهون في دعائهم لكي لا يتحيّروا في دعائهم، كما خلق الكعبة علماً لعبادتهم، ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة.

فكذلك خلق العرش علماً لدعائهم ليعلموا إلى أين يتوجهوا بدعائهم.

ثم قال تعالى: {وَهُوَ الذى مَدَّ} يعني: إن الليل يأتي على النهار فيغطيه ولم يقل يغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلاً عليه. وقد بيّن في آية أخرى {خَلَقَ السماوات والارض بالحق يُكَوِّرُ اليل عَلَى النهار وَيُكَوِّرُ النهار عَلَى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ العزيز الغفار} [الزمر: 5] فكذلك هاهنا معناه يغشي النهار الليل ويغشي الليل النهار. يعني: إذا جاء النهار يذهب بظلمة الليل وإذا جاء الليل يذهب بنور النهار.

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {يُغْشِى} بتشديد الشين ونصب الغين. وقرأ الباقون بجزم الغين مع التخفيف، وهما لغتان غَشَّى ويُغَشِّي وأَغْشَى يُغْشِي بقوله {يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} أي: سريعاً في طلبه أبداً ما دامت الدنيا باقية. ثم قال: {والشمس والقمر والنجوم مسخرات بِأَمْرِهِ} أي جاريات مذللات لبني آدم بأمره.

قرأ ابن عامر {والشمس والقمر والنجوم} كلها بالضم على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالنصب. ومعناه خلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره. ثم قال: {أَلاَ لَهُ الخلق والامر} ألا كلمة التنبيه، يعني: اعلموا أن الخلق لله تعالى، وهو الذي خلق الأشياء كلها وأمره نافذ في خلقه. قال سفيان بن عيينة: الخلق هو الخلق والأمر هو القرآن وهو كلام الله، وليس بمخلوق، ولا هو بائن منه، وتصديقه قوله: {ذَلِكَ أَمْرُ الله أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ

الله يُكَفِّرْ عَنْهُ سيئاته وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} [الطلاق: 5] ويقال: الأمر هو القضاء، ثم قال {تَبَارَكَ الله رَبُّ العالمين} قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني: تعالى الله عما يقول الظالمون، ويقال تبارك الله تفاعل من البركة أي: ذو البركة يعني: أن البركة كلها من الله تعالى. والبركة فيما يذكر عليه اسم الله رب العالمين. أي: سيد الخلق أجمعين فلما وصف وبالغ في ذلك وأعجزهم فأمرهم بأن يدعوه فقال:

تفسير الآيات رقم [55- 57]

{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57)}

{ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} قال الكلبي: يعني في الأحوال كلها. يعني: ادعوا الذي خلق هذه الأشياء في الأحوال كلها. ويقال خفية يعني: اعتقدوا عبادته في أنفسكم لأن الدعاء معناه العبادة.

ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} يعني: أن يدعوا بما لا يحل أو يدعوا على أحد باللعن والخزي أو تدعوا عليه بالشر. ثم قال: {وَلاَ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} وذلك أن الله تعالى إذا بعث نبياً فأطاعوه صلحت الأرض وصلح أهلها، وفي المعصية فساد الأرض وفساد أهلها، ويقال: {لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها} أي لا تجوروا في الأرض فتخرب الأرض لأن الأرض قامت بالعدل، ويقال لا تخربوا المساجد فتتركوا الجماعات {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً} يعني اعبدوه خوفاً وطمعاً أي: خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته: ويقال: ادعوه في حال الخوف والضيق، ويقال: خوفاً عن قطيعته ورجاء إلى الغاية.

ثم قال: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ولم يقل قريبة. قال بعضهم: لأن القريب والبعيد يصلحان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث. كما قال: {يَسْئَلُكَ الناس عَنِ الساعة قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة تَكُونُ قَرِيباً} [الأحزاب: 63] وقال: {مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِى مِنَ الظالمين بِبَعِيدٍ} [هود: 83] وقال بعضهم: تفسير الرحمة هاهنا المطر. فذكر بلفظ المذكر، وقال بعضهم إن رحمة الله قريب. يعني الغفران والعفو فانصرف إلى المعنى. ومعناه: المحسنون قريب من الجنة وهم المؤمنون.

ثم قال {وهو الذي يرسل الرياح بُشْراً بَيْن يَدَي رحْمَتِهِ} أي قدام المطر.

قرأ حمزة والكسائي الريح بلفظ الوحدان. وقرأ الباقون الرياح بلفظ الجماعة. واختار أبو عبيد أن كل ما ذكر في القرآن من ذكر الرحمة فهو رياح وكل ما كان فيه ذكر العذاب فهو ريح. واحتج بما روي عن النبيِّ عليه السلام: أنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إذا هَبَّتِ الرِّيحُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِياحاً وَلا تَجْعَلْها رِيحاً «

وقرأ ابن عامر نُشْراً بضم النون وجزم الشين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع نُشُراً بضمتين.

وقرأ حمزة والكسائي نشراً بنصب النون وجزم الشين.

وقرأ عاصم بشراً بالباء ويكون من البشارة كما قال في آية أخرى {وَمِنْ ءاياته أَن يُرْسِلَ الرياح مبشرات وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِىَ الفلك بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الروم: 46].

ومن قرأ نَشْراً بالنون والنصب فيكون معناه {يرسل الرياح} تَنْشُر السحاب نَشْراً، ومن قرأ بالضمتين يكون جمع نشور، يقال: ريح نشور، أي تنشر السحاب ورياح نُشُر، ومن قرأ بضمة واحدة لأنه لما اجتمعت الضمتان حذفت إحداهما للتخفيف.

ثم قال: {حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً} من الماء، والسحاب جمع السحابة يعني الريح حملت سحاباً ثقالاً {سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ} يعني: السحاب تمر بأمر الله تعالى إلى أرض ليس فيها نبات {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ} يعني: بالمكان.

ويقال: بالسَّحاب {فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} أي نخرج بالماء من الأرض الثمرات {كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى} أي يقول: هكذا نحيي الموتى بالمطر كما أحييت الأرض الميتة بالمطر. وذكر في الخبر أنه إذا كان قبل النفخة الأخيرة أمطرت السماء أربعين يوماً مثل مَني الرجال فتشرب الأرض، فتنبت الأجساد بذلك الماء، ثم ينفخ في الصور، فإذا هم قيام ينظرون. وفي هذه الآية إثبات القياس وهو ردّ المختلف إلى المتفق، لأنهم كانوا متفقين أن الله تعالى هو الذي ينزل المطر ويخرج النبات من الأرض. فاحتج عليهم لإحيائهم بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها. ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أي: لكي تتعظوا وتعتبروا في البعث أنه كائن. ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [58- 64]

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)}

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} يعني: المكان العذب الزّكي اللين من الأرض اللينة يخرج نباته إذا أمطرت فينتفع به، كذلك المؤمن يسمع الموعظة فتدخل في قلبه فينتفع بها وينفعه القرآن كما ينفع المطر الأرض الطيبة.

{وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً} يعني: الأرض السبخة لا يخرج نباتها إلا من كد وعناء، فكذلك الكافر لا يسمع الموعظة ولا ينتفع بها، ولا يتكلم بالإيمان، ولا يعمل بالطاعة إلا كرهاً لغير وجه الله.

ثم قال: {كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} أي هكذا نبيّن الآيات والعلامات والأمثال لمن آمن وشكر رب هذه النعم ووحّده.

قوله عز وجل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} يعني: بعثنا نوحاً إلى قومه بالرسالة فأتاهم، ويقال: معناه جعلنا نوحاً رسولاً إلى قومه. {فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} أي وحّدوا الله، {مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} أي ليس لكم رب سواه.

قرأ الكسائي {إله غَيْرِهِ} بكسر الراء.

وقرأ الباقون {غَيرُهُ} بالضم. فمن قرأ بكسر الراء فلأجل مِنْ وجعله كله كلمة واحدة والغير تابعاً له. ومن قرأ بالضم فمعناه ما لكم إله غيره ودخلت من مؤكدة.

ثم قال: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} وهو الغرق ف {قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ} وهم الرؤساء والأجلة والأشراف، سموا بذلك لأنهم ملِئوا بما يحتاج إليه منهم، ويقال: لأنهم ملؤوا الناظر هيبة إذا اجتمعوا في موضع. قالوا: {إِنَّا لَنَرَاكَ في ضَلاَلٍ مُبِينٍ} يعني: في خطأ بَيِّنٍ. {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وفي الآية بيان أدب الخَلق في حسن الجواب والمخاطبة. لأنه ردّ جهلهم بأحسن الجواب، وهذا كما قال الله تعالى: {وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الارض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً} [الفرقان: 63] يعني: السداد من القول.

ثم قال: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَت رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ} أي أمنعكم من الفساد وأدعوكم إلى التوحيد وأحذركم من العذاب. وقال أهل اللغة: أنصح لكم وأنصحكم لغتان بمعنى واحد، كما

يقال: شكرت لك وشكرتك ثم قال: {وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} يعني: أعلم أنكم إن لم تتوبوا يأتيكم العذاب وأنتم لا تعلمون ذلك، وذلك أن سائر الأنبياء عليهم السلام خوّفوا أمتهم بعذاب الأمم السابقة، كما قال شعيب لقومه: {وياقوم لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شقاقى أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالح وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} [هود: 89] وأما قوم نوح فلم يكن بلغهم هلاك أمة قبلهم. فقال لهم نوح: {وأعلم من الله ما لا تعلمون} من العذاب الذي ينزل بكم. فقالت الكبراء للضعفاء لا تتبعوه فإن هذا بشر مثلكم فأجابهم نوح فقال: {أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ} يعني: ينزل الكتاب والرسالة على رجل منكم تعرفون حسبه ونسبه {لينذركم} بالنار ولتتقوا الشرك.

قال بعضهم: «هذه الواو صلة وهو زيادة في الكلام. ومعناه {لينذركم} لكي تتقوا. وقال بعضهم هذه واو العطف أي: جاءكم رسول لكي ينذركم.

{وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعني: لكي تنجوا من العذاب. قرأ أبو عمرو أبلغكم بجزم الباء والتخفيف. وقرأ الباقون أُبَلِّغكم بالتشديد فيكون فيه معنى المبالغة. قوله: {فَكَذَّبُوهُ} أي نوحاً {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} يعني: الذين اتبعوه من المؤمنين في السفينة، والفلك اسم لواحد والجماعة يعني: أنجينا المؤمنين من الغرق {وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ} عن نزول العذاب. ويقال {عمين} عن الحق يعني: جعلوا أمره باطلاً.

وقد بيّن الله قصته في سورة هود.

قوله عز وجل:

تفسير الآيات رقم [65- 72]

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72)}

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} يعني: أرسلنا إلى عاد نبيهم هوداً عطفاً على قوله: {لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه} أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم. لم يكن هود أخاهم في الدين ولكن كان من نسبهم. قال السدي: كانت عاد قوماً من أهل اليمن فأتاهم هود، فدعاهم إلى الإيمان، وذكّرهم، ووعظهم فكذبوه. ويقال: عاد اسم ملك ينسب القوم كلهم إليه. ويقال: اسم القرية {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} أي وحّدوه {مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} وقد ذكرناه {أَفَلا تَتَّقُونَ} عن الشرك و{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} وقد ذكرناه {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} أي جهالة {وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} بأنك رسول الله {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ} جهالة {وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ ربِّ الْعَالَمِينَ} إليكم {أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} يعني: كنت فيكم قبل اليوم أميناً فكيف تتّهموني اليوم.

{أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَّبِّكُمْ} يعني: الرسالة والبيان {على رجل منكم} تعرفون نسبه {لِيُنْذِرَكُمْ} بالعذاب {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} أي جعلكم خلفاء في الأرض بعد هلاك قوم نوح {وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} أي: فضيلة في الطول على غيركم. والخلفاء والخلائف جمع الخليفة.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسْطة بالسين.

وقرأ حمزة بإشمام الزاي.

وقرأ الباقون بالصاد. قال ابن عباس رضي الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً. وروى إبراهيم بن يوسف عن المسيب عن الكلبي قال: كان طول قوم عاد أطولهم مائة وعشرين ذراعاً وأقصرهم ثمانون ذراعاً. وقال مقاتل عن قتادة: كان طول كل رجل منهم اثني عشر ذراعاً فذلك قوله {التى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى البلاد} [الفجر: 8] ويقال: كان بين نوح وبين آدم عشرة آباء كلهم على الإسلام. وكان إدريس جد أبي نوح ولم يكن بين آدم ونوح نبي مرسل، وكان إدريس نبياً ولم يؤمر بدعوة الخلق، ويقال: أنزل عليه عشرون صحيفة، وقد آمن به كثير من الناس، وكان بين نوح وإبراهيم ألف سنة ويقال: ألفان وأربعون سنة وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة. وكان بين موسى وعيسى ألف سنة. وبين عيسى ومحمد عليه السلام خمسمائة سنة. وكان هود بين نوح وإبراهيم فلما دعا قومه فكذبوه، أنذرهم بالعذاب، وقال: إن الله تعالى يرسل عليكم الريح فيهلككم بها، فاستهزؤوا به وقالوا: أي ريح يقدر علينا، فأمر الله تعالى خازن الريح أن يخرج من الريح العقيم التي هي تحت الأرض مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم، كما قال في آية أخرى {واستمع يَوْمَ يُنَادِ المناد مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} [الذاريات: 41] فجاءتهم وحملت الرجال والدواب كالأوراق في الهواء فأهلكتهم كلهم فلم يبق منهم أحد.

كما قال {تُدَمِّرُ كُلَّ شَئ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأْصْبَحُواْ لاَ يرى إِلاَّ مساكنهم كَذَلِكَ نَجْزِى القوم المجرمين} [الأحقاف: 25] وذلك بعد ما أنذرهم وأخذ عليهم الحجة وذكرهم نعم الله

تعالى، قال لهم: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ} أي: اشكروا نعمة الله قال بعضهم: الآلاء إيصال النعم، والنعماء دفع البلية. وقال بعضهم على ضد هذا، وقال أكثر المفسرين: الآلاء والنعماء بمعنى واحد {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يعني: لكي تنجوا من البلايا ومن عذابه.

قوله تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} قالوا: يا هود أتأمرنا أن نعبد رباً واحداً {وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤنَا} أي نترك عبادة آلهتنا التي كان يعبدها آباؤنا. قال لهم هود عليه السلام: إن لم تفعلوا ما آمركم يأتيكم العذاب. قالوا: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من العذاب أي: بما تخوفنا {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} أنك لرسول الله {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} أي: وجب عليكم عذاب وغضب من ربكم {أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وآبَاوكُمْ} أي: تجعلون قول أنفسكم وقول آبائكم حجة من غير أن يثبت لكم من الله حجة، وقد اتخذتم الأصنام بأيديكم، وسميتموها آلهة {مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} يقول: ليس لكم علة وعذر وحجة بعبادة الأصنام. {فَانْتَظِرُوا} الهلاك {إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} يعني: لنزول العذاب بكم، لأنهم أرادوا إهلاكه قبل أن يهلكوا.

قال الله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ منَّا} يعني: بنعمة منا عليهم {وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} أي: قطع أصلهم واستأصلهم {وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} يعني: أن الذين أهلكهم الله تعالى كلهم كانوا كافرين.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [73- 79]

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)}

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً} يعني: أرسلنا إلى ثمود نبيهم صالحاً قال بعضهم: ثمود اسم القرية. وقال بعضهم: ثمود اسم القبيلة وأصله في اللغة الماء القليل. ويقال: كانت بئراً بين الشام والحجاز. ويقال: هي عين يخرج منها ماء قليل في تلك الأرض ويقال لها أرض الحِجر كما قال في آية أخرى {وَلَقَدْ كَذَّبَ أصحاب الحجر المرسلين} [الحجر:

80] وقال بعضهم: كان في تلك القرية أهل تسعمائة بيت. وقال بعضهم: ألف وخمسمائة، فأتاهم صالح ودعاهم إلى الله سنين كثيرة فكذبوه وأرادوا قتله فخرجوا إلى عبد لهم، فأتاهم صالح ودعاهم إلى الله تعالى. فقالوا له: إن كنت نبياً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عَشَرَاء حتى نؤمن بك ونصدقك فقام صالح وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتحركت الصخرة وانصدعت عن ناقة عشراء ذات زغب فلم يؤمنوا به فولدت الناقة ولداً وقال بعضهم خرج ولدها خلفها من الصخرة. فصارت الناقة بلية ومحنة عليهم، وكانت من أعظم الأشياء فتأتي مراعيهم فتنفر منها دوابهم. وتأتي العين وتشرب جميع ما فيها من الماء. فجعل صالح الماء قسمة بينهم يوماً للناقة، ويوماً لأهل القرية، فإذا كان اليوم الذي تشرب الناقة لا يحضر أحد العين وكانوا يحلبونها في ذلك اليوم مقدار ما يكفيهم، وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون. فاجتمعوا لقتل الناقة فقال لهم صالح: لا تفعلوا فإنكم إذا قتلتموها يأتيكم العذاب فجاؤوا ووقفوا على طريق الناقة فلما مرت بهم الناقة متوجهة إلى العين رماها واحد منهم يقال له مصدع بن وهر فأصابت السهم رجل الناقة فلما رجعت الناقة من العين خرج قدار بن سالف وهو أشقى القوم كما قال الله تعالى {إِذِ انبعث أشقاها} [الشمس: 12] فضربها بالسيف ضربة فقتلها وقسموا لحمها على أهل القرية.

وروي عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال: لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد جبلاً وقال ثلاث مرات أين أمي أين أمي أين أمي؟ فأخبر بذلك صالح فقال يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام. فقالوا: وما العلامة في ذلك؟ فقال: أن تصبحوا في اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة. ثم خرج صالح من بين أظهرهم مع من آمن منهم فأصبحوا في اليوم الأول وجعل يقول بعضهم لبعض: قد اصفر وجهك، وفي اليوم الثاني يقول بعضهم لبعض: قد احمر وجهك، وفي اليوم الثالث يقول بعضهم لبعض: قد اسود وجهك. فأيقنوا جميعاً الهلاك. فجاء جبريل عليه السلام وصاح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم، ويقال: قد أتتهم النار فأحرقتهم فذلك قوله تعالى: {قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا الله} أي: وحدوا الله {ما لكم من إله غيره} قد ذكرناه {قَدْ جَاءَتكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} يقول: قد أتيتكم بعلامة نبوتي وهي الناقة كما قال الله تعالى: {هذه نَاقَةُ الله لَكُمْ آيَةً} أي علامة لنبوتي لكي تعتبروا وتوحّدوا الله ربكم {فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ الله} يقول: دعوها ترتع في أرض الحجر {وَلا تَمَسُّوها بِسوءٍ} يقول: لا تعقروها {فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وهو ما عذبوا به.

قوله عز وجل: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ} أي: بعد هلاك عاد {وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ} يعني: أنزلكم في أرض الحجر {تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً} وذلك أنه كانت لهم قصور يسكنون فيها أيام الصيف، وقد اتخذوا بيوتاً في الجبل لأيام الشتاء، فذكرهم نعمة الله تعالى. فقال: اذكروا هذه النعم حيث وفقكم الله حتى اتخذتم القصور في سهل الأرض واتخذتم البيوت في الجبال.

{فَاذْكُرُوا آلاَءَ الله} أي نعم الله عليكم {وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} أي: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي.

قوله عز وجل: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} قرأ ابن عامر وقَالَ الْمَلأُ بالواو. وقرأ الباقون بغير واو أي قال الملأ الذين تكبروا عن الإيمان من قومه وهم القادة للذين استضعفوا {لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ} بصالح {أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ} يعني: أتصدقون صالحاً بأنه مرسل من ربه إليكم {قَالُوا} يعني: المؤمنين {إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} أي: مصدقون به {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} أي: من رسالة صالح {فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} أي: عصوا وتركوا أمر ربهم وأبوا عن طاعته. ثم التوحيد ويقال: فيه تقديم. ومعناه عتَوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنهم عقروا الناقة ليلة الأربعاء في عشية الثلاثاء فأهلكهم الله في يوم السبت. {وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} أي: بما تخوفنا به من العذاب {إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} يعني: إن كنت رسول رب العالمين {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} أي: الزلزلة ويقال: صيحة جبريل كما قال في آية أُخرى {فَأَخَذَتْهُمُ الصيحة مُصْبِحِينَ} [الحجر: 83] ويقال: أخذتهم الزلزلة ثم أخذتهم الصيحة. ويقال: النار {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} أي: صاروا في مدينتهم ومنازلهم ميتين، لا يتحركون وأصله من الجثوم. ويقال: أصابهم العذاب بكرةً يوم الأحد {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} فيه تقديم وتأخير أي: حين كذبوه خرج من بين أظهرهم {وَقَالَ يا قَومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ} أي دعوتكم إلى التوبة وحذرتكم العذاب {وَلَكِن لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} أي: لا تطيعون الداعين. ويقال: إنما قال ذلك بعد إهلاكهم. قال على وجه الحزن. إني قد أبلغتكم الرسالة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله تعالى لم يهلك قوماً ما دام الرسول فيهم فإذا خرج من بين ظهرانيهم أتاهم ما أوعد لهم. وقال في رواية الكلبي: لما هلك قوم صالح رجع صالح ومن معه من المؤمنين، فسكنوا ديارهم. وقال في رواية الضحاك خرج صالح إلى مكة فكان هناك حتى قبضه الله تعالى.

قوله عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [80- 84]

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)}

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} يعني: وأرسلنا لوطاً إلى قومه. ويقال: معناه واذكروا لوطاً إذ قال لقومه {أَتَأْتُونَ الفاحشة} يعني: اللواطة {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا} يعني: لم يعمل بمثل عملكم {مِنْ

أَحَدٍ مّن العالمين} قبلكم {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً مّن دُونِ النساء} أي: تجامعون الرجال من دون النساء يعني: إن إتيان الرجال أشهى إليكم من إتيان النساء وقرأ أبو عمرو آيِنَّكُمْ بالمد بغير همز وقرأ ابن كثير ونافع إِنَّكُمْ بهمزة واحدة بغير مد. وقرأ الباقون بهمزتين بغير مد ومعنى ذلك كله واحد وهو الاستفهام.

ثم قال: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} أي: متعدون من الحلال إلى الحرام {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُواْ} وإنما صار جواب نصباً لأنه خبر كان والاسم هو ما بعده {إِلا أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} يعني: يتقذرون منا ويتنزهون عن فعلنا {فأنجيناه وَأَهْلَهُ} يعني: ابنتيه زعوراء وريثا {إِلاَّ امرأته} وهي واعلة {كَانَتْ مِنَ الغابرين} يعني: من الباقين في الهلاك فيمن أهلكوا {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} يعني: الحجارة ويقال: أمطر بالعذاب ومطر بالرحمة. ويقال: أمطر ومطر بمعنى واحد {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المجرمين} أي: كيف كان آخر أمرهم، وقد بيّن قصته في سورة هود. وقال مجاهد: لو أن الذي يعمل عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة في السماء، وبكل قطرة في الأرض، ما زال نجساً إلى يوم القيامة وقد اختلف الناس في حَدِّه. قال بعضهم: هو كالزاني فإن كان محصناً يرجم وإن كان غير محصن يجلد. وروي عن الشعبي أنه قال: يرجم في الأحوال كلها محصناً كان أو غير محصن. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتي برجل قد عمل بذلك العمل، فأمر بأن يلقى من أشرف البناء منكوساً ثم يتبع بالحجارة، لأن الله تعالى ذكر قتلهم بالحجارة.

وهو قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} أي: حجارة وقال بعضهم: يعزر ويحبس حتى تظهر توبته ولا يحد وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

ثم قال تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [85- 93]

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ

اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)}

{وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعَيْباً} يعني: أرسلنا إلى مدين نبيّهم شعيباً ومدين هو آل مدين وكان مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، تزوج ريثاء ابنة لوط، فولدت آل مدين، فتوالدوا وكثروا، ثم صار هو اسماً للمدينة، فسميت المدينة مدين، وسمي أولئك القوم مدين. فكفروا بالله تعالى ونقصوا المكيال والميزان في البيع، وأظهروا الخيانة فبعث الله تعالى إليهم شعيباً. وقال الضحاك كان شعيب أفضلهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأحسنهم وجهاً، ويقال: إنه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره فصار أعمى فدعا قومه إلى الله تعالى و{قَالَ يَا قَوْمٌ اعبدوا الله} أي وحّدوه وأطيعوه {مَا لَكُم مّنْ إله غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مّن رَّبّكُمْ} قال بعضهم: مجيء شعيب النبي عليه السلام إليهم آية ولم يكن لشعيب علامة سوى مجيئه وإخباره أن الله تعالى واحد. وقال بعضهم: كانت له علامة لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا وقد جعل له علامة ليظهر تصديق مقالته، إلا أن الله تعالى لم يبيّن لنا علامته، وقد بيّن علامة بعض الأنبياء، ولم يبيّن علامة الجميع.

ثم قال: {فَأَوْفُواْ الكيل والميزان بالقسط} أي أتموا الكيل والميزان بالعدل {وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءهُمْ} يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في البيع والشراء {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الارض بَعْدَ إصلاحها} يعني: لا تعملوا في الأرض المعاصي بعد ما بيّن الله تعالى طريق الحق وأمركم بالطاعة {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: وفاء الكيل وترك الفساد في الأرض خير لكم من النقصان والفساد في الأرض إن كنتم مصدقين بما حرم الله تعالى عليكم.

قوله تعالى: {وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلّ صراط تُوعِدُونَ} أي لا ترصدوا بكل طريق توعدون أهل الإيمان بالقتل {وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله} يقول: تمنعون الناس عن دين الإسلام {مَنْ ءامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} يقول: تريدون بملة الإسلام زيغاً وغيراً. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {بِكُلّ صراط تُوعِدُونَ} قال: بكل سبيل حتى تصدوا أهلها عنها {وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} قال وتلتمسون بها الزيغ. ويقال معناه: لا تقعدوا على كل طريق تخوفون الناس وتخوفون أهل الإيمان بشعيب عليه السلام.

ثم قال: {واذكروا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} أي كنتم قليلاً في العدد فكثّر عددكم. ويقال: كنتم فقراء فأغناكم وكثر أموالكم {وانظروا كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} أي كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسل، يعني: الذين قبلهم قوم نوح وقوم عاد وقوم هود وقوم صالح.

ثم قال: {وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مّنكُمْ ءامَنُواْ بالذى أُرْسِلْتُ بِهِ} يعني: إن كان جماعة منكم صدقوا بي {وَطَائِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ} بي أي لم يصدقوا {فاصبروا حتى يَحْكُمَ الله بَيْنَنَا} يعني: حتى تنظروا عاقبة المؤمنين أفضل أم عاقبة الكافرين.

فذلك قوله: {حتى يَحْكُمَ الله بَيْنَنَا} يعني: حتى يقضي الله بين المؤمنين وبين الكافرين {وَهُوَ خَيْرُ الحاكمين} أي أعدل العادلين.

{قَالَ الملا الذين استكبروا مِن قَوْمِهِ} يعني: الأشراف والرؤساء تعظموا عن الإيمان من قومه {لَنُخْرِجَنَّكَ ياشعيب والذين ءامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} أي لتدخلنا في ديننا الذي نحن عليه. ويقال: هذا الخطاب لقومه الذين آمنوا لترجعن إلى ديننا كما كنتم {قَالَ} لهم شعيب {أَوْ لَوْ كُنَّا كارهين} يعني: أتجبروننا على ذلك؟ قالوا: نعم قال لهم شعيب: {قَدِ افترينا عَلَى الله كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ} يقول: قد اختلقنا على الله كذباً إن دخلنا في دينكم {بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا الله مِنْهَا} يقول: إن الله تعالى أكرمنا بالإسلام وأنقذنا من ملّتكم. يقال: معناه كنا كاذبين مثلكم لو دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها. ويقال: أكرمنا الله تعالى بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر فأنقذنا وأبعدنا من ملتكم. {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلا أَن يَشَاء الله} يعني: ما ينبغي لنا وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم إلا أن يشاء الله {رَبَّنَا} دخولنا فيها وأن ينزع المعرفة من قلوبنا. ويقال: معناه وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها. ويقال: معناه إلا أن يشاء الله يعني: لا يشاء الله الكفر مثل قولك. لا أكلمك حتى يبيض القار، وحتى يشيب الغراب، وهذا طريق المعتزلة.

ثم قال: {وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْء عِلْمًا} يعني: علم ما يكون منا ومن الخلق {عَلَى الله تَوَكَّلْنَا} أي فوضنا أمرنا إلى الله لقولهم: {لَنُخْرِجَنَّكَ ياشعيب * شُعَيْبٌ} {رَبَّنَا افتح بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بالحق} أي اقض بيننا وبين قومنا بالعدل. وروى قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى قوله: {رَبَّنَا افتح بَيْنَنَا} حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب تعال أفاتحك يعني: أخاصمك. وقال القتبي: الفتح أن تفتح شيئاً مغلقاً كقوله: {وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً حتى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أبوابها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سلام عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خالدين} [الزمر: 73] وسمي القضاء فتحاً لأن القضاء فصل للأمور وفتح لما أشكل منها {وَأَنتَ خَيْرُ الفاتحين} يعني: خير الفاصلين.

قوله تعالى: {وَقَالَ الملا الذين كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنْ اتبعتم شُعَيْبًا} أي لأن أطعتم شعيباً في دينه {إِنَّكُمْ إِذاً لخاسرون} يعني: جاهلون. فلما وعظهم شعيب، ولم يتعظوا أخبرهم أن العذاب نازل بهم.

فلم يصدقوه. فخرج شعيب ومن آمن معه من بين أظهرهم فأصابهم يعني: أهل القرية حر شديد، فخرجوا من القرية، ودخلوا غيضة كانت عند قريتهم وهي الأيكة كما قال الله

تعالى في آية أُخرى {كَذَّبَ أصحاب لْأيْكَةِ المرسلين} [الشعراء: 176] فأرسل الله تعالى ناراً فأحرقت الأشجار ومن فيها من الناس. ويقال: أصابتهم زلزلة فخرجوا، فأتتهم نار فأحرقتهم، وذلك قوله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة} يعني: الزلزلة والحر الشديد فهلكوا واحترقوا {فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جاثمين} يعني: صاروا ميتين.

قوله تعالى: {الذين كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا} يعني: كأن لم يكونوا فيها قط وقال قتادة: {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا} يعني: كأن لم يتنعموا فيها. ويقال: معناه من كان رآهم بعد إهلاكنا إياهم ظن أنه لم يكن هناك أحد يعني: لم يعيشوا. ويقال: كأن لم يعمروا.

ثم قال: {الذين كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الخاسرين} يعني: المغبونين في العقوبة، يعني: إنهم كانوا يقولون لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون. فصار الذين كذبوا هم الخاسرون لا الذين آمنوا منهم.

قوله تعالى: {فتولى عَنْهُمْ} يعني: أعرض عنهم حين خرج من بين أظهرهم {وَقَالَ يا قَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رسالات رَبّى} في نزول العذاب {وَنَصَحْتُ لَكُمْ} وقد ذكرناه {فَكَيْفَ ءاسى على قَوْمٍ كافرين} أي كيف أحزن بعد النصيحة على قوم إن عذبوا.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [94- 99]

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آَبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)}

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مّن نَّبِىٍّ إلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا} ففي الآية مضمر ومعناه: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذبوه إلا أخذنا أهلها {بالبأساء والضراء} يعني: عاقبنا أهلها بالخوف والبلاء والقحط والفقر. ويقال: البأساء ما يصيبهم من الشدة في أموالهم، والضراء ما يصيبهم في أنفسهم {لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} يعني: لكي يتضرعوا، فأدغمت التاء في الضاد وأقيم التشديد مقامه. ومعناه: لكي يدعوا ربهم ويؤمنوا بالرسل ويعرفوا ضعف معبودهم.

قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السيئة الحسنة} يعني: حولنا مكان الشدة الرخاء، ومكان الجدوبة الخصب، {حتى عَفَواْ} أي كثروا، واستغنوا، وكثرت أموالهم فلم يشكروا الله

تعالى. ويقال: حتى عفوا أي حتى سروا به {وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءابَاءنَا الضراء والسراء} أي مثل ما أصابنا مرة يكون الرخاء، ومرة يكون الشدة، {فَأَخَذْنَٰهُمُ بَغْتَةً} أي فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: أتاهم العذاب من حيث لم يعلموا به. ويقال: إن الشدة للعامة تكون تنبيهاً وزجراً. والنعمة تكون استدراجاً وأما النعمة للخاصة فهي تنبيه، لأنه بعد ذلك عقوبة. كما روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل مرحباً بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل ذنب عجلت عقوبته

قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى ءامَنُواْ واتقوا} يعني: وحّدوا الله تعالى واتقوا الشرك {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بركات مّنَ السماء والارض} يعني: أنزلنا عليهم من السماء المطر والرزق والنبات من الأرض {ولكن كَذَّبُواْ} الرسل {فأخذناهم} أي عاقبناهم {بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} من الشرك. ففي الآية دليل على أن الكفاية والسعة في الرزق من السعادة إذا كان المرء شاكراً. وتكون عقوبة له إذا لم يكن شاكراً. لأنه قال في آية أخرى: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: 33] يعني: الغنى يكون وبالاً لمن لا يشكر الله تعالى وعقوبة له.

ثم قال تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ القرى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بياتا} أي ينزل عليهم عذابنا ليلاً {وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القرى} فتحت الواو لأنها واو العطف، أدخلت عليها ألف الاستفهام. وكذلك أفأمن لأنها فاء العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. قرأ نافع وابن كثير أو أمن بجزم الواو لأن أصله أو وأمن وأو حرف من حروف الشك فأدغم في حرف النسق {أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى} يعني: يأتيهم عذابنا نهاراً {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} يعني: لاهون عنه.

ثم قال تعالى: {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ الله} يعني: عذاب الله {فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله} يعني: عذاب الله {إِلاَّ القوم الخاسرون} أي المغبونون بالعقوبة.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [100- 116]

{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ

يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116)}

{أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الارض} يعني: أو لم يبيّن. قال القتبي: أصل الهدى الإرشاد كقوله: {عسى رَبّى أَن يَهْدِيَنِى} يعني: يرشدني. ثم يصير الإرشاد لمعان منها إرشاد بيان مثل قوله {أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ} يعني: أو لم يبين لهم. ومنها إرشادٌ بمعنى بالدعاء كقوله: {وَيَقُولُ الذين كَفَرُواْ لولا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: 7] يعني: نبياً يدعوهم وقوله: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخيرات وَإِقَامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكواة وَكَانُواْ لَنَا عابدين} [الأنبياء: 73] أي يدعون الخلق. وقرأ بعضهم أو لم نهد بالنون يعني: أو لم نبين لهم الطريق. ومن قرأ بالياء معناه: أو لم يبين الله للذين يرثون الأرض من بعد أهلها يعني: ينزلون الأرض {مِن بَعْدِ} هلاك {أَهْلِهَا}. ويقول أو نبيّن لأهل مكة هلاك الأمم الخالية كيف أهلكناهم ولم يقدر مبعودهم على نصرتهم. {أَن لَّوْ نَشَاء أصبناهم بِذُنُوبِهِمْ} يعني: أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من كان قبلهم عند التكذيب.

ثم قال: {وَنَطْبَعُ على قُلُوبِهِمْ} يعني: نختم على قلوبهم بأعمالهم الخبيثة عقوبة لهم {فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} الحق ولا يقبلون المواعظ.

ثم قال عز وجل: {تِلْكَ القرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا} أي تلك القرى التي أهلكنا أهلها، نخبرك في القرآن من حديثها {وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالعلامات الواضحة، والبراهين القاطعة، التي لو اعتبروا بها لاهتدوا. {فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ} يعني: إنّ أهل مكة لم يصدقوا بما كذب به الأمم الخالية. وقال مجاهد: فما كانوا ليؤمنوا بعد العذاب بما كذبوا من قبل وهذا مثل قوله تعالى: {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لعادوا لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لكاذبون} [الأنعام: 28] وقال السدي: {فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ} أي يوم الميثاق فما كانوا ليؤمنوا في دار الدنيا بما كذبوا من قبل يوم الميثاق وأقروا به. وهو قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بنى ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ على أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بلى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين} [الأعراف: 172] ثم في الدنيا ما وجدناهم على ذلك الإقرار. ويقال: {فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ} عند مجيء الرسل {بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ} مجيء الرسل معناه أن مجيء الرسل لم ينفعهم. {كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله} يعني: هكذا يختم الله تعالى {على قُلُوبِ الكافرين} مجازاة لكفرهم. قوله تعالى: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ} مِنْ زيادة للصلة يعني: ما وجدنا لأكثرهم وفاءً فيما أمروا به يعني: الذين كذبوا من الأمم الخالية.

ويقال: {مَا وَجَدْنَا لِاكْثَرِهِم مّنْ عَهْدٍ} لأنهم أقروا يوم الميثاق، ثم نقضوا العهد حيث كفروا. ويقال: {مَا وَجَدْنَا لِاكْثَرِهِم مّنْ عَهْدٍ} أي قبول العهد الذي عاهدوا على لسان الرسل.

ثم قال: {وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لفاسقين} يعني: وقد وجدنا أكثرهم لناقضين العهد، تاركين لما أمروا به.

قوله تعالى {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم موسى} يعني: أرسلنا من بعد الرسل الذين ذكرهم في هذه السورة. ويقال: ثم بعثنا من بعد هلاكهم موسى وهو موسى بن عمران {بئاياتنا} يعني: اليد البيضاء والعصا {إلى فِرْعَوْنَ} وهو ملك مصر واسمه الوليد بن مصعب. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: كان فرعون في وقت يوسف فعاش إلى وقت موسى عليهما السلام. فبعث الله تعالى إليه موسى ليأخذ عليه الحجة. وأنكر عليه ذلك عامة المفسرين. وقالوا هو كان غيره، وكان جباراً، ظهر بمصر واستولى عليها، وأرسل الله تعالى إليه موسى فذلك قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم موسى بئاياتنا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيهِ} يعني: جنوده وأتباعه {فَظَلَمُواْ بِهَا} يعني: فجحدوا بالآيات {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} يعني: كيف صار آخر أمر المشركين. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أول الآيات العصا فضرب بها موسى باب فرعون، ففزع منها فرعون، فشاب رأسه، فاستحيا فخضب بالسواد، فأول من خضب بالسواد فرعون. قال ابن عباس: كان طول العصا عشرة أذرع على طول موسى، وكانت من آس الجنة يضرب بها الأرض فتخرج النبات، فلما دخل عليه مع هارون {وَقَالَ} له {موسى يافرعون إِنّي رَسُولٌ مِن رَّبّ العالمين} إليك قال له فرعون: كذبت. قال موسى: {حَقِيقٌ عَلَىَّ أَنْ لا أَقُولَ عَلَى الله إِلاَّ الحق} قرأ نافع حقيق علي بالتشديد. وقرأ الباقون بتخفيف على. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه واجب علي أن لا أقول، أي: واجب أن أترك القول على الله إلا الحق. ومن قرأ بالتشديد معناه: واجب علي ترك القول على الله إلا الحق. أي لا أقول على الله إلا الحق فلما كذبوه قال: إني لا أقول بغير حجة وبرهان {قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيّنَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعني: قد جئتكم بعلامة لنبوتي {فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إسراءيل} ولا تستعبدهم، لأن فرعون كان قد استعبد بني إسرائيل واتخذهم في الأعمال سخرة ف {قَالَ} له فرعون: {قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ} أي بعلامة لنبوتك {فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} بأنك رسول الله {فَأَلْقِىَ} موسى {عصاه} يعني: ألقى موسى عصاه من يده {فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} وهي أعظم الحيات، ويقال الثعبان الحية الذكر الصفراء الشقراء ويقال صارت حية من أعظم الحيات رأسها مع شرف قصر فرعون، ففتحت فاها نحو فرعون، وكان فرعون على سريره فوثب فرعون عن سريره، وهرب منها، وهرب الناس، وصاحوا إلى موسى، ونادى فرعون يا موسى خذها عني فأخذها، فإذا هي عصا بيضاء بيده كما كانت، وجعل الناس يضحكون مما يصنع موسى.

ومعنى قوله: {ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} يعني: أنها حية تسعى لا لبس فيها. فقال له فرعون: هل معك غير هذا؟ فقال: نعم {وَنَزَعَ يَدَهُ} يعني: أخرج يده أخرجها من جيبه كما قال في آية أخرى {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سواء فِى تِسْعِ ءايات إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} [النمل: 12] يعني: من غير برص {فَإِذَا هِىَ بَيْضَاء للناظرين} يعني: لها شعاع غلب على نور الشمس. ومعنى قوله: {للناظرين} يعني: يتعجب ويتحير منها الناظرون. ويقال: إن البياض من غير برص. لأن الناس يكرهون النظر إلى الأبرص، فأخبر أن ذلك بياض ينظرون إليه من غير سوء. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فصارت كما كانت.

{قَالَ الملا مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ} يعني: الأشراف والرؤساء. قال مقاتل: إن فرعون قال بهذه المقالة فصدقه قومه كما قال في سورة الشعراء: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} [الشعراء: 34] يعني: حاذق بالسحر.

ثم قال لقومه: {إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} تصديقاً لقوله: {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مّنْ أَرْضِكُمْ} بسحره يعني: من أرض مصر. فقال لهم فرعون: {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} يعني: أي فماذا تشيرون في أمره؟ ويقال: إن بعضهم قال لبعض فماذا تأمرون؟ أي ماذا ترون في أمره {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} يعني: احبسهما ولا تقتلهما. وأصله في اللغة التأخير أي أخر أمرهما حتى تجتمع السحرة فيغلبوهما. فإنك إن قتلتهما قبل أن يظهر حالهما يظن الناس أنهما صادقان. فإذا تبين كذبهما عند الناس فاقتلهما حينئذٍ. فذلك قوله: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ} أي: ابعث {فِى المدائن حاشرين} يعني: الشرط يحشرون الناس إليكم أي: {يَأْتُوكَ بِكُلّ ساحر عَلِيمٍ} أي: حاذق بالسحر قرأ ابن كثير أرجئهو بالهمزة والواو بعد الهاء. وقرأ الكسائي أرجهي إلا أنه بكسر الهاء ولا يتبع الياء. وقرأ أبو عمر وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر في إحدى الروايتين أرجئه بالهمز بغير مد والضمة. وهذه اللغات كلها مروية عن العرب. وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي بكل سَحَّار عليم على وجه المبالغة في السحر. وقرأ الباقون بكل ساحر وهكذا في يونس واتفقوا في الشعراء.

قوله تعالى: {وَجَاء السحرة فِرْعَوْنَ قَالْواْ إِنَّ لَنَا لاجْرًا} يعني: قالوا لفرعون أتعطينا جعلاً ومالاً {إِن كُنَّا نَحْنُ الغالبين} لموسى {قَالَ} لهم فرعون {نِعْمَ} لكم الجعل {وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المقربين} يعني: لكم المنزلة به سوى العطية يعني: إنكم تكونون أول من يدخل علي بالسلام قرأ أبو عمرو آينَّ لنا لأجْراً بمد الألف.

وقرأ عاصم في رواية حفص إن بهمزة واحدة بغير ياء وقرأ الباقون بهمزتين وقرأ ابن كثير ونافع إِنَّ لَنَا بهمزة واحدة بغير ياء. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي أإن لنا بهمزتين فلما اجتمع السحرة وغدوا للخروج يوماً وأعلن الناس بخروجهم ليجتمعوا عند سحرهم كما قال في آية أخرى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزينة وَأَن يُحْشَرَ الناس ضُحًى} [طه: 59]

أي: يوم عيد كان لهم ويقال: يوم النيروز. فلما اجتمعت السحرة {قَالُواْ يأَبَانَا *** موسى إَمَامًا *** أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الملقين} يعني: إما أن تطرح عصاك على الأرض وإما أن نكون نحن الملقين قبلك. {قَالَ} لهم موسى {أَلْقَوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ} يعني: السحرة ألقوا الحبال والعصي {سَحَرُواْ أَعْيُنَ الناس} أي أخذوا أعينهم بالسحر {واسترهبوهم} يعني: طلبوا رهبتهم حتى رهبهم الناس. قال الكلبي: كانت السحرة سبعين فألقوا سبعين عصا وسبعين حبلاً. وقال بعضهم: كانوا اثنين وسبعين حبلاً. وروى أسباط عن السدي قال: قال ابن عباس كانوا بضعاً وثلاثين ألفاً. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ألف رجل وخمسمائة رجل ومع كل واحد منهم عصا: وقد كانوا خاطوا الحبال وجعلوها مموهة بالرصاص وحشوها بالزئبق حتى إذا ألقوها تحركت كأنها حيات، لأن الزئبق لا يستقر في مكان واحد، فلما طلعت عليه الشمس صارت شبيهاً بالحيات فنظر موسى فإذا الوادي قد امتلأ بالحيات، فدخل فيه الخوف، ونظر الناس إلى ذلك فخافوا من كثرة الحيات. فذلك قوله: {واسترهبوهم} يعني: أفزعوهم وأخافوهم {وَجَاءو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} يعني: بسحر تام. ويقال: {وَجَاءو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} يعني: بقول عظيم حيث قالوا {فَأَلْقَوْاْ حبالهم وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَونَ إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون} [الشعراء: 44] ويقال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} حيث قالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. قال الله تعالى:

تفسير الآيات رقم [117- 127]

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآَلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)}

{وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} يعني: اطرح عصاك إلى الأرض فألقى عصاه من يده فصارت حية أعظم من جميع حياتهم {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} يعني: تلتقم وتأكل جميع ما جاؤوا به من الكذب والسحر. قرأ عاصم في رواية حفص تَلْقَفْ بجزم اللام والتخفيف. وقرأ الباقون بنصب اللام وتشديد القاف، ومعناهما واحد.

ثم إن الحية قصدت إلى فرعون، فنادى موسى فأخذها، فإذا هي عصا على حالها فنظرت السحرة فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت {فَوَقَعَ الحق} أي استبان الحق وظهر أنه ليس

بسحر {وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من السحر أي: ذهب وهلك واضمحل {فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ} أي وغَلَب موسى السحرة عند ذلك {وانقلبوا صاغرين} يعني: رجعوا ذليلين.

قالوا: لو كان هذا سحراً فأين صارت حبالنا وعصينا. ولو كانت سحراً لبقيت حبالنا وعصينا وهذا من الله تعالى وليس بسحر. فآمنوا بموسى. قوله تعالى: {وَأُلْقِىَ السحرة ساجدين} يعني: خروا ساجدين لله تعالى. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا. ويقال: وفّقهم الله تعالى للسجود {قَالُواْ ءامَنَّا بِرَبّ العالمين} فقال لهم فرعون: إياي تعنون. فأراد أن يلبس على قومه فقالوا: {رَبّ موسى وهارون} فقدم فرعون لما سألهم، لأن بعض الناس كانوا يظنون عند مقالتهم رب العالمين أنهم أرادوا به فرعون. فلما سألهم فرعون وقالوا: برب موسى وهارون، ظهر عند جميع الناس أنهم لم يريدوا به فرعون، وإنما أرادوا به الإيمان بموسى وبرب العالمين.

{قَالَ فِرْعَوْنُ ءامَنتُمْ بِهِ} يعني: صدقتم بموسى {قَبْلَ أَنْ ءاذَنَ لَكُمْ} يعني: قبل أن آمركم بالإيمان بموسى. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر آمنتم. وقرأ الباقون بغير مد بهمزتين ومعناهما واحد ويكون استفهاماً. إلا عاصم في رواية حفص قرأ آمنتم بهمزة واحدة بغير مد على وجه الخبر.

{إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى المدينة} يعني: صنعاً صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في المدينة {لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا} يعني: إنكم أردتم أن تخرجوا الناس من مصر بسحركم.

ثم قال لهم: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} يعني: تعلمون ماذا أفعل بكم {لاقَطّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ} يعني: اليد اليمنى والرجل اليسرى {ثُمَّ لاَصَلّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} على شاطئ نهر مصر {قَالُواْ إِنَّا إلى رَبّنَا مُنقَلِبُونَ} أي: لا نبالي من عقوبتك وفعلك فإن مرجعنا إلى الله تعالى يوم القيامة.

قال تعالى: {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا} يعني: وما تعيب علينا، وما تنكر منا إلا إيماننا بالله تعالى. ويقال: وما نقمتك علينا ولم يكن منا ذنب {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلا لَمَّا جَاءتْنَا} يعني: لما ظهر عندنا أنه حق.

ثم سألوا الله تعالى الصبر على ما يصيبهم لكي لا يرجعوا عن دينهم فقالوا: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} يعني: أنزل علينا صبراً عند القطع والصلب، ومعناه: ارزقنا الصبر وثبت قلوبنا حتى لا نرجع كفاراً {وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} على دين موسى. وروي عن عبيد الله بن عمير أنه قال: كانت السحرة أول النهار كفاراً فجرة، وآخر النهار شهداء بررة. وقال بعض الحكماء: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟.

قوله تعالى {وَقَالَ الملا مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ موسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِى الارض} يعني: إن السحرة قد آمنوا به فلو تركتهما يؤمن بهما جميع أهل مصر، فيفسدوا في الأرض يعني: موسى وقومه ويغيروا عليك دينك في أرض مصر {وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَكَ} وذلك أن فرعون كان قد جعل لقومه أصناماً يعبدونها، وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار، وأنا ربكم الأعلى. فذلك قوله تعالى: {وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَكَ} يعني: يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها. وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ {وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَكَ} يعني: عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس: كان فرعون يُعْبد ولا يَعْبُد. ويقال: معنى قوله: {أَتَذَرُ موسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِى الارض} يعني: يغلبوا عليكم، ويقتلون أبناءكم، ويستحيون نساءكم كما فعلتم بهم كما قال في آية أخرى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذرونى أَقْتُلْ موسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إنى أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الارض الفساد} [غافر: 26] فقال لهم فرعون: {سَنُقَتّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَاءهُمْ} لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء، فأمرهم أن يرجعوا إلى ذلك الفعل. قرأ ابن كثير ونافع {سَنُقْتّلُ أَبْنَاءهُمْ} بجزم القاف والتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة في القتل.

ثم قال: {وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهرون} أي: مسلطون فشكت بنو إسرائيل إلى موسى:

تفسير الآيات رقم [128- 131]

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131)}

{قَالَ موسى لِقَوْمِهِ استعينوا بالله} يعني: سلوا الله التوفيق {واصبروا} يعني: اصبروا على أذاهم حتى يأتيكم الفرج {إِنَّ الارض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} يعني: أرض مصر ينزلها من يشاء من عباده ويقال الجنة قرأ عاصم في رواية حفص بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. وهما لغتان ورّث وأوْرَث بمعنى واحد.

ثم قال: {والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ} أي الذين يعملون في طاعة الله تعالى على نور من الله مخافة عقاب الله ورجاء ثواب الله تعالى، أي آخر الأمر لهم. وروي في الخبر أن مسيلمة الكذاب كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد. فإن الأرض بيني وبينكم نصفان إلا أن العرب قوم يظلمون الناس فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ. أمَّا بَعْدُ فَإنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ «

قوله تعالى: {قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا} يعني: إن قوم موسى قالوا لموسى: إنهم قد عذبوا قبل أن تأتينا بالرسالة {وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} لأن قوم فرعون كانوا يكلفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقون، وكان آل فرعون لا يعرفون شيئاً من الأعمال، وكان بنو إسرائيل حذاقاً في الأشياء والأعمال، فكانوا يأمرونهم بالعمل ولا يعطونهم الأجر. {فَقَالَ} لهم موسى {عسى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} يعني: فرعون وقومه {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الارض} أي: يجعلكم سكاناً في أرض مصر من بعد هلاكهم يعني: من بعد هلاك فرعون وقومه {فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} يعني: يبتليكم بالنعمة كما ابتلاكم بالشدة، فيظهر عملكم في حال اليسر والشدة، لأنه قد وعد لهم بقوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذين استضعفوا فِى الارض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارثين} [القصص: 5].

ويقال: فينظر كيف تعملون من بعده يعني: من بعد انطلاق موسى إلى الجبل فعبدوا العجل.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءالَ فِرْعَوْنَ بالسنين} أي: بالجوع والقحط {وَنَقْصٍ مّن الثمرات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أي يتعظون ويؤمنون فلم يتعظوا. قال الله تعالى: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الحسنة} يعني: الخير والخصب والرخاء {قَالُواْ لَنَا هذه} يعني: نحن أهل لهذه الحسنة وأحق بها {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ} يعني: القحط والبلاء والشدة {يَطَّيَّرُواْ بموسى وَمَن مَّعَهُ} وأصله يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء. كقوله: {يَذَّكَّرُونَ} أي يتشاءمون بموسى ومن معه على دينه. قال الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ الله} يعني: إن الذي أصابهم من عند الله وبفعلهم. ويقال: إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أنه من الله تعالى ولا يعلمون ما عليهم في الآخرة.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [132- 137]

{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آَيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)}

{وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءايَةٍ} يقول: متى ما تأتنا. ويقال: كلما تأتينا. وروي عن الخليل أنه قال: مهما تأتنا أصلها الشرطية أدخلت معها ما الزائدة كقوله متى ما تأتني آتك. وما زائدة فكأنه قال: ما تأتنا به فأبدلوا الهاء من الألف، وهكذا قال الزجاج.

{بِهِ مِن ءايَةٍ} يعني: بشيء من آية {لّتَسْحَرَنَا بِهَا} يعني: لتأخذ أعيننا بها {فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} يعني: بمصدقين بأنك مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب موسى عند ذلك فدعا عليهم. قال الله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطوفان} وهو المطر الدائم من السبت إلى السبت حتى خربت بنيانهم وانقطعت السبل وكادت أن تصير مصر بحراً واحداً، فخافوا الغرق، فاستغاثوا بموسى، فأرسلوا إليه اكشف عنا العذاب نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فكشف عنهم المطر، وأرسل الله عليهم الريح فجففت الأرض فخرج من النبات شيء لم يروا مثله بمصر قط. قالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا ولكنا لم نشعر به. فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فنقضوا العهد، وعصوا ربهم، فمكثوا شهراً، فدعا عليهم موسى فأرسل الله تعالى عليهم الجراد مثل الليل، فكانوا لا يرون الأرض، ولا السماء من كثرتها، فأكل كل شيء أنبتته الأرض. فاستغاثوا بموسى {وَقَالُواْ ياأيه الساحر ادع لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} [الزخرف: 49] يعني: يا أيها العالم سل لنا ربك ليكشف عنا العذاب، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فأرسل الله تعالى ريحاً فاحتملت الجراد وألقته في البحر فلم يبق في أرض مصر جرادة واحدة. فقال لهم فرعون: انظروا هل بقي شيء؟ فنظروا فإذا هو قد بقي لهم بقية من كلئهم وزرعهم ما يكفيهم عامهم ذلك. قالوا: قد بقي لنا ما فيه بلغتنا هذه السنة. فقالوا: يا موسى لا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فمكثوا شهراً ثم دعا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم القُمَّل. قال قتادة: القمل أولاد الجرادة التي لا تطير وهكذا قال السدي. وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: القمل عند العرب الحمنان وهو ضرب من القردان فلم يبق من الأرض عود أخضر إلا أكلته. فأتاهم منه مثل السيل على وجه الأرض، فأكل كل شيء في أرض مصر من نبات الأرض أو ثمر فصاحوا إلى موسى، واستغاثوا به، وقالوا: ادع لنا ربك هذه المرة يكشف عنا العذاب ونحن نطيعك ونعطيك عهداً وموثقاً لنؤمنن بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأرسل الله تعالى ريحاً حارة فأحرقته فلم يبق منه شيء، وحملته الريح، فألقته في البحر، فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل؟ فقالوا له: قد ذهبت الأنزال كلها فأيش تفعل بعد هذا؟ فعلى أي شيء نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل؟ اذهب فما استطعت أن تضر بنا فافعل.

فمكثوا شهراً فدعا الله تعالى عليهم موسى، فأرسل الله تعالى عليهم آية وهي الضفادع، فخرجوا من البحر، مثل الليل الدامس، فغشوا أهل مصر، ودخلوا البيوت، ووقفوا على ثيابهم، وسررهم، وفرشهم، وكان الرجل منهم يستيقظ بالليل فيجد فراشه وقد امتلأ من الضفادع، فكان الرجل يكلم صاحبه في الطريق يجعل فمه في أذنه ليسمع كلامه من كثرة نعيق الضفادع. فضاق الأمر عليهم فصاحوا إلى موسى فقالوا يا موسى: لئن رفعت عنا

هذه الضفادع لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا لهم موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الضفادع. فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل فقالوا: نعم اخرج بهم ولا تخرج معهم بشيء من مواشيهم وأموالهم. فقال لهم موسى: إن الله أمرني أن أخرج بهم ولا أخلف من أموالهم ومواشيهم شيئاً. فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فمكثوا شهراً، فدعا عليهم، فأرسل الله تعالى عليهم الدم، فجرت أنهارهم دماء، فلم يكونوا يقدرون على الماء العذب ولا غيره، وبنو إسرائيل في الماء العذب. وكلما دخل رجل من آل فرعون ليستقي من أنهار بني إسرائيل. صار الماء دماً من بين يديه، ومن خلفه. فركب فرعون وأشراف أصحابه حتى أتوا أنهار بني إسرائيل فإذا هي عذبة صافية. فجعل فرعون يدخل الرجل منهم، فإذا دخل واغترف صار الماء في يده دماً. فمكثوا كذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فمات كثير منهم في ذلك. فاستغاثوا بموسى فقال فرعون: اقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا الرجز، لنؤمننّ بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الدم، وعذب ماؤهم وصفي. فعادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ءايات مّفَصَّلاَتٍ} يعني: متتابعات قال الحسن وسعيد بن جبير وغيرهما قالوا: مما كانوا يعافون بين كل آيتين شهراً فإذا جاءت الآية، قامت عليهم سبعاً من السبت إلى السبت. وروي عن مجاهد أنه قال: الطوفان المطر الكثير وقوله آيات صارت نصباً للحال.

وقوله تعالى: {فاستكبروا} يعني: تعظّموا عن الإيمان {وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ} يعني: أقاموا على كفرهم.

قوله تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرجز} يعني: وجب عليهم العذاب وحل بهم {قَالُواْ يا موسى ادع لَنَا رَبَّكَ} يعني: سل لنا ربك {بِمَا عَهِدَ عِندَكَ} أي: بما أمرك ربك أن تدعو الله ويقال: بالعهد الذي سأل ربك {لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرجز} أي: رفعت عنا العذاب {لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} يعني: لنصدقنك {وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إسراءيل} قال الله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرجز} يعني: العذاب {إلى أَجَلٍ هُم بالغوه} يعني: إلى وقت الغرق.

ويقال: إلى بقية آجالهم {إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} يعني: ينقضون العهد الذي عاهدوا عليه مع موسى.

قال الله تعالى: {فانتقمنا مِنْهُمْ فأغرقناهم فِي اليم} يعني في البحر بلسان العبرانية. وذلك أن الله تعالى أمر موسى بأن يخرج ببني إسرائيل من أرض مصر ليلاً، فاستعارت نسوة بني إسرائيل من نساء آل فرعون حليهن وثيابهن، وقلن: إن لنا خروجاً فخرج موسى ببني إسرائيل في أول الليل وهم ستمائة ألف من رجل وامرأة وصبي. فذكر ذلك لفرعون. فتهيأ للخروج إليهم فلما كان وقت الصبح ركب فرعون ومعه ألف ألف رجل، ومائتا ألف رجل، فأدركهم حين طلعت الشمس وانتهى موسى إلى البحر؛ فضرب البحر

فانفلق له اثنا عشر طريقاً. وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً. فعبر كل سبط في طريق، وأقبل فرعون ومن معه حتى انتهوا إلى حيث عبر موسى، فدخلوا تلك الطريق في طلبهم فلما دخل آخرهم وهمّ أولهم أن يخرج، أمر الله تعالي أن ينطبق عليهم فغرقهم. فذلك قوله تعالى: {فانتقمنا مِنْهُمْ فأغرقناهم فِي اليم بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: الآيات التسع وهي اليد والعصا والسنون ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات {وَكَانُواْ عَنْهَا غافلين} يعني: معرضين. فلم يتفكروا ولم يعتبروا بها حتى رجع موسى ببني إسرائيل، فسكنوا أرض مصر فذلك قوله: {وَأَوْرَثْنَا القوم} يعني: بني إسرائيل {الذين كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مشارق الارض} أي: الأرض المقدسة {ومغاربها} يعني: الأردن وفلسطين. ويقال: مشارق الأرض يعني: الشام ومغاربها {التى بَارَكْنَا فِيهَا} يعني بالبركة الماء والثمار الكثيرة {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ الحسنى} يقول: وجبت نصرة ربك بالإحسان {على بَنِى إسراءيل} قال مجاهد: هو ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم في الأرض. وقال مقاتل: يعني: بالكلمة التي ذكرها في سورة القصص {أولئك يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَؤُنَ بالحسنة السيئة وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} [القصص: 5] وقال الكلبي: وتمت كلمة ربك يعني: نعمة ربك الحسنى. يعني: أنهم يجزون الحسنى الجنة {بِمَا صَبَرُواْ} ولم يدخلوا في دين فرعون. ويقال: وتمت كلمة ربك أي: ما وعدهم الله من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض.

ثم قال: {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ} يعني: أهلكنا ما كان يعمل فرعون، وأبطلنا كيده ومكره. {وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} يعني: أهلكنا ما كانوا يبنون من البيوت والكروم. وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {يَعْرِشُونَ} بضم الراء. وقرأ الباقون بالكسر ومعناهما واحد.

قوله تعالى:

صفحه 20 نداءِ ايمان

▲ تفسير الآيات رقم [138- 141]

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)}

{وجاوزنا بِبَنِى إِسْرءيلَ البحر فَأَتَوْاْ على قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أَصْنَامٍ لَّهُمْ} يقول: مروا على قوم يعني: يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها، وكل من يلازم شيئاً ويواظب عليه يقال: عكفه. ولهذا سمي الملازم للمسجد معتكفاً {قَالُواْ يَا موسى اجعل لَّنَا إلها} قال الجهال من بني إسرائيل لموسى {اجعل لَّنَا إلها} نعبده {كَمَا لَهُمْ ءالِهَةٌ} يعبدونها {قَالَ} لهم موسى: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} يعني: تكلمتم بغير علم وعقل، وجهلتم الأمر.

قوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ} يعني: مهلك مفسد ما هم فيه من عبادة الأصنام {وباطل} يعني: ضلال {مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} والتبار: الهلاك. كقوله تعالى: {رَّبِّ اغفر لِى ولوالدى وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات وَلاَ تَزِدِ الظالمين إِلاَّ تَبَاراً} [نوح: 28] أي: هلاكاً. ثم {قَالَ} لهم {أَغَيْرَ الله أَبْغِيكُمْ إلها} يعني: أسوى الله آمركم أن تعبدوا وتتخذوا إلها {وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى العالمين} يعني: على عالمي زمانكم. يعني: أنه قد أحسن إليكم فلا تعرفون إحسانه، وتطلبون عبادة غيره. وهم الذين كانوا أجابوا السامري حين دعاهم إلى عبادة العجل بعد انطلاق موسى إلى الجبل.

ثم ذكر النعم فقال تعالى: {وَإِذْ أنجيناكم} من آل فرعون يعني: اذكروا حين أنجاكم الله من آل فرعون: وقرأ ابن عامر وإذْ أَنْجَاكُمْ يعني: اذكروا حين أنجاكم الله {مّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ} وقرأ الباقون {وَإِذْ أنجيناكم} ومعناه مثل ذلك {يَسُومُونَكُمْ سُوء العذاب} يعني: يعذبونكم بأشد العذاب {يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ} يعني: يستخدمون نساءكم {وَفِى ذلكم بَلاء مّن رَّبّكُمْ عَظِيمٌ} أي: الإنجاء نعمة من ربكم عظيمة. ويقال: في قتل الأبناء واستخدام النساء بلية من ربكم عظيمة. قرأ نافع {يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ} بنصب الياء مع التخفيف. وقرأ الباقون بضم الياء وكسر التاء مع التشديد. يُقَتِّلُونَ على معنى التكثير. وقرأ حمزة والكسائي يَعْكِفُونَ بكسر الكاف وقرأ الباقون بالضم يَعْكُفُونَ.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [142- 144]

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)}

{وواعدنا موسى ثلاثين لَيْلَةً} قرأ أبو عمرو وَوَعَدْنَا بغير ألف، والباقون بالألف ومعناهما واحد. {وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} يعني: ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة.

ويقال: ثلاثين من ذي الحجة وعشر من المحرم. والمناجاة في يوم عاشوراء. وكانت المواعدة ثلاثين يوماً وأمر بأن يصوم ثلاثين يوماً، فلما صام ثلاثين يوماً، أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب وقيل: بورقة موز، فقالت له الملائكة: كنا نجد من فيك ريح المسك فأفسدته بالسواك فأمر بأن يصوم عشراً أخر، فصارت الجملة أربعين يوماً. كما قال في آية أخرى {وَإِذْ واعدنا موسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتخذتم العجل مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظالمون} [البقرة: 51] يعني: صارت في الجملة أربعين ولكن مرة ثلاثين يوماً، ومرة عشرة. {فَتَمَّ ميقات رَبّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} يعني: ميعاد ربه أربعين ليلة. يعني: ميعاد ربه.

{وَقَالَ موسى لاِخِيهِ هارون اخلفنى} يعني: قال له قبل انطلاقه إلى الجبل: اخلفني {فِى قَوْمِى} أي كن خليفتي على قومي {وَأَصْلَحَ} يعني: مرهم بالصلاح. ويقال: وأصلح بينهم. ويقال: ارفق لهم {وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المفسدين} أي ولا تتبع سبيل أي طريق العاصين، ولا ترضى به. واتّبع سبيل المطيعين. وقال بعض الحكماء: من ها هنا ترك قومه عبادة الله وعبدوا العجل، لأنه سلمهم إلى هارون ولم يسلمهم إلى ربهم. ولهذا لم يستخلف النبي بعده. وسلم أمر أمته إلى الله تعالى. فاختار الله لأمته أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فأصلح بينهم.

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاء موسى لميقاتنا} يعني: لميعادنا لتمام أربعين يوماً. ويقال: لميقاتنا أي للوقت الذي وقّتنا له.

{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} فسمع موسى كلام الله تعالى بغير وحي، فاشتاق إلى رؤيته {قَالَ رَبّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ} انظر صار جزماً لأنه جواب الأمر {قَالَ} له ربه: {لَن تَرَانِى} يعني: إنك لن تراني في الدنيا {ولكن انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} يعني: انظر إلى أعظم جبل بمدين {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى} يعني: سوف تقدر أن تراني إن استقر الجبل مكانه. معناه: كما أن الجبل لا يستقر لرؤيتي فإنك لن تطيق رؤيتي {فَلَمَّا تجلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} قال الضحاك: ألقى عليه من نوره فاضطرب الجبل من هيبته يعني: من رهبة الله تعالى. وقال القتبي: تجلى ربه للجبل أي ظهر وأظهر من أمره ما شاء. يقال: جلوت المرأة والسيف إذا أبرزته من الصدأ وكشف عنه. وجلوت العروس إذا أبرزتها. {فَلَمَّا تجلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} أي: جبل زبير {جَعَلَهُ دَكّا} قرأ حمزة والكسائي جعله دكاء بالهمز يعني: جعله أرضاً دكاء.

وقرأ الباقون دَكّاً بالتنوين يعني: دَكَّه دَكّاً. قال بعضهم: صار الجبل قطعاً، فصار على ثمان قطع. فوقع ثلاث بمكة وثلاث بالمدينة واثنان بالشام. ويقال: صار ستة فرق. ويقال: صار أربع فرق. ويقال: صار كله رملاً عالجاً أي ليناً. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: جعله دكاً أي تراباً، وقال القتبي: جعله دكاً أي ألصقه بالأرض. ويقال: ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام أي تراباً. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: لما سأل موسى النظر إلى ربه أمر الله الضباب والصواعق والظلمات والرعد والبرق فهبطن حتى أحطن بالجبل،

وأمر الله تعالى ملائكة السموات فهبطوا، وارتعدت فرائص موسى وتغير لونه. فقال له جبريل: اصبر لما سألت ربك، فإنما رأيت قليلاً من كثير فلما غشي الجبل النور، خمد كل شيء، وانقطعت أصوات الملائكة وانهار الجبل من خشية الله تعالى. حتى صار دكاً.

قوله تعالى: {وَخَرَّ موسى صَعِقًا} قال مقاتل: يعني ميتاً. كقوله عز وجل: {فَصَعِقَ مَن فِى *** السموات} يعني: مات. ويقال: وخر موسى صعقاً أي مغشياً عليه {فَلَمَّا أَفَاقَ} من غشيانه قال مقاتل: رد الله حياته إليه {قَالَ سبحانك} أي تنزيهاً لك {تُبْتُ إِلَيْكَ} من قولي {وَأَنَاْ أَوَّلُ المؤمنين}. روى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: قد كان قبله من المؤمنين. ولكن يقول أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة. وقال مقاتل: أول المؤمنين بأنك لا تُرى في الدنيا. وقال القتبي: أراد به في زمانه كقوله: {يابنى إسراءيل اذكروا نِعْمَتِى التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين} [البقرة: 47] ويقال: معناه تبت إليك بأن لا أسألك بعد هذا سؤالاً محالاً. فاعترف أنه طلب شيئاً في غير حينه وأوانه ووقته. وقال الزجاج: قد قال موسى: {أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ} أرني أمراً عظيماً لا يرى مثله في الدنيا مما لا تحتمل عليه نفسي {فَلَمَّا تجلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} أي: أمر ربه قال: وهذا خطأ. ولكن لما سمع كلامه قال يا رب: إنّي سمعت كلامك وأحب أن أراك.

قوله تعالى: {قَالَ يا موسى إِنّى *** اصطفيتك عَلَى الناس برسالاتي} يعني: بنبوتي. قرأ ابن كثير ونافع برسَالَتِي. وقرأ الباقون برسَالاتي بلفظ الجماعة ومعناهما واحد أي: اختصصتك بالنبوة. {وبكلامي} أي بتكلمي معك من غير وحي {فَخُذْ مَا ءاتَيْتُكَ} أي: اعمل بما أعطيتك {وَكُنْ مّنَ الشاكرين} لما أعطيتك. وقال القتبي: قوله {وَأَنَاْ أَوَّلُ المؤمنين} أراد به في زمانه كقوله {وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين} [البقرة: 47].

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [145- 147]

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145) سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147)}

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الالواح} روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أعطى الله تعالى موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد فيها تبيان لكل شيء

وموعظة. قال: التوراة مكتوبة. ويقال: طول الألواح عشرة أذرع {مِن كُلّ شَئ مَّوْعِظَةً} من الجهل {وَتَفْصِيلاً لّكُلّ شَئ} يعني: تبياناً لكل شيء من الحلال والحرام. قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القاري قال: حدثنا أبو بكر بن أبي العوام. قال: حدثنا أبي قال: حدثنا يحيى بن سابق عن خيثمة بن خليفة عن ربيعة عن أبي جعفر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَانَ فِيمَا أَعْطَى الله مُوسَى فِي الأَلْوَاحِ عَشَرَة أَبْوَابٍ: يا مُوسَى لا تُشْرِكْ بي شَيْئاً، فَقَدْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَتَلْفَحَنَّ وُجُوهَ المُشْرِكِينَ النَّارُ، وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ، أَقِكَ المَتَالِفَ، وَأُنسِئ لَكَ فِي عُمُرِكَ، وَأُحْيِيكَ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَأَقْلِبُكَ إِلَى خَيْرٍ مِنْهَا، وَلا تَقْتُلِ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمْتُهَا إلاَّ بالحَقِّ، فَتَضِيقَ عَلَيْكَ الأَرْضِ بِرُحْبِهَا، وَالسَّمَاءُ بِأَقْطَارِهَا، وَتَبُوءَ بِسَخْطِي وَنَارِي، وَلا تَحْلِفْ بِاسْمِي كَاذِباً فَإِنِّي لا أُطَهِّرُ ولا أُزَكِّي مَنْ لَمْ يُنَزِّهْنِي، وَلَمْ يُعَظِّمْ أَسْمَائِي، وَلا تَحْسُدِ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ الحَاسِدَ عَدُوٌّ لِنِعْمَتِي، رَادٌّ لِقَضَائِي، سَاخِطٌ لِقِسْمَتِي، الَّتي أَقْسِمُ بَيْنَ عِبَادِي، ولا تَشْهَدْ بِمَا لَمِ يَقَعْ بِسَمْعِكَ، وَيَحْفَظْ قَلْبُكَ، فَإنِّي لوَاقِفٌ أَهْلَ الشَّهَادَاتِ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ أَسَأَلُهُمْ عَنْهَا سُؤَالاً حَثِيثاً، وَلاَ تَزْنِ، وَلاَ تَسْرِقْ، فَأَحْجُبَ عَنْكَ وَجْهِي، وَأُغْلِقَ عَنْكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَأَحْبِبْ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. ولا تُذَكِّ لِغَيْرِي، فَإِنِّي لا أَقْبَلُ مِنَ القُربَانِ إلاَّ ما ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمِي، وَكَانَ خَالِصاً لِوَجْهِي، وَتَفَرَّغْ لِي يَوْمَ السَّبْتِ وَجَمِيعُ أَهْلِ بَيْتِكَ» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَ يَوْمُ السَّبْتِ لِمُوسَى عِيداً وَاخْتَارَ لَنَا يَوْمَ الجُمُعَةِ فَجَعَلَها لنا عِيداً «

قوله تعالى: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} يعني: اعمل بما أمرك الله بجد ومواظبة عليها {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا} أي يعملون بما فيها من الحلال والحرام. ويقال: امرهم بالخير وانههم عن الشر: يعني: اعملوا بالخير وامتنعوا عن الشر. ويقال: اعملوا بأحسن الوجوه وهو أنه لو يكافئ ظالمه وينتقم منه جاز، ولو تجاوز كان أحسن وقال الكلبي: كان موسى عليه السلام أشد عبادةً من قومه. فأمر بما لم يؤمروا به. يعني: أمر بأن يعمل بالمواظبة، وأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن الفعل.

ثم قال: {سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الفاسقين} قال مقاتل: يعني: سنة أهل مصر يعني: هلاكهم حين قذفهم البحر فأراهم سنة الفاسقين في التقديم.

ويقال: جهنم هي دارُ الكافرين. ويقال: إذا سافروا أراهم منازل عاد وثمود. وقال مجاهد: مصيرهم في الآخر إلى النار.

قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءاياتي الذين يَتَكَبَّرُونَ} يعني: أصرف قلوب الذين يتكبرون عن الإيمان حتى لا يؤمنوا. فأخذلهم بكفرهم ولا أوفقهم بتكذيبهم الأنبياء مجازاة لهم. ويقال: أمنع قلوبهم من التفكر في أمر الدين وفي خلق السموات والأرض الذين يتكبرون. {فِى الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: يتعظمون عن الإيمان لكي لا يتفكروا في السماء، ولا يعقلون فيها، ولا يذكرونها. ويقال: سأصرف عن النعماء التي أعطيتها

المؤمنين يوم القيامة أصرف عنهم تلك النعمة {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} امتنعوا منها كي {لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرشد} يعني: طريق الحق الإسلام {لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} يعني: لا يتخذوه ديناً {وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الغى} يعني: طريق الضلالة والكفر {يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} أي ديناً ويتّبعونه {ذلك بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بئاياتنا} قال مقاتل: أي بآياتنا التسع وقال الكلبي: يعني: بمحمد والقرآن {وَكَانُواْ عَنْهَا غافلين} يعني: تاركين لها. قرأ حمزة والكسائي {سَبِيلَ الرشد} بنصب الراء، والشين، وقرأ الباقون {الرشد} بضم الراء وإسكان الشين وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم قال عز وجل: {والذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} أي بمحمد والقرآن {وَلِقَاء الاخرة} يعني: كذبوا بالبعث بعد الموت {حَبِطَتْ أعمالهم} يعني: بطلت حسناتهم {هَلْ يُجْزَوْنَ} أي هل يثابون {إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: في الدنيا.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [148- 151]

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)}

{واتخذ قَوْمُ موسى مِن بَعْدِهِ} يعني: من بعد انطلاقه إلى الجبل، وذلك أن موسى عليه السلام لما وعد لقومه ثلاثين يوماً فتأخر عن ذلك، قال السامري لقوم موسى: إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون، فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة، ومنع الله عنا موسى. فاجمعوا الحلي الذي أخذتم من آل فرعون حتى نحرقها، فلعل الله تعالى يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صائغاً، فجعل الحلي في النار واتخذ {مِنْ حُلِيّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ} وقد كان رأى جبريل على فرس الحياة، فكلما وضع الفرس حافره ظهر النبات في موضع حافره. فأخذ كفاً من أثر حافره من التراب وألقى ذلك التراب في العجل. فصار العجل من حليهم عجلاً جسداً. قال الزجاج: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما معنى الجسد معنى الجثة فقط. وروي عن ابن عباس قال صار عجلاً له لحم ودم وله خوار يعني: صوت مثل صوت العجل ولم يسمع منه إلا صوت واحد. وقال بعضهم: سمع منه صوت ولم يسمع منه إلا مثل صوت العجل. وقال بعضهم: جعله مشتبكاً فدخل فيه الريح فسمع منه صوت مثل صوت العجل. فقال لقومه: هذا إلهكم وإله موسى، فاغترّ

به الجهال من بني إسرائيل وعبدوه. قال الله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ} يعني: لا يقدر على أن يكلمهم {وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً} يعني: لا يرشدهم طريقاً {اتخذوه وَكَانُواْ ظالمين} يعني: كافرين بعبادتهم. وقرأ حمزة والكسائي {مِنْ حُلِيِّهِمْ} بكسر الحاء. وقرأ الباقون {مِنْ حُلِيِّهِمْ} بضم الحاء. فمن قرأ بالكسر فهو اسم لما يحسن به من الذهب والفضة. ومن قرأ بالضم، فهو جمع الحَلْي ويقال: كلاهما جمع الحَلْي وأصله الضم إلا أن من كسر فلاتباع الكسرة بالكسرة.

قوله تعالى: {وَلَمَّا سُقِطَ فَى أَيْدِيهِمْ} يعني: ندموا على ما صنعوا. يقال: سقط في يده إذا ندم. وأصله أن الإنسان إذا ندم جعل يده على رأسه.

{وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ} أي علموا أنهم قد ضلوا عن الهدى {قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} قرأ حمزة والكسائي {لَئِن لَّمْ} بالتاء على معنى المخاطبة رَبَّنَا بالنصب يعني: يا ربنا. وقرأ الباقون {قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} بالياء وضم الباء على معنى الخبر. {وَيَغْفِرْ لَنَا} بعد التوبة عطف على قوله {لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} {لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} يعني: من المغبونين.

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ} يعني: من الجبل {غضبان أَسِفًا} يعني: حزيناً. ويقال: الأسف في اللغة شدة الغضب. ومنه قوله تعالى:

{فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتقمنا مِنْهُمْ فأغرقناهم أَجْمَعِينَ} [الزخرف: 55] ويقال: أشد الحزن كقوله: {وتولى عَنْهُمْ وَقَالَ ياأسفا عَلَى يُوسُفَ وابيضت عَيْنَاهُ مِنَ الحزن فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: 84] {قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى} يعني: بعبادة العجل يعني: بئسما فعلتم في غيبتي {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} يعني: استعجلتم ميعاد ربكم. ويقال: أعصيتم أمر ربكم. ويقال: معناه {أَعَجِلْتُمْ} بالفعل الذي استوجبتم به عقوبة ربكم {وَأَلْقَى الالواح} من يده. قال الكلبي: انكسرت الألواح وصعد عامة الكلام الذي كان فيها من كلام الله تعالى إلى السماء. وقال بعضهم: هذا الكلام في ظاهره غير سديد. لأن الكلام صفة والصفة لا تفارق الموصوف. فلا يجوز أن يقال: الكلام يصعد ويذهب. ولكن تأويله أن الألواح لما انكسرت ذهب أثر المكتوب منها وهذا إذا كان غير الأحكام. وأما الأحكام أيضاً فلا يجوز أن تذهب عنه وإنما أراد بذلك حجة عليهم. وروي في الخبر: أن الله تعالى أخبر موسى أن قومه عبدوا العجل. قال موسى: يا رب من اتخذ لهم العجل؟ قال: السامري. قال: ومن جعل فيه الروح؟ قال: أنا. قال: فأنت فتنت قومي؟. قال له ربه: تركتهم لمرادهم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَيْسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ» لما أخبر الله تعالى بأن قومه قد عبدوا العجل لم يلق الألواح. فلما عاين ألقى الألواح.

ثم قال: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ} يعني: أخذ بشعر رأسه ولحيته {يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابن أُمَّ} يعني: قال له هارون: يا ابن أمي لا تأخذ بلحيتي. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم

في رواية حفص: يا {ابن أُمَّ} بنصب الميم. وقرأ الباقون بالكسر. وهكذا في سورة طه فمن قرأ بالنصب جعله كاسم واحد كأنه يقول يا ابن أماه. كما يقال: يا ويلتاه ويا حسرتاه. ومن قرأ بالكسر فهو على معنى الإضافة إلى نفسه. وكان موسى أخاه لأبيه وأمه. ولكن ذكر الأم ليرفعه عليه.

{إِنَّ القوم استضعفونى} يعني: قهروني واستذلوني {وَكَادُواْ} يعني: هموا بقتلي {يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الاعداء} يعني: لا تفرح عليّ أعدائي يعني: الشياطين ويقال: أصحاب العجل {وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ القوم الظالمين} يعني: لا تظنن أني رضيت بما فعلوا. قال موسى: {رَبّ اغفر لِى} بما فعلت بأخي هارون ويقال: لإلقاء الألواح {***و} اغفر {***لأخي} ما كان منه من التقصير في تركهم على عبادة العجل {وَلاخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ} يعني: جنتك {وَأَنتَ أَرْحَمُ الرحمين} يعني: أنت أرحم بنا منا بأنفسنا. وقال الحسن: يعني أنت أرحم بنا من الأبوين.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [152- 155]

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155)}

{إِنَّ الذين اتخذوا العجل} يعني: اتخذوا العجل إلها {سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مّن رَّبّهِمْ} يعني: يصيبهم عذاب من ربهم {وَذِلَّةٌ فِى الحياة الدنيا} وهو ما أمروا بقتل أنفسهم. ويقال: هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم يعني: يصيب أولادهم ذلة في الحياة الدنيا. وهي الجزية {وكذلك نَجْزِى المفترين} يعني: هكذا نعاقب المكذبين.

ثم قال تعالى: {والذين عَمِلُواْ السيئات ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا} يعني: رجعوا عن الشرك بالله وعن السيئة {وَءامَنُواْ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا} من بعد التوبة، ويقال: من بعد السيئات {لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: {لَغَفُورٌ} لذنوبهم {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

ثم رجع إلى قصة موسى عليه السلام وهو قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغضب أَخَذَ الالواح} يعني: لما سكت عن موسى الغضب. ويقال: ولما سكت موسى عن الغضب {أَخَذَ الالواح وَفِى نُسْخَتِهَا} يعني: في بقيتها فنسخت له الألواح، وأعيدت له في اللوحتين مكان التي انكسرت. {هُدًى وَرَحْمَةٌ} يعني: فيما بقي منها بياناً من الضلالة ورحمة من العذاب. {لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبّهِمْ يَرْهَبُونَ} يعني: يخافون الله ويعملون له بالغيب. ويقال: وفي نسختها يعني: في كتابها هدى من الضلالة ورحمةٌ من العذاب للذين يخشون ربهم.

قوله تعالى: {واختار موسى قَوْمَهُ} أي من قومه {سَبْعِينَ رَجُلاً لميقاتنا} يعني: للميقات الذي وقتنا له {فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرجفة} يعني الزلزلة، تزلزل الجبل بهم فماتوا {قَالَ} موسى {رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مّن قَبْلُ} يعني: من قبل أن يصحبوني {وإياى} بقتل القبطي {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السفهاء مِنَّا} قال الكلبي: ظن موسى أنه إنما أهلكهم باتخاذ بني إسرائيل العجل. وروي عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: انطلق موسى وهارون ومعهما شَبَّر وَشَبيِّر وهما ابنا هارون حتى انتهوا إلى جبل وفيه سرير، فنام عليه هارون فقبض، فرجع موسى إلى قومه، فقالوا له: أنت قتلته حسداً على خلقه ولينه. قال: كيف أقتله ومعي ابناه، فاختاروا من شئتم، فاختاروا سبعين، فانتهوا إليه. فقالوا له: من قتلك يا هارون: قال ما قتلني أحد ولكن توفاني الله تعالى. فأخذتهم الرجفة فماتوا كلهم. فقال موسى: {رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مّن قَبْلُ} وإياي. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما انطلق موسى إلى الجبل أمر بأن يختار سبعين رجلاً من قومه: فاختار من كل سبط ستة رجال، فبغلوا اثنين وسبعين، فقال موسى: إني أمرت بسبعين فليرجع اثنان، ولهما أجر من حضر، فرجع يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا.

فذهب موسى مع السبعين إلى الجبل، فلما رجع إليهم موسى من المناجاة قالوا له: إنك قد لقيت ربك فأرنا الله جهرة حتى نراه كما رأيته. فجاءتهم نار فأحرقتهم فماتوا. فقال موسى: حين أماتهم الله تعالى {رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مّن قَبْلُ} هذا اليوم وإياي معهم أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني: أتوقعني في ملامة بني إسرائيل وتعييرهم بفعل هؤلاء السفهاء ثم أحياهم الله تعالى.

وروى أسباط عن السدي قال: إن موسى انطلق بسبعين من بني إسرائيل يعتذرون إلى ربهم عن عبادة العجل، وذكر نحو حديث عبد الله بن عباس ثم قال: {إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ} يعني بليتك وعذابك ويقال: يعني عبادة العجل بليتك حيث جعلت الروح فيه {تُضِلُّ بِهَا} أي بالفتنة {مَن تَشَاء وَتَهْدِى مَن تَشَاء} من الفتنة {أَنتَ وَلِيُّنَا} أي حافظنا وناصرنا {فاغفر لَنَا} يعني: ذنوبنا {وارحمنا} يعني: ولا تعذبنا {وَأَنتَ خَيْرُ الغافرين} يعني: المتجاوزين عن الذنوب.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [156- 157]

{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)}

{واكتب لَنَا فِى هذه الدنيا حَسَنَةً} يعني: اقض لنا وأعطنا في الدنيا العلم والعبادة والنصرة والرزق الحسن الحلال {وَفِي الاخرة} يعني: وأعطنا في الآخرة حسنة وهي الجنة {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} يعني: تبنا إليك وأقبلنا إليك هكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة. وأصله في اللغة الرجوع من الشيء إلى الشيء {قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء} يعني: هذا عذابي أخصّ به من أشاء من العباد من كان أهلاً لذلك {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَئ} إنْ رحمتهم ويقال: إن الزلزلة والرجفة كانتا عذابي، وأنا أنزلتها، وأنا أصيب بالعذاب من أشاء، وما سألت من الغفران فمن رحمتي ورحمتي وسعت كل شيء من كان أهلاً لها. ويقال: لكل شيء حظ من رحمتي. وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن قتادة والحسن قالا: ورحمتي التي وسعت كل شيء يعني: وسعت في الدنيا البر والفاجر وفي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة. ويقال: لما نزلت هذه الآية {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَئ} تطاول إبليس، وقال: أنا من تلك الأشياء فأكذبه الله تعالى وآيسه فأنزل قوله {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} يعني: فسأقضيها وسأوجهها للذين يتقون الشرك {وَيُؤْتُونَ الزكواة والذين هُم بئاياتنا يُؤْمِنُونَ} فقالت اليهود والنصارى: نحن آمنا بالآيات، وهي التوراة والإنجيل، ونعطي الزكاة فهذه الرحمة لنا فأكذبهم الله تعالى وأنزل {الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبى الامى} الآية ويقال ورحمتي وسعت كل شيء يعني: طمع كل قوم برحمتي، وأنا أوجبتها للمؤمنين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون الشرك، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون، يعني: يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

قوله تعالى: {الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبى الامى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب قال الزجاج: الأُمِّيُّ الذي هو على خِلْقَةِ أمه لم يتعلم الكتابة وهو على جبلته. ويقال: إنما سمي محمد صلى الله عليه وسلم أُمِّيّاً لأنه كان من أم القرى وهي مكة.

ثم قال: {الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ} يعني: يجدون نعته وصفته {فِى التوراة والإنجيل يَأْمُرُهُم بالمعروف} يعني: شرائع الإسلام بالتوحيد يرخص لهم الحلالات من الشحوم واللحوم وأشباهها {وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الخبئث} يعني: ويبيّن لهم الحرام الميتة والدم ولحم

الخنزير والخمر {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} يعني: ثقلهم من العهود قرأ ابن عامر {***آصَارَهُمْ} على معنى الجماعة. وأصل الإصر الثقل. فسمي العهد إصْراً لأن حفظ العهد يكون ثقيلاً. ويقال: يعني الأمور التي كانت عليهم في الشرائع. ويقال: هو ما عهد عليهم من تحريم الطيبات.

ثم قال: {إِصْرَهُمْ والاغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ} وهي كناية عن أمور شديدة لأن في الشريعة الأولى كان الواحد منهم إذا أصابه البول في ثوبه وجب قطعه، وكان عليهم ألا يعملوا في السبت، وغير ذلك من الأعمال الشديدة فوضع عنهم ذلك.

ثم قال: {فالذين ءامَنُواْ بِهِ} يعني: صدقوه وأقروا بنبوته {وَعَزَّرُوهُ} يعني: عظموه وشرفوه. ويقال: أعانوه {وَنَصَرُوهُ} بالسيف {واتبعوا النور} يعني: القرآن {الذى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ} يعني: أهل هذه الصفة {هُمُ المفلحون} أي والناجون في الآخرة وهم في الرحمة التي قال الله تعالى: {واكتب لَنَا فِى هذه الدنيا حَسَنَةً وَفِي الاخرة إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عذابى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكواة والذين هُم بأاياتنا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 156].

قوله:

تفسير الآيات رقم [158- 162]

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)}

{قُلْ ياأهل * أَيُّهَا الناس} يعني: يا أهل مكة ويقال: هو لجميع الناس {إِنّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ويقال: إنه أول نداء نادى به في مكة بهذه الآية. وكان من قبل يدعو واحداً واحداً. فلما نزلت هذه الآية، أظهر ونادى في الناس: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً من ذلك الرب {الذى لَهُ ملكالسموات والارض لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق ولا رازق في السماء ولا في الأرض إلا هو {لاَ إله} يعني: يحيي الأموات للبعث، ويميت الأحياء في الدنيا، ويحيي للبعث ثانياً. ويقال: يحيي يعني: يخلق الخلق من النطفة،

ويميتهم عند انقضاء آجالهم. {قُلْ ياأيها الناس إِنّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} يعني: يصدق بالله {وكلماته} يعني: القرآن قال: السدي وَكَلِمَتُهُ يعني: صدق بأن عيسى صار مخلوقاً بكلمة الله {واتبعوه} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} من الضلالة.

قوله: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق} يعني: جماعة يدعون إلى الحق {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} يعني: وبالحق يعملون. وقال بعضهم: يعني به مؤمني أهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وهذا كما قال في آية أخرى: {لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الكتاب أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءايات الله ءَانَآءَ اليل وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: 113] الآية. وقال بعضهم: هم قوم من وراء الصين من أمة موسى ما وراء رمل عالج. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به إلى البيت المقدس ومعه جبريل فرفعه إليهم وكلّمهم وكلّموه. فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا. قال: فإن هذا محمد النبي الأمي. قال: يا جبريل وقد بعثه الله تعالى؟ قال نعم فآمنوا به وصدّقوه. وقالوا: يا رسول الله إن موسى بن عمران أوصى إلينا أن من أدرك ذلك النبي منكم فليقرأ عليه السلام مني ومنكم ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى ورد عليهم السلام ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لِي أَرَى بُيُوتَكُمْ مُسْتَوِيَةً»؟ قالوا: لأنا قوم لا يبغي بعضنا على بعض. قال: «فما لي لا أرى عليها أبواباً»؟ قالوا: إنّا لا يضر بعضنا بعضاً. قال: «فَمَا لِي لا أَرَاكُمْ تَضْحَكُونَ»؟ قالوا: ما ضحكنا قط لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه أن جهنم عرضها ما بين الخافقين وقعرها الأرض السفلى، وقد أقسم الله تعالى ليملأنها من الجنة والناس أجمعين. قال: «فَهَلْ تَبْكُونَ عَلَى المَيِّتِ «

؟ قالوا: يا رسول الله كيف نبكي على الميت وكلنا ميتون. وهو سبيل لا بد منه. والله أعطانا والله أخذ منا. قال: »فَهَلْ تَمْرَضُونَ»؟ قالوا: يا رسول الله إنما يمرض أهل الذنوب والخطايا. فأما نحن فمعصومون بدعاء نبي الله موسى عليه السلام قال: »فَكَيْفَ تَمُوتُونَ إِذَا لَمْ تَمْرَضُوا؟» قالوا: إذا استوفى أحدنا رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحه فندفنه، حيث يموت. قال: «فَهَلْ تَحْزَنُونَ إِذَا وُلِدَ لأَحَدِكُمْ جَارِيَةٌ»؟ قالوا: يا رسول الله لا ولكنا نصوم لله تعالى شهراً شكراً، فإذا ولدط لأحدنا غلام نصوم لله شهرين شكراً لله تعالى. قال: «فَهَلْ فِيكُمْ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبٌ»؟ قالوا: نعم. قال: «كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهِنَّ»؟ قالوا: يا رسول الله نمشي عليهن ويمشين علينا، ولا نؤذيهن ولا تؤذينا، آمنات منا ونحن آمنون منهن. قال: «فَهَلْ لَكُمْ مَاشِيَةٌ»؟ قالوا: نعم، نجز أصوافها فنتخذ منه الأفنية والأكسية، ونأكل من لحومهن الكفاف، وكل أهل القرية فيها شرع أي سواء ليس أحد أحق به منا. قال: «فَهَلْ تَزِنُونَ أَوْ يُوزَنُ عَلَيْكُمْ»؟ قالوا: لا نزن ولا يوزن علينا ولا نكيل ولا يكال علينا ولا نشتري ولا نبيع. قال: «فَمِنْ أَيْنَ تَأْكُلُونَ»؟ قالوا: يا رسول الله: نخرج فنزرع، ويرسل الله تعالى السماء علينا فينبته، ثم نخرج إليه فنحصده، ونضعه في أماكن من القرية، فيأخذ أهل القرية منها الكفاف ويدعون ما سواه. قال: «فَهَلْ تُجَامِعُونَ النِّسَاءَ»؟ قالوا: نعم يا رسول الله لنا بيوت مظلمة وثياب معلومة فإذا أردنا المجامعة لبسنا ثيابنا تلك ودخلنا تلك البيوت، لا يرى الرجل عورة امرأته ولا المرأة عورة زوجها. قال:

«فَهَلْ فِيكُمْ زِنًى؟» قالوا: يا رسول الله لا فإن فعل ذلك أحد منا لظننا أن الله تعالى يبعث عليه ناراً فيحرقه أو يخسف به الأرض، ولكن إذا كان للرجل منا ابنة طلبها منه رجل فيزوجه إياها إرادة الأجر والعفة. قال: «فَهَلْ تَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ»؟ قالوا: لا. يا رسول الله. إنما يكنز الذهب والفضة من لا يثق بالله، ومن يرى أن الله تعالى لم يتكفل له برزقه. فأما نحن فلا نكنز الذهب والفضة. فأقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سور من القرآن أنزلت بمكة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالصلاة والزكاة ورجع من ليلته. وقال قتادة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في قوله: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ} قال: «قَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا» {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ} يعني: في هذه الأمة.

ثم قال: {وقطعناهم} يعني: بني إسرائيل فرقناهم {اثنتى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} يعني: جماعة والأسباط جَمْعٌ والسبط في بني إسرائيل مثل القبيلة عند العرب {وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى} يعني: في التيه {إِذِ استسقاه قَوْمُهُ} إلى قوله: {رِجْزًا مّنَ السماء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ} كل ذلك مذكور في سورة البقرة قرأ أبو عمرو {نَّغْفِرْ لَكُمْ} بالنون {خطاياكم}. وقرأ ابن عامر {تَغْفِرْ * لَكُمْ} بالتاء والضم {خطيئاتكم} بالرفع وبلفظ الواحد. وقرأ نافع {تَغْفِرْ} لكم» بالتاء، والضم {خطيئاتكم} بلفظ الجماعة، وقرأ الباقون {نَّغْفِرْ لَكُمْ} بالنون {خطيئاتكم} بلفظ الجماعة.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [163- 170]

{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)}

{وَسْئَلْهُمْ عَنِ القرية التى كَانَتْ حَاضِرَةَ البحر} واسمها أيلة وذلك أن اليهود قالوا: نحن من أبناء إبراهيم صلى الله عليه وسلم فلا يعذبنا الله تعالى إلا مقدار عبادة العجل فقال الله تعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنِ القرية} يعني: أهل القرية التي كانت حاضرة البحر كيف عذبهم الله تعالى بذنوبهم.

ثم أخبر عن ذنوبهم فقال تعالى: {إِذْ يَعْدُونَ فِى السبت} يعني: أنهم استحلوا الصيد في يوم السبت. وقال: يعتدون في يوم السبت. وأصل الاعتداء هو الظلم. يقال: عدوت على فلان إذا ظلمته واعتديت عليه.

ثم قال: {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا} يعني: يوم استراحتهم شوارع في الماء وهو جمع الشارع {وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ} يعني: إذا لم يكن يوم السبت ويوم الراحة لا تأتيهم. وإنما تمّ الكلام عند قوله: {تَأْتِيَهُمْ} ثم ابتدأ فقال: {كذلك نَبْلُوهُم} يعني: هكذا نختبرهم. وقال بعضهم: إنّما يتم الكلام عند قوله: {وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ} كذلك يعني: لا تأتيهم كما تأتيهم يوم السبت لأن في يوم السبت تأتيهم الحيتان شارعات من أسفل الماء إلى أعلاه وفي سائر الأيام يأتيهم القليل، ولا يأتيهم كما يأتيهم في يوم السبت.

ثم ابتداء الكلام فقال: {كذلك نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} يعني: نختبرهم بما كانوا يعصون الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ} أي عصبة وجماعة منهم وهي الظلمة للأمة الواعظة {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ} لأن الواعظة نهوهم عن أخذ الحيتان، وخوفوهم، فرد عليهم الظلمة {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ} {أَوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبّكُمْ} قرأ عاصم في إحدى الروايتين {مَعْذِرَةً} بالنصب يعني: نعتذر إلى ربكم. وقرأ الباقون {مَعْذِرَةً} بالضم يعني: هي معذرة يعني: لا ندع الأمر بالمعروف حتى نكون معذورين عند الله تعالى {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} يعني: لعلهم ينتهون {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ} يعني: تركوا ما وعظوا به {أَنجَيْنَا} من العذاب {الذين يَنْهَوْنَ عَنِ السوء وَأَخَذْنَا الذين ظَلَمُواْ} يعني: عذبنا الذين تركوا أمر الله {بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} يعني: شديد {بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} يعني: يعصون ويتركون أمر الله تعالى. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان القوم ثلاثة فرق. فرقة كانوا يصطادون. وفرقة كانوا ينهون. وفرقة لم ينهوا ولم يستحلوا وقالوا للواعظة: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ}. وروى أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: أتيت ابن عباس وهو يقرأ في المصحف ويبكي فدنوت منه حتى أخذت بلوحي المصحف وقلت: ما يبكيك قال: تبكيني هذه السورة وهو يقرأ سورة الأعراف.

وقال: هل تعرف أيلة؟ قلت: نعم. قال: إن الله تعالى أسكنها حياً من اليهود، وابتلاهم بحيتان حرمها عليهم يوم السبت وأحلها لهم في سائر الأيام. فإذا كان يوم السبت خرجت إليهم الحيتان. فإذا ذهب السبت غابت في البحر حتى يغوص لها الطالبون، وإن القوم

اجتمعوا واختلفوا فيها. فقال فريق منهم: إنما حرمت عليكم يوم السبت أن تأكلوها فصيدوها يوم السبت، وكلوها في سائر الأيام. وقال الآخرون: بل حرم عليكم أن تصيدوها أو تنفروها أو تؤذوها. وكانوا ثلاث فرق: فرقة على أيمانهم، وفرقة على شمائلهم، وفرقة على وسطهم فقالت الفرقة اليمنى فجعلت تنهاهم في يوم السبت، وجعلت تقول: الله يحذركم بأس الله. وأما الفرقة اليسرى فأمسكت أيديها، وكفت ألسنتها. وأما الوسطى فوثبت على السمك تأخذه. وجعلت الفرقة الأخرى التي كفت أيديها، وألسنتها، ولم تتكلم. تقول: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيدًا} فقال: {الذين يَنْهَوْنَ} {مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُم وَلَعَلَّكُم تَتَّقُونَ} فدخل الذين أصابوا السمك إلى المدينة، وأبى الآخرون أن يدخلوا معهم فغدا هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا المدينة. فجعلوا ينادون من فيها فلم يجبهم أحد. فقالوا: لعل الله خسف بهم، أو رموا من السماء بحجارة، فارفعوا رجلاً ينظر، فجعلوا رجلاً على سلم فأشرف عليهم، فإذا هم قردة تتعادى ولها أذناب قد غيّر الله تعالى صورهم بصنيعهم. فصاح إلى القوم فإذا هم قد صاروا قردة، فكسروا الباب، ودخلوا منازلهم، فجعلوا لا يعرفون أنسابهم، ويقولون لهم: ألم ننهكم عن معصية الله تعالى ونوصيكم؟ فيشيرون برؤوسهم بلى ودموعهم تسيل على خدودهم. فأخبر الله تعالى أنه أنجى الذين ينهون عن السوء، وأخذ الذين ظلموا. قوله: {أَنجَيْنَا الذين يَنْهَوْنَ عَنِ السوء وَأَخَذْنَا الذين ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ}. ولا يدرى ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يأخذوا.

وقال عكرمة: بل أهلكهم الله لأنه أنجى الذين ينهون عن السوء. وأهلك الفريقين الآخرين. فوهب له ابن عباس بردة بهذا الكلام.

وروي في رواية أُخرى أنهم كانوا يأخذون الحظائر والحياض بجنب البحر، ويسيلون الماء فيها يوم السبت من البحر حتى يدخل فيها السمك، ويأخذونه في يوم الأحد فقالوا: إنا نأخذه في يوم الأحد. فلما لم يعذبوا استحلوا الأخذ في يوم السبت من البحر وقالوا: إنما حرم الله على أبنائنا ولم يحرم علينا فنهاهم الصلحاء فلم يمتنعوا، فضربوا حائطاً بينهم، وصارت الواعظة في ناحية، والذين استحلوا في ناحية والحائط بين الفريقين. فأصبحوا في يوم من الأيام ولم يفتح الباب الذي بينهما، فارتقى واحد منهم الحائط، فإذا القوم قد مسخوا إلى قردة. وقال بعضهم: كان القوم أربعة أصناف صنف يأخذون، وصنف يرضون، وصنف ينهون، وصنف يسكتون، فنجا صنفان، وهلك صنفان. قال بعضهم: كانوا صنفين صنف يأخذون، وصنف ينهون.

وروى قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كانوا ثلاث فرق فهلك الثاني، ونجا الثالث، والله أعلم ما فعل بالفرقة الثالثة. قرأ نافع بعذاب {بِيْس} بكسر الباء وسكون الياء بلا همز. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بعذاب {بَيْأَس} بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة. وقرأ الباقون: {ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} بنصب الباء وكسر الياء والهمزة وسكون الياء وهي اللغة المعروفة، والأولى لغة لبعض العرب.

ثم قال: {فَلَمَّا عَتَوْاْ عَمَّا نُهُواْ عَنْهُ} يعني: تركوا ما وعظوا به {قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خاسئين} يعني: صاغرين مبعدين عن رحمة الله.

قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ} يعني: أعلم ربك ويقال: قال ربكم وكل شيء في القرآن تأذن فهو إعلام. ومعناه قال: {لَيَبْعَثَنَّ} أي ليسلطن {عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القيامة} أي على بني إسرائيل، والذين لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم {مَن يَسُومُهُمْ سُوء العذاب} يعني: يعذبهم بالجزية والقتل {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العقاب} إذا عاقب من أصرّ على كفره {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ} لمن تاب من الشرك {رَّحِيمٌ} بعد ذلك.

ثم قال: {وقطعناهم} أي فرقناهم {فِي الارض أُمَمًا} أي فرقاً {مّنْهُمُ الصالحون} أي المؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب. ويقال: هم الذين وراء رمل عالج {وَمِنْهُمْ دُونَ ذلك} وهم الكفار منهم {وبلوناهم بالحسنات والسيئات} يعني: اختبرناهم بالخصب والجدوبة {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} من الكفر إلى الإيمان.

ثم قال: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} يعني: بعد بني إسرائيل خلف السوء {وَرِثُواْ الكتاب} يعني: التوراة {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذا الادنى} يقول: يستحلون أخذ الحرام من هذه الدنيا وهو الرشوة في الحكم {وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} قال مجاهد: يعني: يأخذون ما يجدون حلالاً أو حراماً ويتمنّون المغفرة {وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} أي وإن يجدوا مثله من العرض يأخذوه. ويقال: معناه أنهم يصرون على الذنوب وأكل الحرام، فإذا أخذوا أول النهار يعودون إليه في آخر النهار ولا يتوبون عنه. ويقال: يطلبون بعلمها الدنيا. ويقال: يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون: سيغفر لنا هذه المرة. وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ويقولون مثل ذلك: أي سيغفر لنا لأنا لا نشرك بالله شيئاً. وقال سعيد بن جبير: يأخذون عرض هذا الأدنى. يقول: يعملون بالذنوب. ويقولون: سيغفر لنا ما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار. وما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل. {وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} يعني: الذنوب. قال الله تعالى: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مّيثَاقُ الكتاب} يعني: ألم يؤخذ عليهم ميثاقهم في التوراة {أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى الله إِلاَّ الحق} أي: إلا الصدق {وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ} أي قرؤوا ما فيه {والدار الاخرة خَيْرٌ لّلَّذِينَ يَتَّقُونَ} أي: يتقون الشرك، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن الآخرة خير من الدنيا.

ويقال: {أَفَلاَ يَعْقِلُونَ} ما يدرسون من الكتاب. ويقال: {أَفَلاَ يَعْقِلُونَ} أن الإصرار على الذنوب ليس من علامة المغفورين، قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص أَفَلا تَعْقِلُونَ بالتاء على وجه المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على وجه المغايبة.

قوله تعالى: {والذين يُمَسّكُونَ بالكتاب} يعني: يعملون بالتوراة ولا يغيرونها عن مواضعها {والذين يُمَسّكُونَ} يعني: أتموا الصلاة المفروضة {إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ المصلحين} يعني: عمل الموحدين وهم الذين يمسكون بالكتاب، وأقاموا الصلاة. قرأ

عاصم في رواية أبي بكر {يُمَسّكُونَ} بالتخفيف. وقرأ الباقون {يُمَسّكُونَ} بالتشديد على معنى المبالغة.

ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [171- 174]

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)}

{وَإِذ نَتَقْنَا الجبل فَوْقَهُمْ} يقول: قلعنا ورفعنا الجبل فوقهم {كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} أي كهيئة الغمام {وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} أي أنه يعني: أيقنوا الجبل واقع بهم {خُذُواْ مَا ءاتيناكم بِقُوَّةٍ} أي قيل لهم: اعملوا بما أعطيناكم من التوراة بقوة أي بجد ومواظبة {واذكروا مَا فِيهِ} أي اعملوا ما فيه من الحلال والحرام والأمر والنهي {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} المعاصي، وذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة، فرفع الجبل فوقهم فقبلوا.

وقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ} أي: اذكر يا محمد إذا أخذ ربك. ويقال: معناه وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهور بني آدم {ذُرّيَّتُهُم} يعني: {أَخَذَ رَبُّكَ مِن * تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ} ذريتهم. وقال بعضهم: يعني الذرية التي تخرج وقتاً بعد وقت إلى يوم القيامة {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ} فقال لهم: {أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى} يعني: إنَّ كل بالغ تشهد له خلقته بأن الله تعالى واحد {شَهِدْنَا} يعني: قال الله تعالى شهدنا {أَن تَقُولُواْ} أي لكيلا تقولوا. ويقال: هذا كراهة أن يقولوا: {يَوْمَ القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين} وروي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله مسح على ظهر آدم فأخرج ذريته من صلبه كهيئة الذر من هو مولود إلى يوم القيامة. فقال لهم: {أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى} شهدنا بأنك ربنا قال بعضهم: هذا التفسير لا يصح وطعنوا فيه من وجوه أحدها أن الرواية لم تصح لأنها رواية أبي صالح، وأبو صالح ليس ممن يعتمد على روايته، لأنه روي عن الشعبي أنه كان يمر بأبي صالح ويفرك أذنه، ويقول له: إنك لم تحسن أن تقرأ القرآن، فكيف تفسره بالرأي. قالوا: ولأن هذا غير محتمل في اللغة لأنه قال: من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم. قالوا: ولأنه لا يجوز من الحكيم أن يخاطب الذر. وإنما يجوز خطاب من هو عاقل. ومن كان مثل الذر كيف يجوز خطابه؟ قالوا: ولأنه لا يجوز أن تكون حجة الله بشيء لم يذكر. وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكراً له. قالوا: ولأن الله تعالى قال: {قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثنتين وَأَحْيَيْتَنَا اثنتين فاعترفنا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مّن سَبِيلٍ} [غافر: 11] ولم يقل: أحييتنا ثلاث مرات. ولكن

الجواب أن يقال: إن الرواية صحيحة، لأن الآثار قد جاءت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز دفعه. فمن ذلك ما حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الماسرخسي. قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وهو ابن علية عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ} قال: مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة.

فأخذ ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم {أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى}.

قال: حدثنا الشيخ الرئيس أبو طاهر محمد بن داود. قال: حدثنا محمد بن أحمد بأستراباذ. قال: حدثنا أحمد بن زكريا. قال: حدثنا عبد السلام بن صالح عن جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري. قال: حججنا مع عمر في أول خلافته فوقف على الحجر ثم قال: أما إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّلك ما قبّلتك. فقال له عليٌّ رضي الله عنه: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله. ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت عليّ ما قلت. قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى} فلما أقروا بالعبودية على أنفسهم، كتب إقرارهم في رق، ثم دعا هذا الحجر فقال له: افتح قال: فألقمه ذلك الرق فهو أمين الله في هذا المكان يشهد لمن استلمه ووافاه يوم القيامة. فقال له عمر رضي الله عنه: لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل.

وروى ربيع بن أنس عن أبن العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءادَمَ} الآية. قال: جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: {أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى} شهدنا بأنك ربنا. قال: فإني أرسل إليكم رسلي، وأنزل عليكم كتبي، فلا تكذبوا رسلي، وصدقوا وعدي؛ وأخذ عهدهم وميثاقهم فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك. فقال آدم: رب لو شئت سويت بين عبادك. فقال: إني أحببت أن أشكر. قال: والأنبياء يومئذ مثل السرج فأخذ عليهم ميثاق الرسالة أن يبلغوها. فهو قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وإبراهيم وموسى وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظاً} [الأحزاب: 7] الآية.

قال الفقيه: أخبرني الثقة بإسناده عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هؤلاء لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هؤلاء لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ «

فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: »إِنَّ الله تَعَالَى إذا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ. وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ النَّارَ» وبهذا احتج الجبرية أن ما عمل عبد عملاً من خير أو شر إلا ما قدره الله تعالى يوم الميثاق.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر، فقال لأصحاب اليمين: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال للآخرين: هؤلاء في النار ولا أبالي.

وروى أسباط عن السدي في قول الله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ} الآية. قال: لما أخرج الله تعالى آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء، مسح صفحة ظهر آدم اليمين فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى أخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال: {أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بلى} فأجابه طائفة طائعين، وطائفة كارهين. فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: {إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين}.

فلما رويت فيه من الأخبار من طرق شتى لا يجوز رده، ويرجع الطعن إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنهم. ويجب للطاعن أن يطعن في فهم نفسه لا في الصحابة. وهذا كقوله: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هاذآ إِفْكٌ قَدِيمٌ} [الأحقاف: 11] أما الجواب عن قولهم: إنه قال: {مِن ظُهُورِهِمْ} ولم يقل من ظهر آدم فالمعنى في ذلك والله أعلم أنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه، ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم، ثم أخرج من بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهر، فذكر الأخذ من ظهور ذريته، ولم يذكر ظهر آدم لأن في الكلام دليلاً عليه كما قال الله تعالى: {النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة أدخلوا ءالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العذاب} [غافر: 46] ولم يذكر فرعون لأن في الكلام دليلاً عليه.

وأما الجواب عن قولهم: إنه لا يجوز خطاب الذر فعن هذا القول جوابان.

أحدهما: أنه يجوز أن يكونوا كالذر في الصغر ويرزقهم الله تعالى من العقل ما يكونوا به من أهل الخطاب. ألا ترى أن نملة سليمان بن داود عليهما السلام قد تكلمت بكلام العقلاء وفهم ذلك عنها سليمان، وسبَّح الطير والجبال مع داود، فكذلك هذا. والجواب الثاني أنهم كانوا كالذر في الازدحام والكثرة لا في الخلقة والجثة. ولكنهم في الخلقة مثل خلقتهم اليوم لأن الذر إذا كثرت وازدحمت لا يعرف عددها. فكذلك ذرية آدم كانوا في الكثرة

والازدحام مثل الذر. ولكنهم في الخلقة مثل خلقتهم اليوم. والجواب عن قولهم: أنه لا تكون الحجة بشيء لم يذكر أن يقال: إن الله تعالى قد أرسل الرسل وأخبرهم بذلك الميثاق، وإذا أخبرهم الرسل بذلك صار حجة عليهم. فإن قيل: إن الرسل وإن أخبروهم فإذا لم يذكروا ذلك فكيف يصير حجة عليهم؟ قيل لهم: وإن لم يذكروا صار قول الثقات حجة عليهم. ألا ترى أن رجلاً لو طلق امرأته وقد نسي فشهد عليه شاهدان عدلان بأنه قد طلقها قبل غيبته عنها يجب عليه أن يقبل قولهما. وكذلك لو صلى فشهد عليه عدلان أنه ترك ركعة من صلاته وجب عليه أن يأخذ بقولهما وإن كان لا يذكر. فكذلك هاهنا والجواب عن قولهم إنه لم يقل: أحييتنا ثلاث مرات. لأن الإحياء المعروف مرتان فذكر الإحياء الذي كان معروفاً عنده. وقوله تعالى: {شَهِدْنَا} قال بعضهم: هذا حكاية عن قول الذرية قالوا: بلى شهدنا. وتم الكلام. ثم في الآية مضمر ومعناه: أخذنا عليهم الميثاق لكي لا يقولوا هذا يوم القيامة {إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلين} وقال بعضهم: إنما تمّ الكلام عند قوله: {بلى} ثم إنه قال تعالى: {شَهِدْنَا} يعني: شهدنا عليكم وأخذنا عليكم الميثاق لكيلا يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين {أَوْ تَقُولُواْ} أي: لكيلا تقولوا: {أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ ءابَاؤُنَا} ونقضوا العهد {وَكُنَّا ذُرّيَّةً مّن بَعْدِهِمْ} لم نعلم به {أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المبطلون} يعني: آباؤنا المشركون. فإن قيل: هل كان إقرارهم إيماناً منهم؟ قيل له: أما المؤمنون كان إقرارهم إيماناً. وأما الكافرون فلم يكن إقرارهم إيماناً. لأن إقرارهم كان تقية. ولم يكن حقيقة. قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو {ذرياتهم} بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون {واتبعتهم ذُرّيَّتُهُم} بلفظ واحد لأن الذرية قد أضافها إلى الجماعة فاستغنى عن لفظ الجمع. وقرأ أبو عمرو {أَن يَقُولُواْ} بالياء وكذلك في قوله {أَوْ يَقُولُواْ}. وقرأ الباقون كليهما بالتاء على معنى الخطاب.

قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ نفَصّلُ الايات} يعني: هكذا نبيّن الآيات في أمر الميثاق {وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إلى إقرارهم وإلى التوبة فالواو الأولى للعطف وهو قوله {وكذلك} والواو الثانية زيادة للوصل وهي قوله: {وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ومعناه: وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون أي لكي يرجعوا.

قوله تعالى:

▲ تفسير الآيات رقم [175- 178]

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178)}

{واتل عَلَيْهِمْ} أَيُّ إن لَّمْ يرجعوا بذكر الميثاق ولم يتوبوا فاتل عَلَيْهِمْ {نَبَأَ الذى ءاتيناه} أي خبر الذي أعطيناه {ءاياتنا} يعني: أكرمناه باسم الله الأعظم. ويقال: {واتل عَلَيْهِمْ} يعني: الكتاب وهي علم التوراة وغيره {فانسلخ مِنْهَا} يعني: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ويقال: تهاون بها ولم يعرف حقها، ولا حرمتها، وخرج منها {فَأَتْبَعَهُ الشيطان} يقول: غرّه الشيطان {فَكَانَ مِنَ الغاوين} أي فصار من الظالمين وفي الضالين. قال بعضهم: هو بلعم بن باعوراء كان عابداً من عباد بني إسرائيل، وكان مستجاب الدعوة، فنزع الله تعالى الإيمان عنه بدعاء موسى عليه السلام، وذلك أن موسى عليه السلام قاتل فرعوناً من الفراعنة فجمع ذلك الفرعون الكهنة والسحرة، فقال لهم: أعينوني على هؤلاء يعني: قوم موسى فقالوا: لن تستطيعهم، ولكن بجوارك رجل منهم فلو بعثت إليه واستعنت به، فبعث الملك إلى بلعم فلم يجبه، فبعث الملك إلى امرأة بلعم الهدايا وطلب منها بأن تأمره بأن يجيب الملك، فجاءته امرأته وقالت: نحن في جوار هذا الملك فلا بد لك من إجابته. فأجابهم إلى ذلك، وركب أتاناً له، وخرج إليهم فسار حتى إذا كان في بعض الطريق وقفت أتانه فضربها، فلما ألح عليها كلّمته الأتان وقالت: انظر إلى ما بين يديك فنظر فإذا هو جبريل قال له: خرجت مخرجاً ما كان ينبغي لك أن تخرج. فإذا خرجت فقل حقاً قال: فلما قدم عليه أمر له بالذهب والفضة والخدم والفرش فقبل. فقال له: قد دعوتك لتدعو لي على هذا العسكر دعوة. قال: غداً. فلما تلاقى القوم قال بلعم: إن بني إسرائيل أمة موسى ملعون من لعنهم ومبارك من بارك عليهم. فقالوا له: ما زدتنا إلا خبالاً. قال بلعم: ما استطعت غير ما رأيت. ولكني أدلك على أمر إن فعلته فوقعوا به خُذِلوا ونصرت عليهم، تعمد إلى نساء حسان فتجعل عليهم الحلي والثياب والعطر ثم ترسلهن في عسكرهم. فإن وقعوا بهن خذلوا. ففعل ذلك فما تعرض لهن منهم إلا سفهاؤهم فخذلوا. فأخبر بذلك موسى فدعا عليه فنزع الله منه الإيمان. وقال بعضهم: إنما هو أمية بن أبي الصلت قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر أن نبينا يبعث وكان قد أظل زمانه. وكان يرى أن الوحي ينزل عليه لكثرة علمه. فلما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسداً له. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع شعره قال: «آمن لسانه وكفر قلبه» فذلك قوله: {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ}.

ثم قال: {وَلَوْ شِئْنَا لرفعناه بِهَا} يعني: بالآيات ويقال: رفعناه في الآخرة بما علمناه من آياتنا {ولكنه أَخْلَدَ إِلَى الارض} يعني: أمية بن أبي الصلت أو بلعم بن باعوراء مال إلى الدنيا ورضي بها {واتبع هَوَاهُ} أي هوى نفسه ويقال: عمل بهوى المرأة وترك رضى الله ويقال: أخذ مسافل الأمور وترك معاليها {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب} يقول: مثل بلعم كمثل الكلب {إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ} يقول: إن طردته فهو يلهث {أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} يعني: وإن تركته فهو يلهث. قال القتبي: كل شيء يلهث من إعياء أو عطش ما خلا الكلب. فإنه يلهث في حال الراحة والصحة والمرض. فضرب الله تعالى به مثلاً يعني: كما أن الكلب إن طردته أو تركته يلهث فكذلك بلعم أو أمية بن أبي الصلت إن وعظته لم يتعظ وإن تركته لم يفعل. وقال مجاهد: يعني الكفار إن قرئ عليهم الكتاب لم يقبلوا، وإن لم يقرأ

عليهم لم يعملوا هم أهل مكة. {ذلك مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ بثاياتنا} يعني: ذلك صفة الذين جحدوا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن {فاقصص القصص} أي اقرأ عليهم القرآن {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} أي: لكي يتعظوا بأمثال القرآن ويؤمنوا به.

قوله تعالى: {سَاء مَثَلاً} يعني: بئس مثل {القوم الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: بئس مثل من كان مثل الكلب، وإنما ضرب المثل بالكلب تقبيحاً لمذهبهم. ويقال: {بِئْسَ مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ} وكانت صفتهم مثل صفة بلعم وهم أهل مكة كذبوا بآياتنا، فلم يؤمنوا بها مثل بلعم {وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ} يعني: يضرون بأنفسهم ثم قال تعالى: {مَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتدى} يعني: من يهده الله لدينه فهو المهتدي من الضلالة {وَمَن يُضْلِلِ} يعني: ومن يضله عن دينه ويخذله {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخاسرون} بالعقوبة.

قوله تعالى:

تفسير الآيات رقم [179- 180]

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)}

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا} يعني: خلقنا لجهنم كثيراً {مّنَ الجن والإنس} فإن قيل: قد قال في آية أخرى: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] فأخبر أنه خلق الجن والإنس لعبادته. وهاهنا يقول: خلقهم لجهنم. قيل له: قد خلقهم للأمرين جميعاً منهم من يصلح لجهنم فخلقه لها، ومنهم من يصلح للعبادة فخلقه لها، ولأن من لا يصلح لشيء لا يخلقه لذلك الشيء. ويقال معنى قوله: {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: إلا للأمر والنهي. ويقال: {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: إلا لكي يمكنهم أن يعبدوا، وقد بينت لهم الطريق. ويقال: في هذه الآية تقديم وتأخير. ومعناه: ولقد ذرأنا جهنم لكثير من الجن والإنس.

ثم وصفهم فقال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا} يعني: لا يعقلون بها. الحق كما قال في آية أخرى: {خَتَمَ الله على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارهم غشاوة وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} [البقرة: 7] ثم قال: {وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا} يعني: الهدى {وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا} يعني: الهدى.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: {أُوْلَئِكَ كالانعام} فشبههم بالأنعام لقلة رغبتهم وتغافلهم عن الحق. يعني: إنهم كالأنعام في ذهنهم لا في صورهم. لأنه ليس للأنعام إلا الأكل والشرب، فهي تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد.

ثم قال: {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} سبيلاً يعني: الكفار أخطأ طريقاً من الأنعام، لأن الأنعام إذا عرفت أنها تركت الطريق رجعت إلى الطريق، والكفار لا يرجعون إلى الطريق. ولأن الأنعام تعرف ربها، والكفار لا يعرفون ربهم. ويقال: لمَّا نزلت هذه الآية {أُوْلَئِكَ كالانعام} تضرعت الأنعام إلى ربها. فقالت: يا ربنا شبهت الكفار بنا ونحن لا ننكر وحدانيتك. فأعذر الله تعالى الأنعام. فقال: {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} من الأنعام لأن الأنعام مطيعة لله تعالى. والكفار غير مطيعين لله تعالى.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الغافلون} يعني: عن أمر الله تعالى وعما ينفعهم. قال الفقيه أبو الليث: حدثنا أبو جعفر. قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله القاري. قال: حدثنا حازم بن يحيى الحلواني. قال: حدثنا الحسين بن الأسود. قال: حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن سنان عن أبي منيب الحمصي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَلَقَ الله الجِنَّ ثَلاَثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفاً حَيَّاتٍ وَعَقَارِبَ وَخَشَاشَ الأَرْضِ، وَصِنْفاً كَالرِّيحِ فِي الهَوَاءِ، وَصِنْفَاً عَلَيْهِمُ الثَّوَابُ وَالعِقَابُ، وَخَلَقَ الله الإِنْسَ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفاً كَالبَهَائِمِ وَهُمُ الكُفَّارُ، قال: قال الله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا} إلى قوله: {أُوْلَئِكَ كالانعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ} وَصِنْفاً آخَرَ أَجْسَادُهُم كَأَجْسَادِ بَنِي آدَم وَأَرْوَاحُهُم كَأَرْوَاحِ الشَّيَاطِينِ، وَصِنْفاً فِي ظِلِّ الله يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ «

قوله تعالى: {وَللَّهِ الاسماء الحسنى فادعوه بِهَا} وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن. فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى {وَللَّهِ الاسماء الحسنى فادعوه بِهَا} الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجل فقال: «ادْعُ الله أَوْ ادْعُ الرحمن رَغْماً لأَنْفِ المُشْرِكِينَ «ويقال: {وَللَّهِ الاسماء الحسنى} يعني: الصفات العلى {فادعوه بِهَا}. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مائَةً إلاَّ وَاحِدَةً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ وَمِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ الرحمن الرَّحِيمُ» وقد ذكرنا تفسيرها ومن أسمائه الأحد وأصله الوحد بمعنى الواحد، وهو الذي ليس كمثله شيء، ومنها الصمد وهو السيد الذي صمد إليه كل شيء أي قصده. ومنها القيوم وهو البالغ في القيام بكل ما خلق. ومنها الولي يعني: المتولي أمور المؤمنين. ومنها اللطيف وهو الذي يلطف بالخلق من حيث لا يعلمون، ولا يقدرون ومنها الودود المحب الشديد المحبة. ومنها الظاهر والباطن الذي يعلم ما ظهر وما بطن. ومنها البديع الذي ابتدع الخلق على غير مثال. ومنها القدوس أي ذو البركة. ويقال: الطاهر ومنها الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء. ومنها الحنان أي ذو الرحمة والعطف. ومنها المنان الكثير المنّ على عباده. ومنها الفتاح يعني: الحاكم. ومنها الديان يعني: المجازي. ومنها الرقيب: يعني الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء. ومنها ذو القوة المتين يعني الشديد القوة على أمره. ومنها الوكيل الذي يتوكل بالقيام بجميع ما خلق. ومنها السبوح الذي تنزه عن كل سوء ومنها السلام يعني: الذي سَلِم الخلق من ظلمه. ومنها المؤمن الذي أمن الخلق من ظلمه. ومنها العزيز أي: المنيع الذي لا يغلبه شيء. ومنها

المهيمن يعني: الشهيد. ومنها الجبار الذي جبر الخلق على ما أراد. ومنها المتكبر الذي تكبر عن ظلم العباد. ومنها الباري يعني: الخالق وسائر الأسماء التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم. وقال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه، ولم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد ولا ينبغي له أن يقول: يا سخي، لأنه لم يسم به نفسه. وكذلك يقول: يا قوي ولا يقول: يا جلد.

ثم قال: {وَذَرُواْ الذين يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَئِهِ} قرأ حمزة {يُلْحِدُونَ} بنصب الياء والحاء.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء {يُلْحِدُونَ} فمن قرأ بالنصب فمعناه: وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني: يُحَوِّرون ويمارون في أسمائه ويعدلون، فسموا اللات والعزى. ومن قرأ بالضم فمعناه: وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه. ويقال: إن الله تعالى قد احتج على الكفار بأربعة أشياء بالخلق. وهو قوله تعالى: {هذا خَلْقُ الله فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الذين مِن دُونِهِ بَلِ الظالمون فِى ضلال مُّبِينٍ} [لقمان: 11] وقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولو اجتمعوا له} [لقمان: 11] وقال: {ياأيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا لَهُ إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجتمعوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذباب شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطالب والمطلوب} [الحج: 73] والثاني في الملك وهو قوله {وَقَالُواْ اتخذ الله وَلَدًا سبحانه بَل لَّهُ مَا فِي السماوات والارض كُلٌّ لَّهُ قانتون} [البقرة: 116].

وقال في الأوثان {أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ} [الزمر: 43] والثالث في القوة وهو قوله: {يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم كُلَّمَآ أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [البقرة: 20] {فَاطِرُ السماوات والارض جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا وَمِنَ الانعام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ وَهُوَ السميع البصير} [الشورى: 11] {وإلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صالحا قَالَ ياقوم اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الارض واستعمركم فِيهَا فاستغفروه ثُمَّ توبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} [هود: 61] {إِنَّ الله هُوَ الرزاق ذُو القوة المتين} [الذاريات: 58] وقال في الأوثان: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادعوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ} [الأعراف: 195] فوصفهم بالعجز. والرابع بالأسماء فقال {وَلِلَّهِ الاسماء الحسنى} وقال في الأوثان {وَذَرُواْ الذين يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَئِهِ} ويقال: إن الكفار أرادوا أن يسموا آلهتهم الله فجرى على لسانهم اللات وقال أهل اللغة: إنما سمي اللات لأنه كان عنده رجل كان يلت السويق. وأرادوا أن يسموا العزيز فجرى على لسانهم العزى. وأرادوا أن يسموا منان فجرى على لسانهم مناة. وبقيت تلك الأسماء للأصنام. وأصل الإلحاد هو الميل ولهذا سمي اللحد لحداً لأنه في ناحية.

ثم قال {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: وسيهانون ويعاقبون بما كانوا يعملون من الشرك والإلحاد في الأسماء.

تفسير الآيات رقم [181- 186]

{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)}

قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق} يعني: جماعة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم يهدون بالحق يعني يدعون إلى الحق ويأمرون بالحق {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} يعني بالحق يعملون وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: {وَمِن قَوْمِ موسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: 159] قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله قد ذكر الله تعالى هؤلاء الرهط بالخير الجسيم من بني إسرائيل إن آمنوا بك وجعل لهم أجرين، ولنا أجراً واحداً، وقد صدقناك والرسل والكتب فنزل {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ} يعني: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم {يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ}.

قوله تعالى: {والذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: بمحمد والقرآن {سَنَسْتَدْرِجُهُم} يعني: سنأخذهم بالعذاب {مّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: من حيث لا يشعرون. وقال الكلبي: يعني نزيّن لهم فنهلكهم من حيث لا يعلمون. يقول: سنأتيهم وهم المستهزئون فيقتل كل رجل منهم بغير قتلة صاحبه. وقال القتبي: الاستدراج أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً. ويقال: استدرج فلان فلاناً يعني: يعرف ما عنده وأصل هذا من الدرجة لأن الراقي يرقى درجة درجة. فاستعير من هذا كقوله تعالى {والمرسلات عُرْفاً} [المرسلات: 1] يعني: الملائكة يتابعون بعضهم بعضاً كعرف الفرس. وكقوله تعالى: {المنافقون والمنافقات بَعْضُهُمْ مّن بَعْض يَأْمُرُونَ بالمنكر وَيَنْهَوْنَ عَنِ المعروف وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المنافقين هُمُ الفاسقون} [التوبة: 67] يمسكون عن العطية. وقال السدي: {سَنَسْتَدْرِجُهُم} يعني: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها، ثم نأخذهم من حيث لا يعلمون، فذلك الاستدراج.

ثم قال: {وَأُمْلِى لَهُمْ} يعني: وأمهلهم {إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} يعني: عقوبتي شديدة. ويقال: إن صنيعي محكم. ويقال: إن أخذي شديد.

ثم قال تعالى: {أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ} يعني: أهل مكة فيما يأمرهم محمد صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا خالقهم، ورازقهم، وكاشف الضر عنهم، ولا يعبدوا من لا يقدر على شيء منه

أمثل هذا يكون مجنوناً. ويقال: معناه {أَوَ لَم يَتَفَكَّرُواْ} في دلائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ليستدلوا بأنه نبي وقد تم الكلام.

ثم استأنف فقال {مَا بِصَاحِبِهِم مّن جِنَّةٍ} ويقال: هذا على وجه البناء. ومعناه: أو لم يتفكروا ليعلموا {مَا بِصَاحِبِهِم مّن جِنَّةٍ} يعني: جنوناً. ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صعد ذات ليلة الصفا، فدعا قريشاً إلى عبادة الله تعالى بأسمائهم فرداً فرداً، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون. فوعظهم الله تعالى فقال {أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ} يقول: أو لم يجالسوه ويكلموه هل به من جنون {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} أي رسولاً بيناً.

وهذا كقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بواحدة أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مثنى وفرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بصاحبكم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبإ: 46].

ووعظهم ليعتبروا في صنعه فيوحدوه فقال: {أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السموات والارض} أي في خلق السموات والأرض {وَمَا خَلَقَ الله مِن شَىْءٍ} في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله في الأرض من الجبال والبحار وغير ذلك فيعتبروا، ويؤمنوا بأن الذي خلق الذي ترون، هو رَبٌّ واحد لا شريك له {وَأَنْ عسى} يعني: وينظروا في أن عسى {أَن يَكُونَ قَدِ اقترب أَجَلُهُمْ} يعني: قد دنا هلاكهم {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} يعني: إن لم يؤمنوا بالقرآن فبأي حديث يؤمنوا بعد القرآن. لأن هذا آخر الكتب نزولاً وليس بعده كتاب ينزل.

ثم قال تعالى: {مَن يُضْلِلِ الله فَلاَ هَادِيَ لَهُ} أي: من يخذله الله عن دين الإسلام فلا هادي له إلى الهدى {وَيَذَرُهُمْ فِى طغيانهم يَعْمَهُونَ} أي: يتركهم في ضلالتهم يترددون. قرأ أبو عمرو {وَيَذَرُهُمْ} بالياء وضم الراء على معنى الخبر. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {وَنَذَرُهُمْ} بالنون وضم الراء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {وَيَذَرْهُمْ} بالياء وجزم الراء وجعلوه جواب الشرط. ومعناه: من يضلل الله يذره.

▲ تفسير الآيات رقم [187- 188]

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة} أي: قيام الساعة {أَيَّانَ مرساها} أي متى حينها وقيامها. ويقال: هذا الكلام على الاختصار. ومعناه: أي أوان قيامها.

ثم قال: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي} أي: علم قيام الساعة عند ربي وما لي بها من علم {لاَ يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ} أي لا يكشفها لحينها إلا الله. ويقال: لا يقدر أحد على إظهارها إلا هو. يعني: إلا الله. ويقال: لا يعلم أحد قيامها إلا هو {ثَقُلَتْ فِى السموات والارض} أي ثقل علم قيام الساعة على أهل السموات وأهل الأرض. ويقال: ثقلت أي: خفي علمها، وإذا خفي الشيء ثقل علمه. ويقال: معناه ثقل حمل ذكرها لفظاعة شأنها وأمرها.

ثم قال: {لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً} يعني: فجأة. ثم قال: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ} قال مقاتل: كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها. وقال القتبي: أي: كأنك حفي تطلب علمها. ومنه يقال: تحفى فلان بالقوم إذا بالغ في البر. ويقال: كأنك حفي عنها أي كأنك جاهل بها. ويقال: في الآية تقديم ومعناه: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ} يعني: كأنك عالم بها {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله} وروى إبراهيم بن يوسف بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجل فقال: متى الساعة؟ فقال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ عَشْرَةٌ يَقْرَبُ فِيهَا المَاحِلُ وَيَطْرُفُ فِيها الفَاجِرُ وَيَعْجَزُ فِيها المُنْصِفُ وَتَكُونُ الصَّلاَةُ منّاً والزَّكَاةُ مَغْرَماً وَالأَمَانَةُ مَغْنَماً وَاسْتِطَالَةُ القُرَّاءِ فَعِنْدَ ذلك تَكُونُ أَمَارَةُ الصِّبْيانِ وَسُلْطَانُ النِّساءِ وَمَشُورَةُ الإِماءِ»

ثم قال: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله} يعني: علم قيامها عند الله {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} أنها كائنة ولا يصدقون بها.

قوله تعالى: {قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرّا} قال مقاتل: يعني لا أقدر لنفسي أن أسوق إليها خيراً أو أدفع عنها ضراً حين ينزل بي فكيف أملك علم الساعة {إِلاَّ مَا شَاء الله} فيصيبيني {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغيب} أي غيب النفع والضر إذ جاء {لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخير وَمَا مَسَّنِىَ السوء} يعني: لاستكثرت من النفع وما أصابني الضر. وقال الكلبي: إنّ أهل مكة قالوا له ألا يخبرك ربك بالبيع الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه؟ فنزل قل لهم: {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغيب لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخير} للجدوبة والقحط. ويقال: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح. وقال الضحاك: قال لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً يعني الغنى والفقر إلا ما شاء الله إن شاء أغنى عبده وإن شاء أفقره {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغيب} أي مواضع الكنوز لاستخرجتها وما مسني السوء يعني: الفقر {إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ} أي مخوف بالنار {وَبَشِيرٌ} يعني: مبشراً بالجنة {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون بالبعث.

▲ تفسير الآيات رقم [189- 195]

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195)}

قوله تعالى: {هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحدة} يعني: من نفس آدم {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} يعني: خلق من نفس آدم من ضلع من أضلاعه اليسرى زوجته حواء {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} يعني: ليطمئن إليها ويجامعها {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي: سكن إليها وجامعها {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا} يعني: خفيف الماء {فَمَرَّتْ بِهِ} أي: استمرت بالحمل. يقول: قامت بالحمل وقعدت ولا تدري أهي حبلى أم لا {فَلَمَّا أَثْقَلَت} يعني: ثقل الولد في بطنها {دَّعَوَا الله رَبَّهُمَا} وذلك أن إبليس أتاها فقال: يا حواء ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: أخاف إنها بهيمة، وإني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله فولدت إنساناً صالحاً أتسميه باسمي؟ قالت: نعم. وما اسمك قال: عبد الحارث فكذب. فدعت حواء وآدم فذلك قوله: دعوا الله ربهما {لَئِنْ ءاتَيْتَنَا صالحا} يعني: أعطيتنا ولداً سوياً صحيح الجوارح {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين} وهذا قول سعيد بن جبير رواه عن ابن عباس. وروى معمر عن قتادة أنه قال: كان آدم لا يولد له ولد إلا مات فجاء الشيطان وقال: إن سرك أن يعيش ولدك فسمه عبد الحارث ففعل. فأشركا في الاسم. ولم يشركا في العبادة. وروي عن السدي أنه قال: اسم إبليس هو الحارث يوم لعن فأراد أن ينسب إليه، فأمرها فسمته عبد الحارث، فعاش بعد ذلك أياماً ثم مات. فذلك قوله: {فَلَمَّا ءاتاهما} يعني: أعطاهما {صالحا} خلقاً آدمياً سوياً {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا ءاتاهما} قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} بكسر الشين وجزم الراء وقرأ الباقون {شُرَكَاء} بالضم ونصب الراء. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى التسمية، وهو اسم يقوم مقام المصدر ومن قرأ بالضم فمعناه: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} يعني: الشريك في الاسم وإنما ذكر الشركاء وأراد به الشريك يعني: الشيطان فإن قيل: من قرأ بالكسر كان من حق الكلام أن يقول جعلا لغيره شركاً، لأنهما لا ينكران أن الأصل لله تعالى. وإنَّما جعلا لغيره شركاً أي نصيباً. قيل له: معناه {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} يعني: ذا شرك. فذكر الشرك والمراد به شركه كقوله تعالى: {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لحافظون} [يوسف: 12] أي أهل القرية فضرب الله تعالى بهذا مثلاً للكفار يعني: كما أن آدم وحواء أعطاهما ورزقهما فاشركوا في عبادته.

ثم نزه نفسه عن الشرك فقال تعالى: {فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك.

ثم رجع إلى قصة الكفار فقال الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً} يعني: أيشركون الآلهة مع الله تعالى وهم كفار مكة ما لا يخلق شيئاً وهي الآلهة {وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ} يعني: لا يستطيعون أن يمتنعوا مما نزل بهم من العذاب {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهدى} قال الكلبي يعني: الآلهة.

وإن يدع المشركون آلهتهم إلى أمر {لاَ يَتَّبِعُوكُمْ} يعني: لا يتّبعهم آلهتهم {سَوَاء عَلَيْكُمْ} يا أهل مكة {أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صامتون} لا تعقل شيئاً لأنه ليس فيها روح. وقال مقاتل: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهدى} يعني: كفار مكة {لاَ يَتَّبِعُوكُمْ} لا يتبعونكم يعني: النبي صلى الله عليه وسلم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فلا يؤمنون قرأ نافع {لاَ يَتَّبِعُوكُمْ} بجزم التاء وقرأ الباقون بالنصب والتشديد {لاَ يَتَّبِعُوكُمْ} وهما لغتان تبعه وأتْبعه معناهما واحد.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين تَدْعُونَ} يعني: تعبدون {مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام {عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} يعني: مخلوقين مملوكين أشباهكم وليسوا بآلهة {فادعوهم فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صادقين} أنها آلهة.

ثم قال عز وجل: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا} يعني: في حوائجكم {أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا} يعني: يعطون بها ويمنعون عنكم الضر {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا} يعني: عبادتكم {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ} يعني: دعاءكم وقد احتجت المشبهة بهذه الآية أن من لا يكون له يد ولا رجل ولا بصر لا يصلح أن يكون إلها. ولكن لا حجة لهم في ذلك لأن الله تعالى بيّن ضعف معبودهم وعجزهم، وبيّن أنهم اشتغلوا بشيء لا فائدة فيه ولا منفعة لهم في ذلك.

ثم قال: {قُلْ} يا محمد يعني: لكفار مكة {ادعوا شُرَكَاءكُمْ} يعني: آلهتكم {ثُمَّ كِيدُونِ} يعني: اعملوا بي ما شئتم {فَلاَ تُنظِرُونِ} يعني: لا تمهلون ولا تؤجلون لأنهم خوفوه بآلهتهم قرأ أبو عمرو {ثُمَّ} بالياء في حال الوصل وقرأ الباقون بغير الياء.

ثم قال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [196- 200]

{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)}

{إِنَّ وَلِيِّىَ الله الذى نَزَّلَ الكتاب} يعني: حافظي وناصري الله الذي نزل الكتاب. يعني: القرآن. ويقال: إن الذي يمنعني منكم الله الذي أنزل جبريل بالكتاب {وَهُوَ يَتَوَلَّى الصالحين} يعني: المؤمنين فيحفظهم ولا يكلهم إلى غيره.

ثم قال: {والذين تَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعني: تعبدون من دون الله {لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ} أي: لا يقدرون منعكم {وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ} أي يمنعون ممن أذاها، لأن الكفار كانوا يلطخون العسل في فم الأصنام، وكان الذباب يجتمع عليه فلا تقدر دفع الذباب عن نفسها.

ثم قال تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهدى لاَ يَسْمَعُواْ} قال الكلبي: يعني إن دعا المشركون آلهتهم لا يسمعون أي يجيبونهم {وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} يعني: الأصنام تراهم مفتحة أعينهم وهم لا يبصرون شيئاً. قال مقاتل: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهدى} يعني: كفار مكة {لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} الهدى. قوله تعالى: {خُذِ العفو وَأْمُرْ بالعرف} قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني: خذ ما أعطوك من الصدقة يعني: ما فضل من الأكل والعيال، ثم نسخ بآية الزكاة وهذا كقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمر والميسر قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ومنافع لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العفو كذلك يُبيِّنُ الله لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة: 219] يعني: الفضل وأمر بالمعروف يعني: ادعهم إلى التوحيد {وَأَعْرِض عَنِ الجاهلين} أي من جهل عليك مثل أبي جهل وأصحابه، وكان ذلك قبل أن يؤمر بالقتال. ويقال: {خُذِ العفو وَأْمُرْ بالعرف} يعني: اعف عمن ظلمك واعط من حرمك وصل من قطعك.

قال الفقيه أبو الليث: حدثنا عن الشعبي الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الديبلي. قال: حدثنا أبو عبيد الله وحدثنا سفيان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية {خُذِ العفو وَأْمُرْ بالعرف وَأَعْرِض عَنِ الجاهلين} سأل عنها جبريل. فقال جبريل: حتى أسأل العالم، فذهب ثم أتاه، فقال: يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تَصِل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك. وقال القتبي في قول النبي: صلى الله عليه وسلم «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ» فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر في هذه الآية كيف جمع له في هذا كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله، وصلة الأرحام، وغض البصر، وفي الإعراض عن الجاهلين الحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، وعن منازعة اللجوج، وإنما سمي المعروف معروفاً لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه.

قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشيطان} قال مقاتل يعني: ولا يفتننكم فتنة في أمر أبي جهل {نَزْغٌ فاستعذ بالله} قال الكلبي: أي: وإما يصيبنك من الشيطان وسوسة فاستعذ بالله وقال الزجاج: النزع أدنى حركة. ومعناه: إن أتاك من الشيطان أدنى وسوسة فاستعذ بالله {إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني: سميع لدعائك بوسوسة الشيطان.

▲ تفسير الآيات رقم [201- 203]

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)}

قوله تعالى: {إنَّ الذين اتقوا} يعني: اتقوا الشرك والفواحش {إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مّنَ الشيطان} يعني: ذنب {تَذَكَّرُواْ} يعني: عرف المتقون أنها معصية {فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} يعني: إذا هم على بصيرة منتهون عن المعصية. وقال الزجاج: {تَذَكَّرُواْ} ما أوضح الله لهم من الحجة {فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي {طيف} بغير ألف وقرأ الباقون بالألف {مَسَّهُمْ طَئِفٌ}. وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ {إِذَا مَسَّهُمْ}، والطيف الغضب وعن مجاهد في قوله {مَسَّهُمْ طَئِفٌ} قال الغضب.

ثم ذكر حال الكفار فقال عز وجل: {وإخوانهم يَمُدُّونَهُمْ فِى الغى} يعني: إخوان الشياطين يمدونهم أي: يدعونهم إلى المعصية. ويقال: يلجونهم في الشرك والضلالة. {ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ} عنها كما أقصر المسلمون عنها حين أبصروها. قرأ نافع {يُمُدُّونَهُمْ} بضم الياء وكسر الميم من أمَدَّ يُمِدّ. وقرأ الباقون {يَمُدُّونَهُمْ} بالنصب من مَدَّ يَمُدُّ. قال بعضهم: هذا عطف على قوله: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الهدى لاَ يَسْمَعُواْ} {وإخوانهم يَمُدُّونَهُمْ فِى الغى}. وقال الزجاج: معناه التقديم. والمعنى لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون {وإخوانهم يَمُدُّونَهُمْ فِى الغى} يعني: الشياطين والغي: الجهل والوقوع في الهلكة.

قوله تعالى: {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِئَايَةٍ} وذلك حين أبطأ عليه جبريل حين سألوه شيئاً {قَالُواْ لَوْلاَ اجتبيتها} أي: هلاّ أتاهم من تلقاء نفسه؟ وهذا كقوله: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذين لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائت بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هاذآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نفسى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَىَّ إِنى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس: 15] {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبّى} أي: قل إذا أمرت بأمر فعلت ولا أبتدع ما لم أومر {هذا بَصَائِرُ مِن رَّبّكُمْ} يعني: القرآن بيان من ربكم. وقال بعض أهل اللغة: البصائر في اللغة: طرائق الأمر واحدتها بصيرة: ويقال: طريقة الدين معناه: ظهور الشيء وبيانه {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} أي: القرآن هدى من الضلالة ويقال: كرامة ورحمة من العذاب ونعمة لمن آمن به {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون.

▲ تفسير الآيات رقم [204- 206]

{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)}

قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ} وذلك أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة قبل نزول هذه الآية، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالسكوت. وروى عبد الوهاب عن مجاهد عن أبي العالية الرياحي قال: كان النبي عليه السلام إذا صلى فقرأ وقرأ أصحابه خلفه حتى نزل {وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ} فسكت القوم. وقرأ النبي عليه السلام وروى قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ} قال في الصلاة. وروى مغيرة عن إبراهيم مثله، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله: {وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ} هذا لكل قارئ؟ قال: لا، ولكن هذا في الصلاة المفروضة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه مثله. وقال مجاهد: وجب الإنصات في موضعين في الصلاة والإمام يقرأ، وفي الجمعة والإمام يخطب. وعن مجاهد أنه قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم. وقال عطاء والحسن إن هذا في الصلاة والخطبة. ويقال: {فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ} أي: اعملوا بما في كتاب الله تعالى ولا تجاوزوا عنه إلى غيره

ثم قال {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لكي ترحموا فلا تعذبوا.

قوله تعالى: {واذكر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا} يقول: اقرأ يا محمد إذا كنت إماماً بنفسك تضرعاً يعني: مستكيناً {وَخِيفَةً} يعني: وخوفاً من عذابه وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: {واذكر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ} يعني: سراً {وَدُونَ الجهر مِنَ القول بالغدو والاصال} يعني: العلانية حتى يسمع من خلفك. وقال الضحاك: معناه اجهر بالقراءة في الغداة والمغرب والعشاء {وَلاَ تَكُنْ مّنَ الغافلين} يعني: لا تغفل عن القراءة في الظهر والعصر، فإنك تخفي القراءة فيهما وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال »اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً خَامِلاً« قيل: وما الذكر الخامل؟ قال: «الذِّكْرُ الخَفِيُّ «

قوله تعالى: {بالغدو والاصال} يعني: غدوة وعشية. وروى يحيى بن أيوب عن خالد بن سعيد بن أبي هلال عن من سمع عقبة بن عامر قال: المسر بالقراءة كالمسر بالصدقة، والمعلن بالقراءة كالمعلن بالصدقة.

ثم قال: {وَلاَ تَكُنْ مّنَ الغافلين} عن القراءة في الصلاة.

قوله تعالى: {إِنَّ الذين عِندَ رَبّكَ} يعني: الملائكة {لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} وذلك أن كفار مكة {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسجدوا للرحمن قَالُواْ وَمَا الرحمن أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً} [الفرقان: 60] واستكبروا عن السجود فنزل {إِنَّ الذين عِندَ رَبّكَ} يعني:

الملائكة لا يستكبرون عن عبادته يعني: لا يتعظمون ولا يستنكفون عن طاعته {وَيُسَبِّحُونَهُ} يقول: ويذكرونه {وَلَهُ يَسْجُدُونَ} يعني: يصلون. وقال أهل اللغة: الآصال جمع الأُصل والأُصُل جمع الأَصِيل والآصال جمع الجمع يعني: العشيات والله أعلم بالصواب.

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n20&p1

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n7&p1

الجزءَ الاول

- تفسير الآية رقم (62)
- تفسير الآيات رقم (63- 64)
- تفسير الآيات رقم (65- 66)
- تفسير الآيات رقم (67- 71)
- تفسير الآيات رقم (72- 73)
- تفسير الآيات رقم (74- 75)
- تفسير الآيات رقم (76- 78)
- تفسير الآية رقم (79)
- تفسير الآية رقم (80)
- تفسير الآيات رقم (81- 82)
- تفسير الآية رقم (83)
- تفسير الآيات رقم (84- 86)
- تفسير الآية رقم (87)
- تفسير الآيات رقم (88- 90)
- تفسير الآية رقم (91)
- تفسير الآية رقم (92)
- تفسير الآية رقم (93)
- تفسير الآيات رقم (94- 96)
- تفسير الآيات رقم (97- 98)
- تفسير الآية رقم (99)
- تفسير الآيات رقم (100- 101)
- تفسير الآية رقم (102)
- تفسير الآيات رقم (103- 104)
- تفسير الآية رقم (105)
- تفسير الآية رقم (106)
- تفسير الآية رقم (107)
- تفسير الآية رقم (108)
- تفسير الآية رقم (109)
- تفسير الآية رقم (110)
- تفسير الآيات رقم (111- 112)

- تفسير الآيات رقم (98- 99)
- تفسير الآيات رقم (100- 101)
- تفسير الآيات رقم (102- 107)
- تفسير الآيات رقم (108- 109)
- تفسير الآيات رقم (110- 111)
- تفسير الآيات رقم (112- 115)
- تفسير الآيات رقم (116- 117)
- تفسير الآيات رقم (118- 119)
- تفسير الآية رقم (120)
- تفسير الآيات رقم (121- 122)
- تفسير الآيات رقم (123- 125)
- تفسير الآية رقم (126)
- تفسير الآيات رقم (127- 128)
- تفسير الآية رقم (129)
- تفسير الآيات رقم (130- 131)
- تفسير الآيات رقم (132- 133)
- تفسير الآية رقم (134)
- تفسير الآيات رقم (135- 137)
- تفسير الآيات رقم (138- 140)
- تفسير الآية رقم (141)
- تفسير الآيات رقم (142- 143)
- تفسير الآية رقم (144)
- تفسير الآيات رقم (145- 147)
- تفسير الآية رقم (148)
- تفسير الآيات رقم (149- 150)
- تفسير الآية رقم (151)
- تفسير الآيات رقم (152- 154)
- تفسير الآيات رقم (155- 159)
- تفسير الآية رقم (160)
- تفسير الآيات رقم (161- 163)

- تفسير الآيات رقم (164- 168)
- تفسير الآيات رقم (169- 170)
- تفسير الآيات رقم (171- 171)
- تفسير الآيات رقم (172- 175)
- تفسير الآيات رقم (176- 176)
- تفسير الآيات رقم (177- 177)
- تفسير الآيات رقم (178- 178)
- تفسير الآيات رقم (179- 179)
- تفسير الآيات رقم (180- 181)
- تفسير الآيات رقم (182- 182)
- تفسير الآيات رقم (183- 183)
- تفسير الآيات رقم (184- 184)
- تفسير الآيات رقم (185- 185)
- تفسير الآيات رقم (186- 186)
- تفسير الآيات رقم (187- 195)
- تفسير الآيات رقم (196- 197)
- تفسير الآيات رقم (198- 200)

سورة النساء

- تفسير الآية رقم (1)
- تفسير الآيات رقم (2- 3)
- تفسير الآيات رقم (4- 6)
- تفسير الآيات رقم (7- 10)
- تفسير الآيات رقم (11- 14)
- تفسير الآيات رقم (15- 18)
- تفسير الآيات رقم (19- 21)
- تفسير الآيات رقم (22- 23)
- تفسير الآيات رقم (24- 25)
- تفسير الآيات رقم (26- 31)
- تفسير الآيات رقم (32- 35)
- تفسير الآيات رقم (36- 38)
- تفسير الآيات رقم (39- 42)

- تفسير الآيات رقم (7- 10)
- تفسير الآيات رقم (11- 12)
- تفسير الآيات رقم (13- 16)
- تفسير الآيات رقم (17- 19)
- تفسير الآيات رقم (20- 23)
- تفسير الآيات رقم (24- 26)
- تفسير الآيات رقم (27- 28)
- تفسير الآيات رقم (29- 31)
- تفسير الآية رقم (32)
- تفسير الآيات رقم (33- 35)
- تفسير الآيات رقم (36- 38)
- تفسير الآيات رقم (39- 43)
- تفسير الآيات رقم (44- 45)
- تفسير الآيات رقم (46- 49)
- تفسير الآيات رقم (50- 52)
- تفسير الآيات رقم (53- 54)
- تفسير الآيات رقم (55- 56)
- تفسير الآيات رقم (57- 58)
- تفسير الآية رقم (59)
- تفسير الآية رقم (60)
- تفسير الآيات رقم (61- 62)
- تفسير الآيات رقم (63- 65)
- تفسير الآيات رقم (66- 70)
- تفسير الآية رقم (71)
- تفسير الآيات رقم (72- 73)
- تفسير الآيات رقم (74- 75)
- تفسير الآيات رقم (76- 79)
- تفسير الآيات رقم (80- 83)
- تفسير الآيات رقم (84- 90)
- تفسير الآيات رقم (91- 92)

- تفسير الآيات رقم (8- 10)
- تفسير الآيات رقم (11- 18)
- تفسير الآيات رقم (19- 25)
- تفسير الآيات رقم (26- 30)
- تفسير الآيات رقم (31- 34)
- تفسير الآيات رقم (35- 39)
- تفسير الآيات رقم (40- 43)
- تفسير الآيات رقم (44- 46)
- تفسير الآيات رقم (47- 53)
- تفسير الآية رقم (54)
- تفسير الآيات رقم (55- 57)
- تفسير الآيات رقم (58- 64)
- تفسير الآيات رقم (65- 72)
- تفسير الآيات رقم (73- 79)
- تفسير الآيات رقم (80- 84)
- تفسير الآيات رقم (85- 93)
- تفسير الآيات رقم (94- 99)
- تفسير الآيات رقم (100- 116)
- تفسير الآيات رقم (117- 127)
- تفسير الآيات رقم (128- 131)
- تفسير الآيات رقم (132- 137)
- تفسير الآيات رقم (138- 141)
- تفسير الآيات رقم (142- 144)
- تفسير الآيات رقم (145- 147)
- تفسير الآيات رقم (148- 151)
- تفسير الآيات رقم (152- 155)
- تفسير الآيات رقم (156- 157)
- تفسير الآيات رقم (158- 162)
- تفسير الآيات رقم (163- 170)
- تفسير الآيات رقم (171- 174)

الجزءَ الثاني (صفحه 21 ...)

        - تفسير الآيات رقم (22- 26)
        - تفسير الآيات رقم (27- 33)
        - تفسير الآيات رقم (34- 38)
        - تفسير الآيات رقم (39- 41)
        - تفسير الآيات رقم (42- 44)
        - تفسير الآيات رقم (45- 49)
        - تفسير الآيات رقم (50- 53)
        - تفسير الآيات رقم (54- 59)
        - تفسير الآيات رقم (60- 68)
        - تفسير الآيات رقم (69- 81)
        - تفسير الآية رقم (82)
        - تفسير الآيات رقم (83- 86)
        - تفسير الآيات رقم (87- 93)
    - سورة القصص
        - تفسير الآيات رقم (1- 4)
        - تفسير الآيات رقم (5- 8)
        - تفسير الآيات رقم (9- 11)
        - تفسير الآيات رقم (12- 16)
        - تفسير الآيات رقم (17- 22)
        - تفسير الآيات رقم (23- 25)
        - تفسير الآيات رقم (26- 29)
        - تفسير الآيات رقم (30- 35)
        - تفسير الآيات رقم (36- 38)
        - تفسير الآيات رقم (39- 45)
        - تفسير الآيات رقم (46- 50)
        - تفسير الآيات رقم (51- 55)
        - تفسير الآيات رقم (56- 60)
        - تفسير الآيات رقم (61- 66)
        - تفسير الآيات رقم (67- 75)
        - تفسير الآيات رقم (76- 82)
        - تفسير الآيات رقم (83- 88)

- تفسير الآيات رقم (13- 14)
- تفسير الآيات رقم (15- 19)
- تفسير الآيات رقم (20- 32)
- تفسير الآيات رقم (33- 35)
- تفسير الآيات رقم (36- 40)
- تفسير الآيات رقم (41- 44)
- تفسير الآيات رقم (45- 52)
- تفسير الآيات رقم (53- 58)
- تفسير الآيات رقم (59- 66)
- تفسير الآيات رقم (67- 70)
- تفسير الآيات رقم (71- 76)
- تفسير الآيات رقم (77- 83)

سورة الصافات

- تفسير الآيات رقم (1- 5)
- تفسير الآيات رقم (6- 18)
- تفسير الآيات رقم (19- 40)
- تفسير الآيات رقم (41- 56)
- تفسير الآيات رقم (57- 70)
- تفسير الآيات رقم (71- 98)
- تفسير الآيات رقم (99- 113)
- تفسير الآيات رقم (114- 148)
- تفسير الآيات رقم (149- 157)
- تفسير الآيات رقم (158- 170)
- تفسير الآيات رقم (171- 182)

سورة ص

- تفسير الآيات رقم (1- 3)
- تفسير الآيات رقم (4- 10)
- تفسير الآيات رقم (11- 20)
- تفسير الآيات رقم (21- 26)
- تفسير الآيات رقم (27- 29)
- تفسير الآيات رقم (30- 34)

    - تفسير الآيات رقم (11- 21)
    - تفسير الآيات رقم (22- 36)
  - سورة الانشقاق
    - تفسير الآيات رقم (1- 5)
    - تفسير الآيات رقم (6- 13)
    - تفسير الآيات رقم (14- 19)
    - تفسير الآيات رقم (20- 25)
  - سورة البروج
    - تفسير الآيات رقم (1- 5)
    - تفسير الآيات رقم (6- 11)
    - تفسير الآيات رقم (12- 22)
  - سورة الطارق
    - تفسير الآيات رقم (1- 4)
    - تفسير الآيات رقم (5- 10)
    - تفسير الآيات رقم (11- 17)
  - سورة الأعلى
    - تفسير الآيات رقم (1- 5)
    - تفسير الآيات رقم (6- 13)
    - تفسير الآيات رقم (14- 19)
  - سورة الغاشية
    - تفسير الآيات رقم (1- 15)
    - تفسير الآيات رقم (16- 26)
  - سورة الفجر
    - تفسير الآيات رقم (1- 3)
    - تفسير الآيات رقم (4- 14)
    - تفسير الآيات رقم (15- 22)
    - تفسير الآيات رقم (23- 30)
  - سورة البلد
    - تفسير الآيات رقم (1- 4)
    - تفسير الآيات رقم (5- 10)
    - تفسير الآيات رقم (11- 20)
  - سورة الشمس